



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان  
قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية  
قسم التاريخ



الإحتلال الإسباني لوهراة والمرسى الكبير ما بين (1505-1792م)  
من خلال المدونات الفرنسية: المجلة الإفريقية (R.A) و نشرية  
وهراة الأثرية  
والجغرافية (B.S.G.A.O) أنموذجاً-  
دراسة بيبليوغرافية تحليلية.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

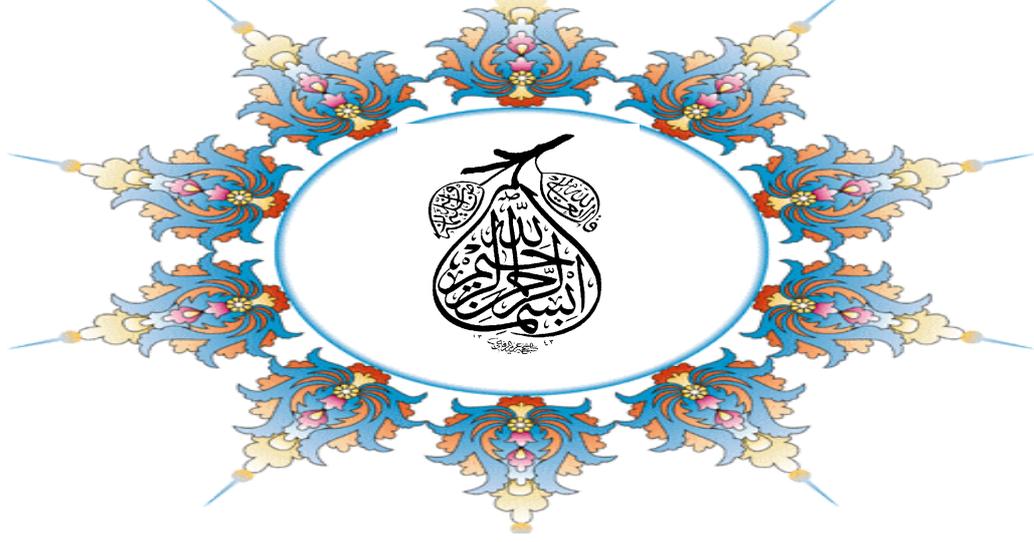
إشراف:  
أ.د حنيفة هلايلي

إعداد الطالبة:  
مسعودة بوجلال

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر - أ-	د. سي عبد القادر عمر
مشرفاً ومقرراً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. هلايلي حنيفة
مناقشاً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر - أ-	د. قدور وهراني
مناقشاً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر - أ-	د. رشيد يماني
مناقشاً	جامعة الشلف	أستاذ محاضر - أ-	د. رشيد يماني
مناقشاً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر - أ-	د. صورية متاجر

السنة الجامعية : 1440-1441هـ / 2019-2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، ولولا فضل منه ثم عمل مني لما وصلت إلى ما أنا عليه،  
فله الحمد والشكر.

ومن باب إرجاع الفضل لأهله؛ أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف أستاذي الدكتور حنيفي  
هلايلي لما قدمه لي من دعم وتوجيه طيلة عمر هذا البحث، فكان نعم المرشد والمعين، وما  
عساني أقول أكثر مما قال المتنبي:

وقد حملتني شكراً طويلاً      ثقيلاً لا أُطيق به حراكاً.

فإليك مني أسمى معاني الشكر والتقدير.

كما لا يفوتني أن أشكر اللجنة العلمية المشرفة على مناقشة هذه الأطروحة.  
والشكر موصول إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة، أو نصيحة أو تشجيع.

مسعودة بوجلال

# إهداء

أتقدم بثمره جهدي هذه، وفقني الله فيها، لأهديها إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي  
حقها؛ إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلها أُمِّي الغالية التي لطلما كانت سندي  
وشجعني ودعمني طيلة مشوار حياتي، فتوجيهاتها منحني قوة ودفعني إلى النجاح.

إلى أبي الكريم سندي في الحياة، الذي كان معلمي ومرشدي، وشجعني دائماً على النجاح  
والمثابرة، فأشكره جزيل الشكر على كل ما قدمه لي.

إلى كل عائلتي وأخص بالذكر إخوتي وشقيقتي وأبنائهم كلٌ باسمه؛ سندي في هذه الحياة ولا  
أحصي لهم فضلاً بكل الحب والتقدير الذي غمروني به، وفرحهم الدائم لنجاحي.

إلى أزواج شقيقتي وزوجة أخي الذين كانوا لي بمثابة عائلة الثانية، حفظهم الله ورعاهم.

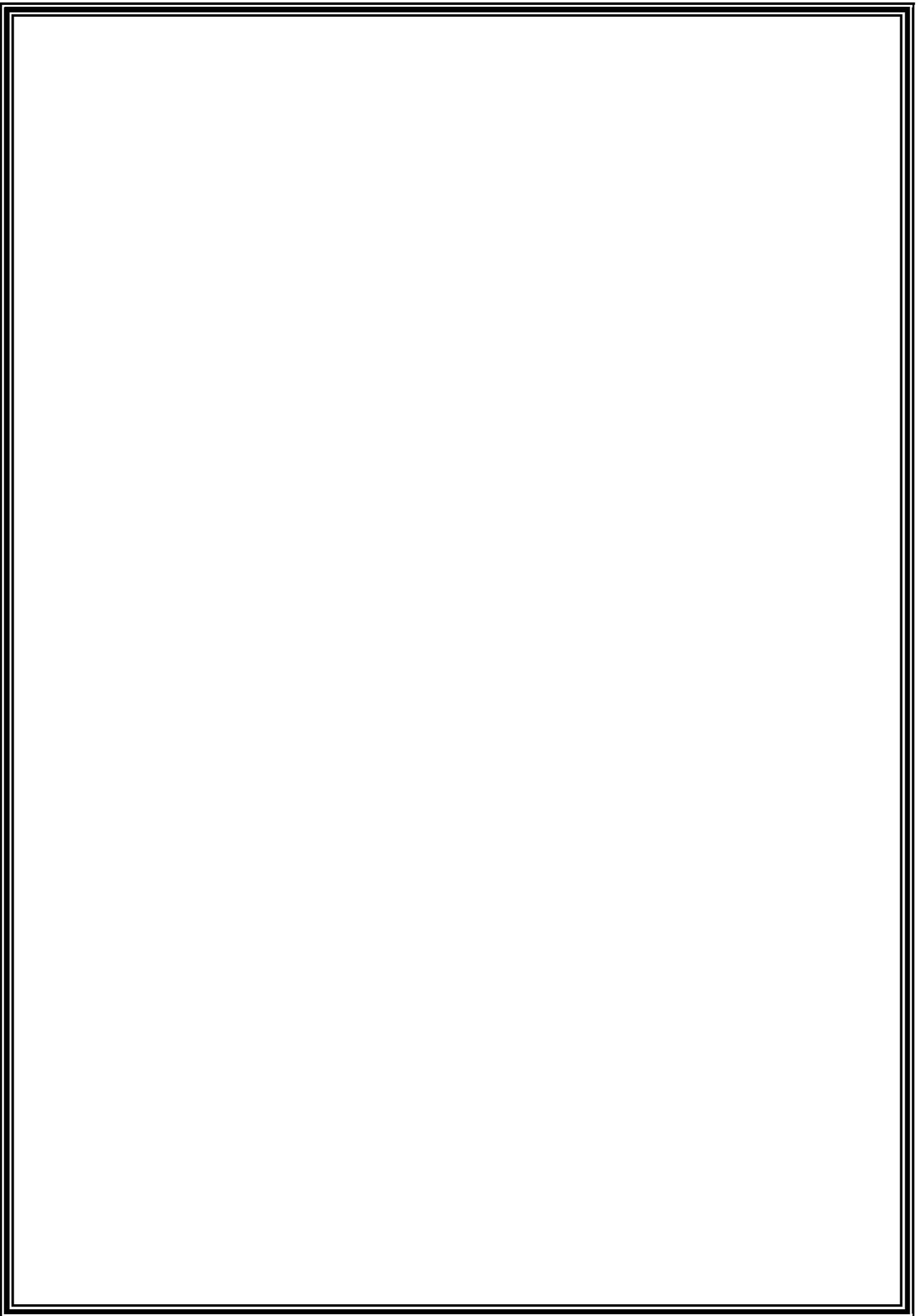
إلى كل من علمني حرفاً أصبح لي نبراساً يضيء الطري أمامي.

إلى جميع الأقارب والأصدقاء الذين لطلما أحبوني وشجعوني وفرحوا دائماً لنجاحاتي.

مسعودة بوجلال

قائمة الاختصارات

المختصرات باللغة الفرنسية	المختصرات باللغة العربية
- <b>R. A:</b> revue africaine.	- تح: تحقيق.
- <b>B.S.G.A.O:</b> Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.	- تع: تعليق.
- <b>T:</b> tome.	- تق: تقديم.
- <b>Vol:</b> volume.	- تن: تنقيح.
- <b>P:</b> page.	- تر: ترجمة.
- <b>N°:</b> numéro.	- تن: تنسيق.
<b>éd:</b> édition.	- م: ميلادي.
- <b>O.P.U:</b> Office des publications Universitaires.	- ه: هجري.
- <b>PP:</b> pages contenue.	- (د.ط): دون طبعة.
- <b>T:</b> Tome.	- (د.ت): دون تاريخ.
- <b>Ibid:</b> Ibidem.	- ج: الجزء.
- <b>Op.cit:</b> Opus citatum.	- ص: الصفحة.
- <b>A.A:</b> Armée d'Afrique.	- ط: طبعة.
- <b>Imp:</b> Imprimerie.	- ع: العدد.
- <b>R.M.O:</b> Recueil de Mémoires Orientaux.	- مج: مجلد.
- <b>P.E.L.O.V:</b> Publication de l'école des langues orientales vivantes.	- د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.
- <b>R.H:</b> Revue Historique.	- ش.أ.ن.ت: شركة الأصالة للنشر والتوزيع.
	- ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
	- م، و، ن، و: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
	- ص ص: صفحتان أو أكثر.
	- م.ت.ح.م: مجلة تاريخ وحضارة المغرب.
	- م، و، د، ب، ح، و: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية.
	- د، أ، ط، ن، ت: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
	- م، و، ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.



# مقدمة

## مقدمة

شهدت منطقة حوض البحر المتوسط خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي تطورات عديدة، وتغيرات هامة في العلاقات القائمة بين مختلف الدول المطلة عليه، خاصة في الجزء الغربي منه. ويعتبر القرن 16م/ 10هـ بالنسبة للتاريخ المغربي، قرناً محورياً إذ شهد تحولاً كبيراً على جميع المستويات، كما عُرف بقرن المجاهات الحربية بين مختلف الأطراف، فهو ولا شك قرن التحولات الضخمة في الأنظمة السياسية والاتصالات المباشرة والبعثات التي حصلت بين أطرافه عبر البحر الأبيض المتوسط، وهو أيضاً قرن التحالفات الظرفية والمنافع العاجلة، بالإضافة إلى ذلك فهو قرن يستحيل معه فصل السياسة عن الدين وعلى الأخص ما كان متعلقاً منه بملف الصراع الإسباني- العثماني، حيث وجب أن لا يغيب عنا الدين قد أثر على فكر وسلوك الإنسان خلال القرن السادس عشر سواء أكان عثمانياً أو إسبانياً أو أوروبا، وتلك هي الحقيقة التي تشرح لنا طبيعة الأحداث والصراعات السياسية والعسكرية بالبحر الأبيض المتوسط الغربي.

وكان لهذه المرحلة الأثر العميق على العلاقات المتنوعة بين الضفتين عموماً خلال قرن كامل من الزمن. إن تلك المرحلة كانت حتمية تاريخية؛ لأن الظروف التي توفرت خلال القرن 16م، فرضت ذلك النوع من الاحتكاك بين منهجين حضاريين مختلفين، وإيديولوجيتين متناقضتين - خاصة في تلك الفترة- بالإضافة إلى المصالح المتصارعة.

### أولاً: الأهمية العلمية:

كان المد الأيبيري في المغرب الأوسط عبارة عن حرب صليبية، وقد حاولت الأستغرافية الأيبيرية كلما سمحت الفرصة أن تركز على الأدوار التاريخية التي أدتها شبه الجزيرة في بلاد المغرب الإسلامي والعالم. وقد عجل سقوط غرناطة سنة 1492م بانطلاق الطاقات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار، وقد كانت إفريقيا على قربها الشديد الاختيار المنطقي الأول في هذه الإستراتيجية. وفي الوقت نفسه فإن هجرة الموريسكيين قد خلقت التأزم ووفرت سبباً لتعليل التدخل الإسباني.

ويمكن اعتبار التحرشات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي فصلاً مكملاً لفصول الحروب الصليبية التي توقفت بالمشرق الإسلامي لتبدأ بمغرب، لذا لا يمكن

## مقدمة

فصل الموضوع عن إطاره العام، فإسبانيا انتهجت في احتلالها للمغرب الأوسط المرحلية في التوغل، فبعد أن احتلت أهم الموانئ والمدن الساحلية سعت إلى القضاء على الإمارات الداخلية المفككة إلا أن ظهور الأتراك العثمانيين في هذه المنطقة وتصديهم للحركة الاستعمارية الإسبانية حال دون تنفيذ مخططاتها الذي كان بإمكانه تغيير مصير المغرب الأوسط لو قُدر له النجاح.

وهكذا فقد أحدثت الدراسات التاريخية الحديثة، جدلاً واسعاً، حول حقيقة الصراع العثماني الإسباني في سواحل البحر الأبيض المتوسط، الذي اشتد في مدينة وهران والمرسى الكبير ما يقارب ثلاث مائة سنة، حقق من خلالها الإسبان سيطرتهم عليها، رغم محاولات العثمانيين المتكررة، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحريرها، إلا في القرن 18م، وتعتبر هذه الفترة التي عاشتها الجزائر عامة، وهران خاصة، من أهم الأحداث السياسية والعسكرية في التاريخ الحديث.

### ثانياً: أهداف الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على إبراز الأبحاث المتعلقة بوهران والمرسى الكبير من خلال المجلة الإفريقية ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران، لما احتوت عليه المدونتين من دراسات في شتى الميادين، وكذا لأهميتهما التاريخية والعلمية؛ ومن خلال هذا قمت باختيار الموضوع رغبة في معرفة صلة هذه البحوث في السعي لتدمير الخصوصيات المختلفة للمجتمع الجزائري وإعادة تشكيله على أسس جديدة تجعله مجتمعاً خاضعاً للسيطرة الاستعمارية، وكونها تسمح بإعطاء صورة عن توجهات الكتابة الغربية حول موضوع الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير لاسيما كون أن الكُتّاب كانوا من الجنسييتين الفرنسية والإسبانية.

ومن هذا المنطلق جاء اهتمامي بالهجمة الصليبية على المغرب الأوسط وبالتحديد على مدينة وهران والمرسى الكبير وما زادني حماساً هو اقتفاء الآثار الأولى لبدايات المشروع الاستعماري الإسباني ضد الجزائر، حسب ما ورد في المدونتين. خاصة وأن هذه الدراسات اعتمدت على مصادر كان أصحابها قرييين جداً من الحدث بل من مراكز صناعة القرار سواء على مستوى الإدارة الإسبانية سابقاً أو الإدارة الفرنسية لاحقاً، وهو ما أوههم بصحة المعطيات التي نقلوها وأهم صاروا فوق احتمالية الوقوع في الخطأ.

كما دفعتني إلى الخوض في هذا الموضوع بعض الأفكار التي طرحها خلال عملية البحث وتحليل

الوثائق، والتي من بينها:

- تداعيات الاحتلال الإسباني لسواحل وهران والمرسى الكبير وانعكاساته السياسية والعسكرية وحتى العمرانية.
- تركيز الاحتلال الإسباني على المدن الساحلية دون التوغل بالداخل مع الاحتفاظ فقط بوهران و المرسى الكبير طيلة ثلاثة قرون.

- الخرجات العسكرية للحامية الإسبانية ضئيلة بل ومنعدمة خلال الاحتلال الثاني.
- البحث عن الاستحكامات الدفاعية من حصون وأبراج وثكنات، والتعرف على أماكنها، وحياة الجند والحاميات العسكرية.

- معرفة مدى التطور والتغير الذي شهدته مدينة وهران طيلة فترة الاحتلال لا سيما من الناحية العمرانية.

كما أن هذه الدراسة تتحدد من حيث المجال الجغرافي بالجهة الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط باعتباره منطقة إستراتيجية منذ القدم، ومنطقة تفاعلات بالغة الكثافة، دارت في جنباته حروب عنيفة كتلك التي وقت بين الجزائر وإسبانيا وعلى وجه الخصوص بمدينة وهران والمرسى الكبير لما يقارب ثلاث مائة سنة (1505-1792م).

### ثالثاً: الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة:

إرتبطت إشكالية الدراسة بإبراز الصورة التي جسدها الأستغرافيا الإسبانية والفرنسية من خلال وجهة نظر كُتّابها في أبحاثهم المدونة في كل من المجلة الإفريقية والنشرية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران حول الإحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير طيلة ثلاثة قرون من الزمن؟ وهذا يمكن أن نطرح جملة من التساؤلات حول الموضوع:

- كيف صوّرة الأستغرافيا الإسبانية والفرنسية المنشورة بالمدونتين موضوع الإحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير؟

- ما طبيعة المصادر والمعلومات المتوفرة في الوثائق والمذكرات والتقارير المدونة في المجلتين حول الإحتلال بالمنطقة؟
- ما الدور الذي لعبته القبائل المرابطة في كل من وهران والمرسى الكبير تجاه الإسبان سواء المتحالفة منها أو المعادية؟
- لماذا ركز الإحتلال الإسباني على المدن الساحلية دون التوغل إلى الداخل مع الاحتفاظ فقط بوهران والمرسى الكبير طيلة ثلاثة قرون من الزمن؟
- ما طبيعة الإحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير أكان استيطاني أم ظريفي مؤقت؟

### رابعاً: المنهج المتبع في الدراسة:

لقد اعتادت دراسات في مثل هذا الصنف على توظيف مناهج ذات صلة وثيقة بالموضوع، وهذا ما تبعناه في هذا البحث بحيث اعتمدت الدراسة على تقصي الحقائق التاريخية بإتباع المنهج العلمي التاريخي الوصفي القائم على وصف ومقابلة الوثائق والنصوص والتحليل توطئة لاستنباط الحقائق التي يمكن أن يدور عليها البحث، وبالاستعانة بعدد كبير من المصادر العربية والأجنبية والدراسات الحديثة التي تعرضت من قريب أو بعيد لموضوع الدراسة.

كما تمّ اعتماد المنهج الكمي الإحصائي التحليلي في سياق تاريخي وصفي تركيبى لأهم الدراسات الإسبانية والفرنسية المنجزة حول الإحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير والمنشورة في المدونتين الفرنسيتين. كونه يتماشى وطبيعة الموضوع، باعتباره منهجاً صالحاً لوصف الأحداث والحقائق التاريخية، وتحليلها تحليلاً تاريخياً علمياً، وموضوعياً بعيداً عن الذاتية والأحكام الفردية.

وأما اختياري للمقاربة الكمية فراجع بالأساس إلى أن الأرقام والبيانات تمنح دقة أكبر، وتسمح بإعطاء صورة عن توجهات الكتابة في الموضوع. وإذا تمّ تدقيق النظر فيما كُتب عن المجالات المعنية بالدراسة بالنسبة لوهران خلال فترة الإحتلال الإسباني نلاحظ أن الكُتاب كانوا من الجنسيتين الفرنسية والإسبانية.

خامساً: الخطة المعتمدة في الدراسة:

تمّ إنجاز موضوع الدراسة ضمن خطة احتوت على قسمين رئيسيين، سبقتهما دراسة تمهيدية (مدخل)، أولهما يتعلق ببيبلوغرافيا حول الإحتلال الإسباني لوهراى والمرسى الكبير ما بين 1505م و1792م، ويتضمن ثلاثة فصول، في حين أفردت القسم الثاني للتحليل التاريخي للبيبلوغرافيا بالمدونتين محل الدراسة وعالجناه في ثلاثة فصول.

عالج المدخل أوضاع المغرب الأوسط قبيل التواجد العثماني، وما آل إليه المغرب الأوسط وصولاً إلى انضمام الجزائر للدولة العثمانية سنة 1519م.

في القسم الأول، خصصت الفصل الأول منه للجمعيات الفرنسية في الجزائر 1830-1962م.

أما الفصلين الثاني والثالث، فقد تناولت فيهما بالحديث كل من المجلة الإفريقية (R.A) ونشرية وهران الجغرافية والأثرية (B.S.G.A.O).

أما القسم الثاني من الدراسة فقد حُصص للتحليل التاريخي لبيبلوغرافيا بالمدونتين والمرتبطة بفترة الإحتلال الإسباني لوهراى والمرسى الكبير؛ حيث عالج الفصل الأول منه المجالات السياسية والعسكرية، وأما الفصل الثاني فتناول المجالات العمرانية والطوغرافية. ليتم الحديث في الفصل الثالث عن الأستغرافية الإسبانية والفرنسية حول الإحتلال في وهران والمرسى الكبير بنظرة تحليلية للأحداث التاريخية الواردة في المدونتين.

وفي الأخير انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه من نتائج، وأتبعها بملاحق مكملية لموضوع الدراسة، إضافة إلى الفهارس مثل فهرس الأعلام، وفهرس الأماكن والبلدان، وفهرس الأحداث والمعارك، وفهرس القبائل، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وأخيراً فهرس الموضوعات.

سادساً: نقد المصادر والمراجع:

أثناء إنجازي لهذا العمل، لفت انتباهي الكم الهائل من الكتابات الغربية وخصوصاً الفرنسية منها، حول تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية مقابل قلة الكتب بالعربية، إذا استثنينا المؤرخين والمختصين، وهذا ما ساهم في تشويه الحقائق وتلفيق الأكاذيب للتقليل من دور الجزائر واعتبار الوجود العثماني احتلالاً، وأنها

فترة انحطاط وضعف سياسي وانحيار اقتصادي دفعت بها إلى القرصنة والنهب والاعتداء، فكان ذلك سبباً في الهجمة التي تعرضت لها الجزائر عامة ومدينة وهران والمرسى الكبير على وجه الخصوص من قبل الكُتّاب الإسبان والفرنسيين.

ومن أهم المصادر التي تمّ الاعتماد عليها نذكر:

- "غزوات عروج وخير الدين": لمؤلف مجهول، يعتبر هذا المؤلف مصدراً هاماً خاصة للنصف الأول من القرن 16م، ويؤرخ هذا الكتاب لبداية الحكم العثماني في الجزائر، وما يميز هذا المصدر الهام أنه يركز اهتمامه على تتبع أخبار عروج وخير الدين، دون التركيز على أحداث أخرى وقعت في نفس الفترة. وقد اعتمدنا عليه أكثر في مدخل الدراسة.
- كتاب "إفريقيا": لمارمول كاربخال، والذي يعتبر مصدراً هاماً فيما يتعلق بالحملات الإسبانية على السواحل المغربية خلال القرن 16م، وبالرغم من أن صاحب الكتاب قد نقل الكثير من المعلومات عن الوزن من كتابه "وصف إفريقيا"، فإن كتابه - مارمول كاربخال - يُعبر عن وجهة نظر الطرف الإسباني بكل وضوح، لأنه يكتب بخلفية المستعمر التي تبدو واضحة، لكن رغم ذلك لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة العلاقات مع إسبانيا خلال الفترة المدروسة. وجاء الكتاب في ثلاثة أجزاء.
- "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار": لصاحبه أبو راس الناصر العسكري وهو يتناول فترة نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي، خصوصاً ما تعلق بالتواجد الإسباني ببايلك الغرب، وقد تمّ توظيفه تاريخياً في مواضع كثيرة من البحث أهمّها فتح وهران الثاني (1206هـ/1792م). وكذلك ضمن المساهمة العلمية في مجال الكتابات التاريخية المحلية، كما تناول خصال الباي محمد بن عثمان الكبير.
- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: لابن سحنون الراشدي، لمحققه المهدي البوعبدلي، وقد تناول الكتاب تاريخ العهد العثماني بالجزائر بصفة عامة، مركزاً على الفترة الأخيرة منه، كما تحدث المؤلف عن وهران والبايات الذين تداولوا حكمها، وأهمّ الأحداث التي وقعت في عهدهم والتي من أبرزها فتح وهران، وبالتالي فقد كان من المصادر الأساسية في هذه الدراسة.

● دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران: لمحمد بن يوسف الزياتي، والذي أفادنا

في ذكر وتبعية مراحل الفتح الأكبر على يد الباي محمد بن عثمان الكبير، وطرد الإسبان من منطقتي وهران والمرسى الكبير.

● بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوههران من الأعراب كبنّي عامر:

لعبد القادر المشرفي، فقد كان الاعتماد عليه لا سيما في العرض العام للقبائل المتعاونة مع الإسبان بوههران ببابلك الغرب، حيث عمد صاحبه إلى ذكر نسب تلك القبائل والمجال الجغرافي الذي تنتمي إليه والتطرق إلى بعض عشائرها.

وفيما يتعلق بالمصادر الأجنبية فهناك ما كتب باللغة الفرنسية أو الإسبانية، ومن بين ما رجعت إليه كتاب: "تاريخ ملوك الجزائر **Histoire des Rois**" لمؤلفه هايدو، الذي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة الأوضاع السياسية في البحر المتوسط لا سيما في جزئه الغربي. ورغم قوة لغته وصعوبتها لكنه يتميز بترجمة فرنسية متقنة.

● كتاب "تاريخ وهران قبل، أثناء وبعد السيطرة الإسبانية **Histoire d'Oran avant**

**pendante et Apres la Domination espagnol**" لمؤلفه هنري ليون فاي، وما

احتواه هذا الكتاب من معلومات مهمة حول وهران لاسيما في الفترة محل الدراسة، لكن هذا لا يمنع من توخي الحذر في التعامل مع هذه المصادر الأجنبية في بعض المرات ومقارنتها بالمصادر المحلية.

● كتاب "تاريخ وهران **Histoire D'Oran**" للجنرال ديديي، تناول فيه الفترة الممتدة ما

بين 1505م إلى 1550م بشكل كرونولوجي مع ذكر أبرز الأحداث التي جرت من سنة إلى أخرى. وقد استفدنا منه لا سيما في السنوات الأولى للإحتلال الإسباني لوههران، مع استقاء بعض الملاحق منه.

كما اعتمدت على مجموعة من الوثائق الخاصة بإسباني وهران ووثائق الجندي المؤرخ دييغو سواريز (Diego Suarez) التي أرخها في نهاية القرن 16م. والمعلومات التاريخية لوههران وضواحيها تركز أساساً على المصادر الشفوية والمكتوبة وبعض الشهادات المنتقاة والمختارة من طرف المؤلف بعد مراقبتها

والتأكد من مصداقيتها إذا احتك المؤلف يومياً بالأرشيف المتعلق بالشؤون العربية وغيرها من الوثائق وذلك لكونه مسؤولاً إدارياً ضمن الحامية الإسبانية مكلفاً بتحرير الرسائل المتبادلة ما بين حاكم وهران والقبائل العربية.

دييغو سواريز (كان جندياً بوهران 1577-1604م رشح نفسه لكتابة تاريخ عام لشمالها) الذي يعطينا معلومات هامة عن القطاع الغربي الجزائري من خلال مذكراته وخاصة عن وهران وضواحيها من 1567 حتى 1573م خلال تعاقب الحاكم مونتيسا (Montesa) وأخوه لويس فيليب دو بورجيا (Louis Philipe De Borja).

وبالإضافة إلى هذه المصادر، توجد مصادر أخرى خدمت زوايا هذا البحث. هذا إضافة إلى قائمة من المراجع العربية والأجنبية التي أفادت موضوع البحث نذكر منها:

● كتاب "الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري" لبلبروات بن عتو، والذي استقيناه منه معلومات تتعلق بالتحصينات الإسبانية بمدينة وهران، والتحرير الثاني لوهران والمرسى الكبير، والتي خدمتنا لا سيما في الفصلين الرابع والسادس من الدراسة.

● الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ / 1505-1792م) لعبد القادر فكايير، الذي اعتمدهنا في الحديث عن التأثير الإسباني في المجالات العمرانية، وكذا عن الصراع القائم بين الإسبان والجزائر في مدينة وهران والمرسى الكبير، وخدمنا بشكل أكبر في القسم الثاني من الدراسة.

● "تاريخ الجزائر الثقافي" وكتاب "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" لأبو القاسم بكل أجزاءهما تقريباً، وما استقيناه منها من معلومات فيما يخص القسم الأول من الدراسات وما تعلق منه بالجمعيات الجمعيات العلمية الفرنسية في الجزائر ومجالاتها، لا سيما ما تعلق منها بالمجلة الإفريقية.

ومن المراجع باللغة الأجنبية نذكر ما يلي:

● كتاب "الهيمنة الإسبانية على وهران في ظل حكم الكونت دالكوديت La domination espagnole a Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete" لبول روف، سلطت هذه الدراسة التي دامت 24 سنة من حكم

الكونت دالكوديت، أشهر حكام وهران الإسبان، الضوء على تناقضات السياسة الإسبانية في شمال إفريقيا. كما أنها تتعلق بمملكة تلمسان التي شهدت تغييراً تاماً في السيادة في ذلك الوقت.

● كتاب "وهران الجغرافيا والتاريخ الحضريين Oran Etude de Géographie et d'histoire urbaine" لمؤلفه رينيه ليسباس، الذي تناول التاريخ والجغرافيا الحضريين للمدينة.

هذا في إطار ما يخص بعض المصادر والمراجع المعتمدة، أما ما يمكن الإشارة إليه بخصوص ما اعتمدت عليه من مقالات فنذكر: مقال الأستاذ هاليلي، حنيفي، متاجر، صورية، بعنوان: "بيبلوغرافيا حول الاحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير 1505 - 1792م: من خلال المجلة الأفريقية و نشرة الجمعية الجغرافية و الأثرية لإقليم وهران: دراسة بيبليوغرافية"، اعتمدها في البداية لفهم الخطوط العريضة لموضوع الدراسة لما يحتويه من تحليل كمي إحصائي للمقالات المتعلقة بالاحتلال الإسباني لوهران.

وأيضاً ما جاء به الأستاذ أبو القاسم، سعد الله، في مقاله: "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، المنشور بمجلة الأصالة، وما تناوله من نظرة المدرسة الإستشراقية الفرنسية لتاريخ الجزائر، هذه الأخيرة التي خدمتنا في القسم الأول من الدراسة والمنهج الذي اعتمده كُتّاب المدونتين - المجلة الإفريقية والنشرية الجغرافية والأثرية لوهران - في كتابة تاريخ الجزائر.

ومن المقالات باللغة الأجنبية نذكر:

Notice sur le bey d'Oran Mohammed el-Kebir.

وهو عبارة عن مقال نشره صاحبه قورقوس (Gorguos) بالمجلة الإفريقية عام 1856م، حيث زدنا بمعلومات هامة عن الباي محمد الكبير وإنجازاته.

- مقال مارسيل بودين حول العرب الثاوين تحت الإسبان لعبد القادر المشرفي، المنشور بالمجلة الإفريقية لعام 1924م:

BODIN, Marcel, L'agrément du lecteur. Notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran par Si Abdel Kader el Mecherfi.

والذي اعتمدت عليه في تحديد القبائل الموالية للإسبان في بايك الغرب، مع ذكر أهم الخدمات التي كانوا يقدمونها للإسبان، انطلاقاً من ترجمته للنص العربي من مخطوطة عبد القادر المشرفي.

- التقرير الذي كتبه الحاكم العام لوهرا "دون جوزيف فاليجو (don Josef Vallejo)" حول تاريخ تاريخ ساحات وهران والمرسى الكبير، والذي نشره كل من كازيناف وبيلقات بالمجلتين: الإفريقية عام 1925م، والنشرية الجغرافية والأثرية لوهرا عام 1926م:

**CAZENAVE (J)**, "Contribution à l'histoire du vieil Oran.

Mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Mers-el-kébir".

- **PELLEGAT**, "Contribution à l'histoire du vieil Oran, Relaciones de todas las obras de fortification y correspondantes a ellas que se han executado en las plazas de Oran, Mazarquivir, y sus Castillos desde dia 1º de Enero de 1734 hasta el présente de 1738".

وما وفره لنا هذا المقال من معلومات في العديد من زوايا موضوع الدراسة كالتحصينات والقبائل المنتشرة آنذاك سواء ما كان منها متحالف أو معادي للإسبان، وسياسة الحكام الإسبان اتجاهها. مع التركيز على السياسة الجديدة المنتهجة من قبل الحاكم العام لوهرا فاليجو (1733-1738م).

- المذكرة التي كتبها قائد المهندسين الإسبان "هورنالديو هونتابات (Hornaldo

Hontabat)"؛ هذا الأخير الذي كُلف من طرف الحاكم العام فاليجو بالتعاون مع مجموعة

من المهندسين للقيام ببعض التحصينات في المنطقتين - وهران والمرسى الكبير-، وقد نُشر هذا المقال في النشرة الجغرافية والأثرية لوهران عام 1924م، من قبل:

- **PELLEGAT (G)**, "Relacions général de la consistencia de las Plazas de Oran y Mazarquivir (Mers-el-Kébir)". por el Coronel commandante de Yngenieros don Harnaldo Hontabat.

وقد تضمن هذا المقال معلومات مفصلة حول التحصينات العسكرية لوهران والمرسى الكبير وما تمّ إنجازه وترميمه وتوسعته لاسيما خلال فترة حكم فاليوخو لوهران، وقد اعتمدنا عليه في استقاء معلومات خدمتنا بشكل أساسي في القسم الثاني في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

● مقال كاميل كال: "وهران والناحية الوهرانية قبل الاحتلال الفرنسي"، المنشور بالنشرة الأثرية والجغرافية لوهران لعام 1928م.

- **Camille Kehl**, Oran et Oranie avant L'Occupation Française.

وقد تضمن هذا المقال معلومات جدّ مهمة تتعلق بوهران منذ فترة ما قبل الإسلام وإلى غاية نهاية الإحتلال الإسباني للمنطقة بشكل مختصر، وقد استقينا منه معلومات ساهمت في إثراء القسم الثاني من هذه الدراسة.

● تقرير مدير الداخلية الفرنسي في الجزائر "جويوت **Guyot**" إلى وزير الحرب في باريس عن

الرحلة التي قام بها إلى الغرب الجزائري في 15 ديسمبر 1842م، بعنوان: "وهران والمرسى الكبير قبل مائة سنة"، الذي نشر من طرف روبرت تثنوين في النشرة الجغرافية والأثرية لوهران عام 1948م:

- **Robert, Tinthoin**, Oran et Mers-el-Kébir il y a cent ans (avec d'Oran levé en 1842 et 1846).

وبالإضافة إلى هذه المصادر والمراجع المذكورة، يوجد العديد منها في ثنايا هذه الدراسة والتي خدمت زوايا هذا البحث.

والمعارف عليه وكأي دراسة وبمحت أكاديمي؛ واجهتني مجموعة من الصعوبات والتي من بينها ما كان متصل بنقص المادة العلمية الضرورية لإنجاز هذا البحث، وكذا الدراسات حول وهران والمرسى الكبير خلال الإحتلال الإسباني لهما، والتي تبقى شحيحة في المكتبات الجزائرية ونخص بالذكر الدراسات العربية والتي ينحصر جلها في الحديث عن زوايا ضيقة عن المقاطعتين - وهران والمرسى الكبير - رغم طول مدة الإحتلال والتي بلغت زهاء ثلاثة قرون. ما جعل الموضوع يدرس من زاوية واحدة - غربية - جعلت تناوله في الكثير من الأحيان بعيد عن الموضوعية في الدراسة.

- عدم القدرة على التنقل إلى الخارج لأسباب خارجة عن نطاقنا والتي كانت السبب الذي حال دون تفرغنا الكلي للبحث العلمي موازاة مع مواولة التدريس.
- جل المصادر والمراجع باللغة الفرنسية والإسبانية ما تطلب مني وقت إضافي للترجمة، هذه الأخيرة التي أخذت وقتاً وجهداً كبيراً.

ونرجو في الأخير من الله العزيز القدير أن نكون قد وفقنا ولو بالقدر اليسير في تقديم الموضوع ودراسته بالصورة التي ترضي كل باحث ومتخصص، ومهتم بتاريخ الجزائر العثمانية؛ لاسيما ما تعلق منها بفترة الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وتحديداً بمدينة وهران والمرسى الكبير.

المدخل

# المدخل:

أولاً: أوضاع المغرب الأوسط قبيل الوجود العثماني.

1- الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية (1505-1535م).

2- الاستنجد بالإخوة بربروس 1512م.

ثانياً: الجزائر إيالة عثمانية 1519م.

1- الأوضاع السياسية.

2- التنظيم الإداري.

3 - التنظيمات الاقتصادية.

4- الأوضاع الاجتماعية.

يعتبر سقوط غرناطة<sup>1</sup> سنة 1492م إذاناً بنهاية الوجود الإسلامي في إسبانيا، بعد ما أسس فيها المسلمون أهم حضارة إسلامية على مر التاريخ<sup>2</sup>، وهذا بعد سلسلة من حروب الاسترداد (Reconquista)<sup>3</sup> التي قادتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي في إسبانيا وحتى في سواحل شمال إفريقيا، والذي تبعته حالة من التدهور والانهيار والضعف في أوضاع المغرب الإسلامي، فقد انتهت دولة الإسلام في الأندلس<sup>4</sup>، وتوالى بعدها سقوط ثغور أقطار شمال إفريقيا في أيدي الغزاة الأيبيريين<sup>5</sup> المسيحيين الذين لاحقوا المسلمين الفارين من الأندلس، ولم تبق أي منطقة تقريباً لم يمسهما الغزو من أقصى السواحل الغربية في المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى<sup>6</sup> إلى السواحل التونسية<sup>7</sup>، ولم يستطع المقاومون من السكان المحليين صدها وذلك بسبب ضعف الممالك الإسلامية في منطقة المغرب

<sup>1</sup> غرناطة وتسمى بالاسبانية (Granada)، مدينة بالأندلس وهي من مدن البيرة، تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية، بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً. وقد ظهرت فيها مملكة إسلامية في القرن 11م، وكانت هي المملكة الإسلامية الوحيدة في إسبانيا بعد سقوط قرطبة بيد المسيحية سنة 1236م. ينظر: محمد بن عبد المنعم، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: معجم جغرافي، تح: إحسان، عباس، ط1، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، 1984م، ص ص 45-46.

<sup>2</sup> لسان الدين، بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله، عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، مج1، ص ص 107-108.

<sup>3</sup> تستعمل كلمة استرداد (Reconquista) (وهي كلمة إسبانية وبرتغالية تعني "الاسترداد") في نطاق تاريخ إسبانيا والأندلس للإشارة إلى الفترة التي تمتد ما بين سنة 718 تاريخ ثورة بيلايو وسنة 1492م تاريخ سقوط مملكة غرناطة. وتمتاز هذه الفترة بتواجد ممالك مسيحية وإسلامية على شبه الجزيرة الأيبيرية.

<sup>4</sup> أرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس، وإلى طبرقة إلى جزائر بني مرغناي ثم سبتة ثم إلى أرزيلي ثم إلى البحر المحيط. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص 262. ينظر أيضاً: أحمد بن محمد المقرئ، التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1988م، مج1، ص ص 133-134.

<sup>5</sup> نسبة إلى شبه جزيرة إيبيريا أو شبه الجزيرة الأيبيرية؛ نسبة إلى الإيبيريين السنين، وجددهم الإبر مجهول الأصل، وهم أقدم أمة في غرب أوروبا سكنت شبه الجزيرة الأيبيرية أي إسبانيا والبرتغال الحاليتين وجنوب فرنسا. ينظر: شكيب، أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المكتبة التجارية الكبرى، فاس (المغرب)، 1936م، ج1، ص 34. وينظر أيضاً: محمد بن يوسف، الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: الشيخ المهدي البوعبدلي، ش، و، ن، ت، الجزائر، 2004م، ص ص 137-138.

<sup>6</sup> المغرب الأقصى: هي دولة تقع في أقصى غرب شمال إفريقيا عاصمتها الرباط، وأكبر مدنها الدار البيضاء التي تعد العاصمة الاقتصادية.

<sup>7</sup> تونس: مدينة بإفريقية محدثة إسلامية، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين البحر نحو أربعة أميال وبين تونس وقرطاجنة نحو عشرة أميال. وتونس من أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة. وسميت تونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا إفريقية ينزلون بازاء صومعة ترشيش - راهب كان هناك- ويأسون بصوته فيقولون هذه الصومعة تونس، فلزمها الاسم. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 143-144.

الإسلامي في تونس وتلمسان<sup>8</sup> وفاس<sup>9</sup>، والتي تدهورت هذه الأخرى أوضاعها الداخلية وأشرفت على السقوط نظراً لانشغالها بالصراعات الداخلية على الإمارة والحكم<sup>10</sup>.

ويعتبر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عصر التحولات العالمية الكبرى، وعصر المواجهة الصريحة بين القوى المسيحية التي تقودها الإمبراطورية الإسبانية حامية النصرانية -آنذاك-، وبين القوى الإسلامية المجاهدة والمتمثلة في الدولة العثمانية حامية الإسلام ودياره، ودولة الخلافة. وهكذا أصبح الإسلام يقف أمام المسيحية- خلال القرن السادس عشر الميلادي- وجهاً لوجه في معركة حياة أو موت<sup>11</sup>.

آنذاك كانت العائلات الزيانية<sup>12</sup> والحفصية<sup>13</sup> والمرينية<sup>14</sup> قد انغمست في حروب طويلة ومزمنة، وانتشرت الفوضى في كل مكان، هذه الفوضى التي سهلت مهمة البرتغاليين والإسبان؛ سواء في احتلال

<sup>8</sup> تلمسان: مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط، مسورة على سفح جبل شجرة الجوز، ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرة، وهي مدينة جزائرية أسسها المولى إدريس الأول على أنقاض معسكر الرومانية ثم صارت قاعدة وعاصمة بني عبد الواد. ينظر: أبو عبيد الله، البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 79.

<sup>9</sup> فاس: مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه قبل أن تحتط مراكش. ينظر: ياقوت، الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 230. وينظر أيضاً: الحميري، المصدر السابق، ص 434.

<sup>10</sup> أحمد ابن أبي ضياف، إتخاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)، ج2، ص 121.

<sup>11</sup> أحمد، توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م) وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 07.

<sup>12</sup> ينسب الزيانيون إلى قبيلة بني عبد الواد أحد بطون زناتة. وأما من حيث تسميتها بالدولة الزيانية؛ فنسبة إلى زيان بن ثابت، ويرجع المؤرخون التأسيس الحقيقي للدولة الزيانية إلى يغمراسن بن زيان (633-681هـ/ 1235-1283م)، ومرت بمراحل عدة، وكان سقوطها على يد حسان بن خير الدين سنة (961هـ/ 1544م). ينظر: عبد الرحمن، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971م، ج7، ص 72.

<sup>13</sup> نسبة إلى أبي حفص عمر، رئيس قبيلة هنتاتة المصمودية، كان أحفاده ولاة على تونس من قبل الموحدين، وقد استقلوا بالحكم في عهد أبي زكريا يحيى (625-649هـ/ 1228-1251م)، ظلت تحكم تونس وجزء من شرق المغرب الأوسط إلى أن سقطت على يد علج علي سنة (981هـ/ 1574م). ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 275.

<sup>14</sup> أرجع بعض المؤرخين نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه"، وقال جماعة بأنهم من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة وكلها عربية الأصل من مضر ويجمع نسبهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، سمو بنو مرين نسبة إلى جدهم مرين. اشتهروا بجياهم البدوية والترحال قبل استيلائهم على المغرب. للمزيد حول الموضوع، ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ج4، ص 96-97.

البلاد أو في توسيع نطاق نفوذهم فيها. وكون أن بلاد المغرب الأوسط<sup>15</sup> كانت تجتاز فترة من الانهيار النفسي والمادي التي مهدت الطريق لتصبح الفريسة التالية لملوك الإسبان الكاثوليك.

### أولاً: أوضاع المغرب الأوسط قبيل الوجود العثماني.

بدأت منطقة المغرب الأوسط أكثر ضعفاً مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري، إذ عمل الحفصيون على التوسع في المغرب الأوسط، ولم يستطع بنو زيان صدّهم؛ بحيث ملك هؤلاء بجاية<sup>16</sup> وقسنطينة<sup>17</sup>، وفي المغرب الأقصى ظهر البرتغال في شواطئ المحيط الأطلسي، كما ظهر الإسبان وأصبحت سفنهم تسعى إلى إنشاء مراكز استعمارية<sup>18</sup>، كما ظهرت شبه دويلات بحرية في شواطئ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي مثل طرابلس<sup>19</sup>، جربة<sup>20</sup>، بجاية، جزائر بني مزغنة<sup>21</sup>، شرشال<sup>22</sup>

- ابن أبي زرع، الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مر: عبد الوهاب منصور، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص ص 365-367.

- ابن الأحمر، روضة النسرين في ملوك بنو مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص ص 17-18.

<sup>15</sup> المغرب الأوسط: إن عبارة المغرب الأوسط التي اتفق جلّ المؤرخين على أنها الجزائر الحالية؛ لم تكن تعني هذا بالضبط، فهي عبارة أطلقها العرب المسلمون مثلها مثل المغرب الأدنى والمغرب الأقصى. من الناحية الجغرافية غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي، ينظر: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى 14 هـ، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م، ج1، ص 28.

<sup>16</sup> بجاية: مدينة على ساحل بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة 457؛ بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام، كانت قديماً ميناءً فقط ثم بنيت المدينة. أطلق عليها الفينيقيون اسم "صلداي"، أو "سلدايا"، وأطلق الفرنسيون عليها اسم "بوجي Bougie" ولعل هذا الاسم اشتق من شهرة أهلها بتجارة الشمع منذ عهد بعيد. استعملها الوندال عاصمة لهم عام 439م، ثم الحكم الإسلامي عام 708م. ينظر: ياقوت، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 339.

- وينظر أيضاً: أبي العباس أحمد بن محمد، الغريبي، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م، ص ص 20-24.

<sup>17</sup> قسنطينة: من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة، وهي مدينة أولية كبيرة أهلة فيها آثار لأول، كثيرة الخصب، وبين قسنطينة وبجاية ستة أيام، أربعة منها إلى جيجل، ومن جيجل إلى بجاية خمسون ميلاً. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 480-481.

<sup>18</sup> جلال، يحيى، العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998م، ج1، ص ص 33-34.

<sup>19</sup> يقال أطرابلس، وقال ابن بشير البكري، طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، وبماها اليونانيون طرابلسية، وقد ذكر أن أشباروس قيصر أول من بناها، وتسمى أيضاً مدينة إياس. وهي مدينة على ساحل البحر. ينظر: ياقوت، الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 25.

<sup>20</sup> جربة: جزيرة في بحر إفريقية أقرب بلادها إليها قابس، طولها ستون ميلاً من المغرب إلى المشرق، وعرضها خمسة عشر ميلاً، ويتصل بها من بعض نواحيها جزيرة زيزو. وبينها وبين البحر نحو ميل، وهي صغيرة وذات نخل وكروم. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 158-159. ينظر أيضاً: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 93-96.

<sup>21</sup> الجزائر: من أشير إلى جزائر بني مزغنا، وبين مدينة شرشال والجزائر سبعون ميلاً، والجزائر جمع جزيرة: اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، وبينها وبين بجاية أربعة أيام، كانت من خواص بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي. وتعرف بجزائر بني مزغنا،

ووهران<sup>23</sup> وتطوان<sup>24</sup>... الخ، وفي مدينة الجزائر كان الوضع مشابهاً، فقد كان سالم التومي<sup>25</sup> يحكم هذه المدينة منذ سنة 1510م وهو ينتمي إلى قبيلة الثعالبة<sup>26</sup> فرع بني تومي<sup>27</sup>، فأخذ النفوذ بيد من حديد يساعده في ذلك مجلس أعيان أعضاؤه من شيوخ وأثرياء القبيلة، يتشاور معهم في القضايا، لكن عندما حاول أهل الجزائر الخروج عن طاعته استغل ظهور إسبانيا وأقدم على التحالف معها لعلها تنقذ سلطانه وتنقص من وطأة تأثير البرجوازية عليه<sup>28</sup>.

وسط ذلك الزخم من الأحداث العظام، والجو السياسي المتوتر، شهد القرن السادس عشر الميلادي مع بدايته ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة والحقيقية لأول مرة في تاريخ هذه الأمة، دولة شعبية لا تنتسب لشخص، ولا لعائلة، دولة لها حدودها ووحدتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يجمع بين

---

وربما قيل لها جزيرة بني مزغناي. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 163. وينظر أيضاً: إسماعيل، العربي، المدن المغربية، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ت)، ص ص 160 - 161.

<sup>22</sup> شرشال: مدينة كبيرة عتيقة بناها الرومان يسميها بطليموس كانوشر، وهي بين مدينة تنس وبين مدينة الجزائر، تفصلها عن كل منهما مسافة خمسة عشر فرسخاً في البحر، أما عن طريق البحر فلا تصل المسافة بينهما إلى عشرة فراسخ فهي على الساحل. ينظر: مارمول، كرنجال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م، ج2، ص 355.

- وينظر أيضاً: الحميري، المصدر السابق، ص 340.

<sup>23</sup> وهران: مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سُرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر. مدينة حصينة ذات مياه سائحة، بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين. ينظر: ياقوت، الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 385. وينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2، ص30.

<sup>24</sup> تطوان: مدينة مغربية، على أسفل وادي رأس، وهي قاعدة بني سكين، بها مياه كثيرة، وبين تطوان ومدينة سبتة مرحلة صغيرة، وبينها وبين البحر الشمالي أميال. ينظر: إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص 88.

<sup>25</sup> سالم التومي: من قبيلة الثعالبة التي هي فرع من المعاقيل استولى على الحكم في الجزائر عندما احتل الإسبان بجاية عام 1510م، واستقر بها عدة سنوات، ينظر: الحسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 39. وينظر أيضاً: مبارك بن محمد الهالالي، الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت)، ج3، ص ص 43 - 44.

<sup>26</sup> الثعالبة: أو بني ثعلب قبيلة عربية حكموا في بني مزغنة خلال الفترة 1204م حتى 1515م. كان أول حكامهم "سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن صغير بن معقل"، وكان آخر حاكم في عهد الأتراك وهو سليم التومي الثعالبي 1515م. ويروى أنهم أبيدوا في حرب شديدة في سهل التيطري من أرض المدينة.

<sup>27</sup> زهية، كرودرة، تطور عمران مدينة الجزائر من خلال المصادر الإسلامية، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، وزارة الاتصال والثقافة، تندوف، 1996م، ص 37.

<sup>28</sup> علي، آجقو، المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة الأمة، العام الجامعي، الجزائر، 2002 - 2003م، ص 14.

أبنائها قاسم مشترك هو الدين الإسلامي<sup>29</sup>، واخترقت هذه الدولة الفتية طريقها- من البداية- وسط المعارك والدماء في وقت تغيرت فيه موازين القوى لصالح الدول الكبرى صاحبة الأساطيل<sup>30</sup> البحرية العملاقة<sup>31</sup>.

وقف الجزائريون ومن جاء لنصرتهم ووجد شملهم من الأتراك والأوائل يجاهدون باسم الإسلام ضد الإسبان المعتدين الذين وصلوا لهذه البلاد وهم يقودون حملة صليبية بمباركة البابا، ومشاركة الدول الأوروبية، مُدعّين أنهم حُماة للمسيحية، وحاملي لواءها، فاحتلوا بعض شواطئها بالقوة، وهذا ما رشح الجزائر لأن تصبح أعظم قلعة إسلامية للجهاد غرب البحر الأبيض المتوسط، وسميت عاصمة الدولة الجزائرية الحديثة بدار الجهاد<sup>32</sup>.

وكانت الحرب الصليبية قد تجددت في بلاد المغرب فيما عُرف بالحرب الإسبانية المشهورة. حيث هاجم الإسبان والبرتغاليون شواطئ المغرب الأقصى، واستولوا على بعض مدنه الساحلية الهامة<sup>33</sup>، وبعد سقوط غرناطة؛ أدت نشوة النصر بالإسبان إلى تتبع المسلمين في عقر دارهم، فكان احتلال المرسى الكبير<sup>34</sup> سنة 1505م، ثم تبعه احتلال وهران سنة 1509م، ثم بجاية 1510م<sup>35</sup>.

ومن هنا فقد أصبحت أرض المغرب الأوسط بعد أرض الأندلس هدفاً للحملة الصليبية الإسبانية العنيفة، وميدانا لعملياتها الحربية الدامية، والمخربة لكل ما أبدعه الإنسان عبر العصور<sup>36</sup>، هذا وقد كان المغرب الأوسط كغيره من بلاد المغرب الإسلامي في حالة يرثى لها من الفوضى والضعف، وكان

<sup>29</sup> أحمد توفيق، المدني، المرجع السابق، ص 6.

<sup>30</sup> الأسطول كلمة يونانية الأصل (Stolos) معناها مجموعة السفن الحربية، يقول فيها المسعودي: "كلمة رومية سمة (صفة) المراكب البحرية". وعرف شهاب الدين الخفجي الأسطول بقوله: "الأسطول هي السفن التي يسافر فيها للقتال". ويُعرف الأسطول عند الإسبان بالأرمادة (Armada). ويعرف عند العثمانيين بالدونامة ومعناها الأسطول. ينظر: حمادي، عبد الإله حمادي، مساءلات الفكر والأدب، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 12.

<sup>31</sup> أحمد توفيق، المدني، المرجع السابق، ص 7.

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص ص 6-7.

<sup>33</sup> ابن سحنون، الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م، ص 10.

<sup>34</sup> المرسى الكبير: يقع شمال غرب وهران على بعد 8 كلم، ويمثل البوابة الرئيسية لوهران، يتمتع بتحصينات طبيعية قوية، فهو يمثل همزة وصل بين الساحل الأبييري ومدينة وهران.

<sup>35</sup> مبارك، الملي، المرجع السابق، ص ص 26-27.

<sup>36</sup> أحمد، توفيق المدني، المرجع السابق، ص 7.

يسوده النظام القبلي أو العشائري، إذ كان لكل قبيلة مقاطعتها الخاصة المستقلة ولا يهتمها إلا مصالح القبيلة داخل حدود مقاطعتها تلك. وقد كان المغرب الأوسط مقسماً إلى خمسة عشر جزءاً، وكل جزء منها تحت سيطرة قبيلة عربية أو أمازيغية، فكانت سهول وهران تحت سيطرة بني عامر<sup>37</sup> وقبيلة سويد<sup>38</sup> وكان آل المقراني<sup>39</sup> يحكمون منطقة القبائل الصغرى، أما منطقة القبائل الكبرى فكانت تحت إمرة أحمد ابن القاضي<sup>40</sup> ومقرهم جبل كوكو<sup>41</sup>، وإمارة بني عباس<sup>42</sup> في الجزء الشرقي (بجاية)، واقتصر حكم بني

<sup>37</sup> بنو عامر: من أقوى القبائل في منطقة وهران تمتلك أراضي واسعة، يشتهر رجالها بزراعة الحبوب وتربية جميع أنواع الحيوانات. وهي قبيلة أصولها عربية، هلالية، تنتسب لعامر بن زغبة الهلالي، تعد من أوسع القبائل وأكثرها عدداً في الغرب الجزائري. وللإطلاع أكثر على هذه القبائل ونسبها وتفرعاتها، ينظر: عبد القادر، المشرفي، بحجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسمانيين بوهران من الأعراب كبنين عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، (د.ت)، ص ص 4-12. وينظر أيضاً: محمد بن ميمون، الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر الحمية، تق، تح: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1969م، ج1، ص 321. وقد أورد أيضاً أسترهازي الرواية التالية عن أصل بني عامر بالرغم من غرابتها: بنو عامر هم أولاد العربي ولد الصغير بن عامر، تزوج من امرأة محالية (من بيت أحمد العبد، من قبيلة سويد)، فأنجب خمسة أولاد هم: خلفه، ميمون، سليمان، عبد الله، علي، ومن ذرية هؤلاء الأولاد الخمسة: أولاد خلفه، أولاد ميمون، أولاد عبد الله، أولاد سليمان، أولاد علي، تشكلت البطون الأصلية لبني عامر، ثم تفرع عنها أولاد زاير، وأولاد هانج، مشكلة بذلك سبع نجوع كبيرة لقبيلة بني عامر. ينظر:

- Esterhazy, Walisn, (M), De la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840, pp.277, 318.

<sup>38</sup> قبيلة سويد: سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن نهبك بن هلال بن صعصعة بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن بين بطونها فليتة وأولاد ميمون ومجاهر وصبيح. كانت تسيطر مع بني عامر على معظم سهول وهران. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج 11، ص 94.

<sup>39</sup> تنحدر سلالة المقراني الحاكمة من زعماء سلطنة بني عباس القبائلية (القرن 16-19م)، من آخر سلطان حفصي في بجاية، أبو العباس عبد العزيز. ويأتي لقب مقراني من الكلمة القبايلية أمقران (كبير، زعيم)، أصبح لقب السلالة الحاكمة من أحمد أمقران، زعيم بني عباس من 1556-1596م.

<sup>40</sup> أحمد ابن القاضي: من عائلة أبو العباس الغبريني العالم بعلوم الشريعة والفقه في القرن الثالث عشر من أعيان بيوتات الجزائر الساكنة بناحية بلاد القبائل، عمل قاضياً ببجاية في سنة 1511م، أسس إمارته بجبل كوكو الواقع بالسفوح الشرقية لجبال جرجرة، تبعد 8 كلم شرقي عين الحمام، سوق الأربعاء من بلاد الزواوة، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 418.

- وينظر أيضاً: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج3، ص 48.

<sup>41</sup> توجد عند حدود سهول الجزائر التي تسمى بسهول متيجة، من جهات الجنوب والشرق سلسلة جبال يسكنها أقوام من البربر وزواوة، ومن بين هذه الجبال المتصلة كلها بالأطلس الكبير جبل يدعى جبل كوكو نسبة إلى مدينة واقعة فيه، أما اسمه الخاص فهو أيوك لانداس، وهو جبل عال شديد الوعورة يبعد عن مدينة الجزائر بمسافة ثمانية عشر فرسخاً بين الشرق والجنوب، ويبعد عن بجاية بخمسة عشر فرسخاً من جهة الشرق. ينظر: مارمول، كرخنال، المصدر السابق، ج2، ص ص 373-374.

<sup>42</sup> إمارة بني عباس: تقع على بعد خمسة عشر فرسخاً من بجاية من جهة الغرب والجنوب، وتبعد عن مدينة كوكو بأربعة فراسخ، تنتسب القبيلة إلى زواوة، كان رئيسهم عبد العزيز، هذا الأخير الذي كان على عداء شديد مع ابن القاضي زعيم قبيلة كوكو، في مقابل ذلك تحالف

زيان على تلمسان وضواحيها. أما جنوباً فنجد كل من أسرة بنو جلاب<sup>43</sup> في تقرت<sup>44</sup>، وقصور وادي ميزاب<sup>45</sup> التي كانت خط تجاري هام يربط كل من مدينة الجزائر، وبجاية<sup>46</sup> بأرض السودان<sup>47</sup>. وكانت مدينة الجزائر تحت سيطرة الثعالبة يحكمها ابن التومي؛ هذه القبيلة العربية التي استطاعت التقدم إلى الساحل انطلاقاً من الجنوب، وأصبحت مسيطرة على مدينة الجزائر وسهول متيجة<sup>48</sup> وما جاورها، واستغلت مقتل السلطان الزياني أبو زيان أحمد<sup>49</sup>، فاستولت على الحكم في المنطقة وعينوا مجلساً للشيخ بالمدينة التي اتخذوها عاصمة لهم، ترأسه سيدي عبد الرحمان الثعالبي<sup>50</sup>، كأمر عليهم إلى أن توفي سنة

مع حسن باشا ابن خير الدين حاكم الجزائر. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: مارمول، كرنجال، المصدر السابق، ص 385-390.

<sup>43</sup> بنو جلاب: أقاموا إمارة بقيادة الحاج سليمان المريني الجلابي، وتمكن بفضل مساعدة تلقاها من شيوخ الزوايا من فرض نفوذه فيما بعد على الإقليم الزايي، وظلت هذه الإمارة قائمة مستغلة الفراغ السياسي طيلة القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر، إذ كان بنو جلاب قد فرضوا استقلالهم. وقد تقلد حكم هذه الإمارة أكثر من ستة وثلاثون سلطاناً، لتسقط بعدها إمارة بني جلاب في يد القوات الفرنسية الاستعمارية، بعد حكم دام أكثر من ثلاثة قرون. ينظر:

- Charles, Féraud, les Ben djellab sultans de Touggourt, in: R.A, N°23, 1879, pp.167-168.

<sup>44</sup> تقرت: مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء، يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في أبواب المدن. وتقع هذه المدينة على بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط، وثلاثمائة ميل من تيكورارين. حيث لا توجد سوى 330 ميل بين تقرت والبحر المتوسط، والطريق الأقرب من تقرت إلى تيميمون مروراً بورقلة والقليعة يقدر بنحو 550 ميلاً. ينظر: الحسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 135.

<sup>45</sup> مزاب أو واد ميزاب، بالأمازيغية المحلية (مزابية)، وتأتي كلمة مزاب من كلمة العزاب "العزاب"، ويسمى مزاب "أغلان"، "إغزر أو أغلان"، لوصف وادي ميزاب. ويعتبر هذا الأخير منطقة جغرافية تقع في شمال الصحراء الجزائرية، وتقع في ولاية غرداية، 550 كلم جنوب الجزائر العاصمة.

<sup>46</sup> عمار، بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر الميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م، ج2، ص 16.

<sup>47</sup> جمهورية السودان: هي دولة عربية تقع في شمال شرق إفريقيا تحدها من الشرق إثيوبيا وإريتريا ومن الشمال مصر وليبيا ومن الغرب تشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى ومن الجنوب دولة جنوب السودان. والديانة السائدة في السودان هي الإسلام.

<sup>48</sup> متيجة: مدينة بالقرب من الجزائر، على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ولها مزارع ومسارح، وهي أكثر تلك النواحي كثافة، ومنها يحمل، وفيها عيون سائحة وطواحن ماء. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 523.

<sup>49</sup> أبو زيان الثاني سلطان الدولة الزيانية الثاني عشر بتلمسان حكم من 1394-1399م، وهو أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى بن يعقوب يوسف بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي زكريا يحيى بن يغمراسن بن زيان العبد الوادي الزناتي. اغتيل سنة 805هـ/ 1402م.

<sup>50</sup> عبد الرحمن الثعالبي: ولي الجزائر وعالمها ولد بوادي يسر قرب العاصمة، انتقل إلى بجاية وأخذ العلم من علماء أجلاء بها بعد أن طاف بتونس ومصر وتركيا والحجاز، واستقر في الجزائر حيث توفي بها في (23 رمضان 875 هـ/ 1470م). من كتبه تفسيره للقرآن الكريم، "الجواهر الحسان، وقطب العارفين". ينظر: عادل، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط1، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1971م، ص 90. ينظر أيضاً: أحمد بن عبد الرحمن، الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، تح: تق: ناصر الدين سعيدي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991م، ص 34.

1468م وبقي الحكم في أيديهم إلى أن آل الأمر إلى أولاد سالم إحدى بطون الثعالبة الذين انتخبوا سالم التومي أميراً عليهم.

وكانت أهم دويلات المغرب الأوسط دولة بنو زيان بتلمسان، لكنها كانت بين نارين، الحفصيون بتونس من الشرق، وبنو مرين من الغرب، وكان الصراع على أشده وبصفة مستمرة، نتيجة للصراع على تركة دولة الموحدين<sup>51</sup>، إذ كان ولاية هذه الدول يتسابقون على وراثة الدول الكبرى المنهارة، ويدعي كل منهم أنه الأحق والأجدر بذلك الميراث<sup>52</sup>. وكان كل من بني مرين والحفصيون يسعى إلى تكوين دولة كبرى على نمط الدولة الموحدية أيام عزها. وقد حاول الحفصيون مد نفوذهم إلى طرابلس، وفكروا حتى في الوصول إلى مصر<sup>53</sup>.

لكن في الحقيقة أن طبيعة النظام السياسي لتلك الدول لا يسمح لهم بالاعتماد على الأهالي، فكانت فرقهم المحاربة تتكون من المرتزقة، الذين يتم صرفهم بمجرد انتهاء الحملة، مما أضعف جانبهم، ودفعهم ذلك إلى التعاون مع الدول المسيحية، وبصفة خاصة مع إسبانيا والبرتغال، رغم اعتداءاتهما على السواحل المغربية، وذلك لتفادي الأخطار الداخلية من طرف الأهالي، والأخطار الخارجية من طرف الدول المجاورة<sup>54</sup>.

<sup>51</sup> الدولة الموحدية: (524-668هـ / 1130-1269م) ظهرت على يد محمد بن تومرت بعد عودته من الشرق، حيث دخل بجاية وخرج منها، ثم التقى مع عبد المؤمن بن علي في تلمسان، ثم توجه نحو المغرب الأقصى ومعه أتباعه ومنهم عبد المؤمن. بدأ محمد بن تومرت وجماعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ركز على تجميع كلمة قبائل مصمودة ضد صنهاجة، وأخذ ابن تومرت وجماعته من قرية تينمل قرب جبال السوس داخل قبيلة هرغة مركزاً له. وبدأ ينظم قبائل مصمودة التي تتكون من هرغة، هنتانة، هيلانة، تنظيماً عسكرياً دينياً وجعلهم طبقات، وبعدها بدأ ابن تومرت بمهاجمة المرابطين، وبعد وفاته سنة 524هـ / 1130م بايع الموحدون عبد المؤمن بن علي خليفة. بدأت بعدها عملية تنظيم الدولة الموحدية والتوسع على حساب المرابطين، وسيطر الموحدون على المغرب والأندلس من برقة شرقاً إلى الأندلس غرباً. ينظر: ابن الخطيب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تح: مختار، العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، (د.ط)، دار الكتاب، 1964م، ج3، ص 266.

<sup>52</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 13.

<sup>53</sup> جلال، يحي، المرجع السابق، ص 174.

<sup>54</sup> المرجع نفسه، ص 176.

لقد كان سائدا بالمغرب الأوسط حالة من الفوضى القبلية إذ استقل بنو جلاب بتقرت وأقاموا إمارة بقيادة الحاج سليمان المريني الجلابي<sup>55</sup>، وتمكن بفضل المساعدة التي تلقاها من شيوخ الزوايا من فرض نفوذها فيما بعد على الإقليم الزابي<sup>56</sup>، وظلت هذه الإمارة قائمة مستغلة الفراغ السياسي طيلة القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلادي/ الثامن والتاسع هجري، وإذا كان بنو جلاب قد فرضوا استقلالهم<sup>57</sup> فإن غرداية<sup>58</sup> أيضا كانت تعيش حالة من الاستقلال بعيدا عن السلطة المركزية سواء بنو زيان أو الحفصيين على غرار سواحل المغرب الأوسط التي كانت تعيش حالة الانفصال والاستقلال القبلي، فقد انفصلت بجاية عن تونس في بداية القرن الخامس عشر وقام الملك عبد العزيز بتوسيع حدود مملكته، فاصطدم بقسنطينة وحاكمها أبو يحيى أبو بكر<sup>59</sup> شقيق أبو العباس سلطان تونس<sup>60</sup>، هذا الصراع أنهك قوى الولايتين وانتهت بسقوط بجاية بشكل سريع في يد الإسبان. أما مدينة الجزائر التابعة اسميا لبني زيان فقد فضلت الخضوع لملك بجاية مع التمتع ببعض الاستقلال<sup>61</sup>، كما ظلت مدينة

<sup>55</sup> الحاج سليمان بن رجب المريني: الملقب بالرجل المليح، جلس على كرسي الحكم بداية من سنة 1414م وإلى غاية سنة 1431م. زوج ابنته للصخري بالوادي. ويعد الشيخ سليمان بن رجب المريني هو أول من حكم تقرت ووادي ريغ، ومن بعده توارث أبناؤه الحكم إلى غاية 1854م، وقد تداول على حكم إمارة بني جلاب أكثر من 36 سلطاناً.

<sup>56</sup> بلاد الزاب: وهي منطقة واسعة كانت تشغل المساحة الواقعة في جنوب جبال الأوراس وتشمل بسكرة وما حولها، واقعة في المغرب الأدنى على بلاد الصحراء في اتجاه بلاد الجريد من عمل إفريقية، ومن مدنها المسيلة ونقاوس وطبنة. وهي بلاد واسعة تتضمن دول وأقاليم وقاعدته طبنة، بينه وبين القيروان عشرة مراحل. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 124.

<sup>57</sup> Charles, Féraud, op.cit, pp.167-170.

<sup>58</sup> تقع بلدية غرداية (تغردايت) شمال الصحراء الجزائر، ومقر الولاية مدينة غرداية تبعد بـ 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة، يحد ولاية غرداية كل من: ولاية الجلفة وولاية الأغواط شمالا، ولاية البيض وولاية أدرار غرباً، ولاية ورقلة شرقاً، وولاية تمنراست جنوباً.

<sup>59</sup> أبو بكر المتوكل هو أبو يحيى أبو بكر بن أبي زكرياء بن أبي إسحاق بن عبد الواحد بن حفص وقد لقب بالمتوكل على الله، ولد بقسنطينة وتلقى دراسته بها، وقد ورث سلطنة منقسمة بين جزئين، أحدهما عاصمته بجاية والآخر عاصمته تونس. توفي في 747هـ/1346م، خلف والده أبا ضربة، سلطاناً على العرش الحفصي عام 1318م. واستمر حكمه لمدة ثمانية وعشرين عاماً أي حتى عام 1346م.

<sup>60</sup> أبو العباس أحمد هو الابن الأكبر لمولاي الحسن الحفصي، وقد افتك الحكم من والده عام 1543م وكانت تونس آنذاك تحت الحماية الإسبانية، واستمر على العرش الحفصي إلى عام 1573م.

<sup>61</sup> مبارك، الملي، المرجع السابق، ج2، ص 232.

جيجل<sup>62</sup> تتمتع بصفة الإمارة المستقلة قبل أن يسيطر عليها الجنويون<sup>63</sup> عام 1513م بقيادة أندري دوريا<sup>64</sup>.

أما مدينة القل<sup>65</sup> فكانت إمارة شبه مستقلة عن ولاية قسنطينة وسلطان تونس، ونظراً لاعتبارها منفذاً تجارياً بحرياً إلى جانب سكيكدة<sup>66</sup>، فقد شكلت محور صراع بين أطراف العائلة الحفصية والقبائل المستقرة في المغرب الأوسط على عكس عنابة<sup>67</sup> التي ظلت تحت سيطرة الحفصيين إلى غاية تسليمها من قبلهم إلى شارل الخامس (Charles V)<sup>68</sup>. وإلى جانب هذا كانت وهران تحت سلطة بنو زيان الضعيفة، فتمتعت باستقلالية في شؤونها الإدارية والمالية باستثناء ما يتعلق بالإشراف على الضرائب وشؤون الميناء التي كانت تخضع للسلطة المركزية إلى غاية سقوطها تحت الاحتلال الإسباني. هذه الحالة

<sup>62</sup> مدينة تقع على الساحل الشرقي للجزائر، على بعد إثني عشر فرسخاً من بجاية. بناها الأفارقة الأقدمون على ساحل البحر المتوسط على مرتفع عند مدخل خليج نوميديا. كانت تسمى جليجل ويسمى بعضها جيجل، ويسمى آخرون جيجي. ينظر: مارمول، كربخال، المصدر السابق، ج2، ص ص 380 - 381.

- وينظر أيضاً: محمد، خوف، تاريخ منطقة جيجل قديماً وحديثاً، منشورات الأنيس، الجزائر، (د،ت).

<sup>63</sup> الجنويين: هم أهل مدينة جنوة الإيطالية، احتل أندري دوريا مدينة جيجل سنة 1260م، ووضع بها حامية تابعة لجنوة في سنة 1513م، وأقام بها مركزاً تجارياً، ينظر: أحمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 - 1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 23.

<sup>64</sup> أندري دوريا (1466 - 1560م) أصله من جنوة، أمير بحري مرتزق كان يملك أسطول بحري حربي معد لخدمة من يدفع المال في البداية كان في خدمة ملك فرنسا فرانسوا الأول، ثم تحول إلى شارل الخامس ملك إسبانيا 1528م وخلال بقية حياته كان أهم أمير بحري إسباني واستمرت عائلته دوريا في خدمة ملوك إسبانيا كبجارية مرتزقة خلال القرن 16م. ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط5، دار النفائس، بيروت، 1986م، ص ص 218 - 219.

- Michel, Mourre, Dictionnaire de l'histoire, Larousse, 1998, p.297.

<sup>65</sup> مدينة القل؛ مدينة جزائرية ساحلية، تطل على البحر الأبيض المتوسط.

<sup>66</sup> مدينة عتيقة بناها الرومان فوق جبل عالٍ يمتد طرفه إلى البحر عند خليج نوميديا. تقع شمالي قسنطينة على بعد اثني عشر ميلاً منها. ينظر: مارمول، كربخال، المصدر السابق، ج3، ص7.

<sup>67</sup> بناها الرومان شرقي المكان الذي توجد فيه اليوم بعيداً عنه بمسافة فرسخ واحد على نحر يدوغ. كانت تسمى في القديم هيبون وموقعها على ساحل البحر المتوسط في خليج نوميديا على بعد أربعين فرسخاً من مدينة تونس. ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص7.

<sup>68</sup> شارل الخامس أو شارلكان الملقب بشارل كوينت (Charles Quint) (1500 - 1558م) أمير بورغني وملك إسبانيا تحت اسم شارل الأول (1516 - 1556م)، وإمبراطور ألمانيا (1519 - 1556م)، أباه فيليب لوبو (الجميل) وأمه جيان المجنونة، عندما توفي جده ماكسيميليان هابسبورغ (1459 - 1519م) عين إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة، التي ضمت (إسبانيا، النمسا، بلجيكا، هولندا، صقلية، سردينيا، ونابولي، وقسماً من بلاد الجرمان وأغب البلاد الأمريكية، فأصبح باسم إمبراطورته العظمى يقف وجهاً لوجه أمام فرنسا والإمبراطورية العثمانية، عاصر السلطان سليمان القانوني وكان من أعظم ملوك أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر. ينظر: خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد، دراج، ط1، ش، أ، ن، ت، الجزائر، 2010م، ص73.

وينظر أيضاً: جان، بيرينيه وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، بيروت، 1955م، ج2، ص 322.

التي تميزت بطابع الفوضى وعدم الاستقرار؛ زادت من حدة الأطماع الإسبانية والبرتغالية إذ سقط المرسى الكبير في يد البرتغاليين عام 1471م وتمكنوا من الحصول على نفوذ تجاري في وهران ما بين (1483-1487م)، كما ساهم هذا الضعف في تقوية نفوذ القبائل العربية وتوسع مجال نشاطها للسيطرة على المدن الساحلية ففرضت حالة من التهديد وانعدام الاستقرار<sup>69</sup>.

وهذا التفكك الذي انجر عن ضعف الدولتين الحفصية والزيرية؛ صاحبه اضطراب وضعف حتى في عدم تجنيد الجنود النظامية، مما ساهم في التضعف وتلمل القبائل العربية، فقد لاحظ "مارمول" ضعف سلاطين تلمسان وعدم قدرتهم على السيطرة على أعراب الصحراء فقال عنهم: "كانت هذه الأقاليم دائماً تحت رحمة أعراب الصحاري وملوك تونس وفاس"<sup>70</sup>.

وبمجرد سقوط بجاية لجأ مجلس أعيان المدينة إلى أقصر الحلول وهو التوقيع على معاهدة استسلام بدل الوقوع تحت الحصار والاحتلال. ففي 31 جانفي 1510م ذهب سالم التومي - بصفته شيخ مجلس الأعيان - نحو بجاية للالتقاء بالقائد الإسباني بيدرو نفارو (Pedro Navarro)<sup>71</sup> الذي احتل عاصمة الحماديين<sup>72</sup> معلناً له عن قبول مجلس الأعيان توقيع معاهدة سلام مع إسبانيا؛ تحول هذا السلام إلى عبء ثقيل على الجزائر وذلك بتناقص ثروتها وتقلص نشاطها البحري. فقد طلب بيدرو نفارو من سالم التومي شروطاً أكدت على أهداف إسبانيا الحقيقية تضمنتها المعاهدة التي وقعها<sup>73</sup>،

<sup>69</sup> عبد الحميد، بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1986م، ص ص 88-94.

<sup>70</sup> مارمول، كاربخال، المصدر السابق، ص 291.

<sup>71</sup> بيدرو نفارو قائد إسباني قاد حملة على وهران عام 1509م، وأخرى على مدينة طرابلس الغرب وبجاية عام 1510م. عزل عن ولايته في مدينة بجاية بعد خيبته في احتلال جزائر بني مزغنة، فعاد بجاية نهائياً يوم 7 جوان 1511م، ينظر: أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة... المرجع السابق، ص 145.

<sup>72</sup> الحماديين: أو بنو حماد سلالة صنهاجة حكمت الجزائر ما بين 1014-1152م، تأسست سلالة الحماديين في 1014م من طرف حماد بن بلكين الإبن الثاني لبلكين بن زيري، بعد الانفصال عن سلالة الزييريين. وقد أقام حماد بن بلكين دولة بني حماد والتي تمثل أول دولة بربرية مستقلة تحكم الجزائر في العصر الإسلامي. تعاقب على حكم هذه الدولة تسعة أمراء، وكان لهذه الدولة منشآت عمرانية ومعالم حضارية بارزة لازالت بعض شواهدها إلى الآن مثل قلعة بني حماد. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: عبد الحليم، عويس، دولة بني حماد: صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، المنصورة، 1991م.

<sup>73</sup> للإطلاع أكثر على الشروط المجحفة التي فرضها بيدرو نفارو على سالم التومي في المعاهدة التي تم توقيعها. ينظر:

- Laroui, Abdallah, 'l'Histoire du Maghreb, Maspero, Paris, 1970, p.240.

ملتزماً من خلالها بالولاء والإخلاص ودفع الضرائب والغرامات. وتمّ تحويل هذه الغرامات والمبالغ نحو حاكم وهران.

كما شرع الإسبان في بناء القلعة العسكرية على الصخرة المقابلة للمدينة من قبل المهندس المعماري مارتان دو روتيريا (Martin de Rotirrya)، حيث خصصت نفقات كبيرة لبناء القلعة على أحدهم الجزر المقابلة للمدينة والتي أصبحت تعرف باسم قلعة البنيون (Le Penon)<sup>74</sup>، وكان لا يوجد على هذه الجزيرة، سوى حصن صغير بناه الأندلسيون القادمون من إسبانيا ليستعمل كمنارة لأبراج المراقبة. وبنيت القلعة على شكل مئمن محصنة بمصنين، ثم أصبح يحتوي على قلعتين وأربعة معقل، يتواجد بها 200 جندي من خيرة الجنود الإسبان ومهمتهم مراقبة كل تحركات الجزائريين براً وبحراً، ومنع القرصنة<sup>75</sup> من استعمال الميناء، وفرض الحماية على الجزائريين.

التزمت مدينة الجزائر في عهد سالم التومي بتمويل الحصن، والسماح للجنود بالتجوال في المدينة أيام الراحة، وهو ما أفقد المدينة سلطتها فأصبح الريف يتحين الفرصة للتخلص من تأثير المدن، بالتوجه إلى استعادة نفوذهم القبلي بعيداً عن سلطة المدينة ومراقبة الإسبان كقبائل<sup>76</sup> بني عامر ومغراوة<sup>77</sup>

<sup>74</sup> حصن باديس (Le Penon de valez): عرف حصن الصخرة الذي بني على جزيرة اسطفلة بقلعة البنيون ومعنى كلمة البنيون: الصخرة العظيمة نسبة إلى الصخور التي بني عليها، صممها المهندس المعماري مارتان دورو نتيريا، تبعد عن مدينة الجزائر 300 متر وبنيت على شكل مئمن وحصنت بمصنين وكان يتواجد بها 200 جندي. احتله الإسبان سنة 1508م عن طريق حملة قادها بيار نافارو، لكنهم ما لبثوا أن فقدوه سنة 1522م، ثم استولى عليه صالح رايس، ثم أعاد الإسبان سيطرتهم عليه في عهد فيليب الثاني عام 1564م، بمساعدة الشريف السعدي. ينظر: كورين، شوفالبييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر: جمال، حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص ص 21-22.

- BRIGNON, Jean, et autres, Histoire du Maroc, 1<sup>er</sup> Ed, Hatier, Casablanca, p.207.

- Alvarez, Manuel Fernandez, Politica mundial de Carlos V, y Felipe II, Madrid, 1966, p.241.

- عبد الرحمن بن محمد، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ج 4، ص 50.

<sup>75</sup> القرصان (ويقصد به لص البحر)، هو الشخص الذي كان حراً في النهب، ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة. فقد كان يهاجم، بدون تمييز، سفن أية دولة. وكان هدفه الوحيد هو النهب، ولكن رياس البحر (ويقصد بهم القرصنة) كانوا أشخاصاً موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهمة. ولم يشنوا حرباً إلا على أعداء أميرهم أو رثمهم. وكانت مهمة القرصان مثل مهمة لصّ البحر، عبارة عن قيام بعملية مغامرة أكثر مما هي مهمة للصالح العام، غير أنّ القرصان كان يقوم بمهمة تعطي طابع الشرعية لنشاطه، ثم أنّه كان يتصرف في غنائمه بطريقة ينظّمها الأمير التابع له. ينظر: جون، ب، وولف، رياس البحر، تعر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، ع 03، 1987م، ص 43.

- Laroui, Abdallah, Op. Cit, pp.240-

241.

وكوكو<sup>78</sup> وبني عباس. وكان لسالم التومي معارضين إزاء مشروعه القاضي بإعلان الطاعة والخضوع للإسبان لاسيما أثناء الاضطرابات التي وقت عام 1510م جراء الاختلاف حول دفع الضرائب للإسبان والسماح لهم ببناء قلعة قرب المدينة، ونتيجة لقرار الملك الإسباني عام 1511م والقاضي بالرفع في الضريبة التي كان يدفعها سالم التومي مقابل الحماية بنسبة 50% على وارداتهم من الصوف - وذلك لكي يدفعهم إلى دفع تكاليف حملاته على إفريقيا-، فطلب السكان من الملك مقابل ذلك استبدال المعاهدة بمهدنة والانسحاب من القلعة، غير أنه رفض استناداً إلى معلوماته حول رغبة البرجوازية الجزائرية التي كانت ترى هذه القلعة والحامية ضرورة لأمنها وحماية لميناء المدينة<sup>79</sup>. وهكذا أصبحت مدينة الجزائر خاضعة، مهددة، مقسمة، فقيرة، وقلعة البنيون بمثابة حاجز يعيق عملية الملاحاة والتجارة مع أعداء إسبانيا، وكان هذا الفشل والضعف الذي عانى منه المغرب الأوسط ممثل أساساً في انعدام جيش نظامي مسلح بأسلحة نارية وضعف التحصينات لمواجهة مدافع الإسبان.

وما يترجم هذه الوضعية الحرجة التي كانت تعيشها الجزائر مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي، احتلال إسبانيا لعدد كبير من المراكز الساحلية المغاربية<sup>80</sup>، وسعيه إلى قطع الطريق أمام المسلمين الفارين من الأندلس وعزلهم داخل إسبانيا، ويتمثل برنامج الإسبان بعد هذا الاحتلال في تعمير هذه المدن بالإسبان وجعلها مدناً مسيحية<sup>81</sup>. وهذا ما كان له دلالة ومغزى عميق في السياسة الإسبانية

<sup>77</sup> مغراوة: وهي من قبائل زناتة المغربية وموقعها في المغرب الأوسط. ينظر: أبي القاسم بن حوقل، النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992م، ص 102.

<sup>78</sup> إمارة كوكو: وهي إحدى الفروع المنفصلة عن إمارة الدولة الزيانية، وكان يحكمها رجل إسمه ابن القاضي، وهي القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى، وكانت لهذه الشخصية أحداث عظيمة مع القائد خير الدين، أما القسم الشرقي من تلك الجبال فكان يحكمه الأمير عبد العزيز الحفصي، وعاصمته قلعة بني عباس، وكان النزاع قائماً بين الإماراتين لمدة زمنية طويلة. ويقول عنها شوفالبيه: بأنها منطقة بيجاية، تعود لأحد شيوخ زاوة، وهي إمارة معلقة في الجبال، يرأسها ابن القاضي، يسكنها 1600 نسمة، ومجهزة بجيش هام قوامه 5000 رجل. ينظر: كورين، شوفالبيه، المرجع السابق، ص 37.

<sup>79</sup> وليام، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 28.

<sup>80</sup> تمكن الإسبان خلال الفترة (911-942هـ/ 1505-1535م)، من احتلال وإخضاع مواقع ومدن عديدة في الساحل الجزائري؛ حيث كان المرسى الكبير أولها (911هـ - 1505م)، ثم وهران في (914هـ - 1509م)، ومن بيجاية (915هـ/ 1510م)، لمعرفة الغزو الإسباني للسواحل المغاربية. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 30.

<sup>81</sup> - Elie, De la Primaudie, " Documents inédits sur L'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506- 1574)", in R.A, N°19, 1875, p.70.

الرامية إلى توسيع نطاق محاربة الإسلام، بل وحتى في أراضي شمال إفريقيا، وهي إحدى المميزات الإسبانية للقرن السادس عشر<sup>82</sup>.

وأصبح شرقي المغرب وأوسطه بسبب هذه الفوضى المتفاقمة ضرباً من الفسيفساء السياسية التي يستشف الملاحظ تنوعه العجيب من دون أن يقدر على التدقيق في شأنها<sup>83</sup>، هنا لابد من التعليق على قول "شارل أندري جوليان" في وصفه الدقيق لحالة المغرب الإسلامي في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي: "... فعندما فُوجئت الجزائر بالاحتلال الإسباني كانت مجزأة إلى نحو خمسة عشر جزءاً؛ الكل تهيمن عليه قبيلة عربية أو بربرية<sup>84</sup>.

كما تعرض أرنست مارسيه (Ernest Mercier) في كتابه "تاريخ إفريقيا الشمالية" لذلك بقوله: "إن الحالة التي كانت عليها البلاد البربرية حوالي سنة 1515م... تبين لنا إلى أي درجة من الفوضى وصلت إليها شعوبها... إنها فترة حاسمة بالنسبة لتاريخ شعب لا يجتازها إلا القيام بالتجديد أو الخضوع لسيطرة ما... إذا كان بالنسبة للمغرب الاستعباد هو السبيل الحتمي، نعم في الوقت الذي كادت المسيحية تحققه لفائدتها سنحت الفرصة للأتراك أن يفرضوا سيادتهم على الجزء الأوفر من البلاد... حتى كانت نتائج ذلك حماية البلاد البربرية من سيطرة الدول المسحية خلال ثلاث قرون<sup>85</sup>.

فكانت هذه الصورة أكثر تطابقاً مع واقع المغرب الأوسط الذي كان أضعف الدول الثلاث، إذ لم يكن يملك الأساس التاريخي أو الاقتصادي الذي كانت تملكه تونس، وليس له قوة بني مرين العديدة<sup>86</sup>.

<sup>82</sup> حنيفي، هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص 13.

<sup>83</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م، ج2، ص 321.

<sup>84</sup> عمار، بن خروف، المرجع السابق، ص 16.

<sup>85</sup> - Ernest, Mercier, Histoire de l'Afrique Septentrional, T3, Ernest Leroux Editeur, paris, 1891, p.11.

<sup>86</sup> محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979م، ص 6.

## 1- الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية (1505-1535م):

هذا الانقسام السياسي للجزائر ولبلاط المغرب ككل، كان عاملاً مشجعاً للإسبان لغزوه، وهذا ما جاء في تقرير موجه للملك الإسباني فرديناند<sup>87</sup> سنة 1494م جاء فيه: "إن كامل البلاد تحتاز حالة انخيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد منحها، لأصحاب الجلالة"<sup>88</sup>.

وعلى هذا الأساس، وبعد سقوط غرناطة في سنة 1492م وجه الملك فرديناند، والملكة إيزابيلا<sup>89</sup>، أنظارهم صوب بلاد المغرب، فكانت أول نقطة احتلها الإسبان هي مدينة مليلة<sup>90</sup> عام 1497م. وبعد إبرامهم لمعاهدة "توردي سيلاس"<sup>91</sup> Tordesillas في 7 جوان 1494م؛ والتي بمقتضاها قسمت مناطق النفوذ بين إسبانيا والبرتغال، لتطلق بموجبها يد الإسبان في غزو السواحل الجزائرية<sup>92</sup>.

<sup>87</sup> فرديناند الثاني الكاثوليكي (1452-1516م)، ابن فرديناند الأول أصبح ملك أراغون في سنة 1452م، وصقلية (1479-1516م)، ثم نابولي (1504-1516م)، تميز حكمه بالشدّة والقسوة، وفي عهده أسست محاكم التفتيش 1480م لمطاردة المسلمين، واليهود وتنصيرهم، تزوج من ملكة قشتالة إيزابيلا في سنة 1469م بهذا الزواج اتحدت أراغون وقشتالة وقاما بالاستيلاء على آخر إمارة إسلامية في الأندلس في سنة 1492م. ينظر:

- Encyclopédie, Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris, 1991, p.499.

- Fernand Braudel, les espagnols et l'Afrique du nord de 1492 à 1577, in R.A.,<sup>88</sup> 1928, N°19, p.211.

<sup>89</sup> الملكة إيزابيلا الكاثوليكية (1451-1504م) مملكة قشتالة (1474-1504م) ورثت العرش بعد وفاة أخيها هنري الرابع على العرش بعد وفاته سنة 1474م، وتزوجت من الملك فرديناند، واتحدت مملكتاهما في مملكة واحدة مكونة مملكة إسبانيا، لم يكن لزوجها الملك فرديناند أي سلطة على إمارتها حصلت مع زوجها على لقب ملوك الكاثوليك من البابا إسكندر السادس بعد سقوط غرناطة 1492م، وتوفت سنة 1504م. ينظر: محمد عبد الله، عنان، ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966م، ص350.

- Dictionnaire, Encyclopédie, Op.cit,p.677. وينظر أيضا:

<sup>90</sup> مليلة: من أرض طنجة، وهي قريبة من نهر ملوية بالمغرب، وهي مدينة مسورة بسور حجارة، وهي مدينة قديمة، ويقال إن موسى ابن أبي العافية المكناسي جدها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 545-546.

<sup>91</sup> عقدت معاهدة توردي سيلاس عقب نشوب الصراع بين البرتغال وإسبانيا للوصول إلى الهند عن طريق الاتجاه نحو الغرب وتأمين الأراضي التي اكتشفتها واحتلتها كل منهما بما فيها المغرب الإسلامي فتوسط البابا إسكندر السادس في الأمر من أجل اقتسام النفوذ في العالم، قضت المعاهدة أن تستولي البرتغال على كل المكتشف شرقي خط وهمي يرسم بطول المحيط الأطلسي (46 و37° غرباً) في حين يكون لإسبانيا كل ما يقع غربي هذا الخط، ينظر: عبد القادر، فكايير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، دورية كان التاريخية، ع 18، ديسمبر 2012م، ص 25.

<sup>92</sup> عائشة، غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007م، ص 15.

استطاع الإسبان خلال ثلاثون سنة - 1505م إلى 1535م - من احتلال مواقع ومدن عدة على طول الساحل الجزائري؛ كانت البداية بالمرسى الكبير، الذي سقط على يد دون ريمون دي قرطبة (Don Raymond de Cordoba)، وذلك يوم (24 جمادى الثانية 911هـ / 23 أكتوبر 1505م)<sup>93</sup>. وبعد أربع سنوات تمّ احتلال مدينة وهران في 28 محرم 916هـ / 18 ماي 1509م<sup>94</sup>. ثم يأتي دور بجاية التي سقطت بيد الإسبان في 25 رمضان 915هـ / 5 جانفي 1510م<sup>95</sup>.

بعد هذه الهجمة الإسبانية، سارعت العديد من المدن الجزائرية إلى إعلان التبعية منها: الجزائر ومستغانم، وقد قبلت بشروط الإسبان خوفاً من أن يصيبها ما أصاب سكان المرسى الكبير، ووهران، وبجاية من تقتيل وتشريد<sup>96</sup>.

وما لبث الملك الزياني أبو عبد الله محمد<sup>97</sup> أن بعث سنة 918هـ / 1512م، وفداً إلى الملك الإسباني معلناً خضوعه، وتبعيته له<sup>98</sup>. وفي سنة 938هـ / 1532م تمكّنوا من احتلال هنين<sup>99</sup> الساحلية، وبعدها بأربع سنوات احتلوا مدينة عنابة<sup>100</sup>.

كانت خطة الإسبان بعد احتلال هذه المدن تقتضي بتعميرها، وجعلها مسيحية لأنه بغير هذه الطريقة يصعب الاحتفاظ بها أمام الخطر المحدق بها من طرف المسلمين. ومن بين الطرق المتبعة في ذلك؛

<sup>93</sup> مارمول، كرنجال، المصدر السابق، ج2، ص 328. وينظر أيضاً: الحسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 9.  
<sup>94</sup> - Elie de la primaudaie, le Commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, C. Lahure, Paris, 1861, pp.250- 253.  
<sup>95</sup> الحسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 51. وينظر أيضاً: مارمول، كرنجال: المصدر السابق، ج2، ص 377.  
<sup>96</sup> عمار، بن خروف، المرجع السابق، ص 17. وللمزيد من المعلومات حول كيفية احتلال المدن الساحلية للجزائر يمكن العودة إلى العديد من المراجع، التي تحدثت عنه بصورة مفصلة من أمثال:  
 - أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق.  
 وأيضاً:  
 Esterhazy, op.cit, pp.115- 118.

<sup>97</sup> يحيى بن محمد (أبي ثابت) بن محمد المتوكل على الله بن أبي زيان محمد المستعين بالله، العبد الوادي، ويعرف بالثابتي، من أمراء آل زيان أصحاب تلمسان، تولى بعد وفاة أبيه وحكم ما بين (1504- 1517م)، ثار بمؤازرة وتأييد الإسبان على عمه أبي حمو موسى الثالث، فتغلب على مدينة تنس عام 1506م، واستمر تحت حماية الإسبان إلى أن قتل في معركة فاصلة بينه وبين قوات عروج. ينظر: عادل، نويهيض، المرجع السابق، ص 90.

<sup>98</sup> مارمول، كرنجال: المصدر السابق، ج2، ص 305.  
<sup>99</sup> كانت مدينة هنين ميناء تلمسان، وثغرها المبتسم على البحر، وتبعد عنها أربعين ميلاً تقع قرب ندرومة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 597. وينظر أيضاً: توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 217- 218.

<sup>100</sup> عمار، بن خروف، المرجع السابق، ص 17.

أنه إذا ارتكب أي إسباني جريمة فإنه بإمكانه التكفير عن ذنبه بالموافقة على العمل في أحد المراكز الإسبانية، ولمدة شهرين بدون راتب، وبذلك يكون قد نال جزاءه<sup>101</sup>.

وفي البحر المتوسط ازدادت عمليات القرصنة<sup>102</sup> الأوروبية وضرب المسلمين في عرض البحر وهو ما تسبب في صدام المسيحيين الغزاة بالعثمانيين، حيث ارتبط هذا الوضع بظهور الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط وتقدمهم نحو سواحل إسبانيا الشرقية والجنوب شرقية وكذلك سواحل شمال إفريقيا، وقد كان العثمانيون يمثلون الإسلام وعُرفت الحروب التي قامت بينهم بالجهاد البحري، ومن هنا بدأت أولى ملامح العلاقات العثمانية بشمال إفريقيا<sup>103</sup>، فقد كانت سفن العثمانيين تنحُر عباب البحر الأبيض المتوسط بقيادة بحارة عثمانيين سوف يلعبون دوراً فعالاً ومهماً في المستقبل خاصة في ربط شمال إفريقيا بالدولة العثمانية<sup>104</sup>، ففي الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة والسواحل الجزائرية بصفة خاصة مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ضمن حملتهم على المسلمين الفارين من الأندلس وتحقيقاً منهم لأغراض استعمارية صليبية شرسة على المنطقة ككل<sup>105</sup>؛ برز الإخوة بربروسة<sup>106</sup> الذين بفضلهم دخلت الدولة العثمانية رسمياً في حرب ضد إسبانيا

101 - Elie de la primaudaie, "Documents...", op. cit, pp.67-70.

102 القرصنة: هي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية، الغاية منها ضرب اقتصاديات العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة عليه. وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن المعادية، وهي تختلف عن لصووية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب. وانتشرت القرصنة انتشاراً هائلاً بعد اكتشاف القارة الجديدة (أمريكا)، ينظر: أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة... المرجع السابق، ص 72، وكانت نوعاً من الحروب المشروعة النظامية التي شاركت فيها كل دول العالم ولم يكن المسلمين خلالها إلا مدافعين ولم يكن عندهم مجال من الأحوال (لصووية البحر) فكانوا يسلمون من يسلمهم ويحموه ويحاربون من يحاربهم. ينظر: أحمد توفيق، المدني، حياة كفاح، ش، و، ن، ت، الجزائر، (د،ت)، ص 268.

103 أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج1، ص 189.

104 الزباني، المصدر السابق، ص 24.

105 أبي عبد الله محمد بن محمد، الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973م، ج2، ص131.

106 المقصود بهم الإخوة: عروج، خير الدين، إلياس، إسحاق، أصلهم من إحدى الجزر اليونانية، أبوهم يعقوب بن يوسف من جزيرة ميلدي في أرخبيل اليونان، كان صانعا للفخار بها، أطلق عليهم لقب بربروسة وهي تعني ذا اللحية الشقراء، وهذه الكلمة تطلق فقط على خير الدين وليس على أخيه عروج، أتجها للجهاد ومحاربة النصارى في الغرب فمتحه سلطان تونس جزيرة جربة مقابل الخمس مما يغنمها فاتخذها قاعدة لأسطوله، ينظر: مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص وتغ: نور الدين، عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص ص 6-13. وينظر أيضاً:

- De Grammont Henri. D, Histoire D'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830), Ernest Leroux, éditeur, Paris,1887,p.29.

بعد أن أصبحت إحدى إيالاتها<sup>107</sup> في شمال إفريقيا<sup>108</sup>، ولعبوا دوراً حاسماً في توجيه سير التاريخ بمنطقة الحوض الغربي للمتوسط، فبظهور هؤلاء الإخوة شهدت منطقة المغرب تطورات متسارعة، تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية الأولى<sup>109</sup>. وكان من بين إنجازاتهم خلال القرن السادس عشر أن حولوا نشاطاتهم البحرية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إلى السواحل الغربية منه<sup>110</sup>، بالإضافة إلى هذا كله كان لهؤلاء الإخوة موطئ قدم في شمال إفريقيا.

ويرى أرنست مارسيه أن ظهور العثمانيين بشمال إفريقيا، قد أنقذ البلاد المغاربية من مصير يبدو حتمياً، وهذا بقوله: "إن الحالة التي كانت عليها البلاد البربرية في حوالي سنة 1515م ... تبين لنا إلى أي درجة من الفوضى وصل إليها شعوبها ... إنها لفترة انتقالية حاسمة بالنسبة لتاريخ شعب لا يجتازها إلا القيام بالتجديد أو بالخضوع لسيطرة ما ... إذاً كان بالنسبة للمغرب الاستعباد هو السبيل الحتمي، نعم في الوقت الذي كادت المسيحية أن تحققه لفائدتها، سنحت الفرصة للأتراك أن يفرضوا سيادتهم على الجزء الأوفر من البلاد ... حتى كانت نتائج ذلك حماية البلاد البربرية من سيطرة الدول المسيحية خلال ثلاثة قرون"<sup>111</sup>.

## 2- الاستنجد بالإخوة بربروس 1512م:

في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة، وعلى سواحل المغرب الأوسط بصفة خاصة؛ ضمن المشروع الإسباني الذي يهدف إلى احتلال المنطقة.

<sup>107</sup> إيالة (Eyalet): اصطلاح إداري من العصر العثماني قبل إلغاء الإنكشارية، ويقصد به: الولاية، والولاية بحسب قانون نامة، وحدة إدارية يرأسها الباشا أو الوالي أو من رتبة وزير، والولاية بدورها كانت مقسمة إلى عدة سناجق، والسناجق الواحد إلى قائمة تأمين والقائمين إلى عدد من النوالي، ينظر: مصطفى عبد الكريم، الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص 57-58.

- وأيضاً: سهيل، صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، (د،ط)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م، ص 45.

<sup>108</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص 136.

<sup>109</sup> حول هذا الموضوع ينظر: علي، أجقو، محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية (1515م- 1837م)، ط2، بانتت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، الجزائر، ج2، 1999م.

<sup>110</sup> - Diego de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, traduit de L'Espagnol par Grammont, H.D, Edition grand-Alger-Livres, 2004, p.14.

- Ernest, Mercier, op.cit, p.11.

وبسبب ضعف المقاومة المحلية، وغياب السلطة الزبانية التي انحصرت في العاصمة تلمسان، والتي أعلن حكامها بدورهم التبعية للإسبان. كان من الضروري ظهور قوة جديدة تقود عمليات التحرير ضد الاحتلال؛ فظهر الإخوة بربوس، الذين سيلعبون دوراً هاماً في توجيه العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي، وإسبانيا في الحوض الغربي للبحر المتوسط<sup>112</sup>.

وأثناء هذه الأحداث ذاعت أصداء الإخوة بربوس في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث كانوا يعملون على إنقاذ مسلمي الأندلس الفارين عقب سقوط غرناطة. وقد اتخذوا من جزيرة جربة قاعدة خلفية لهم بعد عودتهم من الغزو<sup>113</sup>. وبظهورهم شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية الأولى والتي أصبحت فيما بعد القوة المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط<sup>114</sup>.

وأول من استنجد بالإخوة بربوس هم علماء، وأعيان مدينة بجاية، والأمير الحفصي أبي بكر، وذلك في سنة 918هـ/1512م، حيث استصرخوهم لإنقاذهم من يد العدو<sup>115</sup>. وطلب أهالي بجاية من البحارة العثمانيين مساعدتهم ونجدتهم من الإسبان الذين كانوا يحتلون أراضيهم ويفرضون عليهم ضرائب كبيرة، فحسب ابن أبي الضياف<sup>116</sup> فإن علماء وأعيان مدينة بجاية طلبوا من عروج<sup>117</sup> لإنقاذ

<sup>112</sup> عزيز، سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي، عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م، ص 18.

<sup>113</sup> أحمد، ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج2، ص 10. وينظر أيضاً: عائشة، غطاس، وآخرون، المرجع السابق، ص 19.

<sup>114</sup> Diego de Haedo, op.cit, p.14.

<sup>115</sup> ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج2، ص 10.

<sup>116</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>117</sup> عروج بن أبي يوسف يعقوب التركي أو عروج بربوسة (879-924هـ/1474-1518م)، يشتهر أيضاً بلقب بابا عروج وعروج ريس. قبطان وأمير مسلم اشتهر هو وأخوه خير الدين بجهادهما البحري في شمال إفريقيا وسواحل البحر المتوسط إبان القرن السادس عشر الميلادي، ولد في جزيرة ميدبلي العثمانية، وعمل في شبابه في التجارة بين سلونيك وأغريوز. اتصل بالسلطان المملوكي قنصوه الغوري وجعله قائداً على الأسطول الذي قام بإنشائه لمحاربة البرتغاليين، إلا أنه تعرض لغارة كبيرة من فرسان رودس أدت في انتهاء هذا الأسطول قبل أن يكتمل، اتصل بالأمير العثماني كركود بن بايزيد الثاني (1484-1512م) الذي ساعده بعد أن أهدى له سفينة ليبدأ من جديد، وعمل عروج بجانب أخيه خير الدين أثناء تواجده بالضفة الغربية للمتوسط على إنقاذ عدد كبير من اللاجئين المورسكيين الأندلسيين الذين فروا من محاكم التفتيش الإسبانية، وخلال هذه الفترة اكتسب اسمه الذي أطلق عليه في الجزائر: "بابا عروج". لمزيد من المعلومات، ينظر: مذكرات خير الدين بربوس، المصدر السابق، ص 29-32.

- محمد، دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربوس (1512-1543م)، ط2، ش، أ، ن، ت، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص 159-175.

المدينة وتحريرها من الإسبان في رسالة أرسلت إليه كان من مضمونها "... وكتابة العلماء والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذها من يد العدو"<sup>118</sup>، فلبى عروج الدعوة واتجه إلى بجاية على رأس جيش بحري كان تعداد أسطوله حوالي اثنا عشرة قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف جندي تركي وبعض الأهالي وكان ذلك في شهر أوت من سنة 1512م، وقد بدأ الهجوم على المدينة في بداية الأمر برأً وذلك باستعمال المدفعية، وتم وضع حصار شديد على المدينة لمدة ثمانية أيام، قبل أن تبدأ عملية الاقتحام وفي أثناء ذلك أصابت قذيفة؛ القائد عروج وقتل شقيقه إلياس مما أدى إلى وقف الحملة وتفرق الجمع البحري والبري وفشلت بذلك أولى محاولات الأتراك لتحرير بجاية فتوجه القائد عروج إلى تونس<sup>119</sup>، فاقداً ذراعه اثر إصابة أصيب بها أثناء المعركة<sup>120</sup>.

وبعد سنتين من ذلك تمكن عروج وإخوته من افتكاك مدينة جيجل، وذلك سنة 920هـ/ 1514م من الجنويين واتخذها قاعدة لنشاطه البحري، ولقد كان دور أحمد بن القاضي كبيراً في مساعدة عروج على تحرير مدينة جيجل، وقد تكونت بينهما صداقة كبيرة وتحالف وذلك منذ الحملة الأولى على مدينة بجاية، حيث قاد خلالها قبائل الزواوة<sup>121</sup> وبني وراثن<sup>122</sup> وقبائل أعالي واد سباو<sup>123</sup> ضد الإسبان<sup>124</sup>، وكان اختيار عروج لمدينة جيجل كي تكون قاعدته العسكرية البحرية الأولى ومنطلقاً لعملياته وحملاته ضد الإسبان، وذلك لعدة أسباب أهمها أنه أراد أن يستقل عن السلطان الحفصي،

- الآغا بن عودة، المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ج1، ص 250.

<sup>118</sup> مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 12.

<sup>119</sup> -Diego de, Haedo, op.cit, p.19.

<sup>120</sup> أحمد، توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص ص 163 - 164.

<sup>121</sup> ليست جيش نظامي بل هم الرجال الذين توفرهم القبائل الموالية للبايلك وتستدعي هذه الفرق للانضمام إلى الجيش الإنكشاري في الحالات الخاصة. ينظر: عائشة، غطاس، المرجع السابق، ص 84.

<sup>122</sup> بني راثن، أو وراثن: قبيلة من شعب صنهاجة، يعرفون باسمهم المبربر "آيت وراثن"، أو الاسم العربي بني وراثن، اندمجت القبيلة المذكورة اليوم في غيرها من القبائل بالمغرب الأوسط وبقية بناحية بجاية، يعرفون بآيت وارث وعلي، وبقية في المغرب الأقصى مندججة في بطن آيت سنان من قبيلة أهل تدغة، ينظر: ابن القاضي، أحمد بن العباس المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ج1، 1973م، ص 44.

<sup>123</sup> وادي سباو: على نحو ثلاثة أيام من فاس، وفيه يصب وادي فاس، وهو نهر عظيم من أعم أنهار بلاد المغرب، منبعه من جبل في بلاد بني وراثن، حياته الكبيرة تجلب إلى فاس ومكناس. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 606.

<sup>124</sup> الطاهر، أوصديق، مملكة كوكو، م، و، ن، و، الجزائر، 1986م، ص ص 13 - 14.

ونظراً لموقعها الاستراتيجي البحري الحصين حيث يمكنه من أن يتوغل أكثر في الحوض الغربي للبحر المتوسط<sup>125</sup>، وبعد استقراره بها كثّف عروج نشاطه البحري خاصة في البليار<sup>126</sup>، وحقق انتصارات كبيرة وحصل على غنائم كثيرة، وقد بادر بإرسال جزء منها إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520م)<sup>127</sup>، الذي استحسناها وأرسل إليه مكافأة ثمينة؛ كانت عبارة عن أسلحة وذخيرة، وقد جاءت هذه الهدية في الوقت المناسب بالنسبة لعروج فقد كان في حاجة إليها<sup>128</sup> وإلى دعم السلطان العثماني في مثل هذا الوقت بالذات؛ حيث كان يسعى للقيام بحملة ثانية على بجاية لتحريرها من الإسبان.

لا شك من أن الواقعة التي حدثت بين القائد عروج والسلطان العثماني سليم الأول، قد جلبت اهتمام الباب العالي<sup>129</sup> إلى واقع الأحداث في البحر الأبيض المتوسط، وكذا رؤيتهم للانتصارات التي حققها البحارة العثمانيون هناك، الشيء الذي مهد الطريق لتطوير العلاقات السياسية والعسكرية بين الأستانة والإخوة بربروس<sup>130</sup>.

<sup>125</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص120.

<sup>126</sup> جزر البليار (اسم جزر البليار الرسمي بالكاتالونية؛ هو إيس باليرز، بينما بالإسبانية فتعرف بـ إيسلاس بالياريس ( Islas Baleares)، أما كلمة "البليار" فهي مشتقة من اليونانية: جيمنسي بالياريس. وهي منطقة تقع في شرق إسبانيا، عبارة عن مجموعة جزر في البحر المتوسط تابعة لإسبانيا. واسم جزر البليار الرسمي بالكاتالونية؛ هو إيس باليرز، بينما بالإسبانية فتعرف بـ إيسلاس بالياريس.

<sup>127</sup> السلطان الغازي سليم الأول: وهو تاسع سلاطين الدولة العثمانية ولد السلطان سليم الأول في 10 أكتوبر 1470م ومات في 22 سبتمبر 1520م، سلطان الدولة العثمانية (1512-1520م)، وهو ابن السلطان بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح ولم يجرؤ المسلمون بإطلاق لقب خليفة عليه بالرغم من أنه حكم البلاد التي غالبيتها من المسلمين في الشرق الأوسط وذلك لأنه لم يكن عربياً ولا قرشياً، يعرف لدى الغرب والبعض بـ (Selim the Grimm) أي سليم العابس ويلقب كذلك بـ (ياوز) وتعني باللغة التركية الشجاع (القاطع). حكم لثمانية سنوات بدءاً من عام 1512م وحتى وفاته، يتميز عهد هذا السلطان عما سبقه من العهود بأن الفتوحات تحولت في أيامه من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي والبحر الأبيض المتوسط. وفي عهده كان دخول الجزائر تحت راية الخلافة، في الوقت الذي كان يحضر فيه للحملة على رودس. ينظر: فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 188-197. وينظر أيضاً: إبراهيم، بك حلیم، التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية (تاريخ الدولة العثمانية العلية)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م، ص ص 80-87. وينظر أيضاً:

- حضرة عزتلو، يوسف بك أصف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عذب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص 59.

<sup>128</sup> مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 24.

<sup>129</sup> مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه السلطان محمد الرابع سنة 1654م وأطلق فيما بعد اسم المكان على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم، وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن 19م وعلى وجه الخصوص في عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني. سهيل، صابان، المرجع السابق، ص 49.

<sup>130</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 11.

ومنها واصل الإخوة بربروس نشاطهم. وحاول عروج تحرير بجاية من جديد في سنة 920هـ/1514م بمساعدة القبائل الجبلية، وتمكن من الاستيلاء على إحدى القلعتين، اللتين بناهما الإسبان. وحاصر بجاية والقلعة الثانية، لكن لم يُوفق في تحريرها؛ لأن تلك القبائل انصرفت لزراعة الحقول دون استئذانه، وكذا بسبب نقص ذخيرته، ورفض السلطان الحفصي تزويده بالإمدادات خوفاً من زيادة مكانة الإخوة بربروس في بلاد المغرب الإسلامي. فاضطر عروج للانسحاب إلى مدينة جيجل<sup>131</sup>.

إن هذه الحملات العسكرية التي استهدفت مدينة بجاية من طرف البحارة العثمانيين شجعت سكان مدينة الجزائر على طلب النجدة من الإخوة بربروس للاستعانة بهم ضد الإسبان أيضاً<sup>132</sup>، الذين كانوا يحتلون منذ أن استسلمت لهم سنة 1510م، بعد الاضطرابات التي عاشتها، ومكان سالم التومي قبل ذلك قد وقع على اثر ذلك معاهدة الاستسلام مع الإسبان، والتي بموجبها بقيت الجزائر تحت سيطرتهم، حيث استغل الإسبان تلك المعاهدة في بناء قلعة الصخرة (البنيون) التي تبعد على الجزائر بثلاثمائة متر، وصاروا من خلالها يتحكمون في مدخل المدينة ومخارجها ويعرقلون نشاطها، وكذلك أرغموا السكان على دفع ضرائب نقدية وعينية أرهقت الجزائريين. وفي جانفي من سنة 1516م توفي الملك الإسباني الكاثوليكي فرديناند، فعمت الفرحة قلوب سكان مدينة الجزائر كونهم أحسوا خلالها أنهم تخلصوا من عهودهم اتجاه الملك الراحل، ورأى أعيان مدينة الجزائر وعلى رأسهم سالم التومي أنه الوقت المناسب للتخلص من الوضعية الصعبة التي تعيشها المدينة وسكانها من ظلم الإسبان، وذلك بالاستنجاد بالإخوة بربروس قائلين لهم: "سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد وأخذتم بجاية<sup>133</sup>، وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتهم الدين هنيئاً لكم أيها المجاهدون. لا بد أن تقدّموا إلينا، وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملائعين الكفرة؛ لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة"<sup>134</sup>. وأرسلوا إلى عروج في جيجل كتاباً جاء فيه: "... كان سكان مدينة جيجل يُرغبونه (يقصد عروج) في القدوم إليهم وجهاد عدوهم المجاور لهم في

<sup>131</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 38.

<sup>132</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 16.

<sup>133</sup> لم يتم تحرير بجاية إلا في سنة 1555م، على يد البايبراي صالح رايس.

<sup>134</sup> محمد بن رقية التلمساني الجديري، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، نشر سليم بابا عمر، في م، ت، ح، م، ع، 3، 1967م، ص 4.

الحصن الكائن بالجزيرة وقد كان أضر بهم غاية الضرر وضيق بهم غاية التضيق<sup>135</sup>، قبل عروج هذه الدعوة واعتبرها فرصته الذهبية وذريعة لدخول المدينة<sup>136</sup>.

لبي عروج النداء وحاول تحرير حصن البنيون لكن ضعف المدفعية حال دون ذلك. وقد تمكن عروج من قتل سالم التومي؛ الذي حاك المؤامرات ضده واستعان بالإسبان لطرده<sup>137</sup>. وقد ذكر هايدو بشأن هذه الاستجابة لعروج في تلبية الدعوة لنجدة سكان مدينة الجزائر حيث يقول: "... وكما وعد وفي، ذلك لأن الميزة الرئيسية لهذا الرجل هي ثمرة طبيعية لنفسه الكبيرة"، ويعني هايدو في كلمة طبيعة نفسه الكبيرة هو انتماؤه الديني<sup>138</sup>.

وقد أثار مجيء الإخوة بربوس حفيظة الإسبان، فسيروا حملة عسكرية ضد مدينة الجزائر؛ بقيادة ديينغو دي فيرا (Diego de Verra) سنة 1516م، لكن بعد يومين من الإنزال استطاع عروج إلحاق الهزيمة به<sup>139</sup>. فكان ذلك انتصاراً كبيراً للإخوة بربوس، ولسكان مدينة الجزائر، ومن أجل ذلك سارعت المدن المحيطة بمدينة الجزائر، وبلاد القبائل إلى الاعتراف بسيادة عروج، وصار لإمارة الجزائر شأن عظيم<sup>140</sup>.

بعد هذا الانتصار تمكن عروج من الاستيلاء على مدينة تنس<sup>141</sup>، وقتل أميرها الزياني المتعاون مع الإسبان، كما استنجد أبو زيان<sup>142</sup> - الذي كان في سجن عمه أبو حمو الثالث<sup>143</sup> - وسكان مدينة

<sup>135</sup> مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 27.

- Haedo, op.cit,p.22.

<sup>137</sup> أحمد، توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 174 - 175.

- Haedo, op.cit,p.25.

<sup>139</sup> عائشة، غطاس، المرجع السابق، ص 22 - 23.

<sup>140</sup> يحيى، بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، د، م، ج، 1999م، ج2، ص 258.

<sup>141</sup> تنس: مدينة قرب مليانة، تبعد عن البحر ميلين، وهي بالمغرب الأوسط. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 138.

<sup>142</sup> أبو زيان: أحمد الثاني بن عبد الله الثاني بن محمد المتوكل على الله، أبو زيان، العبد الوادي، أول ملوك الدولة الزيانية بتلمسان، في دورها الثالث. لما احتل الأتراك تلمسان سنة (923هـ/ 1517م) نقلوا سلطانها أبا حمو موسى الثالث إلى وهران ونصبوا مكانه أبا زيان هذا. بعد توليه العرش قاتل الأتراك وحاول إجلاءهم عن عاصمته، فاستشهد مع عدد من أتباعه، ودام حكمه حوالي سنة. ينظر: عادل، نويهض، المرجع السابق، ص 169.

<sup>143</sup> أبو حمو موسى الثالث (924هـ/ 1518م): ابن محمد المتوكل على الله، أبو حمو الملقب بأبي كلمون: آخر ملوك الدولة الزيانية بتلمسان، ثار على ابن أخيه أبي زيان سنة 909هـ/ 1503م وسجنه واعتلى العرش مكانه. وبعد عامين من ولايته احتل الإسبان المرسى الكبير غربي وهران عام (911هـ/ 1505م). وبعد ضعف جيوش أبي حمو احتل الإسبان بعض المدن الجزائرية واعترف أبو حمو بنوع من

تلمسان بعروج؛ فسار إليها هذا الأخير مع أخيه إسحاق، وترك أخاه خير الدين<sup>144</sup> في مدينة الجزائر، وفي طريقه استولى على قلعة بني راشد<sup>145</sup>، وترك بها أخاه إسحاق على رأس حامية من الجنود. والتقى بجيش أبو حمو بسهل سيدي بلعباس<sup>146</sup>، وهُزم حينها هذا الأخير وفرّ إلى مدينة وهران للاحتباء بالإسبان<sup>147</sup>، فنصّب عروج أخاه أبو زيان؛ هذا الأخير الذي تأمر عليه أيضاً، فقتله هو الآخر مع أنصاره<sup>148</sup>.

استنجد السلطان الفار بالإسبان؛ الذين لم يترددوا في تلبية طلبه، لأنهم انزعجوا من تنامي قوة ونفوذ الإخوة بربروس. فقاموا بتجهيز حملة عسكرية لمساعدته، على استرداد تلمسان. فقاموا أولاً بحصار قلعة بني راشد، وانتهى الأمر بالقضاء على الحامية العثمانية، وعلى أخ عروج إسحاق وذلك في جانفي 1518م/ 924هـ<sup>149</sup>.

التبعية لهم وتعهدهم بأن يدفع ضريبة سنوية قدرها 12 ألف دوقية (نقد ذهبي إسباني). واستمر حتى سنة 1517م حين احتل الأتراك تلمسان، ونقلوه إلى وهران، ونصبوا مكانه أبا زيان أحمد بن عبد الله الثاني. وفي سنة 924هـ استنجد أبو حمو بالإسبان لإعادته إلى عرشه، فأعانوه وحاصروا معه تلمسان، ولكنه مات في نفس السنة. ينظر: عادل، نويهض، المرجع السابق، ص 126-127.

<sup>144</sup> خير الدين بربروس (871هـ- 953هـ/ 1466-1546م): اسمه الأصلي خزر (KHIZIR)، ولد في جزيرة مديلي في الأرخيبيل، مجاهد تركي مسلم مشهور اكتسب شهرة واسعة لمهارته وشجاعته. ولاء أخوه عروج على الجزائر وبعد وفاة هذا الأخير عين خلفاً له فطلب العون من السلطان العثماني سليم الأول وقدم له فروض الولاء والطاعة بإسم البلاد التي دخلها أخوه ومنحه لقب باشا وأرسل إليه ألفي رجل، وأستدعي إلى الأستانة وسمي (قيودان باشا)، حرر مدينة تنس من الإسبان، وفي عام 1519م انتقم لأخيه حيث دمر الأسطول الإسباني أمام الجزائر. توفي بها ودفن في المسجد الذي بناه بها. لمزيد من المعلومات، ينظر: مذكرات خير الدين...، المصدر السابق. وينظر أيضاً: الموسوعة العربية العالمية، ط2، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، 1999م، ج4، ص 291-292.

<sup>145</sup> <sup>146</sup> يمتد إقليم بني راشد على نحو 50 ميلاً من شرق إلى غرب البايك، جهته الجنوبية كلها سهول، والواقعة شمالاً كلها مرتفعات، أراضيها صالحة للزراعة، وقد اختيرت قلعة بني راشد كقاعدة خلفية للبايك، لأنها مدينة تتميز بالحصانة والمناعة مبنية على هضبة بين جبلين محاطة بأسوار عالية وحصون، بها بساتين ذات الثمار والأشجار وتحتها فحص طوله 40 ميلاً بحرياً تحته نهر سيرات. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 26.

<sup>146</sup> سيدي بلعباس ولاية جزائرية تقع في القطاع الوهراني في غرب الجزائر، وتقع بلدية سيدي بلعباس على وادي ماكرا وسط هضبة المقررة على سفح جبال التسلالة شمالاً وجبال الضاية جنوباً. ونشأت كمعسكر فرنسي في عام 1843.

<sup>147</sup> جون ب، وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، تر، وتع: أبو القاسم سعد الله، م، و، ك، الجزائر، 1986م، ص 31.

<sup>148</sup> Ernest, Mercier, op.cit, p.19.

<sup>149</sup> أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 189-190. وينظر أيضاً: جمال، قتان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 23-24.

ثم توجه الإسبان إلى تلمسان وحاصروها. ولما نفذت كل إمكانيات المقاومة داخل المدينة، اضطر عروج للخروج منها، فلحق به الإسبان، ونشبت معركة بين الطرفين انتهت باستشهاد عروج ومن معه من الجنود، وذلك في شهر ماي من سنة 1518م<sup>150</sup>.

ورغم استشهاد عروج إلا أنه تمكن من وضع أسس نظام قوي، لدولة إسلامية ستقوم في المغرب الأوسط، وستتمكن من الوقوف في وجه الهجمات الإسبانية، وقد قال عنه نور الدين عبد القادر في كتابه صفحات من تاريخ الجزائر: "وخير ما يقال... أن بابا عروج هو أول من وضع اللبنة الأولى لبناء صرح الدولة الجزائرية، وأول من تنبه جلياً لتمتين أساسها وتصحيحه..."<sup>151</sup>. سيقمها خَلْفُه من بعده، ألا وهو أخوه خير الدين بربروس.

### ثانياً: الجزائر إيالة عثمانية 1519م:

بعد استشهاد عروج وجد أخوه خير الدين؛ الذي كان قد خلفه في مدينة الجزائر نفسه في وضعية حرجة لم يسبق وأن عاشها من قبل؛ فقد هددته الأخطار من كل جانب، وأنه كان في بداية حكمه وكان هناك أعداء كثيرون يتحينون الفرص للقضاء على الأتراك<sup>152</sup>، خاصة الإسبان الذين اعتقد خير الدين أنهم سوف يهاجمون مدينة الجزائر بعد تمكنهم من القضاء على أخاه عروج في تلمسان. في الوقت الذي لم يكن يملك القوة اللازمة لمواجهتهم، لكن الإسبان لم يغامروا بالهجوم على المدينة<sup>153</sup>، كما أن الحفصيين في الشرق كانوا يطمعون أيضاً في الاستيلاء على الأراضي الساحلية الشرقية المتاخمة لمدينة الجزائر، وفي الداخل تمردت على خير الدين قبائل كل من تنس وشرشال بزعامة أحمد بن القاضي الحليف السابق لعروج، بالإضافة إلى نقص الذخيرة الحربية والعتاد العسكري والقادة ذوي الكفاءة<sup>154</sup>.

<sup>150</sup> جمال، قنان، المرجع السابق، ص 24.

<sup>151</sup> نور الدين، عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، ط2، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص 56.

<sup>152</sup> مختار، حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، م، و، د، ب، ح، الجزائر، 2007م، ص 56.

<sup>153</sup> علي أجقو، محاضرات...، المرجع السابق، ص 04.

<sup>154</sup> نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 64.

في هذه الظروف الصعبة عزم خير الدين على مغادرة الجزائر، لكن أعيان المدينة رفضوا ذلك وطلبوا منه البقاء<sup>155</sup>، لذلك تراجع عن قراره وبدأ يعمل على تدعيم أسس الدولة الجزائرية، التي جعل من مدينة الجزائر عاصمة لها، والتي ستتولى مواجهة الحملات الإسبانية، وحماية المنطقة المغربية. وبفضل عبقرية خير الدين، الذي رأى أنه بحاجة إلى قوة حليفة تقف إلى جانبه لمواجهة الخطر المسيحي الإسباني، ومشروعه الاستعماري؛ فرأى أن القوة الوحيدة القادرة على حماية البلاد؛ هي الدولة العثمانية الإسلامية، فاستنجد بها<sup>156</sup> وهذا ما نستنتجه من كلامه الموجه لأعيان مدينة الجزائر "... أنا بقيت منفرداً غريباً لا ناصر لي ولا معين إلا الله عز وجل، قد رأيتم ما وقع من سلطان تلمسان ... وكذلك من سلطان تونس... وقد ظهر لي من الرأي أن نعتمد في حماية هذه المدينة على الله سبحانه وتعالى ونصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم... السلطان سليم... فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من آلات الجهاد..."<sup>157</sup>.

رحب أعيان مدينة الجزائر بذلك، ووجهوا رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول؛ يطلبون فيها التبعية للدولة العثمانية في سنة 1519م<sup>158</sup>، وقد تزعم البعثة الفقيه العالم أبو العباس أحمد ابن القاضي، من خلال تلك الرسالة التي كانت تفيض بالولاء للسلطان العثماني، والثناء على خير الدين حيث جاء فيها بشأن هذا الأخير: "... لقد أظهر مزيداً من الشجاعة والجدية عندما قادنا إلى الجهاد في سبيل الله، بنية حسنة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لإعلاء كلمة الله..."<sup>159</sup>. فوافق السلطان على دخول الجزائر إلى أقاليمه، وأرسل صحبة مبعوثي الجزائر سنجقاً<sup>160</sup>، وكتاباً إلى أهل الجزائر وخير الدين، يتضمن الموافقة على طلبهم، وأنهم من الذين تشملهم عنايته، ومنح خير الدين لقب بايلرباي<sup>161</sup>، وأرسل إلى الجزائر أسطولاً بحرياً، وقوة من الإنكشارية<sup>162</sup>، وكمية من الأسلحة<sup>163</sup>. وبذلك

<sup>155</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 29.

<sup>156</sup> عائشة، غطاس، المرجع السابق، ص 24.

<sup>157</sup> المجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 42.

<sup>158</sup> وللإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: التميمي، عبد الجليل، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة

1519م"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جويلية 1976م، ع 6، ص 118.

<sup>159</sup> المرجع نفسه، ص 177 - 178.

<sup>160</sup> سنجقاً أو سنحجق: لفظ تركي فارسي بمعنى الراية أو العلم. ينظر: عبد الكريم، الخطيب، المرجع السابق، ص 259.

<sup>161</sup> البایلرباي هو أول لقب أطلق على الحاكم العثماني في الجزائر وأول من لقب به هو خير الدين بربروس وتعني الكلمة باي البايات أي

أمير الأمراء، ورتبة (ميرميران) من المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية، وكان خير الدين من بين الشخصيات المحدودة التي منحت هذا

تمّ إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، فأصبحت مرتبطة بها، ومتحالفة معها ضد إسبانيا والعالم المسيحي؛ وهذا ما وصفه المؤرخون الأوروبيون بأنه مبادرة غيرت مجرى التاريخ الإفريقي<sup>164</sup>. ونشير في الأخير أن هذا القرار كان قراراً استراتيجياً بكل الأبعاد العقائدية والحضارية، ومن هنا ربطت الجزائر رسمياً بالدولة العثمانية بداية من سنة 1519م لتدخل على إثرها الجزائر مرحلة الحكم العثماني.

يتبين لنا أن خير الدين استحق أن يخلف أخاه عروج في حكم مدينة الجزائر فقد رأى فيه سكانها أنه يمثل الحاكم المسلم الأمثل لشمال إفريقيا، وبالتالي انطلق خير الدين في قيادة عملياته ونشاطه العسكري ضد النصارى بهدف تحرير سواحل شمال إفريقيا خاصة من عدوه الأول الإسبان<sup>165</sup>. كما أن استعانة أهالي الجزائر بالدولة العثمانية وفرض الولاء والطاعة للسلطان العثماني في اسطنبول<sup>166</sup> كان له مغزى كبير وهو أن خير الدين أدرك بجنكته العسكرية وعبقريته السياسية في تدبير شؤونه في قيادة العمليات وخوضه حرباً مع قوى كبيرة ذات سلطة واسعة كإسبانيا والبرتغال إنه بحاجة ماسة إلى حليف قوي يعينه على التصدي لهذه الأخطار التي تهدده، وبالطبع فقد كانت الخلافة العثمانية هي القوة الإسلامية المرشحة لهذا التحالف<sup>167</sup>.

اللقب، وكان هذا المنح دليل امتياز على لخير الدين وللولاية التي يحكمها كنائب للسلطان، فقد اعتبرت قاعدة الحكم العثماني في شمال إفريقيا وفي غرب البحر المتوسط. ينظر: أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 198. وينظر أيضاً: سفيان، صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011-2012م، ص 24.

<sup>162</sup> أطلقت كلمة إنكشارية (بني جري) (Yeniçeri): على نوع من الجنود الجديدة أي مجموعة من فرق المشاة النظاميين التي تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشر من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا، في وقت معين من السنة. ينظر: ينظر: سهيل، صابان، المرجع السابق، ص 41. وينظر أيضاً:

- جعفر بن صالح، الغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، دار القاهرة، مصر، 2007م، ص 21-23.  
<sup>163</sup> Edward, Cat, Petite Histoire de l' Algérie: Tunisie- Maroc, Alger, Adolph Jourdan, T1, 1888, p.240.

<sup>164</sup> شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 325.

<sup>165</sup> علي أجقو، محاضرات...، المرجع السابق، ص 04.

<sup>166</sup> إسطنبول أو استانبول، والمعروفة تاريخياً باسم بيزنطة والقسطنطينية والأستانة وإسلامبول، تعتبر من أكبر المدن في تركيا، وينظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي. تمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي مضيق البوسفور، والجانب الآسيوي أو الأناضول، ما يجعلها من بين مجموعة من المدن الواقعة على قارتين.

<sup>167</sup> مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 42.

وفي سنة 1519م استطاعت الجزائر بقيادة خير الدين التصدي للحملة الإسبانية بقيادة "هيغو دي مونكادا Hugo de Moncada"<sup>168</sup>، التي انتهت بهزيمة الإسبان<sup>169</sup>؛ بسبب مقاومة الجزائريين وجهادهم، وهو ما أهمله المؤرخون الغربيون، الذين فسروها بالعوامل الطبيعية<sup>170</sup>.

بدأ خير الدين وضع أسس دولته لكن انزعاج بعض القوى المحلية والإقليمية سرعان ما ظهر إلى الوجود، وبدأ يظهر الصراع حول الملك في بداية سنة 1520م، فتمرد ابن القاضي، وحاربه خير الدين بجبال القبائل، ولكنه لم يكن يثق في ولاء الجميع، فقرر المحافظة على وحدة قواته<sup>171</sup>.

قرر خير الدين الانسحاب من مدينة الجزائر في سنة 1520م إلى مدينة جيجل، فاتخذها مرة أخرى قاعدة لنشاطه، ومنها بدأ العمل على مد رقعة نفوذه في الشرق. فاستولى على مدينة القل في عام 927هـ/1521م، ومدينة عنابة في سنة 928هـ/1522م، ثم مدينة قسنطينة، ومنها ارتبط بتحالف مع بني عباس، وقد مكّنه ذلك من طرد ابن القاضي من مدينة الجزائر في عام 1525م. وبعد هذا التاريخ بثلاث سنوات استطاع خير الدين استرجاع، وتحطيم حصن البنيون المقابل لمدينة الجزائر في سنة 1529م. ومن هذا التاريخ بدأ العمل على بناء دولة قوية، وقلعة أمامية للإسلام في وجه القوى الأوروبية الصليبية في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط<sup>172</sup>.

بعد إلحاق الجزائر رسمياً بالدولة العثمانية وتعيين خير الدين بربروس بايلرباي عليها، أصبحت أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا، وبدأت تعبر فعلياً على الوجود العثماني في البحر الأبيض المتوسط وسواحل شمال إفريقيا، باعتبارها قاعدة للجهاد البحري ضد القوى المسيحية خاصة إسبانيا، والتي تعتبر الخطر الأكبر الذي يهدد الجزائر والوجود العثماني في المنطقة بشكل كبير.

وقد دخلت الجزائر تحت نظام الحكم العثماني هذا النظام السياسي الذي ارتبط فعلياً بالسياسة العثمانية وسلطة الحاكم العثماني في الباب العالي وتمثيله في الجزائر بالحكم العثماني الملقب في أول الأمر

<sup>168</sup> أصله من مطالة كان نائب ملك صقلية، قتل بالقرب من مدينة نابولي سنة 1528م. ينظر: عبد القادر، فكاير، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 10هـ/16م، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016م.

<sup>169</sup> عزيز سامح أتر، المرجع السابق، ص 76.

<sup>170</sup> -Haèdo, op.cit, p.37.

<sup>171</sup> عائشة، غطاس، وآخرون، المرجع السابق، ص ص 25-26.

<sup>172</sup> جمال، قنان، المرجع السابق، ص 27. وينظر: عائشة، غطاس، المرجع السابق، ص 27.

بالبايلرباي وقد عرف الحكم العثماني في الجزائر عدة تطورات سياسية وعسكرية، اقتصادية، اجتماعية... الخ.

### 1- الأوضاع السياسية:

تميزت الحياة السياسية في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر، بعدم الاستقرار وتوالي عدة أنماط من الحكم على السلطة، ويرجع هذا إلى طبيعة الوجود التركي في الجزائر، فسياسة الأتراك اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان الخاضعة، مما يجعل الحكم التركي ظاهرياً أكثر منه حقيقياً، أما في المناطق النائية فكان مجال تدخل السلطة المركزية يتضاءل نسبياً<sup>173</sup>.

كان حكام الجزائر بعيدون عن فكرة التمرد عن إرادة السلطان العثماني الذي كانوا يعتبرونه المرجع السياسي والروحي الذي يبارك أعمالهم ويرفع من مكانتهم في نظر السكان المحليين، لكن التحول الذي حدث في طبيعة العلاقات العثمانية- الأوروبية في نهاية القرن السادس عشر، واختلال موازين القوى لصالح الأوروبيين كانت وراء ازدياد الضعف العثماني<sup>174</sup>.

وقد نتج عن هذا التطور أن ضعفت الروابط بين نيابة الجزائر والسلطة العثمانية، حتى أصبحت الجزائر شبه جمهورية عسكرية<sup>175</sup>، وحسب تعبير نور الدين عبد القادر فإن إيالة الجزائر "لا يربطها بالدولة العثمانية سوى رباط ديني ووازع أدبي"<sup>176</sup>.

ومما زاد في استقلالية الجزائر وحكامها عن الدولة العثمانية، أن أصبح الدايات يعتبرون أنفسهم كخلفاء للباب العالي فقط بعد أن كانوا تابعين له، ووصلت بهم الجرأة أن يقوموا بالاتصال بالدول الأوروبية دون اعتبار لمصلحة السلطة<sup>177</sup>.

<sup>173</sup> محمد خير، فارس، المرجع السابق، ص 54.

<sup>174</sup> حول المعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية وانعكاساتها على مصير السلطة، ينظر:

- عبد الكريم، رافق، العرب والعثمانيون (1516-1916م)، مطبعة ألف باء، دمشق، 1974م، ص 117-119.

<sup>175</sup> - Filippo, Pananti, Relation d'un séjour à Alger, contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, Traduit de l'anglais, par: M.r Blanquiere, le normant, Paris, 1820, p.411.

<sup>176</sup> نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 86.

ويتضح لنا مدى استقلال الكيان الجزائري عن الدولة العثمانية، من خلال إلغاء منصب الباشا الذي فرضه السلاطين على الدايات، سنة 1711م، "عندما منع الداوي علي شاوش<sup>178</sup>، إبراهيم باشا (1656-1659م)<sup>179</sup>، مبعوث الباب العالي من دخول الجزائر بحجة تسببه في إثارة القلاقل"<sup>180</sup>. وقد تجسدت هذه الاستقلالية في نجاح علي شاوش الحصول على لقب الباشا من السلطان بفضل الهدايا وسياسة الأمر الواقع<sup>181</sup>. وانحصرت مظاهر تبعية الجزائر للدولة العثمانية في تبادل الهدايا وتوجيه الرسائل التي تصبغ على السلطان ألقاب: السيد، الرئيس، وولي نعمة الجزائر<sup>182</sup>.

وبفعل هذه الأحداث والتغيرات، شهدت الحكومة التركية بالجزائر أربعة أشكال من الأنظمة السياسية، انفرد كل واحد منها بمواصفات بسبب الوضع الدولي للإيالة الجزائرية.

### -1-1- مرحلة البايلربايات (1518-1588م):

بدأت هذه المرحلة باعتلاء بابا عروج حكم الجزائر سنة 1518م، وبعد استشهاده خلفه أخوه خير الدين بربروس، الذي تمّ في عهده ربط الجزائر بالدولة العثمانية وتعيينه بايلرباي عليها سنة 1519م<sup>183</sup>، وقد خضعت الجزائر لسلطته التي امتدت من منطقة الجزائر حتى الحدود المصرية حيث ضمت ولاية تونس<sup>184</sup> التي كانت تخضع لحكم الحفصيين، لكن خير الدين بربروس استطاع أن يخضعها

Serres, (J) La politique Turque en Afrique du Nord sous la monarchie de  
Juillet, Goutheser, Paris, 1925, pp.9-10.

177

<sup>178</sup> علي شاوش: (1710-1718م) داي الجزائر أوائل القرن الثامن عشر بعد إعدام الداوي إبراهيم المدعو بالمنجون عاش عدة مؤتمرات ضد حياته، أجبر السلطان على تعيينه باشا، أخذ الفتنة وأسقط الرؤوس المهيجّة، وفي عهد استقلت الجزائر فعليا عن الدولة العثماني، وحدث زلزال في مدينة الجزائر. كان على خلاف مع العلماء ورجال الدين الذين نسبوا إلى سياسته ابتلائهم بالمرض والطاعون، مات على فراشه ولم يقتل ينظر: أحمد توفيق، المدني، محمد بن عثمان باشا...، المرجع السابق، ص ص 67-68.

- جون. ب، وولف، المرجع السابق، ص ص 382-386.

<sup>179</sup> إبراهيم باشا: في أواخر عهده قامت ضده ثورة عارمة تزعمها رياس البحر من جهة وجنود الإنكشارية من جهة أخرى، وبذلك تمّ إلغاء النظام القائم ووضع نظام جديد مكانه. ينظر: يحيى، بوعزيز، المرجع السابق، ص 42.

Serres, (J), op.cit, p.194.

180

<sup>181</sup> وللإطلاع أكثر على موضوع استقلالية الجزائر عن حكومة الباب العالي، وتغيير المناصب، ينظر:

- Ernest, Watbled, "Pachas- Pachas- Deys", in, R.A, N°17, 1873, pp.438- 443.

Erkument, Kuran, " la lettre du dernier Dey d'Alger au grand-vizir de l'Empire

182

Ottoman", in, R.A, N°96, 1952, pp.188 -195.

<sup>183</sup> أحمد، السليمانى، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ط1، دار الكتاب، الجزائر، 1993م، ص 10.

<sup>184</sup> المرجع نفسه، ص 11.

سنة 1534م وأعلن نهاية الحكم الحفصي عليها بعدما فرّ منها السلطان الحفصي مولاي الحسن<sup>185</sup>، وضمت له المدن الساحلية<sup>186</sup>، وكان ذلك بسبب رغبة خير الدين في توحيد بلاد المغرب تحت حكم الدولة العثمانية، استطاع من خلالها أن يعزز مكانته ويزيد من ثقة أهالي الجزائر الذين ناصروه ووقفوا معه، وظهر ذلك جلياً في مساندتهم له في التصدي للحملة الإسبانية على مدينة الجزائر والتي قادها هيغو دي مونكادا وانتهت بهزيمة كارثية للإسبان حيث تحطمت لهم 26 سفينة بالإضافة إلى تكبدتهم خسائر بشرية بالآلاف<sup>187</sup>.

لقد أدت انتصارات خير الدين ببروسا المتتالية وتنامي شهرته الكبيرة بين الأهالي التي تزداد مع تحقيقه انتصار تلوى الآخر وتصديه لأعدى القوي والحملات العسكرية المسيحية، وتحقيقه نجاح كبير لم يسبقه أحد من الحكام من قبل، كل هذا أدى إلى تأجيج غيرة الحكام والزعماء من الداخل والخارج الذين يرقبونه وأصبحوا يحكيون له المؤامرات والدسائس ويكيدون له، ويهددون عرشه خاصة المقربين مهن ممن يحيطون به من أتباعه، ويقول ابن أبي الضياف<sup>188</sup> في ذلك: "... فركب متن الفساد والفتنة بين نواب خير الدين..."، وكان ضمن هؤلاء حاكم تلمسان في الجزائر الذي تحالف مع حاكم تونس الحفصي ضد خير الدين ووحدا جهودهما من أجل استقطاب عاملي خير الدين وهما: أبو العباس أحمد ابن القاضي ومحمد بن علي<sup>189</sup> واستطاعوا أن يشعلوا الفتنة في مدينة الجزائر أدت بخير الدين إلى مغادرتها باتجاه مدينة جيجل حيث استقر بها خمس سنوات (1520-1525م)، استغلها في إعادة بناء أسطوله ومهاجمة السواحل الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وقد تمكن من فتح القل سنة 1521م، ومدينة عنابة وقسنطينة سنة 1522م.

<sup>185</sup> هو أبو عبد الله الحسن وهو الابن الأصغر للسلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المتوكل، ويلقب بمولاي الحسن تولى الحكم في تونس ما بين عامي 1526 و 1543م. طرد خلالها عام 1531م من قبل خير الدين بربروس فاستنجد بكارلوس الخامس الملك الإسباني أرسل أسطولا دحر به الأتراك العثمانيين واستولى على تونس عام 1535م وفرض عليها الحماية الإسبانية، وأعيد مولاي الحسن إلى سدة الحكم، وبقي به إلى أن عزله ابنه الأكبر أبو العباس أحمد عام 1543م، ومات خلال حصار المهديّة عام 1550م.

<sup>186</sup> روبرار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تعر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 16.

<sup>187</sup> مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 36-37.

<sup>188</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص 11.

<sup>189</sup> مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص 44.

بعد هذه الأعمال الكبيرة التي قام بها خير الدين بربروس عزم على العودة إلى مدينة الجزائر، فاستغل حالة الفوضى والاضطراب التي تعيشها المدينة، بسبب نقمة الأهالي على ابن القاضي، فاتجه بقواته إلى منطقة متيجة حيث خاض معارك طاحنة ضد ابن القاضي، وتمكن من الانتصار عليه ودخل مدينة الجزائر سنة 1525م وسط ابتهاج وفرحة الأهالي الذين استقبلوه استقبال الأبطال، واستكمل حملاته إلى تلمسان حيث استرجعها بعد انتصاره على حاكمها مولاي عبد الله<sup>190</sup>، وبهذا استطاع أن يؤمن الجبهة الداخلية ولم يتبق له سوى مدينة بجاية وقلعة البنيون التي تسيطر عليها إسبانيا، فكانت خطوته التالية هي تحرير بجاية والاستيلاء على قلعة البنيون التي تمثل إهانة كبيرة للجزائريين، وفعلا استطاع خير الدين أن يستولي عليها ويطرده إسبانيا منها وكان ذلك سنة 1529م، وقام بتحويلها إلى ميناء بحري لحماية السفن الجزائرية الراسية على السواحل الجزائرية من العواصف والرياح الشمالية الغربية<sup>191</sup>.

لقد نجح خير الدين بربروس بفضل كفاءته في القيادة وخبرته وبمساعدة السلطان العثماني ودعم أهالي مدينة الجزائر في تأسيس رابطة قوية بين الجزائر واسطنبول، الجزائر التي كان لها دور فعال في تثبيت الوجود العثماني ليس في سواحل شمال إفريقيا من تونس إلى المغرب الأقصى فقط بل في كامل البحر الأبيض المتوسط باعتبارها القاعدة التي انطلق منها خير الدين بربروس في توجيه ضربات موجعة للإسبانيا في البحر الأبيض المتوسط وصولاً إلى معاقلهم في شبه الجزيرة الأيبيرية وساهم بشكل كبير في إجلاء العديد من المسلمين الفارين من الأندلس<sup>192</sup>، لكنه لم يسلم من التهديدات والأخطار التي كانت تحيط بالجزائر من كل جهة انطلاقاً من الحفصيين في تونس والزيانيين في تلمسان<sup>193</sup>، وأخيراً السعديين في المغرب الأقصى رغم تمكنه من إخضاع هذه الأخيرة، حيث تمكن العثمانيون بزعامه خير الدين من ضم مدينة فاس والاستيلاء على ممتلكاتها بين سنوات (1554-1576م) قبل أن تنفصل عنهم<sup>194</sup>.

<sup>190</sup> Mouloud, Gaide, L'Algérie sous les Turques, Alger, niaisons aunisienne de l'édition et de diffusion, 1974, pp.50-51.

<sup>191</sup> أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص ص 213-215.

<sup>192</sup> عبد الحفي، رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث، ط1، مكتبة الطالب الجامعي، مصر، 1988م، ص 311.

<sup>193</sup> محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، التنسي، نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 45.

<sup>194</sup> الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 295.

وبعد كل هذه الأعمال الخالدة والبطولية التي قام بها خير الدين في ربط الجزائر بالخلافة العثمانية وتدعيم الوجود العثماني في شمال إفريقيا تمّ استدعاؤه إلى الأستانة حيث قرّر السلطان العثماني سليمان القانوني (1495-1566م)<sup>195</sup>، منحه لقب قبودان باشا (Kaptan Pasa)<sup>196</sup> أي وزيراً للبحرية وذلك لكي تبقى علاقته بالجزائر قوية وتكون سلطته كبيرة ومتواصلة في دعم النظام في الجزائر ليتحقق له هدف تقوية الدولة لاستعادة الأندلس<sup>197</sup>.

وقد جمع معظم البايكليات بين وظيفة البايكليات ومنصب قبطان باشا، والسبب في ذلك أن البحر كان طريق الاتصال الوحيد بين اسطنبول وشمال إفريقيا، وكان قبطان باشا هو الذي يتولى أمر الاتصال بين السلطان ونيابات الجزائر وتونس، وطرابلس. وكانت سيطرت البايكليات على القوتين العسكريتين الأساسيتين في الجزائر: الإنكشارية (القوات البرية) وطائفة الرياس<sup>198</sup> (القوات البحرية) قوية.

استمر خلفاء خير الدين من البايكليات الذين حكموا بعده بداية بأولهم وهو حسن آغا الطوشي<sup>199</sup> منذ سنة 1533م حتى آخر بايكليات وهو العلي<sup>200</sup> سنة 1587م في توطيد السلطة

<sup>195</sup> سليمان القانوني (1495-1566م)، أحد أشهر السلاطين العثمانيين، حكم لفترة 46 عاماً؛ منذ عام 1520م، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حكم بين السلاطين العثمانيين. زادت مساحة الدولة العثمانية بأكثر من الضعف خلال فترة حكمه، حيث فتح شمال إفريقيا، وفي أوروبا قضى على دولة المجر. ينظر: فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 251.

<sup>196</sup> قبودان باشا: ويسمى قبطان دريا (Kaptan- Derya) أو قبطان باشا أميرال البحرية الكبير ورئيس الأسطول العثماني، وهو أعلى رتبة عسكرية في البحرية العثمانية، يقابلها في الوقت الراهن رئيس القوات البحرية أو أميرال البحر. ينظر: سهيل، صابان، المرجع السابق، ص 177.

<sup>197</sup> عزيز سامح، أتر، المرجع السابق، ص 73.

<sup>198</sup> الرياس: لم تكن هذه الطائفة خاضعة خضوعاً تاماً للنظام الإداري، بل كان لها حكم خاص فهي بمثابة النقابة، وكانت تتمتع بمحبة تامة واحترام كبير لدى السكان لأنها تعمل على حماية البلاد من الغزوات. ينظر: محمد بن ميمون، الجزائري، المصدر السابق، ص 42.

<sup>199</sup> عينه خير الدين بربروس في هذا المنصب كخليفة له في الجزائر، ولد في جزيرة سردينيا، عرف بالعدل والإنصاف والعزم والشجاعة وحسن تسيير شؤون الدولة. من أهم أعماله التصدي بنجاح للحملة الكبيرة التي قادها شارلكان عام 1541م. ينظر: عمار، عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، (د،ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2013م، ج2، ص 101.

<sup>200</sup> علي (1568-1587م) ولد في كلابريا في قرية ليكاتيلي على الساحل في جنوب إيطاليا من عائلة صيادين، اختطف سنة 1520م على يد خير الدين، عمل بالمجاديف مدة 14 سنة وعند بلوغه 34 سنة اعتنق الإسلام، شجاعته وإقدامه قربته من خير الدين، خلف درغوث خلال حصار مالطا 1565م، عين بايكليات إفريقيا سنة 1568م، هذا اللقب الذي أضفاه عليه السلطان سليم الثاني. انتزع تونس من الإسبان سنة 1569م، شارك بالأسطول الجزائري في معركة ليبانت 1571م تولى قيادة الأسطول العثماني من 1571-1577م احتفظ بمنصب البايكليات حتى وفاته في 27 جوان 1578م. أعاد بناء الأسطول مباشرة بعد هزيمة ليبانت لقب "قلج" (Kilidj)، أي السيف اثر تلك المعركة، حرر حلق الوادي وتونس عام 1574م. من أهم مشاريعه توحيد بلاد المغرب في دولة قوية

العثمانية في الجزائر، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك حيث استطاعوا أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة الجزائرية، والتي امتد نفوذها وسيطرتها إلى مختلف الجهات الشرقية والغربية وصولاً إلى الواحات في الصحراء الكبرى الجزائرية، حيث يعتبر صالح رايس<sup>201</sup> (1552- 1556م) من أهم البايبرايات العثمانيين الذين كان لهم دور كبير في تحقيق هذه الوحدة<sup>202</sup>، حيث وصلت فتوحاته وتوسعاته تخوم الصحراء الحالية<sup>203</sup>. كما قام البايبراي حسن باشا بن خير الدين<sup>204</sup> بتقسيم البلاد إلى أربعة بايلكات (عمالات) وذلك لتوطيد السلطة التركية في الجزائر وجعل على كل بايلك حاكم - لقبه (الباي) - وعاصمة خاصة به.

يعتبر عهد البايبرايات عهداً فعلياً يُعبر على الوجود العثماني في الجزائر ومدى قوة العلاقات العثمانية الجزائرية، حيث فرض العثمانيون سلطتهم الفعلية في الجزائر وقاموا بتوحيد البلاد الجزائرية التي

---

واسترجاع الأندلس، كما أنه صاحب فكرة فتح قناة الربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر وقد حاول إقناع السلطان بجدوى والفائدة المرجوة منه. ينظر:

- Belhamissi, (M), Histoire de la marine Algérienne (1516- 1830), 1<sup>er</sup> Ed, ENAL, Alger, 1982, pp.83- 84.

- المنور، مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: القرصنة الأساطير والواقع، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009م، ص ص 137-140. وللإطلاع أكثر على العليج علي راجع: محمد، سي يوسف، أمير أمراء الجزائر علي باشا، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.

<sup>201</sup> صالح رايس (1552- 1562م)، أصله عربي من مواليد الإسكندرية في مصر، تربى منذ صغره بين الأتراك، كان ذلك أثناء الحملة على مصر في عهد السلطان سليم حين قدمهم إلى مصر وقد رافق البحار خير الدين في رحلاته البحرية. ومن أهم أعماله أنه ساهم في إنقاذ بقايا المسلمين في الأندلس وقد تولى منصب حاكم الجزائر في عام 1552م فأتم فتح بجاية سنة 1555م وقضى على التمردات في المغرب الأقصى وفتح فاس في عام 1554م، وقضى على بقية الزيانيين حيث قام بتوسعات كبيرة وصلت إلى الصحراء الكبرى، وقد توفي عن عمر يناهز 70 عاماً بسبب الطاعون الذي اجتاح مدينة الجزائر سنة 1556م. ينظر: شارل أندري، جوليان، المرجع السابق، ج2، ص 343.

- خليل، الساحلي، تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552م، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جويلية، 1974م، ص 127.

<sup>202</sup> يحيى، بوعزيز، المرجع السابق، ص 266.

<sup>203</sup> أحمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص 337.

<sup>204</sup> حسن باشا: هو ابن خير الدين بربروس من امرأة جزائرية، أي أنه كرغلي، امتاز بحسن السيرة مع الأهالي وحسن التصرف في إدارة الدولة داخلياً وخارجياً. عين بادئ الأمر ككاتب لوالده في الجزائر عام 1544م، ثم رقي إلى منصب بكليك (بايبراي) بعد وفاة والده عام 1546م، وكلف بين عامي (1546- 1567م) ثلاث مرات بهذا المنصب، توفي سنة 1570م بإسطنبول بعدما عين بيبراي للجزائر ثلاثة مرات. ينظر: محمد خير، فارس، المرجع السابق، ص ص 38- 39.

- الزياتي، المصدر السابق، ص 241. وينظر أيضاً: عبد الرحمان، الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص 84 - 86.

كانت تتقاسمها الممالك والإمارات الحفصية والزيانية وتسيطر على سواحلها القوة الإسبانية المسيحية، وقد تم ربط الجزائر باسطنبول، الجزائر التي أصبحت حاضرة شمال إفريقيا كلها<sup>205</sup>، كما امتاز هذا العهد بوجود نظام حكم وهيكل سياسي إداري يتكون من أعلى سلطة في البلاد وهو البايبراي والباشوات ويتدرج إلى مختلف الإداريين من القياد والبايات الذين يشرفون على مختلف الدواوين والوحدات القبلية، إضافة إلى عدد من المساعدين والأعوان يسهرون على تطبيق القانون والحفاظ على سير النظام ومنهم مثلاً الأدميرال<sup>206</sup> من الرياس وآغا<sup>207</sup> من الإنكشارية وآغا من الجنود وكذلك الكتبة والمترجمين<sup>208</sup>.

تشير بعض الدراسات على أن البايبرايات تمكنوا من أن يجدوا لأنفسهم قاعدة شعبية تساعدهم في مهامهم السياسية والعسكرية مما أفضى على عهدهم نوعاً من الاستقرار والهدوء. فقد كان لتمسكهم بمبدأ تحرير البلاد من بقايا الاحتلال الإسباني قاعدة أساسية، أكسبهم هالة من الاحترام والتقدير في نظر السكان، ومحاولتهم التقرب من رجال الصوفية وكسب ولائهم من خلال منحهم الكثير من الامتيازات وهذا بغرض استمالة نفوذهم الروحي، ونظراً للشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها شيوخ الزوايا<sup>209</sup>.

لقد كان البايبرايات ومن أشهرهم خير الدين بربوسا وصالح راييس والعلي علي ذو صلات قوية مع الباب العالي بحيث تربطهم به علاقات متينة وهو ما جعلهم يطبقون أوامره، مما ساعدهم في البقاء في الحكم لأطول مدة ممكنة وازداد أيضاً نفوذهم ليصل إلى تونس وطرابلس، ولكن هذه السلطة والنفوذ لم يستمر طويلاً بسبب حدوث اضطرابات داخل السلطة في الجزائر خاصة في عهد العلي علي (1568-1587م)<sup>210</sup> الذي اضطر للتنحي عن السلطة بعد استدعائه من طرف الأستانة لتولي مهام أخرى،

<sup>205</sup> سامح عزيز، أتر، المرجع السابق، ص ص 253-255.

<sup>206</sup> الأدميرال أو الأميرال أو فريق أول، مشتقة من العربية (أمير البحر) قائد الأسطول، وهي رتبة عسكرية تمنح لأعلى الضباط البحريين ويكون الأدميرال هو القائد المركزي في الأسطول.

<sup>207</sup> آغا: كلمة فارسية أصلها "آقا"، وهي بمعنى الأب أو العم أو الأخ الكبير أو السيد الأمر، استعملها الأتراك لدلالات كثيرة، أهمها آغا الإنكشارية وهو بمثابة قائد الجيش، وأيضاً تدل على موظفي الدولة الذين لا يحتاج عملهم للقراءة والكتابة. ومنها أيضاً صاحب المنصب الكبير ينظر: فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 177.

وينظر أيضاً: سهيل، صابان، المرجع السابق، ص ص 15-16.

- مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 11.

<sup>208</sup> جون، ب وولف، المرجع السابق، ص 118.

<sup>209</sup> - Marcel, Boudin, "Notes et question sur Ahmed ben Yousef", in, R.A, N°66, 1925, pp.181- 182.

<sup>210</sup> شارل أندري، جوليان، المرجع السابق، ص 296.

وقد قام السلطان العثماني بتعيين حسن الفينزيانو (البندقي)<sup>211</sup> خلفاً له على رأس الحكم في الجزائر، وقد أثارت سياسة الفينزيانو في تسيير شؤون البلاد سخط الأهالي وحتى رياس البحر الذين طالبوا السلطان العثماني بتنحيته من السلطة<sup>212</sup>، وقد استجاب السلطان لذلك وقام بعزل حسن البندقي عن حكم الجزائر وقام بتعيينه قبطان باشا سنة 1586م وقام كذلك بإلغاء لقب البايبراي نهائياً عن حكام الجزائر بعد وفاة العلي سنة 1587م<sup>213</sup> لعدة أسباب منها: تعدد مراكز القرار بالنسبة لطريقة إدارة وإشراف الدولة العثمانية لشؤون السلطة والحكم في إيالة الجزائر والمغرب، وبنهاية عهد البايبرايات قلت نوعاً ما حركة التوسعات البحرية وخضعت الجزائر بعدها لسلطة السلطان العثماني مباشرة خاصة مع تغيير نظام الحكم حيث تحول لقب حاكم الجزائر إلى باشا، وحولت الولايات الثلاث (الجزائر وتونس وطرابلس الغرب) إلى نيابات يديرها باشا يعين لمدة ثلاث سنوات<sup>214</sup>.

## 1-2- مرحلة الباشاوات<sup>215</sup> (1587-1659م):

بدأت هذه المرحلة بعد وفاة علي في شهر جوان 1587م، حيث قرر السلطان مراد الثالث<sup>216</sup> إلغاء نظام البايبرايات واستبداله بنظام الباشاوات. غيرت خلالها الدولة العثمانية نظام الحكم

<sup>211</sup> حسن الفينزيانو: أصبح بيلرباي على الجزائر في عام 1577م، أصوله إيطالية، احترف الكتابة في البندقية، ومنه جاءت تسمية "فينزيانو"، أسر من طرف "درغوث باشا" ثم أصبح عبداً لدى "علي" دخل الإسلام وكان ينسب للعلي، فيقال له: ابن القبطان علي، عرف بقوته وحزمه، وعقد في عهده معاهدة مع الإنجليز عام 1579م، كما وقع في عهده هجوماً على بلنسية سنة 1584م، وأنقذ من الموريسكيين 2300 موريسكي، وأستدعي مرة أخرى لاسطنبول، وأصبح قيوطان خلفاً للعلي. ينظر: عبد الرحمن، الجليلي، المرجع السابق، ج3، ص 201.

Haedo, Op.cit, pp.7- 8.

<sup>213</sup> أصدر السلطان العثماني مراد الثالث في سنة 1587م بعد موت علي فرماناً يلغي التسمية المتمثلة في البايبرايات، بالرغم من أن المراسلات العثمانية استمرت تذكر بايبرايات الجزائر حتى القرن 19م. وقد عوض الفرمان ذلك بمنصب الباشا كمنصب رسمي أعلى للجزائر.

<sup>214</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص ص 52- 55.

<sup>215</sup> الباشا: بمعنى "الرأس" باللغة التركية، من ألقاب التشريف التي شاع استعمالها في العهد العثماني، منح في البداية لكبار ضباط الجيش والبحرية، ثم أطلق على الوزراء والولاة، ومع توسع أعمال الدولة العثمانية، أصبح يمنح أيضاً لكبار أعيان ورجال الدولة من غير الوزراء، ألغى مع انهيار الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية سنة 1923م. ينظر: مصطفى، عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 65. - وينظر أيضاً: سهيل، صابان، المرجع السابق، ص ص 52- 53.

<sup>216</sup> مراد الثالث: ولد باسطنبول في 5 جمادى الأولى سنة 953هـ/ 4 جويلية سنة 1546م، وتوفي في 8 جمادى الأولى سنة 1003هـ/ 19 جانفي 1595م، تولى الحكم بعد وفاة والده سليم الثاني، دام حكمه إحدى وعشرين سنة. في عهده وضعت الحماية على بولونيا ودخل الجيش العثماني مدينة تيريز للمرة الرابعة. ينظر: فريد بك، المحامي، المصدر السابق، ص ص 259، 266.

في الجزائر من البايلربايات إلى نظام الباشاوات حيث أصبح يطلق على حاكم الجزائر العثماني لقب الباشا والذي يتم تعيينه من الباب العالي مباشرة، وقد حددت فترة حكم الباشا إلى ثلاث سنوات فقط، وذلك خوفاً من أن تطول مدة حكمه فيسيطر على شؤون البلاد<sup>217</sup>، ولقد تمّ اللجوء إلى هذا النظام الجديد بسبب الصراع الدائم بين طائفة رياس البحر وطائفة الإنكشارية<sup>218</sup>، ولكن يبدو أن هذا النظام الجديد لم يكن ليوطد العلاقات الجزائرية العثمانية حيث أدى إلى نتائج سلبية خاصة وأن الباشوات قد ساهموا في ذلك بشكل كبير من خلال سياستهم في الحكم التي أدت إلى إضعاف سلطة الدولة العثمانية في الجزائر بسبب أن الباشوات قد انشغلوا بجمع الثروات والأموال وتقديم الرشوة لإطالة مدة حكمهم القصيرة، على حساب مهامهم في تدعيم السلطة العثمانية في الجزائر وتطبيق أوامر السلطان العثماني داخل الأيالة<sup>219</sup>.

وعليه لم يكن للبشوات القادمون للإيالة أساساً أو سند محلي بين القوى التي كانت تسيطر على أوضاع الجزائر، فكان همهم الوحيد جمع الأموال؛ وكان لهذا الشعور دور في خلق الانفصال بينهم وبين الرعية، وهذا ما يفرقهم عن البايلربايات الذين كانوا زعماء للجهاد، بينما هم مجرد موظفين ترسلهم اسطنبول لخدمة السلطان العثماني في الجزائر.

لقد قلص نظام حكم الباشوات في الجزائر من سلطة رياس البحر من جهة؛ حيث أصبح دورهم ثانوي في الحكم داخل الإيالة وزاد من جهة أخرى في سلطة الإنكشارية. وهو ما أدى إلى شعور الباب العالي بالقلق وخشيته من انفصال إيالة الجزائر عن مركز الخلافة العثمانية في اسطنبول، ودعم هذا الشعور كثرة الاضطرابات وانتشار الفوضى واندلاع الثورات وسخط ضد الباشوات من طرف الأهالي والعلماء الذين تضرروا من سياسة الباشوات في الحكم، وطغيان طائفة الإنكشارية، وكذلك الضباط العسكريين (الأوجاق)<sup>220</sup>، الذين كان لهم نفوذ كبير في السلطة السياسية للبشوات في الجزائر بعدما قاموا بإنهاك

<sup>217</sup> أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 12.

<sup>218</sup> وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 63.

<sup>219</sup> جون، ب وولف، المصدر السابق، ص ص 92-93.

<sup>220</sup> الأوجاق: هم كبار الضباط العسكريين الأتراك في الجيش الإنكشاري، أو على الصنف من الجند، كالسباهية، التي تعمل في الجيش الجزائري وقد كان لهم دور كبير في الديوان والسلطة السياسية خلال العهد العثماني. ينظر: أحمد، السليماني، المرجع السابق، ص 13.

- سهيل، صابان، المرجع السابق، ص 42.

السكان بالضرائب، وأبرز هذه الثورات ثورة الكراغلة<sup>221</sup> 1633م<sup>222</sup>. وقد تراجعت أيضا العمليات العسكرية والجهاد البحري ضد النصارى.

لقد تعاقب على حكم الجزائر من الباشوات ثلاثة وأربعون باشا خلال اثنان وسبعون سنة (1587-1659م)، وهو ما يبين لنا حالة عدم الاستقرار التي ميزت حكمهم في الجزائر<sup>223</sup>، وقد كانوا أجنب من أصول أناضولية<sup>224</sup> ويونانية وهو ما أدى إلى عجزهم في كثير من الأحيان في فرض سلطتهم على البلاد وعدم قدرتهم على قيادة أهلها على أحسن وجه مثلما كان رياس البحر الذين حكموا قبلهم، ويعتبر رابط الديانة الإسلامية هو العامل المشترك بينهم وبين أهالي الجزائر<sup>225</sup>، هذا الرابط وبالرغم من أهميته إلا أنه لم يمنع من اتساع الهوة بين المجتمع الجزائري والسلطة العثمانية الحاكمة بسبب انعدام عنصر الثقة<sup>226</sup>.

وكان هناك من الباشوات من تجدد تعيينهم لأكثر من مرة، وتعرض الكثير منهم للعزل والسجن على يد الأوجاق وكان عهد معظمهم قصيراً، فقد استمر حكم يوسف باشا<sup>227</sup> سنة 1640م أربعين يوماً ثم عزل وسجن سنة 1642م بسبب تأخره عن دفع رواتب الجند ثم عاد للمرة الثالثة سنة

<sup>221</sup> الكراغلة: تكونت هذه الشريحة نتيجة زواج الأتراك بالجزائريات، وقد ساءت العلاقة بين الأبناء والآباء، وتم إبعادهم عن المناصب الحكومية المهمة في الجيش والإدارة، كما عملت السلطات على منعهم من دخول الديوان أو في الأوجاق، وتم حصر مهامهم في النشاط البحري. ما أدى إلى قيام الكراغلة بعدة ثورات ضد الإنكشارية. ينظر: عقيل، لطف الله نمير، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة دمشق، دمشق، 2008م، ص 49.

- عميرواي، أمحيدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، (د،ط)، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص 66.

<sup>222</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 284.

<sup>223</sup> وليم، سينسر، المرجع السابق، ص 64.

<sup>224</sup> الأناضول: شبه الجزيرة المستطيلة التي تتكون من 755688 متر مربع، على امتداد الغرب من قارة آسيا. وهي تشكل 97% من أراضي تركيا في الوقت الحاضر. ويطلق اسم الأناضول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في آسيا. وقد كان سابقاً يشمل المنطقة التي تعرف بآسيا الصغرى من قبل إطلاق اسم الأناضول عليها. ينظر: سهيل، صابان، المرجع السابق، ص 39.

<sup>225</sup> أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 13.

<sup>226</sup> مبارك، الملي، المرجع السابق، ج3، ص 173.

<sup>227</sup> يوسف باشا (1604-1646م)، كان وزيراً وأميراً عثمانياً (القبطان باشا للأسطول العثماني). ولد في دالماسيا، واشتهر لنجاحه في الاستيلاء على خانبة الواقعة في غربي جزيرة كريت عام 1645م إبان حرب كريت. عاد يوسف باشا إلى اسطنبول في العام نفسه، وتزوج من ابنة السلطان إبراهيم الأول، هذا الأخير الذي أعدهم بعد ذلك بعام واحد أي 1646م بتحريض من خصوم يوسف باشا السياسيين.

1647م، وبين 1655-1659م تعاقب على الحكم أكثر من مرة كل من أحمد باشا<sup>228</sup> وإبراهيم باشا وكانت هذه الفترة مليئة بالاضطراب مما دفع الأوجاق إلى إنهاء حكم الباشوات<sup>229</sup>.

كان باشوات الجزائر مثل غيرهم من الباشوات العثمانيين يشترطون مناصبهم بالمال، ولهذا كان مهمهم الوحيد جمع الثروة. وكانت واجبات الباشا والتزاماته تسمح له بأن يقوم بعمليات النهب، فمهمته الأساسية جمع الضرائب التي تسمح له بدفع رواتب الجند وتجهيزهم، وهي النفقة الإلزامية الوحيدة، وقد استغل الباشوات هذه الوظيفة المالية كما استغلها أعوانهم، فكانوا يتلاعبون أو يتأخرون في دفع رواتب الجند، وكان الباشوات قد أرهقوا سكان الجزائر بجشعهم ونهبهم، ولعل هذا كان بسبب تجريدهم من كل سلطة وهذا عام 1659م<sup>230</sup>.

كل هذه العوامل أدت في الأخير إلى سقوط نظام الباشوات، ففي سنة 1659م حدث تمرد خطير ضد إبراهيم باشا قاده رجال الإنكشارية الذين القوا عليه القبض ووضعوه في السجن بسبب تأخر الجزية وأعلن حينها البوكباشي خليل<sup>231</sup> نهاية نظام الباشوات، وقام بتعيين آغا الإنكشارية لإدارة شؤون البلاد، فاستولت بعد ذلك الإنكشارية على السلطة في إيالة الجزائر، وأصبح البوكباشي خليل أول آغا في عهد جديد ونظام آخر هو نظام الآغوات<sup>233</sup>.

### 1-3- مرحلة الآغوات (1659-1671م):

<sup>228</sup> أحمد باشا (1805-1808م): بدأ أحمد خوجة يسعى منذ الأشهر الأولى لقيام حكومته إلى كسر شوكة الأتراك وتنظيم شؤون البلاد، اتبع في ذلك الأسلوب التركي المعروف. ينظر: أبو العيود، دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، (د،ط)، م،و، ك، الجزائر، (د،ت)، ص ص 46-47.

De Grammont, op.cit, pp.135-147.

<sup>230</sup> كان أول الباشوات الداوي أحمد (1587-1584م) وآخرهم إبراهيم باشا (1656-1659م).

<sup>231</sup> هو أول الآغوات الذين انتصبوا على رأس الحكومة الجزائرية في القرن الحادي عشر، حكم ما بين (1659-1660م) كانت فاتحة

أعماله تأسيس الجامع الجديد وبه كان مقر ديوان الإفتاء الحنفي. ينظر: عبد الرحمان، الجيلالي، المرجع السابق، ص 160.

<sup>232</sup> البوكباشي: رتبة عسكرية كان حاملها قائداً لوحدة عسكرية. ينظر: عبد الكريم، الخطيب، المرجع السابق، ص 85.

<sup>233</sup> جون، ب وولف، المرجع السابق، ص 138.

دخلت العلاقات الجزائرية العثمانية مرحلة جديدة، هي مرحلة الأغوات، فبعد أن اعتلى البوكباشي خليل رأس السلطة في الجزائر بعد تمرد الإنكشارية وجد الأغوات أنفسهم في مواجهة الباب العالي، حيث بعد سيطرة الإنكشارية على الحكم في الجزائر بشكل كامل حدثت تطورات عديدة وخطيرة أثرت بشكل كبير على السلطة العثمانية في الإيالة، وقد شملت هذه التطورات مدة حكم الأغا التي لم تعد تتجاوز السنتين على أن ينظر الديوان<sup>234</sup> في شأنه فيما بعد، بالإضافة إلى حصر نفوذه وتحديد مهامه<sup>235</sup>، فقد كان لقب الآغا مجرد لقب فخري وتشريف للحاكم وتفخيم سلطته لا أكثر، بينما كان الحاكم الحقيقي هو الديوان<sup>236</sup>، لذلك فقد كثرت الاغتيالات نتيجة التآمرات والدسائس التي كانت تحاك ضد الحكام، هذا الشيء الذي أثر بشكل كبير على استقرار أوضاع الحكم في الجزائر، وتسبب في ضعف القوة العسكرية الجزائرية نتيجة تعرضها لضربات أوروبية خارجية وثورات داخلية<sup>237</sup>. هذه الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر أدت بالدولة العثمانية إلى منح استقلالية محدودة<sup>238</sup>، كل هذا أدخل البلاد في فوضى عارمة وحالة عدم استقرار داخل بيت الأغوات، فلم يستقر آغا واحد في الحكم أكثر من سنة، بل أشد من ذلك حيث أدت حالة التمرد من الأهالي وحتى الإنكشارية إلى تغيير أكثر من خمسة أغوات خلال سنة 1671م وهو ما أدى في الأخير إلى عودة رياس البحر إلى الواجهة وإمساكهم بزمام السلطة داخل الإيالة من جديد خوفاً من ضياع امتيازاتهم وثوراتهم في البلاد<sup>239</sup>، فقاموا بإلغاء نظام الأغوات وتعيين واحد منهم كحاكم وأعطى لقب "الداي"<sup>240</sup> حيث كان أول داي يحكم من رياس البحر<sup>241</sup> هو الحاج محمد<sup>242</sup>.

<sup>234</sup> من المؤسسات السياسية، وهو بنية مقتبسة من الدولة العثمانية، يمثل عنصر التجديد والتطور أدخله السلاطين العثمانيون في المؤسسات الإسلامية، واعتبر دليل على صددق نوايا السلاطين في خدمة الإسلام بتطبيق مبدأ الشورى الذي نصّ عليه الشرع الإسلامي. ينظر: جمال، قنان، المرجع السابق، ص 290.

<sup>235</sup> أحمد، السليماني، المرجع السابق، ص 14.

<sup>236</sup> مبارك، الملي، المرجع السابق، ص 173.

<sup>237</sup> جون، ب وولف، المرجع السابق، ص 139.

<sup>238</sup> أحمد، السليماني، المرجع السابق، ص 15.

<sup>239</sup> جون، ب وولف، المرجع السابق، ص 140.

<sup>240</sup> الداوي كلمة تركية تعني الحال، ولم تستخدم للدلالة على عمل وظيفي إلا في الجزائر وتونس، وكانت في بادئ الأمر لقباً شرفياً، ثم استخدم لوظيفة عسكرية في الجيش الإنكشاري في الجزائر وتونس، واستعملت بمعنى الحاكم أو الرئيس. ينظر: محمد خير، فارس، المرجع السابق، ص 69.

<sup>241</sup> سامح عزيز، ألتر، المرجع السابق، ص 324.

بعد تطرقنا لأهم المحطات التي تعلقنا بتعلقنا بقدم الأتراك العثمانيين إلى السواحل الجزائرية ورأينا أن الأسباب الدينية الروحية هي الدافع الأول لارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، حيث أصبحت الجزائر أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا؛ هذه الدولة الفتية التي سوف يكون لها دور كبير في العلاقات الدولية في العصر الحديث خاصة مع الدولة العثمانية.

إذن فقد دخلت الجزائر مرحلة جديدة، هذه الفترة تعتبر مهمة للغاية في تبلور العلاقات الجزائرية العثمانية من خلال السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر ووضعها لنظام إداري وسياسي خاص اعتمد عليه الأتراك في رسم الإستراتيجية التي اتبعوها في تعاملهم مع الباب العالي من جهة وتعاملهم مع السكان الجزائريين من جهة أخرى.

### 1-4- مرحلة الدايات (1671-1830م):

يعتبر عهد الدايات آخر عهد للوجود العثماني بالجزائر، وهو أطول العهود على الإطلاق، إذ دام أزيد من قرن ونصف، وهو يمثل نصف مدة هذا الوجود، وانتهى بالاستعمار الفرنسي.

تسلم الدايات السلطة منذ سنة 1671م عندما حلت سلطة زعماء الطائفة محل الأغوات واستمر انتخاب الدايات من قبل الطائفة حتى سنة 1689م، وبعدها استولت طائفة الرياس على السلطة أسندتها لأحد أعضائها وهو الحاج محمد التركي الذي اتخذ لقب "داي"، فهو بذلك أول الدايات، وعهدت إليه بالسلطة التنفيذية وقد استندت في استيلائها على السلطة على شعبيتها وثروتها، ثم على القوات التي كانت تملكها<sup>243</sup>. وكان الدايات الأربع الذين حكموا بين 1671-1689م من زعماء الطائفة، وقد عملوا على تقليص نفوذ الديوان. وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية مما أدى إلى قيام عمليات انتقامية أوروبية. ورغم مظاهر القوة والنفوذ التي اتصفت بها الدايات إلا أنه لم يستطع عمل شيء. وقد وصف الكاتب الإسباني خوان كانو (Juan Cano) الدايات أنه: "... رجل غني لكنه ليس سيد خزينته، أب بدون أطفال، زوج بدون امرأة، طاغية بدون حرية، ملك لعبيد، عبد لأتباعه..."<sup>244</sup>.

<sup>242</sup> الحاج محمد باشا هو أول داي للجزائر وهو من طائفة الرياس، تقلد المنصب في 1671م حتى عام 1682م.

De Grammont, op.cit, pp.220- 226.

<sup>243</sup>

<sup>244</sup> محمد خير، فارس، المرجع السابق، ص 73.

وقد تعززت سلطة الداوي بعد إلغاء منصب الباشا - مبعوث السلطان الشرفي - سنة 1711م، وتدهور نفوذ الديوانين: الديوان الصغير الذي اختفى وحل محله مجلس الموظفين الكبار "مجلس الدولة أو الحكومة"، والديوان الكبير "المجلس العام"، الذي حدد نشاطه في نطاق احتفال شكلي بمناسبة الأعياد الدينية وحفلات توزيع الأجور كل شهرين في قصر الداوي، وهذا ما جعل كوندا مينا ( Konda Mina) يصف الداوي بقوله: "مستبد وليس له حرية، أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة"<sup>245</sup>.

وكان الداوي يُختار من الوجاق من بين ثلاثة موظفين ساميين، هم الخزناجي وأغا العرب وخوجة الخيل. وفي الوثائق الإدارية كان اسمه يُرادف كلمة سيدنا أو أفندي ويدعى عند الخطاب بسلطان الجزائر<sup>246</sup>. ومنذ عهد علي شاوش (1710 - 1717م) أعطى الدايات رتبة الباشا ذي الثلاث شرطات في الجيش العثماني<sup>247</sup>.

إلا أن الجشع المتزايد للإنكشارية فتح الباب على مصراعيه للمؤامرات والثورات الدامية، ولم يعد الدايات قادرين على حماية أنفسهم منهم، بينما كان ممثل السلطان في عهد البايلربايات والباشوات يتمتع من طرف الإنكشارية باحترام ديني، لأنه يعد الممثل لذات السلطات المقدسة؛ فبمجرد أن يعين في منصبه تصبح حياته مصنونة، ولذا فمن بين أكثر من ثلاثين باشا ممن تداولوا على حكم ولاية الجزائر من

<sup>245</sup> Marcel, Emerit, " Le voyage de la condamine à Alger 1731", R.A, N°18, 1954, p.360.

<sup>246</sup> Nahoum, Weissmann, les Janissaires, études l'Organisation militaire des Ottomans, imp, Orient, Paris, 1964, p.69.

<sup>247</sup> إن النزاعات الطائفية القائمة على أساس مصلحي داخل المؤسسة العسكرية، قد جعل حياة الدايات في خطر، حيث أنه ما بين 1671 و 1830م، تولى سبعة وعشرون (27) دايا، عاش من بينهم اثنان وراء المدة المقررة للبقاء في الحكم. وكان معدل سنوات البقاء في الحكم هو ست سنوات.

وأكثر حكام هذه المرحلة فعالية وأطولهم مدة هم:

- الداوي حاصي محمد (1671 - 1681م)

- الداوي بابا إبراهيم (1732 - 1775م)

- الداوي أحمد عثمان (1766 - 1791م)

- الداوي حسين (1818 - 1830م)

وللمزيد من التفاصيل ينظر: وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 75 - 78.

عام 1518 إلى عام 1659م، لم يقتل سوى واحد منهم، وكان ذلك في قضية انتقام شخصي، بينما قتل جميع الأغوات بدون استثناء، كما قتل أكثر من نصف الدايات<sup>248</sup>.

وهكذا أخذت حكومة الولاية في التدهور منذ مطلع القرن الثامن عشر، وظل هذا التدهور يزداد يوماً بعد يوم، وبات واضحاً أن قوة الولاية سوف تنهار يوم أن تتوقف فيه المنافسات بين الدول الأوروبية، لأن العناصر الحربية التي كانت تعتمد عليها الولاية وتؤمن لها مواردها المالية - الجيش والبحرية - كانت أعدادها في هبوط دائم<sup>249</sup>، مما أدى إلى بروز الأزمات واندلاع الثورات من كل جانب، ويقول العتري في ذلك: "... ومن هذا الوقت 1209هـ/ 1794م صار الترك يأخذون الجور، ونبذوا الحقوق المشروطة، وبدا منهم الفجور، وبالجملة، إنه حين مات الباشا الذي اسمه الداوي محمد، ومات صالح باي<sup>250</sup>، تبدلت أحكام الترك، وانقلبت حقائقهم، وصار صغيرهم لا يوقر كبيرهم، وبدأ النقص في ملكهم"<sup>251</sup>.

كل هذا أدى إلى ضعف نظام الحكم وتخلخله، فلم يعد يخضع لضوابط؛ إذ أن الإنكشارية صاروا يستبدون بالدايات، والدايات يستبدون بدورهم بالرعية، فمنذ عام 1798م إلى عام 1818م تعاقب على الحكم ست دايات، كان يوليهم الإنكشارية دون رضاهم، لأنهم يعرفون مصيرهم مسبقاً. وقد انتهت حياتهم بالتمرد عليهم واغتيالهم دون استثناء من طرف الإنكشارية ومثال على ذلك: الداوي مصطفى<sup>252</sup>، والداوي الحاج علي<sup>253</sup> (1809 - 1815م)، الداوي محمد (1815م)، الذي اغتيل في

De Grammont, op.cit, p.227.

248

Ibid, p.220.

249

<sup>250</sup> (1711 - 1792م)، كان منعة للعباد ومصلحة وحصناً للبلاد، أسس المساجد للدايات وأقام مرسى سكيكدة. في عهده تمهدت كل الأوطان. ينظر: صالح، العتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مر، تح: يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 62.

<sup>251</sup> المصدر نفسه ص 27.

<sup>252</sup> (1798 - 1805م)، ولد في أسيا الصغرى، ثم قدم إلى الجزائر أيام شبابه لينضم فيما بعد إلى الميليشيا واقتصر عمله في البداية على كنس الرقاق ثم توسط له أحد أقاربه ما جعله ينتقل إلى العمل في القصر وأخذ يرتقي من منصب إلى آخر حتى أصبح في نهاية الأمر داي على الجزائر. ينظر: أبو العيد، دودو، المرجع السابق، ص 39.

<sup>253</sup> الحاج علي (1809 - 1815م)، كان يعيش في عزلة، وكانت تنقصه التجربة في أعماله، لكنه استطاع تعويض ذلك النقص بذكائه وسلوكه الحذر، لم يخفِ ميله إلى الصرامة والقسوة في معاملة الحضرة واليهود والعبيد. ينظر: أبو العيد، دودو، المرجع السابق، ص 59.

العام نفسه، وأخيراً الداوي عمر (1815-1817م)<sup>254</sup>. أما البايات، فقد أصبحوا دائماً عرضة للعزل والاعتقال، فضلاً عن مصادرة أموالهم، فمنذ تولي الداوي حسين<sup>255</sup>، الذي خلف الداوي محمد عثمان باشا<sup>256</sup> عام 1791م، استهل حكمه بتغيير البايات ومصادرة أموالهم، بل واغتالوا بعضهم: مثل باي قسنطينة صالح باي، وغيره من البايات وقد أحدث هذا التغيير سُخْطاً في صفوف الرعية، وتزعزعاً في أركان الحكومة<sup>257</sup>.

يرتبط نظام الحكم في الإيالة الجزائرية بهيئة الموظفين، نظراً لإشرافهم عليه وتأثيرهم على مختلف أجهزته ومصالحه، وتماشياً مع التقسيم المنطقي لسلطات هؤلاء الموظفين والمكانة المرموقة التي احتلوا في هرم السلطة الإدارية للدولة. وعلى هذا النحو كانت وزارة الداوي تضم موظفين سامين، سنتطرق إلى مهامهم:

أ- الخزانجي: المختص بالإشراف على الخزينة فقد أوكل إليه أمر حراستها وإيداع مصادر دخل الدولة بها مع الإشراف على وجوه الإنفاق المختلفة كدفع أجور الجند، ويراقب السكة ويساعده في مهامه أمين السكة وبعض الموظفين<sup>258</sup>. ويباشر الخزانجي مهامه المالية بحضور الداوي وأعضاء الديوان<sup>259</sup>. وأصبح الشخصية الثانية في الديوان المؤهلة لتشغل منصب الداوي في حال شغوره، ونظراً لهذا التوسع في النفوذ لم يعد منصب الخزانجي ذا طابع مالي فقط، بل أصبح له صبغة عسكرية، فهو يقود الحملات العسكرية

<sup>254</sup> عمر باشا (1815-1817م)، قبل منصب الداوي في أفريل 1815م بعد أن رفضه في بداية الأمر، وجاء ذلك بعد سنوات طويلة من الخدمة في الريف كقائد لقبيلة عريب، ومن أعماله إعادة النظام إلى الجيش والهدوء إلى البلاد. ينظر: ناصر الدين، سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص 149-150.

<sup>255</sup> ولد الداوي حسين عام 1768م، التحق بإحدى المدارس العسكرية في إسطنبول، ثم التحق بالجزائر بعد ذلك، ومن أهم وظائفه تجند في الميليشيا بالجزائر، ثم إرتقى وأصبح عضو في الديوان، حكم ما بين (1818-1830م). غادر الجزائر بعد توقيع معاهدة الاستسلام مع فرنسا، توفي بالإسكندرية عام 1838م. ينظر: فنيحة، صحراوي، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م، ص ص 45-46.

- جون. ب، وولف، المرجع السابق، ص ص 440-441.

<sup>256</sup> (1766-1791م) شخصية متعلمة انخرط في صفوف الأوجاق بمدينة الجزائر، شارك في حصار وهران، أصبح خوجة لحراسة القصر، وأخيراً إرتقى إلى منصب خزانجي. بلبراوات، بن عتو، "الداوي محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791م)"، مجلة عصور، ع 6-7، جوان/ ديسمبر 2005م، ص ص 80-81.

<sup>257</sup> حمدان، بن عثمان خوجة، المرأة، تق، تح: محمد العربي، الزيري، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982م، ص ص 115، 122.

<sup>258</sup> ناصر الدين، سعيدوني، المهدي البوعبدلي، في التاريخ (العهد العثماني)، م، و، ك، الجزائر، 1984م، ج 4، ص 17.

<sup>259</sup> Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Paris, éd Loisel, 1992, p.228.

عند اقتضاء الأمر كما حدث للخزناجي إبراهيم خوجة<sup>260</sup> الذي قاد الحملات ضد الثائرين بالنواحي الوهرانية سنتي 1734 و 1736م<sup>261</sup>.

**ب- بيت المال:** وهو المسؤول عن جميع المسائل المتعلقة بالوراثة، يشرف على مصلحة الأملاك والثروات وتسيير العقارات والأموال التي تؤول إلى الدولة، ويكلف بحيازة الثروات المنقولة وغير المنقولة لصالح بيت المال، طبقاً للأحكام الشرعية<sup>262</sup>. ويحدد نصيب خزينة الدولة من الميراث أو من الأملاك التي تصدر سواء بسبب عزل الموظفين أو وفاتهم أو لغيابهم عن البلاد، يساعده في هذا قاضٍ وموثقان وكتاب ضبط، وكون أن قوانين بيت المال تعتمد على مبادئ الشريعة الإسلامية. ولا يستطيع أي شخص من الأشخاص التصرف في الأموال المودعة استناداً على ذلك<sup>263</sup>.

**ج- خوجة الخيل:** وهو موظف سام يشرف على أملاك الدولة حيث؛ يعتبر المسؤول الأول عن جمع الضرائب وصيانة أملاك الدولة وإعادة استثمارها والاتصال بالقبائل عند تعاملها مع الحكومة خاصة في تمويل الجيوش أثناء الحرب، كما كان المراقب للعلاقات بين العاصمة والولايات<sup>265</sup>. يشرف على تجنيد الفرسان (رجال المخزن) ممن حُول له نفوذاً على عرب الصحراء مثل عشائر رحمان<sup>266</sup>. وتوسعت صلاحيات خوجة الخيل بتقادم الزمن، حيث أصبح يتولى قيادة الفرق العسكرية<sup>267</sup>.

<sup>260</sup> يعرف هذا الداي باسم كوتشوك، تسلم زمام الحكم بعد جهده، ففي عهده وقعت مناوشات بين الجيش العثماني والجيش التونسي بمدينة الكاف، كما أنه قضى على ثورة قبائل الزواوة. ينظر: عبد الرحمان، الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014م، ج3، ص 232.

<sup>261</sup> De Grammont, (H.D), " Relations entre la France et la régence d'Alger au XVIIe siècle", in, R.A, N°23, 1879, p.14.

<sup>262</sup> Devoux, (A), Tachrifat, Recueil de notices historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, imp du gouvernement, 1852, p.20.

<sup>263</sup> حمدان، خوجة، المرجع السابق، ص 137.

<sup>264</sup> خوجة: منحوتة من اللفظ الفارسي خوجا ومعناها: سيد، استعملها الأتراك العثمانيون بلفظ خوجة وجعلوها لقباً من ألقاب الشريف. ينظر: مصطفى عبد الكريم، الخطيب، المرجع السابق، ص 268.

<sup>265</sup> Laroui, Abdellah, op.cit, p.246.

<sup>266</sup> قبيلة رحمان هي قبيلة عربية من بني هلال تنتشر في الشرق والوسط الجزائري، وأشهر مدنها: عين وسارة والبيرين وقصر شلالة وقصر الحيران والمغير وجامعه أم الطيور وقرى أخرى في الجلفة وتيارت وشمال الأغواط وكذا في بسكرة وتقرت. ويرجع نسب رحمان حسب ابن خلدون إلى قبيلة بني مسلم بن مرداس الرياحية الهلالية ومن قبائلها نذكر: أولاد إبراهيم وأولاد خليفة، رحمان الجمالة.

<sup>267</sup> الحاج أحمد الشريف، الزهار، مذكرات نقيب أشرف الجزائر (1754-1830م)، تح، نش: أحمد توفيق، المدني، ش، و، ن، ت، 1980م، ص 45.

وقد أصبح منصب خوجة الخيل يحتل مرتبة حساسة في إدارة الجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر، وهذا ما يؤكد لنا قول حمدان خوجة: "بأن الداوي علي بورصالي<sup>268</sup> (1817م-1818م) عين حسن خوجة<sup>269</sup> خزانجياً ثم رفعه إلى مرتبة خوجة الخيل"<sup>270</sup>.

**د- وكيل الخرج<sup>271</sup>:** وهو موظف سامي مكلف بالشؤون الخارجية مع الدول الأجنبية، يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية، ويشرف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع غنائم البحر، وتتوسع صلاحياته في بعض الأحيان إلى الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية.

**هـ- آغا العرب:** وهو قاعد الجيش البري أو آغا عسكري، قائد فرق الوجاق والفرق المتطوعة والصبايحية<sup>272</sup>، ويتلقى أوامره المباشرة من الداوي، كما يتولى مراقبة قيادات متيجة والساحل والأوطان ودار السلطان. ويعتبر بمثابة وزير مطلق الصلاحية حسب تعبير بعض المصادر، وذلك لأنه يحتل المرتبة الثانية في سلك الموظفين السامين من حيث المعاملة والهدايا التي يحظى بها، كونه قائد فرق الانكشارية وفرسان المخزن خارج مدينة الجزائر<sup>273</sup>.

إضافة إلى كبار المسؤولين في الدولة الذين يعتمد عليهم الداوي في تنفيذ القرارات وسياسة البلاد؛ كان هناك موظفون سامون يقومون بأعمال محددة تدل على حسن التنظيم السياسي الموجود في الدولة

<sup>268</sup> (1817م-1818م)، نصب الداوي دون مقاومة، إلا أنه سرعان ما ظهر تدمير أتباع الداوي عمر باشا في أيامه استمر الطاعون بالفتك بحياة الناس، قام بإرسال سفن بحرية للقيام بحملة في البحر، وفي نهاية فبراير أصيب بالطاعون ثم مات. ينظر: أبو العيود، دودو، المرجع السابق، ص 70-72.

<sup>269</sup> (1705-1707م) ابتداء أعماله بإطلاق سراح إبراهيم الشريف وإرساله لتونس لعله يسترجع ملكه معترفاً بسيادة الجزائر. ينظر: أحمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر...، المرجع السابق، ص 47.

<sup>270</sup> حمدان، خوجة، المرجع السابق، ص 153.

<sup>271</sup> وكيل الخرج: لقب أطلق في العهد العثماني على الضباط المعتمد من قبل وحدته بصفته رئيس محاسبة، اللفظ عثماني معناه: المعتمد المالي. ينظر: مصطفى عبد الكريم، الخطيب، المرجع السابق، ص 444.

<sup>272</sup> كان الصبايحية من الفرق المجندين في صفوف الجيش الإفريقي، معروفة منذ العهد التركي، وتعني الخيالة، وكان عامة الشعب الجزائري يسميها السبايس، والتحق الصبايحية بخدمة فرنسا منذ الأشهر الأولى لتأسيس فرق الزواوة، وتم تأسيس أول كتيبة نظامية للصبايحية في مدينة الجزائر بتاريخ 1834/09/10م. ينظر: محمد، مجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي (1830-1900م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر (بوزريعة)، 2005-2006م، ص 93-94.

Dubois, Thainville, Mémoire sur Alger en 1809, Pub par G. Esquer,

Paris, Champion 1927, p.128.

الجزائرية. ويشكل هؤلاء الموظفون المساعدون إطاراً متميزاً له صلة وثيقة بالجهاز المالي والاقتصادي للإيالة الجزائرية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بأوضاعها الاجتماعية وحالتها الثقافية آنذاك، ومن جملة هؤلاء:

و- **الباش كاتب:** وهو الأمين العام للحكومة إذ تمّ استحداث جهاز للدولة سمي بمجلس كُتاب الدولة<sup>274</sup>، حيث يتولى تسجيل وصياغة جميع القرارات التي يتخذها الديوان في اجتماعاته اليومية تحت إشراف الداوي، وفي جميع القرارات في سجل عام وكان الباشا كاتب يبدأ الكتابة بعبارة تقليدية "نحن باشا ديوان جند الجزائر المنيع"<sup>275</sup>.

ز- **الخوجاباشي:** اتضحت اختصاصاتهم منذ بداية القرن الثامن عشر، حيث أصبحت لهم مكانة مرموقة في ديوان البايلك. وتتوزع مهامهم على النحو التالي:

1- **الكاتب الأول أو المكتابجي:** يكلف بفرض الضرائب والمحافظة على سجل محاسبات الدولة وبه تثبت القوانين العسكرية وأسماء ورتب وأجور فرق الإنكشارية من أوجاق<sup>276</sup> ومحلة<sup>277</sup> ونوبة<sup>278</sup>.

2- **الكاتب الثاني أو الدفتر دار:** يكلف بتسجيل مصادر دفتر دخل البلاد من الضرائب وله حق مراقبة مخازن الدولة وهذا ما أكسبه لقب وكيل الخرج الكبير<sup>279</sup>.

3- **الكاتب الثالث أو وكيل الخرج الصغير:** وهو يهتم بالسجلات الخاصة بغنائم البحر، وأمور الديوانة (الجمارك) والمشرف على سجلات خاصة بأموال الدولة ويلقب أحياناً بقبودان بالي، وكل سجل بمسكه كاتب خاص.

<sup>274</sup> وليم، سينسر، المرجع السابق، ص 66.

<sup>275</sup> محمود إحسان، الهندي، الحوليات الجزائرية، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 1977م، ص 53.

<sup>276</sup> حمدان، خوجة، المرجع السابق، ص 129.

<sup>277</sup> المحلة مصطلح عسكري، وهي عبارة عن جيش متحرك داخل البلاد عبر مجال جغرافي واجتماعي ثابت وخلال مواسم معينة. وهي أعظم ما تعتمد عليه الحكومة لتوطيد الأمن ونشر نفوذها، وكانت ترسل إلى المداشر لقبض الضرائب، وهي طائفة من العسكريين من الأربعمائة إلى الألف. ينظر: نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 92.

<sup>278</sup> نوبة (الحامية) هي فرقة عسكرية مهمتها المراقبة وتحصين موقع استراتيجي كالمدين الرئيسية، ونقاط العبور، ومراقبة نشاط القبائل، ينظر: فايزة، يوشيبية، بايلك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي 1662-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص 89.

<sup>279</sup>

4- الكاتب الرابع أو الرقمجي: يحافظ على السجلات المتعلقة بمصالح البايك والمتصلة بالشؤون والمراسلات الخارجية للبلاد مثل شيكايات القناصل المقيمين بمدينة الجزائر.

ويلحق بمؤلاء الكتاب الترجمان وأمين أملاك الحرمين الشريفين الذين يتم اختيارهم من بين أعيان الحضرة<sup>280</sup>، وتسند وظيفة الكُتّاب إلى الفئة المتعلمة والمتقفة ويتولون مسؤولية العديد من المصالح مثل: مصلحة الضرائب المستحقة على الأشجار، مصلحة المياه، إلى جانب المصالح الديوانية<sup>281</sup>.

5- رئيس التشريفات: وهو بمثابة مدير البلاط، وينحصر دوره في تسهيل عمليات الاتصال بين الداي والشخصيات التي يستقبلها ويتميز بمعرفته للغات الأجنبية، بالإضافة إلى اللغة العربية والتركية.

6- الحكيم باشي: وهو رئيس أطباء القصر.

7- الشاوش: وهو الحاجب أو البواب الذي يتولى مراقبة الدخول والخروج إلى قصر الحكومة.

8- خوجات الخدمات العامة: وهم الموظفون المكلفون بأعمال ذات طابع اجتماعي واقتصادي. ومن بين أهم هؤلاء الخوجات حسب الخدمات التي يؤديها ما يلي:

\* خوجة القصر، والذي يُدعى أحيانا خوجة الباب.

\* خوجة الجمارك، مهمته استلام البضائع الواردة من البلاد المسيحية عن طريق المراسي<sup>282</sup>.

\* خوجة الغنائم، وهو مكلف ببيع الغنائم وتقسيمها بين المستحقين لها.

\* خوجة الزرع، يوزع الحبوب على الفرق العسكرية بالعاصمة.

\* خوجة العيون، يهتم بالمنشآت المائية من عيون وسواقي وقنوات، ويرعى الأوقاف المحبوسة والمخصصة للإنفاق.

\* خوجات أبواب المدينة، على كل باب يوجد اثنان منهم<sup>283</sup>.

<sup>280</sup> حمدان، خوجة، المرجع السابق، ص 155.

<sup>281</sup> علي، آجقو، محاضرات...، المرجع السابق، ص 37.

<sup>282</sup> نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 76.

وإلى جانب هؤلاء الموظفين الثانويين، كان هناك حشد كبير كلٌّ يعمل حسب المهام المنوطة به، كجماعة الطبّاحين والنظار والوكلاء والمحتسب وجماعة الشواش وغيرهم<sup>284</sup>.

وقد كانت اختصاصات الدايات تشمل بصفتهم رؤساء الدولة الإدارة العامة للعدالة، وإعلان الحروب، والتوقيع على معاهدات السلام. ويعقد الدايات اجتماعات الديوان، ويتلقون مجموع الضرائب والإتاوات من مختلف الدول الأوروبية وكذلك من باياتهم، ويشرفون على مراقبة إيرادات الدولة وخزینتها<sup>285</sup>.

وهكذا كان الدايا المسؤول الأول عن جهاز الحكم بالإيالة الجزائرية والممثل الشرعي للسلطان العثماني بالجزائر، فهو حسب تعبير بعض المصادر: "الحاكم المستبد والسيد المطلق الصلاحية بإيالته"<sup>286</sup> يساعده في ذلك الديوان بشقيه: الكبير (المعروف بالمجلس العام) و الصغير، هذا الأخير الذي كان يتشكل منه مجلس الحكومة وكانت الوظائف الرئيسية منوطة بأعضاء هذا الديوان - الصغير -<sup>287</sup>.

لقد تدعمت سلطة الدايات خلال القرن السابع عشر وأواخر القرن الثامن عشر حيث أصبحت السلطة التنفيذية<sup>288</sup> بيد الدايا مدعماً بأعضاء الديوان بشقيه (الصغير والكبير)، ويشير بلانطي (Plantet): "لقد أخذ الجزائريون ابتداء من سنة 1671م، ينتخبون بأنفسهم رئيس دولتهم، مدشنين بذلك عهد الدايات بدون إذن الباب العالي، ولم يعودوا يتكون لمبعوثي السلطان إلا وظائف

<sup>283</sup> Shaw (Dr), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc de cet état, Trad, De l'anglais avec des nombreuses augmentation par J. Mac Carthy, Paris, Malin, 1830, p.230.

<sup>284</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط2، م، و، ك، الجزائر، 1985م، ص 28.

<sup>285</sup> محمود إحسان، الهندي، المرجع السابق، ص 49.

<sup>286</sup> Pananti, Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, Trad de l'Anglais par Blanquière, le Normand, 1820, p.240.

<sup>287</sup> كان يتألف من 35 شخصية مدنية وعسكرية من بينهم الدايا والقاضي والمفتي الحنفيين وكبار الضباط، ينظر: ناصر الدين، سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 17.

وينظر أيضا: - Pierre, Boyer, "Introduction à une histoire intérieure à la régence d'Alger", in R.H, N°478, avril-Juin, 1966, p.310.

<sup>288</sup> Raymonde, André, North Africa in The Pre-colonial Period, Cambridge History of Islam, Combridge University Press, 1970, p.282.

شرفية، وابتداءً من سنة 1710م، أخذ الداوي ومساعدوه يطردون بالقوة ممثلي السلطان، تاركين للدايات وحدهم السيادة المطلقة في السلطة"<sup>289</sup>.

## 2- التنظيم الإداري:

بعد قيام الدولة الجزائرية بصفة رسمية، وقصد تحقيق الانسجام أكثر في الوظائف والقيام ببعض الخدمات العامة ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي قسمت الجزائر إلى أقسام استحدثتها لأول مرة حسن بن خير الدين في حكمه للمرة الثالثة بتنظيمه للإدارة التي كانت تسير من قبل رئيس الدولة يساعده في ذلك خمسة أعضاء يُكونون مجلساً استشارياً، وتم تقسيم الجزائر إلى أربع بايلىكات<sup>290</sup>، وعلى رأس كل بايلىكة باي يعينه الداوي<sup>291</sup>، وكانت تشمل المقاطعات التالية:

**2-1- الجزائر:** وكانت تسمى دار السلطان، تعتبر منطقة حرة ويوجد بها مقر رئيس الدولة<sup>292</sup>، تمتد من دلس شرقاً إلى شرشال غرباً<sup>293</sup>، وساحل البحر شمالاً إلى سفوح الأطلس البليدي<sup>294</sup> جنوباً، وتضم إقليمياً: الساحل و متيجة، وتخضع مباشرة لرؤساء السلطة التركية، ويتولى الداوي الإشراف عليها<sup>295</sup>، وتنقسم إلى أوطان يحكمها قواد تحت إشراف آغا العرب قائد الجيش، وكل وطن يتكون من دوار.

<sup>289</sup> Eugène, Plante, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France (1579-1833), Paris, F. Alcan, 1889, T2, pp.333-334.

<sup>290</sup> البايلىك: أصله بكلك وهو مشكل من مقطعين: "بك" و"لك"، فأما بك وتلفظ باي في الأصل فهو لقب أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشوية وذريتهم، ثم استعمل لقباً لمعظم كبار الموظفين والقادة وكلمة بايلىك صارت اصطلاحاً لكل ما هو ملك الدولة فيقال: طريق البايلىك وأرض البايلىك، ومصطلح البايلىك يقصد به حكومة الباوي وإدارته وتعني أيضاً كل ما هو عمومي وملك للجميع. ينظر: أحمد، السيساوي، البعد البايلىكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث (1833-1871م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014م، ص 19.

<sup>291</sup> حمدان، خوجة، المرجع السابق، ص 138.

<sup>292</sup> مقر رئيس الدولة هو قصر الجنيينة الذي كان في الواجهة المقابلة لمدخل المدينة الرئيسي وهو عبارة عن قصر واسع محيطه حوالي 200 قدم طولاً و 40 قدماً عرضاً وهذا حتى أيام الداوي علي الذي نقل الحكومة إلى القصبة في سنة 1817م، وكان مدخل القصر يتخلله رواقان بالأقواس تدعمها الأعمدة الرخامية التي تمتد على طول عرض البناية بكاملها وفي الخلفية قاعتان واسعتان حيث يجتمع الديوان ليتداول في قضايا الدولة.

<sup>293</sup> محمد بن ميمون، الجزائري، المصدر السابق، ص 36.

<sup>294</sup> مدينة البليدة (تصغير بلدة) وتلقب كذلك باسم مدينة الورد، هي مدينة جزائرية، أسسها الأندلسيون في القرن السادس عشر بعد خروجهم من الأندلس.

<sup>295</sup> مبارك بن محمد، الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 295.

**2-2- بايلك الشرق:** عاصمته قسنطينة، يعتبر من أكبر المقاطعات الموجودة في الجزائر، تأسس سنة 974هـ/1567م<sup>296</sup>، يمتد من الحدود التونسية شرقاً حتى بلاد القبائل غرباً، ويحدها شمالاً البحر المتوسط، وجنوباً الصحراء. وقد حكم الأتراك أغلب نواحيه الجبلية والصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين، حيث كان يخضع مباشرة لسلطة داي الجزائر، ويتولى حكمه باي يتم تعيينه وعزله بأمر من الداى<sup>297</sup>. وقد كان للباي سلطة مدنية وعسكرية واسعة وذلك مقابل دفع ضريبة اسمها "الدنوش"<sup>298</sup> تدفع مرتين في السنة في فصلي الربيع والخريف<sup>299</sup>.

**2-3- بايلك الغرب:** تأسس سنة 970هـ/1563م، يمتد من الحدود المغربية غرباً إلى التيطري شرقاً ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصحراء جنوباً، تغيرت عاصمتها لأكثر من مرة؛ حيث نقلت عاصمتها من مازونة<sup>300</sup> إلى معسكر<sup>301</sup> سنة 1710م، ثم أصبحت وهران عاصمة لها بعد تحريكها من الإسبان سنة 1792م. ويحتل المرتبة الثانية بعد بايلك الشرق من حيث المساحة<sup>302</sup>، وكان لهذا البايك صبغة حربية نظراً لتوتر العلاقات بين الأتراك والمغاربة وبقاء الإسبان به زهاء ثلاث قرون.

**2-4- بايلك التيطري:** كانت عاصمته المدينة<sup>303</sup>، أسس سنة 947هـ/1540م، وهو أصغر البايكات من حيث المساحة والامتداد وأكثرها ارتباطاً بالسلطة المركزية<sup>304</sup>، يحده من الشمال سهل متيجة ومن الجنوب الصحراء، وكانت الأكثر ارتباطاً بالسلطة المركزية، وقد تقلصت سلطته واقتصرت

<sup>296</sup> محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 36.

<sup>297</sup> عبد العزيز، فيلالي، مدينة قسنطينة: دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، ط1، قسنطينة، 1984م، ص 33.

<sup>298</sup> الدنوش: هو دفع البايات للضرائب المفروضة عليهم، للخرينة العامة الموجودة في مدينة الجزائر، وتختلف أهميتها حسب ثروة البلاد وحاجة الباشا.

<sup>299</sup> رشيد، بورويبة، قسنطينة: سلسلة الفن والثقافة، الجزائر، 1978م، ص 80.

<sup>300</sup> مازونة: مدينة بالمغرب قرب مستغانم تبعد عن البحر بستة أميال وهي مدينة لها مزارع وبساتين. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 521.

- الإدريسي، المصدر السابق، ص 128.

<sup>301</sup> ولاية معسكر أو ما تسمى بمدينة الأمير عبد القادر، هي إحدى ولايات الجزائر. يرجع تاريخها إلى عصور خلت لكن في إطار تسميات متعددة فهي تندرج ضمن الوطن الراشدي المحاذي لقلعة بني راشد لتصبح أم العساكر ثم تحولت التسمية إلى معسكر حالياً ترتبط بما حولها من الولايات تاريخياً وثقافياً وقد سميت "مصر الصغرى" لكثرة العلماء والمعاهد العلمية كما حاربت بعلمائها وطلبتها الاحتلال الإسباني ثم الفرنسي.

<sup>302</sup> عزيز، سامح أتر، المرجع السابق، ص 140.

<sup>303</sup> المدينة: مدينة بالجزائر تقع على بعد 80 كلم جنوب مدينة الجزائر. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ج6، ص 356.

<sup>304</sup> محمد بن ميمون، الجزائري، المصدر السابق، ص 36.

على ولاية التيطري دون مدينة المدية التي كلف بإدارتها حاكم يخضع مباشرة لآغا العرب المتصرف في دار السلطان، وذلك للحد من نفوذ الباي والتقليل من قوته نظراً لقربه من العاصمة<sup>305</sup>.

وبصورة عامة، لم تكن السلطة التركبية الفعلية تشمل سوى سدس مساحة الجزائر الشمالية في حين ظلت حدود الجزائر جنوباً غير واضحة، وهذا حسب المعلومات التي أثبتتها بعض الكتاب الفرنسيين<sup>306</sup>.

يمثل الباي السلطة السياسية الأولى على الإقليم وهو المسؤول الأعلى أمام الحكم المركزي، حيث كان عليه القيام بتعيين المسؤولين وتنصيبهم وتنحصر مهامه في تسيير شؤون المقاطعة والإشراف على القوات العسكرية وعملية جمع الضرائب من الأرياف والسهر على أمن المنطقة. وللبايات الحق في إصدار العقوبات ضد الأهالي وحق مصادرة الممتلكات، كما يتولى البايات قيادة الجنود في المعارك<sup>307</sup>.

تميزت التقسيمات الإدارية بملاءمتها لأوضاع الإيالة الجزائرية نتيجة اعتمادها على نظام عسكري يركز على سلطة شبه مطلقة يمارسها الدايات ويهدف إلى حفظ النظام الداخلي وضمان تحصيل الضرائب<sup>308</sup>، حيث بعد كل ثلاث سنوات من حكم البايات كان يطلب منهم الحضور شخصياً إلى دار السلطان لدفع ضرائب أقاليمهم<sup>309</sup>، حاملين معهم تقارير عن أوضاع المناطق الخاضعة لهم، وكان يتم في نفس الوقت تجديد تعيينهم أو عزلهم نهائياً وذلك وفقاً لما كان يقدمونه من العائدات والرشاوي للداي وأعوانه.

<sup>305</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 20.

<sup>306</sup> Louis, Rinn, " Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey", in: R.A, N°41, 1897, p. 137.

<sup>307</sup> - Shaw, op.cit, p.103.

<sup>308</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المال...، المرجع السابق، ص 30.

<sup>309</sup> وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 69.

لقد كانت الجزائر في الفترة العثمانية أشبه بجمهورية عسكرية لا يربطها بالدولة العثمانية إلا الوازع الديني والأدبي، حيث أصبح الدايات يعتبرون أنفسهم حلفاء للباب العالي دون وضع أي اعتبار للسلطين العثمانيين في حالة التعامل مع الدول الأوروبية<sup>310</sup>.

### 3- التنظيمات الاقتصادية:

إن الجانب الاقتصادي من تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية كانت له آثار حاسمة وانعكاسات مباشرة على الأحداث السياسية والنظم الإدارية والحالة الاجتماعية، فبعد تفهقر اقتصادي عرفته الجزائر خلال القرنين 14م و 16م تحسنت بعدها أوضاع البلاد طيلة القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر، فكثرت الإنتاج الفلاحي وتعددت المصنوعات المهمة ونشطت التجارة، وكان هذا من بين أسباب مجيء العثمانيين إلى الجزائر<sup>311</sup>. ويمكن إجمال الوضع الاقتصادي وتنظيماته على البعد التالي:

**3-1- الزراعة:** تعتبر الزراعة المورد الرئيسي لمعظم السكان، وخلال الفترة العثمانية كان جزءاً هاماً من الأراضي الجزائرية الشمالية مغطى بالغابات، ونتيجة لانتشار الحياة الرعوية والاستغلال المفرط انقرضت الثروة النباتية أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وأصبحت بعض الأراضي قاحلة جرداء<sup>312</sup>. ويقوم النشاط الزراعي على نظام الملكية الخاصة وملكية الدولة والأراضي المشاعة<sup>313</sup> أو الموقوفة.

● **الملكية الخاصة:** وتنتشر في ضواحي المدن وهي شبه إقطاعية، وتمثل في الأراضي التي يستغلها أصحابها مباشرة، ويتوجب عليهم اتجاه الدولة دفع ضريبة العشور<sup>314</sup> والزكاة.

<sup>310</sup> ناصر الدين، سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الموسوعة التاريخية للشباب، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1987م، ص 58-59.

<sup>311</sup> ناصر الدين، سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ج4، ص 48.

<sup>312</sup> المرجع نفسه، ص 51.

<sup>313</sup> الشيوخ أو الملكية المشاعة وأحياناً الملكية الشائعة وهو نظام أراضي قديم كان سائداً في عدة مناطق في الفترة العثمانية. والأرض المشاعة غير معروفة لشخص بعينه وإنما لأهل القرية ودون استثناء. وأرض مشاع مصطلح يطلق على الأراضي الأميرية (الميرية) التابعة لقرية ما. وتعرف بأنها أرض مشاع، أي بتصرف القرية بكاملها، يخص كل فرد منها حصة مساوية لغيره

<sup>314</sup> العشر هي ضريبة على التاجر تشبه ضريبة الجمارك في أيامنا الحاضرة واتبعت الدولة العربية الإسلامية مبدأ المعاملة بالمثل للتجار الأجانب، فكانت تأخذ العشر من رعاياها الأجانب ونصف العشر من أهل الذمة وربع العشر من المسلمين وشريطة بلوغ ثمن السلعة مائتين فأكثر.

• **ملكيات البايليك:** وهي الأراضي التي تتصرف فيها الدولة، وتوجد أغلبها بدار السلطان ووهران وقسنطينة، حيث تقدر في وهران بـ 11.250 هكتار وفي المناطق الشرقية بـ 60.000 هكتار.

• **الأراضي المشاعة:** وتعرف في الجهات الشرقية بأراضي العرش، وفي الجهات الغربية بأراضي السبقية، وهي عبارة عن أراضي جماعية تكون تحت تصرف سكان القبيلة أو الدوار.

• **أراضي الوقف:** وهي أراضي تُحبس على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية، وتشرف على تسييرها المصالح الإدارية (ناظر الأوقاف)، وفي بعض الأحيان كانت هذه الأراضي تعطى لأفراد أو لقبائل تستغلها مقابل أجره متفق عليها وهي تتوزع حول المدن الكبرى<sup>315</sup>.

ولعل أهم إنتاج زراعي يتمثل في الحبوب (خاصة القمح)، وتختص بها مناطق الأطلس التلي والهضاب العليا كمعسكر ووهران وقسنطينة وغيرها، ونظرا لكونها مادة أساسية للتصدير والاستهلاك فقد كانت الإيالة تنتج في معظم السنوات زيادة تكفي للتصدير، فعلى سبيل المثال في النصف الأول من القرن 18م كان أحد المسؤولين يبعث كل سنة بين سبعة وثمانية آلاف طن من ميناء وهران إلى إنجلترا<sup>316</sup>. ولذلك عمل البايلك على للاستيلاء على أراضي الحبوب التي أصبحت من أملاك الدولة بنواحي قسنطينة ووهران، وكانت تغطي حوالي أربعة وثمانين ألف هكتار عشية الاحتلال<sup>317</sup>.

أما الأشجار المثمرة فقد تحسنت زراعتها بفضل جهود الأندلسيين في الفترة الأولى للعهد العثماني<sup>318</sup>، حيث كانت تنتج مرتين أو ثلاث مرات في السنة، وتمثلت أساساً في زراعة الكروم والبرتقال بالمتيجة وبالناحية الوهرانية وفي المنحدرات الدنيا لمنطقة القبائل، وهذا ما أكدته تيدنا (Tedna) في مذكراته وهو يصف مدينة الجزائر: "... ودخلنا سهل متيجة وهنا اشتد إعجابي بهذا المنظر وهذا السهل الشاسع إذ يمتد من الشرق إلى الغرب، وهو شديد الخصوبة والفلاحة في بلاد البربر، وقد جذبنا منظر لبستان فيه تفرقت بعض المنازل الجميلة ومن هذا السهل يقطف أجود أنواع البرتقال والليمون الشديد

<sup>315</sup> ناصر الدين، سعيدوني، الجزائر في التاريخ... المرجع السابق، ص 45.

<sup>316</sup> وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 120.

<sup>317</sup> L. Boudicour, la colonisation de l'Algérie, le coffre, Paris, 1856, p.19.

<sup>318</sup> جلال، يحي، المغرب الكبير: العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، ج3، 1981م، ص 59.

اللذة"<sup>319</sup>، واختصت فحوص شرشال والقلية<sup>320</sup> بزراعة التوت الأبيض والأسود الذي يستعمل لتغذية دودة الحرير، أما فيما يخص زراعة الزيتون فقد انتشرت بنواحي عنابة<sup>321</sup>.

وقد شجعت السلطة العثمانية بالجزائر القبائل على استغلال الغابات، حيث أزيل قسم كبير منها أوائل القرن التاسع عشر نتيجة انتشار الحياة الرعوية والاستغلال المفرط، فمنطقة الساحل المجاورة لمدينة الجزائر قطعت أشجارها سنة 1789م، بأمر من الداى لبناء خمسين سفينة<sup>322</sup>.

بالرغم من أن الزراعة كانت المورد الرئيسي لمعيشة غالبية السكان، إلا أنها تميزت بالبساطة والبدائية وهذا الوضع أثر سلباً في مردودية الأرض وكميات الإنتاج. وقد عانت الفلاحة الجزائرية في أواخر العهد العثماني من عدة مشاكل كانت تعيقها وتعيق تطورها وازدهارها<sup>323</sup>.

وتعود هذه الصعوبات إلى التقنيات الفلاحية البدائية المستعملة في الزراعة، كوسائل الري، والظروف الطبيعية الصعبة التي كان يعيشها الفلاح الجزائري. فقد كان معرضاً للحملات العسكرية، ومهدداً من طرف قبائل المخزن المسلحة كما كان عرضة للأمراض والفيضانات والمجاعات.

ونظراً لهذه الأوضاع السيئة والظروف الصعبة التي يمر بها الفلاح والزراعة معاً، فقد دفع بكثير من الفلاحين إلى تفضيل تربية المواشي على الاستقرار في الأرض لخدمتها أو اللجوء إلى الزراعة المؤقتة والرعي المتنقل لاسيما في المناطق التي انعدم فيها الأمن وأصبحت تعرف ببلاد البارود أو أرض الخلاء<sup>324</sup>. وفي هذا الصدد ذكر العنتري قوله: "لا تجد في ذلك الزمان ولا في الذي قبله وبعده من يهتم بأمر الزرع أبداً... وكانت الحراثة زمن الترك ضعيفة لم تتعلق بها أعراض الناس"<sup>325</sup>.

<sup>319</sup> أمحمد، عمراوي، المرجع السابق، ص ص 51-52.

<sup>320</sup> القليعة مدينة تقع إلى الغرب من الجزائر العاصمة بـ 26 كلم. أسست سنة 1550م من طرف الأندلسيين القشتاليين والغرناطين والبلنسيين وأسسها حسن باشا بن خير الدين بربروس.

<sup>321</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 60.

<sup>322</sup> Boudicour, (L) op.cit, p.18.

<sup>323</sup> وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص ص 120-133.

<sup>324</sup> -Louis, Rinn, " Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey", in: R.A, N°41, 1897, p.131.

<sup>325</sup> محمد الصالح، العنتري، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة، نش، تح: راجح، بونار، بعنوان: مجاعات قسنطينة، الجزائر، 1974م، ص 35.

**3-2- الصناعة:** لقد عرف النشاط الصناعي مرحلة من التقهقر منذ بداية القرن الثامن عشر، وظل الإنتاج متواضعاً إذ لم يتعد الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، والملاحظ على الصناعات المحلية أنها كانت تعتمد في نشاطها على تلبية متطلبات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية مثل: صناعة الأغذية الصوفية والأحزمة الحمراء بتلمسان، والبرانس والزراي بالأطلس الصحراوي<sup>326</sup>، والفخار بندرومة<sup>327</sup> والأحذية والزراي، والأدوات الجلدية والأقمشة بمازونة، واختصت مناطق جرجرة<sup>328</sup> بمهن الحدادة وصنع الأسلحة والفضة<sup>329</sup>، أما قسنطينة فقد اشتهرت بمعالجة الأصواف والجلود وصنع السروج والجواهر<sup>330</sup>، وصناعة الشاشية والأحذية وماء الزهر بمدينة الجزائر<sup>331</sup>.

ويرجع الفضل في المحافظة على هذه الصناعات المحلية إلى بعض الأسر من الحضرة الأندلسيين واليهود التي توارثت صناعتها وحافظت عليها من الاندثار<sup>332</sup>.

أما فيما يخص الصناعات المعدنية التحويلية فإنها لم تعرف تطوراً ملحوظاً على الرغم من توفر الجزائر على مناجم متعددة من الفحم والرصاص والنحاس والفضة<sup>333</sup>، وتمثلت هذه الصناعات في استخراج الملح من سبخا وهران، ومعالجة الجير المستخرج من المحاجر الواقعة قرب المدن، أو بناء السفن

326 Marcel, Emerit, " la situation économique de la régence d'Alger en 1830", in: information historique, Mars-Avril, N°3, 1952, p.170.

327 ندرومة: مدينة كبيرة في طريق جبل تاجرا بالمغرب الأوسط تبعد عن البحر عشرة أميال، وهي مدينة كثيرة الزرع والفواكه. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 534.

- الحميري، المصدر السابق، ص 576.

328 جرجرة: كلمة تأتي من اللغة الأمازيغية، جرجر أو جارجر وتعني (تراكم الحجر)، وكان الرومان يلقبونها بجبل الحديد، وهي سلسلة جبلية تقع شمال الجزائر بين ولايات تيزي وزو والبويرة وبجاية والمدينة، وهي على حدود البحر الأبيض المتوسط والتي تشكل سلسلة جبال طويلة. وتمتاز جرجرة بمناظرها الخلابة وتعد واحدة من أجمل جبال العالم بسبب اكتسائها بالثلوج شتاءً.

329 Djillali, Sari, les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, thèse de 3<sup>e</sup> cycle, Alger, 1969, p.7.

330 André, Nouchi, " Constantine à la veille de la conquête Française", in, C.T, N°11, 1955, p.382.

331 وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 122.

332 ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 35.

333 محمد العربي، الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972م، ص 62.

الخشبية بميناء الجزائر أو تحضير البارود وسبك المدافع في كل من قسنطينة والجزائر<sup>334</sup>، وامتازت الصناعة الجزائرية في العهد العثماني بصفات وخصائص نوجزها في النقاط الآتية:

- الاعتماد على مواد أولية محلية كالأصواف والجلود والأخشاب.
- أن الصناعة المحلية جاءت تلبية للضروريات في الريف، بينما الصناعة التقليدية في المدن اعتمدت على إنتاج الكماليات كالحلي والمناديل... الخ<sup>335</sup>.
- خضوع الصناعة في المدن لإشراف ومراقبة نقابات مهنية مستقلة عن أي صبغة دينية أو سياسية.
- انخفاض قيمة المنتجات الزراعية بالنسبة للمواد المصنعة؛ بسبب الضرائب المفروضة ما دفع بالصناعة الجزائرية إلى رفع أسعار بضائعها.
- تشجيع بعض الحكام للاستيراد الخارجي ما أثر على المصنوعات الجزائرية وأدى إلى غلاء أسعارها، مع عدم انتهاج الحكومة سياسة الحماية الجمركية<sup>336</sup>.

ومما يمكن الإشارة إليه فيما يخص الصناعة أيضا أنها افتقدت لآفاق التطور، والازدهار نتيجة تأثرها بمجموعة من العوامل الداخلية، والخارجية فبالنسبة للأسباب الداخلية تتمثل في ارتفاع سعر تكلفتها لأن رؤوس أموالها أصبحت موجهة لتغطية الضرائب المفروضة عليها، بالمقابل كانت السوق الجزائرية مفتوحة أمام السلع الأوروبية، التي كانت أقل ثمناً من السلع المحلية في ظل غياب سياسة حكومية لتطوير النشاط الصناعي، مما أدى إلى انهيار هذا القطاع.

وكانت نتيجة هذه المنافسة الأجنبية وفتح باب الاستيراد الخارجي والإكثار من الضرائب وتحكم النقابات المهنية في الصناع من العوامل التي حالت دون قيام صناعات حقيقية في الجزائر العثمانية<sup>337</sup>.

<sup>334</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 35.

<sup>335</sup> جلال، يحي، المرجع السابق، ص ص 70 - 71.

<sup>336</sup> Marcel, Emerit, " la situation économique de la régence d'Alger en 1830", in, R.A, N° 2, Mars-Avril 1952, p.170.

<sup>337</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 37.

**3-3- التجارة:** لقد عرف هو الآخر ركوداً بسبب إهمال العلاقات التجارية مع إفريقيا والدول الأوروبية، وذلك بسبب سيطرة القرصنة على الحياة الاقتصادية في الإيالة. فأصبحت الجزائر أقل بلدان المغرب حظاً في ميدان التجارة العالمية<sup>338</sup>.

وقد كان العائق الأساسي الذي عرقل النشاط التجاري، هو الاحتكار الحكومي، فقد كان الديوان أكبر تاجر في الإيالة، فله الحق وحده في بيع الحبوب، فهو الذي يحدد السعر، ويُحرم بيع المنتجات للشركات الأجنبية إلا بفوائد تتراوح ما بين 50% إلى 60%<sup>339</sup>.

لقد كانت التجارة الداخلية تتمركز في المدن الكبرى كقسنطينة وتلمسان والجزائر وورقلة<sup>340</sup>، والأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف والبوادي كسوق اللوحة قرب تيارت<sup>341</sup> والربايع جنوب التيطري والعثمانية قرب قسنطينة، وفيها كل ما يحتاج إليه السكان من منتجات ومصنوعات محلية أو مستوردة.

أما التجارة الخارجية فقد كانت تعتبر مصدراً هاماً في تنمية الخزينة الجزائرية، وكانت تتم مع أوروبا عن طريق الموانئ كميناء عنابة والجزائر ووهران، وترتبط مباشرة مع دول البحر الأبيض المتوسط سواء الإسلامية منها أو الأوروبية، ومع إفريقيا عن طريق القوافل<sup>342</sup>. ومن بين صادرات الجزائر إلى كل من الدول المغاربية وبلاد الشام<sup>343</sup> وتركيا نجد: الزرابي، التمور، ريش النعام، الشمع، الصوف، وقطعان

<sup>338</sup> مذكرات وليام شارل، قنصل أمريكا في الجزائر، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 103.  
<sup>339</sup> عبد القادر، حليمي، مدينة الجزائر: نشأتها، تطورها قبل 1830م، دراسة في جغرافية المدن، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972م، ص 30.

<sup>340</sup> مدينة جزائرية تقع في الجنوب الشرقي للجزائر.  
<sup>341</sup> تيارت: مدينة مشهورة من مدن الغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان، بينها وبين المسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد. وهي مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع، قيل أن كرة تيهرت من إفريقية وهي غربي سطيف، وكانت قاعدة المغرب الأوسط، وكان بها مقام بني رستم ملوك الغرب الأوسط، وتاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحدهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت الحديثة، وهي كثيرة الأمطار والضباب، حتى الشمس بما قلّ أن ترى. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 126-127. وينظر أيضاً: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 143-149.

<sup>342</sup> محمد العربي، الزبيري، المرجع السابق، ص 65، 113.  
<sup>343</sup> الشام: قيل سمي شاماً لشامات هناك حمر وسود، وهناك من يقول أن سام بن نوح أول من اختطها فسميت به، واسمه سام بالسين، فغيرت فقيل: شام، وقيل أن الناس لما تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم بمين الشمس وتشاءم بعضهم شمالها، فسميت بهذا الاسم. والشام بلاد كبيرة وكور عظيمة وممالك. وضمت: فلسطين، طبرية، الغور، اليرموك، الغوطة، حمص، وقنسرين، حلب وساحلها أنطاكية. وأول طول الشام من ملطية إلى رفح. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 335.

الماشية وجلودها<sup>344</sup>، مقابل استيراد: العبيد والأسود والحمير المصرية، القطن المغزول، الأقمشة الدمشقية، مواد الصباغة والأكواب المرصعة<sup>345</sup>.

وكانت الدول الأوروبية تستورد المواد الأولية كالأصواف والجلود والشمع والزيت والحبوب، مقابل تصدير الحديد والقصدير والرصاص والنحاس والأقمشة المتنوعة من إنجلترا، الملح والعمور والجواهر والذهب والفضة من إسبانيا، ومن المدن الإيطالية الحرير والصابون الأبيض، ومن فرنسا القطن والحديد والفولاذ والمسامير وملح البارود والكبريت<sup>346</sup>.

كما عرفت التجارة الخارجية للجزائر هيمنة التجار الأجانب على الموانئ الجزائرية، وكانت المواد الأولية الجزائرية محل تنافس بين الشركات الأوروبية الكبرى، بالإضافة إلى هيمنت التجار اليهود في العقد الأخير من القرن الثامن عشر، نتيجة الامتيازات التي منحت لهم على عهد الداوي حسين باشا<sup>347</sup>، مقابل انسحاب كلي للتجار الجزائريين بسبب السياسة المفروضة من طرف الدول الأوروبية، والتي تقضي بإبعاد التجار المغاربة عموماً عن التجارة الدولية من خلال وضع العديد من العراقيل، والإجراءات على مستوى الموانئ الأوروبية، التي تحول دون تعاطيهم التجارة بشكل طبيعي هذا من وجهة، بالإضافة إلى هيمنة العديد من رجال الدولة على تصدير واحتكار سوق العديد من المواد الأولية.

ومع بداية القرن التاسع عشر تنامي نفوذ التجار اليهود وسيطروا على مقاليد التجارة الداخلية والخارجية للإيالة بموافقة الدايات. واستغلوا نفوذهم السياسي لدى دايات وبايات الجزائر، وأصبح لديهم مكاتب تجارية عبر مختلف الموانئ الجزائرية، إلى جانب هذا كانت لهم صلات قوية تربطهم بالبيوت التجارية الأوروبية<sup>348</sup>. وقد عمل الدايات على منع نشوء برجوازية جزائرية وعوضوها بالتجار الأجانب وبالخصوص من التجار اليهود والفرنسيين<sup>349</sup>.

<sup>344</sup> وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص 120.

<sup>345</sup> مولاي، بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش، و، ن، و، الجزائر، 1981م، ص 57.

<sup>346</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 40.

<sup>347</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص 155.

<sup>348</sup> عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 296.

<sup>349</sup> Emerit, (M), la situation..., op.cit,p. p.69.

ومن هذا الوضع لم تستطع البرجوازية أن تحتكر لنفسها السوق الوطنية أمام المنافسة الأجنبية التي غزت منتوجاتها أسواق الجزائر. وكان من نتيجة هذا الوضع أن تجار الجزائر المسلمين احتلوا مكانة ثانوية في تجارة بلدهم.

#### 4- الأوضاع الاجتماعية:

اختلفت المصادر الأجنبية والمحلية في تقدير عدد سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني، وما توفر لدينا من إحصاءات يعود لأشخاص سمحت لهم الظروف أن يقيموا في الجزائر أو يزوروا كرحالة أو تجار أو قناصل أو أسرى، إلا أن رواياتهم وشهاداتهم المتعلقة بإحصاء سكان الجزائر تنقصها الدقة في بعض الأحيان، وفي غياب إحصاءات رسمية صادرة عن جهات حكومية موثوقة، تشير بعض الدراسات إلى أن مجموع السكان لا يتجاوز المليون نسمة<sup>350</sup>، بينما روايات أخرى تضخم هذا العدد فترفعه إلى عشرة ملايين نسمة<sup>351</sup>. إلا أن الاحتمال الأقرب أن عدد السكان يتراوح ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة<sup>352</sup>.

وقد عرف الوضع الاجتماعي صعوبات كبيرة، وتراجعا للنمو السكاني، نتيجة الظروف الصحية المتردية، بسبب انتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات، وعلى سبيل المثال وباء عامي (1786-1787م) الذي أدى إلى هلاك 16208 نسمة في مدينة الجزائر لوحدها<sup>353</sup>، كما تسبب في موت ثلثي سكان عنابة، وثرت أراضيها من دون حصاد<sup>354</sup>. ويضاف إلى ذلك عامل آخر لا يقل خطورة وهو حلول الجفاف بالبلاد والذي أدى إلى القحط في الحبوب وشح في الأقوات خلال سنوات 1800م-

<sup>350</sup> Aperçu historique, statique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'Armée expéditionnaire d'Afrique, rédigé par trois officiers anonymes, 2 édition, Paris, C. Picquet, 1830, p.222.

<sup>351</sup> حمدان، خوجة، المرجع السابق، ص 46.

<sup>352</sup> Boutin, (C), Reconnaissances des villes, forts et batteries l'Alger, Pub, G. Esquer, Paris, champion, 1927, p.72.

<sup>353</sup> Lucette, Valenci, Le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion, Paris, 1969, p.89.

<sup>354</sup> ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: الفترة الحديثة والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص

1819م، 1827م<sup>355</sup>، مما دفع بالداي مصطفى باشا سنة 1800م إلى اللجوء لاستيراد القمح من موانئ البحر الأسود لتوزيعه على السكان، وأعطيت الأوامر بعدم تصدير هذه المادة، وتشديد حراسة الجنود على مخازن الحبوب<sup>356</sup>.

هذا وقد عرفت البلاد سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة، التي تسببت في تخريب العديد من المدن، وخسائر في الأرواح والممتلكات، وكان من أشدها ضرراً زلزال 1825م، الذي خرب البلدة وأضر بالجزائر العاصمة وتسبب في مقتل ما لا يقل عن 7000 ضحية<sup>357</sup>، والزلزال الذي حدث في العقد الأخير من القرن الثامن عشر بوهران والذي قضى على 1000 شخص تحت الأنقاض<sup>358</sup>.

كما أن قلة الأدوية زادت الحالة الصحية سوءاً، فالجزائر كانت تكاد تخلو من الصيدليات، ماعدا صيدلية واحدة كان مقرها مدينة الجزائر، بالقرب من قصر الداوي، ولكنها لا تحتوي إلا على بعض الزجاجات والكؤوس المحتوية على بعض العقاقير والتوابل، يشرف عليها أحد الأتراك، ومع أن هذا التركي يجهد استعمال أغلب التوابل المعروضة في الصيدلية، إلا أنه يمتنع مهنة الصيدلي ومهنة الطبيب الجراح. وهذا حسب المعلومات التي أوردها الرحالة الألماني مارسيول (Marsiol)<sup>359</sup>.

إن كثرة الأمراض الفتاكة التي ضربت السكان طيلة الحكم العثماني للبلاد، أثرت سلباً في الحياة الاقتصادية حيث كانت لها انعكاسات خطيرة على الأوضاع المالية للبلاد<sup>360</sup>.

355 Charles, Bois, "Famines et sécheresse en Algérie", in: REC, BUIS, N°28-29, Genève Décembre 1950-1951, p.55.

356 Georges, Yver, " Si Hamden Ben Othmen Khoudja", in, R.A, N°57, 1913, pp.96-138.

357 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 128.

358 المرجع نفسه، ص 127.

359 Mersiol, (E) " La régence d'Alger, Vue par un Allemand à la fin du XVIII siècle", in, 2<sup>émé</sup> congré national des science historiques d'Alger 1930, publié, S.H.A, Alger, 1932, p.315.

360 للإطلاع أكثر على الأمراض التي عرفتها الجزائر قبل 1830م، ينظر:

- Berbrugger, (A), " un mémoire sur la peste en Algérie, depuis 1552 jusqu' en 1819", in exploitation scientifique de l'Algérie, imp. Royale, Paris, 1847, T2, pp.205-228.

وقد أدى طغيان النشاط الزراعي على المجتمع الجزائري في تلك الحقبة إلى تمركز الغالبية الساحقة من السكان في الأرياف، والبوادي بحوالي 95%، وكانوا موزعين بحكم علاقتهم بالسلطة إلى:

- قبائل المخزن وهم قبائل متعاونة مع حكام الإيالة.
- قبائل الرعية وهي قبائل خاضعة ومستغلة، ضعيفة اقتصادياً وعسكرياً.
- سكان متحالفون مع السلطة السياسية.
- سكان مُمتنعون عن تقديم الولاء للسلطة السياسية، وعادة ما يستقرون في المناطق الجبلية والنائية.

أما سكان الحواضر فنسبتهم محدودة في هذه الفترة، حيث لا يمثلون سوى 5% من مجموع السكان، وينقسمون إلى الفئات التالية:

- فئة حاكمة تتمثل في الأقلية التركية العثمانية والكراغلة.
- الحضر أو البلدية: وهم الذين يقطنون المدن بصفة دائمة مثل الأندلسيين، ويطلق عليهم اسم الموريسكيون<sup>361</sup>.
- فئة البرانية: وهم الذين وفدوا إلى المدن قصد الحصول على عمل، أو لممارسة نشاط اقتصادي.
- فئة الأجانب اليهود والمسيحيين.

ومما يلاحظ على المجتمع الجزائري في العهد العثماني أنه كان منقسماً إلى طبقتين متميزتين الطبقة الحاكمة وأدواتها من (كراغلة ويهود وقبائل المخزن)، والطبقة المحكومة وتمثلها الرعية، وقد كان هذا التقسيم من الأخطاء التي ارتكبتها الأتراك وذلك بعدم محاولتهم ربط المجتمع الجزائري بحكمهم، واستمرت علاقتهم به تتسم بالسوء وبطابع نفعي بحت، دون أية محاولة للتوحيد السياسي، ومما لا شك فيه أن هذه

<sup>361</sup> مصطلح يطلق على العرب الذين تنصروا في الأندلس بعد سقوط غرناطة، وأصل الكلمة تصغير لكلمة مورس ومعناها المسلمون الأصغر رمزاً إلى ما انتهت إليه الأمة الأندلسية من السقوط والانحلال. ينظر: علي، آجقو علي، دور قلعة الجهاد (مدينة الجزائر) في منع تكرار مأساة الأندلسيين في المغرب (1516-1541م)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، السنة الرابعة عشر، كانون الثاني/ جانفي 2007م، ع 56، ص 121.

النظرة قد تركت تأثيرات سلبية أدت بالجزائري إلى عدم شعوره بالولاء للسلطة وازداد إحساسه بالولاء للعشيرة والقبيلة<sup>362</sup>، وهذا ما يفسر لنا ضآلة التأثير التركي في إيالة الجزائر رغم مكوثه زهاء ثلاثة قرون.

وإذا حاولنا تقسيم هذه الفئات حسب النشاط الاقتصادي، يمكن حصرها في ثلاث فئات وهي:

**1- فئة الأثرياء:** وتأقي على رأس التركيبة الاجتماعية، وتشمل العناصر التركية العثمانية التي تهمين على السلطة السياسية، مثل الداوي، مجلس الديوان، البايات، وكبار مسؤولي الدولة، وهذه الطبقة تتمتع بمجموعة من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية، والتي كانت محل معارضة العديد من الفئات الاجتماعية الأخرى.

**2- فئة التجار والحرفيين:** وهي التي ارتبط نشاطها بالقطاع التجاري والحرف، وتشمل فئات متعددة: الكراغلة، اليهود، الموريسكيون، بني مزاب... الخ.

**3- فئة العامة:** وهي بدورها موزعة إلى فئات متعددة، وأغلبها ينشط في الأشغال العامة على مستوى الموانئ، وفي الأراضي الزراعية، وتتكون من العبيد، البرانيين، وصغار التجار والحرفيين.

وقد كان النظام القضائي متصلا بالحاكم، إذ يعد مصدر السلطة السياسية والقضائية، ويمكن تفويض السلطات إلى البايات والقضاة، وقد كانت السلطة القضائية تعتمد على الشريعة الإسلامية؛ يمتلكها لدى الداوي مفتي وقاضي لكلا المذهبين: الحنفي الذي يمارسه الأتراك، والمالكي الذي يتبعه غالبية السكان<sup>363</sup> على أن تكون الرئاسة الدينية والقضائية للمفتي الحنفي (المفتي الأكبر) الذي يرشحه الباب العالي. لكن إذا كانت الأحكام التي يصدرها القضاة لا تحظى بالموافقة من قبل الحاكم فبإمكانه أن يسحب التفويض من القاضي أو الباوي.

كما كانت السلطة القضائية لإيالة الجزائر تتضمن عند تطبيق أحكامها وعقوباتها نوع من التمييز بين الأتراك والأهالي، فالأتراك يعاقبون سراً في دار آغا الإنكشارية، حتى لا تهان كرامتهم، بينما الحضر والنصارى واليهود يشهر البراح بجرائمهم. كما أن للأسرى المسيحيين ولليهود محاكم خاصة لها الحق في

<sup>362</sup> مؤيد محمود حمد، المشهداني، سلوان رشيد، رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، 1434هـ/أفريل 2013م، مج 5، ع 16، ص 427.

<sup>363</sup> المرجع نفسه، ص 429.

تطبيق أحكامها في حالة المخالفات التي لا تمس أمن الدولة أو لا تتصل بالأهالي المسلمين مما زاد في انعزالهم عن بقية الشعب<sup>364</sup>.

ومن خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن غالبية السكان عاشت تهميشاً حقيقياً على جميع المستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى العسكرية، على عكس جماعة العثمانيين الذين يمثلون السلطة الحاكمة ومن تربطهم بها مصالح مشتركة كبعض الكراغلة والأعلاج<sup>365</sup> والأوروبيين من مسيحيين ويهود. ومما لا شك فيه أن هذا التهميش قد ترك تأثيرات سلبية أدت بالجزائري إلى عدم شعوره بالولاء للسلطة وازداد إحساسه بالولاء للعشيرة والقبيلة، وهذا ما يظهر بشكل واضح في العديد من الثورات ذات الطابع السياسي<sup>366</sup>.

وفي الأخير خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات وهي كالآتي:

- حالة الفوضى والانقسام والتشتت الذي عانت منه بلاد المغرب والجزائر على وجه الخصوص. أكثر من ذلك، الحروب المستمرة، والاستعانة بالإسبان بين الإخوة الأعداء. وقد ساهمت في تحكّم أقلية من أعيان المدن أصحاب المصالح، والذين حفاظاً عليها ارتموا في أحضان الإسبان وأعانواهم على احتلال البلاد.

- أن القضاء على أعداء الداخل هو المرحلة الأساسية لتحقيق انتصار خارجي وهكذا فقد كان للانتصار الخارجي دوره بإضعاف أعداء الداخل وكشف خياناتهم، الأمر الذي ساعد على تصفيتهم وتجاوز التمزق الداخلي.

- الدعوة إلى رفع اللبس عن الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، وخصوصاً مع تجدد الدولة الجزائرية بمجيء الإخوة بربروس، واسترجاع البلد لمكانته المتوسطة؛ فعروج الذي استشهد في الحملة على تلمسان، لو

<sup>364</sup> ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 50-51.

<sup>365</sup> العُلاج: كلمة عُلج في الفترة الحديثة (في العهد العثماني)، أطلقت على الأوروبيين المسيحيين، الذين إعتنقوا الإسلام، للدلالة على أصلهم المسيحي هم العجم، توافد عدد هام منهم في العهد الأول من إيطاليا سيما من كورسيكا، كما امتهن الأعلاج نشاطات وحرافاً متنوعة خاصة التجارة. ينظر: محمد، سي يوسف، المرجع السابق، ص 58.

ينظر: عائشة، غطاس، الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر (1700-1830م)، (د،ط)، الجزائر، 2001-2002م، ج 1، ص 17-18.

<sup>366</sup> محمد خير، فارس، المرجع السابق، ص 206. وينظر أيضاً: مؤيد المشهداني، المرجع السابق، ص 427-428.

كان يريد الشهرة والمال لكان له ذلك، وإنما رأى في حالة الفوضى والضعف والتشتت الذي ميز الجزائر فرصة لإقامة سلطة مركزية قوية يواجه بها أعداءه، وتمكنه من إنقاذ المزيد من إخوانه، وقد كان هذا مشروعاً تقاسمه مع أخيه خير الدين.

- ظهرت الجزائر في المغرب الأوسط على أنقاض دولة كانت تعيش آخر أيامها، في وضع يميزه الضعف، والتبعية للإسبان، وأصبحت قوة بحرية لها مكانتها في حوض البحر المتوسط، واستطاعت مجابهة الهجمة الصليبية وهي في ذروة قوتها وجبروتها.

- لقد أدت الهجمة الصليبية إلى ظهور الطبقة المتسلطة من أعداء الداخل، ولم يكن هناك من أمل في تحويل التيار إلا بظهور قوة يمكن لها مجابهة القوى الصليبية، الأمر الذي فسح المجال للقوى الحقيقية المتمثلة في أبناء يعقوب لممارسة دورها التاريخي والاضطلاع بمسئولياتها القومية والدينية، وتمكنت الجزائر بأرضها وشعبها من استغلال تلك القوى التي عملت على تحويل تيار الاستسلام إلى تيار المجابهة والانتصار.

- إن الأحداث التاريخية للقرن السادس عشر الميلادي زاخرة بالمعلومات عن الجزائر العثمانية والقطاع الغربي منه على وجه الخصوص، ولا سيما عندما يتعلق الأمر باحتلال وهران والمرسى الكبير لفترة طويلة، وباقي المدن الساحلية الجزائرية من طرف الإسبان.

القسم الأول:

بيبلوغرافيا حول الاحتلال الاسباني لوهراو والمرسى الكبير  
(1505 - 1792م).

الفصل الأول:

الجمعياء الفرناسية العلمية في الجزائر (1830 - 1962).

الفصل الثاني:

المجلة الإفريقية (R.A) 1856م.

الفصل الثالث:

نشرية وهران الأثرية والجغرافية (B.S.G.A.O) 1878م.

## الفصل الأول:

الجمعيات الفرنسية العلمية في الجزائر (1830 – 1962).

أولاً: الجمعية الجغرافية الجزائرية (S.G.A) 1821م.

ثانياً: جمعية البحث العلمي (S.R.S) 1836.

ثالثاً: لجنة اكتشاف الجزائر العلمي (S.D.S) 1837م.

رابعاً: جمعية قسنطينة الأثرية (S.A.C) 1852م.

خامساً: الجمعية التاريخية الجزائرية (S.H.A) 1856م.

مع بداية القرن التاسع عشر وخاصة عقب حملة نابليون (Napoléon Bonaparte)<sup>1</sup> على مصر ازداد عدد هواة وطالبي الدراسات الشرقية، وأصبح عدد المستشرقين<sup>2</sup> الفرنسيين في كل التخصصات يُعد بالعشرات نتيجة الارتفاع في عدد المستشرقين وكثافة وغزارة إنتاجهم وتنوع مجالات بحثهم، وأمام هذا التطور والتوسع الإستشراقي أضحت لفرنسا مجالات خاصة بالإستشراق<sup>3</sup> ووثيقة الصلة به؛ تصدر في باريس والشرق الأدنى<sup>4</sup> وشمال إفريقيا منذ عهد بعيد<sup>5</sup>.

ويعد الإستشراق الفرنسي أحد ثمار الحركة الإستشراقية الأوروبية المعاصرة، ويعتبر أخطر أنواع الإستشراق نظراً لما له من مخططات تحمل في طياتها بوادر الغزو الثقافي والصراع والحرب والتي ظهرت منذ سنين عديدة ولازالت جذورها ضاربة لحد الآن؛ وتظهر بشكل واضح في الجوانب الفكرية للمجتمعات العربية خاصة الجزائر من خلال اللغة العربية المفرنسة، ولقد مرّ من خلاله عُمر الإستشراق الفرنسي في الجزائر بعدت مراحل دعمت الوجود الفرنسي في الجزائر وساعدت على مدّ جذوره فيها ومكوته لمدة أطول. وقد اتجهت مجالات البحث عند الفرنسيين إلى ثلاثة عناصر أساسية:

### 1- نشر الآثار القديمة عن الجزائر.

<sup>1</sup> نابليون الأول (1821-1769م): قائد عسكري فرنسي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا، أصبح القائد الفعلي لفرنسا بعد نجاح انقلاب بروميرو ويطلق على هذه الفترة عهد القنصلية، اهتم بمواجهة مشاكل فرنسا الداخلية والخارجية، وقد مثل أشهر عبقرية عسكرية في زمنه، بل ربما كان أشهر من تقلد رتبة لواء في التاريخ، وقد كوّن إمبراطورية ضمت معظم غربي أوروبا ووسطها، ويعرف أيضاً باسم نابليون بونابرت. للإطلاع أكثر على هذه الشخصية ينظر: ينظر: شوقي عطالله، الجمل، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، (د، ط)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص 135.

<sup>2</sup> المستشرق: هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه. ينظر: أحمد عبد الرحيم، السايح، الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص 10.

<sup>3</sup> الإستشراق: هو الدراسات المختصة في شؤون المسلمين وأحوالهم وعلومهم ومعارفهم، والذي لا بد أن يكون من غير المسلمين سواء كان هذا الدارس من الشرق أو الغرب، فهو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بعض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكري. ينظر: علي بن إبراهيم الحمد، النملة، الإستشراق والدراسات الإسلامية، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، 1998م، ص 122.

<sup>4</sup> الشرق الأدنى القديم مصطلح يدل على الحضارات التي نشأت في ما يسمى اليوم بالشرق الأوسط، وتحديداً: بلاد الرافدين، مصر القديمة، وإيران القديمة، أرمينيا، الأناضول، الشام. ويستخدم هذا المصطلح غالباً في مجال علم الآثار في الشرق الأدنى والتاريخ القديم.

<sup>5</sup> نجيب، العقيلي، المستشرقون، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، ج3، 1964م، ص 148.

2- إنشاء اللجان العلمية، ومنح الرخص للأفراد للقيام بعمليات البحث والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في الجزائر.

3- تكوين الجمعيات المختصة، والصحف والدوريات<sup>6</sup> التي تحفظ المكتشفات التاريخية<sup>7</sup>.

إن النشاط العلمي - الثقافي الذي تميّز به العهد الفرنسي والأبحاث التي قامت بها مختلف اللجان والجمعيات، كان قد بدأ منذ أوائل الاحتلال واستمر إلى آخر عهده، وما ميّز العهد الاستعماري هو البحث المستمر في مختلف المجالات، وتُعد الجمعيات العلمية بشقيها العلمي والديني الأرضية الصلبة لتوطيد الدعائم الأساسية والتي استطاعت من خلالها الحكومة الفرنسية أن تغرس جذور استعمارها في الجزائر، حيث عملت على إحياء الماضي المجيد وذلك بالبحث والتنقيب عن الآثار والنقوش الرومانية القديمة ونشر المسيحية، بدعوى نشر الحضارة وإخراج الشعب الجزائري من التخلف والهمجية، ما يضيف ذلك طابع الشرعية على جرائمها البشعة اتجاه الأمة الجزائرية.

اهتم الفرنسيون خلال الخمسينيات بإنشاء الجمعيات والمجلات التي تخدم تاريخ الجزائر عامة والقديم خاصة<sup>8</sup>، فتأسست مجموعة منها، وقد تعددت الجمعيات العلمية وقدمت خدمة كبيرة للبحث رغم انتمائها للإرادة الاستعمارية وكانت في بدايتها تحت تأثير وإشراف العسكريين الذين كانوا في الميدان، وكانوا هم الذين يمدونها بالملاحظات<sup>9</sup>، وقد عرفت فرنسا ثورة في عالم المجلات والدوريات الإستشراقية والتي ضمت مستشرقين فرنسيين وغيرهم بجميع تخصصاتهم، والتي بلغ عدد عناوينها أكثر

<sup>6</sup> الدورية هي عمل منشور يصدر بشكل دوري ضمن برنامج محدد. ويمكن أن يكون النشر مطبوعاً أو إلكترونياً، كما يمكن للفترة الزمنية أن تتفاوت بين الإصدار اليومي كما في الصحف اليومية، أو الأسبوعي كما في بعض المجلات، أو بشكل شهري، أو يمكن أن يكون الإصدار كل ثلاثة أشهر في بعض الحالات. والدوريات العلمية هي نشرة تصدر على فترات محددة وتهتم بأخبار الأبحاث العلمية الأكاديمية. على العكس من المجلات العلمية، جمهور الدوريات العلمية هم عادة من الأكاديميين.

<sup>7</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء... المرجع السابق، ج1، ص14.

وينظر أيضاً: حنيفة، هلاليلي، "المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962م"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان، العدد 7، جوان 2005م، ص152.

<sup>8</sup> أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2000م، ج1، ص371.

<sup>9</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج6، ص90.

من أربعين عنواناً في مختلف المجالات والتخصصات<sup>10</sup>. ومن خلال هذا نطرح التساؤلات التالية: فيما تمثلت هذه الجمعيات؟ وما الدور الذي لعبته في توطيد دعائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟

ومن بين هذه الجمعيات على سبيل المثال لا الحصر؛ نذكر:

### أولاً- الجمعية الجغرافية الجزائرية (S.G.A) 1821م:

تأسست الجمعية الجغرافية الجزائرية (La Société géographique Algérienne) في باريس سنة 1821م، وكان جل اهتمامها استكشاف دول المغرب العربي تسهيلاً لعملية الاحتلال الفرنسي<sup>11</sup>. وقد كان على المقاومة الشعبية أن تتسع وتتحد لمواجهة مشروع الهيمنة الفرنسية على الأراضي الجزائرية بالرغم من قلة إمكانياتها ونقص تنظيمها وتشنت قوتها<sup>12</sup>، وبداية من سنة 1830م شرع في دراسة تدريجية للمرحلة الأولى (1830-1840م) من طرف ضباط عسكريين من أمثال: "روزيه Rosé"، "رونو Renault"، "بيون دومبلي Pune Dumbley" الذين كانوا ضباطاً وأصبحوا فيما بعد جنرالات، وقد كان على السلطات الاستعمارية المتواجدة بالجزائر أن تعرف حجم الممتلكات والثروات الباطنية والطبيعية لكي تشرع في التنمية الاقتصادية لبلادها<sup>13</sup>. كما باركت الكنيسة هذا النهب المنظم للأراضي والأقاليم حتى أن البابا "ألكسندر السادس Alexandre"<sup>14</sup> قام بإصدار فتوى في ماي 1493م جعل فيها العوالم المكتشفة من نصيب إسبانيا والبرتغال؛ لكي تنتشر وتزدهر الديانة المسيحية والعقيدة الكاثوليكية في كل مكان، وليتم إخضاع الأمم المتوحشة وجلبها إلى العقيدة

<sup>10</sup> الطيب، بن إبراهيم، الإستشراق وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ط1، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص ص 135-136.

<sup>11</sup> رزيقة، مجاوي، الإستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة ونشر التراث الجزائري، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1435-1436هـ/ 2014-2015م، ص 54.

<sup>12</sup> Béquet, (E), "Commission de géographie comparée", in: R.A, N°1, 1856, Alger, p.425.

<sup>13</sup> جمال، فنان، التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية، أعمال الملتقى الدولي حول: "الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي"، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، فندق الهيلتون، الجزائر، 2-3 جويلية، 2006م، ص ص 50-51.

<sup>14</sup> ألكسندر السادس: ولد سنة 1431م بإسبانيا وانتخب لرئاسة المذهب الكاثوليكي سنة 1491م، وتوفي مسموماً سنة 1503م. ينظر: محمد فريد بك، المحامي، المصدر السابق، ص 181.

المسيحية. وهنا يمكن أن نعرض قول "وليام هاوايد William Haweid" في كتابه "الاستعمار والمسيحية": "إن الوحشية القذرة التي مارستها الأجناس المسماة مسيحية في جميع بقاع العالم وضد كل الشعوب... لا مثيل لها في أي من مراحل التاريخ البشري ولدى أي جنس مهما تكن قسوته وبذاءته ووحشيته".

لقد عملت السلطات الفرنسية على أن يكون للمجال الجيولوجي<sup>15</sup> حيز معتبر، وأن يكون له دور مهم في نشاطاتها وعملياتها، ومن البديهي أنه قبل أن يتم الشروع في وضع مناهج تطبيقية لا بد أن يقوموا بعمليات استكشافية مستهدفة الجزائر، فتميزت هذه العمليات بفضول علمي بُغية معرفة هذا الكم الهائل من الثروات فكانت ذات طابع استكشافي فضولي<sup>16</sup>، وقد لعبت الجمعيات الجغرافية دوراً بارزاً في هذا المجال، حيث نجد أن كل البلدان الاستعمارية أسست جمعيات جغرافية تعمل على تشجيع رحلات الاستكشاف لمختلف مناطق العالم والتعريف ببلدان ما وراء البحار، وما تشتمل عليها من ثروات وخصائص طبيعية، جيوسياسية، بشرية وغيرها؛ بواسطة النشرات التي كانت تصدرها دورياً لتحسيس الرأي العام في بلدانها بأهمية التوسع وفوائده، والذي أضفت عليه الصبغة العلمية الأخلاقية وذلك في كونه خدمة للإنسانية ولمصلحتها<sup>17</sup>، وقبل ذلك بسنوات كانت قد أنشئت الجمعية الجغرافية والتي تعتبر من أقدم الجمعيات الجغرافية في العالم، أسست في فرنسا سنة 1821م وكان عدد أعضائها آنذاك لا يتجاوز ثلاثمائة عضو، لتضم في كنفها سنة 1881م ألفي (2000) عضو<sup>18</sup>، ومن بين أبرز علماء هذه الفترة: "لابلاش La Blache"<sup>19</sup> -رئيسها الأول- و"كوفي Kofi"

<sup>15</sup> الجيولوجي وهو العالم الذي يدرس المواد الصلبة والسائلة والتي تتواجد على الأرض والذي يدرس الجيولوجيا وعلم الأرض في الأحافير، وعادة يكون مختصاً بالفيزياء والبيولوجيا والكيمياء ويدرس أيضاً الزلازل والنشاطات البركانية والتسونامي والظروف الجوية.

<sup>16</sup> إبراهيم، مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص ص 49-61.

<sup>17</sup> جمال، قنان، التوسع الاستعماري... المرجع السابق، ص 53.

<sup>18</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق، ج 6، ص 91.

<sup>19</sup> بول فيدال دي لا بلاش (Paul Vidal de La Blache) ولد في 22 جانفي 1845م، وتوفي في 5 أفريل 1918م. جغرافي فرنسي، يعتبر مؤسس الجغرافيا الفرنسية الحديثة وأيضاً مؤسس المدرسة الفرنسية للجغرافيا السياسية. لقد تصور فكرة النوع، وهو الاعتقاد بأن نمط حياة منطقة معينة يعكس الهويات الاقتصادية والاجتماعية والأيدولوجية والنفسية الواضحة على المشهد. أسس فيدال دي لا بلاش المدرسة الفرنسية للجغرافيا، إلى جانب مارسيل دوبوا ولوسيان جالوا، وكذا حوليات الجغرافيا سنة 1893م، والتي كان رئيس تحريرها

و"شاتوبريان Chateaubriand"<sup>20</sup> وغيرهم، وقد عملت هذه الجمعية على تشجيع وتمويل البحوث الجغرافية وأحدثت جوائز وخصصت ميزانية لتمويل رحلات الجغرافيين والمستكشفين وتوجت عدداً منهم من أمثال: "روني كييف Ronnie Kief"، و"بارف Parf"، ومن الجغرافيين: فيدال دو لابلاش<sup>21</sup>.

لقد لعبت الجمعيات الجغرافية دوراً بارواً في تشجيع رحلات الاستكشاف، حيث مكنت هذه الرحلات الممولة عدداً هاماً من العلماء والمستكشفين من بلوغ أقصى الأماكن لاسيما في القارة الإفريقية وبالأخص في شمالها<sup>22</sup>، وكان ذلك بواسطة النشرات التي كانت تصدرها لتحسيس الرأي العام في بلدانها بأهمية التوسع وبكونه عمل أخلاقي فيه خدمة للإنسانية<sup>23</sup>، وكذلك سمحت لها بفتح طرق الجنوب عبر بلاد التوارق<sup>24</sup> نحو تمبكتو<sup>25</sup> والسودان الغربي فضلاً عن مجاهل الصحراء الكبرى وفي تلك الفترة لم تكن هناك خطة محكمة للاحتلال بل مجرد استطلاعات، وفكرة احتلال البلاد لم يكن مشروعاً نهائياً<sup>26</sup>.

حتى وفاته. وأصدر عام 1891م مجلة حوليات الجغرافيا (Annales de géographie). أصبحت هذه الحولية مجلة أكاديمية مؤثرة عززت مفهوم الجغرافيا البشرية كدراسة للإنسان وعلاقته ببيئته. وقد أنتج فيدال دي لا بلاش عدداً كبيراً من المنشورات. بما في ذلك 17 كتاباً و 107 مقالة و 240 تقريراً ومراجعة ومن مؤلفاته: كتاب "مبادئ الجغرافيا البشرية". الصادر عام 1918م. ينظر: فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، مر: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م، ص ص 52-55.

<sup>20</sup> فرانسوا رينيه الفيكونت دو شاتوبريان (1768-1848م): كاتب فرنسي، أقام في إنجلترا، عينه نابليون أميناً للسفارة التي بعث بها إلى إيطاليا سنة 1803م، ولكنه استقال من منصبه هذا بعد عام من تنصيبه وظل يشغل مناصب سياسية أخرى حتى سنة 1830م، عندما ترك السياسة وانصرف إلى الأدب، ومن بين مؤلفاته كتب "الشهداء" عام 1809م، "رحلة من باريس إلى بيت المقدس" عام 1811م، وأنهى حياته بكتابة "مذكرات ما وراء القبر" عام 1848م، ويعتبر شاتوبريان زعيم المدرسة الرومانسية في الأدب الفرنسي، ويعزى إليه الفضل في إثراء اللغة الفرنسية وتطور النثر الفني.

<sup>21</sup> جمال، قنان، التوسع الاستعماري... المرجع السابق، ص ص 52-53.

<sup>22</sup> إبراهيم، مياسي، المرجع السابق، ص 40.

<sup>23</sup> محمد، برمكي، الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954-1962م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة وهران، 2010م، ص 4.

<sup>24</sup> التوارق أو الطوارق: هم الأمة الأمازيغية التي تستوطن الصحراء الكبرى، في جنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو. والطوارق مسلمون سنيون مالكيون، ويتحدثون اللغة الطارقية بلهجاتها الثلاث: تماجق، وتماشق، وتماحق. عرقياً يمكن وصف الطوارق بأنهم جنس أبيض مع ميل إلى السمرة. عرف الطوارق بتسميات عديدة في مراحل تاريخية متلاحقة، ففي عصور ما قبل التاريخ عرفوا بالجرمانيين، وفي أوائل العصر الإسلامي عرفوا بالملثمين، ثم المرابطين، وأخيراً في العصر الحديث عرفوا بالطوارق.

إن الطريق إلى إفريقيا كان مشروعاً استعمارياً دعمته الرحلات الاستكشافية نحو القارة، ومن أمثلة ذلك ما قام به الألماني "ألكس بيرهارد زورف Alex Bernhard Zorf" صاحب كتاب: "رحلة واستكشاف في الصحراء"، والذي عمل في البداية في صفوف الجيش الألماني ودرس الطب وعند انتقاله إلى الجزائر التحق باللفيف الأجنبي ولم يكن يستعجله شيء سوى استكشاف الصحراء الجزائرية والتوغل في إفريقيا والقيام برحلة إلى تمبكتو ولأجل ذلك كان عليه تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وبعد خمس سنوات قرر أن يتنكر في زي مسلم للتغلغل في أوساط الأهالي وقد نجحت حيلته وتمكن من كسب ثقة بعض الزعماء الدينيين الذين فتحو له أبواب مناطقهم، وقد كانت بداية لنشاط تجاري كبير في جنوب شرق الجزائر لصالح فرنسا والتي كانت مدينة لأول رحالة غير فرنسي يصل إلى عين صالح<sup>27</sup> وبالتحديد بيرهارد زورف بعد نفور الفرنسيين أكثر من 20 سنة من المغامرة في هذه المناطق<sup>28</sup>.

لقد كان من مهام هؤلاء المستكشفين العودة بأعمال علمية بالغة الأهمية عن المسالك والطرق وعن البلدان والأهالي، وكذا ما تملكه تلك المناطق من ثروات وخيرات وكل ذلك بما أنجزوه من كتب وخرائط وصور بغية الفوز بجوائز الجمعية القيمة والحصول على المزيد من التمويل لرحلاتهم<sup>29</sup>.

لم تكن الفائدة المرجوة من نتائج تلك الرحلات موجهة لإشباع الفضول العلمي بقدر ما خدمت أغراض القادة السياسيين والعسكريين في معرفة أحوال الناس وما تمتلكه تلك المناطق من ثروات وأنسب الطرق للوصول إليها، ويعد أمثال كل من: "أوري دو فيليب de Philippe"، "لامي Lamy" من المستكشفين الذين كانت كتبهم بمثابة المراجع العلمية والمعرفية ذات القيمة بالغة الأهمية بالنسبة للجمعية،

<sup>25</sup> تمبكتو: إحدى المدن الإستراتيجية والحيوية على ضفاف نهر النيجر، ويقال أن اسمها مشتق من بئر بكتو، وهو اسم لامرأة تارقية، وبفضل موقعها الاستراتيجي شكلت سوقاً تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات، خاصة من مصر وفزان وغدامس وغيرها من المدن الأخرى، ولقد طرأت على المدينة العديد من التغييرات عبر مراحلها التاريخية. ينظر: أمحمد، عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844م-1916م)، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص 30. وينظر أيضاً:

- الحميري، المصدر السابق، ص 398.

<sup>26</sup> يحي، بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 91.

<sup>27</sup> تعرف باسم منطقة تيدلكت وهو الكف وسط اليد. تقع في منطقة الجنوب الجزائري.

<sup>28</sup> إبراهيم، الحاج أحمد، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م (مزاب والأهقار نموذجاً)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة قسنطينة 2، 2012م، ص 18.

<sup>29</sup> يحي، بوعزيز، مع تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ص ص 70-78.

كما أتاحت للإدارة الفرنسية معرفة الطبيعة الاجتماعية والدينية والثقافية والجغرافية والجيولوجية لتلك المناطق.

لقد قدمت الجمعية الجغرافية أجل الخدمات للمؤسسة الاستعمارية، بل كانت دليلها لأفضل السبل والأساليب لإخضاع مختلف جهات البلاد إلى سلطانتها، ويبدو أن الاحتلال قد قام بجلب بعثات ولجان علمية وعسكرية في بداية عمليات الاستكشاف؛ هذه اللجان التي ضمت طلاب من خرجي المتحف الطبيعي بباريس وكذا العديد من الجغرافيين الذين شاركوا في عملية الاستكشاف، هذه الأخيرة التي كان لها فضل كبير في تعزيز كيان الاستعمار وإعادة هيكلة المستعمرة فيما بعد<sup>30</sup>. وهذا ما جاء في العديد من التقارير التي تم إنجازها ومن أمثلة ذلك تقارير المارشال كلوزيل (Maréchal Clauzel)<sup>31</sup> التي كان يمتدح فيها باطن الأرض الجزائرية الذي لا ينضب، ومدى ما يمكن تقديمه للصناعة الوطنية الفرنسية.

### ثانياً- جمعية البحث العلمي (S.R.S) 1836م:

لقد توالى الجمعيات العلمية ومجالاتها في الظهور فتأسست في عنابة جمعية سميت باسم "جمعية البحث العلمي" (La Société Recherche Scientifique)، لتأخذ فيما بعد اسم "أكاديمية هيبون"<sup>32</sup> (Académie Hippone)، في سنة 1836م، وقد تولى رئاستها المحامي أوليفيا (Olivia)، حيث تعاقب على رئاستها من بعده مجموعة من الضباط، ليفسح لها المجال وتصدر مجلة باسم "نشرية أكاديمية هيبون" (Bulletin de L'Académie Hippone) وقد اقتصر

<sup>30</sup> عبد النور، غرينة، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية (1840-1939م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010م، ص 120.

<sup>31</sup> برتراند كلوزيل (Bertrand Clauzel) (1772-1842م): هو ضابط فرنسي، شارك في الثورة الفرنسية وفي حرب الإستقلال الإسبانية وفي احتلال الجزائر، التي صار حاكماً عاماً لها خلفاً للجنرال دي بورمون. وقد تقلد كلوزيل مهام القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر مرتين الأولى ما بين 1830-1831م، والثانية ما بين 1834-1837م. أحققه نابليون الأول بالنبلاء، ورفع له لويس فيليب الأول إلى رتبة مارشال فرنسا في فيفري 1831م. ينظر: الغالي، غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر: الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ص 309.

<sup>32</sup> هيبون: هو الإسم القديم لمدينة عنابة، تقع في شمال شرق الجزائر. كانت مدينة فينيقية وجزء مهم من مقاطعة أفريقيا. تأسست هيبون حوالي القرن 12 ق.م، وسميت "هيبون" نسبة للخليج الذي كانت تقع عليه، الذي عرف باسم "هيبونينسيس ريجان" وسميت في الفترة الرومانية "هيبوريجيوس". وحالياً هي تمثل مدينة عنابة.

اهتمامها بالشرق الجزائري عموماً، إلا أنها كانت تعمل ضمن الطابع الأثري والديني ولكن دائماً بما يخدم المصالح الاستعمارية<sup>33</sup>. وقد نشرت الجمعية في مجلتها مقالات ودراسات لكل من الدكتور لوكلير (Dr. Locklear)، وبلوشي (Baloushi) وغيرهم<sup>34</sup>.

لقد ظهر مجموعة من الرجال الفرنسيين لدراسة تاريخ الجزائر، وبالرغم من تعليمهم ومهنتهم التي كانت بعيدة كل البعد عن هذا المجال، إلا أنهم استطاعوا حسب ما أورده ستيفان غزال (Stéphane Gsell)<sup>35</sup>: "أن يبرهنوا على أنهم علماء وليسوا هواة، وعلى أنهم ذوو قيمة عالية بمعارف مستطردة، ولهم روح الواقع، والدقة والدكاء الحي والحكم الأكيد"، كما أضاف قائلاً: "أنه لا يمكننا حصر الخدمات القيمة التي قدمها هؤلاء المتطوعون"، وكان منهم على وجه الخصوص الضباط العسكريون أو الترجمة العسكريون والمستشرقين الذين استغلوا التقارير الرسمية التي تأتيهم بالإضافة إلى الوثائق المختلفة التي وجدوها أو استولوا عليها خلال حملاتهم العسكرية لكتابة تاريخ الجزائر<sup>36</sup>، أو على الأقل ما كتبه في مختلف الجوانب بحكم النظام العسكري الذي طبق في الجزائر منذ الاحتلال<sup>37</sup>.

ومنه فإن دافع الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر يكمن في التعرف على هذا الشعب المغلوب، الواقع تحت رحمة الحضارة الأوروبية، بالإضافة إلى دافع السيطرة والاحتلال، ولا يمكن أن يكون إلا بجمع

<sup>33</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 96.

<sup>34</sup> إسماعيل، العربي، الدراسات العربية...، المرجع السابق، ص ص 29-30.

<sup>35</sup> ستيفان غزال: ولد بباريس يوم 7 فيفري 1864م، من عائلة بروتستانتية، انتقلت إلى سويسرا، درس بالمدرسة النورمالية سنة 1883م وتخرج منها سنة 1886م وحاز على الدرجة الأولى لتدريس التاريخ، وميله للتاريخ القديم جعله يلتحق بالمدرسة الفرنسية في روما؛ تخصص في دراسة التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية، وكُلف بعدها لتقديم الدروس في علم الآثار في مدرسة الآداب بالجزائر العاصمة، ترقى لرتبة أستاذ كرسي. له عدة إسهامات في المجلة الإفريقية خاصة ما تعلق منها بالفترة الرومانية، وله أيضاً عدة مؤلفات منها: "التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية"، "النقوش اللاتينية في الجزائر... الخ. توفي سنة 1932م. ينظر:

- Eugène, Albertini, "Stéphane Gsell (1864- 1932)", in: R.A, 1932, N°73, pp.20- 36.

Stéphane, Gsell, op.cit, pp.7- 8.

36

<sup>37</sup> طبق الحكم العسكري في الجزائر منذ الاحتلال؛ فكان الجيش هو السلطة القوية المسيرة للبلاد من إدارة الحاكم العام العليا إلى إدارة المكتب العربي القاعدية فكان القادة العسكريين هم أصحاب الكلمة الأخيرة، وهي فترة إخضاع الأهالي من خلال سياسة الإبادة والتقتيل لبسط السيطرة الفرنسية في الجزائر، واستمر إلى غاية 1871م، حيث تم استبداله بالحكم المدني، ينظر: شارل رويبر، أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ط1، تر: عيسى، عصفور، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 1982م، ص ص 35-36. وينظر: أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 57.

الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتقييمها واستخلاص النتائج منها، بالإضافة إلى دافع الفضول العلمي الذي انبثق عنه ما يسمى بالاستشراق الذي كانت مهمته التعرف على الآخر، وقد أشرف على هذه المهمة مجموعة من المستشرقين كان منهم الموضوعيون، ومنهم المادحون، والمنتقدون وحتى المشوهون للإسلام والمسلمين<sup>38</sup>. ولم تخلوا دراسة من ذكر روما والرومان في شمال إفريقيا ومحاوله ربط عادات وتقاليد وثقافة البربر بالثقافة الرومانية القديمة، وتصوير الإسلام والعرب أنه غريب في المنطقة بما يخدم السياسة الاستعمارية.

والظاهر أن الإدارة الفرنسية في الجزائر ومن ورائها جمع الباحثين والمؤرخين والمستشرقين، عرفت كيف توظف التاريخ المحلي في خدمة المستعمر. وقد هدفت من وراء هذه المخططات إلى إفراغ المجتمع الجزائري من محتواه الحضاري، وتحويله إلى منطقة فراغ، فالجزائر في نظر كتابات هؤلاء ما هي إلا حيز جغرافي يتعاقب عليه الحكام وتنتقل عبره القبائل المتناحرة التي لا تخضع إلا للإرهاب والغطرسة، فالجزائر في منظور الاستشراق الفرنسي جزء من حضارة الغرب أفتركت من طرف الشرق في مناسبتين الأولى عند الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، والثانية مع ظهور العثمانيين، وتأسيس إيالة الجزائر مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي<sup>39</sup>.

إن المساهمة الفرنسية في كتابة تاريخ الجزائر حقيقة هي مساهمة غزيرة ومتنوعة، إلا أن دراسة هذا التاريخ من جهة واحدة وحصره في زاوية ضيقة بالاعتماد على المصادر الغربية وإهمال الكتابات المحلية والتي تظهر الوجه الحقيقي لهذه الأمة، يجعل منه تاريخ يعتمد في تأليفه على الذاتية الجارحة والتزيف والتضليل ما يجعل منها كتابات ذات توجه استعماري تفتقد لروح البحث العلمي الموضوعي. وفي هذا الصدد يرى المؤرخ "يحيى بوعزيز" أنه على الباحثين والمؤرخين الجزائريين غربة الكتابات الفرنسية

<sup>38</sup> مرّ الاستشراق الأوروبي وحتى الفرنسي بمرحلتين مهمتين: الاستشراق الذي ظهر في العصور الوسطى - قبل وبعد طوماس الإكويبي - كان يهدف إلى اكتشاف العالم الإسلامي، أما المرحلة المعاصرة، فهي المرحلة الاستعمارية والتي كان فيها الاستشراق في خدمة الاستعمار. ينظر: مالك، بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969م، ص 8-9.

<sup>39</sup> عبد الجليل، التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر... المرجع السابق، ص 116-120.

وتمحيصها والتدقيق في محتوياتها بمقارنتها بالمؤلفات المحلية، مع عدم الاعتماد عليها كلية، ولكن في نفس الوقت لا يمكن الاستغناء عنها<sup>40</sup>.

وكما قال عابد الجابري: "يجب أن نكون واعين... بأن اهتمامهم (المستشرقين) بهذا التراث سواء على مستوى التحقيق والنشر، أو على مستوى الدراسة و البحث لم يكن في أية حال من الأحوال، ولا في أي وقت من الأوقات، من أجلنا نحن العرب والمسلمين، بل كان دوماً من أجلهم هم. وإذن فيجب أن نتعامل معهم على هذا الأساس. وإذا شعرنا في وقت من الأوقات بضرورة الرد عليهم فيجب أن نتعامل معهم على هذا الأساس. وإذا شعرنا في وقت من الأوقات بضرورة الرد عليهم فيجب أن يكون ذلك لا بصبّ اللعنات عليهم من الخارج بل بتحليل فكرهم من داخله والكشف عن دوافعه وأهدافه"<sup>41</sup>.

### ثالثاً- لجنة اكتشاف الجزائر العلمي (S.D.S) 1837م:

اهتمت الدراسات الفرنسية بكل ما يتعلق بشؤون الجزائر منذ أوائل الاحتلال سنة 1830م، وكان وراء هذا الاهتمام البحث المستمر في مختلف المجالات من طرف المستشرقين المهتمين بالدراسات الشرقية وهذا في إطار مشروع اكتشاف الجزائر العلمي ( La Société D'exploration Scientifique). وقد رافق الحملة كوكبة من العلماء المتعاطفين لحضارة المنطقة<sup>42</sup>، ويتميز العهد الفرنسي بالأبحاث التي قامت بها مختلف اللجان والجمعيات<sup>43</sup>.

بعد أن اكتشفت الإدارة الاستعمارية في الجزائر منذ سنواتها الأولى أبعاد التراث الثقافي والفكري والحضاري العربي الإسلامي في الجزائر، وأدركت أهمية فهم هذا التراث لإرساء قواعد الاستعمار على

<sup>40</sup> يحي، بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 7.

<sup>41</sup> محمد عابد، الجابري، الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية، طبيعتها ومكوناتها الإيديولوجية والمنهجية، مداخلة بندوة مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985م، ج1، ص 307-337.

<sup>42</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

- Charles, Féraud, Les interprètes de l'armée d'Afrique..., op.cit, 479 p.

<sup>43</sup> حول موضوع منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر ينظر: أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء... المرجع السابق، ج1، ص 13-

أسس قوية، شرعت في عملية واسعة لجمع هذا التراث المكتوب منه والمروي من كل المناطق التي كان موزعاً فيها بهدف تمحيصه وتقييمه واستخلاص النتائج منه.

في البداية، لم يتعلق الأمر بمشروع بعثة علمية أو أثرية، كتلك التي حدثت في مصر (1798-1801م) بإشراف من نابليون، وإنما مع تقدم احتلال المدن الساحلية، وصلت مفاجآت قادة البعثات بالتراث الأثري الذي يمتلكه هذا البلد أوجها، حيث كان هذا التراث غاية في الأهمية. وهو ما سيشجع فكرة مواصلة التغلغل العسكري من خلال عملية الاستكشاف العلمي التي أسندت مهامها بشكل كبير إلى ضباط الجيش العسكريين، وبالأخص ضباط الهندسة العسكرية، هذه الأخيرة التي ستهتم عن قرب بجمع المعالم الأثرية، والمساهمة في تقنيات الاستطلاع الميداني. فقبل وصول الحملات العسكرية كانت الفرق الطبوغرافية تقوم بمعاينتها، بهدف معرفة الأماكن القديمة للاستيطان الروماني، وبالموازاة مع هذه العمليات كانت مجموعة من ضباط الهندسة العسكرية والجغرافية يسجلون المواقع الأثرية، ومن ثمة يمكن فهم الإسهامات العديدة التي أضافها الضباط العسكريون لعلم الآثار ومعرفتهم القوية بالحقائق المحلية من أمثال: بربوجر، وماك كارتي (Mac Carthy)<sup>44</sup> وغيرهم<sup>45</sup>.

وقد قام الجيش الفرنسي فور غزوه الجزائر بإدخال المطبعة، وكان ذلك في 26 جوان 1930م، وفي ظرف سنة واحدة عرفت المطبعة انتشارا واسعا في معظم المدن الكبرى مثل: قسنطينة، عنابة وغيرها، ولم يكتف الفرنسيون بذلك فقط بل راحوا يصطحبون معهم المطابع المتنقلة في حملاتهم العسكرية على باقي القرى والمدن، ليس من أجل تشجيع الجزائريين على اكتشاف الكتابات؛ بل بغرض طبع المنشير والمطبوعات التي تدعو المقاومين على الاستسلام والانخراط في مشروع فرنسا الحضاري، وقد تمت الموافقة على قرار تفتيش المنازل والقصور التي كانت تابعة لدايات الجزائر بحثا عن الآثار والمقتنيات والمخطوطات

<sup>44</sup> اسمه الكامل لويس ألفريد أوسكار ماك كارتي، جغرافي، ومكتبي، ولد بفرنسا سنة 1825م، أصدر العديد من الأعمال تخص الجزائر الرومانية. ينظر:

- Goldzeiger, (A. R), op.cit, p.776.

Frémeaux, Jacques, Souvenirs de Rome et présence française au Maghreb: essai d'investigation, in CRESEM, Connaissance du Maghreb, Science sociales et colonisation, s/d de J-C. Vatin, Paris, Editions du CNRS, 1984, p.37.

والوثائق وذلك في ديسمبر 1931م<sup>46</sup>، كما سمحت السلطات العسكرية أيضا بإصدار العديد من الصحف كصحيفة المرشد الجزائري وغيرها.

كما أمر وزير الحربية الجنرال "لاموريسيار C.La Moricière"<sup>47</sup> الجمعيات العلمية الفرنسية أو المشكلة حديثا لتحضير حملة التنقيب والاستكشاف الكامل للتراب الجزائري؛ بما في ذلك المناطق التي لا تزال خارج السيطرة الفرنسية، وكان الهدف الرئيسي من وراء ذلك هو رسم خرائط جغرافية لتكون وسائل أساسية لمواصلة الاحتلال، فأدت حملة الاستكشاف هذه إلى التعجيل بتشكيل اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر والتي كان من بين أعضائها "روب سبير Roub Spir" الذي وكلت إليه مهمة وضع الخرائط<sup>48</sup>.

مهما يكن من أمر فإن التدشين الحقيقي لعملية اكتشاف الجزائر علميا كان مع ذلك العمل المنجز من طرف اللجنة الإفريقية والذي أوحى إلى الإدارة الاستعمارية بإنشاء العديد من الجمعيات واللجان العلمية بهدف دراسة الجزائر من جوانب عدة، حيث بلغ عدد الجمعيات التي أنشأها الاحتلال عشية اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م ما يقارب 19 جمعية، وكان من أبرزها لجنة اكتشاف الجزائر العلمي؛ حيث تم تأسيس هذه اللجنة من طرف وزارة الحربية سنة 1837م، وقد ضمت هذه اللجنة مختصين في شؤون المستعمرات وكذا مستشرقين وعلماء حضروا إلى الجزائر<sup>49</sup>، وصل عددهم إلى 25 عضواً من بينهم 14 عسكريا، كانت مهمتهم كتابة بحوث عن الجزائر في مدة محددة ضمن أعضاء أصليين وآخرين احتياطيين يرأسهم مسؤول مكلف بالمشروع وتوجيهه بغرض البحث ونشر أعمالهم وتوسيع مجال بحثهم التاريخي، فنشرت سلسلة من المؤلفات والمطبوعات تخص العلوم الطبيعية وعلم الآثار

Berbrugger, "Introduction...., op.cit, p.3.

46

47 كريستوفر لويس ليون جوشولت لاموريسيار، ولد بنانت بفرنسا سنة 1800م، دخل المدرسة المتعددة التقنيات وتخرج منها برتبة ملازم أول شارك في غزو الجزائر وبعد مشاركته في هجوم القصبة رقي إلى رتبة نقيب، كان يتقن اللغة العربية. ينظر:

- Faucon, (N), op.cit, p.322.

48 خريج المدرسة التقنية بباريس أتى إلى الجزائر في سنة 1832م، وبادر بدراسة إحصائية حول استغلال الأراضي الجزائرية زراعيا، صناعيا ومنجميا، واضعا معلوماته هذه تحت تصرف العلم.

49 الغالي، غربي، المرجع السابق، ص 256-258.

والفنون الجميلة والتاريخ<sup>50</sup> والإثنوغرافيا<sup>51</sup>. كما قام العديد من الباحثين بنشر أعمالهم في التاريخ المحلي، اللهجات، الطرق الصوفية والنظم، وطبائع السكان، والزوايا، والحياة القبلية، خاصة العسكريين منهم، وفي ذلك إصرار فرنسي على دفع العقل البشري إلى التصديق برومانية المجتمع لاسيما وأن الاحتلال ما يزال في بداياته الأولى وما تزال المقاومة تمنع الأعضاء الفرنسيين من التوغل في البلاد ومعرفة كل أجزائها<sup>52</sup>، حيث قاموا بمجرد كل ثروات الجزائر الباطنية منها والسطحية بما فيها المائة والنباتية، وكذا الآثار والهندسة المعمارية وغيرها، وقد حلت اللجنة بأعضائها في الجزائر في خريف 1839م إلا أنها لم تبشر عملها إلا في ربيع سنة 1840م<sup>53</sup>، وذلك لسوء الأحوال الجوية من جهة ولاستئناف الحرب في أواخر سنة 1839م بين الأمير عبد القادر (Abdelkader)<sup>54</sup> والجيش الفرنسي بقيادة المارشال فالي - بعد خرق الفرنسيين لشروط معاهدة التافنة<sup>55</sup> - من جهة أخرى وهذا ما أثر على صيرورة أعمال اللجنة<sup>56</sup>.

Stéphane, Gsell, op.cit, p.7.

50

<sup>51</sup> الإثنوغرافيا (Ethnographie) أو وصف الأعراق البشرية (مشتقة من الأصل اليوناني إثنوس ويعني ناس وشعب وأمة وجرافو ويعني الكتابة)، هي الدراسة المنهجية للناس والثقافات. وتتركز الدراسات الإثنوغرافية حول مجموعات ثقافية كبيرة من الناس الذين يتفاعلون عبر الزمن وفق مجموعة من المناهج النوعية التي تستخدم في العلوم الاجتماعية، إذ تركز على ملاحظة الممارسات والتفاعلات الاجتماعية.

<sup>52</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 80.

<sup>53</sup> مصطفى، عبيد، المرجع السابق، ص 11.

<sup>54</sup> الأمير عبد القادر: هو عبد القادر ناصر الدين، الإبن الرابع لمحي الدين، ولد في ماي 1807م في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة اغريس التي في إقليم وهران في الجزائر. كان على حد كبير من الشجاعة، والدكاء والفطنة، كان محباً للفروسية، أحب الصيد. تلقى تعليمه الابتدائي تحت إشراف والده فحفظ القرآن في سن مبكرة، وقد كان متمكناً من الحديث وأصول الشريعة في مدرسة جده مصطفى الغريسي، أصبح طالباً وكلف بإعطاء الدروس في زاوية عائلته. عرف بطابعه الجهادي ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر (1832-1848م)، وهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي. ينظر: شارل هنري، تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر، تع: أبو القاسم، سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م. وينظر أيضاً: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. 2001م.

<sup>55</sup> تافنا: إسم لنهر بإقليم وهران ينبع من جبال سنوس ويصب في البحر المتوسط على بعد حوالي 50 كلم، أطلق إسمه على معاهدة "التافنة" 30 ماي 1837م بين الأمير عبد القادر والجنرال "بيجو"، دامت سنتين (1837-1839م) فقد نصها العربي فترجم الفرنسيون النص الفرنسي واعتبروه هو النص الأصلي، ينظر: هنري، تشرشل، المرجع السابق، ص 302-303.

<sup>56</sup> علي، بريغيث، صورة الجزائر عند الرحالة الفرنسيين سنة في السهل لـ أوجين فروميتان - أنموذجا-، مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، غير منشورة، جامعة يحي فارس، المدينة، 2012م، ص 9.

باشرت هذه اللجنة عملها في الجزائر سنة 1840م، بإعطاء صبغة البعثة العسكرية- العلمية للتدخل الاستعماري، على شاكلة بعثة مصر التي تمّ فيها تجنيد عسكريين وعلماء. وقدمت هذه اللجنة نتائج بحوثها سنة 1842م<sup>57</sup>؛ حيث قامت بنشر مجموعة ضمت 26 مؤلفاً بين سنتي 1842 و1867م؛ كلفت مليون فرنك فرنسي ذهبي، وكانت حول الفيزياء، العلوم الطبيعية، الفيزيولوجيا، الطب، علم الحيوانات، الفنون الجميلة، التاريخ، الجغرافيا، الإثنوغرافيا... الخ، فلقد كانت موسوعة اكتشاف الجزائر تقليداً من الفرنسيين لقائدهم الذي تمكن من إخضاع الجزائر عسكرياً ل يتم استكشافها علمياً عن طريق هذه اللجنة، والتي أشار فيها الفرنسيون إلى الأهداف المتمثلة في "التمكين لعودة سياسة الرومنة"<sup>58</sup> التي هي ملاحظة على مستوى الأرض والدراسات<sup>59</sup>، ولن يتسنى لها ذلك إلا إذا قامت بدراسة الإنتاج الحضاري والثقافي لهذا الشعب<sup>60</sup>. لكن الحقيقة أن الكتاب الفرنسيين لم يكتشفوا الجزائر بقدر اكتشاف أوروبا وأمريكا، كونهم يجهلون تاريخها وثقافتها وحضارتها، بل وساهموا في الكتابة عن ذلك خدمة و فقط لمصالحهم الاستعمارية وأسسوا لذلك المجالات والجمعيات مما سهل عليهم عملية البحث في خبايا هذا المجتمع الغامض بالنسبة لهم محاولين بذلك إيجاد ثغرات تمكنهم من السيطرة عليه<sup>61</sup>، فكان لها أن قامت بالاستعانة في ذلك ببعض الجزائريين ليكونوا لها بمثابة الساعد الأيمن في الكشف عن هذا التراث المكتوب منه والمروي بهدف تحصيله وتقييمه واستخلاص النتائج منه؛ وعلى سبيل المثال ما كتبه محمد الصالح بن العنتري<sup>62</sup> بطلب من الضابط "بواسوني Boissonnet

<sup>57</sup> رزيقة، يحيوي، المرجع السابق، ص ص 55-56.

<sup>58</sup> الرومنة (Romanisation) في المعاني التاريخية والثقافية للمصطلح، تشير إلى عمليات تاريخية مختلفة مثل التثاقف، الإدماج، والاستيعاب للسكان الملحقين حديثاً والمحيطين بالجمهورية الرومانية والإمبراطورية الرومانية في وقت لاحق. التأريخ الروماني القديم والتأريخ الإيطالي حتى الفترة الفاشية كان يستخدم لتسمية العمليات المختلفة "تحضير البرابرة"، أي جعلهم متحضرين.

<sup>59</sup> Dondin -Payre, (Monique), La commission d'exploration scientifique d'Algérie: une héritière méconnue de la Commission d'Egypte, Impr. F. Paillart, Paris, 1994, p.2.

<sup>60</sup> مصطفى، عبيد، المرجع السابق، ص ص 68-69.

<sup>61</sup> يوسف، مناصرة، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص 1.

<sup>62</sup> العنتري (1790-1800م): هو محمد الصالح بن محمد بن أحمد بن محمد العنتري، ولد في مدينة قسنطينة وتوفي بها بعد عام 1870م، كان يعمل خوجة لدى الحاج أحمد باي وأمر بقتله عام 1837م، أثناء زحف القوات الفرنسية على مدينة قسنطينة خلال الحملة الثانية وذلك بوشاية وتحريض من باشا الحامية علي بن عيسى. ينظر: العنتري، المصدر السابق، ص ص 8-9.

Barron<sup>63</sup> باعتباره كان على رأس المكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية بمدينة قسنطينة، بعد أن اختاره للعمل معه في مكتبه ككاتب في عهد الأتراك فطلب منه أن يؤلف له كتاباً عن مدينة قسنطينة بعد أن قام بوضع منهج وخطة للكتاب الذي أنهى فيه العنصري العمل في أواخر سنة 1846م تحت عنوان: "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها"<sup>64</sup>. كما تمّ أيضاً تسخير نخبة من المستشرقين من أجل تحليل هذا التراث وترجمته إلى اللغة الفرنسية ليتم نشره بعد ذلك<sup>65</sup>، وخير دليل على ذلك ما قام به البارون دي سلان والمتمثل في تحقيق الجزء الخاص ببلاد البربر من كتاب: "العرب" لابن خلدون (Ibn Khaldoun)<sup>66</sup> ونشره في جزأين<sup>67</sup>.

ويعد بواسوني حسب رين أول فرنسي لفت الانتباه إلى ملامح وخصائص البربر في الجزائر وأنه من أوائل المستشرقين العسكريين<sup>68</sup> ومن خلال كل هذا نلاحظ أن هذين الاتجاهين لا يختلفان إلا في الشكل فقط، أما من حيث مضمونها فهو واحد ويتمثل في السعي إلى تدمير الخصوصيات المختلفة للمجتمع الجزائري وإعادة تشكيله على أسس جديدة تجعله مجتمعاً خاضعاً للسيطرة الفرنسية.

كان التاريخ المحلي أحد أهم أولوياتها وذلك من خلال دراسة اللهجات المحلية والعادات والتقاليد بالإضافة إلى النظم وطبائع السكان والحياة القبلية والمدن<sup>69</sup>، والجدير بالذكر أن مشروع لجنة الاكتشاف

<sup>63</sup> ولد في باريس 19 جوان 1811م، حيث أصبح ضابطاً في المدفعية بعد أن درس في فرنسا، حيث تولى إدارة الشؤون الأهلية (المكتب العربي)، بمدينة قسنطينة في أوت 1845م، كما شارك في الجمعية الأثرية بقسنطينة ومجلتها، وشارك كذلك في تأسيس الجمعية التاريخية، توفي سنة 1902م، ينظر: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص ص 62-63.

<sup>64</sup> أبو القاسم، سعد الله، "رسالة من الشيخ العنصري القسنطيني إلى المترجم فيرو"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع1، 1986م، ص 103. للمزيد ينظر: أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج3، ص ص 297-305.

<sup>65</sup> الغالي، غربي، المرجع السابق، ص 255.

<sup>66</sup> مؤرخ وعالم اجتماع مغربي، ولد سنة 1332م بتونس في عائلة من الوجهاء وسرعان ما التحق ببلاد المرينيين في فاس ككاتب عام للسلطان أبو عنان، الذي سجنه تحت تأثير دسائس المحيطين به سنة 1357م، أطلق سراحه بعد موت السلطان فرحل إلى الأندلس عام 1362م وقد حظي باستقبال حسن وقابل ابن الخطيب (1313-1374م)، وبدأ في كتابه المقدمة التي أمّحها في مصر، حيث قضى فيها بقية حياته (1382م-1406م) توفي بالقاهرة في 17 مارس 1406م، ينظر: عاشور، شرقي، معلمة الجزائر (القاموس الجامع)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009م، ص 31.

<sup>67</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 259.

<sup>68</sup> Rinn, Louis, « Nécrologie: Barron Boissonnet », in, R.A, N°46, 1902, pp.133-136.

<sup>69</sup> بوغزة، بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 11.

العلمي للجزائر تمّ تنفيذه على أيدي عسكريين فكان من بينهم: "كاريت A.Carette"<sup>70</sup> والذي كتب بدوره عن القبائل الجزائرية والعلاقات الاقتصادية، وكذلك "بيليسي دي رينو Pellissier de Reynaud"<sup>71</sup> الذي كتب هو الآخر عن "أخبار الجزائر" خاصة في الثماني عشرة سنة الأولى من الاحتلال، إلى جانبهم "هانوتو L.Hanoteau"<sup>72</sup> الذي كتب عن اللهجات ونظم الجزائريين، كما قام أدولف دولامار (H. Adolphe Delamare)<sup>73</sup> هو الآخر بجمع وثائق عديدة عن الآثار والخطوط وقام بالتعاون مع المهندس المعماري إيمابل رافوازي (Aimable Ravoisie) بجرد وتحديد مواقع ومعالم أثرية في العديد من المدن الجزائرية<sup>74</sup>. كل هؤلاء وغيرهم من الكتاب العسكريين الذين اهتموا بمجالات أخرى في التاريخ الجزائري<sup>75</sup>، وقد كان الهدف من كل هذا هو أن يذهب هؤلاء العلماء إلى الجزائر وخلال فترة زمنية محددة يقومون بكتابة حصيلة بحوثهم ونشرها بدعم من الحكومة الفرنسية، هذه الأخيرة التي قامت باتصالات مع الإدارة الجزائرية لتسهيل مهمة اللجنة والتنسيق بين أعضائها والسلطات المحلية<sup>76</sup>.

<sup>70</sup> أنطوان أرنست هيبوليت كاريت: ولد في 1808م، خريج المدرسة التقنية بباريس سنة 1828م، ساهم مساهمة فعالة في ثورة جويلية 1848م، أتى إلى الجزائر في سنة 1832م، ثم انضم إلى الهندسة العسكرية للجيش الفرنسي وشارك في عدة حملات في الجزائر. قام بالعديد من الأبحاث التاريخية التي تخص إفريقيا القديمة، وبادر بدراسة إحصائية حول استغلال الأراضي الجزائرية زراعياً، صناعياً ومنجمياً، ينظر: -Vapereau (G), Dictionnaire universel des Littératures contenant, Librairie Hachette et Cie, 79 Boulevard saint-Germain, Paris, 1876, p.360.

<sup>71</sup> اسمه الكامل هو بيليسي دي رينو هنري جون فرانسوا إيدموند. ينظر:

- Faucon, (N), op.cit, p.446.

<sup>72</sup> اسمه الكامل هانوتو لويس جوزيف أدولف شارل كونستونس، جنرال مستشرق فرنسي ولد سنة 1814م دخل المدرسة المتعددة التقنيات أمضى جزء كبيراً من مشواره العسكري في الجزائر وأجرى عدة دراسات تخص عادات وتقاليد منطقة القبائل التي بفضلها أصبح مراسلاً لأكاديمية النقوش والآداب سنة 1873م، ينظر:

- Faucon, (N), op.cit, p.288.

<sup>73</sup> شارل دولامار مهندس مدني ولد بباريس سنة 1852م بعد دراسات كلاسيكية، دخل إلى المدرسة المتعددة التقنيات سنة 1873م، ثم انضم إلى مدرسة المناجم تخرج منها مهندس، جاء إلى الجزائر كمعمر في نهاية 1883م، وعين بعد ذلك كرئيس للجنة الأشغال العمومية، ينظر:

- Faucon, (N), op.cit, pp.180-181.

<sup>74</sup> Eve, Gran-Aymerich, Naissance de l'archéologie moderne 1789-1945, Paris, CNRS, Edition, 1998, p.154.

<sup>75</sup> أبو القاسم، سعد الله، منهج الفرنسيين...، المرجع السابق، ص ص 8-10.

<sup>76</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج6، المرجع السابق، ص ص 82-83.

والملاحظ أن دراساتهم قد أولت أيضاً اهتماماً كبيراً بالدين الإسلامي ومدى تأثير الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري، لاسيما وأنهم لاحظوا التمسك الشديد للشعب الجزائري بالعقيدة الإسلامية ما دفعهم إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين على اعتبار أن الدين الإسلامي خرافة محاولين بذلك تجريد الشعب من هويته ودينه وثقافته<sup>77</sup>.

بالرغم من كل الظروف الصعبة التي لم تسمح لأعضاء اللجنة للقيام بالمسح الشامل لبحوثهم والتي كان من المفروض أن تلمس جميع الجوانب المتعلقة بحياة الجزائريين من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، إلا أنهم تمكنوا من إنجاز العديد من البحوث والدراسات التي شملت العديد من التخصصات كالأثار الجغرافية، النباتات، الإثنوغرافيا، المعادن، الهندسة المعمارية، الجيولوجيا (طبقات الأرض)، الإحصاء... الخ، وهكذا يمكن القول أن لجنة الاكتشاف جاءت للجزائر وفق تخطيط علمي محكم ودقيق إلى درجة أنها درست كل المجالات في الطبيعة الجغرافية وكذا التركيبة السكانية للجزائر<sup>78</sup>، حيث كرّسوا لدراسة هذه المجالات مختصين والتي على أساسها تم اختيار الشخصيات التالية:

- أدريان بيربروجر: كان محافظاً لمكتبة الجزائر العامة كونه مختص في الآثار.
- كاريت: كان ضابطاً في الجيش باعتباره مختص في الجغرافيا القديمة.
- العقيد دي نوفو: ضابط في الجيش، لكونه مختص في الجغرافيا الطبيعية.
- أونفنتان (Onventan): خريج مدرسة الصنائع، باعتباره إثنوغرافي.
- وارنييه (Warnier): طبيب جراح، كان عضو احتياطي مكلف بالإحصاءات والبحث في السكان<sup>79</sup>.

<sup>77</sup> الطيب، مختاري، اللجنة الإفريقية (1833-1834م)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر والمقاومة الوطنية والثورة التحريرية، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م، ص ص 256-258. وينظر أيضاً:

- الطيب، مختاري، لجنة التحقيق الإفريقية في الجزائر ودورها الإستعماري، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 4، ع8، 2016م، 310-321.

<sup>78</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق، ج6، ص ص 82-83.

<sup>79</sup> المرجع نفسه، ص 81.

والملاحظ أن أغلب أعضاء اللجنة كانوا عسكريين، وهكذا أصبح ضباط الاستعمار مكتشفون علميون كتبوا في المجالات المختلفة لماضي الجزائر<sup>80</sup>.

ومن الصعب أن نعدد أعمال المستشرقين في الجزائر، إلا إذا بحثنا عن مجالات اهتماماتهم التي تصب في النواحي التالية: اللغة، المعاجم، اللسانيات، النقوش والآثار والتاريخ الديني، تحقيق النصوص التراثية والترجمة، الأدب والتاريخ، العلوم والجغرافيا والفقهاء، الأنثروبولوجيا والفلكلور<sup>81</sup>.

#### رابعاً- جمعية قسنطينة الأثرية (S.A.C) 1852م:

جمعية قسنطينة للآثار (La Société archéologique de Constantine) - الجمعية الأركيولوجية (Société archéologique)<sup>82</sup> - والتي يعود الفضل في تأسيسها إلى الضابط كرولي (Crowley) والضابط بروسالار (Proslar) بالإضافة إلى أستاذ اللغة العربية شيربونو (Cherbonneau)<sup>83</sup> وكان ذلك في ديسمبر 1853م، وقد أدى ذلك إلى ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية، وجاء في تقويمها (Annuaire) العدد الأول من دورية

<sup>80</sup> Kamel, Filali, Dynamique identitaire et problèmes de l'idéologisation de l'histoire en Algérie, in: A.L.E.M.M, Vol 5, édition université Mentouri, 2001, p.9.

<sup>81</sup> اشتملت دراسة هنري باصيه (الدراسات العربية في الجزائر)، ببيلوغرافية مبنية بأعمال المستشرقين والمترجمين. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Henri, Massé, « Les études arabes en Algérie 1830-1930 », in: R.A, N°74, 1933, pp. 458 - 505.

<sup>82</sup> الأركيولوجيا (Archéologie) أو علم الآثار: هي فرع علم الإنسان الذي يركز على المجتمعات والثقافات البشرية الماضية وليس الحاضرة. وتدرس المصنوعات الحرفية كالأدوات، الأبنية، الأوعية... الخ، أو ما بقي منها، والتي استمرت بالتواجد للوقت الحاضر، وأيضاً الأحافير الإنسانية. وتنظر إلى البيئات الماضية، لكي يفهم مدى تأثير القوى الطبيعية كالمناخ وغيرها على تشكيل الثقافة الإنسانية.

<sup>83</sup> جاك أوغسطس شيربونو المستشرق الفرنسي الذي كرس جهوده في تعليمه للغتين: العربية والفرنسية، كان أستاذ اللغة العربية بمدرسة قسنطينة (1846-1863م)، عين مديراً للمدرسة العربية الفرنسية بالجزائر سنة 1863م، ورئيس تحرير جريدة المبعثر سنة 1871م، ثم عين أستاذاً للغة العربية بمعهد اللغات الشرقية سنة 1879م. ينظر: حنيفي، هلايلي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها (1830-1962م)، المجلة التاريخية المغربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ع 154-155، فيفري 2014م، ص ص 323-324.

جمعية قسنطينة للآثار سنة 1853م، أن الهدف من تأسيسها هو جمع والحفاظ ووصف كل المخلفات التاريخية والأثرية لمقاطعة قسنطينة<sup>84</sup>.

ومع تقدم الاستعمار في الجزائر، بدأ بعض المستشرقين، التنسيق مع باحثين في الإدارة الاستعمارية، في إقامة مؤسسات ميدانية للنقوش والآثار فكان أن قامت جمعية قسنطينة الأثرية التي رسمت لنفسها هدفا منذ البداية وهو استكشاف البقايا الكثيرة التي خلفتها الهيمنة القرطاجية<sup>85</sup> والنوميديية<sup>86</sup> والرومانية العربية، على أرض هذا الإقليم من آثار ونقوش. وقد أصدرت هذه الجمعية عام 1853م مجلة بعنوان: "مجموع ومواجيز وأبحاث الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة" ومن المستشرقين الذين كانوا يدعمون الجمعية والمجلة أمثال: شيربونو، "شارل فيرو Charles Féraud"<sup>87</sup>، أرنست مارسية (Ernest Mercier) الذي انتقل من مجرّد عضو سنة 1867 إلى نائب رئيس بداية من سنة 1875 إلى 1892م ليتولى رئاسة المجلة من 1893م وحتى وفاته سنة 1907م<sup>88</sup>.

84 Société archéologique de la province Constantine, Annuaire de la société archéologique de la province de Constantine, F. Guende Libraire, place du Palais, Constantine, 1853, p.5.

85 اسم قرطاج الفينيقي "قرت حدشت" ويعني المدينة الجديدة. أسسها فينيقيون أتوا من صور سنة 814 ق.م. تقع على بعد 16 كلم تقريبا من الشمال الشرقي لمدينة تونس، المدينة الإفريقية الحالية، على شبه جزيرة واسعة. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: مادلين هورس، ميدان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم، بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1981م، ص 10.

86 نوميديا هي مملكة أمازيغية قديمة عاصمتها سيرتا (حالياً تسمى قسنطينة) قامت في غرب شمال إفريقيا ممتدة من غرب تونس حالياً لتشمل الجزائر الحالية والمغرب الحالي

87 فيرو لورون شارل ولد بمدينة نيس الفرنسية سنة 1829م جاء مبكراً إلى الجزائر، عين كعضو في الحكومة العامة للجزائر، وفي سن 19 أصبح سكرتيراً مترجماً للمحافظة العامة، ثم عين كمتّرجم للجيش من الدرجة الثانية، شارك تقريبا في كل الغزوات الفرنسية في مقاطعة قسنطينة، ثم عين كملحق مترجم للعديد من الحكام العامين، له عدة مقالات في المجلة الإفريقية، وأصدر العديد من المؤلفات منها مترجمو الجيش الإفريقي. ينظر:

- Paysant, (L), "Un Président de la société Historique Algérienne- Laurent- Charles Féraud", in: R.A, N°55, O.P.U, Alger, 1911, pp.5- 7.

88 Toutain, Jules, Ernest mercier et l'épigraphie romaine dans l'Afrique du Nord, l'Afrique à travers ses fils (ouvrage collectif), Paris, Librairie orientaliste Plus Guethner, 1994, p.24.

وقد أبلى هوداس (O. Hodas)<sup>89</sup> بلاءاً حسناً في دراسة النقوش البونيقية<sup>90</sup>، والبونيقية الحديثة ونشر ما لم يسبق نشره. من ذلك مجموعته المزين بلوحات، لوحة بلوحة وصفحة بصفحة. فالمجموع يزخر بروائع الآثار النوميديّة والقرطاجية وكذا آثار ما قبل التاريخ التي وقف عليها المستكشفون الفرنسيون في الجزائر. وقد ركزت المجلة اهتمامها في بادئ الأمر على الآثار الرومانية ثم توسعت دائرة اهتماماتها لتشمل التاريخ الإسلامي<sup>91</sup>.

وقد ضمت الجمعية مدنيين وعسكريين، وعدد من المتخصصين في الدراسات الإسلامية من فطاحل العلماء نذكر من بينهم: فايسيت (Facette) مؤلف كتاب "تاريخ بايات قسنطينة"، وفيلو (Villot)<sup>92</sup> مؤلف كتاب "عادات الأهالي"، وخصوصاً أرنست مارسيه الذي اشتهر بأعماله في التاريخ والفقهاء، ولا سيما مؤلفه الكبير "تاريخ إفريقيا الشمالية"، وكتاب "حالة المرأة المسلمة"، وكتاب "قوانين الحبوس"، وكتاب "الملكية عند الأهالي في المغرب"، تلك الأعمال التي أهلته لرئاسة الجمعية في سنة 1893م. ويمكن اعتبارها أول مجلة علمية في المغرب العربي كله<sup>93</sup>.

<sup>89</sup> أوكتاف هوداس ولد في فرنسا، وقد دخل إلى الجزائر في بداية حياته العلمية، وبقي في هذا البلد حتى سنة 1884م، وبعد مدة قضاها في التعليم في المدرسة الثانوية بالجزائر، انتقل إلى وهران في سنة 1869م، حيث شغل كرسي أستاذ اللغة العربية، ليعود إلى الجزائر ليتولى نفس المهمة، وهو الذي افتتح الدراسة في المدرسة العليا للآداب في الجزائر، تلك المدرسة التي أنشئت في سنة 1880م. ثم استدعي كأستاذ للغة في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وعضواً في مجلس المعارف العامة، وفي اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب. ينظر: إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص 37.

<sup>90</sup> البونيقيون أو البونيون (Punicus)، هذه الكلمة مشتقة من لفظ (Poeni) أو (Punicus) التي استخدمها الرومان للدلالة على القرطاجيين أي الفينيقيين الغربيين وهي كما نلاحظ مخففة من كلمة (Phoenic) التي اقتصر استخدامها على الفينيقيين الشرقيين سكان الساحل اللبناني، هم شعب سامي في شمال إفريقيا وهم أنفسهم الفينيقيين، أسسوا حضارة رفيعة وإمبراطورية كبيرة، كما اشتهروا بالتجارة عبر الصحراء الكبرى.

<sup>91</sup> محمد العربي، معبرش، الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (1822-1872م)، دار الغرب الإسلامي، 2009م، ص 29.

<sup>92</sup> فيلو إدوارد إتيان سيسيلو ولد ببورج سنة 1836م، وصل إلى رتبة مقدم في الجيش. كان رئيساً لبعض المكاتب العربية مثل باتنة سنة 1865م وبريكة من 1865 إلى 1867م، وقائد أعلى في دائرة عين البيضاء. أصدر سنة 1871م كتاب عادات وتقاليد ومؤسسات الأهالي في الجزائر. ينظر:

- Goldzeiger, Annie Rey, le Royaume Arabe, SNED, Alger, 1977, p.783.

<sup>93</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر ....، المرجع السابق، ج6، ص 94.

وحسب ما جاء به أبو القاسم سعد الله فإن جمعية الآثار بقسنطينة من أقدم الجمعيات ظهوراً، ويعود الفضل في تأسيسها إلى الضابط كروبي والضابط بروسلاز بالإضافة إلى أستاذ اللغة العربية شيربونو وكان ذلك سنة 1852م<sup>94</sup>، وقد أدى ذلك إلى ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية، لتصدر عن الجمعية سنة 1852م مجلة بعنوان: "مجموع ومواجيز وأبحاث الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة"، إلى جانب ذلك أخذت الجمعية تنشر مجلة باسم الحولية<sup>95</sup> (Annuaire) لتتحول بعد عشر سنوات أي سنة 1864م إلى مجموعة<sup>96</sup> (Recueil) للبحوث والمذكرات والملاحظات المتعلقة بتاريخ المنطقة<sup>97</sup>، وقد كانت تهدف إلى الحفاظ على كل المخلفات الأثرية والتاريخية، عن طريق جمعها ووصفها<sup>98</sup>، وكذا تفعيل دراسة التاريخ والجغرافيا في الجزائر، وهذا ما صرحت به في أول عدد لها<sup>99</sup>.

ركزت هذه المجلة جل اهتماماتها على الآثار الرومانية الموجودة في مقاطعة قسنطينة وبالتحديد الآثار البونيقية وذلك لأسباب سياسية، إلا أن الشيء الواضح والملفت للانتباه هو ذلك التجاهل والنظرة المتدنية للآثار الإسلامية من قبل مُسيري هذه المجلة وخير دليل على ذلك تناولها لقصري "أحمد باي"<sup>100</sup> و"صالح باي" دون أن تستوفيها حقهما بل ونظرة إليهما نظرة احتقار<sup>101</sup>؛ كونها ترى بأنها هي الوريث الشرعي لهذه الأرض وما الجزائريين إلا مجرد مغتصبين لها، وبالتالي فإنه بإمكانها أن تدمر

<sup>94</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر....، المرجع السابق، ج6، ص ص 91-92.

<sup>95</sup> يسميها الدكتور أبو القاسم سعد الله "تقوياً".

<sup>96</sup> Berbrugger, "Introduction", in: R.A, N°1, Alger A. Jourdan, Libraire- éditeur, 1856, p.8.

<sup>97</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ط2، 2005م، 16.

<sup>98</sup> Société archéologique de la province Constantine, ...op.cit, p.5.

<sup>99</sup> Recueil des notice et mémoires de la Société archéologique du département de Constantine 12<sup>eme</sup> volume de la quatrième série, Année 1909, imprimerie D.

Braham, 2, rue du Palais, 2 Constantine, 1910, dernière page.

<sup>100</sup> أحمد باي: من أسرة كرغلية من بايلك قسنطينة، أبوه تركي وأمّه جزائرية، من عائلة ابن قانة في منطقة بسكرة، كان جده أحمد القلي بايا على قسنطينة، ولد عام 1786م حكم قسنطينة (1827-1837م). ينظر: يحي، بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، 1980م، ص 35.

- ناصر الدين، سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، بيروت، دار الغرب الجزائري، 2000م، ص ص 46-68.

<sup>101</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر....، ج6، ص 36.

عمارهم الذي بنوه وتخلص من آثارهم، حيث لم يكن أفراد الجيش الفرنسي من الضباط يؤدون مهامهم العسكرية فحسب بل كانوا مهتمين أيضا بالتنقيب عن الآثار الرومانية<sup>102</sup>، ومثال على ذلك ما قام به الجنرال "كاربوكيا J. Carbouccia"<sup>103</sup> الذي قام ببعض الأبحاث عن المدغاسن<sup>104</sup> أثناء حملاته على الأوراس ما يؤكد أن كل الأيدي كانت متكاتفه مع بعضها البعض ولكل مهامه الخاصة من أجل تحقيق هدف واحد ألا وهو البحث عن الموروث الحضاري القديم لإضفاء طابع الشرعية على احتلال الجزائر<sup>105</sup>.

لقد منح احتلال الجزائر للمؤرخين الفرنسيين أعمال جديدة فرضت نفسها عليهم، لأنه وفي أي مكان آخر، معرفة الماضي ضرورة لمعرفة الحاضر، فتساءل هؤلاء بادئ الأمر عن أصول السكان الذين اصطدموا بهم، وكيف تشكلت عاداتهم ومؤسساتهم ومجتمعاتهم ومعتقداتهم، وتساءلوا أيضا عن الأمثلة والعبر التي يمكن استخلاصها من دراسة الاحتلال الروماني للمنطقة، الذي بدأ قويا جداً حيث تمكن من فرض نفسه بالقوة على السكان لكن تبعه بعد ذلك تفهقر كبير ثم تلاشي وزوال<sup>106</sup>.

Ernest, Mercier, Histoire De Constantine, Bibliothèque National de France, Paris, <sup>102</sup> p.1.

<sup>103</sup> كاربوكيا جون لوسيان سيباستيان: جنرال ناحية، ضابط جوقة الشرف، ولد في مدينة باستيا بكورسيكا سنة 1805م، دخل إلى سان سير سنة 1825م وشارك في معركة سطاوالي وغزو الجزائر العاصمة، بقي في الجزائر ما يقارب 21 سنة، شارك في بناء مدينة باتنة وحملات الغزو على منطقة الحضنة، شارك في غزو منطقة الزعاطشة. توفي إثر إصابته بمرض الكوليرا سنة 1854م. ينظر:

- Faucon, Narcisse, Le Livre d'Or de l'Algérie, (Histoire politique militaire, administrative, événement et Faits principaux, biographie des hommes ayant marqué dans l'armée, les sciences, les lettres, etc, de 1830 à 1889), T1, Challamel et Cie éditeurs, librairie Algérienne et coloniale 5, rue Jacob, et Fürstenberg, 2, Paris, 1889, pp 136- 137.

<sup>104</sup> هو ضريح ملكي نوميدي أمازيغي يتواجد ببلدية بومية دائرة المعذر ولاية باتنة فوق هضبة، مستدير الشكل وقطر دائرته يمتد على 59 متر والارتفاع الإجمالي للمبنى يبلغ 19 متر، وقد توصل الباحث كامب (G. Camps) إلى تاريخ الضريح بواسطة طريقة الكربون (C 14)، وقد جاءت النتائج بتحديد تاريخ بناء المدغاسن فيما بين أواخر القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد. وللإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: عبد الرحمان، ابن مرزوق، أهم الاكتشافات الأثرية القديمة والحديثة والمعالم الأثرية للفترة النوميدي بولاية باتنة، الجزائر، 2004م.

<sup>105</sup> عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص 103.

J. Alazard, E. Albertini, A. Bel, F. Braudel, G. Esquer, E. F. Gautier, Dr E. <sup>106</sup>  
Leblanc, G. Marçais, P. Martino, M. Morand, M. Reygasse, Ch. Tailliant, G. Yver, J.

حقيقة لقد اهتمت المجلة الأثرية لقسنطينة بالآثار الرومانية الموجودة في المنطقة، لكننا نستنتج أن تركيزها على هذه الآثار واهتمامها الكبير بها لم يكن خالصا للعلم؛ بل تأكيدا لإمكانية الفرنسيين في أن يستقروا بالمنطقة<sup>107</sup>.

#### خامساً- الجمعية التاريخية الجزائرية (S.H.A) 1856م:

لقد كانت روح الجمعيات العلمية في الجزائر غائبة إلى غاية سنة 1851م، حيث فتحت جمعية باسم "الجمعية الجزائرية للفنون الجميلة Société Algérienne des Beaux- Arts" وقد التف حولها العديد من الفنانين الذين عرفوا بوجودها من خلال إقامة معارض للعامه، لكنها توقفت عن النشاط لأسباب داخلية قد تعود للسير غير الحسن لأعمالها<sup>108</sup>.

وبمبادرة من الحاكم العام المارشال راندون (Alexandre Randon)<sup>109</sup> (1851-1858م) الذي سيصبح الرئيس الشرفي لها، وبتشجيع من وزارة الحرب الفرنسية بالجزائر العاصمة قام "أدريان بيربروجر"<sup>110</sup> (Louis Adrian Berbrugger) مع ثلة من الضباط الساميين في الجيش

Zeiller, Introduction de Stéphane Gsell, histoire et Historiens de l'Algérie (1830- 1930), Collection du Centenaire de l'Algérie, Archéologie et Histoire, Librairie Felix Alcan, Paris, p.2.

<sup>107</sup> غرينة، عبد النور، المرجع السابق، ص 105.

<sup>108</sup> Berbrugger, "Société Historique Algérienne", in: R.A, N°1, A. Jourdan, Libraire-éditeur, 1856, Alger, p.11.

<sup>109</sup> المارشال كونت راندون (1795-1871م): ولد بغرنوبل بفرنسا سنة 1795م، كونت وماريشال فرنسا وزير وسيناتور، عين حاكما عاما بعد وصوله إلى الجزائر سنة 1851م، ثم ترقى إلى رتبة ماريشال سنة 1858م، تميزت فترة حكمه بالحملات العسكرية على منطقة البابور ومنطقة القبائل الصغرى، توفي سنة 1871م. للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

- Faucon, op.cit, pp.460-462.

- J.P, Histoire de L'Algérie: List chronologique des gouverneur de l'Algérie, in: R.A, N°31, 1887, p.431.

<sup>110</sup> بيربروجر (1801-1869م): قدم إلى الجزائر برفقة المارشال، وكان يمثل السكرتير الخاص به وقد كلف برئاسة تحرير جريدة المونيتور الجزائري "Moniteur Algérie" وأولى اهتماما كبيرا لدراسة تاريخ المنطقة، اشتغل مفتشا عاما للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية للجزائر، فمحافظة مكتبة ومتحف الجزائر، ثم اختير رئيسا للجمعية التاريخية حيث كان أحد مؤسسيها سنة 1856م وأشرف على تحرير المجلة الإفريقية. ينظر: عبد القادر، نايلي، المقاومات والانتفاضات الشعبية: من خلال المجلة الإفريقية- انتفاضة الزعاطشة نموذجاً- دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 10.

الفرنسي وكذلك بعض المعمرين بتأسيس "الجمعية التاريخية الجزائرية La Société Historique Algérienne" يوم 7 أبريل 1856م في العاصمة<sup>111</sup>، أي بعد مرور 16 عاما من الاحتلال وذلك بعدما فشلت تجارب الجمعيات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال الفرنسي في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي<sup>112</sup>.

في الفاتح من مارس 1856م انعقدت الجلسة الأولى للجمعية التاريخية الجزائرية (Association Historique Algérienne) التي أعلن فيها بيربروجر عن البرقية التي أرسلها الحاكم العام<sup>113</sup> الذي طلب منه إنشاء مجلة تاريخية تهتم بتدوين تاريخ الجزائر، فأعلن عن تسمية الجمعية، وتم تعيين بيربروجر رئيسا لها، والبارون دوسلان<sup>114</sup> (Le Baron de Salane) نائبا، وكلارك (Clarc) كاتبها لها، بعدها توالت الجلسات والتي تبنت عدة قرارات منها:

- اعتبار السيد المارشال كونت راندون الرئيس الشرفي للجمعية.
- تبني مشروع قانون الجمعية<sup>115</sup> الذي يهدف إلى إبراز تاريخ الجزائر.

وفي يوم 7 أبريل 1856م أعلن الحاكم العام راندون وبصفة رسمية عن اعتمادها وبداية الشروع في العمل بها<sup>116</sup>؛ لتحقيق هدفها المنشود والمتمثل في جمع المنشورات والمقالات التي تحتوي على معلومات

111 Berbrugger, "Bulletin", in: R.A, N°2, Place Centrale de Ben- Aknoun, Alger, O.P.U, 1857, pp.1- 3.

112 Berbrugger, "Introduction...", op.cit, p.3.

113 Ibid, p.11.

114 ولد دوسلان في بيلفاست في إيرلندا سنة 1801م، وهو مستشرق فرنسي، وقد حضر إلى فرنسا سنة 1830م، رغبة منه في التعمق والتضلع في الإستشراق، ولم يلبث أن أصبح من أكبر تلامذة "سيلفاستر دي ساسي"، وفي سنة 1845م، وبعد حصوله على الجنسية الفرنسية، أرسلته حكومته في مهمة إلى الجزائر (1843-1845م)، قدم عنها تقريرا إلى وزير التربية والتعليم، أرفقه بقائمة تضم أهم المخطوطات العربية التي تحتوي عليها المكتبة الوطنية بالجزائر، ومكتبة قسنطينة. وإثر هذه المهمة الناجحة في نظر رؤسائه سمي دي سلان مترجما رئيسا للجيش الفرنسي، وفي سنة 1863م أعطي لدي سلان رخصة لتدريس العامية الجزائرية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. ينظر: إسماعيل، العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، م، و، ك، الجزائر، 1986م، ص 23.

- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص ص 70- 72.

115 Bulletin, "Statuts de la Société Historique Algérienne", in: R.A, N°48, 1904, p.206.

116 Berbrugger, Société Historique....,op.cit, p.13.

حول تاريخ شمال إفريقيا عامة وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص<sup>117</sup>، عن طريق عملية البحث والتنقيب في مراحلها المختلفة.

وقبل أن تبدأ الجمعية التاريخية الجزائرية عملها بصفة رسمية بعث بيربروجر بتعليمة إلى كل من كانت له ميولات أو رغبة في دراسة تاريخ الجزائر، سواء من المختصين أو غيرهم للالتحاق بها، وهذا ما يفسر كون أن الدراسات التاريخية الفرنسية في الجزائر في الخمسين سنة الأولى للاحتلال اتصفت بالطابع القصصي الروائي البعيد عن المنهج العلمي<sup>118</sup>.

فبعد الجلسات العلمية التي عرفتها الجمعية التاريخية الجزائرية والتي عرفت حضوراً مكثفاً من الكُتّاب والمؤرخين والمهتمين بالتنقيب والتحري حول تاريخ الجزائر؛ أثمرت بإعلان بيربروجر عن صدور العدد الأول من المجلة الإفريقية (Revue Africaine) في ديسمبر 1856م، وفي نفس الجلسة بدأ أعضاء الجمعية في تحديد مواضيع وشكل العدد الثاني، وهكذا أصبحت الجمعية التاريخية الجزائرية تصدر مجلة لاقت شهرة واسعة اليوم في الجزائر ألا وهي "المجلة الإفريقية" التي دام إصدارها أكثر من قرن<sup>119</sup>.

وإذا نظرنا إلى اسمها التاريخي ذي المفهوم الواسع يتضح لنا مدى اهتمامها الكبير بدراسة تاريخ وجغرافية المنطقة لما تحويه من لغات، علوم، فنون... الخ؛ تتعلق بشمال إفريقيا عامة، ولمعرفة كافة ما يتعلق بالمجتمع الجزائري من حيث العادات والتقاليد وغيرها على وجه الخصوص. دون أن ننسى الجانب المادي للحضارة والمتمثل في النقوش الأثرية من خلال التنقيبات الأثرية المختلفة<sup>120</sup>. وفي هذا الصدد نذكر ما كتبه بيربروجر في مدخل العدد الأول من المجلة الإفريقية وهو أن الفرنسيين منذ استعمارهم الجزائر سنة 1830م شرعوا في إدخال نظمهم العلمية والأدبية والفنية، أما فيما يخص الدراسات التاريخية فنجد أن الأثر الوحيد في هذا المجال يكمن في قرار 16 ديسمبر 1831م، الذي أذن فيه الجنرال بيرترين

<sup>117</sup> Berbrugger, "Statuts de la Société Historique Algérienne: But de la Société", in: R.A, N°9, 1865, p.13.

<sup>118</sup> Gabriel, Esquer, "La Société Historique Algérienne (1856-1956): Histoire et souvenirs", in: R.A, N°100, 1956, p.196.

<sup>119</sup> أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 371.

<sup>120</sup> Latrue, (L. De Mas), "Bulletin, Statuts de la société", in: R.A, N°26, 1882, pp.5-14.

(P. Berthezene)<sup>121</sup> للسيد سيافي (Sciavi) الذي يزعم أنه عالماً للآثار بينما كان من الذين يجمعون الآثار القديمة ويبيعونها بأثمان طائلة- أن يقوم بمجموعة من التنقيبات في المنازل والحدائق العامة<sup>122</sup>.

برز العديد من الكُتّاب والمؤرخين وعلى رأسهم بيربروجر الذي يُعد الأب الروحي والمساهم الفعال في تطويرها، من خلال مقالاته العديدة والمتنوعة في المجلة منذ تأسيسها ولغاية 1878م. حيث أوكلت له مهمة إنشاء مكتبة<sup>123</sup> باعتباره عالم آثار، ومؤرخ ومستكشف برتبة مقدم في الجيش الفرنسي، وبعد أن أوكلت له هذه المهمة توجه نحو كل من معسكر وتلمسان وحتى قسنطينة للبحث عن المخطوطات العربية وذلك ضمن الحملة العسكرية، فجمع حوالي مائتي مخطوط والتي كانت مهداة من طرف الضباط العسكريين أثناء الحملة الفرنسية على قسنطينة سنة 1837م؛ جمع خلالها آلاف المخطوطات. وبرصده للمدن الأخرى تمكن في زمن وجيز من إثراء المكتبة الوطنية بحوالي أربعين ألف مخطوط في شتى المجالات ومن مختلف المدن الجزائرية، كونه عمل أيضا سكرتيراً للجنرال كلوزيل.

لقد عرفت الفترة الممتدة ما بين (1830-1850م) ديناميكية غير معهودة في مجال تأسيس الدوريات والجمعيات الثقافية والسياسية، ففي سنة 1835م وبقرار من وزارة الحرية تمّ الإعلان عن ميلاد مكتبة الجزائر التي أوكلت مهمتها إلى المؤرخ وعالم الآثار بيربروجر كما سبق وذكرنا<sup>124</sup>.

دخل بيربروجر الجزائر سنة 1834م، حيث كان كاتباً للمارشال كلوزيل الذي أصبح حاكماً للجزائر ما بين (1835-1837م)، وفي 13 أكتوبر 1836م عين كلوزيل بيربروجر محافظاً لمكتبة

<sup>121</sup> بيار بيرتزين: ولد سنة 1780 في بروفانس، شارك في غزو الجزائر كقائد للمشاة، منح له وسام جوقة الشرف سنة 1830م ثم عين كبديل للجنرال كلوزيل سنة 1831م، ينظر:

- Joseph, Marie, Quérard, La littérature française contemporaine XIXe siècle, Imprime, Béthune et Plon, 1842, T1, Paris, pp.380- 381.

Berbrugger, Introduction..., op.cit, p.4. 122

-Gabriel, Esquer, op.cit, p.431. 123

Watbled, (E), "Cirta- Constantine Expédition et prise de Constantine", in: R.A, 124  
N°14, 1870, p.200.

الجزائر العامة<sup>125</sup>؛ والتي تعتبر أول مؤسسة ثقافية في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية. وما إن حلت سنة 1836م حتى أصبح بيربروجر يشرف على ثلاث وظائف هي محافظ مكتبة الجزائر، ورئيس تحرير جريدة المرشد الجزائري (Moniteur Algérien)<sup>126</sup>، ثم أصبح الكاتب الخاص للمارشال كلوزيل<sup>127</sup>، كما ألحق بمهام مستشار المارشال فالي (Maréchale Valée)<sup>128</sup> وشارك في حملة قسنطينة سنة 1836م، وهناك استولى على كميات معتبرة من المخطوطات التي أصبحت نواة مكتبة الجزائر. وقد جمع من قسنطينة لوحدها ثلاثة عشر صندوقاً لم يصل منها إلى الجزائر سوى ثمانية فقط، وكانت تضم 500 مخطوط<sup>129</sup>. ولم يتوان بيربروجر عن مرافقة جيش الاحتلال حيث شارك في حملة معسكر سنة 1835م، وتلمسان والمدية سنة 1836م، وطوال خدمته في الجزائر شارك في جميع اللجان والجمعيات العلمية، وإلى جانب ذلك كان الرجل أثيراً بمهنته، وعندما عزم الحاكم العام راندون على إنشاء الجمعية التاريخية الجزائرية فكر مباشرة في بيربروجر لإدارتها فأشرف على تحرير المجلة الإفريقية إلى أن وافته المنية.

وقد ترك بيربروجر إنتاجاً غزيراً، نشر معظم أعماله في المجلة الإفريقية، فما بين (1832-1867م) نشر حوالي 31 دراسة ومونوغرافية ثلثها حول الجزائر، كما سجل ملاحظات ومقالات

<sup>125</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Goldzeiguer, (A. R), op.cit, p.757.

<sup>126</sup> تأسست جريدة المرشد الجزائري سنة 1832م، وهي جريدة رسمية - سياسية إخبارية- توقفت سنة 1858م، أي حتى تاريخ إنشاء وزارة الجزائر والمستعمرات وإلغاء الحكومة العامة من الجزائر. أصبحت جريدة المبرشر هي لسان حال الإدارة الفرنسية (1847-1927م) اهتمت بالأخبار المحلية. ينظر: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج5، ص ص 214-216. وينظر أيضاً: -Berbrugger, (A), "Notes de Lecture: Un bibliothécaire en compagnie", in: R.A, N° 68, 1927, p.107.

<sup>127</sup> Esquer, Gabriel, La Bibliothèque nationale d'Alger, In: " La lecteur publique: mémoires et vœux du congrès international d'Alger", 1931, pp.161- 181.

<sup>128</sup> سيلفان شارل فالي (Sylvain Charles Valée): ولد في 17 ديسمبر 1773م في برين لو شاتو، وتوفي في 15 أوت 1846م في باريس، وهو جنرال فرنسي للإمبراطورية الأولى، قلده نابليون، الحاكم العام للجزائر في الفترة ما بين (1837م-1840م)، ويرفع إلى مستوى كرامات الأقران والمارشال في فرنسا.

<sup>129</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج5، ص 337.

بلغت 241 في المجلات. لقد تولت الجمعية نشر معلوماتها المتصلة بتاريخ إفريقيا بواسطة المجلة الإفريقية التي سلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف العصور<sup>130</sup>.

وقد تكونت الجمعية من مجموعة الباحثين والعسكريين وهم:

- أدريان بيروجر (1801-1869م): محافظ مكتبة ومتحف الجزائر وهو الرئيس الفعلي للجمعية التاريخية الجزائرية<sup>131</sup>.

- بريسنيني (Bresnier)<sup>132</sup>: أستاذ كرسي في كلية اللغة العربية بالجزائر العاصمة.

- دوفولكس (Albert Devoulx): مدير الأرشيف العربي بأملاك الدولة (Domaine).

- البارون دو سلان: وهو المترجم الرئيسي بالجيش الفرنسي وملحق الحكومة العسكرية، ونائب لرئيس الجمعية.

- الماريشال الكونت راندون: وهو الحاكم العام للجزائر ومؤسس الجمعية التاريخية والرئيس الشرفي لها.

- الكولونيل دو نوفو (De Neveu)<sup>133</sup>: وهو النائب الثاني لرئيس الجمعية<sup>134</sup>.

<sup>130</sup> Raymund, (F. Wood), " Berbrugger, Forgotten, Founder of Algerian Librarianship", In The Journal of Library History (1966- 1972), Vol 7, Jul 1970, pp.237- 256.

<sup>131</sup> Cherbonneau, (A), "Sour Djouab et ses environs: Notice sur les Ruines", in: R. A, T13, 1869, OPU, Alger, pp.321- 324.

<sup>132</sup> لوي جاك بريسنيني (1814-1869م): تتلمذ على يد "دي ساسي" فأظهر في العربية نبوغاً، سافر إلى شمال إفريقيا لإتمام بحوثه فتولى رئاسة مدرسة عربية في الجزائر وعلم فيها اللغة العربية حتى وفاته. وهو أحد الشخصيات التي حررت بيان الجيش الفرنسي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر. ينظر: نجيب، العقيلي، المرجع السابق، ج1، ص 187.

<sup>133</sup> هو من الضباط الاستعماريين الذين حاولوا فهم المجتمع القسنطيني خاصة والجزائري عامة من حيث العقيدة الإسلامية، والتاريخ والعادات والتقاليد، تولى إدارة المكتب العربي بباتنة عام 1846م كما أنه كان مكلفاً بأعمال طبوغرافية في القطر الجزائري ورسم الحدود. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: صالح، فركوس، إدارة المكاتب والاحتلال الفرنسي للجزائر، ط1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

<sup>134</sup> Berbrugger, "Partie officielle Société Historique Algérienne", in: R.A, N°1, 1856, pp. 12 -14.

وبقراءة سريعة لوظائف بعض أعضاء الجمعية التاريخية الجزائرية نستنتج أن العمل المنوط بها كانت له مبررات عسكرية أكثر منها علمية، والغرض من وراء تأسيسها هو إضفاء الطابع العلمي على البحوث والدراسات التي تقوم بها، ويمكن القول أن هذه الجمعية تعد من أهم الجمعيات الفرنسية المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية، وقد كانت هذه الجمعيات تصدر منذ عامها الأول تقويماً (Annuaire) لتتحول فيما بعد إلى مجموعة (Recueil) من الدراسات والملاحظات المتعلقة بتاريخ الجزائر عموماً<sup>135</sup>.

لقد تعددت الأهداف التي سطرها "الجمعية التاريخية الجزائرية" في برنامجها والتي يمكن أن نذكر منها ما يلي:

- الاهتمام بالتاريخ ومفهومه الشامل من لغات وجغرافيا وعلوم وفنون.
- جمع ودراسة والتعريف عبر النشرات المتخصصة بكل الأحداث التي تتصل بتاريخ إفريقيا، وخصوصاً تلك المتعلقة بالجزائر منذ العهود القديمة وإلى غاية فترة حكم الأتراك والوجود الفرنسي.
- تستخدم الجمعية كل الوسائل المتاحة للحفاظ على المعالم التاريخية الثابتة مثل: البنايات والأعمدة... الخ<sup>136</sup>.
- تقوم المجلة بنشر مجموعة من البحوث والأعمال ويكون الأساس فيها:

\* التقارير المكتوبة من طرف اللجان<sup>137</sup> التابعة للجمعية.

\* المذكرات والأعمال العلمية.

<sup>135</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ص 15.

<sup>136</sup> محمد، صاحبي، الجمعية التاريخية الجزائرية، مجلة التاريخ العربي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، ع 60، ص 07.

<sup>137</sup> قامت اللجان العلمية بنشاط علمي وثقافي مميز خلال العهد الفرنسي من أوله إلى آخره وتمثل هذا النشاط في البحث المستمر في مجالات مختلفة، مما ساعد على إخراج موسوعات ذات قيمة تاريخية لا تفتى بسهولة وتشمل هذه الأعمال مشروع "اكتشاف الجزائر" العلمي، ومشروع الاحتفال المنوي بالاحتلال، بالإضافة إلى لجنة ترجمة الكتب العربية إلى الفرنسية، وكذلك لجان التحقيق في أوضاع الجزائر مثل لجنة 1833-1834م ولجنة 1891، ينظر: أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ص 14-15.

\* مذكرات الأشخاص والأعمال الغير منشورة سواء الموجودة في الأرشيف أو في أماكن أخرى<sup>138</sup>.

وما يلاحظ على الجمعية التاريخية الجزائرية هو حرصها منذ 1830م على نشر كتب الرحلات والانطباعات التي كتبها الأوروبيون عن الجزائر خلال العهد العثماني مثل: "دييغو دو هايدو" و"فونتور دو بارادي V.de Paradis"<sup>139</sup>، وعادوا إلى كتب المؤرخين والرحالة العرب كابن خلدون، والبكري والعياشي<sup>140</sup>، ونشروا من جهة أخرى مراسلات دايات الجزائر مع فرنسا<sup>141</sup>. كما منحت الرخص للأفراد وذلك للقيام بعمليات البحث والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد وذلك من خلال إنشاء اللجان العلمية<sup>142</sup>.

نشرت الجمعية التاريخية مجلتها باسم: "المجلة الإفريقية"، والتي اهتمت بنشر المخطوطات المحلية والعربية والوثائق الأصلية، وسلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف عصوره، ولكن بدرجات متفاوتة

<sup>138</sup> محمد، صاحبي، المرجع السابق، ص 07.

<sup>139</sup> فاننور دي بارادي جون ميشال، ولد بمرسيليا سنة 1739م، كان ابن قنصل سابق في القرم، دخل إلى مدرسة الشباب للغات فتعلم العربية والتركية، حيث أصبح ملحقا بقنصلية فرنسا باسطنبول عن عمر يناهز 15 سنة، ثم انتقل إلى تونس سنة 1779م وبقي فيها لمدة خمسة سنوات، ثم تم استدعاؤه ليتولى منصب سكرتير مترجم للغات الشرقية فأرسل إلى الجزائر العاصمة لتجديد المعاهدات الجزائرية الفرنسية، صاحب نابليون بوناپرت في الحملة على مصر (1798-1801م) كمتترجم أول لهيئة أركان الجيش، توفي سنة 1799م، وقال عنه شارل فيرو: افتقده العديد من قادة الجيش الفرنسي لأنه كان مُعرباً بارزاً من المتكلمين الذين لن تعرفهم فرنسا بعده، ينظر:

- Charles, Féraud, Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger, A, Jourdan, Libraire-éditeur, 4 Place Du gouvernement, 4, 1876, pp.22- 24.

- Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle (Mémoires et observation rassemblés et présentés par Joseph Cuoq), ed Sindabad, Paris, 1983, pp.10- 14.

<sup>140</sup> العياشي (1037-1090هـ/ 1628-1679م): هو أبو سليم عبد الله بن أبي بكر العياشي المالكي، ولد بقبيلة آيت عياش، كان أبوه شيخ زاوية وهو الذي أشرف على دراسته، أكمل دراسته بفاس، أين توفي بسبب الطاعون. له عدة كتب منها: "الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"، وكتاب "اقتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الآثار".

<sup>141</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج 1، ص 14.

<sup>142</sup> هي لجنة تحقيق بعثت إلى الجزائر لتعائن الوضع وتقديم تقرير يتضمن اقتراحات واضحة حول البلاد ومستقبلها، وقد وافق لويس فيليب ملك الفرنسيين على هذه اللجنة التي أصبحت تعرف باسم اللجنة الإفريقية بتاريخ 07 جويلية 1833م، للإطلاع أكثر حول الموضوع، ينظر: أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982م، ص ص 97-113.

في الاهتمام وتعتبر كما يقول غوستاف ميرسيه (Gustave Mercier)<sup>143</sup>: "مكتبة تاريخية في حد ذاتها"<sup>144</sup>، وأصبحت بعد أكثر من مائة سنة مرجع لا غنى عنه لدى الباحثين في تاريخ الجزائر بمختلف عصوره، ونجد أن بيربروجر قد كتب في مقدمة العدد الأول مصرحاً: "إن فرنسيي الجزائر قد أدركوا من الوهلة الأولى مهمتهم الحضارية التي وجب نشرها"<sup>145</sup>، فكان لها أن تأسست شبكة للدراسات التاريخية الإفريقية من خلال ما قامت به المجلة من أعمال، وفي هذا الصدد أضاف قائلاً: "سوف لا يغيب عنها ملاحظتنا لأي شيء مهم ونشره للإدارة والعامه"<sup>146</sup>، ومن خلال ما سبق يبدو لنا أن مهمة الفرنسيين تتمثل في استغلال ما تزخر به الجزائر من خيرات وثروات باطنية وسطحية إلى جانب محاولة نشر الحضارة الأوروبية بشتى الطرق والوسائل ومهما كان الثمن في ذلك؛ فكانت المجلة إحدى مظاهر نشر الحضارة الفرنسية في الجزائر<sup>147</sup>.

لقد أولت المجلة الإفريقية اهتماماً بنشر المخطوطات المحلية العربية والوثائق الأصلية، لتحتل بذلك مكانة مهمة في الصحافة الجزائرية لما قامت به من مجهودات في البحث عن الآثار القديمة ونشرها، بالإضافة إلى ذلك ما قام به أعضاؤها من أعمال أمثال: "دوغرامون"<sup>148</sup> (De Grammont) الذي

<sup>143</sup> ميرسيه لاكمب نيكولاس غوستاف: ولد في 13 ماي 1815م، وتوفي في 21 أكتوبر 1874م في قصر دي لا شابرولي، عمل كسكرتير خاص للجنرال بوجود. عين غوستاف ميرسيه حاكماً عاماً للجزائر عام 1841م، وأمين عام لوزارة الداخلية في الجزائر العاصمة في 1844م، نائب وزير الحربية في وهران في 1846م، مدير الشؤون المدنية لولاية وهران في سبتمبر 1847م، الأمين العام لحكومة الجزائر في فيفري 1849م. أصبح مستشار للدولة في 1860م، ليتم تعيينه بعدها كمدير عام للضرائب غير المباشرة ما بين (1869-1874م). أحيل على التقاعد بناءً على طلبه، توفي في منزله في شابرولي في 21 أكتوبر 1874م.

<sup>144</sup> رزيقة، يجياوي، المرجع السابق، ص 55-56.

<sup>145</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 94.

<sup>146</sup> Berbrugger, "Introduction...", op.cit, p.9.

<sup>147</sup> عبد النور، غرينة، المرجع السابق، ص 105.

<sup>148</sup> ولد دوغرامون بفرنسا في 5 أوت 1830م، من عائلة أرستقراطية أمضى نصف عمره بالجزائر التي انتقل إليها سنة 1850م في إطار الخدمة العسكرية، كرس معظم حياته في التأليف والأبحاث المهمة بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وهو أحد المؤسسين البارزين للجمعية التاريخية الجزائرية منذ 1874م، وارتبط اسمه بالمجلة الإفريقية، للمزيد حول الموضوع ينظر:

- R.A, "M- H De Grammont", N°36, 1892, pp.289- 311.

اهتم بدراسة تاريخ الجزائر، وفانيان<sup>149</sup> (Fagnan) الذي اهتم بترجمة الأدب والتاريخ العربي، وبيروجر الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة قام بجمع رصيد أولي بلغ مائتي مخطوطة عربية، كانت عبارة عن هدايا من ضباط الجيش الفرنسي وبعض ما استطاعت يده الوصول إليها من المساجد وغيرها، وقد استطاع بذلك أن يجمع ما يزيد عن ثمانمائة مخطوط عاد بها إلى مدينة الجزائر<sup>150</sup> ليقوم بعد ذلك البارون دو سلان بكتابة تقرير عن محتوى هذه الكتب التي جمعها بيروجر وأخذها إلى مدينة الجزائر<sup>151</sup>، لكن الشيء الأكيد أن كل هذه المجهودات التي قام بها هؤلاء الفرنسيين ليست من باب المحبة للجزائريين وإنما خدمة لمصالح الإدارة الاستعمارية وبنظرة غربية بحتة وهذا ما ليس في صالح الشعب الجزائري بل لمحاربه من خلال تلك الترجمة التي قام بها أولئك الأجانب، وحسب ما جاءت به الدراسات فإن المجلة الإفريقية وفي مختلف أعدادها ثبت فيها أن المجتمع الجزائري جرد من هويته الجماعية، وذلك كون أن كل زمام الأمور كان يسيرها الأوروبيون وفق ما يتماشى ومصالحهم الاستعمارية الخاصة ومحاولة لتشويه صورة المجتمع الجزائري بأي طريقة كانت؛ الأمر الذي جعل المجلة الإفريقية تواصل عملها بكل حماس بالتغلغل أكثر في أوساط هذا المجتمع المجهول بالنسبة لهم والبحث في أصول الإنسان البربري الذي اتسم بالعزة والحرية<sup>152</sup>، الشيء الذي أثار فضول الفرنسيين وجعلهم يتساءلون عن ماهية هذا العرق الذي لطالما تحدث عنه "ابن خلدون" في شمال إفريقيا والذي تمكن من التصدي للجيوش الفرنسية في المناطق الجبلية

<sup>149</sup> كان يشغل منصب مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس منذ عام 1873م. ثم انتقل إلى الجزائر وشغل منصب أستاذ في كلية الآداب بالجزائر لتدريس اللغة العربية والفارسية، وقد كان يمثل في مجال تخصصه الدراسات العربية في الجزائر بصورة رائعة خلال مدة لا تنيف عن أربعين سنة. كما ألف العديد من الكتب في حقل التاريخ والدراسات الإسلامية حول شمال إفريقيا. للمزيد راجع حياته وأعماله: - Esquer, Gabriel, "Edmond Fagnan", in: R.A, N°72, 1931, pp.139-142.

- إسماعيل، العربي، الدراسات العربية...، المرجع السابق، ص 39.

- حنفي، هلايلي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر...، المرجع السابق، ص 320-321.

<sup>150</sup> في أمرية بتاريخ 29 نوفمبر 1842م، قرر الدوق دي ألماس نقل قوس النصر الموجود في مدينة جميلة الأثرية نحو باريس، لكن ضخامته حال دون ذلك، ينظر:

Berbrugger, "Introduction...", op.cit, p.5.

<sup>151</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص 303.

<sup>152</sup> عبد النور، غرينة، المرجع السابق، ص 105.

بفضل حنكته وشجاعته القتالية، وانطلاقاً من هذه المعطيات أراد الكتاب الفرنسيين الإجابة عن هذه التساؤلات المتكررة في دراساتهم المختلفة عن الأعراق والقبائل<sup>153</sup>.

ومن هنا يمكن القول أن اهتمامات هؤلاء الكتاب لا تختلف عن اهتمامات السلطة الفرنسية؛ فقد كانت مهمتهم الأساسية البحث عن الماضي المجيد ماضي أجدادهم وآبائهم السالفين وبالتالي نشره وإعادة إحيائه وفاء لأجدادهم الذين ضحوا لسنين من أجل بناء الحضارة الأوروبية، فكانوا يرون أنه من واجبهم الحفاظ على ذلك الموروث الحضاري وتقديسه ظناً منهم أنهم الملاك الحقيقيين لأرض الجزائر وكل ما تزخر به من خيرات، وأن العرب والمسلمين قد هدموا ذلك الإرث الحضاري الأوروبي وأقاموا على حطامه حضارة إسلامية ليس لها الحق في القيام، لذلك رأت فرنسا أنه من حقها أن تسترجع ذلك الملك المسلوب وأن تعيد بناء حضارة أوروبية تكتسي طابع الشرعية بدعوى نشر الحضارة وإحياء الماضي المجيد<sup>154</sup>.

إن القراءة المتأنية للمجلة الإفريقية والتي تعتبر بمثابة المرآة العاكسة والصادقة جعلتنا نصل إلى حقيقة مفادها أن الفرد الجزائري الذي تمّ اكتشافه فيما مضى بهدف السيطرة والهيمنة عليه قد تمّ نسيانه<sup>155</sup>، وعلى إثر ذلك أكدت لنا الدراسات على مدى تركيز المؤلفين الأوروبيين على الأبحاث القديمة خاصة الأثرية ومنها ما جاء في المقالات التي نشرها لويس رين<sup>156</sup> (Rinn Louis) في هذه المجلة خاصة ما تعلق منها بالجانب اللغوي والإثنولوجي<sup>157</sup> حول أصول البربر منذ العصور الغابرة، وعلى

<sup>153</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 96.

<sup>154</sup> مصطفى، عبيد، التأثير الفرنسي في الحضارة الشرقية من خلال موسوعي وصف مصر واستكشاف الجزائر العلمي (دراسة تاريخية تحليلية مقارنة)، مذكرة دكتوراه في التاريخ والحديث والمعاصر غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2014-2015م، ص ص 97-100.

<sup>155</sup> عبد النور، غرينة، المرجع السابق، ص 118.

<sup>156</sup> اسمه الكامل هو لويس ماري رين، ولد بفرنسا سنة 1838م، رئيس سابق في المصلحة المركزية لشؤون الأهالي، ومستشار سابق للحكومة الفرنسية، ضابط جوقة الشرف. دخل إلى سان سير، ثم جاء إلى الجزائر سنة 1864م ليكون في مصلحة شؤون الأهالي، واشتهر بمعرفته الواسعة للعربية. ينظر: Faucon, op.cit, pp.468- 469.

<sup>157</sup> الإثنولوجيا (Ethnologie): هي فرع من فروع الأنثروبولوجيا، وبصفة عامة تعرف بأنها علم دراسة الإنسان ككائن ثقافي وبأتمها الدراسة المقارنة للثقافة. كما يمكن إعتبارها دراسة علمية ونظامية للمجتمعات ككل (المظاهر اللغوية، السياسية، الاقتصادية، الدينية، الأعراف، التاريخ الخاص)، وهي مرادفة للأنثروبولوجيا الاجتماعية والإثنوغرافيا كدراسة وصفية للمجموعات الإنسانية الإثنية.

هذا الأساس فإن أغلب الدراسات الأنثروبولوجية<sup>158</sup> في المرحلة الاستعمارية ق اهتمت بمختلف النقوش والمخلفات الأثرية<sup>159</sup>.

لقد استعمل دعاة الفكر الاستعماري العديد من وسائل التأثير للتعريف بنظرياتهم بدءاً بالصحافة الدورية وما صدر عن مجلة العالمين (Revue Des Deux Mondes) في هذا الجانب خير دليل على ذلك، لكن على الرغم مما احتوته هذه المجلة من أحداث تاريخية يمكننا الاستفادة منها؛ إلا أن منطق الكتاب الكولونياليين هو الإشادة بالأعمال التي تقوم بها فرنسا مهما كانت السياسة التي تتبعها لإخضاع الأهالي من تعذيب وتنكيل<sup>160</sup>.

كانت هذه الجمعيات ضيقة الأفق منطلقة من وجهة نظر عنصرية أحياناً؛ حيث كانت تقوم على البحوث العرقية والأنثروبولوجية والنظريات التي تدعو إلى التفوق الحضاري الفرنسي والإنسان الأبيض على العموم<sup>161</sup>؛ فالاستعمار الفرنسي يتميز عن غيره بأنه كان استعماراً استيطانياً خاصة في شمال إفريقيا، وعلى وجه خاص في الجزائر، هذه السياسة الاستيطانية كان الاستعمار يعمل على تكريسها ثقافياً عن طريق الاستشراق ومنظومته دعماً للإستيطان الثقافي فالاستعمار والاستشراق ما هما إلا استيطاناً؛ الأول استعماري والثاني ثقافي<sup>162</sup>.

وعليه فإن المتتبع لأبعاد الإستشراق التي وضعها ستيفان غزال، يجد أن المدرسة الفرنسية كانت ذات أهداف استعمارية بالدرجة الأولى، وبالحدوث عن الجزائر نجد أنها اعتمدت على إيديولوجية تتمثل

<sup>158</sup> تعرف بأنها دراسة للإنسان وإنجازاته، ويرجع استقرار ترجمة كلمة "أنثروبولوجيا" بعلم الإنسان في الكتابات العربية، إلا أنّ الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: أنثروبوس (Anthropos) بمعنى الإنسان ولوغوس (Logos) بمعنى العلم، ومن ثمة فإن الترجمة الحرفية لكلمة أنثروبولوجيا هي: "علم الإنسان" أي العلم الذي يختص بدراسة السلالات البشرية. ينظر: محمد عبده، محجوب، مقدمة في الأنثروبولوجيا، المجالات النظرية والتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 35.

<sup>159</sup> عبد النور، غرينة، المرجع السابق، ص 115.

<sup>160</sup> المرجع نفسه، ص 118.

<sup>161</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج 8، ص ص 89-90.

<sup>162</sup> الطيب، بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 103.

في دراسة الجزائر دراسة متعددة الأطراف، مع إعطاء آراء ميدانية، ثم تنتقل إلى تطبيقها على المجتمع الجزائري، لتحقيق الاستعمار من خلال تفكيك المجتمع<sup>163</sup>.

وحسب ما تقتضيه الدراسة فإنه لا بد أن نعرض على الجمعيات الأخرى وإن كانت أقل شهرة من سابقاتها إلا أنها لعبت دوراً فعالاً وقد سارت على نهج سابقاتها كونها هي الأخرى ذات طابع علمي، وقد صدرت عن تلك الجمعيات مجلات ضمت كل واحدة منها بحوث أعضائها خاصة ما تعلق منها بمجال البحث عن الآثار والنقوش الرومانية القديمة ونشرها بدعوى إعادة إحياء فرنسا لماضي أجدادها المجيد، نذكر منها: الجمعية الأثرية السياحية لسوق أهراس والجمعية الأثرية لمنطقة سطيف<sup>164</sup>، كما سعى أيضا الماريشال راندون إلى تأسيس المفتشية العامة للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية بالجزائر خدمة لأهدافهم الاستعمارية ولربط الجزائر بالحضارة المسيحية، وقد كان ميلادها سنة 1854م كمؤسسة جامعة لكل الآثار التاريخية محاولا تمشيح الجزائر أرضاً وشعباً ولطمس معالمها الحضارية<sup>165</sup>، وكذا جمعية أصدقاء تلمسان القديمة بقيادة المستشرق ألفريد بيل (Alfred Bel)<sup>166</sup>، لتظهر في سنة 1909م بالعاصمة جمعية التاريخ الطبيعي للقطر الجزائري، وكانت لها هي الأخرى نشرة شهرية، وبالإضافة إلى كل هذا كان هناك الجمعية الفرنسية للفيزياء فرع الجزائر العاصمة وجمعية العلوم الفيزيائية والكيميائية وكذا جمعية البحوث البترولية، وفي خضم تعداد هذه الجمعيات وتكثيف جهود الباحثين حولها<sup>167</sup> تم تأسيس جمعية أخرى اهتمت بالعلوم والآداب والفنون سعت من ورائها هي الأخرى السلطات الفرنسية إلى زيادة جرعة التأثير على الشعب الجزائري، فبعدما كانت الصحف الأداة الفعالة في التأثير على الجانب المعنوي للسكان بدأت الكتب وبحلول سنة 1850م تمارس تأثيرها في ذهنية

Stéphane, Gsell, op.cit, pp.18-19.

163

164 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 97.

165 مصطفى، عبيد، المرجع السابق، ص 105.

166 أقام ألفريد بيل في شمال إفريقيا أين تعلم اللغة العربية وصنف كثيرا من الكتب، ودخل (1873-1945م) الجزائر سنة 1891م، مستعرب من الطراز الأول، اهتم بالتاريخ الديني والأنثروبولوجيا والمنوغرافيات وترجم العديد من الكتب مثل: "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكريا يحيى بن خلدون سنة 1904م. دَرَسَ بمدرسة تلمسان الرسمية ثم أصبح مديراً لها منذ 1905م. تقلد مهام مدير مدرسة تلمسان مدة 30 سنة. ينظر:

- Émile, Janier, "Alfred Bel (1873- 1945)", in: B.S.G.A.O, T65, 1944, pp.66- 76.

167 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 101.

الجزائريين ذلك أن التأليف لم يقتصر على الكتب التي تناولت التاريخ الروماني للمنطقة فحسب، بل صدرت بعض الكتب تناولت الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر<sup>168</sup>.

لقد ظهرت فكرة جديدة حول لم الشمل وإقامة تعاون وتبادل للخبرات بين هذه الجمعيات ولم يتأت ذلك إلا بإنشاء اتحادية لتلك الجمعيات تحت مسمى "فيدرالية الجمعيات العلمية لشمال إفريقيا Fédération des sociétés scientifiques d'Afrique du Nord"، والحقيقة أن هذه الفيدرالية لم تقتصر فقط على الجمعيات العلمية على مستوى الجزائر، بل تعدتها إلى الجمعيات العلمية الفرنسية على مستوى كل من تونس والمغرب الأقصى<sup>169</sup>، ويعود الفضل في إنشاء هذه الفيدرالية لصاحب الفكرة "جورج هاردي Georges Hardy"<sup>170</sup> لتباشر عملها الجماعي سنة 1935م بالجزائر، وقد كان لها هي الأخرى الدور الفعال في دعم سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، فقد ضمت بحوث دسمة في أغلبها وفي معظم التخصصات لاسيما الأثرية منها والتاريخية وكل ما يخدم السلطات الفرنسية، حيث كانت تنظم دورات سنويا في كل من تلمسان وقسنطينة وكذا تونس والرباط ليتم بعد ذلك إصدار مجلد أو مجلدان في إطار توسيع نشاطها ونشر أعمالها خاصة في مجال البحث عن الموروث الحضاري القديم وإعادة إحيائه<sup>171</sup>.

<sup>168</sup> مصطفى، عبيد، المرجع السابق، ص 105.

<sup>169</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 101.

<sup>170</sup> جورج هاردي، من مواليد 5 ماي 1884م في أيسن إيسكيهيراز (Aisen Esquéhériez)، وتوفي في 10 ماي 1972م في أيسن جوقلون، وهو مدرس تاريخ ومدير المدرسة الاستعمارية (1926-1934م) وعميد أكاديمية الجزائر (1940-1943م)، ويعتبر من المنظرين للفكر الإيديولوجي الاستعماري، تم تكريمه بوسام ضابط فيلق الشرف. وقد كرس هاردي نفسه بعد الحرب للعديد من الأعمال التاريخية وكذلك للمسؤوليات السياسية المحلية، وكان لعدة سنوات عمدة بلدية جوقلون، حتى توفي عام 1972م. كانت له العديد من الأعمال، لا سيما في التاريخ الاستعماري مثل كتاب: "جغرافيا غرب أفريقيا الفرنسية"، "التاريخ الروماني من خلال النصوص"، "السياسة الاستعمارية وتقاسم الأرض في القرنين التاسع عشر والعشرين..." الخ.

<sup>171</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 98.

فمثلاً نجد أن "اللجنة الإفريقية"<sup>172</sup> التي زارت الجزائر سنة 1833م بقصد التحقيق في مصير البلاد، قد أنهت أعمالها بتقارير ومحاضرات غنية عن الجزائر في مختلف المجالات ولاسيما الاقتصادية والاجتماعية، وفي سنة 1837م أنشأت وزارة الحربية لجنة باسم "اكتشاف الجزائر العلمي" وقد قامت بنشر دراسات هامة في عدة أجزاء عن الآثار والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة والتاريخ وعلم السلالات، كذلك قام العديد من الأفراد ببحوث عن التاريخ المحلي، من لهجات وطرق ونظم، وطبائع السكان، والزوايا، والحياة القبلية، والمدن... الخ<sup>173</sup>.

وفي الأخير يمكن القول أنه ومع بداية القرن التاسع عشر أصبح الإستشراق جهازاً ضخماً في هيكله وحركته ونشاطه واتسعت دائرة تخصصه ونفوذه واتسعت مسؤولياته، وقد عرف توسعاً مذهلاً خاصة وأنه أحد أوجه قوة الاستعمار الذي استفاد منه استفادة مباشرة؛ وعاش تحت كنفه ورعايته وحمايته، فوصاية الغرب الثقافية كان أولى لها أن تسير حيث تسير قوته العسكرية فتستغل بظلمتها وتحمي بحمايتها وتعيش في كنفها، ففي الوقت الذي بلغت فيه الإمبراطورية الاستعمارية أقصى حد لها في التوسع؛ كان الاستشراق هو البوصلة التي تتحكم في حركتها واتجاهها وتوجهاتها<sup>174</sup>.

وفي هذه المرحلة وبعدها وصل الإستشراق إلى أقصاه وتوجب أن يكون له جهاز تنظيمي خاص به ومؤسساته الرسمية المستقلة التي ترعاه إدارياً وعملياً، والتي ستسهم في جمع جهود المشتغلين بالدراسات الإستشراقية، وكانت بمثابة نقطة الانطلاق الكبرى له حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية<sup>175</sup>.

<sup>172</sup> هي اللجنة التي قدمت إلى الجزائر من أجل التقصي والتحقيق في شؤون الجزائريين والتي اصطلح على تسميتها باللجنة الإفريقية وكلمة الإفريقية والإفريقي ارتبطت وتلازمت مع دخول الاحتلال إلى الجزائر، حيث كانت رديفة لها لأن الجزائر هي بوابة إفريقيا في تلك الفترة وحتى احتلال الجزائر كان فاتحة لاحتلال إفريقيا. ينظر: حياة، سيدي صالح، اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين بين (1971-1895م)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص- ص 140-141.

<sup>173</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص ص 14-15.

<sup>174</sup> الطيب، بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 135.

<sup>175</sup> رزيقة، يحيوي، المرجع السابق، ص ص 51-52.

وهكذا يمكن القول أن فرنسا قد عرفت ثورة في عالم المجلات والدوريات الإستشراقية والتي ضمت مستشرقين فرنسيين وغيرهم بجميع تخصصاتهم، وقد بلغ عدد عناوين المجلات والدوريات الإستشراقية أكثر من أربعين عنواناً في مختلف المجالات والتخصصات<sup>176</sup>.

إن العهد الروماني في الأسطوغرافيا الفرنسية يمثل العهد المشرق، ويليه العهد الفرنسي، ولذلك فإن تاريخ المنطقة يبدأ من روما وينتهي بفرنسا، وانطلاقاً من هذه الرؤية، فإن مجيء الفرنسيين يعتبر استمرارية للرومان، فالنظرة لماضي الجزائر من منظور تواجد الرومان، أما غير ذلك فهو عمل غير طبيعي كالعهد الإسلامي والتركي.

وعليه فقد أهمل الشعب الجزائري، ولم يُسَلَّم بوجوده، فكتبوا عن منطقة جغرافية تداولت عليها الدول والشعوب، وليس هناك في نظرهم شعب أو أمة أو كيان أو مجتمع متماسك، وإنما هناك قبائل متنافرة، ولا تُخضعها إلا قوة كالرومان والفرنسيين. كما أنهم أهملوا المصادر الأصلية؛ فلو شككوا فيها لكان الأمر علمياً، ولكنهم تنكروا لها كلية، وبالإضافة إلى ذلك فإن أغلب هؤلاء المؤلفين كانوا من الهواة، ومن كتاب الثقافة العامة، والتقارير الرسمية، فباستثناء بعض الاختصاصيين مثل: غزال، مارسيه، فإن معظم الذين يطلق عليهم "مؤرخو الجزائر" لم يكونوا في الواقع مؤرخين<sup>177</sup>، وكان هدفهم مساعدة الإدارة الاستعمارية لكي تسيطر على الشعب الجزائري وتاريخه.

وفي الأخير خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات كالاتي:

لقد كان هدف السلطات الفرنسية من وراء إرسال لجان الاستكشاف ولجان التحقيق لكسب الوقت ومعرفة الجزائر جغرافياً وبشرياً، حيث جعلت من ذلك مرحلة اتخاذ القرار النهائي فيما إذا كان يمكنها البقاء في الجزائر وتوطد دعائمها، أم أن ذلك سيكلفها الكثير، كما كان لترجمة الكتب ونشرها في مؤلفات ومجلات تأثيرات استعمارية خطيرة.

<sup>176</sup> الطيب، بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 135 - 136.

<sup>177</sup>

- إن ما تزخر به الجزائر من رصيد تاريخي وتراث ثقافي ثري وغني جعل منها الحافز الأكبر للحصول عليه مما جعل هؤلاء المؤرخين الذين وجدوا في إدارتهم التشجيع المادي والمعنوي في الماضي قدما، حيث نقلوه خدمة لمصالحهم الخاصة تماشيا مع أهوائهم وميولاتهم الاستعمارية ولاستمرار هذا العمل قاموا بتأسيس لجان علمية متخصصة.

- مثلت الدوريات الفرنسية عموما والمجلة الإفريقية خصوصا منبرا علمياً يخدم الإدارة الإستعمارية في فهم المجتمع الجزائري في مختلف جوانبه ومحاولة التكيف معه وفق ما يخدم المشروع الاستعماري طويل المدى.

- اهتم المستشرقون بالمخطوطات العربية والبربرية الجزائرية فحققوا منها البعض وكلفوا بعض مساعديهم من الجزائريين بتحقيق البعض منها. كما اشتركوا في الترجمة والتحقيق معاً. وقد استطاع بعض الجزائريين بفضل هذه الجمعيات الولوج في عالم الكتابة بالفرنسية ضمن كوكبة من ألمع المستشرقين الفرنسيين.

- اهتمت المدونات الفرنسية منذ احتلال الجزائر سنة 1830م بالتراث الإسلامي، فظهرت كتابات مبكرة في حقل التحقيق والتحقيب والترجمة، أطرها مستعربون و مترجمون وخريجي مدرسة الآداب بالجزائر. والذين كان همهم الوحيد في الغالب من وراء البحث وتقصي الحقائق هو الخداع والاحتيال وتزييف الحقائق باسم الحضارة الإنسانية.

- أدت النظرة المعرّضة إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك وأمة متكاملة، وبأنّ الجزائر منطقة جغرافية يتعاقب عليها الحكام. وقد ألقوا باللوم على الوجود العثماني بالجزائر، كونه كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية وعاق تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية، وذلك ليخلصوا إلى مقارنته بالحضور الفرنسي.

- اشتغل المستشرقون والمترجمون في اللجان العلمية والجمعيات المتخصصة لنشر أبحاثهم وللتعريف بالشعب الجزائري في كل مراحل تاريخه ضمن اكتشاف الجزائر العلمي التي كونتها الحكومة الفرنسية.

- بعد أن اكتشفت الإدارة الاستعمارية في الجزائر منذ سنواتها الأولى أبعاد التراث الثقافي والفكري والحضاري العربي الإسلامي في الجزائر، وأدركت أهمية فهم التراث لإرساء قواعد الاستعمار على أسس قوية، شرعت في عملية واسعة لجمع هذا التراث المكتوب منه والمروي من كل المناطق التي كان موزعاً فيها بهدف تمحيصه وتقييمه واستخلاص النتائج منه.

- تمكن أغلب المستشرقون الفرنسيون بفضل الحنكة والدهاء والذكاء الذي كانوا يتمتعون به من استمالة وكسب ود جماعة من النخبة الجزائرية لخدمة مصالح فرنسا، ومن ثمة فتح أبواب الجزائر أمام المغامرات الفرنسية ذات الطابع الاستعماري.

- لقد أصبحت الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م؛ منطلقاً حقيقياً لحركة الاستشراق بمحتواه الاستعماري، إذ وقعت جل المخطوطات والوثائق بين أيدي المستشرقين الذين شرعوا في دراستها وتحليلها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية بهدف توظيف كم هائل من المعلومات والنتائج من أجل تثبيت الوجود الاستعماري في الجزائر، خاصة وأن معظم المستشرقين الفرنسيين كانوا مترجمين عسكريين ارتبطت أهدافهم بالتوسع الاستعماري.

- كانت الجزائر محور اهتمام من قبل المستشرقين الذين توافدوا عليها ككتاباً وسياسيين وفنانين ومصورين وعسكريين؛ أرادوا خدمة أهدافهم وغاياتهم ونواياهم، فتوغلوا في الجزائر وبسطوا نفوذهم فيها مبكراً لتكون سنة 1830م سنة دخول الجزائر للنظام الإقطاعي الفرنسي وظهر بذلك الرابط المتين بين الاستشراق والاستعمار ليكونا متوازيين ضمن مخطط واحد.

- لقد عمل الفرنسيون منذ دخولهم إلى الجزائر على تأسيس الهيئات العلمية التي تخدم أهداف الحملة الفرنسية على الجزائر، ودرسوا لأجل ذلك التأليف والآثار، وكل هذا من أجل الوصول إلى إيهاام الرأي العام المحلي الجزائري على وجه الخصوص والدولي على وجه العموم، بأن للحملة أهداف علمية سامية لا تحمل في نواياها أي أهداف استعمارية.

## الفصل الثاني:

### المجلة الإفريقية (R.A) 1856م.

أولاً- تعريف المجلة الإفريقية شكلاً ومضموناً:

1- من حيث الشكل.

2- من حيث المضمون.

ثانياً: مراحل تأسيس المجلة الإفريقية.

ثالثاً: رئاسة تحرير المجلة الإفريقية.

رابعاً: أهداف المجلة الإفريقية.

1- الأهداف السياسية.

2- الأهداف الدينية.

3- الأهداف العلمية والثقافية.

خامساً- أبرز كُتَّاب المجلة الإفريقية:

سادساً: منهج كُتَّاب المجلة الإفريقية في دراستهم لتاريخ الجزائر.

إن النشاط العلمي - الثقافي الذي تميّز به العهد الفرنسي والأبحاث التي قامت بها مختلف اللجان والجمعيات، كان قد بدأ منذ أوائل الاحتلال واستمر إلى آخر عهده، وما ميّز العهد الاستعماري هو البحث المستمر في مختلف المجالات، وتُعد الجمعيات العلمية بشقيها العلمي والديني الأرضية الصلبة لتوطيد الدعائم الأساسية والتي استطاعت من خلالها الحكومة الفرنسية أن تغرس جذور استعمارها في الجزائر.

أثرت الكتابات الفرنسية المختلفة في إبراز تاريخ الجزائر، فعرفت البدايات الأولى للاحتلال ظهور مونوغرافيات<sup>1</sup> متنوعة على أيدي الضباط العسكريين؛ فعدت كتابات استطلاعية للتعرف على المجتمع الجزائري من خلال لهجاته وعاداته وتاريخه؛ فمعرفة هوية أي مجتمع تسهل عملية القضاء عليه. ما جعلها تعتمد على مترجمين وهم في الغالب عسكريون أوفدتهم الحملة العسكرية على الجزائر.

ومن خلال فصلنا هذا ارتأينا تسليط الضوء على واحدة من أهم المجالات العلمية التي تُعد مصدراً من مصادر البحث في تاريخنا لغناها المعرفي التاريخي الحضاري باهتمامها على العديد من الجوانب والتخصصات، ولهذا وجب علينا دراستها والاهتمام بمحتواها وعدم الاستغناء عنها. ومن هنا نطرح التساؤلات التالية: متى تأسست هذه المجلة؟ وما القيمة التاريخية والحضارية لما احتوته من نصوص ومقالات؟ وما الأهداف التي سعت إلى تحقيقها؟ وما طبيعة المنهج الذي اعتمده كُتّابها؟

أولاً- تعريف المجلة الإفريقية (Revue Africaine) شكلاً ومضموناً:

## 1- من حيث الشكل:

قبل الشروع في الحديث عن المجلة<sup>2</sup> الإفريقية (Revue Africaine) وأهداف تأسيسها ارتأينا أنه من الضروري إعطاء تعريف، ووصف ولو مختصر للنسخة المتوفرة هنا عندنا في الجزائر لهذه

<sup>1</sup> المونوغرافية هي دراسة وصفية لظاهرة ما محددة بالزمان والمكان. تتم دراستها من جميع الجوانب دون إهمال أي عنصر من عناصره.  
<sup>2</sup> المجلة: صحيفة عامة أو متخصصة في فن من الفنون، تتكوّن من عدة صفحات، لا تصدر يومياً، وإنما تصدر دورياً بشكل منتظم، وتحتوي على مجموعة مقالات وقصص، ويحتوي معظمها على مواد مصورة. أما تلك التي تعالج موضوعات أكاديمية فتعتبر دوريات. تقدم المجلات مجموعة متنوعة من المعلومات والآراء ووسائل التسلية، وقد تغطي الأحداث الجارية والأزياء وتنافس المجلات الخارجية، أو تشرح كيفية إصلاح المعدات وإعداد الطعام، وتشمل الموضوعات المنشورة في المجلات، الأعمال التجارية، والثقافية والأحداث الجارية، والهوايات، والطب، والسياسة، والدين، والعلوم، والرياضة بالإضافة إلى الأدب القصصي، والشعر، والنثر، وتختلف المجلات عن الصحف من حيث

المجلة من الناحية الشكلية حتى يتسنى للقارئ رسم صورة في ذهنه حول هذه المجلة، فالمجلة الإفريقية عبارة عن حولية أكاديمية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر دام نشرها وطبعها مائة وست سنوات (106) في مائة وستة مجلدات ضمن أربع مائة وإحدى وسبعين عدداً (471)<sup>3</sup>. احتوت موادها على كل ما يمت بصلة إلى التاريخ بمعناه العام: الآثار، التاريخ بعصوره المختلفة، الجغرافيا، اللغات وغيرها. غير أن النصيب الأوفر فيها كان في باب الآثار، حيث قام دارسوا المجلة بكل ما من شأنه أن يخدم نظرهم إلى التاريخ والحضارة، فقاموا بالإشارة والتصنيف ودراسة وترجمة كل ما يمت بصلة إلى ذلك<sup>4</sup>.

وقد ارتأت الجمعية التاريخية الجزائرية إصدار مجلة علمية تبحث في تاريخ شمال إفريقيا، وبالأخص ما تعلق منه بتاريخ الجزائر العام، وكان لها ذلك مع بداية سنة 1856م. وقد توقفت هذه المجلة بمجرد حصول الجزائر على استقلالها عام 1962م<sup>5</sup> وبعد مرور مائة سنة أصبحت مرجعاً لا غنى عنه في كتابة تاريخ الجزائر بمختلف عصوره.

جاء قرار إنشاء هذه الجمعية سنة 1856م وذلك بعدما فشلت تجارب الدوريات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال الفرنسي في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، وفي هذا الشأن يذكر بيربروجر قوله: "لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيمياً محكماً يُؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء المجلة الإفريقية"<sup>6</sup>، فأصبحت بذلك دورية تاريخية

---

الشكل والمضمون، فالمجلات مُصممة للاحتفاظ بما مدة أطول من الصحف، ولهذا فهي أصغر حجماً وأفضل شكلاً، ومن حيث المضمون فإن المجلات أقل اهتماماً بالأحداث سريعة التغير.

<sup>3</sup> محمد، صاحبي، المرجع السابق، ص112.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 07.

<sup>5</sup> Berbrugger, Introduction..., op.cit, p.10.

- وينظر أيضاً: محمد صاحبي: "المجلة الإفريقية دراسة إحصائية بيبوغرافية للمخطوطات العربية"، مجلة الحوار المتوسطي، دار الأصول للنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013م، ع 5، ص 105-122.

<sup>6</sup> Partie officielle de la société historique algérienne, in Revue Algérien, N°49, Vol 9, 1865, pp.13-15.

- وينظر: جيجيك، زروق، اهتمام الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية (المجلة الإفريقية) أنموذجاً، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2015م، ع5.

انبثقت عن الجمعية التاريخية الجزائرية ولسان حالها وقد أخذت مكانة مهمة في الصحافة الجزائرية<sup>7</sup>، واهتمت بنشر المواد الجديدة التي لم تر النور من قبل، والأحداث الإيجابية والوثائق الأصلية وبعبارة أخرى كل ما يمكن أن يسלט الضوء على التاريخ المحلي بمختلف فتراته، وتصبح في النهاية مكتبة تاريخية إفريقية بها كم لا يستهان به من الأحداث ذات القيمة التاريخية الهامة<sup>8</sup>.

تُعد المجلة الإفريقية من أهم المصادر التاريخية، ما جعلها تحظى بعناية بالغة من قبل الفرنسيين؛ وذلك لثرائها المعرفي، التاريخي والحضاري واشتمالها على العديد من التخصصات، ومن بين هذه المجالات التي اهتمت بها: التاريخ والتراث العربي عامة، المغربي والجزائري على وجه الخصوص. وهكذا كانت المجلة تقوم بنشر مختلف مقالات وأعمال الباحثين، وكانت موضوعاتها شاملة ومتعددة شملت أكثر من عشرين مجالاً منها: التاريخ والآثار والإثنوغرافيا، والعادات والتقاليد والديانات، الثقافة، اللغويات، الجغرافيا، السير والتراجم، الرحلات والتقارير... الخ. كما عملت على نشر بعض الأغاني الشعبية ومن الأمثلة على ذلك ما نشر عن باريس تحت عنوان "في مدح باريس وأهلها"، وكذلك قصيدة في مدح قسنطينة وأهلها<sup>9</sup>، وكذا أعمال بعض العلماء المسلمين مثل ابن الأثير ومن الأمثلة على ذلك ما نشر بعنوان "نور الألباب" حيث ختم المقال بقصيدة في مدح خير خلق الله<sup>10</sup>.

وهي متوفرة ورقياً مطبوعة على شكل مجلدات في عدة مكتبات جزائرية عمومية كانت أو خاصة، كما يوجد فهرس خاص يتضمن محتوى المجلة، فقد نشرت "الجمعية التاريخية الجزائرية" سنة 1885م الفهرس العام للسنوات الخمسة والعشرين للمجلة (1856-1881م). وقد عرفت تنظيماً في أعضائها وفي محتوياتها من خلال تقسيم نصوص وأعمال الكُتّاب إلى أربعة أقسام أساسية وهي:

1- القسم الأول: ويتضمن هذا القسم الدراسات والتحليلات، ويحتوي على فهرس أبجدي للكُتّاب ويضم أسماء كل أعضاء الجمعية مع المواضيع التي عالجوها وترتيبها حسب تاريخ

<sup>7</sup> غرينة، عبد النور، المرجع السابق، ص 105.

<sup>8</sup> Berbrugger, Bulletin..., op.cit, p.10.

<sup>9</sup> Charles, Saint- Cabre, Constantine de quelques auteurs arabes Constantinois, N°97, 1913, p.18.

<sup>10</sup> Ismaël, Hamet, Nour El Eulbab, Lumière Des cœurs de cheikh Otmane ben Mohamed ben Otmane, dit Ibn- Foudiou, N°42, 1898, p.58.

نشرها. يطلق عليه مصطلح "مقالات أساسية" (Articles De Fonds). ويعد هذا القسم الركيزة الأساسية للمجلة من خلال ما يحتويه من مقالات<sup>11</sup>.

2- القسم الثاني: يحتوي على فهرس تحليلي يضم كل المقالات المرتبة حسب المواضيع، وقد تم تقسيمه إلى 12 قسماً، وهو عبارة عن أخبار مختصرة، أرسلت من طرف مراسلين عسكريين ومدنيين من داخل الجزائر وخارجها، وقد يشير فيها كاتبها إلى ما عثر عليه من مقتنيات (نقود، وثائق، نقوش...) مع التعريف بالمكان الذي وجدت فيه (مدينة، قرية، جبل...)، ويطلق على هذا الجزء من المجلة "لفظة أخبار وحوادث" (Chronique).

3- القسم الثالث: هو عبارة عن فهرس أبجدي لأسماء الأشخاص والأماكن، ويتم فيه إعادة نشر كل ما تم نشره من قبل في المجلة أو في مجالات أخرى، سواء من الإشارة إلى اكتشافات أثرية وملخصات عن مقالات بعض المستشرقين في مجالات أخرى، وتقديم إضافات أو تعليقات على النصوص المنشورة من قبل<sup>12</sup>. ويطلق على هذا الجانب اسم "بيان" أو "كشف ببليوغرافي" (Bulletin Bibliographique).

4- القسم الرابع: هذا الفهرس أبجدي ومنهجي للكتابات، وهو عبارة عن مجموعة من الملاحظات والتنويهات، التي يقوم بها أعضاء الجمعية والتي لا تنشر بصفة دائمة لأن اهتماماتها أقل من الأقسام الأخرى؛ فتكون تلك الملاحظات موجهة أساساً للمراسلين وكذا لأعضاء الجمعية وبنسبة أقل للقراء والمشاركين. ويحتوي هذا القسم على:

- فهرس أبجدي للكُتاب مع الإشارة إلى تاريخ نشر المواضيع.
- فهرس أبجدي لأسماء الكُتاب، ومختلف الصور والرسومات.
- فهرس أبجدي للمواضيع<sup>13</sup>.

<sup>11</sup> هذا القسم مخصص للمقالات العلمية الهادفة والمهتمة بتاريخ الجزائر، ولا يخلو أي عدد منها؛ فهي القاعدة الأساسية ولا يمكن الاستغناء عنها، وعادة ما تكون في بدايتها من الصفحة الثالثة، والتي تكون بدايتها بذكر اللجان العلمية التي عقدت اجتماعات اللجنة العلمية وذكر الرئيس الحالي ونوابه وكذا هيئة التحرير.

<sup>12</sup> نجد أن أقسام المجلة ثابتة ومنظمة في كل الأعداد، سواء في القسم الأول أو الثاني أو الثالث ما عدا "الكشاف الببليوغرافي" فهي جدّ مختصرة ومتناثرة من حيث الترتيب وغير متسلسلة.

<sup>13</sup> عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص ص 12-13.

وقد حُصص هذا القسم للملاحظات والإرشادات الموجهة إلى القراء أو المرسلين مع الإشارة إلى القوانين وما شابه ذلك، وقد أطلق عليه لفظ "ملحوظات عامة" (Notes Diverses).

لقد أعدّ الكتاب الفرنسيون فهرسة المجلة على ثلاث مراحل والبدائية كانت مع بيربروجر الذي قام بفهرسة الفترة الأولى للمجلة فيما يخص الأعداد التي صدرت بداية من سنة 1856 وإلى غاية 1881م، احتوت الفهرسة على ترتيب للكُتّاب ومقالاتهم بالتفصيل، ليواصل جون بيفيا (Jean Bevia) فهرسة الأعداد الصادرة بداية من سنة 1882 وإلى غاية سنة 1921م؛ اشتملت فهرسته على نفس نمط الفهارس الأولى وذلك بالحفاظ على نسق ترتيب المقالات وكُتابها.

وقد قامت جان أليكي (Jean Alquier) وبمساعدة جون نيسو<sup>14</sup> (Jean Nicot) بفهرسة الأعداد الممتدة من الفترة 1922 وإلى غاية 1950م، لتبقى المرحلة الأخيرة والممتدة من سنة 1951 إلى سنة 1961م غير مفهرسة، لتقوم فيما بعد فتيحة شرقي (Fatiha Chergi) عام 1982م بإتمام العمل وفهرسة ما تبقى من أعداد لتصبح بذلك المجلة مفهرسة ومنظمة<sup>15</sup>.

والجدير بالذكر أن هذه المجلة متوفرة إلكترونياً بكل أعدادها، وباستطاعة كل من الأساتذة والطلبة والمهتمين تحميلها والإطلاع عليها والاستفادة منها، وتُعتبر هذه النسخة الإلكترونية مشابحة إلى حدٍ كبير للنسخة الورقية المطبوعة.

وباستخدام الشبكة العنكبوتية ومحركات البحث عثرنا على فهرس إلكتروني خاص بمواضيع المجلة الإفريقية، والجدير بالملاحظة فإن اللون الأخضر يسيطر على غلاف هذه المجلدات إذ يشكل تقريباً 90% ويقل فيه اللون الأبيض الذي يشكل 10% فقط.

ولم يتغير غلاف هذه المجلدات من المجلد الأول إلى غاية آخر مجلد (1856-1962م)، كُتب على أعلى صفحة الغلاف اسم المجلة (Revue Africaine) باللون الأسود ويتوسط الصفحة

<sup>14</sup> جون نيسو (Jean Nicot): الدبلوماسي وعالم اللغة الفرنسي، درس في كلية الآداب في نيم. ألف مجموعة كبيرة من القواميس الفرنسية-اللاتينية.

<sup>15</sup> تتواجد فهارس المجلة الإفريقية المذكورة سالفاً بأرشيف بلدية قسنطينة، وقد أضيف مؤخرا الجزء الرابع من إنجاز فتيحة شرقي هذه الأخيرة التي قامت كما ذكرنا آنفاً بفهرسة الأعداد الأخيرة والتي حافظت فيها على نفس منهجية بيربروجر. وللإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Ait Saïd, (R), Répertoire générale des articles de fond de la revue Africaine 1856-1962, bibliothèque universitaire d'Alger, 1922.

خريطة قارة إفريقيا داخل دائرة، وهذا ما يعكس مدى اهتمام المجلة بتاريخ الشمال الإفريقي، وعلى الجهة اليمنى من صفحة الغلاف يوجد سنة طبع المجلد، بينما في الجهة اليسرى يوجد رقم عدد المجلد، أما أسفل الصفحة فيوجد به دار ومكان نشر هذه المجلة.

أما طول المجلد الواحد فيبلغ 21,8 سم، وعرضه يبلغ 15,3 سم، لكن ثَمك المجلد الواحد يختلف من مجلد إلى آخر يتراوح ما بين 1,3 سم إلى 2,5 سم، وعدد الصفحات في كل عدد تتراوح ما بين 80 صفحة إلى 100 صفحة<sup>16</sup> نوع الورق المستعمل شبه خشن وغير ناصع اللون، أما نوع التجليد فبواسطة الغراء.

لغة هذه المجلة هي الفرنسية، أي أنها كانت ناطقة باللغة الفرنسية لكن وردت فيها لغات أخرى ضمن النصوص الفرنسية كالرومانية، العربية، البربرية، العبرية، اليونانية، الإسبانية، وغيرها. يحتوي المجلد الأول على مقدمة من إحدى عشر (11) صفحة، أما بقية المجلدات الأخرى فتكاد تخلو من مقدمة، وفي آخر كل مجلد يوجد فهرس للمواضيع التي يتناولها المجلد مع أسماء مؤلفيها.

حروف الطباعة عادية وغير مائلة، أما العناوين الداخلية منها ما هو عنوان بحث ومنها ما هو عنوان باب أو عناوين فرعية، فقد احتوت هذه المجلة على نصوص وقصائد شعبية بلهجة محلية ومعانٍ تاريخية كما احتوى على أسماء أماكن وأشخاص مكتوبة باللغة العربية واللهجة المحلية التي أوردتها بعض المؤرخين، والتي ربما فرضت نفسها أو أملت الحاجة العلمية.

لون الخط الذي كُتبت به المجلة هو اللون الأسود وهو خط مقروء وواضح إلى حد كبير، إلا في بعض الحالات النادرة التي يصعب فيها قراءته نظراً للأخطاء المطبعية، وهذا أمر طبيعي. كما تحتوي المجلة على رسومات توضيحية، وأشكال وخرائط، ومخطوطات عربية، وعليه يمكن القول أن المجلة قد استخدمت كل ما من شأنه أن يوضح المعلومات والحقائق التاريخية. "كما احتوت المجلة على صور مزهريات ورسوم، وكائنات مختلفة"<sup>17</sup>. وباختصار فإن ترقيم الصفحات جاء في أعلى الصفحة كما أن المقالات التي تناولتها المجلة لا تحتوي على عناوين فرعية كما هو سائد في وقتنا الحالي.

<sup>16</sup> عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص10.

<sup>17</sup> Berbrugger, "Chronique", in: R. A, N°2, 1857, p.485.

## 2- من حيث المضمون:

كانت المجلة الإفريقية عبارة عن مجلة تاريخية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية من خلال الجمعية التاريخية الجزائرية<sup>18</sup> (Société d'Histoire Algérienne)، في 07 أبريل 1856م على يد بيربروجر، وتعتبر كأول مطبوعة صدرت عن الجمعية تحت عنوان "المجلة الإفريقية" على صورة أعداد فصلية أو دورية؛ جمعت على شكل مجلدات ابتداء من عام 1856م إلى غاية 1962م، صدر العدد الأول منها في أكتوبر 1856م<sup>19</sup>، وتلاه العدد الثاني في شهر ديسمبر من نفس السنة، كانت تصدر مرة كل شهرين في بداية ظهورها لتصبح فصلية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر بدءاً من العدد الذي ظهر في الثلاثي الأخير من سنة 1888م، واستمرت في الصدور إلى غاية 1962م، وآخر مجلد فيها هو المجلد رقم 106، ولم تتوقف عن الصدور سوى في الحرب العالمية الأولى من 1914 إلى 1918م لظروف أمنية<sup>20</sup>. كانت المجلة في بداية الأمر تصدر كل شهرين، وكان سعر الاشتراك 12 فرنك بالنسبة للأشخاص الغرباء عن الجمعية، و8 فرنكات بالنسبة للمراسلين، أما الأعضاء المقيمين فيتلقونها مجاناً<sup>21</sup>، أما عن الاتصال بمراسلي المجلة في المناطق الأخرى فقد أوكلت المهمة إلى السيد "باستيد Bastide" المكتبي، الكائن مقره في ساحة الحكومة بالجزائر العاصمة، من أجل الاشتراك بالمجلة ودفع ثمن الاشتراك فيها<sup>22</sup>.

كانت المجلة توزع مجاناً على الأعضاء العاملين والمراسلين لها، حيث ظهر العدد الأول من المجلة سنة تأسيس الجمعية عام 1856م واستمرت بالصدور سنوياً إلى غاية سنة 1962م، ولم تنقطع سوى

<sup>18</sup> الجمعية التاريخية الجزائرية: تأسست بعد مرور ستة عشر عاماً على احتلال الجزائر، ولقد جاء قرار إنشاء هذه الجمعية في سنة 1856م بحسب "بيربروجر" نفسه وذلك بعدما فشلت تجارب الدوريات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، يقول بيربروجر عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أنّ النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيمياً محكما يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية". ينظر:

- Berbrugger, Introduction ....,op.cit, p.3.

<sup>19</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج9، ينظر الفهارس.

<sup>20</sup> الظاهر أن توقف المجلة عن الصدور خلال الحرب المذكورة أرجعه البعض لانشغال الضباط الفرنسيين بالحرب التي أبعدهم عن الكتابة والبحث لأن فرنسا كانت طرف مهم في هذه الحرب، وكما أن أغلب كُتاب هذه المجلة كانوا ضباط عسكريين، بينما أرجعه البعض الآخر إلى ظروف أمنية.

Berbrugger, "Introduction...", op.cit, p.2.

Ibid, p.3.

في فترة الحرب العالمية الأولى ما بين (1914 - 1918م)<sup>23</sup>. وقد عرفت تنظيمًا إداريًا محكمًا من خلال سيرها المتواصل، والذي يعكس مساهمة السلطات الفرنسية في إنجاحها وذلك بدعمها مادياً ومعنوياً، ففي سنة 1928م تلقت المجلة مساعدات مادية معتبرة من طرف الجامعة المركزية والحكومة العامة الفرنسية بالجزائر، وكذا مساهمة أعضائها بأنفسهم عن طريق الاشتراكات التي يدفعونها<sup>24</sup>.

كانت المجلة تصدر مع نهاية كل سنة فمثلا العدد الأول صدر بداية من أكتوبر وانتهت أرقامه في أوت من السنة الموالية<sup>25</sup>، وبعدها تحولت إلى الصدور في مطلع كل عام وهذا بداية من العدد الخامس حيث صدر أول رقم منه في جانفي، وآخر رقم في نوفمبر وكل أرقامه صدرت سنة 1861م<sup>26</sup>.

كان مقر الجمعية في بداية الأمر المكتبة الوطنية الجزائرية ثم تحولت إلى كلية الآداب بالجزائر، وكانت مجلدات المجلة لا تحتوي على مقدمة في كل أجزاءها، حيث داومت على نشر أعدادها دون مقدمة إلا العدد الأول الذي نشرت فيه مقدمة بـ 11 صفحة وقد كتب في المجلة 397 كاتب بنشر بلغ 1267 مقالة في العديد من التخصصات.

وقد عملت المجلة على تشجيع قُرَّائها على الاشتراك فيها، من خلال ذكرها لقائمة الهيئات التي اشتركت فيها، وحافظت على هذا التنويه بداية من المجلد السادس الصادر عام 1862م إلى غاية المجلد الخامس والعشرون سنة 1881م.

أ- الحكومة العامة للجزائر من البداية إلى غاية سنة 1881م.

ب- وزير الأشغال العمومية من البداية إلى غاية سنة 1881م.

ج- المجلس العام لمقاطعة الجزائر العاصمة من البداية وإلى غاية سنة 1881م، ومنذ هذا التاريخ لم تعد المجلة تذكر هذه الفترة المهمة<sup>27</sup>.

<sup>23</sup> عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص10.

<sup>24</sup> R. A, Assemblée générale du 15 Janvier 1928, N°69, pp.17- 19.

<sup>25</sup> هذه الطريقة مطبقة على الأعداد من 1 إلى 4.

<sup>26</sup> هذه الطريقة مطبقة على الأعداد من 5 إلى 32، أما الأعداد المتبقية فكانت تُصدر رقمين، ثلاثة أرقام، أو أربعة في السنة.

<sup>27</sup> Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, pp.2-3.

وفيما يخص توزيع المجلة فقد اعتمدت إدارتها بداية من صدور المجلد السادس عام 1862م على ضبط قائمة موزعيها وذكر عناوينها في الغلاف الداخلي الثاني كآلاتي:

- 1- الجزائر العاصمة: باستيد، ساحة الحكومة.
  - 2- قسنطينة: أليمي وأرنوي (Alimi et Arnoy)، صاحب مكتبة شارع القصر.
  - 3- باريس: شلامل إيني (Eni Shalamel)، ناشر (شارع بولنجي).
- استمرت المجلة على هذا المنوال إلى غاية صدور المجلد 22 سنة 1878م، حيث تم إضافة موزع جديد في وهران بداية من المجلد 23 سنة 1879م<sup>28</sup>.
- 4- وهران: أ. أليسي (A. Alessi): صاحب مكتبة ووراقة بساحة كليبر.

واستمر الحال على هذا المنوال إلى غاية العدد 41 الصادر سنة 1897م حيث تم حذف أسماء وعناوين الموزعين تماماً من الغلاف الداخلي إلى غاية العدد الأخير سنة 1962م.

وقد كانت هذه المجلة في بدايتها متذبذبة الصدور إلى أن أصبحت نصف شهرية، ثم سنوية، ثم فصلية إلى أن صارت في الأخير على شكل حولية، لم تكن موضوعاتها تخص الجزائر لوحدها، بل كانت تهتم بموضوعات تخص الدول الإفريقية التي تم احتلالها من طرف فرنسا، هذا فضلا عن دول العالم على وجه العموم، لكن الموضوعات التي تناولت التاريخ الجزائري كان لها النصيب الأوفر، شملت فيها الكتابة أكثر من 20 ميداناً وهي: الآثار، التاريخ، الإثنوغرافيا، الفلكلور<sup>29</sup> مع الديانات، والمعتقدات، والتقاليد، والأساطير، القانون والتشريع، ثم الاقتصاد وعلم الاجتماع والديموغرافيا، ثم الزراعة، والأرصاد الجوية، ثم الأدب والتربية، والتعليم والفنون الجميلة والثقافة، ثم الهندسة وغيرها<sup>30</sup>، وجاءت الدراسات الأثرية والتاريخية في المرتبة الأولى من عموم ما نشر في المجلة التي تبنت الملامح المنهجية التالية:

Berbrugger, " Introduction... ", op.cit p.15.

28

29 أصل تسمية فلكلور جاء من اللغة الألمانية (Volkskunde) وعناها بالعربية (علم الشعوب) أو (التراث)، هو مجموعة الفنون القديمة والقصص والحكايات والأساطير المنحصرة ضمن عادات وتقاليد مجموعة سكانية معينة في بلد ما. تنقل المعارف المتعلقة بالفلكلور من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفهية غالباً، وقد يقوم كل جيل بإضافة أشياء جديدة أو حذف أشياء أخرى لتتوافق في النهاية مع واقع حياته التي يعايشها وهذا الإبداع ليس من صنع فرد ولكنه نتاج الجماعة الإنسانية ككل في مجتمع ما.

30 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج9، ينظر الفهارس.

تأيينات<sup>31</sup>، مراسيم، تقارير، بيبولوجرافيات، نشریات، قراءة كتب، تعليقات، مراسلات، ملاحظات... الخ، وقد ظهرت من ذلك مجموعة من الدراسات والانطباعات التي كتبها عسكريون فرنسيون<sup>32</sup>.

ونظراً لكثرة مجالات وتخصصات هذه المجلة فإننا سنقتصر على عرض أهم وأبرز المجالات والاختصاصات التي عالجتها المجلة الإفريقية في الجدول الآتي<sup>33</sup>:

الرقم	مجال الاختصاص	عدد المقالات	عدد الكُتاب
1	التاريخ	733	190
2	الجغرافيا	31	14
3	الانثروبولوجيا	128	42
4	الدراسات الفردية	113	60
5	الرحلات	74	41
6	الفلكلور والعادات والأساطير	123	70
7	الفنون والثقافة	16	08
8	الأدب وفقه اللغة واللهجات	97	48
9	علم الفلك	05	03
10	الأديان والمعتقدات	83	41
11	القانون	16	11
12	الاقتصاد	32	13
13	العمارة والعمران	05	04

<sup>31</sup> التائبين هو الشفاء على الإنسان وراثاً بعد موته، أو مدحه والبكاء عليه ويكون غالباً أمام الناس.

<sup>32</sup> شارل أندري، جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير، دار الأمة، 2013م، مج2، ص 407.

<sup>33</sup> Seddiki, (La maïa), La Revue Africaine de 1856 à 1961 Etude Bibliométrique, Mémoire du Magister, Faculté des Sciences Humaines et des Sciences Sociales, Université Mentouri-Constantine, Juin 2008, p.39.

137	378	علم الآثار	14
04	04	علم الاجتماع	15

وبقراءة سريعة وبسيطة لهذا الجدول نلاحظ أن المجلة الإفريقية قد أبدت اهتماماً كبيراً بجميع المجالات وفي جميع التخصصات وبأعداد مختلفة، وقد جاءت الدراسات الأثرية والتاريخية في المرتبة الأولى من عموم ما نشر في المجلة التي تبنت الملامح المنهجية التالية: تأيينات، مراسيم، تقارير، بيبولوجرافيات، نشرات، قراءة كتب، تعليقات، مراسلات، ملاحظات وهذا ما يظهر لنا وبوضوح من خلال أن أكبر أعداد مقالات المجلة هي مقالات تاريخية وأثرية حيث تم تسجيل 733 مقال و190 كاتب في مجال التاريخ و378 مقال و137 كاتب في مجال الآثار، وهذا ما يوضح لنا الهدف الحقيقي من هذه المجلة.

والجدول التالي يوضح لنا البعض من كُتّاب المجلة باختلاف تخصصاتهم والذين كان لهم النصيب الأوفر في عدد النشريات فيها<sup>34</sup>:

الترتيب	اسم الكاتب	عدد المقالات
01	بيربروجر Berbrugger	136
02	لوي فيرو L. Feraud	100
03	لويس رين L. Rinn	67
04	دو غرامون De Gramant	63
05	دوفولكس Devoulx	58
06	ن. روبين N. Robin	53
07	فانيان E. Fagnan	41
08	جيروم ديارمييه (Desparmet)	39
09	س. تروملي (C. Trumet)	34
10	سان سيمون S. Simon	32

11	بول أوجين باش (Paul-eugene bache)	27
12	ستيفان غزال (Stephane gsell)	21
13	محمد بن شنب M. Ben Cheneb	15

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن جُلَّ كُتَّابِ المجلة كانوا من الأوروبيين، وهذا طبيعي لأنها في الأصل مجلة فرنسية. وهذا ما سيؤثر في الوقت نفسه على توجهات الكتابة داخلها. ويجعل منها أداة إستعمارية تخدم مصالح هذا الأخير لاسيما ما تعلق منه بالجانب التاريخي الحضاري للأمة الإسلامية والجزائرية على وجه الخصوص.

كانت المجلة تقوم بتسجيل كافة المداخلات بأي لغة كانت سواء اليونانية أو الفرنسية أو العربية، وتقوم بمعالجتها وطباعة الصور الفوتوغرافية مع التسجيل وإرفاق النسخ بحيث يسهل استخدامها وقت الحاجة<sup>35</sup>، وكان للمجلة عدد من المراسلين أغلبهم ضباط في الجيش الفرنسي العاملين في الوحدات التي تقوم بالحملة العسكرية على المدن والقرى والمدامر، وقد كُلف المدرسون الفرنسيون ورجال الدين المسيحيين أيضاً بذات المهمة على أن تكون مهماتهم تطوعية<sup>36</sup>.

اهتمت هذه المجلة بالآثار والأماكن التاريخية وتراجم بعض الرجال، والعلماء والمشاهير فأعطت للآثار الرومانية في بلادنا في مكانة خاصة إذ كان للمجلة العديد من الضباط العسكريين كمراسلين موزعين في مختلف نواحي الجزائر، وكانوا يقومون بالحفريات وجمع الأشياء الأثرية والمخطوطات العربية، كما اهتمت بالآثار الإسلامية، والكتابات العربية، هذا فضلاً عن اهتمامها بنشر الدراسات المختلفة المتعلقة بشمال إفريقيا، والمشرق، وعليه فإن الدراسات التاريخية قد شملت جميع مراحلها إلى جانب الفن والآثار والكتابات المنقوشة، والجغرافيا والأدب واللسانيات والسلالات... الخ<sup>37</sup>، وعلى الرغم من هذه الأعمال والدراسات الكبيرة التي اهتم بها المستشرقون الفرنسيون من خلال المجلة الإفريقية فإنه

Anonyme, " Notes Diverses ", in: R. A, N°1, 1856, p.77.

35

36 محمد، صاحبي، المجلة الإفريقية...، المرجع السابق، ص111.

37 عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص11.

ينبغي التنبيه إلا أن هذه الدراسات والنصوص المترجمة والمخطوطات المحققة ما تزال بحاجة إلى باحثين متخصصين في شتى ميادين المعرفة.

لم تستثن المجلة في أعدادها المختلفة الاهتمام بالجانب العلمي للجزائر وما برز على أيدي علماء ومتصوفة أبناء المنطقة من خلال كتاباتهم المختلفة التي دونت على شكل مخطوطات محفوظة لدى العائلات أو في الزوايا والكتاتيب، هذا ما أورده بيربروجر أثناء الحملة الفرنسية على قسنطينة لما رآه من مخطوطات في العديد من المكتبات منها: مكتبة "عائلة الفكون Alfakun"<sup>38</sup> التي كانت تحوي 2500 ما بين كتاب ومخطوط، ومكتبة "عائلة باش تارزي Bash Tarzee"<sup>39</sup> التي تحوي هي بدورها حوالي 500 نسخة<sup>40</sup>.

لقد دأبت المجلة على إصدار دراسات حول تاريخ الجزائر والبلدان المغاربية وكذا العالم الإسلامي بوجه عام، كما كانت تعنى بعاداتهم وثقافتهم وعلومهم، ورغم تقادم عهدها والظروف السياسية الصعبة التي ظهرت فيها - الفترة الاستعمارية- إلا أنها لا تزال تحتفظ بقيمة علمية ووثائقية لا تنكر، ويقول بيربروجر في هذا الباب: "لقد اضطر الدارسون إلى اقتفاء المسالك الضيقة التي كان جنودها المغاوير يفتحونها لهم، كان عليهم إذن أن يكتفوا بأخذ ما هو متاح في أعقاب الجيش مع الابتعاد بعض الشيء عن الخط المرسوم للعمليات العسكرية"<sup>41</sup>.

<sup>38</sup> عائلة الفكون من أقدم العائلات في قسنطينة، وهي عائلة اشتهرت بالعلم والصلاح قبل الأعمال الحكومية. وهي تنتسب إلى بني تميم، ومن ثمة فهي من العائلات العربية العريقة. وقد كان جد الفكون يشغل منصب مزوار الشرفاء في قسنطينة. ويعتبر عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني من أبرز أفراد العائلة علماً وعملاً وسمعة. ففي عهده بلغت عائلة الفكون أوج قوتها المادية والمعنوية. للإطلاع على الموضوع أكثر ينظر: شيخ الإسلام عبد الكريم، الفكون، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق، نح، تع: أبو القاسم، سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م. وينظر أيضاً:

- أبو القاسم، سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.  
<sup>39</sup> عائلة عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بـ"باش تارزي القسنطيني الجزائري" المتوفي سنة 1221هـ/ 1806م، مؤسس الطريقة الرحمانية بقسنطينة وصاحب المنظومة الرحمانية، والتي شرحها ابنه في مؤلف سماه رسالة المنح الربانية في بيان المنمة الرحمانية. ينظر: مصطفى بن عبد الرحمن، باش تارزي، مخطوط رسالة المنح الربانية المنظومة الرحمانية، خزانة المخطوطات المكتبة الموهوبية، بجاية- الجزائر، (د،ت).

<sup>40</sup> Laloe, (F), A propos de l'incendie de la bibliothèque d'Alexandrie par les arabes Les manuscrits arabes de Constantine, in: R.A, N°66, 1925, p.106.

Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, p.5.

وبعد وفاة بيربروجر في 2 جويلية 1869م أُنْتُخِبَ مجلس جديد ورئيس جديد انضم إليه السيد: حسن بن بريهمات<sup>42</sup> (Hassan Ben Brahamat) وقُبِلت عضويته فيه، وبذلك يكون أول جزائري ينضم إلى هذه الجمعية التاريخية العلمية وكان ذلك سنة 1869م<sup>43</sup>.

والجدول التالي يوضح لنا نخبة من الكُتّاب الجزائريين الذين كتبوا في المجلة الإفريقية:

عدد المقالات	اسم الباحث
15	محمد بن شنب (Mohamed Ben Chenab)
4	رشيد بن شنب (Rachid Ben Chenab)
5	سعد الدين بن شنب (Saad Eddin Ben Chenab)
1	العشاوي (Ashawi)
3	إسماعيل حاتم (Ismail Hatem)
1	محمد ابن علي بن إبراهيم ( Muhammad Ben Ali Ben Ibrahim)
1	أبو بكر عبد السلام بن شعيب ( Abu Baker Abdel Salam Ben Shuaib)
1	أ. دهنه (A. Dahnih)
2	إدريس (Idris)
1	سليمان رحمان (Sulaiman Rahmani)

<sup>42</sup> الحسن بن إبراهيم الملقب بريهمات: هو الحسن بن إبراهيم بن الحاج حسين الملقب بـ: "بريهمات"، لاشتهاره ببذل الدنانير والدرهمات في سبيل الله، ولد بالعاصمة في 1821م، وقد شهد الحسن بن بريهمات في صباه الحملة الفرنسية على الجزائر وما قامت به فرنسا من عنف وتقتيل، فنشأ داخله إحساس بالكراهية اتجاه الفرنسيين فرأى بضرورة مجاملتهم وتحاشي ظلمهم. وقد درس الحسن بن إبراهيم في المدرسة الابتدائية الفرنسية المؤسسة سنة 1836م، فهو ينتمي إلى العائلات الجزائرية الحضرية التي توارثت العلم والجاه، التي تعلمت في المدارس الفرنسية ونحلت من لغتها وحضارتها الغربية. عينه الحاكم العام للجزائر راندون قاضياً على البلدة عام 1853م، وعين مديراً لمدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية عام 1855م، كما عين عضواً بالمجلس الإستشاري بالحكومة العامة سنة 1865م. توفي الحسن بن إبراهيم بالقصبة بالجزائر العاصمة في 8 مارس 1884م.

<sup>43</sup> عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص 46.

ومن خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن المجلة لم تكن تقتصر فقط على الكتاب الفرنسيين كما سبق وذكرنا، وإنما كانت أيضا تقوم بنشر مقالات لنخبة من الكتاب الجزائريين سواء ما تعلق منها بالأدب أو التاريخ أو الشعر... الخ، كما كانت تنشر للكتاب العرب. إلا أنه وبالنظر إلى عدد المقالات يتضح أنها مشاركة محتشمة مقارنة بعدد الكتابات والكتّاب الفرنسيين على وجه الخصوص.

والجدول التالي يوضح لنا إسهامات الكُتّاب الغربيون والجزائريون وكذا العرب في المجلة الإفريقية:

الترتيب	كتاب المجلة	عدددهم	مقالاتهم
1	الكتاب الغربيون	370	5715
2	الكتاب الجزائريون	23	75
3	الكتاب العرب	04	07

والملاحظ من خلال الجدول أن إسهامات الكُتّاب الفرنسيون وعدد المقالات المنشورة من قبلهم تمثل نسبة أكبر من مجموع ما تمّ نشره من مقالات من طرف كل من الكُتّاب الجزائريين والعرب.

وبحلول سنة 1956م احتفلت الجمعية التاريخية الجزائرية (Société d'Histoire Algérienne)، والمجلة الإفريقية بمرور مائة سنة عن ميلادها، وقد قدّم عدد من المؤرخين، والباحثين دراسات هامة عن مدى تقدم الكتابة التاريخية في الفترة ما بين (1930 - 1956م)<sup>44</sup>.

أما عن أقسام هذه المجلة ومحتوياتها فقد قُسمت حسب ما أشرنا إليه سابقاً إلى ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الأول يحتوي على المقالات الأساسية (Articles de fonds) والذي يتضمن الدراسات والتحليلات ويُطلق عليه أيضا مقالات أساسية (de fonds Article)، أما القسم الثاني فمُخصص للأخبار والحوادث (Chronique)، أما القسم الثالث فهو خاص بالبيانات يتم فيه إعادة نشر كل ماله علاقة بموضوع المجلة مع الإشارة إلى اكتشافات أثرية ويُطلق على هذا القسم أيضا اسم نشره أو بيان (Bulletin).

<sup>44</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص 26.

وهناك قسم رابع ثانوي خصص لملاحظات وإشارات كل من القراء والمراسلين، أُطلق عليه اسم ملحوظات متنوعة (Notes diverses).

أُعيد طبع المجلة الإفريقية سنة 1968م من طرف الناشر لاندولو (Lindelou)، ثم من طرف ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1980م ومع ذلك فإن المجلة تُعاني من أخطاء ونقائص وضياع وإهمال للخرائط، هذا فضلاً عن عدم انتظام بعض الصفحات<sup>45</sup>.

#### ثانياً: مراحل تأسيس المجلة الإفريقية:

أعلن بيربروجر في الجلسة الأولى للجمعية التاريخية عن البرقية التي بعث بها السيد المارشال راندون الحاكم العام الذي كُلف بإنشاء جمعية تاريخية جزائرية، وذكّر بأهداف ووسائل عمل هذه الجمعية، كما صرّح بضرورة نشر الأعمال التي أصبحت شرطاً أساسياً للبقاء، وحث الحاضرين على بذل الجهود لتحقيق هذه الغاية، كما أشار إلى تعيين مكتب مؤقت، سيكون مكلف بأشغال الأعضاء المؤسسين، وفي هذه الجلسة حضر جمع من الشخصيات المثقفة التي من خلالها تمّ تعيين أعضاء المكتب المؤقت، كما هو موضّح في الجدول التالي<sup>46</sup>:

الرقم	اسم العضو	مهمته
1	بيربروجر (Berbrugger)	رئيساً
2	دوسلان (Le Baron de Slane)	نائباً أول للرئيس
3	دو نوفو (de Neveu)	نائباً ثاني للرئيس
4	م. بريسنيي (M. Bresnier)	كاتباً
5	كلارك (M. Clerc)	نائب كاتب
6	بيرار Bérard	أمين الأرشيف

<sup>45</sup> محمد، صاحبي، المجلة الإفريقية...، المرجع السابق، ص111.

<sup>46</sup> Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, p.14.

والجدير بالذكر أن هذه الجمعية ستهتم بتاريخ إفريقيا الشمالية بمفهومه الواسع، دون إهمال الأمور المتعلقة بالأرض ومنتجاتها، ثم تلا عليهم قائمة الأشخاص المدعوين للالتحاق بالأعضاء المؤسسين.

أمّا في الجلسة الثانية والتي تمّ عقدها بتاريخ 8 مارس 1856م برئاسة السيد بيربروجر، حضر عضوان جديان هما السيد غالانيي (M. Galanier) رئيس سرية أركان الجيش، والمارشال الكونت راندون، وماك كارتني مهندس جغرافي، وتلا الجلسة مشروع القانون الذي طُرح للمناقشة والإثراء.

أما فيما يخص التصويت عنه فقد أجل لجلسة لاحقة، وباعتبار أن السيد المارشال راندون الحاكم العام هو صاحب فكرة تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية<sup>47</sup>.

ويعتبر الكثيرون أنه لولا هذا الرجل لما كان لهذه الجمعية وجود، ومن ثمّ قرر الحاضرون بالإجماع على تعيينه رئيساً شرفياً للجمعية، فوافق على ذلك دون تردد. أما في الجلسة الثالثة والمنعقدة في 15 مارس 1856م والتي كانت هي الأخرى برئاسة السيد بيربروجر، فقد تمّ التصويت والموافقة فيها بالإجماع على تبني مشروع قانون الجمعية، كما شهدت الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ 21 أبريل 1856م برئاسة بيربروجر قراءة المرسوم المرسل من طرف المارشال الحاكم العام، والصادر في 7 أبريل 1856م والذي أعطى الضوء الأخضر للجمعية التاريخية الجزائرية للشروع في عملها، وتمّ تعيين بيرار (M. Berard) أمين على الأرشيف، وقد ذكر بيربروجر بأنه قد تمّ إرسال تقرير إلى السلطات المعنية يقترح فيه إنشاء جريدة لنشر أعمال الجمعية تحت عنوان: "المجلة الإفريقية" (Revue Africaine)<sup>48</sup>.

وفي الجدول التالي نوضح أعضاء الجلسة الخامسة المنعقدة في 2 ماي 1856م على التوالي<sup>49</sup>:

الرقم	اسم العضو	مهمته
1	دونوفو M. de Neveu	عقيد أركان الجيش ورئيس المكتب السياسي
2	رولون دوبيسي Roland de Bussy	مدير المطبعة الحكومية

Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, p.12.

47

وينظر أيضاً: عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص ص 15-16.

Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, p.13.

48

Ibid, pp.13- 14.

49

وينظر أيضاً: عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص ص 17-18.

3	الدكتور بارتيرون Berherand	صاحب المجلة الطبية ورئيس تحريرها
4	أنسولان Anselin	مفتش الأعمال المدنية
5	دو روجمون De Rougemont	مهندس أشغال الطرقات
6	سولفت Solvet	مهندس لدى المجلس بالجزائر
7	بورتمان Bortmann	متخصص في الطباعة الحجرية
8	سيمون Simon	أستاذ الرياضيات بالجزائر
9	دو باي Depeille	مدير المدرستين العربية- الفرنسية
10	غورغيوس Gorguos	أستاذ اللغة العربية بالجزائر
11	لاتور Latour	نحات

ثم قام بيربروجر بقراءة العديد من الرسائل التي طلب أصحابها الانخراط في الجمعية، ليعلن بعد ذلك مباشرة عن تعيين مكتب نهائي يتكون من الأعضاء الآتية أسماؤهم<sup>50</sup>:

الرقم	اسم العضو	مهمته
1	بيربروجر Berbrugger	رئيساً
2	لوبارون دوسلان (Le Baron de Salan)	نائب رئيس أول
3	دونوفو (Le Colonel de Neveu)	نائب رئيس ثاني
4	بريسنيي (M. Bresnier)	كاتباً
5	كلارك (Clerc)	نائب كاتب
6	بيرار (Bérard)	أمين الأرشيف

وفي الجلسة السادسة المنعقدة بتاريخ 6 جوان 1856م حضر أعضاء جدد وهم<sup>51</sup>:

الرقم	اسم العضو	مهمته
1	فيل (MM. Ville)	مهندس رئيس مناجم
2	سوشيه (Suchet)	رئيس الأساقفة
3	ليوجيي (Liogier)	رَسَّام
4	بارات (Barat)	أستاذ الفيزياء في الثانوية الإمبراطورية <sup>52</sup>
5	فاردال (Verdalle)	مساعد قائد الكتيبة الثالثة عشر للقناصلين المشاة
6	الدكتور بيرون (Perron)	عضو مراسل من القاهرة

والجدير بالذكر فإن رئيس الجلسة قام بتلاوة رسائل الأشخاص الذين وافقوا على العمل كمراسلين، وأقرَّ بضرورة إعداد برنامج يتعلق بأعمال الجمعية، وتعليمات خاصة بالمراسلين وعين لجنة للتكفل بهذا العمل، أما الجلسة السابعة المنعقدة بتاريخ 4 جويلية 1856م فقد تمَّ فيها الاتفاق على أن تكون اجتماعات دورية عادية كل أول جمعة من كل شهر، وأعلن عن صدور أول عدد للمجلة سيكون مع بداية شهر أكتوبر المقبل، وتمَّ تعيين الجمعية الدائمة للمجلة التي تتكون من: بيكي (MM. Béquet)، الدكتور بيرهيرون (docteur Bertherand)، بريسنبي، والبارون دو سلان، فيل، كلارك<sup>53</sup>.

هذا وقد قام رئيس الجمعية بيربروجر بتاريخ 1 أوت 1856م بإبلاغ الحاضرين بأنه تسلم رسالة من طرف وزير التعليم العام في تلك الفترة يشكره فيها على تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية. وأبلغهم أيضاً خلال الجلسة التاسعة المنعقدة في 7 نوفمبر 1856م، الحاضرين بصدور أول نسخة للعدد الأول

<sup>51</sup> Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, pp.14-15.

وينظر أيضاً: عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص ص18-19.

<sup>52</sup> يُقصد بالإمبراطورية، المدرسة السلطانية والتي تأسست سنة 1857م، وكانت مفتوحة للجزائريين والأوروبيين على نطاق ضيق، واستمرت تجربتها إلى سنة 1870م، ثم أُلغيت بعد سقوط الإمبراطورية الثانية. ينظر: أبو القاسم، سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرير 1830-1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، ص86.

<sup>53</sup> Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, p.15.

للمجلة الإفريقية، وأضاف بأن كل النسخ ستوزع في غضون الأسبوع المقبل مع الإشارة للمواضيع المقترحة التي سيتم معالجتها، ثم تحول النقاش حول مسألة الشكل الذي ستظهر به المجلة.

وهكذا انطلقت الجمعية التاريخية الجزائرية في عملها، ومثلت المجلة الإفريقية، وقام الباحثون والمختصون في شتى المجالات، بجمع كل ماله علاقة بشمال إفريقيا عموماً، والجزائر على وجه الخصوص وهذا في كافة المجالات<sup>54</sup>. وكانت لهذه المجلة عدة أهداف نلمسها في الكلمة التي ألقاها السيد بيربروجر بمناسبة تأسيسها وهذا ما سنوضحه لاحقاً، كما نوه في الوقت ذاته بالعبارة والاهتمام البالغ من طرف السيد المارشال راندون الذي أكد على ضرورة تأسيس هيئة رسمية تشرف على الدراسات التاريخية والأثرية، وكذا الإعلان عن إنشاء مكتبات في جميع البلديات وزيادة عدد المكتبات العسكرية كي يتمكن الباحثون والمهتمون من الاستفادة<sup>55</sup>.

### ثالثاً: رئاسة تحرير المجلة الإفريقية:

كانت المجلة الإفريقية تسير عن طريق الجمعية التاريخية الجزائرية وقد عرفت المجلة مشاركة العديد من الضباط والمستشرقين الفرنسيين ففي المرحلة الأولى عرفت الجزائر ظهور كتابات عسكرية تهتم بآثوغرافية المجتمع ومعرفة أصوله متمثلة في العادات والتقاليد والأعراف والديانة والاهتمام خاصة بالطرق الصوفية وبالزوايا الدينية لما لها من تأثير على المجتمع باعتبارهم جنس مختلف عن الأجناس الأوروبية المعروفة فنجد منهم: رينيه باصيه، دوسلان، جورج مارسيه، بيربروجر، شارل فيرو.

وقد تولى رئاسة المجلة كل من بيربروجر (1856-1869م)، وشيربونو (1869-1873م)، ولوتورنو (Letourneux)<sup>56</sup> (1873-1876م)، وشارل فيرو (Feraud Charles) (1876-1878م)، ودوغرامون (1878-1892م)، ولويس رين (1892-1893م)،

<sup>54</sup> عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص 20-22.

<sup>55</sup> المرجع نفسه، ص 23-24.

<sup>56</sup> لوتورنو أرسيد هوراس، ولد بران بفرنسا سنة 1820م، تولى عدة مهام منها مستشار لدى محكمة الجزائر العاصمة، ويعرف على أنه باحث وعالم بفقهاء اللغة، وكمستشرق؛ درس العديد من اللغات ومنها العربية التي يتقنها جيداً، ألف العديد من الدراسات التي تخص منطقة القبائل وعاداتها بمشاركة الجنرال هانوتو، ينظر:

- Faucon, op.cit, p.359.

وماسكاريه (Masqueray)<sup>57</sup> (1893 - 1894م)، وأرنو (Arnaud. l) (1894-1900م)، وايل (Wail. V) (1900 - 1904م)، وبايسونت (Paysant. L) (1904-1908م)، وإيفر (Yver. Georges) (1908 - 1926م)، ومما يجب ملاحظته في هذا السياق أنه منذ نهاية القرن 19م تغير رؤساء الجمعية التاريخية الجزائرية ولسان حالها المجلة الإفريقية من الكادر العسكري إلى الكادر الجامعي الأكاديمي<sup>58</sup>.

ولم يكن يعلن عنها كهيئة مستقلة، بل كان الإعلان يتم عن طريق انتخابات أعضاء الجمعية ونتائج تلك الانتخابات يتم من خلالها التحرير في المجلة في شكل مقالات أو استفسارات واحتجاجات، والأشخاص الذين يرسلون مواد إلى المجلة مدعون إلى التصريح بوضوح عما يريدونه من العمل المرسل وهل يجب صدوره مرفوقاً بتوقيع الكاتب أو أن يبقى غفلاً من أي اسم<sup>59</sup>.

#### رابعاً: أهداف المجلة الإفريقية:

تعددت أهداف المجلة بتعدد الجهات والأطراف المشاركة فيها فبنظرة سطحية يتضح لنا جلياً ما

يلي:

#### 1- الأهداف السياسية:

إن من الأهداف السياسية والاستعمارية التي تأسست من أجلها المجلة الإفريقية كان بدافع السيطرة والاحتلال، فقد أدركت فرنسا أنه لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتقييمها واستخلاص النتائج منها، ومن أجل ذلك استعان الفرنسيون أيضاً بالكتاب

<sup>57</sup> إميل ماسكاريه: مستشرق فرنسي عني بالدراسات الاجتماعية لقبائل البربر في الجزائر، ولد في روان (Rouen) شمالي فرنسا في 20 مارس 1843م، وتوفي سنة 1894م إثر نوبة قلبية مفاجئة، تلقى تعليمه الثانوي في روان، ثم انتقل إلى كوليج سانت بارب في الحي الخامس بباريس، ثم تخرج من كلية المعلمين العليا في سنة 1866م، وتحصل على شهادة الأستاذية في التاريخ والجغرافيا، وعين مدرسا في مدينة باستيا بجزيرة كورسيكا سنة 1869م، وبعد قضاء الخدمة العسكرية في المدفعية (1870 - 1871م)، عين في ثانوية الجزائر العاصمة وهنا بدأ دراسته الاجتماعية لبربر القبائل. ينظر: عبد الرحمن، بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993م، ص 549.

<sup>58</sup> حنيفي، هلايلي " بيبليوغرافيا حول الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير (1505م - 1792م) من خلال المدونات الفرنسية: المجلة الإفريقية ونشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران: دراسة بيبليوغرافية"، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ع 169، فبراير 2018م، ص ص 79 - 110.

Berbrugger, " Introduction... ", op.cit, p.2.

الجزائريين، والغرض من كل هذا هو التجسس على المجتمع الجزائري وعلى أوضاعه الداخلية التي تكاد لا تخفى على الفرنسيين في كتاباتهم عن تاريخ الجزائر في المجلة الإفريقية وغيرها، وذلك انطلاقاً من عدّة معطيات أهمها: كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة، وكونهم شعب متحضر حكموا شعباً متخلفاً، بالإضافة إلى كونهم مسيحيون أمسكوا زمام شعب مسلم<sup>60</sup>.

ومن هذه الأهداف السياسية الخفية أيضاً - إن جاز التعبير - أنّ هذه المجلة كانت بمثابة سفارة فرنسية في الجزائر؛ بل ويمكن اعتبارها سفارة لكل دول شمال إفريقيا، وذلك لكي تتمكن فرنسا من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسيين وبذلك تتعرف المجلة على أفكارهم، وتبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده هي. وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير على المجتمع الجزائري؛ كالتفرقة بين الشعب الواحد أو بين الدول العربية بعضها ببعض، أو بين الدول العربية والدول الإسلامية. فقد درسوا بها نفسية كثير من الجزائريين وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية التي تمثل خطورة على مصالحهم الاستعمارية<sup>61</sup>.

وفي هذا الصدد يقول أوغسطين برنارد (Augustin Bernard)<sup>62</sup> عن المجلة الإفريقية: "إنه وبعد أن ملكت فرنسا الجزائر بالسيف والحراث (وهو تعبير استعمله بيجو Bugeaud)<sup>63</sup> يجب أن

<sup>60</sup> أبو القاسم، سعد الله، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، الجزائر، 1973م، ع 14-15، ص 10.

<sup>61</sup> مصطفى، السباعي، الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط 1، دار السلام، مصر، 1998م، ص ص 21-21.

<sup>62</sup> أوغسطين برنار: ولد سنة 1865م، هو مؤرخ، جغرافي، فرنسي. كان عضواً في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية. عين سنة 1894 لتقديم محاضرات في الجغرافيا الإفريقية في المدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة من سنة 1894 إلى غاية سنة 1902م، وبعد مناقشة أطروحته حول أرخبيل كاليدونيا الجديدة سنة 1895م، تفرغ لدراسة تاريخ الجزائر؛ فكان من الأوائل الذين فصلوا الجغرافيا التاريخية عن الجغرافيا. كان من أهم الأعضاء النشطين في لجنة إفريقيا الفرنسية، عمل كسكرتير عام ومستشار تقني للجنة الوزارية للشؤون الإسلامية، وعين سنة 1902م على كرسي الجغرافيا واستعمار إفريقيا الشمالية إلى غاية تقاعده سنة 1935م، توفي سنة 1947م. ينظر:

- Nécrologie, Augustin Bernard (1865-1947), In: R.A, N° 92, 1948, O.P.U, Place central Ben-Aknoun Alger, pp.217-219.

<sup>63</sup> بيجو: توماس روبرت بيجو دولايكونيري (Thomas Robert Bugeaud)، معروف بالدوق ديزلي، ولد في 15 أكتوبر 1784 من عائلة أرستقراطية تقيم في ليموج بفرنسا، و مات بفرنسا بالكوليرا سنة 1849م، رقي إلى رتبة مارينشال فرنسا في 31 جويلية 1843م، حارب قبل مجيئه للجزائر في اسبانيا، واشتهر هناك بالعنف، تولى الحكم بالجزائر في 29 ديسمبر 1840م إلى 29 جوان 1847 سلك خلال حكمه سياسة القهر و العنف و الإبادة والتدمير، اشتهر بسياسة الأرض المحروقة، بعد أن وضعت فرنسا تحت تصرفه ثلث الجيش الإمبراطوري نظراً لخبرته التي تلقاها في الحرب الإسبانية. ينظر: سكوت، الكولونيل، مذكرات عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، تر: إسماعيل، العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 48. وينظر أيضاً: الغالي، غربي، المرجع السابق، ص 328.

يأتي الامتلاك الآخر، الامتلاك بالقلم والكلمة وهو دور ماسكاريه ودور المجلة الإفريقية، والدور الذي لا يمكن أن ننسحب منه دون أن نكون قد تخلينا عن واجبنا"، وهكذا يستعملون جميع الوسائل المتاحة لهم للقضاء على هذا الفرد المسلم<sup>64</sup>.

كما أن من بين الأهداف السياسية لهذه المجلة، العمل على إفراغ التاريخ الجزائري من محتواه الحقيقي، وحشوه بمحتوى غريب عنه، وعمد أصحابها أيضاً إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك، وكيان واضح المعالم، فالجزائر في نظرهم ما هي إلا عبارة عن رقعة جغرافية تعاقب على حُكمها وتسيير شؤونها سلسلة طويلة من الحكام الأجانب<sup>65</sup>.

ولعل هذا ما دفع بالكاتب الفرنسي ديس باغمي (des Parmet) إلى قول ما يلي: "إن هذه الشعوب التي نراها أمانا (الشعب الجزائري)، لم تكن في يوم من الأيام أمة ولم يكن في مقدورها تسيير حكمها بنفسها، وفرض النظام والأمن، فلم تكن تعرف كيف تستخرج ثرواتها التي وهبتها لها الطبيعة، ولم تكن تعرف كيف تطور شعوبها نحو التقدم، وفي كلمة واحدة كان من الواجب على الشعوب الغربية المتحضرة أن تأخذ بيد هذه الشعوب المتخلفة البربرية لكي تعلمها الحضارة".

وهكذا سعت المجلة إلى إضمار التاريخ المحلي وعدم إبرازه وخاصة ما تعلق منه بالتاريخ الإسلامي والذي يظهر فيه الانتماء العربي الإسلامي، فهذا ما جعل أعداد المجلة لا تشير إلى الحضارة الإسلامية المنتشرة في الجزائر، بل عمدت إلى تشويهها واعتبار الفتوحات الإسلامية استعماراً مباشراً ورغبة في توسيع الرقعة الجغرافية والقضاء على العنصر المحلي، ومن الكُتّاب من أورد أن هذه الفترة مظلمة ولم يُؤرخ عنها لاعتبارها فترة من فترات العصور الوسطى المظلمة<sup>66</sup>.

والدارس لهذه المجلة يلاحظ أنها ركزت كثيراً على الفترات السابقة لفترة دخول الإسلام إلى الجزائر، وخاصة في العهد الروماني، وهذا حتى يُرسخوا في أذهان الجزائريين بأنهم قبل أن يصبحوا مسلمين كانوا

Augustin, Bernard, " Emile Masqueray", in: R. A, N°38, 1894, pp.350- 371. <sup>64</sup>

إبراهيم، لونيبي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، (د،ت)، ص 160. <sup>65</sup>

إسماعيل، سامعي، " جهود الاستعمار في تأصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستلاب الثقافي"، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، سبتمبر 2005م، ع10، ص 95. <sup>66</sup>

مسيحيين، ومن أجل هذا يجب عليهم الرجوع من جديد إلى حظيرة النصرانية ونبذ الإسلام، وفي هذا السياق يقول كافينيك (Cavaignac)<sup>67</sup> (1802-1857م) الذي كان حاكماً عاماً للجزائر خلال الفترة ما بين فيفري- أفريل 1848م قائلاً: "بما أن روما قد حكمت هنا فما علينا إلا أن نواصل عملنا"، وهذا كله نابع من رغبة الفرنسيين في إقناع الجزائريين بأنهم الوريث المباشر للإمبراطورية الرومانية<sup>68</sup>.

## 2- الأهداف الدينية:

لم يكن الهدف السياسي هو الهدف الوحيد لإصدار المجلة الإفريقية، بل كانت هناك أيضاً أهداف دينية تمثلت أساساً في التبشير المسيحي الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية، وهم قبل كل شيء عسكريين ورجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين ووسيلتهم في ذلك المجلة الإفريقية، وذلك لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي الحضاري، وكل ما يتصل بالإسلام من علم أو أدب أو تراث<sup>69</sup>.

لقد وقف الأمير دوقيدون (Doughedoun)<sup>70</sup> منذ تعيينه على رأس الإدارة المدنية بالجزائر يدافع عن الدين المسيحي، ولهذا نجد أن الحركة التبشيرية قد عرفت تطوراً كبيراً في الفترة التي كانت تصدر فيها المجلة الإفريقية، وفي هذا السياق يقول دوقيدون: "قضيت حياتي وأنا أساند الحركة التبشيرية في كل جهات العالم، فكيف تسمح لي نفسي في أن أقف ضدها في أرض فرنسا- الجزائر؟"<sup>71</sup>.

<sup>67</sup> كافينيك: لويس بوجين (1802-1857م): المعروف باسم الجنرال كافينيك، ولد في 15 أكتوبر 1802م في باريس، وتوفي في 28 أكتوبر 1857م في قصره دورن في فال. وهو جنرال ورجل دولة فرنسي. بعد نشوب الثورة الفرنسية في فيفري 1848م عين حاكماً عاماً على الجزائر، ثم وزير للحربية ورئيس مجلس الوزراء المكلف بالسلطة التنفيذية عام 1848م، استخدم سلطته الديكتاتورية لسحق ثورة الطبقة العاملة بقسوة ووحشية. هزم لويس نابليون بونابرت المرشح للانتخابات الرئاسية لعام 1848.

<sup>68</sup> إبراهيم، لونيبي، المرجع السابق، ص 160-161.

<sup>69</sup> مصطفى، السباعي، المرجع السابق، ص 19.

<sup>70</sup> دوقيدون: عين حاكماً عاماً على الجزائر في 25 مارس 1871م، كان من حكام النظام المدني الذي شهدته الجزائر بعد انقراض نابليون الثالث أمام ألمانيا، والذين أطلقوا يد المستوطنين في تسيير أمور الجزائر. عمل على استتباب الأمن والاستقرار في الجزائر لفائدة المعمرين، كان من مشجعي المهجرات الفرنسية نحو الجزائر حتى لقبه لافيغري أبو الإستيطان. كما شجع أيضاً حركة التنصير في الجزائر وأصدر العديد من القوانين التعسفية تجاه الجزائريين.

<sup>71</sup> خديجة، بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، الجزائر، 1977م، ص 153.

وقد كانت الجالية الأوروبية تعتقد أن الدين هو العائق الوحيد بينها وبين المسلمين مادام الجهل والبربرية يسودان هذه الشعوب، وقد بلغ الصراع أشده بين الفريقين خصوصاً في كل ما يسمى بالمعطيات الأخلاقية والدينية<sup>72</sup>.

فقد نجح الفرنسيون في تحريك وتغذية مشاعر الكثير في التجزئة القومية والإقليمية، وحتى الدينية للوقوف في وجه الإسلام، وإحكام سيطرتهم على الشعب الجزائري المسلم، وهكذا قُطعت الجزائر والعالم الإسلامي إلى أجزاء مختلفة تفصل بينها حواجز سياسية متنافرة وهذا كان من بين أحدى أبرز أهداف الفرنسيين والمجلة الإفريقية<sup>73</sup>، هذا فضلاً عن التشكيك في قدرة اللغة العربية على مساندة التطور العلمي لتظل عالية وعبي على مصطلحاتهم، وكذا تشكيك المجتمع الجزائري في قيمة تراثه الحضاري، ويدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان<sup>74</sup>، وإضعاف ثقة الجزائريين بتراثهم، وبث روح الشك في عقيدتهم وتاريخهم ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضارية، ولأجل ذلك قام الفرنسيون بتأليف الكتب في موضوعات مختلفة وإصدار المجلات، وإلقاء المحاضرات<sup>75</sup>.

قام الفرنسيون من خلال هذه المجلة بهجوم ثقافي وديني يهدف إلى التأثير على نفسيات وعقول المجتمع الجزائري المسلم مما يُهيئها إلى توجيهه وجهة مخالفة لأهدافها ومصالحها وهذا ما كانت المجلة الإفريقية تسعى دائماً إلى تحقيقه، وإذا كان الاستعمار عملياته بالشعوب مفاجئة وسريعة فإن عملياته بالجانب الديني تكون هادئة تعتمد على التدرج والتهيؤ ووسيلته في ذلك إبراز السلبيات الثقافية والدينية، وإيهام القارئ بأن التراث الإسلامي ما هو إلا تلك الخرافة الشعبية<sup>76</sup>، ولا ننسى تأثير الكاتب الفرنسي شاتوبريان على المجتمع الفرنسي عندما نشر كتابه: "عبقرية المسيحية ( Le génie du Christianisme )"، حيث قال: " لا أرى حلاً للمستقبل إلا في المسيحية، وفي المذهب

<sup>72</sup> عبد الجليل، التميمي، "التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م"، المجلة التاريخية والعربية، مطبعة الإتحاد العام التونسي المستقل، جانفي 1974م، ع1، ص 25.

<sup>73</sup> محمد إبراهيم، الفيومي، الإستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، مصر، 1993م، ص 109.

<sup>74</sup> تحتوي المجلة الإفريقية على العديد من المقالات حول الآثار الرومانية وخاصة في مقالات بربورج حيث نجد أنه اهتم بالآثار الرومانية بدل الإسلامية، ينظر: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج6، ص 45.

<sup>75</sup> مصطفى، السباعي، المرجع السابق، ص ص 27-28.

<sup>76</sup> محمد إبراهيم، الفيومي، المرجع السابق، ص 109.

الكاثوليكي". ونتيجة لذلك ظهرت عدّة جمعيات ومجلات للدفاع عن الدين بما تسنى لها من نشر وتوزيع للكُتب المسيحية<sup>77</sup>.

همشت المجلة كل ما هو إسلامي في الجزائر وبقية المناطق العربية والإسلامية رغبة في محو أي أثر للدين الإسلامي بالمنطقة وربطه بالديانة المسيحية والحركة الدوناتيّة<sup>78</sup> التي ظهرت ببلاد المغرب وربط وجود العثمانيين بالجزائر والعالم الإسلامي بالجهل والفوضى، بل أن تاريخ المسلمين عامة والجزائريين خاصة قد وقع في قبضة المفك الاستعماري، فراح جزء من دارسي المجلة ينددون بما قام به المسلمون اتجاه المسيحيين من سبي وسجن خلال الفترة التي عقت سقوط بعض الإمارات الأندلسية على يد المسيحيين وفي المقابل إظهار صورة الفرنسيين والمدنية الأوروبية على أنهما يشكلان الخلاص للجزائريين والمسلمين عامة<sup>79</sup>.

وعليه فإننا لسنا بمبالغين إذا اعتبرنا أن الهدف الأول الذي تأسست من أجله هذه المجلة كان لخدمة الاستعمار، وقد غلب على كتاباتهم الطعن في الإسلام، والحضارة الإسلامية كما سبق وأسلمنا. وما يؤكد قولنا هو وصف أحد المستشرقين للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "... أعلن نفسه هذا الرجل - ويقصد به الرسول صلى الله عليه وسلم - مختار من عند الله تعالى أعطاه القدرات، ومهمته نشر الدين..."<sup>80</sup>.

### 3- الأهداف العلمية والثقافية:

بدأ الاهتمام بالجزائر من الناحية العلمية بداية من مارس 1839م عندما قدم وزير التجارة إلى أكاديمية الكتابات والأدب (Académie des Inscriptions et des Belles Lettres)، في الوقت الذي أصبح فيه ضباط الاستعمار مكتشفين علميين يكتبون في المجالات المختلفة لماضي

<sup>77</sup> عبد الجليل، التميمي، التفكير الديني...، المرجع السابق، ص 13.

<sup>78</sup> الحركة الدوناتيّة: حركة دينية مسيحية ظهرت في مقاطعة أفريكا الرومانية وازدهرت في القرنين الرابع والخامس. ودعي المذهب باسم المذهب الدوناتي، نسبة إلى صاحبه دونات الكبير. انتشرت الحركة بين المسيحيين الأمازيغ في الجزائر والمغرب وتونس الحاليّة. حظيت الحركة بقوة في عهد القديس أوغسطين في نهاية القرن الرابع، واختفت بعد الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع والثامن.

<sup>79</sup> محمد، صاحبي، المجلة الإفريقية...، المرجع السابق، ص 08.

<sup>80</sup> Garrot, (Henri), Histoire Général de L'Algérie, Alger, Imprimerie Crescendo Voute Bastion Nord, 1910, p.111.

الجزائر<sup>81</sup>، ومن أجل ذلك توافد إلى الجزائر عدد مُعتبر من الرحالة الأوروبيين بهدف البحث والاستكشاف، وتنمية قدراتهم العلمية، فقد اهتموا بدراسة الطبيعة والجغرافيا، ومجموعة من الحيوانات، وحتى الآثار الرومانية، وهذا ما انعكسه مواضيع المجلة الإفريقية، كما اهتموا بالأمراض التي كانت متفشية في تلك الفترة في الجزائر، وكانت هذه الرحلات العلمية تُنمو وتُمول من طرف جمعيات علمية تقوم بطباعة أعمالهم، ونشرها ضمن نشاطها العلمي<sup>82</sup>. فقد تناولت أعمالهم دراسات حول العادات والتقاليد لمختلف الأعراق: كالأتراك العثمانيين، والعرب، القبائل، والمزابيين، ووصف مختلف أوجه الحياة اليومية وبالتالي معرفة تاريخ وماضي وثقافة المنطقة<sup>83</sup> بهدف السيطرة والاحتلال، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بجمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتقييمها واستخلاص النتائج منها<sup>84</sup>.

سعت المجلة من خلال إنتاجها الغزير وتنوع مجالات الكتابة بتنوع المقالات والكتّاب فيها<sup>85</sup>، إلا أن هذا غير أن هذا لم يخلو من بروز الذاتية في ذلك، حيث عملت الكتابات الفرنسية على تجريد المجتمع الجزائري من هويته ومحو تاريخه المجيد وربطه بالتاريخ الأوروبي وذلك ما يظهر بوضوح في مختلف المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية والتي تبرز الآثار والنقوش الرومانية رغبة في التعريف بالتاريخ الحضاري للجزائر باعتبارها أرض فرنسية<sup>86</sup>، فاهتمت بما يخدم مصالحها ويضمّر التاريخ المحلي لتثبيت وترسيخ فكرة أن لا وجود لشعب في هذه المنطقة ولا وجود لأرض اسمها الجزائر، فهي ممتدة من التاريخ الحضاري العميق

<sup>81</sup> بومزو، عز الدين، الضباط الفرنسيين الإداريون في إقليم الشرق الجزائري: أرستت مرسية نموذجاً، جامعة قسنطينة، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2007-2008م، ص 28-29.

<sup>82</sup> حميد، آيت حبوش، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر الأوروبية 1519م-1830م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2008-2009م.

<sup>83</sup> Berbrugger, introduction..., op.cit, p.9.

<sup>84</sup> كانت الكتابات قائمة في معظمها على الترجمة من الوثائق الأهلية، وتوظيفها لصالح الإدارة، بالإضافة إلى استعمال الرواية الشفوية واللجوء إلى الأعيان وشيوخ العلم للأخذ عنهم أنساب الأعراف والقبائل وأسماء العائلات وسير الأبطال والغزوات، ينظر: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق، ج6، ص 77-78.

<sup>85</sup> Masse, (H), Les études arabes an Algérie (1830- 1930), in: R.A, N° 74, 1933, pp.208-258; et pp.459- 505.

<sup>86</sup> عبد القدر، نايلي، المرجع السابق، ص 23-24.

لليونان والرومان الذين يُعدون أصول الشعب الفرنسي. وعليه فمن الواجب على الباحثين والمؤرخين الجزائريين غزلة الكتابات الفرنسية وتمحيصها والتدقيق في محتوياتها وذلك بمقارنتها بالمؤلفات المحلية<sup>87</sup>.

عملت الكتابات الفرنسية في معظمها على طمس هوية المجتمع الجزائري واقتلاع تاريخه المجيد بربطه بالتاريخ الأوروبي ويظهر هذا جلياً في مختلف المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية، والتي تبرز الآثار والنقوش الرومانية بمختلف القطر الجزائري والتباهي بها<sup>88</sup>، رغبة في التعريف بالتاريخ الحضاري للجزائر باعتبارها أرض فرنسية فمن الواجب إعادة كتابة تاريخها وتقديمه للسكان الفرنسيين (المعمرين)<sup>89</sup>.

لقد كتبوا في التاريخ والدين كالنقيب بواسوني، والنقيب دونوفو، وكذلك في الطبوغرافيا<sup>90</sup> والإحصائيات وفي الآثار وفي التعليم الأهلي<sup>91</sup>، وقد ترك هؤلاء الضباط ورائهم أرشيفاً ضخماً ومفيداً بحيث يمكن لأي باحث أن يجد معلومات حول مختلف ميادين البحث<sup>92</sup>. ومن هؤلاء الضباط الذين ينطبق عليهم هذا القول نجد بيليسي في عمله حول الشرق الجزائري، ونفس الشيء يقال بالنسبة لشارل فيرو، وريين اللذين تناولوا أهم القبائل في الشرق الجزائري. كما لا ننسى مساهمة المترجمين العسكريين التي كانت هي الأخرى ذات قيمة كبيرة أمثال دوسلان، وليون روش (Roch)<sup>93</sup>، شارل فيرو، دي

<sup>87</sup> جيبيك، زروق، المرجع السابق، ص ص 140 - 141.

<sup>88</sup> نجد العديد من المقالات والمؤلفين المهتمين بالمجال الأثري، والتي أخذت النصيب الأكبر من الكتابات؛ فقد وصلت إلى 378 مقال تدور في معظمها حول النقوش التي وجدت في الجزائر، فأنشأت لذلك مجلة خاصة تهتم بالنقوش الرومانية والحضارات الغربية التي مرت على الجزائر، كانت تصدر عن الجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينة ( La Société archéologique de département de Constantine)، والتي تأسست في ديسمبر 1852م، وقد نشرت المجلة 100 مجلد في ظرف 104 سنة، للإطلاع أكثر على الموضوع: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص ص 91 - 94.

<sup>89</sup> Berbrugger, " Société Historique..., op.cit, p.7.

<sup>90</sup> الطبوغرافيا أو سمات سطح الأرض أو علم التضاريس، هو تمثيل دقيق لسطح الأرض بعناصره الطبيعية والبشرية (أي مهتم بتضاريس سطح الأرض).

<sup>91</sup> عز الدين، بومزو، المرجع السابق، ص 28.

<sup>92</sup> Letourneau, (R), " L'Algérie de Pusi 1830", in: R.A, N°100, Alger, 1956, pp.144-190.

<sup>93</sup> ليون روش: ولد في 27 سبتمبر 1809م بغرنوبل بفرنسا، وتوفي بذات المدينة في 2 جوان 1901م. كان محبا للمغامرة، كلف بمهام تجارية، وكان ولده ألفونسو روش، ملحق بخدمات العتاد العسكري في الجزائر. إستدعي ولده للجزائر 1832م، تعلم بها اللغة العربية بمساعدة أرملة وكيل الخرج "نقيسة" على يد معلم يدعى عبد الرزاق بن سبيط، وعمل روش كمترجم محلف بحضور اللجنة الإفريقية. دخل المدينة كضابط في فرقة الحرس الوطني. ينظر:

- Léon, Roches, Trente- deux ans à Travers l'islam (1834-1844), Paris, Librairie académique Didier Perrin et C<sup>ie</sup>, libraire, D'éditeurs, 1904, pp.1- 5.

موتيلنسكي (de Motylinski)<sup>94</sup>، وقد كان كل واحد منهم يشغل اختصاصاً أو عدة اختصاصات كعلم المياه (La Hydrologie)، الآثار (L'archéologie)، علم اللغات (La Linguistique)، العادات والتقاليد، الأساطير، والطرق الدينية<sup>95</sup>.

هذا فضلاً عن الرغبة في التعرف على شعب وقع في قبضة الحضارة الأوروبية، وكانت هذه الحضارة تحمل معها إلى الجزائر كل أدوات الغزو الفكري، فقد جاءت بالمطبعة والصحيفة وبالمفكرين الذين يدعون معرفة الجزائر وتاريخها<sup>96</sup>.

ومن الأهداف العلمية لهذه المجلة أيضاً التركيز على الآثار، والمنقوشات لاسيما الرومانية، من أجل ربط منطقة شمال إفريقيا والجزائر خصوصاً بأوروبا اللاتينية، وقد ساهمت العديد من هذه الدراسات، والبحوث في وضع برنامج تدريس أبناء المعمرين، والقلة المحظوظة من أبناء الجزائريين، والتركيز بالدراسة النقدية الجارحة على كل ما هو إسلامي، وإظهار صورة الفرنسي والمدنية الأوروبية على أنهما يشكلان الخلاص للجزائريين والمسلمين عامة، والتشجيع على استخدام اللهجة العامية الجزائرية في الكتابات الأدبية، كما جاء بعضها في المجلة الإفريقية<sup>97</sup>.

ومن الادعاءات الزائفة لتبرير وجود هذه المجلة إدعاؤهم بأن للرجل الأبيض يحمل رسالة عليه أن يؤديها للشعوب المتخلفة، وتمسك بهذا القول الكثيرون من رجال السياسة والفكر، ويعبر عن هذا الرأي الكاتب وياث (Wayath) في كتابه (Ethics of Empire) بقوله: "وليس لغيرنا وهو أن نحمل مشعل النور، والحضارة إلى داخل الأماكن المظلمة في العالم، وأن نلمس عقول أبناء آسيا وإفريقيا بالقيم الأخلاقية النابعة من أوروبا". وبأنها ستوظف كل الوسائل المتاحة لها لضمان حماية الآثار التاريخية النابتة

<sup>94</sup> أدولف موتيلنسكي دي كالاسانتي (Adolphe de Calassanti Motylinski)، ولد بمعسكر في 15 فيفري 1854م، وتوفي في 2 مارس 1907م بقسنطينة، مستشرق فرنسي، وبعد الانتهاء من دراسته، واصل حياته المهنية كمترجم عسكري وتم إرساله إلى منطقة مزاب حيث درس الثقافة البربرية والإباضية. قابل الأب شارل دي فوكولد سنة 1905م وساعده في ترجمة وفهم لغة الطوارق وبعد إقامة قصيرة مع شارل عاد إلى قسنطينة حيث مرض وتوفي بعد ذلك بوقت قصير عام 1907م. قام الأب شارل بنشر جميع أعماله تحت اسم موتيلنسكي، الذي سيكون المؤلف الرسمي الوحيد للقاموس الفرنسي حول الطوارق بعد وفاته.

<sup>95</sup> عز الدين، بومزو، المرجع السابق، ص 28-29.

<sup>96</sup> أبو القاسم، سعد الله، منهج الفرنسيين...، المرجع السابق، ص 9.

<sup>97</sup> محمد، صاحبي، المجلة الإفريقية...، المرجع السابق، ص 110.

على الأرض وستحافظ قدر الإمكان على ما تبقى منها من الضياع وتُحسّن استغلالها وإنقاذها من نهب الخواص الذين يعملون على جمعها في أماكن لا تنفيذ العالم<sup>98</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن صدور هذه المجلة كان بهدف حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها<sup>99</sup>، وهذا ما أكدته رئيس تحرير هذه المجلة بيربروجر<sup>100</sup> في مقدمة المجلد الأول بقوله: "إنَّ المجلة الإفريقية بإعلانها مقعد بين الصحافة الجزائرية ستهتم بنشر الأعمال الهامة، والأشياء الإيجابية ذات الطابع الصحيح". ويقول في موضع آخر معلقاً على هذه المجلة: "إنَّ هذه المجلة قد لقيت صدى، وقبول كبيرين من قبل المثقفين في شمال إفريقيا وأوروبا"<sup>101</sup>.

وفي الأخير يمكن القول أن المجلة ستنتشر كل ما يمكن أن يلقي ضوءاً جديداً على التاريخ المحلي في مختلف عصوره، وبكلمة وجيزة ستجتهد هذه المجلة في جمع أو على الأقل لفت النظر لكل ما يُقال، ويكتب من أشياء هامة عن هذا البلد، وهكذا يحدد بيربروجر رسالة وأهداف هذه المجلة مؤكداً أنه لا ينشر التوافه أو أن ما يُكتب من محض الخيال، ولذلك فإن جزءاً كبيراً من المعرفة التي نملكها اليوم حول تاريخ الجزائر كانت بفضل هؤلاء الضباط العسكريين، رغم أن هذه المعارف هي وسيلة لتنفيذ إستراتيجية استعمارية وتحقيق ما يسمى بالاستعمار الفكري، إذ يُعتبر المجهود الفكري مرحلة من مراحل الاستعمار والذي بدأ بالاحتلال ثم الاستعمار الاستيطاني ثم الكتابة، فيديولوجية<sup>102</sup> الإرث الروماني تتماشى والغزو الفرنسي للجزائر على الصعيد العسكري والعلمي والثقافي، إذن هذه هي الأسس والأهداف التي انطلقت منها المجلة الإفريقية<sup>103</sup>.

Berbrugger, " Société Historique...", op.cit, p.13.

98

99 مصطفى، السباعي، المرجع السابق، ص22.

100 للإطلاع أكثر حول أهداف هذه المجلة راجع مقدمة المجلد الأول:

- Berbrugger, " Introduction ...", op.cit, pp.1-11.

Berbrugger, " Revue Africaine à La Presse ", in: R.A, N°2, 1857, p.161.

101

102 الإيديولوجية: مجموع الأحكام المسبقة والآراء المبدئية والنظرة المتحيزة لبلد أو حضارة أو تاريخ أو مجتمع ما، وتوجيه الأبحاث في اتجاه تأكيد الآراء والأحكام المسبقة هاته. للإطلاع أكثر ينظر:

- جمال، قنان، مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية، السنة 1408هـ/ 1988م، 1991م، ع5، ص 130.

103 عز الدين، بومزو، المرجع السابق، ص 28.

وهذا ما يؤكد قول أوغسطين برنارد: " أنه بعد أن ملكت فرنسا الجزائر بالسيف والمحراث يجب أن يأتي الامتلاك الآخر؛ الامتلاك بالقلم والكلمة، وهو دور ماسكاريه ودور المجلة الإفريقية والدور الذي لا يمكن أن نسحب منه دون أن نكون قد تخلينا على واجباتنا"<sup>104</sup>.

عملت المجلة على جمع الإرث الحضاري وحاولت الحفاظ عليه من التلف والضياع، عن طريق إنشاء متحف لجمع النقوش الأثرية، ومكتبة لجمع مختلف المؤلفات والمخطوطات التي كانت موجودة بمختلف الزوايا والكتاتيب التي كان يتم الاستيلاء عليها من خلال الحملات العسكرية على المناطق والمدن التي تقع في يد الاستعمار الفرنسي<sup>105</sup>.

إن المساهمة الفرنسية في كتابة تاريخ الجزائر حقيقة هي مساهمة غزيرة ومتنوعة، إلا أن دراسة هذا التاريخ من جهة واحدة وحصره في زاوية ضيقة بالاعتماد على المصادر الغربية وإهمال الكتابات المحلية والتي تظهر الوجه الحقيقي لهذه الأمة، يجعل منه تاريخ يعتمد في تأليفه على الذاتية الجارحة والتزيف والتضليل ما يجعل منها كتابات ذات توجه استعماري تفتقد لروح البحث العلمي الموضوعي. وفي هذا الصدد يرى المؤرخ "يحي بوعزيز" أنه على الباحثين والمؤرخين الجزائريين غربلة الكتابات الفرنسية وتمحيصها والتدقيق في محتوياتها بمقارنتها بالمؤلفات المحلية، مع عدم الاعتماد عليها كلية، ولكن في نفس الوقت لا يمكن الاستغناء عنها<sup>106</sup>.

وما يتضح لنا هو اختلاف موقف المؤرخين حسب انتمائهم السياسي أو العلمي، فبينما نجد نزعة تتميز بمحاولة تشويه تاريخ الجزائر جلية وواضحة عند ضباط الجيش الفرنسي والدبلوماسيين الذين انكبوا على دراسة التاريخ والذين ييثون أصداء النظريات السياسية والحملات العسكرية<sup>107</sup>، نلاحظ من جانب آخر أن المؤرخين الجامعيين المتخصصين التزموا بالمنهجية العلمية، ولكنهم لم يكونوا بمنأى من التأثير بنظريات المؤرخين الاستعماريين الذين استغلوا فرصة قلة المعلومات لاسيما في الفترات القديمة، فسمحوا

Augustin, Bernard, op.cit, p.350.

104

Laloe, (F), op.cit, p.103.

105

106 يحي، بوعزيز، ثورات الجزائر...، المرجع السابق، ص 7.

107 محمد صالح، دميري، الفرنكوفونية الأدبية والسياسة الاستعمارية في الجزائر (1830-1962م) صورة الجزائر في الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية، تر: حسن بن المهدي، مجلة الثقافة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1988-1989م، ع 101، ص 44.

لأنفسهم بإصدار أحكام مسبقة مبنية على أدلة وحجج واهية موجهة كلها لتمجيد الحضارة اليونانية والرومانية والخط من قيمة الإسلام والمسلمين، بالرغم من أنهم اعتمدوا على مصادر عربية، لكنهم كثيرا ما شككوا فيها وأهموها بالتجريد والمبالغة<sup>108</sup>.

كما لم تستثن المجلة في أعدادها المختلفة الاهتمام بالجانب العلمي للجزائر كما أسلف وذكرنا وما برز على أيدي علماء ومتصوفة أبناء المنطقة من خلال كتاباتهم المختلفة التي دونت في شكل مخطوطات محفوظة لدى العائلات أو في الزوايا والكتاتيب<sup>109</sup>، ومن ذلك ما قام به دو سلان سنة 1857م من دراسة وترجمة لكتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب" للبكري (أبو عبيدة عبد الله ابن عبد العزيز المتوفي سنة 487هـ)، حيث قام المترجم بعنونة الكتاب كالتالي: "Septentrionale L'Afrique De Description"، وقد اعتمد في عمله على نسخة واحدة من المخطوط<sup>110</sup>.

والملاحظ أن المجلة قد تناولت تحقيق المخطوطات في العديد من المجالات الدينية والسياسية، الاجتماعية والثقافية، إلا أن معظم الدراسات الإستشراقية الفرنسية تناولتها بصيغة استعمارية لخدمة مصالح فرنسا وطمس الهوية المحلية<sup>111</sup>.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن الجمعية التاريخية الجزائرية ومجلتها- المجلة الإفريقية- قد احتفلت بمرور مائة سنة على ميلادها وقدم عدد من المؤرخين الجامعيين والباحثين دراسات هامة عن تقدم الكتابة التاريخية خلال سنوات (1930-1956م)، ونذكر من بين هذه الدراسات ما كتبه "باكونو Bakouno" والذي قيم من خلاله ما كُتب منذ الاحتلال وما وصلت إليه الكتابة التاريخية الفرنسية في الجزائر، والواقع أن المؤرخين الفرنسيين في الجزائر قد درسوا تاريخ الحملة والاحتلال والاستعمار ولكنهم لم يدرسوا تطور المجتمع الجزائري ولا سياسة بلادهم نحو الجزائريين<sup>112</sup>.

<sup>108</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج6، ص 27.

<sup>109</sup> المرجع نفسه، ص 143.

<sup>110</sup> جيجيك، زروق، المرجع السابق، ص 149.

<sup>111</sup> محمد، صاحي، الجمعية التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 44.

<sup>112</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج6، ص 27-28.

وعموما فإن نظرة الغربيين نحو سكان شمال إفريقيا هي نظرة تعالي وقسوة وسوء فهم، وجعلهم شعب لا يرقى إلى مستوى الشعوب الأخرى عن طريق تحقيرهم وتحريف تاريخهم وإقناع العالم بوجهة نظرهم<sup>113</sup>.

### خامساً- أبرز كُتّاب المجلة الإفريقية:

إذا نظرنا إلى المجلة الإفريقية وجدنا نخبة من المستشرقين من مدنيين وعسكريين من الذين اهتموا بكتابة تاريخ الجزائر، وعلى وجه الخصوص المستشرقين الفرنسيين. ومن بين أهم هؤلاء الكتاب نذكر:

#### 1- فونتور دو بارادي (Venture de Paradis):

اسمه الكامل جون ميشال فونتور دي بارادي ( Djour Metchel Venture de Paradis)، ولد في 08 ماي 1739م بفرنسا أبوه فرنسي الأصل، أمّا أمه فيونانية المنشأ، وقد كان أبوه يعمل كمتّرجم في قنصليات فرنسا بالشرق، فقد تعلم اللغة التركية والعربية في معهد اللغات بباريس، وقد مارس عدة وظائف عبر مختلف المدن العثمانية<sup>114</sup>. وفي سنة 1770م عُيّن مُساعداً لرئيس المترجمين الفرنسيين بمصر فتعرف بعلي بك الكبير<sup>115</sup>، وتوطّدت العلاقة بينهما ثم أُرسل ممثلاً لفرنسا لدى بلاط المغرب الأقصى، وعُيّن بعدها رئيساً لديوان الترجمة بتونس، وأخيراً صدر أمر من الملك لويس السادس عشر<sup>116</sup> برفعه إلى منصب مترجم اللغات الشرقية في وزارة الخارجية. وبين سنتي 1788-1790م

<sup>113</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج3، ص 161.

<sup>114</sup> De Paradis, (Venture), Tunis et Alger au XVIII<sup>e</sup> Siècle, paris, Sindbad, 1983, pp.9-10.

<sup>115</sup> ولد سنة 1728م في قرية أماسيا في الأناضول، والده قسيس رومي، خطف في الثالثة عشر من عمره وبيع في القاهرة باسم يوسف، تزوج مسيحية أسلمت على يديه، وسمي بالكبير بعد أن اتسعت فتوحاته، خارج مصر و هو لقب أطلقه الأوربيون عليه، أما المصريين فلقبوه "بالجن علي" وسماه العثمانيون "علي بك بلوت قبان" واسمه الرسمي "ميرا للوا علي بك". للمزيد ينظر: رأفت، غنيمي الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2005م، ص 85-98.

- عبد الرحمن، الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط1، تح وش، حسن محمد جوهر وعمر الدوسقي، ج7، لجنة البيان العربي بمصر، 1967م، ص 97-100.

<sup>116</sup> لويس السادس عشر (1754-1793م): حفيد لويس الخامس عشر، وقد تولى العرش سنة 1774م. حكم فرنسا عند بداية الثورة الفرنسية سنة 1789م، وأعدم بتهمة الخيانة سنة 1793م.

أتت به السلطات الفرنسية إلى الجزائر لتسوية الخلاف الذي نشب بين الجزائر وفرنسا، فأقام سنتين بالعاصمة ودرس خلالها نظامها وترتيبها<sup>117</sup>.

شارك فونتور دو بارادي في حملة نابليون بونابرت على مصر 1798-1799م وجعله مستشاره في علاقاته مع سكان البلد، وكان له الفضل في ضم الكثير من القبائل العربية حول بونابرت، وبقي مساعداً له حتى أصيب بمرض خطير في أثناء انسحاب فرق الجيش التي كانت تحاول الانضمام لحامياتها في القاهرة، وكان ذلك قبل 15 ماي 1799م، وقد علق بونابرت على موته قائلاً: "لقد مات فونتور إنها لخسارة كبيرة لنا"، ويعتبر فونتور أحد كبار مستشرفي القرن 18م، نادى بضرورة تشجيع اللغات الشرقية في فرنسا.

أما عن أعماله فقد ترك فونتور عدة مؤلفات بعضها مطبوع، والبعض الآخر منها لازال مخطوطاً بالمكتبة الوطنية بباريس، ومن بين مؤلفاته ترجمة الكثير من الكتب العربية النادرة، ومن أهم ما ترجمه كتاب: "تاريخ الخلفاء والمماليك بمصر" للشيخ يوسف المقدسي، و"الموجز الجغرافي والتاريخي لدولة المماليك" لابن شاهين الزيري، ومن أهم مؤلفات فونتور كتاب تحت عنوان: "تونس والجزائر في القرن 18م" (Tunis et Alger au XVIIIe Siècle) وهو عبارة عن تقارير تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والاجتماعية في الإيالتين تونس والجزائر<sup>118</sup>.

وبالمقابل فإن أعمال فونتور بالنسبة لتاريخ الجزائر العثمانية هي ذات قيمة عالية، وقد نُشرت في المجلة الإفريقية، وقدّم عملاً بعنوان: "Notes Sur Alger"، كما ألف قاموساً لترجمة الفرنسية إلى العربية والبربرية، ويعتبر هذا إنجازاً عظيماً في تلك الفترة<sup>119</sup>. والجدير بالذكر أن تلك التقارير التي تركها فونتور قد جمعها المؤرخ الفرنسي جوزيف كوك (Joseph Cook) وقام بتحقيقها ونشرها في كتاب، هذا الأخير الذي يعتبر بحق مصدراً تاريخياً متميزاً من حيث معلوماته والحقائق التي جاء بها، وفريد من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوي عليها<sup>120</sup>.

<sup>117</sup> أحمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص 161.

<sup>118</sup> حميد، آيت حبوش، المرجع السابق، ص 37.

<sup>119</sup> أحمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص 161.

<sup>120</sup> حميد، آيت حبوش، المرجع السابق، ص 37.

## 2- أدريان بيربروجر ( Adryan Berbrugger ):

ولد أدريان بيربروجر بباريس في 11 ماي 1801م، فقد اهتم منذ البداية بدراسة علم الآثار القديمة، وقد تميز بالذكاء والخبرة<sup>121</sup>، وبعدها أكمل دراسته الثانوية بمدرسة شارلمان، التحق بمدرسة شارل العليا<sup>122</sup> (Ecole des Chartes). وفي سنة 1832م كُلف بمهمة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن احتلال فرنسا من القرن 15م، وبعد ذلك بسنتين سافر إلى الجزائر حيث شغل وظيفة كاتب للوالي العام كلوزيل، هذا الأخير الذي جلبه معه إلى إفريقيا ضمن جيشه الذي قاده بنفسه، ورافقه أثناء تجواله، ثم عهد إليه بالمكتبة والمتحف فكتب عن الآثار وقام برحلات سرية وعلمية حملته إلى مختلف مناطق الجزائر وتونس. رافق المارشال فالي في غزوه لقسنطينة، وتمكن من الحصول على عدد كبير من المخطوطات العربية أثناء بعثاته العسكرية، وقد صارت هذه المخطوطات نواة لمكتبة الجزائر.

لقد دفعت به ثقافته الواسعة وحبه للاستطلاع في طريق البحث بعيدا عن الدراسات العربية، كما كان من بين الأوائل الذين عملوا للمحافظة على الآثار الرومانية في الجزائر<sup>123</sup> والشيء الذي جعله يهتم بهذه الآثار هو معرفته المتواضعة باللغة العربية<sup>124</sup>، كما يعد من أبرز الباحثين الفرنسيين في علم التاريخ والآثار والحفريات الأثرية، فاهتم بالتراث الجزائري منذ أن وطأت أقدامه التراث الجزائري سنة 1834م فقام بجمع العديد من المخطوطات<sup>125</sup> التي شكّلت جوهر مكتبة الجزائر<sup>126</sup>.

Narcisse, (F), op.cit, p.65.

121

122 المدرسة الوطنية للميثاق (ENC)، التي تأسست في عام 1821م، هي واحدة من أقدم المدارس الفرنسية الكبرى وأعرقها. وهي متخصصة في التدريب في العلوم المساعدة للتاريخ. منذ 1 سبتمبر 2016م، كان مديرها البروفيسور ميشيل بوبينيسك. وضعت تحت إشراف الوزارة المكلفة بالتعليم العالي، وهي تتمتع بمركز مؤسسة كبيرة وهي مؤسسة تكونت من جامعة باريس ساينس أند ليتريس (PSL). تم تربيته منذ عام 2017 في 65 شارع دي ريشيليو، في الدائرة الثانية في باريس، بعد أن كان لفترة طويلة في السوربون (1897-2017م)، وقبل ذلك في فندق دي سوبيز (1897-1846م) وفي ريشيليو كوادريني (1830-1846م).

123 إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص17.

124 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج6، ص45.

125

Laloe, (F), op.cit, pp.103-104.

Narcisse, (F), op.cit, p 65.

126

وفي سنة 1835م كُلف بيربروجر بإنشاء المكتبة الجزائرية العامة التي بدأت في العمل خلال سنة 1838م، وعُين مديراً عاماً على جريدة المرشد الجزائري (Moniteur Algérien)، وقام بتسطير الرسالة الثقافية والعلمية التي يجب أن تتولى مسؤولياتها هذه الجريدة<sup>127</sup>، ولم يكن اختياره لهذه المهمة أمراً عشوائياً بل كان ذلك نظيراً للخدمات التي قدمها لجيش الاحتلال<sup>128</sup>.

يُعتبر من أوائل المؤسسين "للجمعية التاريخية الجزائرية La Société Historique Algérienne" فقد عُين رئيساً لها<sup>129</sup>. كما أسّس المجلة الإفريقية وجاء ترتيبه الأول في قائمة كُتابها بـ 136 بحثاً. وقد كان من بين المؤرخين العسكريين الذين تولوا كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي والسياسي والإداري خلال العهد الفرنسي فوجد أنه ملاً المجلة الإفريقية بمقالاته عن أخبار الجزائر سواءً تلك التي جمعها مباشرة أو التي ترجمها عن كتاب آخرين ومنهم المسلمين مثلما فعل مع رحلة العياشي<sup>130</sup>.

ويعد بيربروجر من أوائل الذين أتوا إلى مدينة الجزائر ابتداءً من عام 1830م فكان له الفضل في نقل بقايا العادات والتقاليد الشفوية التي استطاع الحصول عليها وكذلك وصف الآثار التذكارية التي كانت موجودة آنذاك<sup>131</sup>. كما كان له أصدقاء جزائريين؛ ومن بينهم "بوشمال Bouchmal"<sup>132</sup> في تقرت<sup>133</sup>.

<sup>127</sup> إبراهيم، لونيبي، المرجع السابق، ص 137.

<sup>128</sup> محمد، صاحبي، المجلة الإفريقية...، المرجع السابق، ص 108.

<sup>129</sup> محمد، صاحبي، الجمعية التاريخية...، المرجع السابق، ص 07.

<sup>130</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج 3، ص ص 21-22.

<sup>131</sup> كورين، شوفالبي، المرجع السابق، ص 04.

<sup>132</sup> ولد أحمد بوشمال بقسنطينة في 25 جانفي 1899م، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بكتاب "سيدي ياسين" في حي جليس، واصل تعليمه التقليدي به إلى أن ختم القرآن الكريم. التقى بعبد الحميد بن باديس بعد الحرب العالمية الأولى وسار على نهجه في الإصلاح التربوي والديني، وعندما أسس ابن باديس جمعية التربية والتعليم التي فتحت مدرسة بنفس الاسم، كان بوشمال إلى جانبه في كل ما يتعلق بالإجراءات الإدارية وأكمل معه المسار. عند اندلاع الثورة في الفتح نوفمبر 1954م، قام الشيخ بوشمال بوضع مطبعة الجمعية في خدمة الجبهة، أسره الاستعمار الفرنسي في سنة 1957م. وعشية 13 سبتمبر 1958م اختطف من بيته تحت جنح الليل، ولم يظهر له أثر بعد ذلك.

Féraud, les Ben-Djellab..., op.cit, R.A, N°23, 1935, p.168.

زار الجنوب الجزائري بين عامي 1850-1851م. وقام بجولة أثرية إلى تونس لمدة ثلاثة أشهر بداية من 19 أوت 1850م، وذكر أنه عبرها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها بحثاً عن المواقع الأثرية البارزة<sup>134</sup>.

اتصف بيربروجر بالخطابة وفن المجادلة، فجمع حوله ثلة من أهل العلم الباحثين وأسس "الجمعية التاريخية" التي أصدرت اثني عشر (12) مجلداً من المجلة الإفريقية والتي حوت وثائق نفيسة، وخرائط، ورسومات أثرية يعود الفضل في معظمها إليه، وكانت تعليقاته وإضافاته تمس كتابات كل مؤلف أو باحث كتب في المجلة، مع تسليمهم جميعاً بذلك. فأسندت له رئاسة كل من الجمعية التاريخية الجزائرية والمجلة الإفريقية<sup>135</sup>.

لقد كان بيربروجر المؤسس الفعلي والعملي لحولية المجلة الإفريقية عام 1857م؛ فكان يكتب معظم ما يأتي فيها في الأعداد الأولى، مع المحافظة على الرصانة العلمية. ومن أهم الخدمات التي قدمها: جمع المخطوطات من تلمسان وقسنطينة، فكانت حياته موزعة بين الجزائر وفرنسا<sup>136</sup>. واستمر في ذلك إلى غاية وفاته سنة 1869م<sup>137</sup>.

مات بيربروجر بعد وفاة صديقه بريسنبي بإحدى عشر يوماً وذلك في 2 جويلية 1869م<sup>138</sup>، وما يؤكد ذلك هو ما ذكره أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" بقوله: "... أن بيربروجر مات في سنة واحدة مع زميله بريسنبي..."<sup>139</sup>.

أمّا عن أعماله التي تركها فقد وجد له عملاً إضافياً في العلوم التاريخية والجغرافيا<sup>140</sup>، كما له دراسات متعددة منها: "Algérie Historique, Pittoresque et Monumentale"، والمكانة التي تشغلها الدراسات العربية في كُتب بيربروجر مكانة محدودة نسبياً، فإلى جانب المقالات

Revue Africaine, N°2, 1857, p.266.

134

Ibid, N°1, 1856, p.1.

135

<sup>136</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص46.

<sup>137</sup> المرجع نفسه، ج5، ص340.

<sup>138</sup> إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص17.

<sup>139</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص46.

<sup>140</sup> المرجع نفسه، ص86.

الكثيرة التي نشرها، قام بعمل مهم وهو ترجمته إلى اللغة الفرنسية لـ "رحلة العياشي" والتي نشرت تحت عنوان: "رحلة العياشي في الجنوب الجزائري ' Voyages Del-Aiachi Dans Le sud de L' Algérie"<sup>141</sup>. أما عن أعماله التي نشرها في المجلة الإفريقية فنجد: "كتابات حول دورات اللغة الإسبانية"، وكتابات حول "منطقة القبائل والإشعار على قبر مسيحي"، وكذا قاموس الإسبانية والفرنسية<sup>142</sup>.

كان يوقع باسمه على بايين من أبواب المجلة<sup>143</sup> ألا وهما "Chronique" و "Bulletin" "Bibliographique"، كتب عدة مقالات عن الطوارق في جريدة "الأخبار Akhbar" الصادرة في جانفي 1856م<sup>144</sup>، وذلك بأبحاث أثرية في "سور الغزلان Auzia Aumale"<sup>145</sup> ونشرها في صحيفة الأخبار 14 جوان 1846م. قام برحلة أثرية انطلق فيها من قسنطينة إلى الكاف<sup>146</sup> بتونس، ووجد هناك عند شرق الحنانشة<sup>147</sup> آثاراً رومانية في منطقة اسمها (هنشير المرسى)<sup>148</sup> تتعلق بمثوية (كاسنو (CASNO) البربري الذي عاش مائة وإحدى عشر سنة<sup>149</sup>. كما قام سنة 1856م بزيارة بحث إلى تيبازة أثناء أداء مهمة له بشرشال عام 1856م.

وأشرف على جريدة المرشد الجزائري شبه اليومية وساعده في ذلك اليهودي فرعون. رافق الحملات الفرنسية على قسنطينة وتلمسان ومعسكر، وجمع المخطوطات من هذه المدن. وقد اعترف البارون دو سلان وشارل فيرو أنهم وجدوا في المؤسسات الدينية بقسنطينة، ولدى بعض العائلات مخازن

<sup>141</sup> إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص 17.

Narcisse (F), op.cit, p 66.

R.A, N°1, 1856, p.59.

Ibid, p.74.

<sup>145</sup> سور الغزلان مدينة جزائرية عريقة بآثارها تقع في الجنوب الغربي لولاية البويرة، تقع شمال جبل ديرة. اسمها سور الغزلان بكسر الغين والغالب والشائع بين غير سكان المدينة نطقها بفتح الغين وهذا خطأ، وتنسب التسمية إلى السور المحيط بها، والغزلان النواخذ الموجودة بالسور تظهر بحجم كبير من الخارج صغير ضيق من الداخل طوله ما بين 5 إلى 10 أمتار. ويشكل السور مستطيلاً مزوداً بأربعة أبواب في وسط كل جهة محصن بأنصاف أبراج. وهو معلم من الحقبة الاستعمارية بُني ما بين 1846م-1862م.

<sup>146</sup> الكاف مدينة تونسية تقع في الشمال الغربي على بعد 160 كلم، وهي عاصمة ولاية الكاف. تقع المدينة فوق آثار مدينة رومانية تعرف باسم "سيكا فينيريا Sicca Veneria" ومنها يتأصل اسم الكاف.

<sup>147</sup> الحنانشة: بلدية في دائرة المشروحة في ولاية سوق أهراس.

<sup>148</sup> هنشير المرسى أو هنشير القصة: هي مدينة رومانية قديمة تقع في بلدية أولاد مؤمن في ولاية سوق أهراس أو طاغاست قديماً.

R.A, N°1, 1856, p.59.

مخطوطات في حالة جيدة، ومنها ما هو نادر، وقد ذكرا مثلاً على ذلك مكتبة "ابن الفكون" التي كانت غنية بالكتب المتنوعة واحتوت على (2500) مجلد<sup>150</sup>.

حصل على وسام جوقة الشرف<sup>151</sup> " La croix de commandeur de la " Légiton d'honneur، عام 1856م أثناء زيارة الإمبراطور، عن أعماله الأدبية، بعد أن كان محافظاً للمكتبة، وقد كان من قبل عضواً مراسلاً. وقد أعيد انتخابه كرئيس للجمعية التاريخية الجزائرية في جانفي 1863م، للمرة السابعة؛ حيث كان يشغل آنذاك مناصبي محافظ مكتبة الجزائر، ومحافظ متحف الجزائر.

وقد ذكر زميله (ف. لالوي F. Laloe) أن المخطوطات التي جمعها بيربروجر من قسنطينة كانت جيدة من حيث الشكل والتجليد، وأنها كانت واردة من مصر وتركيا<sup>152</sup>. وقد قام بجمع هذه المخطوطات من المساجد وغيرها، ومن أيدي الجنود، بل وحتى من الشوارع، وتشير التقارير إلى أنه جمع ما يزيد عن ثمانمائة مخطوطة وعاد بها إلى مدينة الجزائر، ولكن قبل أن تصل إلى هناك ضاع الكثير منها أثناء الطريق؛ ومن بين هذه المخطوطات مجموعة من كتب الرياضيين الإغريق، وأخرى في علوم الطب وغيرها، استفاد منها الفرنسيون استفادة عظيمة، وكانت مكتبة "باش تارزي" ومكتبات الريف من ضحاياه.

وفي سنة 1836م كتب بيربروجر إلى صديقه وأستاذه (شامبليون فيجياك<sup>153</sup> Jean François Champollion) يخبره عن مغامرته في تلمسان ومعسكر لجمع المخطوطات العربية. فقال أنه تنكر في زي عسكري ورافق الحملة إلى معسكر لأنه قد سمع أن في تلمسان ومعسكر مكتبات تحتوي على مخطوطات كثيرة جداً، منها ما هو بالغ الأهمية، كما أخبره أنه قد جمع عدداً كبيراً من

<sup>150</sup> قدرها فانيان بـ (4000) كتاب.

<sup>151</sup> وسام جوقة الشرف: هو وسام فرنسي أنشأه نابليون بونابرت القنصل الأول للجمهورية الفرنسية الأولى في 19 ماي 1802م. وهو أعلى تكريم رسمي في فرنسا، وينقسم إلى خمس رتب هي: رتبة فارس، رتبة ضابط، رتبة قائد، رتبة قائد عظيم، رتبة الصليب الأكبر. شعار هذا الوسام هو "الشرف والوطن".

<sup>152</sup> Laloe, (F), op.cit, p.107.

<sup>153</sup> جون فرانسوا شامبليون: العالم الفرنسي الذي فك رموز اللغة المصرية القديمة بعد استعانهه بحجر رشيد الذي كان قد اكتشف أثناء الحملة الفرنسية على مصر. كان عضواً في الجمعية الآسيوية الفرنسية، وأكاديمية النقوش.

المخطوطات "الشرقية" من معسكر وعاد بها إلى مدينة الجزائر في صندوق حمله على ظهره، وفي الطريق مات له الجمل وضاعت الكتب ولم يحمل منها إلا ما رآه نادراً جداً واستطاع حمله على حصانه<sup>154</sup>.

أما حظه في تلمسان فقد كان أوفر حسب تعبيره؛ فقد جمع منها ومن ضواحيها ما يزيد عن "مائتي (200) مخطوط في مختلف الموضوعات"، حملها إلى مدينة الجزائر عبر سفينة بخارية من وهران. ولكنه لم يذكر كيف نقلها من تلمسان إلى وهران. وامتدت يد بيربروجر إلى وادي سوف، وكان هو أول من حصل على كتاب "العدواني" لمحمد القسنطيني العدواني السالمي<sup>155</sup> في تاريخ قبيلتي "الطروود" و"عدوان" وذلك في عام 1850م.

وذكر بيربروجر أن الفرنسيين وجدوا عقود أملاك عائلة الأمير عبد القادر وحين أطلع - بيربروجر - الأمير على ذلك في مقابلة معه سنة 1837م لم يكده الأمير يُصدق القصة.

رافق بيربروجر حملة كلوزيل على معسكر وتلمسان سنة 1835م فروى في كتابه كيف استولى على الوثائق والمخطوطات، والغريب أنه ادعى بأن العرب في مدينة معسكر قد مزقوا المخطوطات قبل مغادرتهم المدينة ونثروا أوراقها. في حين نوه بفهم الضباط من أمثال: لاموريسيار و"كوفيه Koffi" لدور المكتبة العمومية في العاصمة، وتوفير المخطوطات العربية لها. غير أنه لام الفرنسيين من الجنود وغيرهم الذين لم يسلموا المخطوطات التي وقعت في أيديهم للسلطات الفرنسية المكلفة بذلك، وفضلوا أن يُيقوها في ملكهم الشخصي. كما تحدث عن ضياع أربعون مخطوطاً جراء سقوط البعير في هوة عميقة في الطريق من معسكر إلى مستغانم.

Un Bibliothécaire en compagnie, in: R.A, N°68, 1927, p.107.

154

155 محمد العدواني: محمد بن محمد بن عمر القسنطيني المعروف بالعدواني، وهناك من ينسبه إلى القسطلبي (نسبة إلى قسطلبة أو قسطلبية أي الجريد). وقد تكون هذه النسبة أقرب من النسبة إلى قسنطينة إذا علمنا أن مسرح الأحداث الذي عاشته قبيلته "عدوان" هو أرض سوف والزيان والجريد ونواحي تبسة وقابس. وهو عند آخرين عزاز بن سالم بن معاوية بن مبارك بن عمار بن خليفة العدواني، وانطلاقاً من هذا الاختلاف فإن المتتبع لحياة العدواني في كتابه "تاريخ العدواني"، يذكر صراحة أن اسمه هو محمد العدواني، وأن وطنه هو سوف، وبالضبط إحدى جهات سوف، وهي اللجة. وقد عاش العدواني إلى حوالي منتصف القرن 11هـ/17م، حيث كان من كبار متصوفة زمانه، وكان حافظاً للقرآن الكريم، ويقال أنه كان تابع للزاوية القادرية. وقد وقف العدواني موقفاً معادياً للأتراك بصفة عامة. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: محمد بن محمد بن عمر، العدواني، تاريخ العدواني، تق، تح، تع: أبو القاسم، سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

وفي تقريره إلى المتصرف المدني عن مهمته في قسنطينة سنة 1837م روى بيربروجر كيف حصل هو وأمثاله على المخطوطات من ديار ومدارس ومساجد، وحتى من أضرحة هذه المدينة المباحة، وقال إن العقيد لاموريسيار قد سلمه مخطوطين في الدين وجدهما في ضريح أحد المرابطين. وأكد أنه اشترى من بعض الجنود مخطوطات ثمينة كانوا قد نهبوها من المدينة وأن المتصرف العسكري عندئذ قد قدم إليه ثلاثة وستين مخطوطاً وأعانه على نقلها إلى الجزائر.

عاد بيربروجر إلى فرنسا عام 1869م بعدما نصحه الأطباء بالابتعاد عن الجزائر التي كانت ميداناً لأبحاثه، فخلفه "شيربونو"<sup>156</sup>، هذا الأخير الذي ألقى كلمة تأيينية على قبر صديقة بيربروجر الذي توفي إثر مرض عضال في 2 جويلية 1869م<sup>157</sup>.

وقد وردت في المجلة دعوة تحت عنوان: "قبر أدريان بيربروجر" بقلم الرئيس الجديد شيربونو يدعوا فيها باسم الجمعية التاريخية الجزائرية، إلى تخليد ذكرى مؤسسها، وإلى فتح اكتتاب بجمع تبرعات تُنفق في إقامة نصب على قبره (ناووس) يذكر فيها تفانيه وتنقيبه العلمي في خدمة الجزائر، وذكر من بين المتبرعين رئيس أساقفة الجزائر (شارل لافيغري Charles Lavigerie)<sup>158</sup> الذي أرسل مبلغاً قدره مائتا فرنك (200 فرنك) إلى محافظ خزانة الجمعية؛ حيث كتب نيابة عنه الكاهن "بريلا Prélat" رسالة إلى هذا المحافظ يقول فيها: "سيادة محافظ خزانة الجمعية التاريخية الجزائرية، لم أعلم سوى اليوم عن عزمكم النبيل في إقامة نصب على ضريح السيد بيربروجر... إن كنيسة الجزائر، في هذه المناسبة، عليها دين تُريد أن توفيه تجاه عالم المكتبات الذي ساهمت أعماله بغزارة في اكتشاف البقايا الثمينة المتعلقة

R.A, N°13, 1869, p.160.

156

Ibid, pp.321- 324.

157

<sup>158</sup> الكاردينال لافيغري: كاردينال فرنسي، ولد في بيايون بالبرني الأطلنطية سنة 1825م، عمل أستاذ تاريخ بجامعة السربون بباريس، وهو أحد المؤسسين لحركة التنصير بالجزائر، بل والمغرب العربي، إنه الذي جزم بالقول: "لا تتفرنس إفريقيا الشمالية وهي مسلمة وأكبر وسيلة لإدماجها في العائلة الفرنسية، إخراجها من الإسلام"، توفي سنة 1892م. ينظر: أحمد، مالكي، أعمال الملتقى الدولي حول: الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، طبعة خاصة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 187. وينظر أيضاً: علي، بطاش، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل: حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م، د، أ، ط، ن، ت، الجزائر، 2007م، ص 56

بالرجل المبجل (جيرونيمو Géronymo)<sup>159</sup> وفي تحديد هويتها... وتقبلوا مني فائق التحيات".  
توقيع شارل رئيس أساقفة الجزائر العاصمة.

كما تحدث عنه شارل فيرو بقوله: "نغتنم هذه المناسبة، لنشهد بأن بيربروجر قد خصص ثلاثين سنة من حياته، لإجراء بحوث، وكتابة تاريخ الهيمنة التركية على الجزائر، إن هذا الإنجاز العلمي الضخم، يتكون من عدة مجلدات مخطوطة، حسب ما روى لي الأشخاص المكلفون - بعد وفاة بيربروجر- بتنظيم وترتيب أوراق الفقيه، إن تاريخ الهيمنة التركية المخطوط، بقي بين أيدي الأنسة بيربروجر، نتمنى لصالح العلم، ولصالح مجد مؤلف هذا الإنجاز العلمي العظيم، الذي لا يُقدّر على إنجازه أي أحد آخر اليوم، أن يتم تقديمه عاجلاً إلى النشر"<sup>160</sup>.

### 3- ألبير دوفولكس (Albert Devoulx):

لم تتمكن من الحصول على تاريخ ميلاد دو فولكس فالوثائق التي تتحدث عنه لا تشير إلى تاريخ ميلاد هذا الرجل، ويُعد دو فولكس من أعلام المجلة الإفريقية، وقد كان لوالده ألفونس دوفو أثر كبير في صقل اهتماماته واختصاصه، فقد تعلم دو فولكس العربية بمعهد باب عزون<sup>161</sup>، وعمل نائباً لرئيس المكتب السابق في ولاية الجزائر العاصمة، كرّس وقت فراغه للدراسات التاريخية، وتميز بسعة إطلاعه.

<sup>159</sup> كان جيرونيمو عبداً، أسره الإسبان في عام 1538، وفي سن الرابعة تم بيعه في منطقة عين الترك كعبد إلى النائب العام لمدينة وهران جان كارو الذي حوله إلى الديانة الكاثوليكية وعمّده. وقد كان المبجل جيرونيمو الذي أعلنه البابا بيوس التاسع على هذا النحو، مسلماً في القرن السادس عشر ترك الإسلام وتحول إلى المسيحية. أسر جيرونيمو ونقل إلى الجزائر ليصبح ملكاً لداي الجزائر عالج علي الذي سعى إلى جعله يتخلى عن المسيحية، وأمام رفضه، ظل أسيراً في أسوار حصن باب الواد وتم اكتشاف وفاته في عام 1853م عندما تم هدم هذا الحصن لإخلاء ساحة باب الواد وإنشاء مركز مدفعية هناك. في الوقت نفسه، تعرّف أدريان بيربروجر على أوراق قديمة تحكي قصة جيرونيمو من قبل المؤرخ الإسباني ديجو دي هايدو وقام بتوصيل النص إلى عامة وأسقف المكان. تم نقل وفاته بأهمة كبيرة، بحضور السلطات الدينية والمدنية والعسكرية، إلى كنيسة في كاتدرائية الجزائر.

<sup>160</sup> Charles, Féraud, Document pour servir l'histoire de Philippeville, Collo, in: R.A, N°20, Janvier 1876, p.25.

<sup>161</sup> باب عزون: يُعتبر من أهم الشوارع التي كانت موجودة بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، وبعد ذلك يأخذ شارع باب عزون عدة تسميات، ففي البداية نجد سوق الصغار الذي يمتد إلى شارع لافليش وكانت هناك بقعة منه تسمى التماقين، ويفيد عقد يعود إلى سنة 1549-1550م أنه كان هناك محل تجاري على شارع باب عزون يحده من اليمين رحبة الفحم، ومن الشرق الشارع الكبير الذي يفتح على الباب الرئيسي. ينظر: ألبير، ديفولكس، مخطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، تر، نج: مصطفى، بن حموش، بدر الدين، بلقاضي، م، و، ف، م، الجزائر، 2004م، ص 188.

كان ألبير دوفولكس من أبرز كتاب المجلة الإفريقية؛ وقد جاء ترتيبه الخامس ضمن كتاب المجلة، وذلك بكتابة 58 بحثاً فيها. ظهر اسمه كأمين للمال ضمن قائمة أعضاء المكتب المؤقت للجمعية التاريخية الجزائرية، عام 1872م. وكان إلى جانبه سودري (Soudré) كنائب أول للرئيس، وخلف الرئيس عند غيابه، ولوتورنو كنائب ثانٍ للرئيس، و بيرار (Bérard) كسكرتيراً<sup>162</sup>.

بقي دوفولكس في منصبه كأمين للمال حتى عام 1875م<sup>163</sup>. وصرحت المجلة آنذاك أن وظيفته كانت "نائب رئيس مكتب إداري في مقر الدائرة (Préfet). وكان معه في مكتب الجمعية حينها كل من: لوتورنو رئيساً، وفيرو نائباً للرئيس، و ماشوال (Machuel) سكرتيراً، ودوفولكس أميناً للمال، وكان ذلك حتى عام 1876م باستثناء لوتورنو<sup>164</sup>.

أما تاريخ وفاته فقد كان في 13 نوفمبر 1876م<sup>165</sup>، عرفت هذه الشخصية عدّة أعمال باللغة العربية، والشيء الذي يمكنه من ذلك هو معرفته للغة العربية بدرجة أفضل من بيربروجر لذلك اهتم بالوثائق الإدارية، والدينية والوقفية، ومن خلال ذلك نشر أعمالاً هامة عن هذه المؤسسات، وترك لنا وصفاً حياً للبنىات الدينية التي تهدم معظمها في مدينة الجزائر، وضواحيها<sup>166</sup>.

كما نشر العديد من المواضيع التي تتصل بمدينة الجزائر اعتماداً على وثائق الأرشيف، ومجموعات المكتبة العامة بالجزائر، وعمل على نشرها باللغة الفرنسية<sup>167</sup>، وفي 31 أكتوبر 1848م أُعلن مرسوم الجنرال شارون (charron) القاضي بالاهتمام بمخلفات الدولة من وثائق، ودفاتر، وقد قام فانيان بتقييمها في الفهرس الذي أقامه للمخطوطات بالمكتبة الوطنية، وبعد موت دوفولكس؛ أُهمل هذا القسم من الدفاتر والوثائق حتى مطلع القرن 20م.

R.A, N°16, 1872, 2<sup>ème</sup> page de Garde.

162

Ibid, N°17, 1873, 3<sup>ème</sup> page de Garde.

163

Ibid, N°20, 1876, 3<sup>ème</sup> page de Garde.

164

Narcisse, (F), op.cit, p.210.

165

<sup>166</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ج6، ص46.

<sup>167</sup> حنيفي، هلايلي، "ثنائيات توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال دوفو ليكس ودي

غرامون"، مجلة الحوار المتوسطي، ع1، منشورات دار الأصول، سيدي بلعباس، مارس 2009م، ص9.

كتب دوفولكس في موضوعات شتى منها: "عاصمة الجزائر"<sup>168</sup>، "المنشآت الدينية في الجزائر العاصمة القديمة"، "دراسة أثرية وطبوغرافية عن الجزائر العاصمة في العصر الروماني ثم الإسلامي ثم العثماني"<sup>169</sup>، وعن "علاقة الفرنسيين بالجزائر"<sup>170</sup>. استفاد من إحدى النسخ المخطوطة من كتاب "تقييدات ابن المفتي"، وقد قام بنشر مقتبسات منه باللغة الفرنسية، كما قام بترجمة قسم العلماء ونشره في المجلة الإفريقية ضمن بحثه الذي حمل عنوان: "البنيات الدينية القديمة في مدينة الجزائر"، والذي طبع فيما بعد على شكل كتاب مستقل، ولكن دوفولكس لم ينشر النص العربي للكتاب الذي لم يسلم من الحذف والاختزال، بالإضافة إلى هذا قام بنشر مقال في المجلة الإفريقية لسنة 1869م بعنوان "رفع القبائل لأحد البشوات" وهذا المقال ينتمي لقسم العلماء أيضاً<sup>171</sup>، وكل هذا يبرز اهتمامه بالجانب الثقافي للجزائر حيث كتب بالمجلة الإفريقية عديد المقالات حول المساجد والزوايا<sup>172</sup>.

ومن أهم ما ترك دوفولكس كتاب ( دفتر التشريفات Tachrifat Recueil de Notes Historiques) بالإضافة إلى دراسات كثيرة نشرها في المجلة الإفريقية<sup>173</sup>. وقد اعتمد دوفولكس في كتابته التاريخية على الدفاتر الموجودة بالكنصالية التي كانت خزناً لكل المعلومات التي جمعت من قبيل القناصل في كل البلدان والمدن التي عملوا بها<sup>174</sup>، ومن بين أعماله الرئيسية "دراسات

<sup>168</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Albert, Devoulx, "Icosium", in: R.A, N°19, 1875, pp.295- 332.

<sup>169</sup> Albert, Devoulx, "Alger étude archéologique et topographique sur cette ville, aux époques romaine (Icosium), arabe (Djezair Beni Mez'renna) et turque (El- Djezair)", in: R.A, 1875, N°19, pp.385- 428.

<sup>170</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

- Albert, Devoulx, "Capitaine Prepaud", in: R.A, 1871, T15, N° 87, pp.161- 172.

- Albert, Devoulx, "Relevé des principaux Français qui ont résidé à Alger: de 1686 à 1830", in: R.A, 1872, N°16, N° 95, pp.356- 387.

<sup>171</sup> ابن المفتي، شاوش حسين بن رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشوات الجزائر وعلمائها، تر: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص 9-11.

<sup>172</sup> Albert, Devoulx, "Les Edifices Religieux de L'Ancien Alger", Introduction, in: R.A, N°11, 1867, N°66, p.449.

<sup>173</sup> حنيفي، هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص ص 105-107.

<sup>174</sup> Merouche, (L), Recherches Sur L'Algérie Ale poque Ottomane II La Course Mythes et Réalité, France, Ouvrage Publie Avec Le soutien de Centre Nationale de Livre, 2007, p.270.

حول دفتر التشريعات"، "دراسات حول الرايس حميدو"<sup>175</sup>، "مصالح القناصل الفرنسيين في الجزائر"، "ملاحظات تاريخية عن المساجد"، "مواطن من النقوش الأثرية في الجزائر"، "دراسات حول أول تمرد للإنكشارية في الجزائر"، وقد أكسبت هذه المنشورات دوفولكس شهرة كبيرة وواسعة<sup>176</sup>.

#### 4- دلماس دو غرامون (H-Delmas de Grammont):

اسمه الكامل هنري دلماس دوغرامون (Henri Delmas de Grammont) ولد في 5 أوت 1830م أي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر من عائلة أرستقراطية<sup>177</sup> وعسكرية عريقة وهو ابن لضابط عسكري فرنسي، وقد تقلد عدة وظائف منها مهنة حامي للرئيس والتي كان يرافق فيها الملك الكبير شارل السادس<sup>178</sup>، وقد أمضى نصف عمره بالجزائر والتي انتقل إليها سنة 1850م في إطار الخدمة العسكرية<sup>179</sup>. وبعدها أنهى دراسته التحق بالحقوق، كما كان على درجة كبيرة من الذكاء، وقد كانت أمنية والده أن يكون ابنه دبلوماسياً<sup>180</sup>.

استقر دو غرامون بالجزائر منذ 1859م، واهتم بالأبحاث حول تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، وكرّس معظم حياته في التأليف والأبحاث التي اهتمت بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وهو أحد المؤسسين البارزين للجمعية التاريخية الجزائرية منذ 1874م. لم يكن دوغرامون جامعياً أو عسكرياً، بل عاصر التغيرات الاجتماعية والسياسية لنظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وقد أصبح عضواً في الجمعية التاريخية الجزائرية منذ سنة 1834م، ثم رئيساً لها سنة 1878م، ويعتبر أحد أعمدة المجلة الإفريقية حيث نشر بها لجل أعماله التاريخية. وقد قال عنه فيرناند بروديل<sup>181</sup> (Fernande )

<sup>175</sup> قائد الأسطول خلال الحروب النابوليونية (1798-1814م)، كان من القبائل وعرف أنه كان يبحر على متن سفينة كخادم في غرفة الضباط ثم أصبح ريس، وهذا قبل تسلمه لقيادة الأسطول. ينظر: حنيفي، هلايلي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ديسمبر 2007م، ع24، ص259.

<sup>176</sup> Narcisse, (F), op.cit, p.211.

<sup>177</sup> حنيفي، هلايلي: أوراق...، المرجع السابق، ص110.

<sup>178</sup> Rinn, (L), " H-d Grammont", in: R.A, N°36, 1892, p.289.

<sup>179</sup> حنيفي، هلايلي: أوراق...، المرجع السابق، ص- ص110.

<sup>180</sup> Rinn, (L), "de Grammont...", op.cit, p.290.

<sup>181</sup> ولد بروديل في 24 أوت 1902م، في قرية فرنسية صغيرة عدد سكانها 250 نسمة، تدعى لوموفيل، في منطقة الباروا شمال فرنسا، درس بثانوية فولتير ما بين (1913-1920م) وهناك درس التاريخ اليوناني والإيطالي والفرنسي القائم على الأحداث السياسية والعسكرية، وفي سن 21 من عمره تخرج من مدرسة المعلمين العليا بشهادة الكفاءة وأصبح مبرزاً في التاريخ. اشتغل بمهنة تدريس التاريخ

(Braudel): " بأنه كان مؤرخاً من الطراز الأول بفضل تكوينه، وكان شريفاً في تحليلاته، مرتبطاً بالحدث أكثر من غيره"، شجع دو غرامون على دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية من خلال الروايات والملاحظات الأوروبية لا عن طريق المصادر المحلية وشكك في نزاهتها، ومصداقيتها وأهمها بالتجريد والمبالغة.

حاول دو غرامون دراسة كتاب "غزوات عروج وخير الدين" من خلال التأكيد على أهمية الاكتشاف الذي تمّ على يد ساندر (Sandra) ودونيس (De niss) من خلال كتابهما "تأسيس إيالة الجزائر تاريخ بربروسة"<sup>182</sup>.

وبحلول سنة 1892م توفي دو غرامون، ومن أهم الأعمال التي تركها نذكر: كتاب سماه "تاريخ الجزائر تحت الحكم العثماني"، وهو مكتوب باللغة الفرنسية حيث اعتمد على مصادر أولية في معالجة مختلف مضامينه، صدر الكتاب سنة 1887م، وهو من أشهر الدراسات التاريخية خلال الاستعمار الفرنسي. صحّح دو غرامون الأخطاء الواردة في المصادر الأوروبية.

وقد قدّم المؤلف الترجمة العربية للمخطوط العربي، المتواجد بالمكتبة الوطنية، ويشير دو غرامون في حديثه عن المؤلف بأن المعطيات المتواجدة بين صفحات المخطوط، إذا ما حاولنا مقارنتها بنصوص الكتابات الإسبانية المعاصرة للمخطوط فإنها تدل على أهمية الكتاب من خلال تناوله النقدي لتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، ومن أهم ما قام به دو غرامون نشر العديد من الدراسات والأبحاث في المجلة الإفريقية<sup>183</sup>.

والبداية كانت في الجزائر ما بين (1923-1932م)، وخلال فترة تواجده في الجزائر اكتشف وانهر بمفان البحر الأبيض المتوسط، وقد كانت مذكرة تخرجه من السربون عام 1923م بعنوان "دبلوماسية فيليب الثاني المتوسطية". وقد أعتقل بروديل من طرف الألمان عام 1940م خلال الحرب العالمية الثانية ليمضي خلالها سنوات سجنه في إعداد رسالة دكتوراه التي ناقشها في جامعة السربون عام 1947م. وقد كان يسعى لبعث مشروع بيداغوجي حقيقي يُفرد للتاريخ مكانة مركزية ويكون فيها تابعاً لمختلف علوم الإنسان. ينظر: مسعودة، بوجلال، العلاقات العثمانية- الإسبانية على ضوء كتابات برودال، مذكر ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس، 2014-2015م.

<sup>182</sup> حنيفي، هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص 110-113.

<sup>183</sup> المرجع نفسه، ص 110-114.

## 5- لويس رين (Louis Rinn):

ولد في باريس بتاريخ 28 مارس 1838م، وكان من عائلة علمية اهتمت بالحياة الأكاديمية<sup>184</sup>، وقد كان عمه سُلطوي، فقد تقلد عمه عدة مناصب منها أنه كان ناظرًا في ثانوية لويس الكبير<sup>185</sup> (Louis- Le Grand) ومدير لجامعة ستراسبورغ<sup>186</sup> ( Université de ) (Strasbourg)<sup>187</sup>، فقد درس رين في سان سير، مدرسة الفرسان، وجاء للجزائر سنة 1864م بمناسبة ثورة أولاد سيدي الشيخ، دخل في سبتمبر 1880م وأصبح رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية<sup>188</sup>، التي نشأت بالجزائر؛ فقد عمل بها منذ 13 سبتمبر وكان أقدم رئيس للمصلحة المركزية للشؤون الأهلية، ومستشاراً شرفياً للحكومة، كما تولى منصب رئيس المجمع التاريخي للجزائريين، وبقي في هذا المنصب كرئيس شرقي لمدة سبع سنوات<sup>189</sup>. كان يتقن اللغة العربية وله إطلاع بأخلاق وعادات المجتمع الجزائري، كما عمل في سلك التدريس في كل من ميله وبسكرة وسطيف وغيرها<sup>190</sup>، وأصبح مستشاراً لدى الحكومة العامة، ولا شك أن عمله منذ 1864م في المصالح الأهلية قد جعله يتعرف على مشاكل الجزائريين<sup>191</sup>.

تولى رين رئاسة الجمعية التاريخية لمدة سبع سنوات، وظل يشارك في أعمالها، ثم رئسها الشرقي إلى غاية وفاته سنة 1905م، أما عن أعماله التي تركها فهي كثيرة ومتعددة منها: كُتبت ذات طابع إحصائي وإجمالي، ولكنها مفيدة، وقد كتب بروح الأب الخبير الحريص في نظره على مصلحة أهله، وكان من

<sup>184</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص68.

<sup>185</sup> هي مدرسة ثانوية ذات اعتبار وتميز تقع في مدينة باريس الفرنسية. أنشئت عام 1563م تحت إسم كلية كلاغمون ( Collège de Clermont) تم إعادة تسميتها للويس الرابع عشر سنة 1682م.

<sup>186</sup> هي جامعة فرنسية تقع في مدينة ستراسبورغ بإقليم الألزاس الفرنسي، وهي أكبر جامعات فرنسا؛ إذ يدرس بها حوالي 43 ألف طالب، ويعمل بها أكثر من 4 آلاف باحث.

<sup>187</sup> Lacroix (N), " Le lieutenant- Colonel Rinn", in: R.A, N°49, Alger, 1905, p.130.

<sup>188</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص68.

<sup>189</sup> Lacroix, (N), op.cit, p.130.

<sup>190</sup> Ouatmani, (Settar), " Lecture Critique de Loeuvre de Lus Rinn Sur L'insurrection de 1871 en Algérie", Oussour El-Jadida, N° 7/8, 84 Coopérative Elhidaya Belgaid, Oran, 2012/2013, p.64.

<sup>191</sup> Narcisse, (F), op.cit, p.469.

موقعه يتلقى التقارير، فقد كان يتقن العربية والبربرية، وتركزت أعماله حول اللغة والعادات والتقاليد والدين.

ومن أشهر مؤلفاته "تاريخ انتفاضة 1871م"، ودراسة الطرق الصوفية الذي سماه "مرابطون وإخوان" (Marabouts et khouans)، وله العديد من الأبحاث نشرها في المجلة الإفريقية نذكر منها: "مملكة الجزائر تحت آخر الدايات والممالك البربرية الأولى وحرب يوغرطة"<sup>192</sup>، وبحث في الدراسات اللغوية والإثنولوجية عن البربر<sup>193</sup>، وتطرق إلى سياسة فرق تسد التي عمل البايات على تطبيقها في الأرياف القسنطينية بإثارة الأحقاد والضغائن وتعميق الهوة بين القبائل وحتى بين أفراد القبيلة الواحدة، وذلك بتحريضهم لطرف ضد الطرف الآخر من أجل الانقضاض على خصومهم بعد عزلهم عن حلفائهم<sup>194</sup>. كما ترك دراسات مفيدة حول الإسلام في الجزائر، وأهمية الجماعات الدينية المسلمة، "دراسات حول أصول البربر"، وقد نشرت هذه الدراسات في المجلة الإفريقية<sup>195</sup>.

ويُعد رين من الكُتّاب العسكريين الذين بلغوا من الشهرة والسمعة والأثر مبلغاً غير قليل؛ فهو العسكري الذي اهتم برحلات الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في الجزائر.

## 6- محمد ابن أبي شنب (M. Ben Cheneb):

أثر المستشرقون على كثير من المفكرين، والأدباء الجزائريين، وكان محمد ابن شنب واحد من هؤلاء، تلقى المستشرقون مساعدة من بعض المثقفين الجزائريين بجمع المخطوطات والعمل على تحقيقها،

<sup>192</sup> يوغرطة: هو ملك نوميديا، ولد بسيرتا (قسنطينة) حوالي سنة 160 ق.م، وهو حفيد ماسينيسا ملك نوميديا وابن مستنبل أخ الملك النوميدي مكيسبا. وقد تناه عمه مكيسبا. عرف عنه أنه كان قوياً، جميلاً مولعاً بركوب الخيل والرمية والتسابق، وكذا بالصيد خاصة صيد الأسود، كما وصف بالتواضع وحبه للعمل ما جعله محبوباً في أواسط النوميديين. تسلم الحكم في العاصمة سيرتا، وأعلن حربه على الرومان، وقد قام والد زوجته بوكوس بخيانة يوغرطة وتسليمه للقائد الروماني سولا إثر كمين نصبه له سنة 104 ق.م وهي سنة وفاته. ينظر: جمال، مسرحي، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري: ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009م.

<sup>193</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، صص 68-69.

<sup>194</sup> Rinn, Louis, "Les Royame d'Alger...", op.cit, pp.222-226.

<sup>195</sup> Narcisse, (F), op.cit, pp.518-519.

ودرسوا الإسلام، واللغة العربية واللهجات المحلية واستعمالها في ضرب لغة الضَّاد بأهدافهم ومناهجهم العلمية والأدبية<sup>196</sup>.

ولد ابن شنب في 26 أكتوبر سنة 1869م بالمدينة<sup>197</sup>، كان مُدرسا وعمره 20 سنة، وشغل منصب أستاذ في المدرسة وعمره 30 سنة، وكُلف بإلقاء المحاضرات وعمره 40 سنة، حاصل على دكتوراه وأستاذ للتعليم العالي وعمره 50 سنة<sup>198</sup>، وقد تدرج ابن شنب في التعليم فانتقل إلى العاصمة، والتحق بالمدرسة النورمالية فكان بين الجزائريين القلائل الذين دخلوها، ومن هنا بدأت تظهر شخصية هذا الرجل، وبدأ إنتاجه يمتد عبر أكثر من ثلاثين سنة، فأثاره بدأت تظهر في المجلة الإفريقية منذ أواخر القرن الماضي فقد نشر حوالي 15 مقالا في المجلة الإفريقية، واستمر إنتاجه في الغزارة والعطاء إلى غاية وفاته 1929م<sup>199</sup>. كُلف ابن شنب بإلقاء المحاضرات في كلية الأدب الجزائرية ابتداء من سنة 1908م وبعد وفاة روني باسيه (René Basset)<sup>200</sup> تولى تدريس الشعر العربي، وفي سنة 1928م كُلف بتمثيل كلية الأدب الجزائري في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عُقد بإنجلترا، وكانت هذه الرحلة آخر مظهر لنشاطه العلمي في شهر فيفري 1927م<sup>201</sup>، وعلى ما يبدو فإن محمد بن أبي شنب لم يكن حضوره قويا في المؤتمرات غير الإستشراقية، وكان يرى أن بأن الفرد الجزائري لا لوم عليه إن تعلم لغات

<sup>196</sup> الصادق، دهاش، "موقع الدكتور محمد ابن أبي شنب من ظاهرة الإستشراق والمستشرقين"، مجلة عصور جديدة، دار القدس العربي، وهران، 2012-2013م، ع 7-8، ص 244.

<sup>197</sup> عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي، محمد ابن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 13، 24-30.

<sup>198</sup> Georges, (M), "M. Ben Cheneb (1869-1929)", in: R.A, N°70, Alger, 1929, p.151.

<sup>199</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء... المرجع السابق، ج4، ص 157.

<sup>200</sup> روني باسيه: تخرج من مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس بدبلوم التمكن من اللغة العربية والتركية والفارسية، جاء للجزائر كلف بإلقاء دروس الآداب العربية في المدرسة العليا للآداب سنة 1880م؛ فدرس اللغات الإفريقية وخاصة البربرية فعين على كرسي اللغة البربرية بالجامعة وبفضله تم إنشاء كرسي اللغة البربرية في باريس، وعين كمدير لمدرسة الآداب بعد موت ماسكاريه 1894م، وعندما أصبحت هذه المدرسة العليا كجامعة للآداب بالجزائر اختير كعميد لها ثلاث مرات متتالية. توفي سنة 1924م، وله عدة كتابات مثل: "كتاب الحملات على إفريقية والمغرب" وغيرها، ينظر:

- Alfred, Bel, René Basse, in: R.A, N°65, 1924, O.P.U, Place Centrale de Ben-

Aknoun, Alger, 1986, pp.12-15.

<sup>201</sup> إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص 50-51.

الغرب وتثقف بثقافتهم، واتبع مناهجهم العلمية لا الدينية ووظف ذلك في خدمة نفسه ووطنه وأُمَّته وإسلامه<sup>202</sup>.

كما كان ابن شنب يتقن اللغات أيضاً، وذلك أن مترجميه يذكرون أنه كان يحسن عدة لغات أوروبية وشرقية، وقد ساعده ذلك على تحقيق المسائل والأبحاث اللغوية<sup>203</sup>، فقد كان له نشاط علمي واسع وعلاقات تربطه مع علماء زمانه<sup>204</sup>، وكان له شأن كبير من قبل المستشرقين فقد جاء على لسان أحد زملائه الغربيين مايلي: "نحن زملاؤه الذين اقترحنا هذا الأستاذ الجديد صاحب هذه الشهادات المعروف بأشغاله المحترم بين المستشرقين في فرنسا وأوروبا وأمريكا وآسيا، كُنَّا ندرك بأننا قُمنَّا بأحسن اختيار، وكذلك جسدنا الإدارة الفرنسية القوية التي لا تعرف التمييز العنصري ولا الطبقي ولا العرقي ولا الديني"<sup>205</sup>.

توفي ابن شنب وعمره 60 سنة إثر مرض أصابه، ودفن في مقبرة سيدي عبد الرحمان بحضور جمع غفير من الأولياء، والأصدقاء وحتى العائلات، وكذا ممثلي الجمعية التاريخية الجزائرية، وفي هذه المناسبة يقول السيد مارلينو (Marlino): "التقاليد الجزائرية في فرنسا تجعلنا نكتب على قبر الرجال الذين أدوا مهام عليا في المجتمع وهكذا دائما فإننا نكون ممتنون لأعمال وإنجازات الرجال"<sup>206</sup>.

أما عن آثاره التي تركها فقد قام ابن أبي شنب بعمل جبار في نشر التراث العربي الإسلامي كان ضد سياسة الإدماج الفرنسية فكانت صورته تقول للاستعمار: إن الشعب الجزائري متميز عن الشعب الفرنسي بأشياء كثيرة<sup>207</sup>، ويبدو أن ميوله الشخصي قد ساعده أيضاً على ذلك، بالإضافة إلى الميول هذا أن العهد الذي نشر فيه ابن أبي شنب جهوده في تحقيق التراث، وقد ساهم في هذه العملية التي بدأت منذ حوالي 1903م عدد من الجزائريين والمستشرقين، ولكن أبرزهم ابن أبي شنب، هذا الأخير

<sup>202</sup> الصادق، دهاش، المرجع السابق، ص ص 245-259.

<sup>203</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج 4، ص ص 158-159.

<sup>204</sup> Ben Cheneb, (M), "Langue Musulmanes", in: R.A, N°49, 1905, pp.317-329.

<sup>205</sup> Georges (M), "M. Ben Cheneb...", op.cit, pp.151.

<sup>206</sup> Ibid, p.150.

<sup>207</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج 2، ص ص 156-157.

الذي ترك مؤلفات كثيرة مازال بعضها مرجعاً للباحثين إلى اليوم؛ منها: "تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب" 208.

ومن أهم ما قام به أيضاً أنه ترجم إلى الفرنسية رسالة للإمام الغزالي في رياض الأولاد وتربيتهم، ونشرت في المجلة الإفريقية سنة 1901م، وترجم رسالة أخرى تسمى: "خاتمة في رياضة الصبيان، وتأديبهم وما يليق بذلك"، ونشرت بالمجلة السابقة سنة 1897م، كما نشر عام 1908م ملخصين تحليليين عن مخطوطين باللغة العربية، ونشر أيضاً قائمة الاختصارات التي يستعملها المؤلفون العرب<sup>209</sup>، وكذا نشره لمقدمة ابن الأثير بمشاركة العالم المستشرق ألفريد بيل طبعت بالجزائر سنة 1918م، وله العديد من المؤلفات منها: "بيان أسباب تملك النصرى إسبانيا"، والذي طبع بالفرنسية سنة 1923م<sup>210</sup>.

وفي الجدول التالي نوضح ميلاد كل كاتب من كُتّاب المجلة وسنة دخوله الجزائر مع ذكر عدد

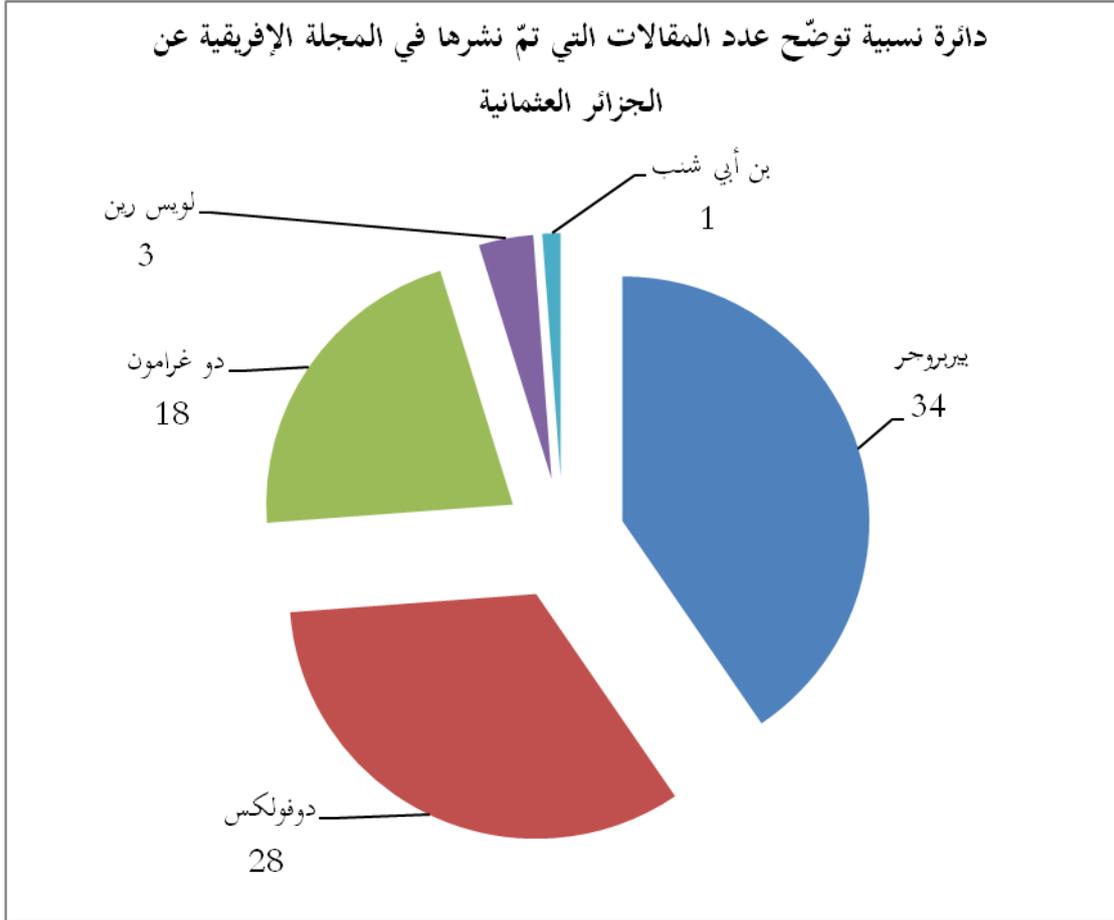
المقالات التي نشرها في المجلة الإفريقية عن الجزائر العثمانية:

الرقم	اسم المؤلف	تاريخ ميلاده	سنة دخوله إلى الجزائر	عدد المقالات التي نشرها في المجلة عن الجزائر العثمانية
01	بيربروجر	1801م	1834م	حوالي 34 مقال
02	دوفولكس	؟	؟	حوالي 28 مقال
03	دو غرامون	1830م	1850م	حوالي 18 مقال
04	لويس رين	1838م	1864م	أكثر من 3 مقالات
05	أبي شنب	1869م	جزائري	مقال على الأقل

<sup>208</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج2، ص ص 158-159.

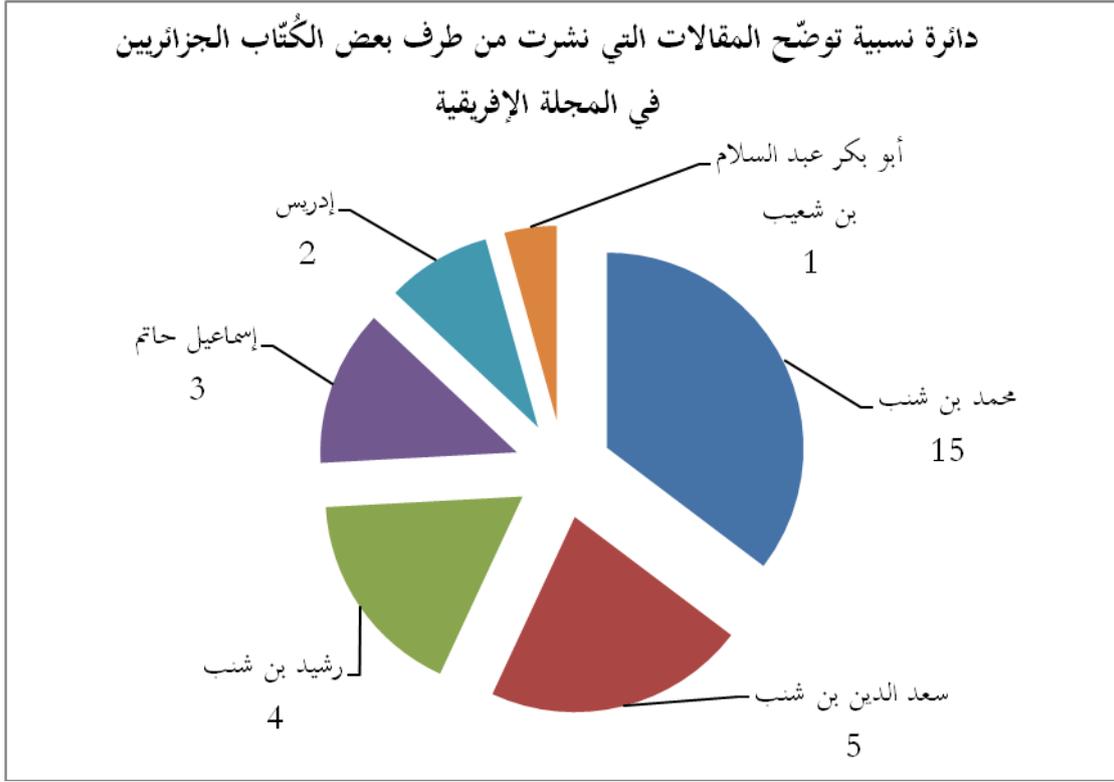
<sup>209</sup> عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي، محمد بن أبي شنب...، المرجع السابق، ص ص 18-20.

<sup>210</sup> عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 30.



نلاحظ من خلال الدائرة النسبية أن عدد المقالات التي كُتبت عن الجزائر العثمانية كانت قليلة إذ لم تتعد 84 مقال، وهذا مقارنة بمجموع ما صدر من مقالات عن المجلة الإفريقية طيلة 106 سنوات والتي بلغت 5797 مقال. ضف إلى ذلك أن نسبة مساهمة الكُتاب الجزائريين ضعيفة جداً مقارنة بنظيرتها الأوروبية وهذا راجع إلى كون المجلة فرنسية، وكذا تضيق الخناق على المساهمات الجزائرية لما لا نجعله من سياسات إستعمارية هادفة إلى طمس الهوية الجزائرية. ويمكن أن نلاحظ هذا جلياً من خلال الرسم البياني الآتي<sup>211</sup>:

<sup>211</sup> من إنجاز الطالبة.



#### سادساً: منهج كُتّاب المجلة الإفريقية في دراستهم لتاريخ الجزائر:

لقد اعتاد الكثير من كُتّاب المجلة الإفريقية أن يُؤرخوا للجزائر كمنطقة جغرافية فقط وليس عن الجزائريين كسكان لهذه المنطقة وهم بذلك يعتبرونها منطقة جغرافية من العالم تداولت عليها الأمم وتعاقبت عليها الحضارات، وهذا ما يفسر اهتمامهم بالتأريخ للفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين والأتراك العثمانيين دون اهتمامهم بالجزائريين أنفسهم كقوة فعالة تُؤثر وتتأثر، واشترك في هذه العملية الضخمة والخطيرة فئات كثيرة من الكُتّاب الفرنسيين (عسكريين ومدنيون)، الذين حاولوا بكل ما أوتوا من قوة طمس الحقائق لدعم أفكارهم وادعاءاتهم الاستعمارية<sup>212</sup>.

<sup>212</sup> عبد القادر، نايلي، المرجع السابق، ص ص 42-43.

وقد أدت هذه النظرة بمؤلاء الكُتّاب الفرنسيين - بما فيهم كتاب المجلة الإفريقية - إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متكامل، وأمة متماسكة، وهذا ما يؤكد قول أرنست مارسيه: "السكان المتنوعون جداً لا يملكون أي رباط وطني وتمّ تخليصهم من السادة القساة"<sup>213</sup>، وبهذه النظرة لم تكن الجزائر تعدو عن كونها منطقة جغرافية تعاقب عليها الحكام وتنقلت عبرها القبائل والعشائر المتناحرة، لا تُخضعها إلا القوى الكبرى كالرومان والأتراك والفرنسيين<sup>214</sup>، ومن هنا لا نستغرب أن يتولى العسكريون - وهم الذين على صلة مباشرة بالسكان المحليين - كتابة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، فمن أجل ذلك ظهر كُتّاب عسكريون ومدنيون أمثال: دوفولكس، لويس رين، دو غرامون، بيربروجر وغيرهم، الذين كتبوا في المجلة الإفريقية لاكتشاف الجزائر ولمعرفة أحوال أهلها في الماضي<sup>215</sup>.

فحاولوا جمع المادة التاريخية وإن كان أكثرها من مصادر غريبة، وأرشفات أوروبية والقليل منها عبارة عن وثائق محلية تمّ الاستحواذ عليها في أغلب الأحيان بطرق غير شرعية مثل الوساطة التي استعملها بيربروجر في حيازة 800 مخطوط بطرق ملتوية أو التي تستر وراءها البارون دو سلان<sup>216</sup>.

وانطلاقاً من هذه النظرة سنحاول التعرّف على منهج وطبيعة دراسة هؤلاء الكُتّاب والتي تمت في هذا المجال وذلك بتلمس خصائص الإنتاج التاريخي المتعلق بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر نوجز أهمها في النقاط الآتية؛ فالمادة التاريخية التي استعملها الكُتّاب الفرنسيون لم تكن تتجاوز في أغلب المصادر الغربية والأرشفات الأوروبية التي يتألف أغلبها من مذكرات الرحالة ومراسلات القناصل وتقارير التجارة، وهذا الاعتماد على المصادر الأوروبية دون سواها راجع إلى محاولة هؤلاء الكُتّاب معرفة الجزائر آنذاك من خلال المشاهدة والملاحظة لا بواسطة الوثائق التركية والعربية.

ولم يروا فائدة في الرجوع إلى تلك المصادر بعد أن وحدوا ضالتهم في الأرشفات، والكُتّاب الأوروبية، وقد نتج عن هذا الإهمال للمصادر المحلية أن أصبح كثير من هؤلاء الكُتّاب يشككون في

Mercier, Ernest, L'Algérie devant le parlement en 1893, Constantine, Imprimerie Marle, 1913, p.17.

213

<sup>214</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ص 36.

<sup>215</sup> المرجع نفسه، ص 20.

<sup>216</sup> ناصر الدين، سعيدوني، الكتابات التاريخية...، المرجع السابق، ص 36.

صحة تلك الوثائق العربية والتركية ويصفونها بالمبالغة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل راح بعض الكُتّاب المختصين يؤكدون بأن الجزائر التركية يجب أن تُدرس من خلال الروايات والملاحظات الأوروبية لا عن طريق المصادر المحلية بحجة أن هذه المصادر لم تهتم بالأترك وبعلاقتهم مع الأوروبيين، بل وتوجه العديد منهم بالنقد اللاذع للأترك بهدف إضفاء الصبغة الشرعية على التواجد الفرنسي بالجزائر، وفي هذا الصدد نذكر قول مارسيه: "قدّمت فرنسا في 1830م خدمة للإنسانية تتمثل في وضع حد للوضع غير المحتملة التي صنعها القراصنة الجزائريون في البحر المتوسط وشواطئه"<sup>217</sup>، ويضيف قائلاً: "ومن نتيجة لذلك كان القرار بتدمير وكر القراصنة الذين نشروا الرعب في المتوسط منذ 3 قرون"<sup>218</sup>.

إن جُل ما كتب حول الفترة العثمانية يعتبر بالنسبة لاهتمامات التاريخ الجزائري من بين القضايا الجانبية والموضوعات الهامشية، ومن أهم كتاباتهم أنها لا تبرز أوضاع البلاد إلا من خلال الحملات الانتقامية للحكام العثمانيين، والاعتداءات المتكررة لرجال البايك والفوضى والاضطرابات التي كانت تعيشها المجموعات العشائرية<sup>219</sup>.

وهكذا نلاحظ أن الكُتّاب الفرنسيين من خلال دراساتهم المعرّضة حاولوا التعرض إلى كل الموضوعات تقريباً دون المجتمع الجزائري الذي لم يُسلموا بوجوده وإن هم استعملوا مثل هذه العبارة في بعض الأحيان فإنهم كانوا يقصدون طائفة الدخلاء، ومرد هذه الدراسة المعرّضة التي عبر عنها هؤلاء الكُتّاب الفرنسيون عن الجزائر العثمانية، كما تميزت كتاباتهم بانعدام التخصص واعتماد هؤلاء الحكام والقادة على الهوية الشخصية في تسجيل الأحداث ووصف الانطباعات والتعليق عليها مما جعل هذا الإنتاج أقرب إلى الثقافة العامة إلى التاريخية بالمعنى الصحيح<sup>220</sup>.

نخلص إلى القول بأن اهتمامات هؤلاء الكتاب لا تختلف عن اهتمامات السلطة الفرنسية الاستعمارية؛ فالكتاب العسكريون مثلاً كانوا ينشرون أعمالاً ودراسات محملة بفكر يشيد بالاستعمار، كما بحث هؤلاء عن تراث روما القديم وتقاليدتها في مجال الحكم، وحدودها في السيادة والعمران ورأوا أن

Mercier, Ernest, "L'Algérie...", op.cit, p.17.

217

Ibid, p.11.

218

219 ناصر الدين، سعيدوني، الكتابات التاريخية....، المرجع السابق، ص 28-30.

220 المرجع نفسه، ص 33-35.

العرب والمسلمين هدموا ذلك وأسسوا على حطامها حضارة أخرى ما كان لها أن تكون<sup>221</sup>، فجاءت فرنسا لتعيد مجد الحضارة الأوروبية في المنطقة.

وهكذا لا تكاد تخلوا دراسة من ذكر روما والرومان في شمال إفريقيا ومحاولة ربط عادات وتقاليد وثقافة البربر بالثقافة الرومانية القديمة، وتصوير الإسلام والعرب أنه غريب في المنطقة بما يخدم السياسة الاستعمارية ويبين عظمة فرنسا ومكانتها المرموقة بين دول العالم، وفي هذا الصدد يذكر قيزو (Guzot) قوله: "لا توجد فكرة قوية عبرت العالم ولا مبدأ حضاري كبير إلا وقد مرّ بفرنسا"، ويضيف قائلا: "ففي كل رقعة من الأرض نمت فيها فكرة كبيرة إلا وكتاب فرنسي كان قد بذرها"<sup>222</sup>.

ومن خلال ما سبق نخلص للاستنتاجات الآتية:

- أن المجلة الإفريقية تتسم بقيمة وثائقية لا تُنكر وهي بحق ذات قيمة علمية كونها تحتوي على دراسات قيمة في مختلف ميادين البحث العلمي؛ لذلك فهي تحتاج إلى كثير من البحوث حولها تتناولها بالدراسة والبحث.

- تم تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1856م، فقامت بإصدار المجلة الإفريقية.

- كان صدور المجلة الإفريقية بالأرقام حسب الشهور ثم أصبح بالسنوات.

- أن للمجلة الإفريقية أهداف عسكرية أكثر منها علمية، معلنة وأخرى خفية ونتيجة لهذا تم إلغاء جانب مهم من تاريخ الجزائر. ومن ذلك الارتباط الذي حاول المستشرقون الفرنسيون إقامته بدراساتهم وإعطائها صبغة معرفية لها امتدادات بالمشاريع الاستعمارية الفرنسية.

- تختلف المواضيع المنشورة في المجلة الإفريقية باختلاف الكتاب واهتماماتهم فمثلا: شيربونو اهتم بحكايات المسلمين والأضرحة، وبروجر اهتم منذ البداية بالآثار الرومانية، أما ديفوكس فقد اهتم بالمؤسسات.

<sup>221</sup> أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900م)، ج1، 2000م، ص 586.

<sup>222</sup> جمال، قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 101.

- يجب أن نفهم مسألة الكتابات الفرنسية والإسبانية حول الجزائر عامة ووهران والمرسى الكبير خاصة، من أجل وضع الباحثين في صورة الكتابات، من وثائق ونصوص وإظهار حقيقة هذه الكتابات بين ظاهرها العلمي وباطنها الاحتلالي.

- إنه من الأهمية بما كان تمهيد الدرب أمام دراسة جدية تسمح بمواصلة العمل نحو الخوض في مواضيع المجلة الإفريقية والتفصيل فيها، وعلى ضوء ما تقدم وبالنظر للظروف العامة التي اتسمت بها هذه المرحلة التاريخية من تاريخ الجزائر والأسباب التي من أجلها أنشأت المجلة الإفريقية التي كانت تصبوا إلى خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي. وبغض النظر عن التأويلات وبعض الشروح التي خرج بها الباحثون التي كانت تخدم في المقام الأول تطلعات السلطة العسكرية التي حكمت مدة مائة واثنين وثلاثين سنة، إلا أنه ومن باب الموضوعية يجب القول بأن النتائج العلمية التي توصل لها، والدور الكبير في إرساء قواعد المنهج الأنثروبولوجي بالجزائر مما سمح للعديد من الباحثين الجزائريين من امتلاك تقنيات البحث في التاريخ والأنثروبوجيا، من خلال الأعمال التي أنجزت في المجلة.

- كما أنه لا يمكن فهم تاريخ الجزائر بصورة أدق إلا من خلال الكتابات الفرنسية هذه؛ التي ينبغي أن نضعها في حيزها الخاص من التعامل دون إهمالها، لأن التعامل العلمي معها يُمكننا من بناء القراءات التاريخية.

## الفصل الثالث:

### نشرية وهران الجغرافية والأثرية (BSGO) 1878م.

أولاً: تعريف الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران شكلاً ومضموناً.

1- من حيث الشكل.

2- من حيث المضمون.

ثانياً: حملها للتسمية الجديدة.

ثالثاً: كيفية الانضمام إلى الجمعية والعضوية فيها.

رابعاً: نشاط الجمعية خلال الحقبة الاستعمارية (1878م-1962م).

خامساً: نشاط الجمعية بعد الاستقلال 1962م.

سادساً: منهج كتاب الجمعية ودوافع البحث في تاريخ الجزائر وهران على وجه الخصوص.

سابعاً: منشورات الجمعية.

ثامناً: تبادل النشرة مع الجمعيات العلمية والأكاديمية.

تاسعاً: الصعوبات التي واجهت عملية نشر النشرة خلال الحرب العالمية الثانية 1939-

1945م.

عاشراً: مطابع منشورات جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران.

تعد منطقة الغرب الجزائري لاسيما ولاية وهران من بين أكبر مدن الجزائر فهي ثاني أكبر مدينة بعد الجزائر العاصمة ومن أكثر المناطق الجزائرية التي تحتوي على رصيد متبقي يعكس مختلف الحقب التاريخية؛ حيث تتنوع مزاياه بين نُحف ومقتنيات من العصور الرومانية وأخرى من حقب بيزنطية وإسلامية. كما تنفرد وهران بامتلاكها متحفاً يحتوي على مختلف الأعمال الفنية.

ومن هذا المنطلق عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر على البحث المستمر في مختلف المجالات، ومع تقدم انتشاره في ربوع البلاد؛ بدأ بعض المستشرقين التنسيق مع باحثين في الإدارة الاستعمارية وذلك بالعمل على إقامة مؤسسات ميدانية للاهتمام والبحث عن النقوش والآثار في العديد من المدن الجزائرية من بينها مدينة وهران، فكان ذلك بداية لميلاد "جمعية الجغرافيا والأركيولوجيا لمدينة وهران"، هذه الأخيرة التي ارتأينا تسليط الضوء عليها لما لها من أهمية بالغة في كونها تُعد مصدراً من مصادر البحث في تاريخنا لغناها المعرفي التاريخي الحضاري الذي مسّ مختلف جوانب المعرفة التاريخية والجغرافية للمغرب العربي عامة والجزائر وهران على وجه الخصوص. لهذا وجب علينا دراستها والاهتمام بمحتواها وعدم الاستغناء عنها. ومن هنا نطرح التساؤلات التالية: متى تأسست هذه المجلة؟ وما القيمة التاريخية والحضارية لما احتوته من نصوص ومقالات؟ وما الأهداف التي سعت إلى تحقيقها؟ وما طبيعة المنهج الذي اعتمده كُتّابها؟

أولاً- تعريف الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران ( Société de Géographie et d'Archéologie de province d'Oran ) شكلاً ومضموناً:

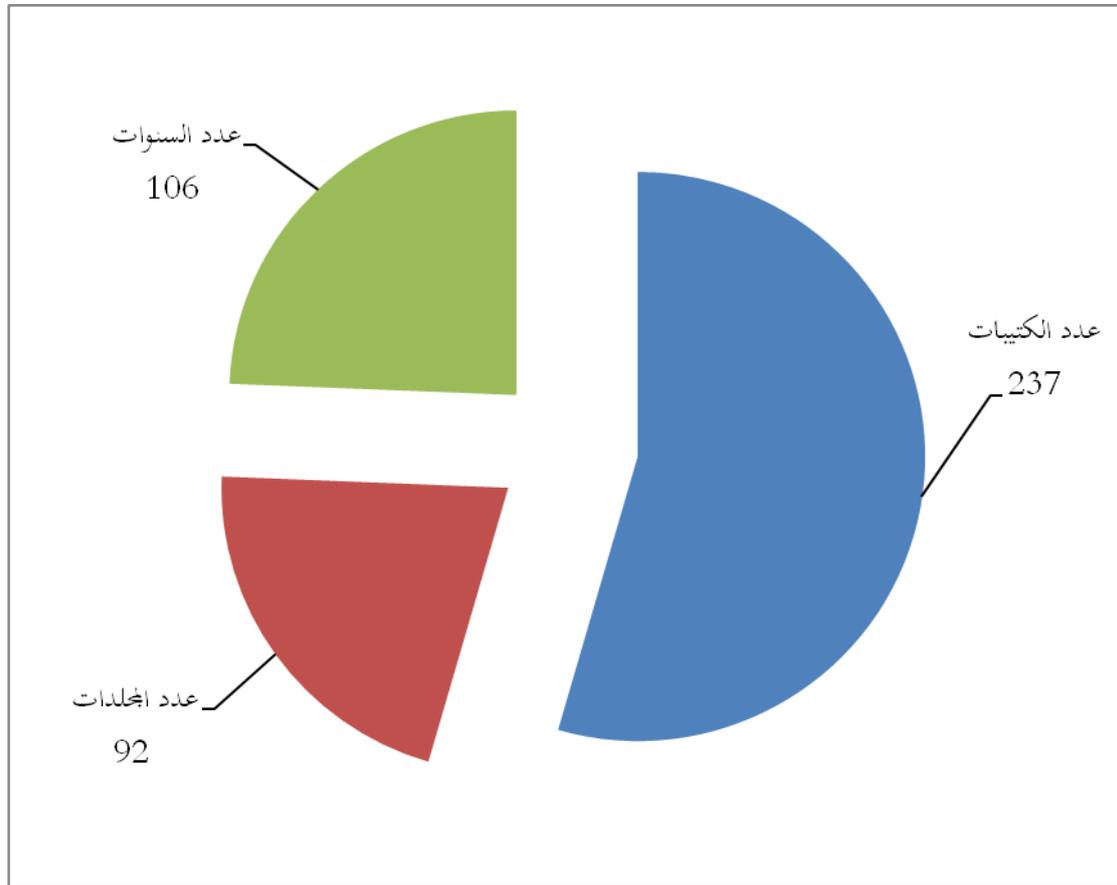
### 1- من حيث الشكل:

قبل الشروع في الحديث عن النشرية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران وأهداف تأسيسها ارتأينا أنه من الضروري إعطاء تعريف، ووصف ولو مختصر للنسخة المتوفرة هنا عندنا في الجزائر لهذه المجلة من الناحية الشكلية حتى يتسنى للقارئ رسم صورة في ذهنه حول هذه المجلة، فنشرية وهران الجغرافية والأثرية هي عبارة عن حولية أكاديمية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر دام نشرها وطبعها مائة وستة سنوات (106) في اثنان وتسعون مجلداً ضمن مائتين وسبعة وثلاثون كتيباً (237)<sup>1</sup>. احتوت

<sup>1</sup> Saddek, Benkada, « Un patrimoine culturel : les Publications de la Société de géographie et d'archéologie d'Oran », Insaniyat, 12, sept-déc 2000, p.12.

موادها على كل ما يمت بصلة إلى التاريخ بمعناه العام: الآثار، التاريخ بعصوره المختلفة، الجغرافيا، اللغات وغيرها. غير أن النصيب الأوفر فيها كان في باب الآثار والجغرافيا، حيث قام دارسوا المجلة بكل ما من شأنه أن يخدم نظرتهم إلى التاريخ والحضارة وجغرافية المنطقة من مختلف جوانب المعرفة التاريخية والجغرافية للمغرب العربي عامة والجزائر وهران على وجه الخصوص، فقاموا بالإشارة والتصنيف ودراسة وترجمة كل ما يمت بصلة إلى ذلك.

وفيما يلي دائرة نسبية توضّح لنا مجموع مجلدات وكتيبات النشيرية في الفترة ما بين 1878-1988م<sup>2</sup>:



نلاحظ من خلال الرسم أن أعداد النشيرية التي أصدرتها طيلة 106 سنة قد بلغت 92 مجلد أي بمعدل مجلد كل سنة تقريباً، بمجموع كراستين في السنة. مع العلم أن النشيرية قد تخللتها فترات انقطاع كان سببها بالدرجة الأولى راجع إلى الأوضاع السياسية آنذاك؛ مثلما حدث في الفترة الممتدة ما بين

<sup>2</sup> من إنجاز الطالبة.

(1956-1962)، أي فترة اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر. لتستأنف صدورها بعد ذلك وإلى غاية 1988م.

وقد ارتأت جمعية الجغرافيا والآثار لوهران بإصدار مجلة دورية تبحث في تاريخ الآثار والنقوش الرومانية القديمة في شمال إفريقيا، وبالتحديد في الجنوب والغرب الجزائري وكذا المغرب الأقصى، وكان لها ذلك مع بداية سنة 1878م. والجدير بالذكر، أنها الجمعية العلمية الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة بعد الاستقلال عام 1962م، في حين أن مثيلاتها قد توقفت عن نشاطها عشية الاستقلال. وما يمكن الإشارة إليه أن هذا الاستثناء كان بفضل المبادرة التي أخذتها النخبة المحلية على عاتقها في تلك الفترة، باسترجاعها لهذا المعلم العلمي وإدماجه في النسيج الجمعوي الجديد، وكذا إعطائه المكانة العلمية التي يستحقها ما جعلها مرجعاً هاماً لا غنى عنه وجزء لا يتجزأ من التراث الثقافي الوطني لما تحويه من وثائق هامة ونادرة.

تعد النشرة الجغرافية والأثرية لوهران من أهم المصادر التاريخية، ما جعلها تحظى بعناية بالغة من قبل الفرنسيين؛ وذلك لثرائها المعرفي، التاريخي والحضاري واشتمالها على العديد من التخصصات، ومن بين هذه المجالات التي اهتمت بها: التاريخ والتراث العربي الإفريقي عامة، المغاربي والجزائري على وجه الخصوص. وهكذا كانت المجلة تقوم بنشر مختلف مقالات وأعمال الباحثين، وكانت موضوعاتها شاملة ومتعددة شملت مجالات عديدة منها: التاريخ والآثار والإثنوغرافيا، والعادات والتقاليد، الثقافة، اللغويات، الجغرافيا، الجيولوجيا، السير والتراجم، الرحلات والتقارير... الخ.

وهي متوفرة ورقياً مطبوعة على شكل مجلدات في مجموعة قليلة جداً من المكتبات الجزائرية العمومية الموجودة بمدينة الجزائر وهران على وجه الخصوص<sup>3</sup>، مع توفر بعض الأعداد منها في مكتبة

<sup>3</sup> فيما يخص المكتبات العمومية بمدينة الجزائر العاصمة والتي تتواجد بها نسخ من المجلة نذكر: المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، وكذا مكتبة قصر الرياس أو الحصن 23 والذي يعد من أهم المعالم التاريخية لمدينة الجزائر العاصمة. كما يمثل أحد شواهد الماضي المجسدة على امتدادات مدينة الجزائر (القصبية) نحو البحر في الفترة العثمانية. يقع في شمال شرق بلدية القصبية عند نخب أول نوفمبر 1954م.

أما فيما يخص المكتبات بمدينة وهران فنذكر: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، الذي أنشأ بموجب المرسوم التنفيذي الصادر بتاريخ 23 ماي 1992م في الجريدة الرسمية العدد 40. كان عدد الباحثين سنة 2007م: 174 باحثاً، من بينهم 30 باحث دائم. وكان عدد موظفي دعم البحث في 2010م: 75 موظف.

– المتحف الوطني أحمد زبانة (Musée Demaeght) يقع وسط مدينة وهران، أنشأته سنة 1885م الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران.

واحدة خاصة متواجدة بمدينة وهران ألا وهي مركز التوثيق الاجتماعي والاقتصادي (C.D.E.S)<sup>4</sup>. كما يوجد فهرس خاص يتضمن محتوى المجلة، فقد نشرت الجمعية قائمة جداول أعمالها بداية من سنة 1898م ضمن فهرس عام في جزئه الأول يحتوي على 260 صفحة للسنوات العشرين للمجلة (1878-1898م) بمناسبة الاحتفال بالذكرى العشرين لتأسيس الجمعية. وقد تم إصدار جزء الثاني من الفهرس سنة 1910م للفترة الممتدة ما بين (1898-1907م)<sup>5</sup> ضمن 83 صفحة. وفي سنة 1930م تم إضافة جدول آخر للفترة ما بين (1908-1927م) ضمن 128 صفحة<sup>6</sup>.

والجدير بالذكر أن هذه المجلة متوفرة إلكترونياً بكل أعدادها على موقع المكتبة الوطنية الفرنسية (BnF)، وباستطاعة كل من الأساتذة والطلبة والمهتمين بالإطلاع عليها والاستفادة منها<sup>7</sup>، وتعتبر هذه النسخة الإلكترونية مشاهجة إلى حد كبير للنسخة الورقية المطبوعة. لكن الجدير بالذكر أن ما توفر منها من أعداد على موقع المكتبة الإلكتروني وباستطاعة تحميله ليس بالشيء الكثير، أم باقي المجلدات فيسمح بقراءتها فقط من الموقع مباشرة، أما الحصول عليها بصيغة (PDF) فلا يكون إلا عن طريق الدفع الإلكتروني.

وباستخدام الشبكة العنكبوتية ومحركات البحث عثرنا على فهرس إلكتروني خاص بمواضيع النشرة الجغرافية والأثرية لإقليم وهران<sup>8</sup>، والجدير بالملاحظة فإن الغلاف الخارجي للمجلة لا يوجد به لون

<sup>4</sup> مركز التوثيق الاقتصادي والاجتماعي (C.D.E.S. Sophia)، وهي مكتبة تابعة للجمعية الأسقفية الجزائرية بوهران، أنشأ المركز عام 1963م، والبنية التي يتواجد فيها المركز كان عبارة عن أقدم كنيسة في وهران "سانت إسبري" التي تم تشييدها في 1852م، حيث تحوي على كنوز معرفية ثمينة؛ عبارة عن كتب قديمة كالنصوص والمصادر والمجلات، والتي تم جمعها من خلال الهبات منذ 1963م إلى اليوم. وتم تقسيم المركز سنة 1991م إلى مكتبتين: "سي دي أس ابن خلدون" بالقرب من ثانوية لطفي، و"سي دي أس صوفيا" بشارع العربي بن مهيدي، لتبدأ منذ 2003م عملية تحويل كتب التاريخ، الفلسفة، علم النفس، الآداب وفي 2017م الهندسة المعمارية، من المكتبة الأولى إلى الثانية، ومن ثمة تخفيف الضغط عن "مركز ابن خلدون" وإيجاد فضاء جديد للمطالعة بغية تسهيل عملية البحث الأرشيفي وتدعيم المكتبتين بمؤلفات جديدة لفائدة الطلبة والباحثين والأساتذة الجامعيين.

<sup>5</sup> -B.S.G.A.O, "Journal des Travaux de la Société Table générale (2° Partie 1878-1907), T27, 1907, Oran, 434 p.

<sup>6</sup> متاح على الموقع: <https://www.scribd.com/document/294516757/Bulletin-d-Oran>

<sup>7</sup> للإطلاع على الأعداد المتوفرة من المجلة راجع موقع المكتبة الوطنية الفرنسية: [gallica.bnf.fr/](https://gallica.bnf.fr/) [https://archive.org/details/bulletintrimestr\\_soci](https://archive.org/details/bulletintrimestr_soci)

<sup>8</sup> متاح على الموقع: <https://www.scribd.com/document/294516757/Bulletin-d-Oran> وينظر أيضاً: الموقع: <https://archive.org/details/bulletintrimestr2728soci>

أو رسم معين مثلما هو الحال في المجلة الإفريقية مثلاً، بل في معظمها مجلدات ذات غلاف ورقي سميك موصول بقطعة جلدية بطول 3 أو 4 سم لحماية المجلد من التآكل والتلف عند استعماله. ويبقى نوع ولون الغلاف ووجوده من عدمه يتنوع ويختلف باختلاف المكان الذي تتواجد فيه المجلة، ومدى الاهتمام الذي تحظى به داخل رفوف المكتبات، ومن قبل شريحة القراء والمهتمين.

ولم يتغير غلاف هذه المجلدات من المجلد الأول وإلى غاية آخر مجلد (1878-1983م)، كُتب على أعلى صفحة الغلاف اسم المجلة ( Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran ) باللون الأسود، وعلى الجهة اليمنى من صفحة الغلاف يوجد سنة طبع المجلد، بينما في الجهة اليسرى يوجد رقم عدد المجلد، أما أسفل الصفحة فيوجد به دار ومكان نشر هذه المجلة.

أما طول المجلد الواحد فيبلغ حوالي 23 سم، وعرضه يبلغ 16 سم، لكن ثُمك المجلد الواحد يختلف من مجلد إلى آخر يتراوح ما بين 1.3 سم إلى 2.5 سم أو أكثر بقليل، وعدد الصفحات في كل عدد تتراوح ما بين حوالي 300 صفحة إلى 600 صفحة، ونوع الورق المستعمل ورق عادي وغير ناصع اللون يميل إلى الاصفرار وسريع التلف في العديد من المجلدات، أما نوع التجليد فبواسطة الغراء، أو باستعمال الخيط.

لُغة هذه المجلة هي الفرنسية، أي أنها كانت ناطقة باللغة الفرنسية لكن وردت فيها لغات أخرى ضمن النصوص الفرنسية كالعربية، البربرية، والإسبانية وغيرها. كما تحتوي بعض المجلدات على مقدمة والبعض الآخر لا، كما أنه في بداية كل مجلد يوجد فهرس للمواضيع التي يتناولها المجلد مع أسماء مؤلفيها، بالإضافة إلى وجود قائمة الأعضاء المساهمين في المجلة.

حُرُوف الطباعة عادية وغير مائلة، أما العناوين الداخلية منها ما هو عنوان بحث ومنها ما هو عنوان باب أو عناوين فرعية، فقد احتوت هذه المجلة على نصوص وقصائد شعبية بلهجة محلية ومعانٍ

تاريخية كما احتوى على أسماء أماكن وأشخاص مكتوبة باللغة العربية واللهجة المحلية التي أوردتها بعض المؤرخين، والتي ربما فرضت نفسها أو أملت الحاجة العلمية<sup>9</sup>.

لون الخط الذي كُتبت به المجلة هو اللون الأسود وهو خط مقروء وواضح إلى حد كبير، إلا في بعض الحالات النادرة التي يصعب فيها قراءته نظراً للأخطاء المطبعية، وهذا أمر طبيعي. كما تحتوي المجلة على رسومات توضيحية، وأشكال وخرائط، ومخطوطات عربية، وعليه يمكن القول أن المجلة قد استخدمت كل ما من شأنه أن يوضح المعلومات والحقائق التاريخية. "كما احتوت المجلة على صور مزهريات ورسوم، وكائنات مختلفة"<sup>10</sup>. وباختصار فإن ترقيم الصفحات جاء في أعلى الصفحة كما أن بعض المقالات التي تناولتها المجلة لا تحتوي على عناوين فرعية كما هو سائد في وقتنا الحالي.

## 2- من حيث المضمون:

كانت النشريات الجغرافية والأثرية لإقليم وهران عبارة عن مجلة تاريخية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية من خلال الجمعية الجغرافية لإقليم وهران، في 4 ماي 1878م على يد تروتاباس (Trotabas) (1828-1897م)، وتعتبر كأول مطبوعة صدرت عن الجمعية تحت عنوان: "النشريات الجغرافية لإقليم وهران" على صورة أعداد فصلية أو دورية؛ جمعت على شكل مجلدات ابتداء من عام 1878م إلى غاية 1983م، صدر العدد الأول منها ما بين (1878-1881م). وبعد مرور ثلاث سنوات، أي في عام 1881م، قررت الجمعية إعطاء مكان كبير، في دراساتها، للبحث الأثري، وبالتالي أخذت التسمية التي ما تزال تحملها حتى اليوم. تنشر جمعية الجغرافيا والآثار لإقليم وهران منذ البداية نشرة ظهرت فيها خمسة مجلدات من عام 1878م إلى عام 1885م. وشكل الجزء الأثري من هذه النشرة من عام 1881م إلى عام 1885م مُرفقاً إلى الجزء الجغرافي، لتشكيل نشرة فصلية للآثار الإفريقية (Bulletin des antiquités africaines)، كونت في مجموعها ثلاثة مجلدات. من عام 1886م؛ توقفت الجمعية عن نشر نشرة الآثار الإفريقية، لكن جول بوانسوت<sup>11</sup> (Jules

<sup>9</sup> B.S.G.A.O, "Résumé des Travaux de la société de Géographie et D'archéologie de la Province D'Oran de 1898 a 1907", T27, 1907, p.12.

<sup>10</sup> B.S.G.A.O, "Résumé des Travaux...", op.cit, T27, 1907, p.12.

<sup>11</sup> جول بوانسوت (1844-1900): محام وكاتب. ورغم الثروة التي تركها له والده إلا أنه كان شخصاً عصامياً، واستغل هذه الثروة في جمع الكتب حيث كانت مكتبته مكتبة رجل مثقف، بما في ذلك الأعمال الأدبية والقواميس والأطروحات التقنية في المجالات التي أحبها.

(Poinssot)، وبمساعدة من المتعاونين الرئيسيين في هذه المجموعة، سعى إلى مواصلتها في شكل نشرية مستقلة وتحت عنوان: "مجلة إفريقيا الفرنسية Revue de l'Afrique française". تحتوي هذه المجلة على ثلاثة مجلدات منشورة من عام 1886م إلى عام 1888م، مرقمة من المجلد الرابع إلى السادس، إلا أن هذه المجلدات الثلاثة لم تنشرها الجمعية.

وقد تأسست جمعية الجغرافيا والأركيولوجيا لمقاطعة وهران<sup>12</sup> في 4 ماي 1878م برئاسة ضابط البحرية ومدير ميناء المرسى الكبير تروتاباس؛ في الاجتماع العام التأسيسي في 17 أبريل 1878م<sup>13</sup>، وتم تعيين أوغست بومال (Auguste Pomel)<sup>14</sup> عالم الآثار والحفريات رئيساً شرفياً لها. وتم

وهو كاتب محبوب واسع المعرفة، يرضي شغفه من خلال الحصول على العديد من الأعمال. وقد كان لديه شغف بثلاثة أشياء وهي: الكتب والمطبوعات الجميلة والموسيقى. كان يقرأ الكتب بشكل مفرط، حيث كانت شفته مزدحمة بالكتب التي، علاوة على ذلك، لم يكن قد اشتراها بشكل عشوائي. قادته مشاركته في الجيش وعن طريق الصدفة في 1870-1871م إلى قسنطينة، حيث بدأ شغفه بالتاريخ وخاصة بالنسبة للجغرافيا القديمة لشمال إفريقيا. ومثل معاصريه، سعى لفهم واستكشاف الجزائر، ثم تونس، من زوايا مختلفة: الجغرافيا، علم الآثار، الكتابة والنقوش، الجيولوجيا، الأرصاد الجوية، علم المعادن، التاريخ، الهندسة المعمارية، الإثنوغرافيا. وقد كانت هناك ثلاث بعثات استطلاعية أثرية قام بها بوانسوت في الجزائر وتونس بين 1875 و 1882م. في 1881-1882م، سافر عبر وسط تونس بحثاً عن المواقع والطرق القديمة والنقوش المعروفة بالمصادر الكلاسيكية. ثم قام بتوجيه بعض الوثائق التي حصل عليها في هذه المناطق - الجزائر وتونس- لإثراء أعماله والتي تعتبر كنواة أولى لجميع ما سيأتي من إنجازات، وهذا ما تعكسه جداول محتويات المجلة التي أسسها عام 1882م ألا وهي "نشرة الآثار الأفريقية"، التي تم استبدالها في عام 1886م بـ "مجلة إفريقيا الفرنسية Revue de Afrique française"، وكذا مجموعة واسعة من الكتب في المجال الأفريقي القديم. ومن خلال هذه المجموعة من المصادر، ناهيك عن الكتب، تظهر بالفعل الرغبة في بناء مجموعة وثائقية حقيقية، وهي أداة العمل الأكثر اكتمالاً الممكنة في شمال إفريقيا. توفي بوانسوت في عام 1900م.

<sup>12</sup> إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص 29.

<sup>13</sup> Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire La Fondation de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran: Compte -rendu du vingtenaire de la Société, in: B.S.G.A.O, T18, p.X.

<sup>14</sup> بومال نيكولا أوغست: ولد سنة 1821م بفرنسا جيولوجي وعالم آثار والحفريات، دخل مدرسة المناجم وتخرج منها كمهندس مدني، نفي إلى الجزائر سنة 1852م بسبب آرائه الديمقراطية ليستقر بوهران، ثم أصبح مستشاراً عاماً لمقاطعة وهران وانتخب كسيناتور. كلف بتقديم محاضرات الجيولوجيا في المدرسة التحضيرية للتعليم العالي بالجزائر العاصمة، ثم عين كمدير على هذه المدرسة، كما عين كرئيس شرقي للجمعية الأثرية والجغرافية لإقليم وهران سنة 1878م، توفي سنة 1898م. ومن أهم أعماله: "خريطة جيولوجية لمقاطعة وهران" بإيعاز من الحكومة الفرنسية، "الجنس الأهلي في الجزائر". ينظر:

VILLOT, (R), Auguste POMEL, Démocrate et Savant (1821-1898), in: B.S.G.A.O, T78, 1955, pp.5-12.

انتخاب أول مجلس إداري للجمعية في 17 مارس 1879م من قبل الرائد لويس ديمائت (Louis Demaeght) (1881-1898م)<sup>15</sup> كعضو في الجمعية كونه كان مختص في علم الآثار والنقوش (épigraphe)<sup>16</sup>. وقد بلغ عدد الأعضاء آنذاك 129 عضواً، ليصل إلى 250 عضواً سنة 1898م؛ أي بعد مرور عشرين سنة على تأسيسها<sup>17</sup>، وقد بلغ في السنة الموالية أي عام 1899م 275 عضواً، وما سجلته الجمعية من تراجع في عدد أعضائها خلال بعض الفترات كان سببه في الغالب عدم استقرار أعضائها وعودتهم إلى فرنسا أو نتيجة الفراغ الذي تحدثه الموت<sup>18</sup>. ومن بين أعضائها نذكر: بوتي (M. Bouty) (1885-1901م)<sup>19</sup>، فوك (Fouque)<sup>20</sup>، موننتو

<sup>15</sup> لوران لويس فيليب دومائت (1831-1898م) ولد في دونكيرك بفرنسا عام 1831م، مختص في علم الآثار والكتابة والنقوش، أنهى خدماته العسكرية في 1879م، كقائد كتيبة، نقيب متقاعد، اهتم بالجمع والتنقيب عن الآثار بالغرب الجزائري، ما سمح له بجمع مجموعة من العملات المعدنية القديمة، وكذا إحراز تقدم في معرفة موريتانيا القيصرية. اشتغل لمدة أربع سنوات في مكتب الشؤون العربية منذ قدومه للجزائر سنة 1857م، كما يُعد عضواً في مجلس إدارة الجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران سنة 1879م وفي السنة نفسها تم تعيينه كقائد لمكتب تجنيد وهران، حصل على عدة أوسمة شرفية كوسام جوقة الشرف عام 1868م، عين أول محافظ لمتحف مدينة وهران عام 1885م، وفي اجتماع الجمعية العامة يوم 24 ماي 1880م تم انتخابه كنائب للرئيس، عرضت عليه في العديد من المرات تولي رئاسة الجمعية إلا أنه رفض ذلك واكتفى بمنصب الأمين العام، ليكرس نفسه كلية لعمله الأثري، كان شغوفاً بفن الخط وعلم النقود القديمة (المسكوكات). كان له العديد من المؤلفات "خريطة موريتانيا القيصرية"، "دراسة حول بورتوس ماغنوس"، "الخط العربي"... الخ، والعديد من المقالات التي نشرتها العديد من الجمعيات. توفي بوهرا في أبريل 1898م بعد أيام قليلة من الاحتفال بالذكرى العشرين لتأسيس الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران. ينظر:

- Article Nécrologique (M. le Commandant Demaeght), in: B.S.G.A.O, 1898.

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.10.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaries..., op.cit, p. X.

Ibid, p.XII.

<sup>18</sup> للإطلاع أكثر على قوائم الأعضاء في الجمعية ومهامهم، ينظر:

-B.S.G.A.O, "Liste générale des Membres de la Société an 1<sup>er</sup> Janvier 1899", T19, 1899, Oran, pp.I-XV.

-B.S.G.A.O, "Liste générale des Membres de la Société Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran" an 1<sup>er</sup> Mars 1907, T27, 1907, Oran, pp.1-17; et T42, 1922, pp.1-20.

-B.S.G.A.O, "Liste générale des Membres de la Société an 1<sup>er</sup> Mars 1913", T33, 1913, Oran, pp.1-18.

<sup>19</sup> بوتي (1828-1904م): مراقب رئيسي للمناجم متقاعد، كان من أبرز مؤسسي جمعية الجغرافيا والآثار لإقليم وهران، كان مهتماً بكل ما يتعلق بالجزائر. ينظر:

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.11.

(Mantoz)، إيميرات (Emerate)، إيجونات (M. Hugonnet) (1880 - 1884م)،  
بيديي<sup>21</sup> (Bédier) (1894 - 1896م)، دو فولكس (1879 - 1885م)... الخ<sup>22</sup>.

قدمت الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران المؤسسين الأوائل لها بمن فيهم الرئيس تروتاباس نفسه (1878 - 1880م)<sup>23</sup>، وبحلول سنة 1879م أضحت السادسة في لائحة الجمعيات التي تأسست في فرنسا<sup>24</sup> مونبلييه (Montpellier)، روان (Rouen)، نانسي (Nancy)، بيرجيراك (Bergerac)، بيرجوكس (Perrigueux).

<sup>20</sup> لوران فوك: سياسي فرنسي ولد في 27 جوان عام 1903م بوهران، توفي في 17 فيفري 1976م. حكم وهران ما بين 1948-1951م. كان عضواً بارزاً في جمعية الآثار والجغرافيا لوهران منذ عام 1885م، أنشأ عام 1890م طباعة رئيسية، أصبحت في عام 1894م مطبعة الجمعية. تعاون مع ابنه ليون على تحسين الطباعة، وفي عام 1903م، تنازل عن المطبعة لابنه بعد تقاعده.

Nécrologie de Laurent Fouque, in: B.S.G.A.O, 1913, p.151.

<sup>21</sup> بيديي: شارل ماري جوزيف بيديي، ولد بباريس في 28 جانفي 1864م، وهو عالم لغويات روماني فرنسي ومتخصص في أدب العصور الوسطى. تولى وظيفة في كلية الآداب بجامعة كاين سنة 1891م وأصبح أستاذاً للأدب الفرنسي في العصور الوسطى، ونشر العديد من النصوص في هذا المجال. وخلال الحرب العالمية الأولى ولمعرفته باللغة الألمانية عمل بيديي في وزارة الحرب حتى عام 1920م، وهو العام نفسه الذي انتخب فيه كعضو في الأكاديمية الفرنسية. وفي عام 1929م تم انتخابه مديراً لـكوليج دو فرانس. وفي عام 1936م وعن عمر يناهز 72 سنة أحيل على التقاعد، وشارك في تأسيس المجلة الفرنسية عام 1921م. توفي في غراند سر في 29 أوت 1938م.

<sup>22</sup> للإطلاع أكثر على أعضاء الجمعية في الاجتماع التأسيسي سنة 1878م، ينظر:

-B.S.G.A.O, "Journal des Travaux de la Société...", op.cit, T27, 1907, p.3.

-Bouty, (J), op.cit, p.III.

<sup>23</sup> تم تقديم أسماء المؤسسين الأوائل للجمعية من قبل بوتي (Bouty)، والذين بلغ عددهم 14 عضواً، على النحو التالي: تروتاباس: رئيساً، كرامر (Kramer): نائب الرئيس، ديلينون (Delinon): أمين الصندوق، جاك (Jaques): سكرتير، سيللي (Cély):، غوين (Gouin):، بوتي (Bouty):، بومباغ (Puimègue):، غارنييه أوجونت (Garnier Hugonnet)، روير (Rouire). ينظر:

- Lucien, Sebbah, La France- maçonnerie à Oran de 1832 à 1914, Aux Amateurs de Livres, Paris, 1990, p.437.

-Bouty, "Société de géographie et d'archéologie d'Oran: Assemblée générale du 28 Mai 1899", in: B.S.G.A.O, T19, 1899, Oran, p. XVII- XXVI.

<sup>24</sup> في السنة نفسها (1878م) تم إنشاء جمعيات أخرى في أوروبا مثل: سانت غال (Saint- Gall) في برلين (الجغرافيا التجارية)، برن وهانوفر (Berne et Hanovre)، وإن تطور مثل هذه الجمعيات العلمية قد ارتبطت بلا شك بالأنشطة والتطورات الفكرية والعلمية في فرنسا طوال القرن 19م، وتأثرت بالأعمال التي قامت بها الجمعية الجغرافية لباريس، والتي أثارت أولى الاستكشافات الرئيسية لإفريقيا

وفي الجدول التالي نوضح مجموع الكُتاب في الجمعية وإنتاجهم الفكري في الفترة ما بين (1878-1988م):

عدد المقالات	عدد الكُتاب	الفترات
440	141	1878 - 1897م
210	101	1898 - 1907م
240	121	1908 - 1927م
266	122	1928 - 1956م
/	/	1957 - 1960م
78	79	1966 - 1988م
1234	564	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن عدد الكُتاب ومن ثمّ عدد المقالات في تذبذب مستمر عبر السنوات وذلك راجع إلى الظروف السياسية التي مرّ بها العالم عامة والجزائر خاصة، وما سجلته الجمعية من تراجع في عدد أعضائها خلال بعض الفترات كان سببه في الغالب عدم استقرار أعضائها وعودتهم إلى فرنسا أو نتيجة الفراغ الذي تحدّثه الموت خاصة بعد الإستقلال، بالإضافة إلى نقص ميزانيتها التي تتراوح ما بين 4000 إلى 5000 فرنك فقط، ممولة أساساً من رسوم العضوية مع إعانة مقدرة بـ 500 فرنك يمنحها المجلس العام للجمعية<sup>25</sup>.

بالأسعار التي عرضتها على المستكشفين - تمويل الرحلات - مثل تلك التي حصل عليها الجغرافي هنري دوفريي (H. Duveyrier) الذي اكتشف تمبكتو. ينظر:

- B.S.G.A.O, "Liste générale...", op.cit, T19, 1899, Oran, p. XII.

- Lucien, Sebbah, op.cit, p.437.

B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.15.

كما كانت الجمعية العلمية الرابعة التي تأسست في الجزائر<sup>26</sup> بعد الجمعية الأثرية لقسنطينة، والجمعية التاريخية الجزائرية، وجمعية البحث العلمي التي أصبحت تعرف فيما بعد بأكاديمية هيون بعنابة. هذه الجمعيات العلمية وكما أشار إليه غابرييل إسكير<sup>27</sup> (Gabriel Esquer) سنجدها بعد عام 1880م وبعد إنشاء معاهد للتعليم العالي، قد رحبت نشراتها الخاصة وساهمت في نشر المقالات والبحوث الأكاديمية في الجزائر خاصة ما تعلق منها بالمراحل ما قبل الجامعة<sup>28</sup>.

وكغيرها من الجمعيات فقد اهتمت هي الأخرى بالبحث عن الآثار والنقوش الرومانية القديمة وبالتحديد في الجنوب والغرب الجزائري وكذا المغرب الأقصى، ومنذ البداية حدد مؤسسيها هدفها الرئيسي والمتمثل في التعريف بجغرافية الجزائر، هذا الهدف الذي أرادوا من خلاله - حسب زعمهم - نشر المعرفة الجغرافية المتعلقة بالمنطقة وقد جاء على لسان أحد كتابها ما يلي: "...لقد أردنا من خلالها نشر المعرفة الجغرافية المتعلقة بمستعمرتنا الجميلة - يقصدون الجزائر - وجرد ثرواتها الطبيعية التي لا تزال عرضة للاستغلال أو التهميش في إطار ما حققه الاستعمار من تقدم في المنطقة وهذا لضمان تحقيق مشاريع كبرى لصالح تقدم المستعمرة الجزائرية. ووضعيتنا في شمال إفريقيا جعلتنا نوجه مجهوداتنا ونعمل جاهدين للقضاء على الجهل الذي خلفه الاستعمار الفرنسي والعمل على حل جميع المشاكل الرئيسية التي أثارها. وبالنظر إلى نُبل ما نود فعله سيكون هناك الكثيرون ممن يودون تقديم دعمهم ومساعدتهم لإنجاز هذه

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p.XII.

26

<sup>27</sup> غابريال إسكير: ولد في 11 أبريل 1876م، كان مؤرخ، وأمين للمكتبة والأرشيف. تعلم في مدرسة الفنون والرسم ما بين (1895-1903م)، كان أمين عام للعديد من المسارح في فرنسا. تم تعيينه أيضاً كأمين للمحفوظات في قسم كانتال عام 1903م. وصل على الجزائر العاصمة في 8 فيفري 1909م، لتولي وظيفة أمين المكتبات الأرشيفية في الحكومة العامة، وظل كذلك حتى عام 1942م، حيث شغل منذ عام 1910م منصب نائب مدير المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، والتي شغلها حتى عام 1948م. ودّرس منذ عام 1927 في كلية الآداب في الجزائر العاصمة. كما كان عضو في الجمعية التاريخية الجزائرية منذ عام 1909م، وعضو مساعد في المجلة الإفريقية منذ عام 1910م، ليصبح أميناً عاماً، ثم نائب رئيس الجمعية في الفترة ما بين (1927-1938م). كتب في العديد من الصحف الجزائرية اليومية مثل: جريدة الجزائر، كما أنتج برامج إذاعية. توفي في 14 أبريل 1961م في الجزائر العاصمة ودفن بها. ينظر:

-Fernand, Braudel, Gabriel Esquer (1876-1961), In Annales Economies, Sociétés, Civilisation, 18<sup>e</sup> année, N°3, 1963, pp.604-608.

Gabriel, Esquer, La Vie intellectuelle en Algérie- in Simoun, N°26, mais 1957, p.28. <sup>28</sup>

المهمة النبيلة"<sup>29</sup>. كما اهتمت بقضايا الصحراء وغيرها<sup>30</sup>، ما جعل أعضاء الجمعية يسارعون إلى العمل على تحقيق نفس الأهداف الاستعمارية للحملة فأعلنوا بذلك عن ميلاد جمعيتهم، ومن ذلك فقد قاموا بتحديد مسؤولياتها العلمية المتمثلة في دراسة ونشر التراث الأثري بإقليم مقاطعة وهران وإنشاء مجموعة (Recueil) وذلك لطبع الأعمال التي يقوم بها أعضاؤها لتُصدر بدورها مجلة أسمتها "نشرة Bulletin"، تهتم من خلالها بالآثار الرومانية، وقد أعلن أعضاؤها أنه لا بد من فصل علم الآثار عن الجغرافيا، وقد قامت المجلة بنشر العديد من المخطوطات مترجمة إلى الفرنسية<sup>31</sup>. وقد قامت من خلالها بضم أبحاث أعضائها ومراسليها وكل ما تعلق بالمنطقة<sup>32</sup>.

### ثانياً: حملها للتسمية الجديدة:

كان من الضروري إعطاء اسم جديد للجمعية وبحلول سنة 1881م قامت الجمعية بتغيير اسمها جزئياً ليأخذ فيما بعد اسم (الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران Bulletin de la Géographie et d'Archéologie d'Oran)، وقد تمت المصادقة عليه وفق المرسوم الرئاسي الصادر في 28 ماي 1885م. هذا الامتداد لاسم الجمعية الجديد وانفتاحها على علم الآثار سيكون له الأثر الكبير في مكانتها بين الجمعيات، ويعود الفضل في ذلك للرائد لويس دومايث بعدما تمّ تنصيبه على وهران والذي اهتم بالجمع والتنقيب عن الآثار الرومانية في المنطقة - فقد أذهلهم ما وجدوه في المستعمرة الجزائرية - فبمجرد انضمامه إلى اللجنة الإدارية للجمعية؛ دعا إلى انفتاحها على علم الآثار، وبفضل جهوده وإسهاماته تمكن من الحصول على موافقة الجمعية العامة واعتمادها في 17 ماي 1881م للاسم الجديد للجمعية والذي ظل معروفاً حتى اليوم، وقد تحدث فرانسوا دوميرغ<sup>33</sup>

29 Montbrun, Théodore, A nos lecteurs, in: B.S.G.A.O, T29, 1885, p.11.

- Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, pp.IV-V.

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.9.

<sup>30</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 97. وينظر أيضاً:

- Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p.VI.

<sup>31</sup> مصطفى، عبيد، المرجع السابق، ص 104.

<sup>32</sup> إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص 29.

<sup>33</sup> فرانسوا دوميرغ ولد في عام 1858م في كاركاسون (Carassonne) الفرنسية، عالم طبيعة، وكان أستاذاً بالمدراس الوهرانية عام 1886م، التحق بالجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران في عام 1898م، وعضواً في الجمعية العامة للجمعية عام 1900م. انتخب

(François Doumergue) عن ذلك قائلاً: "... كان من الضروري إعطاء عنوان واسم جديد للجمعية ليصبح: جمعية الجغرافيا وعلم الآثار، لقد فتح هذا العنوان الجديد أفقاً أوسع لدراساتنا؛ ومهد الطريق للبحوث الأثرية المثيرة للاهتمام والتي يتابعها القارئ ديمائت بحماس لا يعرف الكلل، وحتى على حساب صحته؛ نقاط تم تجاهلها حتى الآن، وثائق كانت مجهولة. وبالتالي فإن هذا الفقر في الآثار التي نراها في مقاطعتنا - وهران - حدد مسارات غير معروفة وشكل الإطار الرئيسي لمتحفنا، الذي أصبح بالفعل أحد أكثر الأماكن متعة والأكثر إثارة للاهتمام في مدينتنا<sup>34</sup>.

وقد أشار رئيس الجمعية شارل جويتز<sup>35</sup> (Charles Goetz) في عام 1960م، إلى المسعى الجديد للجمعية لكي يكون باستطاعتها خوض المنافسة القائمة في مجال عملها، لاسيما أمام تقدم العلوم الجغرافية والأثرية والتاريخية وجميع تلك المتعلقة بهذه الفروع الثلاثة؛ وهو تركيز اهتمامها وبشكل خاص على مدينة وهران والجزائر وشمال إفريقيا<sup>36</sup>. كما ذكر كانيا (Cagnat)<sup>37</sup> في الكلمة التي ألقاها

---

رئيساً لها مرتين الأولى (1912-1920م)، والثانية (1924-1928م). اهتم بعلم الحفريات والجيولوجيا لإقليم وهران. وموته في عام 1938م، خسرت الجمعية أحد روادها في هذا الحقل المعرفي. ينظر:  
- KEHL, (C), François Doumergue (1858- 1938), in: B.S.G.A.O, T60, 1939, pp.35-42.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p.XIV.

34

<sup>35</sup> ولد شارل جويتز في باريس يوم 16 جويلية 1906م في مونترتيوت بالقرب من نهر المارن، تلقى تعليمه الابتدائي هناك في مدرسة بول. درس الموسيقى في المعهد الوطني لباريس وحصل على الجائزة الأولى في البيانو، كان يقدم حفلات موسيقية وهو في سن الرابعة عشرة وحتى صار عمره أربعة وعشرون سنة. وفي سنة 1934م توجه إلى وهران أين كان له متجر فاخر للأثاث والأقمشة، وبدأ يجتهد بحملي الفن من الأثرياء عن طريق تقديم عروض في دار الثقافة رفقة أصدقائه إلى جانب بعض الرسامين المحليين. كان شغوفاً بالرسم وجمع الآثار القديمة، بحث في فترة عصور ما قبل التاريخ في إفريقيا وبالتحديد في الجزائر، وقد أتاحت له الرحلات الاستكشافية والدراسات التي كان يقوم بها، الفرصة للسفر عبر ريف مدينة وهران مع أصدقائه الأثريين وأحياناً مع أمين متحف وهران عالم الطبيعة والجيولوجي فرانسوا دوميرغ، كان له دور فعال في الأعمال الأثرية والعلمية للجمعية الجغرافية والأثرية في وهران، هذه الأخيرة التي تولى فيه منصب الأمين العام لمدة من الزمن، ثم رئيساً لها في (1960-1962م). له عدة مقالات في فترة ما قبل التاريخ في الجزائر، نُشرت في النشرة الجغرافية والأثرية لوهران. غادر الجزائر عشية الاستقلال في جويلية 1962م عائداً إلى مرسيليا وانتقل بعدها إلى نيس أين اشتغل بمهنة بالطاء والرسم وكلف بتنظيم المعارض في إيكس بروفانس. زار العديد من البلدان التي حلم بزيارتها إلى أن تحطفه الموت في كريمونا (إيطاليا) في 17 سبتمبر 1978م، تاركاً عدداً كبيراً من الأعمال الفنية، جمعت متاحف وهران والجزائر البعض منها، إلا أن الجزء الأكبر من مجموعته الفنية بقي في مجموعات الهواة.

<sup>36</sup> اجتماع استثنائي للجمعية في 16 نوفمبر 1960م، الكلمة الافتتاحية بمناسبة فتح المبنى الجديد للجمعية (البنية الحالية 7 شارع طرابلس، الطابق السفلي - سوق ميشليت ( actuel local du 7 boulevard de Tripoli, sous-sol du Marché ) (Michelet).

بمناسبة الذكرى العشرون لتأسيس الجمعية: أنه يجب على الحركة العلمية في إفريقيا أن تتناسى الماضي والأحقاد لأن هذه الأرض أصبحت ملك لفرنسا بفضل قوة السلاح ومجهوداتنا وفكرنا ولنا كل الحق في قول ذلك، وما على الأفارقة إلا أن يتقبلوا ذلك ويتناسوا أحقادهم اتجأنا ... ولنبداً اليوم بعد العشرين سنة التي مرت نظرة جديدة متناسين الأحقاد<sup>38</sup>. وقد أضاف بول روف (Paul Ruff)<sup>39</sup> بهذه المناسبة متحدثاً عن مدى ما حققته الجمعية من تقدم قائلاً: "... بحكم النتائج المتوصل إليها وبالوسائل المتاحة لجمعيتنا يمكننا أن نضع ثقتنا فيها في المستقبل، وأن نكون على يقين بأن ما نقوم به لن يكون دون فائدة... لقد تمكنت جمعيتنا من الحفاظ على المستوى الذي وضعه فيها مؤسسوها"<sup>40</sup>.

وبهذا يمكن القول أن الجمعية انتقلت مبدئياً من كونها جمعية جغرافية إلى جمعية علمية متعددة التخصصات. وفي هذا الصدد نذكر قول كانيا: "... إذا أردنا بناء حضارة قوية، أو تحقيق شيء لم نحققه، فنحن بحاجة إلى العودة إلى التجارب الرومانية في المنطقة... كان للرومان الفضل في تنوير المنطقة قبل مجيئنا ولا يمكن أن ننكر تأثير الرومان وما قاموا به من مجهودات والدليل على ذلك ما تركوه من آثار في المنطقة"<sup>41</sup>. وقد تم الإعلان عن صدورها في الجريدة الرسمية بتاريخ 3 أبريل 1903م، وتم تعيين

<sup>37</sup> إسمه الكامل رينيه لويس فيكتور كانيا، من مواليد 10 أكتوبر 1852 وتوفي في 27 مارس 1937 في باريس، وهو مؤرخ فرنسي ومتخصص في الكتابة اللاتينية وتاريخ إفريقيا الرومانية، وفي عام 1876م، قاد حملة أثرية في تونس وأصبح أستاذاً للكتابة عام 1883. في تسعينيات القرن التاسع عشر، عهدت إليه الحكومة الفرنسية بمراقبة متاحف شمال أفريقيا وأبحاث الكتابات المحلية. بين 1906 و 1927م، ساهم غانيا في نشر النقوش ذات الصلة بالحضارة اليونانية والرومانية (مجموعة من النقوش اليونانية حول الموضوعات المتعلقة بالامبراطورية الرومانية). في عام 1887 أصبح غانيا أستاذاً في كوليج دو فرانس، خلطاً ل ديجاردين في كرسي النقوش والآثار الرومانية. انتخب في عام 1895 في أكاديمية النقوش والآداب، وكان سكرتيراً دائماً من عام 1916م حتى وفاته. في عام 1904م، تم انتخابه كعضو مناظر في الأكاديمية الملكية البروسية. وهو أيضاً عضو في الأكاديمية الرومانية.

<sup>38</sup> Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, pp.V-VI.

<sup>39</sup> بول روف: ولد في 7 جانفي 1913م في سيدي بلعباس بالجزائر وتوفي في 16 أكتوبر 2000م في لافيت بباريس. وهو مقاوم فرنسي وعالم رياضيات ونقابي. نشأ وترعرع في أواسط اليهود المقيمين بالجزائر العاصمة، وبعد تدريسه بثانوية للذكور بالجزائر العاصمة، إنتحق بمدرسة المعلمين العليا بباريس، حيث تم قبوله وترقية عام 1934م. لكنه منع فيما بعد من التدريس في نوفمبر 1940م (ممنوع من ممارسة الوظائف العامة بموجب قانون 3 أكتوبر 1940م المتعلق بوضع اليهود من قبل حكومة فيشي). عاد بعدها إلى الجزائر، ولم يسمح له بممارسته مهنته كأستاذ حتى 24 جوان 1943م. شارك في صفوف الجيوش الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد نهاية الحرب تم تعيينه كرئيس أركان لوزارة الطيران، لكنه اختار العودة إلى التربية الوطنية عام 1945م كأستاذ للرياضيات في باريس. وفي الصفوف التحضيرية في العديد من الكليات حتى تقاعده في عام 1976م.

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.9.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, pp.VII-VIII.

مجلس بلدية وهران كمقر لها عام 1922م، وهكذا وبعد 37 سنة من المحاولات تم الاعتراف بها في نهاية المطاف كمرفق عام وفق المرسوم الصادر في 29 ماي 1922م.

وفي حدود 9 جانفي سنة 1882م وإثر اجتماع اللجنة الإدارية لجمعية الجغرافيا والآثار تمت المصادقة على إنشاء متحف بمدينة وهران<sup>42</sup> والذي أصبح يدعى "المتحف الأثري والفني لمدينة وهران (Musée archéologique et d'art de La Ville d'Oran)"<sup>43</sup>، وقد كان هذا باقتراح من الرائد لويس ديمائت الذي طرح على جمعية الجغرافيا والآثار فكرة تأسيس هذا المتحف سنة 1879م، آخذاً بعين الاعتبار نقص الوسائل المادية، مما دفع بالجمعية إلى طلب المساعدة من سكان ولاية وهران الذين لم ييخلوا بأي جهد في تلبية النداء وذلك عن طريق مشاركتهم بتبرعات هامة. إثر هذا تم فتح المتحف مؤقتاً في عمارة المستشفى المدني، رغبة في الحفاظ وحماية التحف الموجودة في المواقع الأثرية، وهذا بفضل مساعدات السيد كومب (Combe) الذي كان يشرف على إدارة المستشفى

<sup>42</sup> Doumergue ,François," Historique du musée d'Oran entrant du B.S.G.A.O", in: B.S.G.A.O, T54, 1924, p.68.

<sup>43</sup> وضع المتحف تحت وصاية البلدية في 5 ماي 1885م وفي 21 ديسمبر 1885م عُين الرائد دومائت محافظاً له، وفي 4 ماي 1898م اتخذ متحف وهران تسمية "ديمائت"، حيث عمد المجلس البلدي إلى تسميته بالمتحف البلدي ديمائت ( Musée Municipal Demaeght) وذلك عرفاناً للأشغال العلمية التي قدمها ومدى مساهمته في الجمعية. صنف المتحف في 27 ماي 1986م ضمن المتاحف الوطنية واستبدلت تسميته باسم الشهيد "أحمد زبانه" وألحق بوزارة الثقافة بموجب المرسوم التنفيذي رقم 135-86 المؤرخ في 18 رمضان عام 1406هـ/ 27 مايو 1986م، ليصبح "المتحف الوطني أحمد زبانه ( Musée de Zabana Oran) وذلك تمجيداً لروح الشهيد أحمد زبانه وكل رفاقه في الشهادة. ونضم هيكلية بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 29 ذي القعدة عام 1407هـ/ 25 يوليو 1987م، وهو المتحف الوحيد بالجزائر متعدد التخصصات، فهو يحفظ مجموعات فترات ما قبل التاريخ، الآثار القديمة (البونيقية، الرومانية، البيزنطية، فالإسلامية)، الإثنوغرافيا المغاربية، الإفريقية والآسيوية بالإضافة إلى الفنون الجميلة وتاريخ الطبيعة. ينظر:

DEMAEGHT, (L), Catalogue raisonné de musée de la ville d'Oran, in: B.S.G.A.O, T15, 1895, p.73-107, 207.

DOUMERGUE, (F.), Historique du musée d'Oran (1882-1898), in: B.S.G.A.O, T45, 1925, p.66-103.

المدني القديم<sup>44</sup>، وقد جاءت فكرة إنشاء هذا المتحف لانعدام مكان مناسب للمحافظة على المواد الأثرية القادمة من كل الضاحية الوهرانية<sup>45</sup>. فتح المتحف للجمهور في 5 مارس 1885م. وفي 5 ماي من السنة نفسها استقل المتحف عن الجمعية ووضع تحت وصاية البلدية. وقد بلغت تكاليف إنشائه عشرات الآلاف من الفرنكات، والرخاميات الرائعة ذات القيمة الفنية والأثرية، وعليه يمكن القول أنه لا توجد مدينة جزائرية تملك مثل هذا المتحف وما يحتويه<sup>46</sup>.

وقد أدت حركة الاهتمام بالمعالم التاريخية وجمع المواد الأثرية الموجودة بالمدينة، قوّت من عزيمة الكثيرين في الجمعية، ولم يعد الاهتمام منصباً عند ضباط الهندسة فحسب، بل تجاوزهم إلى المدنيين الذين شرعوا هم أيضاً في المساهمة فيه وبشكل فعال من مقاولون في الأشغال العمومية، موظفون في مختلف المصالح المدنية (الجسور، الطرقات، أملاك الدولة، أكاديميون... إلخ)<sup>47</sup>. ومن المساهمين في

<sup>44</sup> Louis, Demaeght, " Catalogue raisonne des objets archéologique contenus dans le musée municipale d'Oran-extrait, in: B.S.G.A.O, T53, 1932.

<sup>45</sup> تأسف بيربروجر أثناء زيارته لمدينة وهران لدراسة الكتابات اللاتينية العربية والإسبانية الموجودة هناك سنة 1862م؛ على أن لا يكون لمدينة بمكانة وحجم مدينة وهران مقام خاص لاستقبال والاحتفاظ بالآثار القديمة التي تُكتشف في المنطقة. والتي تمّ وضعها في البداية في ساحة مدخل شاطوناف (Château Neuf)، ثم بعد ذلك في منتزه ليتان (Promenade de L'étang). ينظر:

- Berbrugger, (A), « Province d'Oran, Aïn T'émouchent », in: R.A, N°1, 1856 -1857, p. 50.

- Berbrugger, (A), « Chronique... », op.cit, in: R.A, N°6, 1862, p.394.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p.XIV. <sup>46</sup>

<sup>47</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، لابد من العودة إلى سجل الجرد للمتحف الوطني أحمد زبانه، قسم "وهران القديمة"، ودليل المتحف نفسه الذي أنجزه لويس دومايت.

- Louis, Demaeght, " catalogue raisonne des objets archéologique contenus dans le musée municipale d'Oran", extrait.

تأسيس الجمعية من المستشرقين نذكر: رينيه باصيه وتلميذه ألفريد بيل وأوغست موليراس<sup>48</sup> (Auguste Mouliéras)<sup>49</sup>.

### ثالثاً: كيفية الانضمام إلى الجمعية والعضوية فيها:

للمشاركة في عضوية الجمعية والنشر فيها تقوم هذه الأخيرة بإجراء مسابقة للمرشحين، مثل تلك التي أجراها ديمائت والتي بلغ عدد المرشحين بها 153 شخص، تضمنت أسئلة متنوعة. وقد أعادت النشوية الاعتبار للعديد من الأدبيات المجهولة والتي لم تكن معروفة من قبل<sup>50</sup>. ولتسهيل عملية الانضمام للجمعية وتنظيمها رأى القائمون عليها بضرورة تعديل النظام الأساسي للجمعية.

في اجتماع للجمعية العامة في 16 ماي 1897م، رأت الجمعية أنه من الضروري إجراء تعديل على قوانينها. وحتى ذلك الحين، كان يُعاد انتخاب اللجنة بأكملها كل عام. وللحد من المشاكل والمضايقات التي يمكن أن تنجم عن التغيير الكامل للجنة، بدا من الحكمة اعتماد نظام التجديد الجزئي عن طريق الإبقاء على الأعضاء الأربعة المناوبين في المجموع الكلي لأعضاء اللجنة. ونتيجة لذلك تم تعديل المادتين 7 و8 على النحو التالي<sup>51</sup>:

### أ- النص القديم:

#### المادة 7:

<sup>48</sup> أوغست موليراس: ولد بتلمسان سنة 1855م، وتوفي في وهران في 1931م، أستاذ كرسي في اللغة العربية بوهران، وأمين متحف وهران، رئيس الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران (1904-1905م)، وفي سنة 1904م، وقف ضد إرادة الغالبية لصالح حملة أوجين إتيان (Eugène Etienne) لاحتلال المغرب بل واقترح فكرة إنشاء "مدرسة علم الاجتماع المغربي" في وهران، و"قسم وهراني- مغربي" في الجمعية، تم استبداله في 1905م، بالدكتور جيل جاسير. ينظر:

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.11.

<sup>49</sup> أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج6، ص 97. وينظر أيضا: إسماعيل، العربي، المرجع السابق، ص ص 29-30.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p. XII.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p. XXVIII.

الأعضاء الحاضرون في اجتماع الجمعية العامة، يتم تعيينهم بغالبية الأصوات داخل الجمعية، ولجنة المجلس الإداري مسؤولة عن تمثيل الجمعية في جميع الظروف، عن طريق تحضير جدول أعمالها، جمع جميع المساهمات، تلقي التبرعات وتحديد استخدامها.

ب- النص الجديد:

المادة 7 :

المجلس الإداري مسؤول عن تمثيل الجمعية في جميع الظروف، عن طريق تحضير جدول أعمالها، جمع جميع المساهمات ، تلقي التبرعات وتحديد استخدامها. ويتم تجديده بالثلث- ثلث الأعضاء - في الاجتماع السنوي لأعضاء الجمعية العامة عن طريق الانتخاب، وتكون حصة الأسد لمن يحصل على غالبية الأصوات.

ج- النص القديم:

المادة 8:

تتألف اللجنة من عشرين عضوا يعينون لمدة سنة، قابلة لتجديد، كما يتم انتخاب أربعة أعضاء خارجيين كبدايل لتحل محل الأعضاء الرسميين في حالة الغياب نتيجة ظرف معين أو عطلة...إلخ.

د- النص الجديد:

المادة 8 :

اللجنة تتكون من أربعة وعشرين عضوا رسمياً، وثمانية أعضاء خارجيين كبدايل لتحل محل الأعضاء الرسميين في حالة الغياب نتيجة عطلة...إلخ<sup>52</sup>.

وقد تمت الموافقة على هذا التعديل في النظام الأساسي للجمعية من قبل المحافظ، في أمية 21

جوان 1897م.

## رابعاً: نشاط الجمعية خلال الحقبة الاستعمارية (1878م-1962م):

احتكرت الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران الساحة الثقافية في الجزائر المستعمرة؛ وهذا من خلال أبحاث روادها، وقد تولى إدارة الجمعية خمسة عشر رئيساً في الفترة ما بين (1878م-1962م)، وما وصلت إليه من نجاح وتأثير علمي وانفتاح على العالم كان بفضلهم، ومن أكثرهم شهرة وتأليفاً العقيد إيسدور دوريان<sup>53</sup> (Isidor Derrien) (1839-1904م) والدكتور جيل جاسير<sup>54</sup> (Jules Gasser) الذي ترأس الجمعية ما بين (1905-1912م)، كما ترأسها فرانسوا دوميرغ لمرتين، الأولى (1912-1920م)، والثانية (1924-1928م). وكان أطولهم مدة الدكتور جورج سيكارد (Georges Sicard)<sup>55</sup> (1936-1949م)، وكان آخر رئيس للجمعية شارل جويتز (1960-1962م). ومن الواضح أن هؤلاء الرؤساء المختلفون باختلاف وظائفهم وتخصصاتهم لم تكن لهم نفس القدرة في التسيير والمستوى العلمي، وهذا ما ذكره فرانسوا دوميرغ سنة 1928م بقوله: إذا لم يكن لرجال العلم الذين جعلوا منها- الجمعية- صرحاً علمياً حقيقياً؛ خلفاء قادرين على التشبه بهم والسير

<sup>53</sup> كرس العقيد إيسدور دوريان (1839-1904م)، خريج كلية سا سير الحربية، كرس حياته المهنية للعمل الطبوغرافي والجيوديسي (علم تقسيم الأرض أو مسح الأراضي) ورسم خرائط للجزائر وفلسطين وإفريقيا، كان رئيس البعثة الطبوغرافية في السنغال (1880-1881م)، كما كان رئيساً لجمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران (1896-1904م) وأسس سنة 1896م مرصداً للأحوال الجوية الذي مقرها سانتا كروز (Santa Cruz) بوهران. تعاون مع العقيد بيير (Pierre) في تحديد نقاط تقاطع المثلثات بين الجزائر وإسبانيا. فارس جوقة الشرف عام 1871م، وخلال بعثاته العديدة قام بإنجاز مجموعة من الرسومات لمختلف النباتات التي تم جمعها. ويُعد كتابه المعنون بـ"الفرنسيون في وهران" والصادر سنة 1886م بـ"إيكس (Aix)" مرجعاً لا غنى عنه حول تاريخ المدينة. ينظر: - B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.11.

<sup>54</sup> ولد يوم 11 أبريل 1865م في ريفيسمونت (Riervescemont) (إقليم بلفور)، طبيب جراح وسياسي فرنسي، ترشح للانتخابات الرئاسية الفرنسية عام 1947م لرئاسة الجمهورية الفرنسية الرابعة. شغل عدة مناصب سياسية منها: عضو في مجموعة اليسار الديمقراطي، ويعد من أعيان مدينة وهران حيث عين مستشاراً عاماً لوهران (1902-1925م)، ورئيس بلدية وهران لمرتين الأولى (1912-1921م) والثانية (1942-1945م)، ترأس الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران ما بين (1905-1912م)، ثم تم انتخابه كسيناتور على وهران في 17 جويلية 1921م، وأعيد انتخابه لنفس المنصب سنة 1946م وإلى غاية 1952م، عمل ككاتب في مجلس الشيوخ لعدة مرات. توفي في وهران سنة 1958م عن عمر يناهز 93 سنة.

<sup>55</sup> لويس ماريوس جورج سيكارد: نحّات وخزفي فرنسي، كاتب ومدرس بكلية الفنون الجميلة بمرسيليا. ولد في 21 جانفي 1871م في أوباني، ترعرع في ورشة أبيه وتعلم النحت والخزف وفن التصوير على السيراميك عام 1883م، وسرعان ما برز بفضل موهبته ليشتغل منصب مدير مصنع عام 1891م. ومن خلال تجارته وموهبته تمتع لويس سيكارد بمعرفة معمقة في مجال تشغيل وإبتكار الأفران ما جعله يحصل على الجائزة الأولى في هذا المجال عام 1897م. قام بالعديد من الأبحاث في مجال النحت والزخرفة مستوحاة من عصر النهضة الإيطالية. تم تعيينه مدرساً في مدرسة الفنون الجميلة في مرسيليا حيث قدم دروساً في السيراميك منذ عام 1924م وحتى عام 1943م. عانى لويس سيكارد من شلل نصفي على الجانب الأيسر، وتوفي في 28 جوان 1946م.

على خطاهم، فعلى الأقل قد خلفهم رجال ذوي نوايا حسنة، وهذا ما يظهر لنا جلياً اليوم من خلال سعيهم للحفاظ عليها والعمل على تحسين أداؤها<sup>56</sup>.

وقد وصل عدد أعضاء الجمعية في القائمة ما قبل الأخيرة والتي نشرت في مارس 1939م إلى رقم قياسي وصل تعداده إلى 699 عضواً، إلا أن هذا العدد قد انخفض في آخر قائمة نشرت عامي 1945 و1946 إلى 533 عضواً<sup>57</sup>. وتجدد الإشارة إلى أن هذا التراجع في عدد الأعضاء كان لأسباب سياسية، ففي عام 1942م، وتحت ضغط من حكومة فيشي<sup>58</sup>، وبحسب الشائعات القائلة بعدم دفع الاشتراكات<sup>59</sup>، فقد أثرت على 17 عضواً، أغلبهم من أصول يهودية أو ذوو انتماء فرنسي ماسوني<sup>60</sup>، وهذا ما حدث مع الأب ألفريد برينجر<sup>61</sup> (A. Bèrengruer) الذي تمّ في استبعاده في الجلسة المنعقدة يوم 6 مارس 1961م، وقد كان آنذاك سفير جبهة التحرير الوطني في أمريكا اللاتينية.

<sup>56</sup> François, Doumergue, Préface au Bulletin du 50<sup>ème</sup> anniversaire, in: B.S.G.A.O, T69, 1928.

<sup>57</sup> Albert, Camus, La Peste, bibliothèque de la Pléiade, NRF, Paris, 1962, p.1294.

<sup>58</sup> حكومة فيشي: (Régime de Vichy نظام فيشي أو فرنسا الفيشية). وهي الحكومة التي استمرت بين جويلية 1940م وسبتمبر 1944م، وقد خلفت الجمهورية الثالثة وأعلن قيام حكومتها المارشال فيليب بيتان وذلك عقب سقوط فرنسا بيد ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، وانتخب تلك الحكومة من قبل الجمعية الوطنية الفرنسية بتاريخ 10 جويلية 1940م مع منحها صلاحيات واسعة لبيتان كرئيساً للحكومة. ينظر: حياة، تانبي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالقطاع الوهراني 1929-1954م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2004-2005م، ص 251.

<sup>59</sup> وضع فيشي ترسانة غير عادية من النصوص القمعية والاستثنائية ضد اليهود والجمعيات السرية، والحد من الحريات، خاصة ما تعلق منها بتكوين الجمعيات، وتمّ توسيع نطاقها لتشمل الجزائر نذكر منها: المرسوم رقم 996 في 2 أبريل 1942م المستمد من المرسوم الصادر في 6 أوت 1941م والذي يجعل منه ينطبق على الجزائر، وبشأن الجمعيات المهنية لموظفي الخدمة العامة، القانون رقم 532 المؤرخ في 1 ماي 1942م الذي يمنع شغل بعض المناصب القانونية والإدارية لليهود في الجزائر المستمد من قانون 10 نوفمبر 1941م الخاص بالجمعيات السرية رقم 1339 المؤرخ في 1 ماي، والذي يسري على الجزائر وفق مرسوم 10 نوفمبر 1941م تحت رقم 2337 المؤرخ في 30 جويلية 1942م، قانون 8 أبريل 1942م المكمل لقانون 1 جويلية 1901م والمتعلق بعقد التأسيس.

<sup>60</sup> الماسونية: تعني كلمة ماسونية البناءون الأحرار، وهي منظمة يهودية سرية محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والفساد، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يؤثفهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمخالف للتعلم والتخطيط والتكليف بالمهام. ينظر: جرجي، زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم، مؤسسة هندراوي للتعليم والثقافة، 2013م. وينظر أيضاً: صابر، طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية، ط6، دار الجيل، بيروت، 1993م.

<sup>61</sup> ولد في لورميل (1915-1996م)، قس كاثوليكي سياسي، ابن أحد المهاجرين الإسبان من عائلة بسيطة لا علاقة لها بالمستعمر، كانت حياته وحياته عائلته مشابهة لما كانت عليه حياة العائلات الجزائرية الريفية. عمل مدرساً في مدرسة وهران (1940-1942م)، انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني وتمّ تفويضه من طرف الهلال الأحمر الجزائري ما بين (1959-1960م) كممثل له في أمريكا

كانت الجمعية مكان للتواصل بين أعضائها على اختلاف وظائفهم وتخصصاتهم؛ والذين كانوا في أغلبهم من ضباط الجيش السابقين<sup>62</sup>، ما سمح لها بأن تكون تعبير عن الفكر المزدوج "الإقليمي" (فيما يتعلق بفرنسا والجزائر)، ومع ذلك لم تتمتع باهتمام جميع المثقفين الذين بقوا في وهران من أمثال: ألبير كامو<sup>63</sup> (Albert Camus)، مارك فيرو<sup>64</sup> (Marc Ferro)، بيير نورا<sup>65</sup> (Pierre Nora)،

اللاتينية وممثل للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPR) في القارة نفسها من (1959-1960م)، كان عضواً في الجمعية التأسيسية الجزائرية ما بين (1962-1964م)، ناضل من أجل حرية واستقلال الجزائر وحسد صورة مختلفة عن باقي المبشرين والمستعمرين في الجزائر من أمثال لافيغري، انتقل إلى تلمسان ودرس بالمدرسة الثانوية بن زرجب (Benzerdjeb) إلى أن تقاعد، تم نقله إلى فرنسا إثر مرض عضال ليتوفي بعدها في 14 نوفمبر 1996م، ودفن في تلمسان تنفيذاً لوصيته.

<sup>62</sup> قبل شهر من استقالته من رئاسة الجمعية، تحدث العقيد دوربان عن الخطوات التي بحثها مع وزارة الحربية، بهدف حصول الضباط على تصريح يسمح لهم بأن يكونوا جزءاً من الجمعية وتنشر أعمالهم في نشرتها، وقد تلقى طلبه هذا استجابة وقبول من طرف وزارة الحربية التي أعطت الإذن من خلال تعميم 2 أبريل 1904م، وخولت للضباط بأن يشكلوا جزءاً من الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران ونشر أعمالهم في نشرتها دون إذن وزاري مسبق.

<sup>63</sup> ألبير كامو: ولد في 7 نوفمبر 1913م في مندوق (قرية الدرغان اليوم)، بمقاطعة قسنطينة بالجزائر، وتوفي في 4 جانفي 1960م بفرنسا. كاتب وفيلسوف وجودي وروائي ومسرحي فرنسي، وكاتب للقصة القصيرة. بعد إنهاء دراسته الثانوية، تعلم بجامعة الجزائر من خلال المنح الدراسية وذلك لتفوقه ونبوغه، حتى تخرج من قسم الفلسفة بكلية الآداب. ناشط صحفي في مجال المقاومة الفرنسية والتيارات التحررية. حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1957م. كانت له علاقة دامت سنتان مع الحزب الشيوعي الجزائري، اتجه نحو الدفاع عن المظلومين واحتج عن عدم المساواة التي يعاني منها المسلمون في شمال إفريقيا. كان معارضاً وبشدة للإيديولوجيات والتجريد وانتقاده للشمولية السوفياتية والماركسية ما ألب عليه أنصار الشيوعية من أمثال الفيلسوف سارتر.

<sup>64</sup> مارك روجر فيرو: ولد في 24 ديسمبر 1924م في باريس، مؤرخ فرنسي ومتخصص في تاريخ روسيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وتاريخ السينما. حصل على شهادة في التاريخ والجغرافيا عام 1944م. درّس بالجزائر العاصمة وهران بين عامي 1948م و 1956م. ورغم ارتباطه الشديد بهذه الأرض تركها وعاد للتدريس في باريس في مدرسة رودين الثانوية، ثم مدير الدراسات في كلية الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية. أصبح مدير مشارك في مدرسة الحوليات الفرنسية حيث تم تعيينه من قبل فرناند بروديل في عام 1970م، مدير سابق لمعهد العالم السوفياتي وأوروبا الوسطى، حاصل على دكتوراه فخرية من جامعة موسكو منذ عام 1999م ومن جامعة ميشال دي مونتاني بورديو الثالث في عام 2003م. أطلق مارك فيرو التأمل في السينما والتاريخ. وكيف يمكن أن تستخدم السينما كأداة لفهم تاريخ المجتمعات، معتبراً أن السينما تقدم شهادة بقدر ما هي مصادر تقليدية. قدم على شاشة التلفزيون، لأول مرة في سبتمبر من عام 1989م، ثم في آرتي من عام 1992م. تحصل على العديد من الجوائز من بينها جائزة مدينة باريس للفيلم التاريخي سنة 1975م، جائزة السلام في 2007م.

<sup>65</sup> بيير نورا: ولد في 17 نوفمبر 1931م في باريس، مؤرخ فرنسي، عضو لجنة المثقفين لأوروبا للحرريات الديمقراطية عام 1978م، وعضو في الأكاديمية الفرنسية عام 2001م. معروف بعمله في "المشاعر القومية" وعنصر الذاكرة، وقد لعب دوراً كبيراً في النشر في العلوم الاجتماعية، وارتبط اسمه بالتاريخ الجديد. عمل بمدرسة لويس الثانوية، ومدرسة كارنوا الثانوية، كما درس بكلية الدراسات العليا للعلوم

بيير ميرلين<sup>66</sup> (Pierre Merlin)، أو حتى جاك بيرك<sup>67</sup> (Jacques Berque) الذي كان والده أوغسطين بيرك<sup>68</sup> (Augustin Berque) عضواً مساهماً فيها، هذا باستثناء الجغرافيين موريس بنشيتريت<sup>69</sup> (Maurice Benchérit) وميشيل كوكري<sup>70</sup> (Michel Coquery) اللذان

الاجتماعية، حاز على دكتوراه من جامعة لافال 1999م. كان رئيساً للمكتبة الأوروبية للأفكار في المركز الوطني للكتاب من 1991م إلى 1997م وعضواً في مجلس إدارة المكتبة الوطنية الفرنسية من 1997 إلى 2000م. وهو عضو في المجلس العلمي للمدرسة الوطنية للميثاق منذ عام 1991م، ومجلس إدارة المؤسسة العامة للقعة والمتحف والعقار الوطني في فرساي منذ عام 1995م، وفي اللجنة العليا للاحتفالات الوطنية منذ عام 1998م.

<sup>66</sup> بيير ميرلين: ولد في ميتز في 6 ماي 1937م، وهو جغرافي ومخطط حضري، إحصائي وخبير ديموغرافي. أستاذ في جامعة باريس ثم فينسينز (1968-1987م)، ثم في جامعة باريس، بانتيون، السوربون (1987-2003م). ترأس معهد الديموغرافيا والتنمية في السوربون، هذه الأخيرة التي شغل بها أيضاً منصب أستاذ محاضر (1964-1968م). وهو أستاذ فخري في جامعة باريس، حاز على دكتوراه في الآداب سنة 1966م، وتم تعيينه المدير العلمي لمعهد التخطيط والتنمية الإقليمي وتخطيط المدن في باريس، وقد تم انتخابه نائباً أول لرئيس جامعة باريس (1971-1976م)، وانتخب رئيساً لها عام 1976م. كما ترأس في الفترة ما بين عامي 1981 و1982م المجموعة المشتركة للتنمية السياحية وحماية البيئة، وفي عامي 1982م و1983م؛ كان مسؤولاً عن مهمة السكن الاجتماعي في باريس. كما كان رئيساً لجمعية جودة العلوم الفرنسية (1985-2003م) وجمعية النهوض بالتدريس والبحث في مجال تخطيط المدن والريف (1992-2000م). كان أستاذاً زائراً في جامعات أجنبية مختلفة (بنسلفانيا، جنيف، تورونتو... الخ)، وشارك في هيئات التقييم، وترأس اللجنة الوطنية للبحث العلمي (CNRS). ألف 65 كتاباً و560 منشوراً حول تخطيط المدن والريف والنقل والسياحة والديموغرافيا.

<sup>67</sup> جاك بيرك، ولد بفرنندا (تيارت) سنة 1910م ابن أوغسطين بيرك باحث و مترجم عين كمتصرف مدني في المغرب سنة 1934م، ثم انتقل إلى مصر كخبير دولي فيناقش دكتوراهه حول البنى الاجتماعية للأطللس الكبير عين سنة 1956م على كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر بكوليج فرنسا كانت له عدة مساهمات في المجلة الإفريقية. ينظر:

-Idir Amany, Elwatan (27 juin 2005).

<sup>68</sup> أوغسطين بيرك: من مواليد 6 سبتمبر 1924م في الرباط، المغرب، وهو الجغرافي الفرنسي والمستشرق والفيلسوف. وهو ابن عالم البصريات الشهير جال كبيرك. درّس لمدة سبع سنوات من عام 1969م في أئينا في فرنسا، وجامعة هوكايدو، وأستاذ في كلية الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس (EHESS). متخصص في الجغرافيا الثقافية ورائد في الدراسات اليابانية. أستاذ البحوث المتقدمة في العلوم الاجتماعية الفرنسية، ورئيس معهد الدراسات اليابانية المعاصرة من 1999م إلى 2001م، أستاذ سابق بجامعة مياجي. ورئيس فرنسا لقاعة اليابان وفرنسا في طوكيو في 1884-1888م حاصل على دكتوراه في الأدب ودكتوراه في الجغرافيا بجامعة باريس. كتب العديد من الكتب مثل: "الثقافة اليابانية في المنظر"، "فلسفة الأرض ووجود ما وراء الأخلاق البيئية"... الخ.

<sup>69</sup> جغرافي، ومساعد بكلية الآداب بالجزائر، ثم أستاذ مساعد في معهد جغرافية بوتانيه . توفي بحادث عام 1970م.

<sup>70</sup> ميشيل كوكري: الجغرافي، ولد في لومان عام 1931م، وتوفي في باريس بعد مرض طويل في 01 نوفمبر 2011م. عمل كأستاذ للجغرافيا الفيزيائية في جامعة السوربون، وفي معهد الجغرافيا بنفس الجامعة (1969-1976م). حاز على دكتوراه في الآداب وأستاذ فخري في جامعة باريس. عمل أيضاً كأستاذ في المدرسة الوطنية للجسور والطرق (1967-1982م)، ومدير عام للمركز الوطني للبحث العلمي (1984-1986م). أدى خدمته العسكرية في الجزائر، وأقام في وهران وعمل على استكشاف إفريقيا ومدنّها. وهو أيضاً مهندس التطوير الملحوظ لجميع الموارد السمعية والبصرية. كان أحد مؤسسي معهد التخطيط العمراني الفرنسي، المسؤول عن التدريس في فينسينز عام 1969م، وفي عام 1975م أصبح أحد مؤسسي المعهد الفرنسي للدراسات الحضريّة مع بيير ميرلين وفرنسوا تشواي. وهكذا كرس نفسه لتخطيط المدن والريف. عمل كخبير في لجنة التقييم الوطنية عام 1992م. وقد كان لمدة نصف قرن واحداً من هؤلاء الأكاديميين

انضمنا إليها سنة 1961م. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأعضاء الجزائريون كان يتم اختيارهم فقط من بين الشخصيات البارزة؛ ومن بين الذين كانوا في قائمة الأوائل نذكر: علي محي الدين<sup>71</sup> (Ali Mahieddine) (1851-1918م)<sup>72</sup> ومحمد الحاج حسن (Mohamed Hadj Hassen) (1819-1906م).

والملاحظ أنه خلال الفترة الاستعمارية ككل (1878-1962م) وافقت الجمعية فقط على 86 عضواً من الجزائريين، أي بمعدل عضوية واحدة في السنة. وقد كانت الفترة التي استقبلت فيها الجمعية أكبر عدد من الجزائريين هي الفترة ما بين (1903-1912م)، وبعبارة أخرى تلك المتعلقة بولاية الرؤساء الأكثر دراية وفهماً بأمور الجزائريين، وبالتحديد فترة ولاية أوغست موليراس (1904-1905م) والدكتور جيل كاسير (1905-1912م)، والتي بلغ فيها عدد الأعضاء الجزائريين 26 عضواً من مجموع الأعضاء ككل.

كانت الجمعية تقوم بعملية نشر أعمالها - منذ تأسيسها في عام 1878م- في نشرتها الفصلية (النشرة الفصلية للجمعية الجغرافية لإقليم وهران)، والتي نُشرت فيها مقالات الفترة (1878-1881م) والمتعلقة بالجغرافيا، وخصص جزء صغير منها للأعمال الأثرية، ليتم بعد ذلك تغيير اسمها عام 1881م ليصبح "النشرة الجغرافية والأثرية لإقليم وهران"، لكن علماء الآثار كانوا غير راضين عن تقاسم النشرة مع الجغرافيين، فتقرر عام 1882م طبع المقالات المتعلقة بعلم الآثار ودراسات التاريخ القديم بشكل منفصل تحت عنوان "نشرة الآثار الإفريقية"، ولكن يتم تقديمها تحت نفس الغلاف. إلا أن هذا الفصل لم يدم طويلاً حيث تقرر سنة 1885م بأن لا يتم التعامل مجدداً مع الدراسات الأثرية بشكل منفصل وإنما سيتم دمجها مع بقية التخصصات التي تتناولها النشرة. هذا الأخير الذي يعكس هيمنة التوجه

---

المناضلين الذين كرسوا مواهبهم للتدريس والبحث ولكن أيضاً لفتح الجامعة وتجديدها وتأثيرها خارج نطاق تخصصهم، لا سيما من خلال تطوير البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

<sup>71</sup> علي محي الدين: (1851-1918م) طالب سابق بالكلية العربية بالجزائر، مترجم من الدرجة الأولى، قنصل الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في سبها.

<sup>72</sup> Ben kada, Saddek, Ali Mahieddine, un notable oranais entre la résistance- dialogue et résistance- résignation, Bibliographie et Histoire sociale en Algérie XIXe-XX siècle Oran, URASC, cahier N°5, pp.86-98.

الإيديولوجي داخل الجمعية، وهذا ما يظهر في الأعمال التي نُشرت ولفترة طويلة من الزمن ومدى مساهمتها في نشر الأفكار والثقافة التي توسعت خلالها الإيديولوجية الاستعمارية للجمهورية الثالثة، وفتحت الباب للدعاية الاستعمارية وشجعت علناً يوجين إتيان<sup>73</sup> (Eugène Etienne) والجنرال ليوتي<sup>74</sup> (Hubert Lyautey) وغيرهم. ومع ذلك أتاحت الفرصة للأعضاء الجزائريين "الأهالي" مثل: سي أمحمد بن رحال<sup>75</sup> (Si M'hamed Ben Rahal)، الهاشمي بن محمد ( El Hachemi Ben Mohamed)، أبو بكر عبد السلام بن شواب ( A.B. )

<sup>73</sup> يوجين نابليون إتيان سياسي فرنسي، من مواليد 15 ديسمبر 1844م في وهران، من أنصار الإتحاد الديمقراطي، كان قبل الحرب العالمية الأولى أحد القادة الرئيسيين في الحزب الاستعماري مع أوغست دينبرغ؛ الذي نظم بشكل خاص في عام 1892م المجموعة الاستعمارية للشؤون الخارجية في مجلس النواب الذي كان يضم حوالي 200 برلماني، تم تعيينه مفتش للسكة الحديدية، وفي عام 1879م أسس مكتب محاماة مع إميل بوشيت. تم انتخابه لمجلس النواب ما بين (1881-1919م) للدفاع عن مصالح الجزائر الفرنسية، ممثل لوزارة الخارجية للبحرية والمستعمرات (1887-1892م)، ووزيراً للداخلية في الفترة من 24 جانفي إلى 12 نوفمبر 1905م، ووزير الحرب ما بين (1906-1913م). مؤسس ورئيس للجنة الآسيوية، واللجنة الفرنسية لإفريقيا، واللجنة المغربية، عين سيناتور على وهران عام 1920م. توفي في 13 ماي 1921م في باريس. ينظر:

-FABRE (S), Eugène Étienne (...- 1921), in: B.S.G.A.O, T41, 1921, pp.97-103.

-CALZARONI (J), Hennaya (Eugène Étienne); monographie, in: B.S.G.A.O, T43, 1923, pp.81-156.

<sup>74</sup> لويس هوبرت ليوتي، ولد في 17 نوفمبر 1854م بنانسي، جندي فرنسي، ثم رقي إلى رتبة ضابط خلال الحروب الاستعمارية، أول مقيم عام للحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م، ثم أصبح وزيراً للحربية خلال الحرب العالمية الأولى، ثم مارشال فرنسا عام 1921م، أكاديمي ورئيس شرقي للاتحادات الكشفية الفرنسية، تقاعد عام 1925م بعد سنوات من الخدمة والبقاء (1873م-1925م)، فقد كان متأثراً بشعار: "فرحة الروح في العمل". توفي في 27 ماي 1934م عن يناهز 79 سنة.

<sup>75</sup> هو محمد بن حمزة بن رحال، ولد بندرومة في 16 ماي 1858م، من أسرة عريقة تتمتع بمكانة علمية وسياسية، عين سنة 1839م إماماً وقاضياً على ندرومة. درس بالمدرسة العربية الفرنسية بمسقط رأسه ثم تابع دراسته الثانوية بالعاصمة ما بين (1870-1874م) تحصل خلالها على شهادة البكالوريا، حاصل على شهادة الليسانس في الآداب الفرنسية، عين في وظيفة قائد بندرومة سنة 1878م، كان مقدم في الزاوية السليمانية، مثل الجزائريين أمام لجنة مجلس الشيوخ سنة 1891م، شغل منصب معاون مسلم في المجلس العام لوهران في الفترة (1903-1907م) للدفاع عن قضايا الجزائريين. تولى منصب مالي نائب مالي إلى غاية 1925م، نادى بضرورة تعليم الجزائريين وإدخال اللغة العربية في كل مراحل التعليم، وإصلاح القضاء ونظام الضرائب. كتب في الصحافة الاستعمارية والجزائرية الفنية كالإقدام، التقدم... الخ، بالإضافة إلى المحاضرات في النوادي الثقافية. توفي في ندرومة يوم 6 أكتوبر 1928م. ينظر: سي أمحمد، بن رحال، مستقبل الإسلام وكتابات أخرى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م.

- وينظر أيضاً: غانم، بودن، سي أمحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، جانفي 2017م، ع17، ص ص 10-11.

(Abdesselem)، العقيد سي الشريف قاضي<sup>76</sup> (Chèrif Cadi)، محداد عبد القادر<sup>77</sup> (M. Abdelkader) أو السنغالي - الموريتاني باحمدو أحمدو (B. Ahmadou)، وقد ارتبط عملهم بشكل عام بقضايا الأهالي والقوانين العرفية والإثنوغرافيا المغاربية والصحراء والتاريخ الإسلامي في العصور الوسطى... الخ.

لقد أدت الاشتباكات والفوضى التي عاشتها شوارع الأحياء الأوروبية خلال ربيع 1962م، وكذا مغادرة العديد من الأعضاء إلى فرنسا<sup>78</sup>؛ إلى تراجع نشاط الجمعية وتعطيل أشغالها، حيث كان آخر اجتماع للجمعية العامة في 20 ماي 1962م، وقد كان من الصعب عقد الاجتماع الأخير والذي كان مزعم عقده في 17 جوان 1962م.

كان هذا الاجتماع هو آخر اجتماع يعقد قبل العطلة الصيفية، عملت من خلاله اللجنة على إلقاء نظرة عامة على الأوضاع ووضع آفاق مستقبلية بسبب الوضع السياسي والإداري للجمعية، وتركت للأمين العام مهمة عقده عندما تسمح الظروف بذلك، إلا أن الجمعية ستعرف مصيراً مختلفاً مع استقلال الجزائر عام 1962م.

ومن المهم الإشارة إلى أن بعض أعضاء مجلس إدارة الجمعية وقبل مغادرتهم الجزائر؛ لم يكونوا راضين عن حملهم للعديد من الكتب النادرة والقيمة، وحتى لتحويل أموال الجمعية لمصلحتهم، وما تمّ

<sup>76</sup> ولد سي الشريف بن العربي قاضي في 22 أكتوبر 1867م في دوار بني يحيى الواقعة بالقرب من بلدية سوق أهراس (قسنطينة)، وتوفي في بون عنابة (قسنطينة) يوم 15 جويلية 1939م عن عمر يناهز 71 سنة، عمل كضابط مدفعية فرنسي، وأول جزائري يتم قبوله في مدرسة الفنون التطبيقية ومن أجل ذلك قبل التجنس وتقدم بطلب الحصول على الجنسية الفرنسية عام 1889م مقابل التخلي عن مقوماته الشخصية ليصبح "أول مسلم جزائري- فرنسي"، وفي نظره لا إطار للحياة السياسية إلا في ل الاستعمار الفرنسي. تمت ترقيته إلى ملازم في صفوف المدفعية في 1 أكتوبر 1891م ول يرتقي في صفوف الجيش الفرنسي، شارك في الحرب العالمية الثانية في صفوف الجيوش الفرنسية.

<sup>77</sup> عبد القادر محداد: سياسي وأديب جزائري من مواليد 21 نوفمبر 1896م بتلمسان وتوفي في 21 ماي 1994م بتلمسان عن عمر ناهز 97 سنة. عضو في جمعية العلماء الجزائريين وعضو اللجنة التوجيهية لمكافحة تبييض الأموال. أنشأ جمعية شباب تلمسان عام 1920م. حائز على جائزة في الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة في عام 1963م، وبعد الاستقلال كان مسؤولاً عن العديد من البعثات البحثية حول التراث الجزائري، ولا سيما في تركيا، من قبل الدولة الجزائرية. وقد ألف عدد كبيراً من المقالات وكتابين مثل: زاد المسافر عام 1942م.

<sup>78</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Katz, Joseph, L'Honneur d'un Général, Oran 1962, L'Harmattan, Paris, 1993.

إنقاذه من مجموعات وثائقية لا تُقدر بثمن (مكتبة الخرائط والمخطوطات) سواء من عملية النهب أو الحرق أو نقلها من طرف منظمة الجيش السري (OAS)<sup>79</sup>، يعود الفضل فيه وبشكل كبير إلى اليقظة والشجاعة التي كان يتحلى بها الدكتور ليوبولد جيسلين<sup>80</sup> (Léopold Geslin).

#### خامساً: نشاط الجمعية بعد الاستقلال 1962م:

بقيت الأمور على ما كانت عليه حتى مارس 1966م، عندما قامت مجموعة من المثقفين في وهران بقيادة محمد حيرش<sup>81</sup> (Mohamed Hirèche) الذي تمّ تعيينه حينها مفتشاً عاماً للتعليم العام، وبمساعدة أعضاء أوروبيين سابقون مثل: الدكتور ليوبولد جيسلين وروبرت ماصون<sup>82</sup> (Robert Masson) أمين متحف بلدية وهران؛ عندما قرروا استئناف نشاط الجمعية مع الاحتفاظ باسمها السابق "الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران"، وقد شرع الأعضاء في وقت مبكر من شهر فيفري 1966م بعقد عدة اجتماعات بين الدكتور جيسلين والدكتور أحمد نقاز (Ahmed Neggaz) المستشار التعليمي الذي تمّ تعيينه من قبل السيد محمد حيرش، كتحصير دوري للجمعية العامة التأسيسية، التي عقدت في 24 مارس 1966م، ذكر خلالها الدكتور ليوبولد جيسلين بصفته

<sup>79</sup> منظمة الجيش السري (L'organisation de l'Armée secrète): وهي منظمة إرهابية فرنسية أسست في 11 فيفري 1961م. وهي تضم الموالين لأطروحة الجزائر فرنسية (L'Algérie Française) بالاعتماد على العمل المسلح. وأول ظهور لعلامة (OAS) كان على جدران الجزائر العاصمة مصحوبة بشعارات "الجزائر فرنسية وستبقى فرنسية". ينظر: تواتي، دحمان، منظمة الجيش السري ونهاية الإرهاب الاستعماري في الجزائر (1961-1962م)، مؤسسة كشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

- محمد، الواعي، منمة الجيش السري OAS، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995م.

<sup>80</sup> دكتور وعالم آثار، عضو وأمين مكتبة الجمعية الأثرية والجغرافية لوهران. ناقش أطروحته في عام 1931م.

<sup>81</sup> ولد يوم 8 مارس 1914م في عمى موسى (ولاية غليزان)، توفي بوهران في 28 أفريل 1982م. حاصل على شهادة البكالوريوس علوم، كان أستاذاً للعلوم الطبيعية في ثانوية وهران، أين سيتعرف عليه مارك فيرو، هذا الأخير الذي نشط معه في حركة الليبراليين في وهران عام 1952م، تمّ تعيينه مديراً لثانوية تيارت، ثم عاد في 1957م إلى وهران كمراقب للمدرسة الثانوية أرديلون (الثانوية الحالية بن باديس). لكن تمسكه بالقضية الوطنية، ومشاركته الفعالة في الإضرابات، أدت إلى توقيفه لمدة ستة أشهر ونفيه إلى فرنسا، حيث درّس في ثانوية كارنو (Lycée Carnot). عاد إلى الجزائر الأشهر الأولى من عام 1962م، والتحق مباشرة بتلمسان حيث شغل منصب مدير المدرسة الثانوية الإسلامية الفرنسية، وفي أكتوبر 1962م تمّ تعيينه مفتشاً لأكاديمية وهران، ليصبح عام 1966م مفتشاً عاماً للتعليم العام .

<sup>82</sup> روبرت ماصون: ولد في 19 جانفي 1914، وهو أحد خبراء العلاج الطبيعي الفرنسي، ومؤلف العديد من الأعمال في مجال العلاج الطبيعي، ومؤسس مركز تدريس العلاج الطبيعي التطبيقي. أدى خدمته الوطنية بالجزائر ما بين (1936-1937م)، ثم عاد إلى باريس وانضم للمقاومة في 1941م وأصبح ضابط معالجة في مجال المخابرات الجوية. وفي ديسمبر 1945م ترك روبرت ماصون الجيش برتبة قائد ليصبح مدير لشركة نقل جوي، حيث شغل منصب رئيس قسم مبيعات طائرات الهليكوبتر (1949-1958م). توفي في 24 أكتوبر 2010م في فرساي عن عمر يناهز 96 عاماً.

مثلاً لمجلس إدارة الجمعية العامة آنذاك قائلاً: أن الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران، توقفت لبضعة أشهر لتستعيد أنفاسها، واليوم هي تعود بحماس أقوى لمواصلة أنشطتها، وللمساهمة ولو بالقدر القليل في إبراز أهمية الغرب الجزائري والجزائر ككل<sup>83</sup>.

تألفت الجمعية التأسيسية الجديدة من 222 عضواً، من بينهم 54 أوروبياً؛ ستة منهم أعضاء سابقون وهم: أوجين كروك (Eugène Cruck)، ليوبولد جيسلين، بول جوتزينجر (Paul Goetzinger)، الأنسة جاسرون (M. Jasseron)، كاميل كيل (Camille Kehl)، روبرت ماصون. وبعد قراءة النظام الأساسي ستختار الجمعية العامة بالإجماع 24 من أعضائها لمجلس الإدارة الذي يُنتخب مكتبه وفقاً للنظام الداخلي على النحو التالي:

- محمد حيرش: رئيساً.
- الحاج المهدي البوعبدلي<sup>84</sup> (El Mahdi El Bouabdelli): النائب الأول للرئيس.
- عبد اللطيف بن شهيدة<sup>85</sup> (Abdelatif Benchehida): النائب الثاني للرئيس.
- أحمد نقاز: الأمين العام.
- الحاج عبد القادر عابد (H. Abdelkader Abed): أمين الصندوق.
- الدكتور ليوبولد غيسلين: أمين المكتبة.
- أ. بنيل (A. Benyelles): سكرتير قسم الجغرافيا والتاريخ.
- رضوان رحال (Redouane Rahal): نائب سكرتير قسم الجغرافيا والتاريخ.

<sup>83</sup> Léopold, Geslin, Allocution faite lors de l'assemblée générale du 24 mars 1966, in: B.S.G.A.O, 1966, publiée in La République du 25 mars 1966.

<sup>84</sup> الشيخ المهدي بن بوعبد الله بن عبد القادر بن محمد بن الجليلاني بن الموهوب البوعبدلي الباحث الجزائري. ولد في 25 جانفي 1907م من أسرة عبد الله المغوفل بالشلف. كان والده الشيخ بوعبد الله صاحب مدرسة قرآنية له علاقة طيبة مع عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد ألف المهدي البوعبدلي العديد من الكتب، وحقق الكثير من المخطوطات: "جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني 10هـ-13هـ"، "ثورة الشريف بوبغلة"، "طبقات علماء الجزائر في العهد العثماني وما قاربه"... الخ. توفي في 6 جوان 1992م.

<sup>85</sup> عبد اللطيف بن شهيدة (1905-2000م): شاعر ومثقف ورجل قانون، مثقف ثقافة مزدوجة (عربية- فرنسية)، ولد في مستغانم ودرس مرحلته الثانوية بتلمسان ثم الجزائر العاصمة ليحصل على شهادة الليسانس في الآداب الجميلة سنة 1926م، وليحصل على ليسانس في الحقوق بجامعة وهران. صاحب كتاب "المقادير" باللغتين العربية والفرنسية، وغيرها من المخطوطات التي لم تَرَ النور.

- روبرت ماصون: سكرتير قسم الآثار.

- الأب ليثيلوكس<sup>86</sup> (Lethielleux): مساعد سكرتير قسم الآثار.

وقد تمّ منح الموافقة من قبل ولاية وهران بموجب الإعلان عن تنشيط الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران، والذي نشر في الجريدة الرسمية بموجب المرسوم التنفيذي رقم 43 المؤرخ في 31 ماي 1966م. تزامن هذا الحدث مع حدث آخر مهم تمثل في إنشاء جامعة وهران، وهكذا فقد وجد العديد من الأساتذة والباحثين في الجمعية ما يحتاجونه، وذلك بفضل مجموعاتها الوثائقية القيمة، وكفاءة أعضائها ما أدى إلى تعاون علمي ثقافي لا يقدر بثمن.

في عام 1975م، خلف الحاج عبد القادر بوالقة (H. Abdelkader Boualga) مفتش أكاديمية وهران؛ محمد حيرش كرئيس للجمعية، كان رجل ثقافة، صديق وتلميذ جاك بيرك، أعطى للجمعية المكانة الفكرية التي تستحقها. خلفه في عام 1992م المحامي رضوان رحال، الذي أراد إحياء التقاليد الأسرية منذ القرن الماضي، وكان عمه السياسي والمفكر الشهير سي أحمد بن رحال (1858-1928م) عضواً مساهماً في هذا العمل القيم. وبمجرد انتخابه - رضوان رحال - قرر المكتب الجديد للجمعية استئناف نشر أعداد نشرية الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران، وتمّ طبع العدد الأول المتعلق بعام 1966م في الورشات القديمة للمطبعة "ليون فوك Léon Fouque"، المطبعة التقليدية للنشرية منذ عام 1894م. وقد بدأ الاهتمام بها في عام 1962م، من قبل الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (SNED)، وبعد ذلك طُبعت النشرة في مختلف المطابع غير المتخصصة في طباعة الدوريات العلمية، مما أدى حتماً إلى انخفاض جودتها المطبعية؛ ولكن دون أن تفقد شيء من قيمتها العلمية، استمرت في تناول أكثر الموضوعات تنوعاً في مجال المعرفة التاريخية والجغرافية، وبالتالي فهي ثروة لا تنضب من

<sup>86</sup> الأب جان ليثيلوكس (Jean Père Lethielleux) (1900 - 1998م)، ولد في باريس في 10 ماي 1900م في عائلة كبيرة. بدأ تدريباته بعد فترة في مدرسة سانت سوليبس عام 1925م، ثم قام بتدريباته اللاهوتية في قرطاج لمدة 3 سنوات. أدى اليمين في 1928م في قرطاج. وبعد مرور عام، عُيّن كاهناً في 29 جوان 1929م. وخلال تدريباته أصبح الأب ليثيلوكس مهتماً باللغة العربية وثقافتها. بدأ رحلته إلى الجزائر من عين الصفرة، حيث سيتعرف على الحياة في أرض الإسلام. في عام 1932م ذهب للتدريب في تونس لإتقان لغته العربية، وفي عام 1934م عاد إلى روما، ثم عاد إلى الصحراء ليعين في الأغواط عام 1936م. شغل منصب مدير مركز توثيق الصحراء في الجلفة، وشغل العديد من المناصب في: ورقلة، البيض، تقرت، بسكرة... الخ، وفي عام 1968م خرج الأب في مهمة استكشاف إلى الحدود الصحراوية، وآخر منصب له بالجزائر كان بني صاف.

المعلومات والمعارف، وأداة بحث أساسية على الرغم من عدم انتظام نشرها، ويعود آخر إصدار لها إلى عام 1988م<sup>87</sup>.

ومع ذلك فمن الواضح أن إعادة تنشيط الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران عقب الاستقلال، كانت حقيقة بفضل جهود جهات فاعلة جديدة في المجال الثقافي، تألفت أساساً من أعضاء التدريس؛ أولئك الذين بحكم انتمائهم الثقافي ومشاركتهم في التنشئة الاجتماعية والسياسية، لاسيما عن طريق النقابات والهيئات السياسية، تمكنوا عقب الاستقلال من دمج مكان للتواصل الاجتماعي والمعربي والذي كان في الماضي - مع بعض الاستثناءات النادرة - مخصص للأوروبيين ولطريقة تفكيرهم وصياغتهم للمعرفة؛ ألا وهو نشرة الجمعية.

لكن في الحقيقة يجب الاعتراف بأن الوظيفة الاجتماعية والثقافية في الوقت الحاضر لجمعية علمية وثقافية مثل الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران، تواجه صعوبات كثيرة في الاعتراف بها كمكان للذاكرة، الذي يتمثل دوره في "خلق الشرعية للمعرفة نفسها وإثارة خطاب الشرعية العلمية لتوحيد ذكريات التاريخ"<sup>88</sup>. هذا ما يجعلها اليوم تشبه في نواحي كثيرة الجمعيات الأثرية العتيقة التي أثارها موريس أغولون<sup>89</sup> (Maurice Agulhon)<sup>90</sup>.

Léopold, (G), Allocution, op.cit, p.13.

87

Nimier, (G), Mémoire et Société, Klinsieck, Paris, 1987, p.142.

88

<sup>89</sup> موريس أغولون (Maurice Agulhon) (1926 - 2014م): مؤرخ فرنسي متخصص في تاريخ فرنسا المعاصر القرن 19 و20م، ولد في 20 ديسمبر 1926م في مدينة جارد. تابع دراسته في المدرسة الثانوية بأفنيون، ثم في ليون على يد المؤرخ جوزيف هورس مركزاً على التاريخ المعاصر. دخل مدرسة المعلمين في عام 1946م ليتخرج منها في عام 1950م، شغل منصب أستاذ في تولون ثم في مرسيليا بداية من عام 1954م، كما قام بالتدريس في جامعة إيكس. أستاذ في كولييج دو فرانس (1986 - 1997م). نشر أطروحته حول "أصول التقليد الجمهوري" عام 1969م في ثلاث مجلدات والتي نالت شهرة واسعة تجاوز الأوساط الأكاديمية، وأظهرت بأنه سيد دراسات القرن التاسع عشر، والتي كانت حول تاريخ الذهنيات السياسية، تلك الخاصة بـ"الذهنية الجماعية". كان من أتباع الاشتراكية الديمقراطية، وعين أستاذاً في جامعة السربون، ثم انتخب في كولييج دو فرانس حيث أنهى حياته الجامعية. كما قاد أغولون العديد من الجمعيات العلمية كجمعية تاريخ ثورة 1848م، وغيرها. توفي في 28 ماي 2014م في بريغولي فار.

<sup>90</sup> -Maurice, Agulhon, Le Cercle dans La Fronce bourgeoise 1810- 1848 étude d'une mutation de sociabilité, A. Colin, Paris, 1977.

وباختصار فإن الجمعية تلعب دوراً كبيراً في تقديم أعضائها حيث يتم ذكر ترقياتهم ورتبهم الشرفية بانتظام في الاجتماع السنوي لها، فمن المؤكد أن الفروقات الموجودة بين أعضائها لها تأثير كبير على سير الجمعية<sup>91</sup>.

إن الرحيل الجماعي للأوروبيين لا يستطيع بمفرده، بأي حال من الأحوال، تفسير الاختفاء السريع للعديد من الجمعيات مباشرة بعد الاستقلال. هذه الظاهرة تجدد تفسيرها في غياب العدد الكافي من الكوادر والكفاءات التي يمكنها أن تتولى المهمة مكان الأوروبيين، وبالتالي ضمان المرور السلس في تسيير هذه الجمعيات، مع ضمان استمرارية نشاطها والحفاظ على تراثها.

وما يجب الإشارة إليه أن الجزائريين عموماً - مع بعض الاستثناءات النادرة - كان من الصعب قبولهم في بعض الجمعيات الفرنسية، حتى وإن كانوا من المقربين للسلطة الفرنسية، ناهيك عن العمل بالإدارة أو حتى شغل مناصب إدارية.

كان هذا هو الحال وبشكل خاص في الجمعيات ذات الطابع العلمي "sociétés savantes" والمؤلفة أساساً من الضباط، والأكاديميين وحتى أصحاب المهن الحرة، الذين جمعوا بين القوة السياسية والمكانة الاجتماعية وسعة المعرفة، فشكّلوا مؤسسة فكرية للدراسات الأثرية<sup>92</sup>. ومن الصعب العثور على هكذا جمعيات في الجزائر لاسيما خلال السنوات الأولى من الاستقلال. وهذا ما يسمح لنا بفهم الأسباب التي أدت إلى توقف العديد من هذه الجمعيات عن نشاطها؛ بل ومنها من كان توقفها بشكل نهائي بعد صيف عام 1962م، مثلما حدث مع الجمعية التاريخية الجزائرية<sup>93</sup>، أو الجمعية الأثرية في قسنطينة 1957م.

<sup>91</sup> -Bourdeau, Philippe, Une mémoire alpine dauphinoise, alpinistes et guides, 1875- 1925, Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble, 1988.

- Rémy, Knafou, L'invention du lieu touristique: la passation d'un contact et le surgissement spontané d'un nouveau territoire, Revue Géographie Alpine, N°4, 1991.

-Chaline, J.P, Sociabilité et érudition: les sociétés savantes en France, Ed du Comité <sup>92</sup> des Travaux Scientifiques et Historiques, Paris, 1995.

<sup>93</sup> في عام 1972م، حاول مؤرخو كلية الآداب في الجزائر إعادة تنشيط الجمعية، من خلال وضع مجلة التاريخ والحضارة المغاربية تحت رعايتها، إلا أن المركز الوطني للدراسات التاريخية قد وضع حداً لهذه التجربة.

ومع ذلك استمرت بعض الجمعيات في النشاط خلال السنوات الأولى من الاستقلال، والتي كانت تُمول من قبل الأعضاء الجزائريين، كما هو الحال مع بعض جمعيات النخبة الرياضية (التنس، ركوب الخيل، السباحة... الخ)، كان هذا هو حال الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران، والتي كانت تشكل جمعية علمية استثنائية لوهران.

كانت الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران منذ ما يقارب القرن من الزمن، واحدة من أهم الجمعيات الفكرية الثلاث التي سيطرت على المجال الفكري في الجزائر المستعمرة؛ سواء من خلال نوعية وكفاءة ممثليها أو النشرات الخاصة بها والتي ساهمت كما يرى عمر كارليير<sup>94</sup> (Carlier Omar) "إلى حد كبير في ظهور مثقفين أوروبيين متخصصين في الجزائر، تحطمت آمالهم وطموحاتهم ومخططاتهم من خلال حرب التحرير"، وهذه الجمعيات هي على التوالي: الجمعية الجغرافية لوهران والجزائر والجمعية الأثرية لقسنطينة<sup>95</sup>.

#### سادساً: منهج كتاب الجمعية ودوافع البحث في تاريخ الجزائر ووهران على وجه الخصوص:

انطلق الفرنسيون في كتابتهم لتاريخ الجزائر من عدة معطيات أهمها: كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة، وكونهم شعباً متحضراً حكموا شعباً متخلفاً، وكونهم مسيحيين قبضوا على زمام شعب مسلم. وهذه المعطيات، هي التي قررت نوعاً من "الحتمية التاريخية" عندهم، وهي التي حددت منهجهم الذي تطور مع الزمن كلما ازدادوا صلة بالجزائريين. ولعل تلك المعطيات هي التي مازالت تتحكم في الكتابات الفرنسية عن الجزائر حتى اليوم.

لقد كانت هناك دوافع كثيرة دفعت الفرنسيين إلى الاهتمام بالتاريخ الجزائري منها:

- الرغبة في التعرف على شعب وقع في قبضة الحضارة الأوروبية.

- هناك دافع السيطرة والاحتلال أو تبرير الاحتلال.

<sup>94</sup> عمر كارليير: ولد عام 1943م في باريس، محام ومؤرخ مختص في فترة العصور الوسطى. كان عضو مؤسس في وحدة أبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية التي تأسست سنة 1985م. وقد كان حامل للجنسية الجزائرية، وباحث في تاريخ الجزائر المعاصر. درّس في وهران لسنوات، ليلتحق بعدها بجامعة باريس ديدور حتى تقاعده في عام 2013م.

<sup>95</sup> -Carlier, Omar, Socialisation et sociabilité, les lieux du politique en Algérie 1895-1954, Oran, Urasc, 1992, p.122.

- دافع الفضول العلمي.

- دافع الدين، فقد احتلت الجزائر بعد صراع شديد بينها وبين أوروبا المسيحية دام ثلاثة قرون<sup>96</sup>.

لقد أصبح ماضي الجزائر منذ 1830م، ضمن اهتمامات فرنسا الأساسية، فأجيال من المؤرخين المحترفين والهواة، المدنيين منهم والعسكريين، فتشوا عن ماضي الجزائر، لمصلحة تتعلق بأسطورة "الجزائر فرنسية"، تراكمات من الأبحاث على مدى 132 سنة، شكلت كتلة فرضت نفسها<sup>97</sup>. من ذلك ما كتبه إميل غوتيه (Emile Gautier)<sup>98</sup>: "تميز تاريخ الجزائر منذ ألفي عام، بغزوات متتالية، قرطاجية، رومانية، وندالية وبيزنطية، عربية، تركية، فرنسية، لم يتم فيها ولو مرة، طرد الغزو الأجنبي، بواسطة ثورة الأهالي، إنما كان ذلك عن طريق غزو أجنبي آخر يريد أن يحل محل الذي سبقه"<sup>99</sup>، بل وقد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما اعتقد بأنه: "إلى جانب الفرنسيين، يوجد بالجزائر أوروبيين، من السهل عليهم جمعياً التأقلم مع وضعهم الجديد، باعتبار أن أجدادهم، الذين تركوا آثارهم في كل مكان في الجزائر، استطاعوا العيش في هذا البلد قرون عديدة"<sup>100</sup>.

وبالنظر إلى أفكار وكتابات هؤلاء المستشرقين الأوروبيين الذين انخرطوا في الجمعية، ندرك أن جهودهم العلمية والإثنوغرافية لا تختلف كثيراً عن جهوده أولئك الذين انخرطوا في الحملة الإمبريالية والصليبية ضد الجزائر وبأن لفرنسا كامل الحق في ذلك، وما يظهر الغرض الإيديولوجي والسياسي المحض

<sup>96</sup> أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ج1، ص ص 17-19.

<sup>97</sup> -Mohamed, Cherif Sahli, *Décoloniser L'Histoire*, Editions ENAP, Alger, 1986, p. 123.

<sup>98</sup> إميل فيليكس غوتيه (1864-1940م): ولد بكلامون فيرون بفرنسا سنة 1864م، مؤرخ وجغرافي فرنسي مختص في دراسة تاريخ المغرب وإفريقيا، أستاذ بجامعة الجزائر، ألف العديد من الكتب والدراسات من بينها: كتاب "ماضي إفريقيا الشمالية في القرون المظلمة"، كتاب "الصحراء الجزائرية"، كما قام بزيارة العديد من المناطق الصحراوية بالجزائر. وقد أشادت هذه الدراسات بأعمال غوتيه في ميادين التاريخ والجغرافيا والإثنوغرافيا والفيلولوجية، حيث بلغ مجموع إنتاجه بـ 130 ما بين كتاب ومقال، ينظر:

- *Mélanges de Géographie et d'orientalisme offerts à E- F, Gautier professeur honoraire à la Faculté des Lettre d'Alger, Tours, 1927, p.V- XI.*

- Larnaude, (M), *Emaile-Félix Gautier (1864-1940)*, in: R.A, N°85, 1941, (O.P.U) 1, Place Centrale de Ben-Aknoun, Alger, pp.162- 165.

<sup>99</sup> -M.E.F Gautier, *L'évolution de l'Algérie de 1830 à 1930*, Publication du comité nationale métropolitain du centenaire de l'Algérie, 1930, p.38.

<sup>100</sup> -Antoine, Jouty, "L'influence français dans l'évolution sociale du peuple algérien", *Extrait de la revue des idées*, Paris, 1913, pp.19- 20.

من تلك الكتابات نذكر على سبيل المثال لا الحصر، ما كتبه الإثنوغرافي موليراس الذي كان يشغل كرسي اللغة العربية، ويدعي البحث العلمي في مختلف قضايا الدين واللغة والجغرافيا والشعوب، فهو يقول: "إنني تربيت وترعرعت تحت تأثير فكرتين لم أتوقف عن استحضارهما إلى يومنا هذا وهما: معرفة جارنا الغريب وإدراجه داخل مجال التأثير الفرنسي"<sup>101</sup>. وهو يقصد بالجار الغريب المغرب الذي يوجد على مرمى حجر من مسقط رأسه تلمسان في الجزائر التابعة آنذاك للنفوذ الفرنسي.

إن هذا التداخل بين العلم والسياسة في كتابة هؤلاء المستشرقين، هو الذي يعكس الالتباس في كتاباتهم وصعوبة التزامهم بـ"الموضوعية العلمية". وقد تحدث الباحث المغربي فوزي هرورو (M. F. Houroro) عن الهدف من تأسيس البعثة العلمية قائلا: "إذا كان هدف البعثة العلمية هو القيام بدراسة موضوعية...، تروم معرفة الوقائع من أجل السيطرة عليها؛ وإذا كانت هذه السيطرة تتضمن تبريرات مشروعة، ألن تسقط هذه المؤسسة بالتالي في تناقض لا يمكن تجاوزه على يبدو، تناقض يتمثل في محاولة معرفة الوقائع بغرض تشويهه، رغبة في استعماله لأغراض خاصة"<sup>102</sup>.

لقد كان من بين الأهداف التي ساهمت في تأسيس نشرية وهران الجغرافية والأثرية معرفة التعرف على جغرافية الجزائر بصفة عامة وغربها بصفة خاصة، لتفنيد فكرة أن الجزائر مرتبطة بالحضارة الرومانية ومحاولون إثبات ذلك من خلال ما خلفته هذه الأخيرة من آثار بها. وفي هذا الصدد نذكر قول فرانسوا دوميرغ: "... كان من الضروري فتح المجال في الجمعية لعلم الآثار، لقد فتح لنا هذا أفقاً أوسع لدراساتنا؛ ومهد الطريق للبحوث الأثرية المثيرة للاهتمام... نقاط تم تجاهلها حتى الآن، وثائق كانت مجهولة. وبالتالي فإن هذا الفقر في الآثار التي نراها في مقاطعتنا - وهران- حدد مسارات غير معروفة وشكل الإطار الرئيسي لمتحفنا، الذي أصبح بالفعل أحد أكثر الأماكن متعة والأكثر إثارة للاهتمام في مدينتنا"<sup>103</sup>.

وفي هذا الصدد نذكر قول كانيا: "... إذا أردنا بناء حضارة قوية، أو تحقيق شيء لم نحققه، فنحن بحاجة إلى العودة إلى التجارب الرومانية في المنطقة... كان للرومان الفضل في تنوير المنطقة قبل

<sup>101</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: أوجست، موليراس، المغرب المجهول: اكتشاف الريف، تر، تق: عز الدين الخطابي، (د،ط)، منشورات تفران اء ريف، دار النجاح الجديدة، 2007م، ج1.

<sup>102</sup> أوجست، موليراس، المرجع السابق، ص 8.

Bouty, (J), 20<sup>me</sup> Anniversaire..., op.cit, p.XIV.

<sup>103</sup>

مجيئنا ولا يمكن أن ننكر تأثير الرومان وما قاموا به من مجهودات والدليل على ذلك ما تركوه من آثار في المنطقة<sup>104</sup>.

تعد الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران من المنشورات التي بقيت تصدر لأكثر من قرن وربع القرن، وقد حافظت على التراث الفكري والثقافي للعاصمة الغربية، عندما لم يكن بالمجتمع الوهراني مؤسسات تعليم عالي وبمبحث علمي. وتعد منشورات الجمعية من المراجع ذات الأهمية العلمية والفكرية لأجيال من العلماء والباحثين المحليين وغيرهم. إلا أن محاولة إعادة إحياء نشر النشرة، وإعادة المكانة الثقافية للجمعية من قبل عدد قليل من الشخصيات والمثقفين المحليين عقب الاستقلال لم يغير كثيراً من الوضع السابق.

والحقيقة أن تراكم مثل هذا التراث والحفاظ عليه بغيره لأكثر من قرن وربع؛ هو على الأغلب جزء من الوعي الوراثي الذي لا يزال موجوداً لدى قسم كبير من النخبة المحلية المثقفة، الذي يعتبر بحق أن المجموعات الوثائقية للجمعية من (كتب، مجلات، منشورات، خرائط، محفوظات... الخ)، تشكل أكثر من تراث، بل على خلاف ذلك ذاكرة ثقافية حقيقية وثروة لا تنضب من المعلومات، وأداة بحث أساسية عن أحدث تطورات المعرفة في المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وهذا في مجالات مختلفة: التاريخ، علم الآثار، الإثنوغرافيا، علم الطبيعة، الجغرافيا، اللغويات... الخ.

#### سابعاً: منشورات الجمعية:

لقد أصدرت جمعية الجغرافيا والأركيولوجيا لمدينة وهران، مجموعة من المنشورات التي تمس مختلف جوانب المعرفة التاريخية والجغرافية للمغرب العربي، إلى جانب نشرتها الدورية المميزة. هذه المنشورات المخزنة بمقر الجمعية إلى جانب سلسلة من النشريات والمجلات لمجموعة من الجمعيات العلمية الجزائرية والمغربية القديمة كذلك؛ تمثل في أيامنا هذه، مجموعة من الوثائق الهامة والتمينة، وجزء لا يتجزأ من التراث الثقافي الوطني، وذلك بفضل قدمها وندرتهما.

كانت النشرة الفصلية للجمعية، تشكل الجهاز الأساسي الذي يوضح نشاطها ويحافظ على علاقاتها مع بقية الجمعيات العلمية والمؤسسات الأكاديمية.

## 1: المنشورات الدورية:

لقد تجسد ذلك من خلال إنشاء النشرة الفصلية القانونية للجمعية، هذه الأخيرة التي نصّ نظامها الداخلي على أنه من بين وسائل العمل والتي تظهر في المقام الأول، هو "إنشاء نشرة دورية"، كما نص أيضاً على إنشاء هيئة تحرير لصياغة النشرة<sup>105</sup>. وفق النظام الداخلي للجمعية الذي ينظم إدارة النشرة (المواد من 27 إلى 44)، وبالتالي فإن 18 مادة من أصل 52 مادة من النظام الداخلي للجمعية كانت مرتبطة بذلك المطلب.

لم تتمكن الجمعية من تحقيق هذا المطلب حتى 17 أوت 1878م، أي بعد أربعة أشهر من تأسيسها، عندما تقرر، طبع النشرة الفصلية، والتي سيتم نشرها في ثلاثمائة نسخة (300)؛ تحت عنوان: "النشرة الفصلية للجمعية الجغرافية لإقليم وهران"، إلا أنه وخلال السنوات الثلاث الأولى من عملية النشر (1878-1881م)، تم تخصيص الجزء الأكبر من المشاركات للعمل الجغرافي، وتم ترك فقط جزء صغير للمقالات المتعلقة بعلم الآثار، هذا الأخير الذي سيتم تداركه في القرار الصادر في ماي 1881م والمتعلق بتوسيع مجال الجمعية لتشمل علم الآثار، ويظهر هذا بداية من العدد رقم 10 (فيفري- جوان 1881م)، أين حملت التسمية التي بقية معروفة حتى اليوم، ألا وهي: "نشرة جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران".

وقد نشأت الجمعية ونشريتها في ظل ظروف سياسية خاصة تمثلت في: الحرب الفرنسية الألمانية عام 1870م، وكذا التوسع الاستعماري للقوى الغربية وخاصة في إفريقيا، وما صاحبه من تأخر للمدرسة الجغرافية الفرنسية مقارنة بنظيرتها الألمانية... الخ، ضف إلى ذلك الغاية الاستعمارية من جمع المعرفة العلمية حول المستعمرة الجزائرية. ما سيجعل منها - الجمعية - بمثابة جهاز دعاية للعمل الاستعماري بحجة مهمة حضارية لفرنسا في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة.

لقد اتخذت النشرة الجغرافية والأثرية لإقليم وهران منذ تأسيسها شكلاً وحجماً خاصاً بها، والذي يتكون عادة من الأجزاء التالية حسب ترتيب التصنيف كما يلي:

- الإجراءات الإدارية للجمعية.

- ملخصات وإشعارات (مقالات إخبارية).
- الإحصائيات (الزراعية، الموانئ، الديموغرافية، الاقتصادية... الخ).
- ملاحظات الأرصاد الجوية مأخوذة من مرصد حصن سانتا كروز (ابتداء من 1896م)<sup>106</sup>.
- نعي.
- المراجع (البيبلوغرافيا).
- إعلانات وإشعارات خاصة بالجمعية<sup>107</sup>.

في الفترة ما بين (1878-1913م)، تمّ نشر النشرة بانتظام في أربع مجلدات فصلية مؤلفة من خمسمائة إلى ستمائة صفحة في السنة. إلا أن الصعوبات التي واجهتها النشرة خلال الحرب العالمية الأولى (تقييد الأوراق، الرقابة العسكرية، تغيير الأعضاء... الخ)، أدت إلى خفض أعداد النشرة إلى ثلاث مجلدات في السنة بعدد صفحات يتراوح ما بين مائتان إلى مائتان وخمسون صفحة؛ خلال الفترة من 1914م إلى 1939م، باستثناء سنة 1918م حيث تمّ نشرها مرتين فقط في السنة. وقد أوضح فرانسوا دوميرغ عام 1920م، أنه من بين الحيل البارة التي كان عليه القيام بها لنشر النشرة سنوات الحرب: ولتحقيق التوازن بين الميزانيات؛ كان من الضروري كل عام سحب الإعتمادات المخصصة لبعض المواد لتوفير مستحقات للفصل الأكثر أهمية في النشرة، وهذا يتعارض مع الهدف الذي تسعى الجمعية إلى تحقيقه، ولذا نرجوا دعم المتعاونين المثقفين لنا والمشاركة في هذه الأزمات من الكتابة، والتي هي في هذه اللحظة تهدد المستقبل الفكري والعلمي للأمة<sup>108</sup>.

والجدول التالي يوضح توزيع بعض الأجزاء المختلفة من نشرية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم

وهران (1878-1988م)<sup>109</sup>

<sup>106</sup> مرصد جوي مقام في حصن سانتا كروز، تأسس في عام 1898م من قبل العقيد دوريان (1839-1904م)، الذي ترأس الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران (1894-1904م)، في مناسبتين: الاحتفال بالذكرى العشرين للجمعية سنة 1898م، وعقد المؤتمر الوطني للجمعيات الجغرافية الفرنسية في أبريل 1902م بمناسبة الاحتفال بألفية وهران.

B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, pp.6-7.

Doumergue, (F), Discours devant l'Assemblée générale du 9 mai 1920, in:

B.S.G.A.O, T40, mars- juin 1920, p.92.

Saddek, Benkada, « Un patrimoine culturel... », op.cit, p.11.

الفترة	النوعي (الوفيات)	عدد المقالات	الببليوغرافيا	الإجراءات الإدارية
1878 - 1897م	20	440	89	117
1898 - 1907م	32	210	56	93
1908 - 1927م	108	240	268	80
1928 - 1956م	21	266	279	83
1957 - 1960م	/	/	16	39
1966 - 1988م	/	78	6	12
المجموع	181	1234	714	424

يتضح لنا من خلال الجدول التنوع والثراء الذي تحظى به النشرة من خلال إهتمامها ليس فقط بتاريخ شمال إفريقيا والمغرب العربي وبالأخص الجزء الغربي من الجزائر ضمن هذا الفضاء الجغرافي المتنوع، بل وحتى إهتمامها بأعضائها من حيث أنها كانت تُفرد في أعدادها في العديد من المرات نعي أو عدد خاص لأبرز أعضائها وهذا ما لم نلاحظه كثيرا في المجلة الإفريقية.

## 2- الجداول العامة للنشرة:

بالإضافة إلى النشرة، غالباً ما يتم الاستشهاد بالجدول العامة للنشرة لجودتها وتسهيلها عملية الوصول إلى المعلومات الأصلية الواردة في النشرة، وقد نشرت الجداول العامة الأربعة في الفترة من 1898م إلى 1956م.

تمّ نشر الجدول العام الأول في عام 1898م بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس الجمعية، كانت هذه السلسلة الأولى أو الجزء الذي غطى الفترة ما بين (1878 - 1897م) ظهر تحت عنوان: "مجلة أعمال الجمعية Journal des travaux de la société"، حرره الرائد لويس ديمائت نائب رئيس الجمعية والذي كان مسؤولاً في نفس الوقت عن وضع فهرس لمقتنيات متحف مدينة وهران، والتي

نشرت في نفس العام نفسه من قبل الجمعية، وقد وضع ديمائت لهذه السلسلة الأولى من الجدول بشكل عام، خطة مقسمة إلى خمسة أجزاء:

- 1- الجدول الأبجدي للمؤلفين.
  - 2- الجدول الأبجدي للمواضيع المدرجة في نشرات الجمعية.
  - 3- الجدول التحليلي والمنهجي للنقوش اللاتينية واليونانية والبونية والليبية، الإسبانية والعربية.
  - 4- روعة وجمال الأقاليم الإفريقية.
  - 5- الفهرس الأبجدي للأسماء والأماكن المدرجة في الجدول العام<sup>110</sup>.
- المجموعة الثانية من الجدول العام تتعلق بالفترة 1898-1907م، وقد تمّ إنشاؤها بقلم إنجل (P. Engel) الأمين العام للجمعية، على شاكلة الجدول السابق، يتكون من خمسة أجزاء:

- 1- الجدول الأبجدي للمؤلفين.
  - 2- جدول أبجدي للمحتويات المدرجة في نشرات الجمعية.
  - 3- الجداول الأبجدية والمنهجية للنقوش اللاتينية والليبية.
  - 4- فهرس أبجدي لأسماء الأشخاص والأماكن المدرجة في الجدول السابقة.
  - 5- الجدول الأبجدي المتعلق بالمجلد الخاص بالمؤتمر الوطني للجمعيات الجغرافية الفرنسية الذي عقد في عام 1902م في وهران، بمناسبة الاحتفال بالألفية لتأسيس المدينة<sup>111</sup>.
- المجموعة الثالثة من الجدول العام، تحت عنوان "مجلة أعمال الجمعية" والمتعلقة بالفترة 1908-1927م، والتي نشرت في عام 1930م بمناسبة الاحتفالات المئوية، وقد كان كميل كيل رئيس الجمعية وبمساعدة الأمين العام شوفين (M. Chauvin)، مسؤولاً عن إعداد الجدول والفهرس التحليلي للنقوش اللاتينية.

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, pp.1-18.

110

-Joseph, Bouty, Compte..., op.cit, B.S.G.A.O, 1886, pp.81- 86.

111

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.5.

وقد غطت السلسلة الرابعة الفترة ما بين 1928-1956م؛ وكانت تختلف عن السلسلة السابقة من حيث أنها لم تكن تحمل عنوان مجلة أعمال الجمعية، والجدول العام لنشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران<sup>112</sup>؛ بدأ تطويره بواسطة ديجاردين<sup>113</sup> (Desjardins) واستمر ذلك من طرف غوستاف فويليموت الأمين العام للجمعية، بمساعدة كل من فيتو (Vito) وب. كورتو (P. Courtot)، هذا الأخير الذي اهتم بشكل خاص بمراجعة المؤشرات المتعلقة بالنقوش اللاتينية، وفيما يتعلق بالطريقة المعتمدة لتقسيم الجدول العام (1928-1956م)، رأى غوستاف فويليموت (Gustave Vuillemot)<sup>114</sup> أنه على الرغم من تخصص الدراسات والتي جعلت التخصصات

<sup>112</sup> Ch-A, Julien, omet de souligner, dans la très importante bibliographie, annexée à son Histoire de l'Algérie contemporaine (PUF, 2<sup>ème</sup> édition 1979, p.511.), Table générale du Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran, (4<sup>ème</sup> série), années 1928 à 1956, Oran, S.G.A.O, imprime L. Fouque, 1961, 135 p.

<sup>113</sup> أنطوان إميل إرنست ديجاردان (30 سبتمبر 1823م في نوزي سور أويز، وتوفي في 22 أكتوبر 1886م بباريس) كان مؤرخاً فرنسياً، وجغرافياً وعالم آثار. في عام 1856م بدأ تدريس الفصول في الكتابة اللاتينية في ثانوية نابليون في باريس، ومن عام 1861م قام بتدريس دورات في الجغرافيا في المدرسة الثانوية العليا. لعدة سنوات أجرى البحوث الأثرية في إيطاليا ومصر والمناطق على طول نهر الدانوب. في عام 1875م، أصبح عضواً في أكاديمية النقوش والآداب الجميلة. في عام 1886م، تم تعيينه أستاذاً للكتابات والآثار الرومانية في كوليج دو فرانس.

<sup>114</sup> غوستاف فويليموت: عالم آثار فرنسي متخصص في علم الآثار الفينيقية البونيقية في شمال إفريقيا. من مواليد 5 فيفري 1912م في بو. سافر إلى وهران ودرس في المدرسة الثانوية لامورسيير بنفس الولاية، ثم التحق بكلية الحقوق والآداب حيث درس علم الآثار في 1932-1933م، ثم في باريس عام 1935م. تعاون مع فرانسوا دوميرغ، أمين متحف وهران. وفي عام 1934م التحق بالجيش حتى عام 1940م. وقد عمل من عام 1935م على إصدار العديد من الدراسات الاستقصائية الاستكشافية عن عصور ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا، والتنقيب عن العديد من المواقع الأثرية الفينيقية والبونيقية في وهران. كما تم تعيينه في عام 1956م مديراً لمدير متحف وهران وفي مجموعة الفنون الجميلة والآثار وما قبل التاريخ والتاريخ الطبيعي. غادر الجزائر بعد الاستقلال ليكمل مساره في باريس، وأحيل على التقاعد في سنة 1980م، وتوفي في 1 ماي 2013م في فيرونون في فرنسا عن عمر يناهز 101 سنة. ينظر:

-Jean- Pierre, Laporte, " Gustave Vuillemot (1912- 2013) et L'Archéologie de L'Oranie (Algérie)", RM2E Revue de la Méditerranée Edition électronique, Institut méditerranéen, T I. 2, 2014, pp.73-84.

التي تقوم بها النشرية بعضها يُعيد النظر في عرض الجدول المنهجي، من أجل الحفاظ على التجانس بين نفس الانقسامات<sup>115</sup>.

تمّ نشر جدول ملخص بأسماء مؤلفي المقالات في الفترة من 1966 إلى 1976م، في نشرة 1977-1978م.

### 3- النشرات الخاصة باحتفاليات ذكرى تأسيس الجمعية:

قررت الجمعية خلال احتفالها بالذكرى العشرين لتأسيسها، استبدال إصدار الربع الأول من عام 1898م (العدد رقم 75) من قبل كراسة خاصة عرفت باسم "نشرة خاصة" والتي أدرجت فيها مقالات بأقلام شخصيات رفيعة المستوى تناولت قضايا مثيرة للاهتمام ارتبطت أساساً بالجغرافيا وعلم الآثار لشمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة<sup>116</sup>. وفي نفس الوقت صدرت السلسلة الثانية من مجلة أعمال الجمعية (1878م-1898م) ودليل لمتحف مدينة وهران، كل هذا كان بفضل جهود الرائد لويس ديمائت الذي توفي بعد بضعة أيام من الاحتفال بالذكرى العشرين للجمعية<sup>117</sup>.

وقد تضمنت هذه النشرة الخاصة المؤلفة من 150 صفحة، "اثني عشرة ملاحظة أو مذكرة كتبت من طرف متخصصين من أمثال: إميل غوتيه، أ. هيرون دو فيلفوس (A. Héron de Villefosse)<sup>118</sup>، رينيه كانيا، أوغستين برنارد، رينيه باصيه،... الخ، الذين كانوا حريصين على تقديم

<sup>115</sup> -Vuillemot, (G), Avant propose, Table générale du Bulletin S.G.A.O, 4° série Oran, L. Fouque, 1961, p.3.

<sup>116</sup> Derrien (Lieutenant- Colonel), Préface, Bulletin du Vingtième anniversaire 1878-1898, pp. I- II.

<sup>117</sup> - B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, pp.10 -11.

<sup>118</sup> أنطوان هيرون دي فيلفوس عالم آثار فرنسي، من مواليد 1845م، توفي في عام 1919م، متخصص في الكتابة اللاتينية. حائز على دبلوم أمين المحفوظات في عام 1869م، وكان أمين متحف اللوفر، وعضو المعهد 1886م، والمسؤول عن النقوش اليونانية والرومانية في المعهناك. شارك في الحفريات الأثرية في شمال إفريقيا (الجزائر وتونس)، وفي أوروبا (إيطاليا وألمانيا). كان عضو في أكاديمية النقوش والآداب الجميلة. وهو أيضاً الرئيس الشرفي لجمعية التاريخ والآثار، ورئيس لجنة الأعمال التاريخية والعلمية (قسم علم الآثار) ومدير الدراسات في كلية الدراسات المتقدمة. كانت أكثر منشوراته الأعمال والمقالات المتعلقة بالكتابة اللاتينية.

خدمات جلييلة لجمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران، وعلى وجه الخصوص الرائد ديمائت فلهم منا كل الاحترام والتقدير"<sup>119</sup>.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن تلك المقالات قد سبقتها مساهمتان، الأولى: "سرد للعمل الأثري في الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران"، ويرجع ذلك إلى ج. توتين<sup>120</sup> (J. Toutain) بروفييسور بكلية الآداب بجامعة كاين (Caen)؛ والثانية: القيام بـ"ملخص الأعمال الجغرافية والتاريخية للجمعية وهران"، من طرف الأستاذ بول روف أستاذ التاريخ في مدرسة وهران الثانوية.

وفي أبريل 1928م، وتحت الرئاسة الثانية لفرانسوا دوميرغ، تمّ الاحتفال بالذكرى الخمسون لتأسيس الجمعية، تمكنت خلالها اللجنة من نشر نشرة خاصة (عدد خاص) بعنوان: "الذكرى الخمسون"، المطبوعة من خلال المنح التي تمّ تقديمها خصيصاً من قبل المؤسسات المختلفة، مقدمة من قبل فرانسوا دوميرغ، وقد ضمت النشرة الخاصة المكونة من 134 صفحة؛ تسع مساهمات في مختلف التخصصات التاريخية والعلمية<sup>121</sup>.

#### 4- نشرات غير عادية:

اقترحت جمعية الجغرافيا والآثار في مقاطعة وهران، خلال الدورة الحادية والعشرون للمؤتمر الوطني للجمعيات الجغرافية الفرنسية، الذي عقد في أوت 1900م في باريس، لتنظيم المؤتمر الثالث والعشرين

<sup>119</sup> Sandras, (G), Résumé des travaux de la Société de Géographie et d'Archéologie de province d'Oran de 1898 à 1907, Journal des travaux de la société, Table générale, 2<sup>eme</sup> partie 1898- 1907, B.S.G.A.O, T10, 1910, p.16.

<sup>120</sup> جول توتين (Jules Toutain): ولد في فينسينز في 20 نوفمبر 1865م وتوفي في باريس في 18 جانفي 1961م هو عالم آثار فرنسي. درس في ثانوية شارلمان قبل دخول مدرسة المعلمين العليا في عام 1885م، هذه الأخيرة التي أصبح بها أستاذاً. كان جول توتين رئيساً لجمعية العلوم في سيمور ومدير الحفريات في أليسيا حتى 1983م. ركز بحثه على تاريخ إفريقيا الرومانية، ولا سيما في سياق تونس الحالية، وتاريخ الأديان في الإمبراطورية الرومانية. كانت له العديد من المؤلفات مثل: "المدن الرومانية في تونس"، "تاريخ العصور الوسطى"، "ملاحظات حول فن الخط والآثار التونسية"... الخ.

<sup>121</sup> Doumergue, (F), Préface, Bulletin spécial..., op.cit, p.5.

DIVERS, Le Cinquantenaire de la Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran (1878-1928), in: B.S.G.A.O, T48, 1928, pp.105-136.

في عام 1902م، في وهران، وقد تزامن ذلك مع حدث آخر مهم هو الاحتفال بألفية تأسيس مدينة وهران<sup>122</sup>. في نهاية المؤتمر والذي عقد في الفترة من 1 إلى 5 أبريل 1902م<sup>123</sup>، وقد تولت الجمعية نشر المساهمات التي ظهرت في شكل مجلد خاص من 275 صفحة، في إطار عنوان تقرير مداوات المؤتمر الذي نشر في عام 1903م<sup>124</sup> من طرف مدير وهران بول بيربي<sup>125</sup> (Paul Perrier).

وقد تمّ نشر كراسة خاصة بذكرى الرئيس السابق للجمعية فرانسوا دوميرغ المتوفى عام 1938م، والذي كان جاهزاً للطباعة في عام 1939م، عشية اندلاع الحرب، وعلى الرغم من القيود التي تفرضها الجمعية، فقد كان يتم تقديم هذا الأخير تحت عنوان: "تكريماً لذكرى فرانسوا دوميرغ" مقدماً من قبل رئيس الجمعية الدكتور جورج سيكارد، ضمت المساهمة مختلف التخصصات، وببليوغرافيا شاملة للعمل العلمي لفرانسوا دوميرغ ويتألف هذا الكتيب من 174 صفحة.

من أجل تنشيط الحياة الفكرية ولتعويض الركود الذي عاشته خلال سنوات الحرب، وبدعم من السلطات؛ ناشدت الجمعية جميع الجمعيات الثقافية الإقليمية، الفنية والطبية والزراعية... الخ، من أجل التنمية المشتركة لبرنامج الأحداث الثقافية والعلمية، والتي أعطيت لقب "وهرانيات"، وقعت في وهران في الفترة من 14 إلى 20 ديسمبر 1946م. نشرت خلالها الجمعية اثنان وثلاثون مؤتمراً وورقة قدمت خلال هذه "الأيام الوهرانية"، على شكل كراسات نصف سنوية، 1947 و 1948م (الكراسات رقم 222 إلى 225).

## 5- الأعمال والدراسات والمذكرات:

<sup>122</sup> - B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, pp.16-17.

<sup>123</sup> - B.S.G.A.O, Congrès nationale des Société françaises de Géographie Oran 1902, T22, 1902, pp.118-120.

<sup>124</sup> حول المؤتمر ينظر:

- B.S.G.A.O, Congrès nationale des Société françaises de Géographie En 1903, T23, 1903, p.12.

<sup>125</sup> بول بيربي: سياسي فرنسي، ترأس الكلية التقنية في سان ميشيل دي موربان. انتخب مستشاراً عاماً. عضو مجلس إقليمي. حصل على

شارة فارس وسام جوقة الشرف من الرئيس فرانسوا ميتران.

## أ- الأعمال:

- كانت الأشغال عادة ما تكون مذكرات أصلية منشورة في النشرة، على أن تنشر في مجلدات قائمة بذاتها ومن أمثلة ذلك ما يلي:
- فرانسوا دوميرغ: مقالة حول الحيوانات الزاحفة في وهران، مع المخططات التحليلية ومفاهيم لتحديد جميع الزواحف والبرمائيات في المغرب والجزائر وتونس، ضمن مجلد واحد يتكون من 404 صفحة و 27 لوحة، و 217 شخصية، الصادر عام 1901م.
  - القائد لويس فوانوت<sup>126</sup> (Louis Voinot): منطقة تيديكلت (Tidikelt)<sup>127</sup>، ضمن مجلد واحد، مكون من 152 صفحة، 18 لوحة منقوشات، 5 بطاقات ومخطط للوحات الصادر عام 1909م.
  - مجلد ألغام وجدة، يتشكل من 580 صفحة، 26 لوحة مخطط، الصادر عام 1912م لنفس المؤلف<sup>128</sup>.
  - س. مسيني (C. Mesnier): دراسة إقليم عين الصفراء، ضمن مجلد يتكون من 310 صفحة، خرائط خارجية، الصادر عام 1914م.
  - أ. فور (A. Faure): ملاحظات حول النباتات والأعشاب في وهران، من 116 صفحة، الصادر عام 1940.

<sup>126</sup> لويس فوانوت: ولد بليون في 4 ديسمبر 1869م، وتوفي في فيلوربان في 20 جويلية 1960م، وهو ضابط ومستكشف ورسام خرائط فرنسي. ملازم في شركة تيديكلت الصحراوية، اكتشف في عام 1907م حوض ايعارغر (Igharghar) ووضع أول خريطة تفصيلية ل تيديكلت. كما يدرس التاريخ والإثنوغرافيا والتجارة والحياة الاجتماعية للسكان الذين يقدر عددهم بنحو تسعة آلاف. في عام 1911م، تم تكليفه مرة أخرى بمهمة في جنوب المغرب من تيديكلت مروراً بوادي ملوية، وواحة تاوريرت إلى دبدو. حصل على وسام قائد جوقة الشرف في 29 أكتوبر 1927م.

<sup>127</sup> إحدى مناطق إقليم توات تمتد من رقان (من عين الشبي) إلى فقارة الزوى بعين صالح.

<sup>128</sup> أعادت جمعية الفرنسيين المغاربة القدامى "أطفال الشرق"، إصدار أعمال القائد لويس فوانوت التي نشرتها الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران على وجه الخصوص:

-Oujda et L'Amalat, Paris, 2vol, 1988.

-Relation allégro-marocaines sur la frontière du tell (1848-1907), Saint- Germain- en Laye, 1989.

## ب- الدراسات: المنوغرافيات:

هي عبارة عن دراسات غير منشورة تمّ منحها للجمعية، من الأسئلة التي طرحت في المسابقات العادية وغير العادية التي كانت تحريرها الجمعية. وأهم هذه الدراسات نجد:

- "جغرافية المغرب" لـ جوزيف كانال (Joseph Canal)<sup>129</sup>، ضمن مجلد من 186 صفحة، مطبعة فوك، وهران، الصادر في 1902. تمّ منح هذه المذكرة في عام 1901م، وكانت العمل الوحيد المقدم ضمن مسابقة التي افتتحت لعام 1901م، لمؤلفها جوزيف كانال، والذي كان عضواً في الجمعية بعد أن أحيل على التقاعد<sup>130</sup>.

## ج- المذكرات:

في عام 1961م، ابتكرت الجمعية من خلال إنشاء مجموعة بعنوان "ملاحظات جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران"، كانت المجموعة تتكون من كتيبات تمّ تحريرها من غير دورية منتظمة، كل منها تشكل ملخصاً كاملاً عن المواضيع فيما يتعلق بنشاط الجمعية، ولكن مدى انتشارها وتوزيعها تجاوز النشرة الفصلية. ومع نهاية حرب التحرير في الجزائر، تمكنت الجمعية من نشر جزء من هذه المجموعة المذكرة رقم واحد (1)، المكرسة لعمل سيباستيان سانتا<sup>131</sup> (Sébastien Santa)، الطبيب الصيدلي، بالتعاون مع أ. سيمونت<sup>132</sup> (A. Simonet): الأسماك والعالم البحري لساحل وهران، طبعت الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران، 313 صفحة، أعمال مطبعة ليون فوك، 1961م.

## ثامناً- تبادل النشرة مع الجمعيات العلمية والأكاديمية:

<sup>129</sup> فرانسوا فيكتور جوزيف أنطوان كانال (François Victor Joseph Antoine Canal): هو مسؤول رفيع المستوى في هيئة المحافظين، ولد في 4 أكتوبر 1866م في سان جيرمان دي بري (تارن) وتوفي في 17 أبريل 1965م في روكوبرون كاب مارتن (ألب مارتيم). كان الأمين العام للولاية في كانتال (1891-1895م)، في سافوي (1895-1896م)، في أور (1896-1905م) وفي لوار السفلى (1905-1909م). كما عمل كمهندس للطرق والجسور، واصل حياته المهنية في الإدارة إلى غاية 1923م. ليصبح ضابطاً وحصل على وسام جوقة الشرف في 12 نوفمبر 1923م.

- B.S.G.A.O, op.cit, T27, 1907, p.13.

<sup>131</sup> سيباستيان سانتا: هو طبيب صيدلي وعالم نبات فرنسي. وهو معروف بتعاونه مع بيير كوزيل في وضع تصنيف لنباتات الجزائر الجديدة.

<sup>132</sup> سيمونت: عالم بحار فرنسي. زار وهران وأجرى دراسات على ساحلها لمعرفة ما تزخر به المنطقة من تنوع ثرواتي بحري بالتعاون مع سيباستيان سانتا.

لقد كان تبادل النشرة مع الجمعيات العلمية والأكاديمية الأخرى، يشكل في جميع الأوقات الشغل الشاغل للجمعية، هذه الأخيرة التي عرفت أنشطتها العلمية انتشاراً واسعاً بفضل نشريتها التي كانت معروفة بشكل عام وتحظى بتقدير كبير في الخارج، إذا حكمنا على طلبات التبادل التي تلقتها الجمعية من جميع أنحاء العالم والتي بلغت أزيد من أربعة وثمانون جمعية<sup>133</sup>. ولتوسيع جمهورها، لم يتردد مجلس التحرير في عام 1932م، من الموافقة على تقديم نشرة ملخصات العلوم الاجتماعية المجانية في نيويورك، وعمل أكثر من 5000 دورية علمية، مكتوبة بـ 35 لغة مختلفة.

ويمكن الإشارة إلى أن علاقة الجمعية بنظرائها الأجانب على وجه الخصوص؛ كانت تعتمد على العلاقات الدولية والتوجهات الإيديولوجية التي حافظت عليها المدينة مع بقية العالم. لذلك قررت في عام 1915م تعليق تبادل نشرتها مع جميع الجمعيات العلمية والجامعات النمساوية الألمانية؛ وأنه منذ عام 1917م ستشرع النشرة في تبادلها مع المؤسسات الأكاديمية لدول الاتحاد السوفياتي.

فبعد الحرب العالمية الأولى تعهدت الجمعية بسياسة الدعم العلمي والتضامن مع البلدان التي عانت؛ إما بسبب الاستعمار والحروب أو بسبب الكوارث الطبيعية وما ولدته من خسائر في مكتباتهم؛ عن طريق إرسال المنشورات مجاناً. هكذا تم تقديمها في عام 1919م إلى مكتبة لوفين (Louvain) التي أحرقها الألمان، وفي مكتبة جامعة طوكيو، وأعقاب الزلزال الذي دمر المدينة في عام 1924م يجري إعادة تشكيل دفعات مهمة من المنشورات ومجموعات النشرة.

**تاسعاً: الصعوبات التي واجهت عملية نشر النشرة خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945م:**

أمام عدم قدرة لجنة تحرير النشرة على أن تقدم أعمال مثل تلك التي قام بها فرانسوا دوميرغ، هذا الأخير - وبشهادة من خلفوه - الذي كرس حياته خدمة للجمعية ونشرتها. ضف إلى ذلك قسوة قوانين فيشي، لاسيما ما تعلق منها بتقييد الحريات واستبعاد اليهود والماسونيين من أي نشاط جمعي. كل هذا أدى إلى تعطيل نشاط الجمعية برئاسة الدكتور جورج سيكارد بداية من 1940م، ولم يتم عقد

اجتماعاتها العامة حتى شهر أكتوبر من نفس السنة، وتقرر أن يقتصر نشر النشرية على عدد من في السنة.

كما أن من أسباب تأخر نشر النشرية هو تأشيرة الرقابة الذي قللت الجمعية اهتمامها به خلال الحرب العالمية الأولى وقد كان نائب الرئيس آنذاك الجنرال جوزيف باشونغ ( Joseph Baschung)، قائد ساحة وهران، وأيضاً المشاكل المتعلقة بتخصيص الورق للمطابع<sup>134</sup>، وتعبئة عمال المطابع، وهكذا أصبح نشر النشرية يزداد صعوبة يوماً بعد يوم.

في الواقع، ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى أبريل 1961م؛ تاريخ طباعة العدد الأخير رقم 237، لم تعد النشرية قادرة على استعادة انتظامها الذي كانت تعرفه قبل الحربين العالميتين. وفي سنة 1956م أدرك السكرتير العام غوستاف فويليموت صعوبة هذا الوضع وذكر قائلاً: "السوء الحظ، تقلبات الحرب أعاقت ولسنوات عديدة نشاط الجمعية، على الرغم من العمل الشجاع لأعضائها التي لم تؤثر على التعبئة بواسطة الغياب والحرمان. تراجعت منشوراتنا بسبب الاضطرابات الاقتصادية والسياسية التي لم تسمح لنا حتى الآن للحاق بالركب"<sup>135</sup>.

بداية من عام 1940م إلى 1953م، تمّ نشر المصققات مرتين في السنة فقط، وخلال السنوات من 1942م إلى 1946م ظهرت كملصقات فريدة من نوعها، غير مرقمة في أي مكان آخر. لكن من عام 1954م تراكمت النشرية وشهد النشر تأخير لم يسبق له مثيل، وما تجدر الإشارة إليه أنه ولمحاولة تعويض هذا التأخير كانت لجنة التحرير ملزمة بنشر كتيب (رقم 237) يجمع السنوات من 1957م إلى 1960م الذي لم يترك المطبعة حتى أبريل 1961م، والأمر نفسه حدث مع جداول النشرات (1927-1956م)، والتي كانت من المفترض أن تنشر في عام 1957م. وفي هذا السياق أشار رئيس الجمعية شارل جويتز إلى الكتيب رقم 237 لسنوات (1957-1960م): يجمع هذا المجلد من النشرة الأعمال الإدارية للسنوات 1957م إلى 1960م، وتحديدًا الملاحظات السيليوغرافية عن الأعمال الرئيسية التي دخلت المكتبة خلال هذه الفترة، لذلك يقتصر على إلحاق المنشور، لاستئناف الدورية

<sup>134</sup> أصبحت كميات الورق الموضوعة تحت تصرف مطبعة فوك (Fouque) غير كافية للسماح بعملية طباعة النشرة، ووفقاً لذلك سيتم

طلب دعم من الصحافة في الجزائر. ينظر:

- Séance du comité d'administration du 3 Janvier 1944, in: B.S.G.A.O, T65, 1944.

<sup>135</sup> Vuillemot, Gustave, Avant propos Table générale..., op.cit, p.5.

الفصلية في 1961م<sup>136</sup>، تعليقات وعبارات مطمئنة ومتفائلة، لكن مع تسريع عملية إنهاء الاستعمار في نهاية 1961م، لم يتم تدارك هذا التأخير. ليبقى العدد 238 الذي كان قيد الإعداد في ماي 1961م كإصدار لم يرى النور، ومع العدد رقم 237، وهكذا أغلقت نشرية الجغرافيا وعلم الآثار لوهران سلسلة من الإصدارات التي استمرت ثلاثة وثمانين عاماً وأنتجت خلالها ثمانين مجلداً. وبعد بضعة أشهر من هذا توقفت مجلة أخرى مرموقة عن النشر ألا وهي المجلة الإفريقية<sup>137</sup>.

مباشرة بعد استئناف الجمعية لنشاطها في عام 1966م، تمكنت من نشر أعمالها الأولى مع ملخص متواضع بأفكار واعدة، في المقال الذي نشر من مقدمة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي<sup>138</sup> (Ahmed Taleb El Ibrahimy)، وزير التربية الوطنية آنذاك والذي أكد بشكل خاص على أهمية استئناف نشر "النشيرة": النشرة تفتتح، يكتب، سلسلة جديدة من الأعمال والأبحاث بوجهة نظر جديدة، أي الثقافة التي تتجاهل الحدود، كرست نفسها قبل كل شيء لتراث منطقة من بلدنا، وسيكون من الأحسن للجمعيات الأخرى في الجزائر أن تحذوا حذو الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران، وتقدم أعمالها بروح وطنية وعالمية<sup>139</sup>. وقد ظهرت نشرات أخرى بعد النشرة الأولى لعام 1966م، لكن ينبغي الاعتراف بأنها كانت غير متكافئة القيمة، دورية ومتقطعة حيث ظهر 12 مجلداً حتى عام 1988م.

وتعود فكرة إنشاء جزء خاص بالدراسات الأثرية داخل النشيرة عام 1882م، تحت عنوان "نشرة الآثار الإفريقية"، إلى لويس ديمائت وجول بوانسوت، وقد شرح أسباب اختيارهم: لذلك اعتمدنا خطة بالكامل مرة أخرى، في النشرة الخاصة بنا، سوف يشكل علم الآثار مجموعة منفصلة عن الجغرافيا.

<sup>136</sup> B.S.A.O, fascicule N° 237, (1957 à 1960), information, Février 1961.

<sup>137</sup> تم الاحتفال بالذكرى المئوية للجمعية التاريخية الجزائرية في 19 و 20 ماي 1956م، في قاعة أعمال جامعة الجزائر، وكانت الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران ممثلة من طرف رئيسها فرانك إتيان روبيت (Frank Etienne Roubet). للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

- Roubet, Frank Etienne, Le Centenaire de la Société Historique Algérienne et de la Revue Africaine (1856- 1956), B.S.G.A.O, fascicule N° 236, 1956, pp.89- 103.

<sup>138</sup> أحمد طالب الإبراهيمي: ولد في 5 جانفي 1932م بمدينة أولاد براهيم (شرق الجزائر)، وزير سابق وابن الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي متحصل على شهادة جامعية في الطب، ناضل في الاتحاد الديمقراطي لأحباب البيان، وانضم إلى فدرالية جبهة التحرير الوطني، ثم عين ممثلاً للحكومة المؤقتة بالقاهرة. له العديد من المؤلفات: "الأزمة الجزائرية"، "أحلام ومحن (1932- 1965م)", "رسائل من السجن... الخ.

Ahmed, Taleb El Ibrahimy, in: B.S.G.A.O, 1966, p.2.

والاثنتين معاً سيكون لكل طرف منهما ترقيم الصفحات الخاص به لتشكيل مجلدين مستقلين. والتحف، سنضيف الجداول كاملة قدر الإمكان، وسوف نستعيروها من الجداول الممتازة لجمعية قسنطينة. ومنذ إنشائها تمت رعاية نشرة الآثار الإفريقية من قبل قادة الدراسات الأثرية والتاريخ القديم من أمثال: رينان (E. Renan)<sup>140</sup>، أ. هيرون دي فيلفوس، بول (Paulle)، تيسوت (C. Tissot)... الخ<sup>141</sup>.

في الفترة ما بين 1882 إلى 1885م، تمّ نشر أربع عشر إصداراً من نشرة الآثار الإفريقية، ولأسباب فنية وتقنية تمت طباعة نشرة الآثار الإفريقية في باريس، والجزء الجغرافي في وهران، والجزئين يجري العمل على نشرها موحدة تحت نفس الغطاء<sup>142</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن ترقيم الصفحات المزدوج هذا لم يُحَفِّ بعض العيوب، فمن بداية نشر النشرة الأثرية ظهرت أخطاء في ضم جزأين من النشرة الفصلية القانونية.

وباختصار، كانت نشرة الآثار الإفريقية قد أرادت أن تكون رهاناً وتحدياً على المستوى العلمي للجمعية، ولكن من الواضح أنه لم يكن لديها الوسائل لتحقيق طموحاتها، ولاسيما الوسائل المالية، فتقرر

<sup>140</sup> جوزيف أرنتس رينان (1823-1892م): مؤرخ وكاتب وفيلسوف فرنسي كان خبيراً في اللغات والحضارات السامية، اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقداً تاريخياً علمياً وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس. مما أدى إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية بمعارضته. اشتهر أيضاً بتعريفه للقوم والهوية الوطنية وخاض نقاشاً حاداً مع المفكرين الألمان الذين كانوا يرون سكان منطقتي الألزاس واللورين (الفرنسيين اللتين كانت ألمانيا تحتلها منذ 1870م) ألمانية من حيث العرق فرد رينان قائلاً: إن الانتماء إلى قوم ليس مسألة عرق بل مسألة إرادة ووصفه بالاستفتاء اليومي. فلا يزال هذا التعريف للقوم يؤدي دوراً كبيراً في تصور الفرنسيين لشعبهم وهويتهم. فلذلك أصبح رينان رمزا من رموز فرنسا الجمهورية العلمانية القومية وأطلق اسمه على العديد من المباني العمومية. قام رينان في عام 1860م بأول زيارة له إلى الشرق مكلماً بعثة أثرية إلى إفريقيا، فعبّر لبنان وسوريا وفلسطين، ومن ثمّ آسيا. وقد عين في عام 1862م رئيساً لقسم اللغات العبرية والكلدانية والسريانية في كلية فرنسا. وقد احتل الشرق مكانة هامة وأولية في الإنتاج العلمي والأدبي لرينان خاصة ما بين عام 1885م إلى غاية وفاته في 1892م، وشمل مؤلفات ضخمة عن تاريخ الأديان، أو أعماله المعمّقة عن اللغويات ودراسة النقوش وعلم الآثار.

<sup>141</sup> غلاف المجلد الثاني، السنة الثالثة، 1884م؛ تحمل عناوين المؤشرات التالية:

- جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران.
- النشرة الفصلية للآثار الإفريقية.

حررت من طرف المحرر: م. جوليان بونسوت (MM. Julien Poinsot) ولويس ديمائت، برعاية: م. ل. رينييه (MM. L. Rénier)، إ. رينان، ش. روبرت، إ. ديجاردين (E. Desjardins)، تيسوت، تشابويليه (Chabouillet)، هيرون دي فيلفوس، بول... الخ. باريس، ب. بيكار (P. Picard)، 82 شارع بونابرت. شالمال، 5 شارع يعقوب.

وهران ج. أليسي، ب. أودينوت، طبع في أنجيه، بوردون وآخرون، طباعة 4 شارع غارنييه.

-Séance du comité administratif du 7 Août 1882, in: B.S.G.A.O, N°14, p.240.

حذف نشرة الآثار الإفريقية: "خضعت نشرتنا هذا العام لتعديل أصبح ضرورياً تماماً بسبب الحالة الفقيرة لصندوقنا المالي، الذي أعلن عنه الأمين العام للجمعية جوزيف بوتى في عام 1885م، حيث أن نشرة الآثار الإفريقية التي كانت مرفقة بالنشرة قد تمت إزالتها، وعليه سيتضمن منشورنا الفصلي في المستقبل: الجزء الجغرافي الذي سنقدم له المزيد من التطوير، والجزء الأثري، المخصص بشكل خاص لإقليم وهران"<sup>143</sup>.

#### عاشراً- مطابع منشورات جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران:

منذ إنشائها في عام 1878م، عهدت الجمعية بطباعة رسالتها الفصلية ورعاية أعمال الطباعة للجمعية هينتر آرثوس (Heintz-Arthus) وليسي وهران منذ عام 1882م، وأعمال الطباعة في رابطة العمال هاينز شازو (Heintz- Chazeau) وشركاؤه، الذي أوكلت له مهمة نشر نشرة الآثار الإفريقية عام 1882م، وفي عام 1883م في المطبعة المركزية للصحف في باريس (14 شارع دي جينور، المدير أ. ديفيلير). وفي عام 1884م في المطبعة بوردين (4 شارع غارنيي). أما الناشر في باريس فنجد: أ. بيكارد (A. Picard) (82 شارع بونابرت)، وشالمال (Challamel) (5 شارع يعقوب) وفي وهران، ج. أليسي (J. Alessi) (أودينو).

ومن 1882م إلى غاية 1889م، كانت المطبعة "الطباعة والمواد المطبوعة أدولف بيير (Adolphe Pierre)<sup>144</sup>" وهران، مسؤولة عن طباعة النشرة الفصلية وجميع منشورات الجمعية. استمرت أعمال الطباعة نفسها من عام 1889 إلى عام 1894م بتولي مسؤولية الطباعة ولكن تحت الاسم الاجتماعي الجديد: "البيت القديم أدولف بيير، بول بيير، الابن الخلف Ancienne maison Adolphe Perrier, Paul Perrier fils successeur".

143 -Joseph, Bouty, Compte rendu des travaux de la Société de Géographie et d'Archéologie de province d'Oran, pendant l'exercice 1885-1886, in: B.S.G.A.O, 1886, pp.81- 86.

144 أدولف بيير ليلوكس (Adolphe Pierre Leleux): ولد في 15 نوفمبر 1812م في باريس، وتوفي في نفس المدينة في 27 جويلية 1891م، وهو رسام ونحات فرنسي. قرر أن يكرس نفسه بشكل أساسي للرسم ما بين عام 1837م و1838م. أقام في قسنطينة مع إدمون هدوين في عام 1847م ثم اتسع إلمامه ليشمل الجزائر وإسبانيا ومورفان.

كان أدولف بيير، مؤسس المطبعة في عام 1843م وجريدة صدى وهران (L'Echo d'Oran) في عام 1844م، تم بيعها في عام 1879م لابنه بول، الذي تسلم الأعمال العائلية وبقي حتى وفاته في عام 1937م. عهدت إليه الجمعية بشكل استثنائي 1903م، وطبع نشرة خاصة بها، مخصصة لتقارير أعمال الدورة الثالثة والعشرون للمؤتمر الوطني لجمعيات الجغرافيا الفرنسية. عضو في جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران، لوران فوك، مقال الأشغال العامة، مستشار عام ورئيس بلدية وهران من 1888م إلى 1892م، كانت له فرصة تأسيس طباعة رئيسية في عام 1890م، "المطبعة والطباعة الحجرية لوران فوك"، أصبحت في عام 1894م طباعة منشورات الجمعية، بدلاً من بول بيير، وهذا أحد زملائه من الجمعية يشهد بأنه "من البداية كان مهتماً بالعمل العلمي، كان موهوباً ومثابراً مثل ما كان عليه القائد الراحل ديمائت، ورغم انخفاض الموارد والمداحيل إلا أنه بذل قصارى جهده لجعل نشرة الجمعية ذات مستوى جيد"<sup>145</sup>. استمر هذا التعاون ودون انقطاع حتى 1961م، مع ابنه ليون فوك، الذي بيعت له الشركة العائلية في عام 1903م. لتصبح في عام 1928م "الجمعية المجهولة للقرطاسية والطباعة ليون فوك". طبع فوك الذي قام باستمرار بتحسين المواد المطبوعة والطباعة لجعل النشرة دائماً كعمل مطبعي ملحوظ. ويبدو أن الصعوبات الموروثة عن الحرب قد خلقت ثقل إدارة مطبعة فوك، التي لم تعد تدار كما في الماضي، لضمان نشر النشرة العادية، فكان على المطبعة أن تلجأ لشركات طباعة أخرى، وعلى وجه الخصوص لصحيفة وهران الجمهورية لنشر نشرات 1949م.

وفي عام 1966م، طبعت النشرة في ورش العمل السابقة لأعمال الطباعة ليون فوك، والتي بعد عام 1962م، تولى هذا الأخير من قبل الجمعية الوطنية النشر والتوزيع (SNED) بعد ذلك، وقد تمت طباعة النشرة من قبل مختلف المطابع غير المتخصصة في مجال الطباعة الدورية العلمية، مما أدى إلى انخفاض جودة الطباعة للنشرة. ومن بين المطابع التي تولت الطباعة في السبعينيات مطبعة اتحادية أكاديمية وهران الكائن مقرها بـ 7 شارع طرابلس - وهران.

وفي الجدول التالي نوضح تطورات نشرية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران في الفترة الممتدة ما بين (1878-1988م)<sup>146</sup>:

الفترات	أعداد السنوات	مجموع السنوات	أعداد المجلدات	مجموع المجلدات	أعداد الكتيبات	مجموع الكتيبات
1878 - 1889م	2 - 1	12	9 - 1	9	43 - 1	44
1890 - 1899م	22 - 13	10	19 - 10	10	82 - 44	39
1900 - 1909م	32 - 23	10	29 - 20	10	121 - 83	39
1910 - 1919م	42 - 33	10	39 - 30	10	154 - 122	33
1920 - 1929م	52 - 43	10	50 - 40	11	183 - 155	29
1930 - 1939م	62 - 53	10	60 - 51	10	213 - 184	30
1940 - 1949م	73 - 63	10	72 - 61	12	227 - 214	14
1950 - 1960م	83 - 74	11	80 - 73	8	237 - 228	9
1966 - 1975م	/	10	/	5	/	/
1976 - 1988م	/	13	/	7	/	/
المجموع	/	106	/	92	/	237

نلاحظ من خلال الجدول أن مجموع المجلدات أن هناك تناقص في كل مرة في عدد الكتيبات بمرور السنوات، حيث بلغ عددها في بداية صدور المجلة 44 كُتِب لتصبح فقط 9 كتيبات بحلول الستينيات، ويمكن أن يكون مرد ذلك التذبذب الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها كل من الجزائر وفرنسا في ذلك الوقت، بالإضافة إلى موت الأعضاء أو مغادرتهم أرض الجزائر تجاه بلدهم فرنسا لاسيما في الفترة التي سبقت الإستقلال مباشرة.

وفي نهاية هذا الفصل خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات كالاتي:

- لقد عمل الفرنسيون منذ دخولهم إلى الجزائر على تأسيس الهيئات العلمية التي تخدم أهداف الحملة الفرنسية على الجزائر، ودرسوا لأجل ذلك التأليف والآثار، وكل هذا من أجل الوصول إلى إيهاام الرأي العام المحلي الجزائري على وجه الخصوص والدولي على وجه العموم، بأن للحملة أهداف علمية سامية لا تحمل في نواياها أي أهداف استعمارية ساعية في ذلك لجعل الجزائر تنتسب إلى الحضارة الرومانية لا إلى الحضارة العربية الإسلامية، وذلك من خلال تركيز الدراسات والأبحاث الأثرية على إبراز الطابع المسيحي الروماني بالجزائر، فإن نجحوا في ذلك فقد تمكنوا من تحقيق الطمس الحضاري للأمة الجزائرية وفرض التبعية بأبسط التكليف؛ حيث يصبح الفرد الجزائري هو من يدافع عن هويته الحضارية الرومانية وانتماؤه المسيحي، وهذا أخطر من ما كان علماء الحملة يخططون للوصول إليه، إلا أنهم فشلوا في تحقيق ذلك في نهاية الأمر.

- اهتمت جمعية الجغرافيا والأركيولوجيا لإقليم وهران خلال الفترة الاستعمارية بالتاريخ الروماني وقدمته لتصنع منه أمودجاً حياً يتعلق به القادمون الجدد الذين لفظتهم القارة الأوروبية بسبب تفاعلات الثورة الصناعية والتحويلات السياسية العميقة التي خلّفتها.

- تُعد الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران التي أنشئت سنة 1878م، من أقدم الجمعيات العلمية التي ظهرت خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر. والجدير بالذكر، أنها الآن الجمعية العلمية الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة منذ تلك الفترة. بيد أن مثيلاتها بالجزائر وقسنطينة قد توقفت عن نشاطها عشية الاستقلال، سنة 1962م. وما يمكن الإشارة إليه أن هذا الاستثناء كان بفضل المبادرة التي أخذتها النخبة المحلية على عاتقها عشية الاستقلال وتحديداً سنة 1966م، باسترجاعها لهذا المعلم العلمي وإدماجه في النسيج الجمعي الجديد، وكذا إعطائه المكانة العلمية التي يستحقها.

- يمكن اعتبار الجمعية مؤسسة ميدانية اهتمت بالبحث عن الآثار والنقوش الرومانية القديمة وبالتحديد في الجنوب والغرب الجزائري وكذا المغرب الأقصى، ما أكسبها أهمية بالغة في كونها تُعد مصدراً من مصادر البحث في تاريخنا لغناها المعرفي التاريخي الحضاري الذي يمس مختلف جوانب المعرفة التاريخية والجغرافية للمغرب العربي عامة والجزائر ووهران على وجه الخصوص.

- لقد أصدرت الجمعية إلى جانب نشرتها الدورية مجموعة من المنشورات التي تـمس مختلف جوانب المعرفة التاريخية والجغرافية للمغرب العربي عامة والجنوب والغرب الجزائري على وجه الخصوص. هذه المنشورات المخزنة بمقر الجمعية إلى جانب سلسلة من النشريات والمجلات لمجموعة من الجمعيات العلمية الجزائرية والمغربية القديمة كذلك، تُعد في وقتنا الحالي بحكم قدمها وندرتها؛ من الوثائق الهامة وجزء لا يتجزأ من التراث الثقافي الوطني.

القسم الثاني:

التحليل التاريخي للبيبلوغرافيا.

الفصل الرابع:

المجالات السياسية والعسكرية.

الفصل الخامس:

المجالات العمرانية والطبوغرافية.

الفصل السادس:

الأستغرافية الإسبانية والفرنسية حول الاحتلال في وهران والمرسى

الكبير.

## الفصل الرابع:

### المجالات السياسية والعسكرية.

#### I- المجالات السياسية:

أولاً- الحدود الجغرافية لبايك الغرب الجزائري.

ثانياً- تأسيس بايك الغرب الجزائري.

ثالثاً- الطابع السياسي المميز لبايك الغرب.

رابعاً- التنظيم الداخلي لوهران والمرسى الكبير.

خامساً- حكام وهران خلال الاحتلال الإسباني (1505-1792م).

سادساً- القبائل المتعاونة مع الإسبان.

سابعاً- معاملة الحكام الإسبان للقبائل المتعاونة (المتحالفة).

ثامناً- سياسة حكام وهران والوضع الذي آلت إليه بداية من القرن 17م.

#### II- المجالات العسكرية:

أولاً- إحكام التحصينات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير (1505 - 1792م):

1- المرسى الكبير.

2- وهران.

ثانياً- الحماية الإسبانية لوهران والمرسى الكبير:

ثالثاً- صعوبة تمويل المراكز المحصنة في وهران والمرسى الكبير.

رابعاً- الإغارة خارج أسوار القلاع والحصون.

خامساً- العلاقة بين القاعدتين (وهران والمرسى الكبير).

لقد ساهم الاحتلال الإسباني لوهراة والمرسى الكبير في رسم الملامح الأساسية للحياة السياسية والعسكرية بالمنطقة من خلال الأساليب التي انتهجها حكامها وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا الفصل.

### I- المجالات السياسية:

من المعروف تاريخياً أن إيالة الجزائر لم تتشكل دفعة واحدة ككيان سياسي موحد يضم كامل حدود الإيالة آنذاك، بل كان ذلك عبر مراحل، فالحكم العثماني في الجزائر نشأ على شكل قيادات ومدن<sup>1</sup>، ليتوسع إلى بايليكات<sup>2</sup>، ومع تأسيس إيالة الجزائر عام 1518م، كان البايك "ينحصر على مدينة الجزائر وفحوصها فقط، أو ما يسمى بإقليم دار السلطان أو أوجاق جزائر الغرب"<sup>3</sup>، مما يعني أن الحكم العثماني في الجزائر تأسس في مقاطعة في دار السلطان أولاً، ثم توسع ليشمل باقي بايلك الإيالة في فترة لاحقة.

وقد تميز بايلك الغرب في القطر الجزائري على اختلاف تداول عواصمه من مازونة إلى مستغانم ثم معسكر فوهراة على بقية البايليكات الأخرى (دار السلطان، بايلك الشرق، بايلك التيطري) بكونه أرض جهاد دائم قرابة ثلاثة قرون، فالخطر الإسباني من جهة وتمرد القبائل على السلطة العثمانية أو المتحالفة مع الإسبان من جهة أخرى؛ لذا كان النظام ببايلك الغرب نظاماً عسكرياً أكثر منه سياسياً، فما من باي أو داي يتعين في الغرب الجزائري إلا ويكون شعاره تحرير الثغر الجماني<sup>4</sup> من الاحتلال الإسباني.

<sup>1</sup> أرزقي، شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926- 1246هـ/1519- 1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م، ص 41.

<sup>2</sup> حيث قسمت الجزائر إلى أربع بايليكات أو مقاطعات أو أقاليم (بايك الوسط، وبايلك الشرق، وبايلك الغرب والتيطري). ينظر: مصطفى أحمد، بن حموش، فقه العمران الإسلامي للأرشيف العثماني الجزائري (956- 1246هـ/ 1549- 1830م)، ط1، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي، 2000م، ص 268.

<sup>3</sup> كمال، فيلال، البايك نظام حكم ضمن كتاب "المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر"، تنسيق: بوغفالة ودان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م، ص ص 203-206.

<sup>4</sup> يقصد به وهران والمرسى الكبير لأهميتهما في المغرب الأوسط، ولقد سمي كتاباً بهذا الاسم للمؤلف أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، ينظر: مبروك، مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص 16.

تعتبر المنطقة الغربية للإيالة الجزائرية منطقة إستراتيجية هامة، عبر العصور، بحكم تمركزها على ساحل البحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية، والذي أعطى صبغة لمدنها بأن تحتل مكانة مرموقة وسط بايلك الإيالة، لتوفرها على أهم الموانئ المشهورة في الجزائر مثل: وهران، والمرسى الكبير، وأرزيو.

### أولاً- الحدود الجغرافية لبايلك الغرب الجزائري:

يقصد ببايلك الغرب ذلك الإقليم الممتد من وادي ملوية<sup>5</sup> على الحدود المغربية غرباً إلى غرب المدية شرقاً، أي حتى الحدود التي تفصله عن دار السلطان وعن بايلك التيطري، ومن سواحل البحر المتوسط شمالاً إلى نواحي البيض<sup>6</sup> جنوباً، وهو يعادل تقريباً عمالة وهران خلال الفترة الاستعمارية، أو ما يعرف حالياً بالقطاع الوهراني. ويجدر بنا الذكر أن ساحل بايلك الغرب يمتد على مسافة 270 كلم، ويضم مدن ساحلية مثل وهران، مستغانم، أرزيو<sup>7</sup>، بني صاف<sup>8</sup> وأخرى داخلية هامة أبرزها تلمسان وقلعة بني راشد ومعسكر ومازونة وتيهرت<sup>9</sup>، ولقد بلغ بايلك الغرب أقصى اتساعه في عهد البايع محمد الكبير<sup>10</sup>. ويأتي في المرتبة الثانية من حيث المساحة بعد بايلك التيطري.

ولمقاربة حدود البايلك يمكن الرجوع لبعض المصادر التي تعود للفترة التركية، فتقرير أرامبورو (Aramburu)<sup>11</sup> يقدم الحدود على النحو التالي: "من دار السلطان شرقاً وبالتقريب عند نهر

<sup>5</sup> من أكبر الأنهار في إفريقيا، فهو ينبع من الأطلسي في ناحية الحور على بعد نحو خمسة وعشرين ميلاً من مدينة كرسولوين، وهر في سفح جبل بني يزناسن ويدخل البحر المتوسط. ينظر: الحسن، الوزان، المصدر السابق، ص 250.

<sup>6</sup> البيض: ولاية جزائرية، استحدثت الولاية سنة 1984م في إطار التنظيم الجديد، بعد أن كانت جزءاً من ولاية سعيدة. تقع في جنوب غرب الجزائر.

<sup>7</sup> تقع مدينة أرزيو في الغرب الجزائري وهي تابعة في التقسيم الجزائري إلى ولاية وهران. تقع المدينة شرق وهران وتتوسط المسافة بين ولاية وهران ومستغانم.

<sup>8</sup> تقع بني صاف بولاية عين تموشنت، تطل على البحر الأبيض المتوسط.

<sup>9</sup> SARI, Djillali, Les Villes précoloniales d'Algérie occidentale, Alger, 1974, p.336.

<sup>10</sup> البايع محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكبير ابن إسحاق الحاج عثمان ابن إبراهيم، تولى شؤون بايلك الغرب سنة 1779م، اشتهر بأعماله الحربية ومآثره العمرانية وقد تم على يده استرجاع وهران للمرة الأخيرة من يد الإسبان عام 1791م، ونقل مقر البايلك إليها، وافته المنية ببلاد أصبيح سنة 1798م. ينظر: الشقراني، الراشدي، المصدر السابق، ص 72.

وأيضاً: أحمد بن هطال، التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح، تق: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 15-19.

<sup>11</sup> باسيليو دي أرمبورو: عين حاكماً لوهران والمرسى الكبير عام 1738م، كتب تقريراً يحتوي على 61 صفحة مخطوطة مرفقة بخريطة للغرب الجزائري رسمت بتاريخ 1741م، ينظر:

الشلف<sup>12</sup>، حتى واد ملوية على الحدود المغربية في الغرب، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى مداخل الصحراء جنوباً<sup>13</sup>، أي على امتداد من الشرق إلى الغرب على مسافة ثمانين مرحلة<sup>14</sup>، ومن الشمال إلى الجنوب بنحو خمسة وعشرين مرحلة حسب تقدير الرحالة الإنجليزي شاو (Shaw)<sup>15</sup>.

وخلال الفترة الاستعمارية تمّ تغيير التسمية من "بايلك الغرب" إلى "مقاطعة أو عمالة وهران"، حيث قدرت مساحتها خلال فترة الستينيات من القرن التاسع عشر بـ 102.000 كلم<sup>2</sup>،<sup>16</sup> أما في الفترة المعاصرة التي نعيشها، واستناداً للتقسيم الإداري للجزائر، يمكن القول أن بايلك الغرب سابقاً يعادل تقريباً القطاع الوهراني حالياً، وقد ظلت مدينة وهران بمثابة العاصمة الجهوية لهذا القطاع، منذ أواخر الفترة العثمانية، مروراً بالفترة الاستعمارية، وحتى الوقت الحاضر، بحيث تقع مدينة وهران على بعد 450 كلم من مدينة الجزائر العاصمة<sup>17</sup>، وعليه، ومن خلال هذه المقاربة المتواضعة للمجال الجغرافي لبايلك الغرب يمكن الجزم بأنه لا يمكن رسم حدود بايلك الغرب خلال العهد العثماني بدقة متناهية.

إن عدم استقرار الحدود الجغرافية للبايلك راجع لعوامل سياسية، وأخرى إيكولوجية، فهذه الحدود هي انعكاس لطبيعة العلاقة بين السكان والسلطة من جهة، وتكريس لواقع اجتماعي تسوده الحياة البدوية القائمة على نمط التنقل والترحال، والنظام القبلي من جهة أخرى، فالتصنيف يخضع لما يُعرف بالحدود البشرية، تتحكم فيها درجة الولاء للسلطة المركزية أو التمرد عليها، وقد وصفها الباحث أندري نوشي (A. Nouschi) بالحدود المتحركة "Marches frontières"، فالحدود الجنوبية للبايلك تبقى غير واضحة المعالم، بسبب تمركز القبائل المرتحلة التي يُستعصى إخضاعها، ومراقبتها.

-Aramburu, Oran et l'ouest Algérien au 18<sup>ème</sup> siècle, d'après le rapport Aramburu, présentation et traduction de, Mohamed Elkorso, Mikel de Epalza, bibliothèque Nationale, Alger, 1978, p.166.

<sup>12</sup> نهر بالمغرب مشهور بقرب مليانة، وعليه مدينة قديمة أزيلت فيها آثار أولية كانت تسمى، وإليها ينسب هذا النهر وهي اليوم خراب.

<sup>13</sup> Aramburu, Oran et l'ouest Algérien..., op.cit, p.9.

<sup>14</sup> المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم، أو ما بين المنزلتين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، (د.ت)، ج17، ص 1611.

<sup>15</sup> Shaw, op.cit, p.216.

<sup>16</sup> Teissier, Octave, Algérie, géographie, histoire, statistique, description des villes, villages et hameaux, organisation des tribus, nomenclature des khalifaliks, aghaliks et kaïdats, librairie de L. Hachette et Ce. Bouleyard saint-germain, Paris, 1864, p.67.

<sup>17</sup> بشير، مقييس، مدينة وهران: دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 358.

ثانياً- تأسيس بايلك الغرب<sup>18</sup> الجزائري:

تزامن تكوين بايلك الغرب مع مطلع القرن السادس عشر، وبداية التوسع العثماني في ظل وضع سياسي جد متأزم، أهم ما يميزه؛ انكماش السلطة الزيانية؛ ظهور الإمارات المحلية؛ الاحتلال الإسباني لوهرةن والمرسى الكبير، لقد سعى الأتراك إلى توسيع مجال سلطتهم في الغرب، فكانت أول حملة قادها خير الدين بربروسا<sup>19</sup> لإخضاع إمارة تنس سنة 1516م، وفي السنة الموالية أي 1517م ضمّ قلعة بني راشد وترك بها أخاه إسحاق على رأس حامية من الجنود. ثم سار عروج نحو تلمسان، وقد كانت هذه الأحداث إيذاناً بدخول المنطقة تحت الحكم العثماني<sup>20</sup>.

وقد تمّ تأسيس بايك الغرب سنة 1563م، حيث تولاه في البداية بايين اثنين، استقر أحدهما بمازونة والآخر بتلمسان<sup>21</sup>، ثم جمع القسمان سنة 1686م، لتكون قلعة بني راشد أول عاصمة له، ثم نقلت إلى معسكر سنة 1701م، وصارت وهران بعد الفتح الأول (1708-1732م)، ثم صارت مستغانم، ثم حولت إلى معسكر، لتستقر بمدينة وهران بعد الفتح الثاني في عام 1792م في عهد الباي محمد الكبير، واستمرت على هذا الحال حتى الغزو الفرنسي<sup>22</sup>. ولقد كان بايلك الغرب داراً للجهاد

<sup>18</sup> استخدم هذا اللفظ للدلالة على قداماء الضباط الإنكشارية المتقاعدین، ثم تطور في الجزائر للدلالة الإقطاعيات التي تؤخذ منها الضرائب، كما أنّها استخدمت للحديث عن المقاطعات الإدارية الكبرى بعد دار السلطان. ينظر: كمال، بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة دكتوراه، جامعة وهران، 2012-2013م، ص 19.

<sup>19</sup> الملاحظ أن حسن باشا بن خير الدين تولى حكم الإيالة ثلاث مرات (1544-1551م)؛ (1557-1561م)؛ (1562-1567م)، وفي كل مرة كان يسعى لتحسين المنظومة الإدارية، وأن مصطلح البايلك ظهر منذ عهده الأولى، وكان يقصد به دار السلطان، ينظر:

- Diego, De Haedo, op.cit, pp.73- 82; 114-123; 127-132.

<sup>20</sup> للمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث، ينظر: مجهول، غزوات عروج... المصدر السابق، ص 30-34.

- حنيفي، هلايلي، بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، مجلة عصور، ع 32-33، جانفي- مارس 2017م، 58-80.

- Sander, Rang, Fondation de la Régence d'Alger, histoire des Barberousse, T 1, J. Ange, Éditeur, Paris, 1937, pp.91- 103.

<sup>21</sup> يحيى، بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، (د.ط)، الجزائر، 2007م، ص 84.

<sup>22</sup> الأغا بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 271.

طوال ثلاثة قرون، فالخطر الإسباني من جهة، وتمرد القبائل على السلطة العثمانية من جهة أخرى، ولقد كان شعار كل باي يعين على البايلك تحرير الثغر الجماني من الاستعمار الإسباني.<sup>23</sup>

ولقد امتد الحكم العثماني إلى بايلك الغرب عام (922هـ/ 1516م) عندما توجه عروج إلى مدينة تنس لإخماد إحدى الثورات التي قامت بها قبائل الأحمال بقيادة أميرها حميدة العبد ومن ثم زحف عروج إلى تلمسان ودخل قلعة المشور<sup>24</sup> مع حرسه واعتقل "أبا زيان"<sup>25</sup> حيث شنقه في رواق القصر وكان لأبنائه نفس المصير حيث كبلهم بالأغلال مع والدهم ولم يكتف بذلك بل كان يرغب في القضاء على آخر عضو من أفراد العائلة الزيانية في تلمسان حيث اعتقل سبعين فرداً منهم ورامهم في الحوض الكبير للمدينة ولقد كان لهذه المجزرة وقعاً كبيراً على السكان<sup>26</sup>، إلا أن العثمانيون قد واجهوا عدة صعوبات في بداية حكمهم في بايلك الغرب نظراً لشدة المعارضة المحلية المتمثلة في الزيانيين من جهة والتحرش الإسباني من جهة أخرى<sup>27</sup>، وبالرغم من شدة الصراع فإن العثمانيين قد توصلوا إلى تثبيت بعض الحاميات العسكرية في بعض المدن الغربية مثل تنس، مستغانم، مازونة وحققوا عدة انتصارات على حساب قبائل الأحمال المسيطرة على الجهة الغربية من البلاد خلال الحكم الزياني، وعلى ما يبدو أن حسن بن خير الدين باشا كان أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية ببايلك الغرب الجزائري وقبل أن يعود من حصار وهران متجهاً إلى مدينة الجزائر سنة 968هـ/ 1563م<sup>28</sup> شن هجمات مكثفة تجاه المرسى الكبير وهران ومستغانم سنة 1556م والتي باءت بفشل ذريع، وعلى إثر هذا الفشل

<sup>23</sup> مبروك، مهيرس، المرجع السابق، ص 17.

<sup>24</sup> قلعة المشور: تتوسط تلمسان أنشأها الموحدون بعد سيطرتهم على المدينة في القرن 12م وبداخلها دوراً للسكن ومسجد جامع جميل، وقد اعتاد التلمسانيون أداء صلاة العيد فيه وقد حاول أهالي تلمسان التحايل على عروج بأن طلبوا منه السماح لهم بأداء الصلاة، ولم يتمكن عروج القضاء على هذه المكيدة إلا بعد جهد. ينظر: عزيز سامح، أتر، المرجع السابق، ص 66.

- وأيضا: يحيى، بوعزيز، مدن تاريخية، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1985م، ص 37.

<sup>25</sup> أبا زيان: أحمد الثاني بن عبد الله الثاني بن محمد المتوكل على الله، أبو زيان، العبد الوادي، أول ملوك الدولة الزيانية بتلمسان، في دورها الثالث. لما احتل الأتراك تلمسان سنة (923هـ/ 1517م) نقلوا سلطانها أبا حمو موسى الثالث إلى وهران ونصبوا مكانه أبا زيان هذا. بعد توليه العرش قاتل الأتراك وحاول إجلاءهم عن عاصمته، فاستشهد مع عدد من أتباعه، ودام حكمه حوالي سنة. ينظر: عادل، نويهض، المرجع السابق، ص 169

<sup>26</sup> عدّة، بن داهة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص 51. وينظر أيضاً:

- Esterhazy, (W), op.cit, p.126.

<sup>27</sup> مجهول، غزوات عروج... المصدر السابق، ص 79.

-Esterhazy, (W), op.cit, p.157.

ترك حسن بن خير الدين حامية عسكرية في مازونة وعين ابن خديجة<sup>29</sup> باياً على البايك الغربي وكان ذلك سنة 1663م وأمدّه بسند من الأموال والجنود بـ 80 خيمة و1600 جندي<sup>30</sup> وقد تولى حكم البايك الغربي في هذه الفترة بايان، أحدهما استقر بـ مازونة والآخر بتلمسان.

يعود اختيار مدينة مازونة كعاصمة للباييك لتيثن حسن بن خير الدين من عدم مجيء الإسبان في طلبه، كونها تحتل موقعاً إستراتيجياً هاماً وتتوسط القبائل ما بين مستغانم وتنس وذات موقع حصين ومنيع<sup>31</sup> وقد ساهمت مازونة بعدة حملات عسكرية ضد الاحتلال الإسباني لوهراة طيلة الفترة الممتدة من 1563م إلى غاية 1791م حيث توفي آخر باياتها؛ الباي شعبان الزناقي وهو محاصر لوهراة سنة 1696م<sup>32</sup>. وفي هذا الصدد يذكر الآغا بن عودة المزاري ما يلي: "... مازونة باياتها حسن بن خير الدين باشا ثم الباي ابن خديجة ثم صواق ومات مسموماً من سم سقته له زوجته ثم الباي السايح الذي مارس الحكم إحدى عشرة سنة ثم ساعد ثم محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها ثم شعبان الزناقي الذي لقي حتفه في صراع وهران<sup>33</sup>.

لقد استمرت مازونة عاصمة لباييك الغرب الجزائري بداية من 1563م إلى غاية 1700م وخلال هذه المرحلة عرفت المدينة انتعاشاً اقتصادياً وثقافياً هاماً، حيث أن دور مدينة مازونة في الحركة الثقافية على مستوى البايك والمغرب العربي بصفة عامة كان له انعكاسات هامة وتأثيرات كبيرة، كما استفادت المدينة من المراكز الثقافية الأخرى سواء على المستوى المحلي والخارجي هذا الشعاع الذي عرفته المدينة يعكس ازدهاراً ونمواً اقتصادياً وبرز فئات اجتماعية كان لها دور فعال في تنشيط الحياة الاقتصادية والنهوض بالحياة الثقافية<sup>34</sup>.

<sup>29</sup> الباي بن خديجة: كان أول باي تولى السلطة على رأس المقاطعة الغربية وجاء خلفاً له عدد من البايات لا نعرف عنهم سوى الأسماء وهم: الباي "صواق"، "السايح"... الخ. ينظر: بن عبد القادر مسلم، الوهراة، خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تق، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 18.

<sup>30</sup> محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 192.

<sup>31</sup> مارمول، كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 395.

<sup>32</sup> الآغا بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 271. وينظر: فتيحة، واليش، الحياة الحضرية في باييك الغرب الجزائري خلال القرن

18م، رسالة ماجستير، الجزائر، 1993-1994م، ص 48.

<sup>33</sup> الآغا بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 271.

<sup>34</sup> فتيحة، واليش، المرجع السابق، ص 48.

في سنة (1098هـ/1686م) تولى مصطفى أبو الشلاغم<sup>35</sup> بياً على مازونة وتلمسان، وتمّ توحيد القسمين فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية<sup>36</sup>. وفي عام 1701م نقل مركز البايك من مازونة إلى قلعة بني راشد كقاعدة خلفية للباييك لأنها مدينة تتميز بالحصانة والمناعة مبنية على هضبة بين جبلين ومحاطة بأسوار عالية مما يُصعب وصول العدو إليها<sup>37</sup>، ولقد كان الإسبان في فترة احتلالهم لمدينة وهران يقومون بتزويد جيوشهم بالمؤونة الضرورية من قلعة بني راشد، وقد استمات خير الدين وعروج في الدفاع عنها خلال احتلالها من قبل الإسبان سنة 1517م<sup>38</sup>، واتخذت معسكر عاصمة لباييك الغرب لمدة تقارب القرن من الزمن، حيث امتدت من حكم مصطفى أبو الشلاغم سنة 1701م إلى غاية وفاة آخر باياتها فاتح وهران محمد الكبير سنة 1792م، ولقد شهدت مدينة معسكر انتعاشاً اقتصادياً وتجارياً اثر انتقال مقر البايك من مازونة إلى معسكر، وبلغت ذروة مجدها في أيام الباي محمد الكبير وقد تعددت الأسباب بشأن اختيار معسكر كعاصمة للباييك:

- كونها محطة تتحكم في المسلك الطبيعي الذي يشكله وادي الحمام والذي يربط بين الجهات الساحلية والأقاليم الداخلية كما أنها مركز مهم على الطريق الرئيسي بين قلعة بني راشد وتلمسان، الأمر الذي أهلها لتكون سوقاً لمتوججات السودان ومستودعاً لبضائع فاس وملتقى لتجارة الغرب الجزائري.

- وجود معسكر بمنطقة غنية بإنتاجها الزراعي ممثلاً في مقادير وفيرة من الحبوب من سهل غريس<sup>39</sup> وكميات كبيرة من الأصواف والجلود من قلعة بني راشد بالإضافة إلى صناعة الأسلحة النارية والصابون

<sup>35</sup> مصطفى أبو الشلاغم: بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراي الذي جمع له في توليته بين الإيالة الشرقية والغربية، تولى بايا على مازونة وتلمسان فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة 1686م، ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معاً للقلعة، ثم لمعسكر، وجعلها قاعدة لكونها تتوسط مازونة وتلمسان. ولما غزى وهران وأمه الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش العديدة ففتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة 1708م ونقل كرسي المملكة من مسكر لوهران فسكنها بأهله. ينظر: الأغا بن عودة، المازري، المصدر السابق، ص 275.

وينظر أيضاً: عائشة، غطاس، المرجع السابق، ص 222.

<sup>36</sup> يحيى، بوعزيز، مدن تاريخية: وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، 1985م، ص 22.

<sup>37</sup> مارمول، كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 357.

<sup>38</sup> المصدر نفسه، ص 358-375. وينظر أيضاً: ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 247-248.

<sup>39</sup> سهل غريس: سمي غريس لأنه كان مغروساً بأنواع الشجر ذوات الأثمار. سكنه بني زروال وبني توجيب ومغراوة وهو وطن تكثر الرحلة إليه لكثرة الزوايا. ينظر: بلهاسمي، بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، ط1، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م، ص 34.

والشمع والسروج والبرانس والزرايبي الفاخرة وغيرها، وبذلك أصبحت معسكر سوقاً رئيسية لقبائل بني راشد ومحطة للعشائر الكبرى، كبني عامر وبني شقران<sup>40</sup> والحشم<sup>41</sup> والشراقة<sup>42</sup> وغيرهم<sup>43</sup>. ولكن الأهم من كل هذا أن مدينة معسكر اختيرت لتحقيق أهداف عسكرية المتمثلة في القضاء على الاحتلال الإسباني وتحرير مدينة وهران من هذا الاستعمار الغاشم.

- وكذا لمناعة وحصانة موقعها المقام على منحدرات جبال بني شقران على ارتفاع 600م بمحاذاة وادي تودمان وهذا ما جعلها في مأمن من الخطر الإسباني الذي كان يهدد وهران وضواحيها وأبعد عنها التحرشات المغاربية التي كانت تستهدف تلمسان ولهذا أصبحت تُعرف لدى السكان بشارب الريح<sup>44</sup>.

ويتجلى دور معسكر السياسي والعسكري عندما استقر بها العثمانيون وجعلوها دار إمارة. ولقد كان ملوك تلمسان من بني زيان وملوك المغرب الأقصى يشنون غارات متكررة على إقليم بني راشد ومعسكر لتهديد الوجود العثماني بها مما جعل العثمانيين يقومون بشن حملات عسكرية لتأديبهم ووصولوا

<sup>40</sup> تشغل قبيلة بني شقران المنطقة الجبلية الممتدة بين واد الحمام غرباً، وهبرة في الشمال وشرب الريح جنوباً، تتشكل من الفرق التالية: أولاد سعيد، بني خميس، بني مروان، الفراقيق، حجاجة. ينظر: الطيب بن مختار، الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، ضمن كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، لمصنفة بلهاشمي، بن بكار، ط1، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م، ص 351. وينظر أيضاً:

- Accardo,(F), Répertoire alphabétique des Tribus et Douars de l'Algérie, dressé d'après les documents officiels sous la direction de M. le Myre de Vilers, par F. Accardo, 1879, p.104.

<sup>41</sup> موطن الحشم هو جبل عمور، عُرفوا باسم بني راشد، وترجع أصولهم إلى قبيلة زناتة البربرية، والظاهر أنهم استوطنوا سهل غريس بعد أن كان ملكاً لقبيلة بني زروال. ينظر:

- LESPINASSE, Notices sur les Hachem de Mascara, in: R.A, N°21,1877, p.141.

<sup>42</sup> الشراقة: تقع أراضيها على بعد 12 كلم جنوب شرق معسكر، وتشغل هذه القبيلة الجزء الشرقي من سهل غريس، والجبال الممتدة بين البرج، والقلعة، والوديان كواد الحداد وواد العبد، وسهل فرطاسة (واد الأبطال)، وتنقسم إلى خمس مجموعات هي: حبوشة، أولاد العباس، أولاد عيسى بن العباس، أهل غريس، المحاميد. ينظر:

- YVER (Georges), Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839), 1<sup>er</sup> édition, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1912, p.9.

<sup>43</sup> ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 248.

<sup>44</sup> مدينة جزائرية تقع في ولاية معسكر بدائرة المحمدية.

إلى غاية إقليم أنكاد<sup>45</sup> بالقرب من مدينة وجدة<sup>46</sup> ورسموا الحدود الفاصلة بينهم وبين ملوك فاس<sup>47</sup>. ومن هنا يتضح لنا الدور الذي لعبته معسكر في رسم الحدود الفاصلة بين الجزائر والمغرب الأقصى والتي نراها عليها اليوم<sup>48</sup>.

وقد تم تداول عدّة بايات على حكم مدينة معسكر أهمهم مصطفى أبو الشلاغم، قايد الذهب<sup>49</sup>، محمد العجمي، حسن إبراهيم حجي خليل ومحمد الكبير الذي فتح وهران وينفرد هذا الأخير عن بقية البايات بمجهوداته الجبارة التي قام بها على مستوى البايك من خدمات جليلة في المجال العسكري والاقتصادي والثقافي<sup>50</sup>. ولقد عرفت معسكر أوج ازدهارها في أواخر العهد العثماني وحيث بشهرة واسعة في كامل بلاد المغرب العربي بفضل بروز علمائها ومشايخها في جميع مجالات العلم والمعرفة أمثال "أبي راس الناصري" وله مؤلفات عديدة، الشيخ أبو مهدي بن موسى التوجيني<sup>51</sup>، العلامة محمد الأعرج الغريسي<sup>52</sup>، الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي<sup>53</sup> وغيرهم من ألمع الشخصيات<sup>54</sup>.

<sup>45</sup> تقع أنكاد في الجنوب الغربي من مدينة وجدة المغربية على نحو 30 كلم، ينظر: أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 313.

<sup>46</sup> وجدة: مدينة قديمة كبيرة تقع بالمغرب، بينها وبين تلمسان ثلاث مراحل. الحميري، المصدر السابق، ص 607.

<sup>47</sup> عدة، بن داهة، المرجع السابق، ص 54.

<sup>48</sup> مبروك، مهيرس، المرجع السابق، ص 25.

<sup>49</sup> الملقب بالذهب لكثرة جوده وإعطائه الذهب للناس. ينظر: الزباني، المصدر السابق، ص 255.

– الأغا بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 280.

<sup>50</sup> عبد القادر، الوهراني، المصدر السابق، ص 31.

<sup>51</sup> الشيخ عيسى اليوم أبو المهدي بن موسى التيجاني، توفي سنة 962هـ/1555م. المشهور بين سكان المنطقة باسم سيدي عيسى، من وادي التاغية (معسكر، الجزائر)، وهو كذلك من علماء المغرب العربي للقرن 10هـ/16م، كانت له زاوية في منطقة واد التاغية بمعسكر حالياً.

<sup>52</sup> محمد الأعرج: محمد الأعرج بن محمد الحبيب بن عبد الله بن الحبيب بن محمد الأعرج بن محمد النجادي بن عبد القادر بن محمد بن محمد بن يحيى. وقد قام العلامة والمؤرخ الكبير سيدي محمد بن الأعرج الغريسي قام بشرح منظومة سيدي عيسى بن موسى التيجاني، وسماه "تسهيل المطالب"، كما كان له كتاب في التاريخ بعنوان: "زبدة التاريخ وزهرة المشاريخ". ربطته بعد الحرب العالمية الأولى صداقات متينة مع الأمير خالد ابن الأمير الهاشمي والأمير عبد المالك ابن الأمير عبد القادر، وكانوا يتحركون كثيراً من أجل إشعال نار الحرب ضد فرنسا. وقد توفي في فاس عام 1925م.

<sup>53</sup> محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي: ينتمي الشيخ محمد المشرفي إلى أحد فروع أسرة المشارف بمعسكر وبالضبط من بيت الأحمر الذين ينتسبون للعلامة محمد بن رصاع. ولد حوالي سنة 1277هـ/1839م، هاجر أبوه إلى فاس في حدود 1844م، درس محمد المشرفي على أبرز شيوخ عصره وأشهرهم فكراً وفقهاً وتدرّساً في مقدمتهم ابن عمه العربي المشرفي. كما زار مدن عدة كوهان وتلمسان ومدينة الجزائر،

إلا أن معسكر لم تبق عاصمة لبابلك الغرب فابتداءً من 1708م، حيث انتقل مقر حكم البابلك من معسكر إلى وهران على إثر الفتح الأول لها وعين مصطفى أبو الشلاغم باياً عليها<sup>55</sup>، وقد شرع أبو الشلاغم في محاصرته لمدينة وهران المحتلة من قبل الإسبان والتي جعلوا منها قلعة إسبانية. وعلى إثر الأوضاع الأمنية والاجتماعية والاقتصادية المزرية التي تزايدت يوماً بعد يوم أدت بالسكان إلى طلب العون من الأتراك لحماية مقدساتهم الإسلامية فقام أبو الشلاغم عام 1704م بمحاصرة وهران لمدة أربعة سنوات حيث ألقى هزيمة كبيرة بالإسبان وكذلك بالقبائل المتحالفة معهم كقبائل بني عامر وكريشتل<sup>56</sup>، وعلى إثر الهزيمة التي مُني بها الإسبان، تم الاستيلاء على وهران سنة 1708م إلى غاية 1732م ونقل مقر العاصمة من معسكر إلى وهران<sup>57</sup>، ويعتبر عهد الباي أبو الشلاغم أول فترة تاريخية يعرف فيها البابلك تحرره التام لجميع أراضيه وذلك منذ مطلع القرن السادس عشر تاريخ احتلال وهران من طرف الإسبان، حيث عرفت وهران في هذه الفترة نمواً ديمغرافياً كما عرفت التجارة قدوم تجار أجنب ساعدوا على تنشيطها. وشرع الباي في تجديد عمرانها وأصبحت وهران قبلة للقادمين إليها من جميع أنحاء البابلك، وعاشت المدينة بين أحضان الإسلام والمسلمين ولكن سرعان ما اغتُصبت من جديد من طرف الإسبان عام 1732م<sup>58</sup>.

عين محمد المشرفي قاضياً لقبيلة الشراكة بالمغرب الأقصى مدة طويلة، كما مارس مهنة الإفتاء وجمعت فتواه في كتاب: "مجموعة الفتاوى والأجوبة الفقهية"، توفي سنة 1334هـ/ 1916م. له عدة مؤلفات بلغ عددها 11 عنواناً وهي: "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية"، "الدر المكنون في التعريف في بشيخنا سيد محمد جنون"، "ديوان الشعر"، "منهاج البشري وسعادة الدنيا والآخرة والتحذير والأغراء"... الخ.

<sup>54</sup> أبو القاسم محمد، الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتان، الجزائر، 1907م، ص 33. وينظر أيضاً: محمد الصالح، الصديق، أعلام من المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج 1، ص 111.

<sup>55</sup> الزباني، المصدر السابق، ص 190.

<sup>56</sup> يقال لهم كريشتل نسبة إلى جدهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت ابن منديل بن عبد الرحمان المغراوي وهم فرقة في غاية الضعف يبلغون التسعين، حيث أن أصل مساكنهم حيث يصب نهر شلف بالبحر الرومي (البحر الأبيض) ثم انتقلوا إلى تمرغزان يقال لهم المغطسون لأنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم، أي باعوه للإسبانيين، حيث أنهم كانوا يسرقون الأخبار من قبائل الدواوير وينقلونها للصاري، ينظر: عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 3-4.

<sup>57</sup> أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 562.

<sup>58</sup> بلبروات، بن عتو، إستراتيجية الباي محمد الكبير في فتح وهران والمرسى الكبير، مجلة الثقافة الإسلامية، ع06، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف للنشر والتوزيع، حيدرة، الجزائر، ص 51-52.

استمر حكم الباي أبو الشلاغم على البايلك بكامله إلى غاية 1732م حيث قام الإسبان بهجوم ثاني على وهران ليتكرر سيناريو الصراع بين الإسبان بوهران وبايات الغرب الذين عجزوا عن تحرير الثغرين (وهران والمرسى الكبير)، ونتيجة لهذا الهجوم فرّ الباي أبو الشلاغم إلى مستغانم وأصبحت هذه الأخيرة عاصمة لبايلك الغرب لمدة خمس سنوات (1732-1737م)<sup>59</sup>، ويرجع بودين (Marcel Bodin)، اختيار مستغانم بدلاً من معسكر التي كانت عاصمة من قبل إلى حاجته للتزويد بالعتاد والسلاح عبر الميناء من طرف الإنجليز كما كان يفعل ذلك في ميناء وهران<sup>60</sup>، وهو ما يفسر نيته في إعادة استرجاع المدينة ثانية ومن خلال مدينة مستغانم قام الباي أبو الشلاغم بعدة محاولات طويلة فترة حكمه لكنها باءت كلها بالفشل وتوفي بمستغانم سنة (1138هـ/1737م)<sup>61</sup>، فخلفه ابنه يوسف بن مصطفى<sup>62</sup>، حيث أعاد هذا الأخير مقر البايلك من مستغانم إلى مدينة معسكر من جديد سنة 1737م، إلا أن الباي يوسف لم يكن في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه ولم يتصف بقوة وفضائل أبيه فقد عرف عهده بعض الاضطرابات حيث قام كراغلة وحضر مدينة تلمسان بتمرد شديد وطرد القائد المعين من طرف السلطات التركية<sup>63</sup>.

وقد تميزت سياسة حكم الأتراك في بايلك الغرب الجزائري خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية واكتفوا بالتعامل مع كبار الشيوخ نيابة عن السكان، ولكن ابتداء من أواخر القرن 17م انتهج الحكام الأتراك سياسة رامية على مد النفوذ إلى مساحات واسعة امتدت إلى غاية الجنوب الجزائري معتمدين في ذلك على القوة والحملات العسكرية.

<sup>59</sup> Kehl, Camile, Oran et l'Oranie avant l'occupation française", in: B.S.G.A.O, T63, 1942, pp.25- 26.

<sup>60</sup> عبد القادر، الوهراني، المصدر السابق، ص 19.

<sup>61</sup> Marcel, Bodin, traditions indigènes sur Mostaganem, itinéraire Historique et légendaire de Mostaganem et de sa région Oran, p.46.

<sup>62</sup> يوسف بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراي تولى يوم موت أخيه مصطفى أبي الشلاغم وبقي في الملك سنة ولحده ومات بتلمسان بالوباء. ينظر: الأغا بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 278.

<sup>63</sup> عبد القادر، الوهراني، المصدر السابق، ص 19- 20.

وهكذا بقي بايلك الغرب تحت الهيمنة الإسبانية من جديد حيث بقيت وهران تحت حصار دائم ومعارك شديدة دامت أكثر من 60 عاماً فقد تغيرت معالمها وأصبحت عبارة عن مدينة ذات طراز مسيحي وفشلت كل محاولات البايات الجزائر في استرجاعها وإعادة تأهيلها لأصالتها العربية الإسلامية.

### ثالثاً- الطابع السياسي المميز لبائلك الغرب:

كان الطابع السياسي المميز لبائلك الغرب هو الطابع العسكري، نظراً لمتطلبات الدفاع العسكري ضد الإسبان في وهران والمرسى الكبير، ونظراً كذلك للمنافسات التي كانت قبل هذه الفترة واستمرت مع سلاطين المغرب الأقصى. فلذلك كان بايلك الغرب دائماً على أهبة الاستعداد لأي طارئ.

إن معرفة بايات الغرب بدقة ليس بالأمر السهل، وذلك لغياب ذكرها في المصادر؛ حيث يؤكد محمد بن يوسف الزياني صاحب كتاب دليل الحيران وأنيس السهران أن: "ثالثهم باي صواق ولم اطلع على تاريخه، وسقته زوجته فمات، رابعهم السايح المازوني ولم أقف على تاريخ توليته، حيث بقي في الملك إحدى عشرة سنة ومات، ولم أقف على تاريخ موته، خامسهم ساعد ولم أقف على تاريخه، ومن ساعد إلى الباي محمد بن عيسى تولى عشر بايات، وبخثت على أسمائهم وتاريخهم بحثاً شديداً ولم أجد ذلك منصوصاً في كتاب"<sup>64</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد بايات الغرب هو ثلاثة وثلاثون (33) باياً حسب ما ذكره الزياني، حيث أنه لم يذكر الباي محمد العجمي؛ لكن هذا الأخير مدرج ضمن مراجع أخرى، وهكذا يصبح العدد أربعة وثلاثون باياً.

وقد عرف بايلك الغرب العديد من البايات الذين سعوا جاهدين لتحرير العاصمة السابقة للبايلك إلا أن محاولاتهم لم تجدي نفعاً وباءت كلها بالفشل إلى غاية مجيء الباي محمد الكبير عام 1778م الذي تولى قيادة بايلك الغرب بعد وفاة الباي خليل<sup>65</sup> واستقر بمعسكر، وقد أكثر من شن الغارات على الإسبان وجعل من تحرير وهران قضيته الأولى فقام بعدة هجومات عام 1780م ثم قام بحصارها عام

<sup>64</sup> الزياني، المصدر السابق، ص 252.

<sup>65</sup> الحاج خليل باي تولى سنة 1185هـ/ 1771-1772م، كان مبغضاً للعلماء والأولياء وغيرهم من أهل النفع. توفي بتلمسان سنة 1192هـ/ 1778م. ينظر: الأغا بن عودة، المازري، المصدر السابق، ص 287.

1784م وأعاد لوهران هيبتها<sup>66</sup>. وهذه المحاولات المتكررة لتحرير هذا القطاع تُبرهن لنا رغبة بايات الغرب في إخراج الاحتلال الإسباني من المنطقة.

بعد وفات الباي يوسف ابن مصطفى أبو الشلاغم خلفه محي الدين المسراقي إلا أنه تنازل عن الحكم لابنه مصطفى الأحمر المسراقي<sup>67</sup> ولم يلبث هذا الباي في الحكم حتى قُتل من قبل عائلة مصطفى أبو الشلاغم وقد أصبحت أملاكه المتمثلة في حدائق ومحلات وأوقافاً لصالح مكة والمدينة المنورة<sup>68</sup>. وبعد وفاة مصطفى الأحمر المسراقي خلفه أخاه قايد الذهب ولقب بذلك لكثرة سخائه وعطائه للناس، وشهد البايك خلال فترة حكمه استقراراً سياسياً دام ثلاث سنوات (1748-1751م) ونظراً لشدة المعارضة من قبل عائلة المسراقي فرّ قايد الذهب من مدينة معسكر طالباً اللجوء إلى الإسبان بمدينة وهران حيث استقبلوه بحفاوة ومنحوه قصرًا للإقامة ومجموعة من العبيد والخيل والأسلحة<sup>69</sup>.

عُين بعد قايد الذهب الباي محمد العجمي على معسكر وبقي في الحكم تسعة أعوام ثم قُتل وجاء الباي الحاج عثمان<sup>70</sup> الملقب بعصمان ولقد كان سابقاً حاكماً على تلمسان حيث تعرض لإهانة شديدة من طرف سكان تلمسان وبعد توليه في المرة الثانية الحكم على جميع باييك الغرب مكر بهم مكرًا كبيراً وبقي الباي عصمان في الحكم لمدة تسعة عشر عاماً وتوفي سنة 1183هـ/1771م ودفن بمعسكر ومن خلفاته الجامع الأعظم بمعسكر<sup>71</sup>، وبعد وفاة الحاج عصمان خلفه حسن باي سن 1771م وبقي في الحكم مدة ثلاثة سنوات إلى غاية 1774م ونتيجة قيام هذا الباي بتصرفات أغاضت داي الجزائر أثناء تأديته لعملية إيصال الدنوش إلى العاصمة جعله يخشى على نفسه وخوفاً من

<sup>66</sup> Garrot, Henri, Histoire générale de l'Algérie, imprimerie Crexenze, Alger, 1910, p.567.

- وينظر أيضاً: يحيى، بوعزيز، وهران... المرجع السابق، ص 99.

<sup>67</sup> مصطفى الأحمر المسراقي: أخ الباي مصطفى أبي الشلاغم، تولى سنة 1147هـ/1734م، وسقى السمّ فمات بمستغانم ودفن مع أخيه أبي الشلاغم، وقد كان كثير العطاء. ينظر: الأغا بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 278.

<sup>68</sup> Bloch, Isaac, les Israelites d'Oran de d'Oran de 1792 à 1815, Paris, Alger, 1886, p.89.

<sup>69</sup> Garrot, Henri, op.cit, pp.174- 176.

<sup>70</sup> يقال له عصمان بن الحاج إبراهيم تولى أولاً بتلمسان لما كانت القاعدة بها وقام عليه مع أهل تلمسان يوسف المسراقي، فخلعه وتولّى مكانه، وتولّى ثانياً على جميع الإيالة الغربية سنة 1160هـ/1747م. ينظر: الأغا بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 282-284.

<sup>71</sup> Garrot, Henri, op.cit, p.176.

الانتقام فرّ إلى تلمسان ثم إلى وهران ثم إلى إسطنبول، وسنة 1734م تولى إبراهيم الملياني<sup>72</sup> الحكم على بايلك الغرب، حيث عرف هذا الأخير في عهده مرحلة من الهدوء وقد اتصف هذا البايع بحبه للعلم والفقهاء؛ حيث رتب العلماء حسب رتبهم وأكثر مجالستهم واستمر حكمه مدة عشرة سنوات ومات بمعسكر سنة 1783م ودفن بقبة الحاج عصمان<sup>73</sup>.

بالرغم من المحاولات العديدة التي قام بها كل هؤلاء البايعات وغيرهم إلا أنهم لم يحرروا بايلك الغرب من الاحتلال الإسباني إلى غاية تولي محمد الكبير باياً لبايلك الغرب سنة 1779م، وهكذا تحققت رغبة السكان في توليه باياً عليهم. وبالإضافة إلى الصعوبات التي واجهت عهد محمد الكبير المتمثلة في المجاعات والأمراض خاصة طاعون 1786م والكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل، إلا أنه بذل جهوداً خلّدت اسمه.

البايع محمد الكبير هو محمد بن عثمان بن إبراهيم الكردي الملقب بالكبير<sup>74</sup> وأبو الفتوحات والمجاهد وغيرها من الألقاب الأخرى. ولد بمليانة سنة 1734م، والده عثمان الكردي والذي كان باياً على التيطري وأمه زائدة كانت جارية ببلاط مولاي إسماعيل ملك المغرب الأقصى. ولما قتل عثمان الكردي حظي محمد الكبير وأسرته برعاية صديق والده البايع إبراهيم الملياني، ولقد كان محمد الكبير محبوباً لدى البايع إبراهيم بخصاله الحميدة وازداد قرباً له بالمصاهرة وهكذا أخذ يتدرج في الحكم من قائد لقبائل فليتيه<sup>75</sup> بزمورة<sup>76</sup> من 1765م، 1769م، إلى خليفة للقطاع الشرقي للبايلك الغربي من 1769م إلى 1779م، إلى بايع للغرب الجزائري من 1779م إلى 1797م، توفي سنة 1799م بعدما

<sup>72</sup> البايع إبراهيم الملياني، هو أبو إسحاق إبراهيم الملياني تولى عام (1756-1757م)، لم يبق طويلاً في منصبه، كان محباً للعلماء بمحبته للعلم وراغباً في الصالحين لنيل الفضل والكرم، كان الفارس الأعظم والطود الشامخ الأفخم، والجواد الأكرم، والشجاع الأعزم، الذي لا يدانيه شجاع ولا جواد له يساوي السيد إسماعيل بن البشير البحتاوي، ينظر: الأغا بن عودة، المزارعي، المصدر السابق، ص 185-286.

<sup>73</sup> الزباني، المصدر السابق، ص 194.

<sup>74</sup> المصدر نفسه، ص 206-207.

<sup>75</sup> فليتيه: قبيلة مشهورة تولى قيادتها البايع محمد بن عثمان قبل تولي الحكم، وموقعها بين إيفيل وتيهرت، وأكثر سكانها يرجع إلى سويد. ينظر: ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 190.

<sup>76</sup> زمورة: أول إسم لمدينة زمورة كان آزموور وهو إسم ويعني بالأمازيغية الزيتون حيث كانت عبارة عن غابة كثيفة تغطيها أشجار الزيتون. وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية غليزان وهي تعتبر أقدم منطقة في الولاية.

ترك وراءه العديد من الإنجازات على مختلف الأصعدة وأحسن مثال على ذلك بناءه الجامع الكبير والمدرسة المحمدية بمعسكر وغيرها من الإنجازات التي لا تعد ولا تحصى.<sup>77</sup>

لقد قام الباي محمد الكبير بأعمال هامة مجّدت اسمه وعلى رأسها استرجاع مدينة وهران وتحريرها، حيث قام بتكثيف هجماته على الإسبان وتمكن في سنة 1784م من قطع مجرى الماء الذي كان يشق المدينة، وفي 23 جويلية 1791م حاصر محمد الكبير وهران حيث تمكن من تحطيم أسوار المدينة والاستيلاء على حصن سان فيليب وحصون سان أندري مما ألحق بالجيش الإسباني خسائر فادحة، وعلى إثر هذا الفشل الذريع الذي لحق بهم طلب الإسبان الهدنة من الباي محمد الكبير من أجل سحب الجرحى والقتلى من ساحة المعركة، وقد استمرت الهجمات ضد الإسبان طوال ربيع وصيف عام 1791م، وفي 5 جويلية 1791م تقدمت إسبانيا بطلب الصلح من الباي محمد الكبير بعد أن ضاع كل أملهم في الحفاظ على المدينة إلا أن داي الجزائر حسن باشا (Day Hassan)<sup>78</sup> رفض ذلك<sup>79</sup>، وواصل محمد الكبير في شن هجماته على الإسبان فتساقطت حصون وهران الواحدة تلو الأخرى، واستمر القتال حتى فرّ الإسبان من ساحة المعركة فلم يكن باستطاعتهم رد هجوم الباي محمد الكبير<sup>80</sup> نظراً للحالة السيئة والأوضاع المتدهورة التي كانوا عليها حيث عانوا من نقص حاد في المؤونة لجنودهم ومعنوياتهم المنحطة باعتبار طول مدة الحصار، بالإضافة إلى ارتفاع تكاليف الحرب التي كلفت خزينة إسبانيا ومما زاد من تعقد الأمور هو وقع الزلازل الذي أصاب وهران سنة 1790م الذي أصاب العديد

<sup>77</sup> ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص ص 127 - 128.

- وينظر أيضاً: مولاي، بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 151.

<sup>78</sup> الصدر الأعظم غازي حسن محمد باشا بن المختار جزائري بلابيك، يقال أنه ولد في إحدى قرى معسكر عام 1717م وسافر مع أبيه إلى تركيا، التحق بالبحرية العثمانية عام 1761م، وعين قائداً للبحرية عام 1770م عين صدراً أعظم للدولة العثمانية عام 1789م، توفي في البلقان عام 1790م.

<sup>79</sup> Houari, Chaila, Oran Histoire d'un Ville, Édition Iben Khaldoune, Oran, 2002, pp. 61- 64.

<sup>80</sup> أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص ص 424 - 425.

من الحصون<sup>81</sup>، كل هذه الأمور إلى توقيع معاهدة الصلح عن طريق باي وهران محمد الكبير يوم 17 ديسمبر 1791م<sup>82</sup>. وقد تضمن الصلح عدة شروط كان منها:

- أن تدفع إسبانيا 12 ألف سلطاني كل سنة، حيث يتم تأديته بدفع 200 سلطاني كل شهرين، أو 107 ريال صغير (بدقة شيك).
  - انسحاب الإسبان من وهران والمناطق المحتلة وجميع الحصون دون شروط.
  - ترك الإسبان كل الأشياء التي كانت موجودة في وهران خلال حكم مصطفى أبو الشلاغم.
  - إرجاع الأسرى الإسبانيين الموجودين بوهران.
  - أن يبقى الإسبان في وهران أربعة أشهر من تاريخ إمضاء الصلح.
  - تحمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى إسطنبول مفتاحين ذهبيين رمز استسلام وهران مع جرتين من ماء عيون وهران للسلطان العثماني كبشرى للفتح.
- وفي مقابل ذلك تقبل الجزائر:

- إنشاء وكالة تجارية إسبانية ماثلة للشركة الفرنسية في القالة، تقام في نواحي المرسى الكبير (جامع الغزوات).
- أن تبتاع من البلاد الجزائرية ثلاثة آلاف كيلة من القمح سنوياً<sup>83</sup>.
- أن تباشر صيد المرجان على الساحل الغربي الجزائري<sup>84</sup>.
- امتياز خاص وهو الترخيص بالدخول إلى المرسى الكبير دون بقية الشعوب<sup>85</sup>. لكن بعد عقد هذه الاتفاقية بدأت إسبانيا تماطل في تطبيق بعض بنودها خاصة ما يتعلق بدفع ما عليها.

<sup>81</sup> ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 293.

<sup>82</sup> المصدر نفسه، ص 276.

<sup>83</sup> كان المكيال المستعمل غالباً في لتصدير إلى الخارج، يعرف في المبادلات باسم الفناق أو الفنيقة، أو القفاز. وكان يقدر في وهران 102 لتر.

<sup>84</sup> يحيى، بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدرسة (1780-1798م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م، ص ص 148-149.

<sup>85</sup> عن هذه المعاهدة ينظر: ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص ص 306-309.

وعلى إثر هذا النجاح العظيم الذي حققه الباي محمد الكبير تمّ نقل مقر عاصمة البايك من معسكر إلى وهران في 24 فيفري 1792م حسب ما تظهره اللوحة الرخامية التي تعلو الباب الرئيسي للقصر الأحمر وقام بإرسال مفاتيحها الذهبية الثلاثة إلى السلطان سليم الثاني<sup>86</sup> بتركيا عن طريق الجزائر والذي منحه ريشة النصر ليأمر بعد ذلك الباي محمد الكبير بهدم الحصون التي كانت ملجأ للإسبان كبرج مرجاجو وبرج فيرناندو، وهكذا قضى الباي محمد الكبير أيامه في ترميم ما أتلّف في وهران وتوسيعها وشيد فيها المسجد الكبير (جامع الباشا)<sup>87</sup>، تذكّراً لذلك الفتح المبين، وتذكر المصادر أن الداي حسين استقبل الباي محمد الكبير وقلده الريشة الذهبية وقال له: "أوكلك هذه المدينة الثمينة، وذلك لما أظهرته من الشجاعة ونصرة الإسلام، وإني قد عيّنت ابنك عثمان خليفة لك على بايلك الغرب وابنك محمد قائداً على فليته"<sup>88</sup>.

وهكذا وبعد خروج الإسبان من وهران، أصبحت هذه الأخيرة عاصمة لبايك الغرب، وأضحى محمد الكبير أول باي فيها، هذا الباي الذي قام بأعمال جلييلة خلدت اسمه وبقي أهل معسكر ووهران وكامل الغرب الجزائري يتناقلونها أباً عن جدّ. فلقد كانت سياسته مزيجاً من الشدّة واللين، وكان اهتمامه الأول منصباً في القضاء على نزعة العصيان لدى القبائل المتقلبة والتي أخضعها وطاردها بلا هوادة فكان يُحمد الثورات بعنف ثم ييسط عدله بعد ذلك وفي هذا الصدد كتب عنه ابن سحنون الراشدي: "... أنه أذاع العدل في غالب أحكامه والأمان في سائر أقطاره"، لكن خلفاء محمد الكبير لم يكونوا في مستوى سياسته لذلك ستضطرب الأمور من بعده.

<sup>86</sup> السلطان سليم الثاني (1524-1574م): هو السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول جلبي بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغل. هو السلطان الحادي عشر، حكم في الفترة ما بين (1566-1574م). لم يتصف هذا السلطان بالمواصفات التي تؤهله للقيام بالحفاظ على أملاك الدولة العثمانية (فتوحات والده)، في عهد تم الصلح مع النمسا في عام 1568م، وعقد معاهدات مع فرنسا وبولونيا، وأعطى امتيازات كثيرة للمسيحيين مما ساعد على إضعافها. توفي السلطان سليم الثاني في 12 ديسمبر 1574م. للمزيد ينظر: محمد فريد بك، المحامي، المصدر السابق، ص ص 253-258.

<sup>87</sup> Henri, Léon fey, Histoire d'Oran avant pendant et 50 après la domination espagnol, édition Dar Elgharb, 2002, pp.250- 251.

Houari, Chaila, op.cit, pp.64- 51.

## رابعاً- التنظيم الداخلي لوهان والمرسى الكبير:

تتميز السنوات الأولى من الاحتلال الإسباني بفوضى كبيرة في تسيير المراكز المحتلة بسبب عدم تجانس مواقف المجلس الملكي حول الهدف والوسائل وطريقة التسيير، وكان على رأس هرم تلك المراكز حاكم عام يدعى (Le Capitaine générale)، كانت له القيادة العليا للجيش بما فيها التحصينات، وموازة له تم إنشاء مجلس ملكي مصغر، على رأسه مراقب مالي وحاكم مدني مكلف بضمان دفع الأجور والتموين، ويقوم في نفس الوقت بدور القاضي لفك النزاعات بين المستوطنين الذين استقروا في وهران، وهذا معناه وجود سلطتين موازيتين وهذا ما سيؤدي حتماً إلى تضارب فيما بينها. واستمر الوضع على ما هو عليه حتى عام 1535م، حيث قام الملك بإلغاء المجلس الملكي المصغر، بسبب كثرة الشكاوي ضده؛ سواء رسمية أو خاصة وكانت تصل يومياً للملك<sup>89</sup>. بعد ذلك أصبح الحاكم العام هو السلطة الفعلية بمساعدة مجلس متكون من ستة مستشارين<sup>90</sup>، إضافة إلى مجلس حربي تحت سلطة الحاكم العام.

أما المرسى الكبير فقد كانت تابعة في كل شيء لوهان، وكان على رأسها حاكم يساعده مجلس مصغر، فيما يخص مجموعة الحصون التي أقامها الإسبان فكان على رأس كل منها ضابط يساعده مرشد عسكري.

التسيير الإداري للقاعدتين فهو من اختصاص وزير المدينة (Ministre de hacienda) يُعين مباشرة من قبل الملك، وكان تحت إمرته مجموعة من ضباط الإدارة، وقابض لدفع الأجور، وجمع الضرائب، وستزداد سلطة هذا الأخير مع مرور الوقت لتصل إلى درجة منافسة سلطة الحاكم العام، أما الميناء فيشرف عليه نقيب المرسى الذي يتولى شؤون مينائي وهران والمرسى الكبير بمساعدة مجموعة من الضباط.

Grammont, (H.D), op.cit, p.17.

89

<sup>90</sup> ويدعى بالإسباني (Junta de regidores) يعينون لمدة سنة فقط من قبل الحاكم العام ويختارون من بين ضباط الجيش.

خامساً- حكام وهران خلال الاحتلال الإسباني (1505-1792م)<sup>91</sup>:

يبدأ كازيناف موضوعه بالحديث عن احتلال المرسي الكبير في 13 سبتمبر 1505م وهو الذي سماه الإغريق (Theon Limen) بمعنى ميناء الآلهة وسماه الرومان (Portus Divini) أي الميناء الإلهي، ثم عن احتلال وهران في 1509م مشيراً إلى دور الكاردينال خيمينيس (Ximénes de Sandoval)<sup>92</sup> في ذلك.

وقدم الكاتب مبرراً لاهتمامه بهذا الموضوع وهو احتفال فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر والتي تزامنت حسب رأيه مع تدوين تاريخ المستعمرة بعناية خاصة، فكانت مساهمته من خلال ضبط قائمة حكام وهران، ومن خلال دراسة طبيعة تسيير المدينة إدارياً قبل ذلك.

وكان حاكم وهران يلقب بـ "القائد العام لممالك تلمسان وتنس وحاكم ميداني وهران والمرسي الكبير Capitaine Général des Royaumes de Tlemcen et de Ténès et Gouverneur des Places d'Oran Mers El Kébir"، وفي 1534م أضاف دالكوديت (d'Alcaudete)<sup>93</sup> إلى لقبه عبارة "القاضي الأكبر Grand Justicier"، فصار له حق قيادة الجيش والإشراف على العمليات العسكرية والقضاء والإدارة.

<sup>91</sup> CAZENAVE (J), Les gouverneur d'Oran pendant l'occupation Espagnole de cette ville (1509-1792), in: R.A, T71, 1930, p.257- 300.

<sup>92</sup> الكاردينال خيمينيس: ولد في قشتالة (1436-1517م)، كان أحد رجال التنظيم الفرانسيسكاني. عين أميناً لسر الملكة سنة 1492م، ثم كاهناً لطليلة سنة 1495م، ثم حاكماً حتى وفات الملكة إيزابيلا في 1504م. عين بعدها رئيساً لحاكم التفيتش (1505-1516م)، احتل وهران عام 1509م واشتهر بقسوته في إبادة المسلمين وتصيرهم. ينظر:

- Dubois, Claude, et autres, le petit Larousse illustre, édition Larousse, Paris, 2007.

-CH.J. Hefele, Le Cardinale XIMENES et L'église D'Espagne, trad par: M.L'abbé A.

<sup>93</sup> مارتن ألونسو فرنانديز دي قرطبة مونتيمار واي فيلاسكو، المولود حوالي عام 1498م، وتوفي في 26 أوت 1558م، في مرغران. قائد عسكري وسياسي إسباني، والحاكم الأول لدالكوديت وقد حصل على هذا اللقب من قبل الملك شارل الخامس عام 1529م، وعلى لقب وسام شرف جوقة سانتياغو عام 1534م. كان نائب نافار بين (1527-1534م)، تم تعيينه عام 1534م حاكماً عاماً على وهران. شن هجوم على مدينة تلمسان عام 1535م بالتعاون مع قبيلة بني عامر، كما قاد حملات فاشلة ضد مستغنام عامي 1543م و 1547م. توفي عام 1558م أثناء الحملة التي شنّها ضد مستغنام.

وفي القرن 18م صار للحاكم لقب شرفي؛ "الحاكم العام Le Commandant Général"، لكن مع حذف عبارة "تلمسان وتنس" ليأس الإسبان من السيطرة عليهما. ويعتمد كازيناف هنا على ديبغو سواريز (Diego Suarez)<sup>94</sup> الذي نقل إلينا بعض المراسلات الرسمية التي حملت هذه الألقاب وشروط تولي المسؤولية والأجور التي يتلقاها كل حاكم. فمثلاً منذ عام 1732م، كان الحاكم يحصل على راتب شهري قدره 750 إيكو؛ ثلاثة عشر حاكماً منهم كانوا خلال فترة الاحتلال الثاني، وكان أكثر الحكام اللامعين نجد: فاليجو (Don José Vallejo)<sup>95</sup> (1733-1738م)، الذي أعاد بناء التحصينات التي وجدت في حالة سيئة أثناء مرحلة الانتعاش، ورتب المكان- وهران والمرسى الكبير- لجعله صالح للسكن وأعاد تنظيم جميع الخدمات؛ وألفارادو (Alvarado)<sup>96</sup> (1770-1774م)، الذي جعل من وهران مدينة جميلة ومزدهرة، وذلك بفضل إدارتها الجيدة حيث كان بها آنذاك أكثر من 10000 نسمة.

<sup>94</sup> ديبغو سواريز كورفين لانجوا، والمعروف أيضاً باسم ديبغو سوليز موتانيز (1552-1623م)، رجل عسكري (جندياً) وكاتب إسباني. في عام 1581م انضم إلى مجموعة بيدرو فرنانديزدي فوزمان، تم تعيينه كاتباً ومديراً لكنيسة مستشفى سان برناردينو. وفي عام 1592م كتب ما يسمى "حوليات إفريقيا"، محاولاً إصلاح تاريخ الوجود الإسباني في البلاد البربرية من خلال الأحداث التي وقعت في هذه الأراضي في القرون الأخيرة عن طريق تجاربه الخاصة وتلك القريبة من دائرته، خاصة تلمسان وهران؛ هذه الأخيرة التي كتب عن ساحاتها خلال خدمته كجندي في وهران مؤكداً عن أهمية الحفاظ عليها للدفاع عن ممالك إسبانيا في شمال إفريقيا، من خلال مذكرة بعث بها إلى فيليب الثالث عام 1607م. لقد كان شغوفاً بالتاريخ وترك العديد من المخطوطات التي كانت كمصادر أولية ومراجع أساسية للعديد من المؤرخين.

<sup>95</sup> كان جوزيف فاليجو دي لاكانال (Don José Vallejo) ضابطاً عسكرياً إسبانياً بارزاً في عهد فيليب الخامس. برز بشكل أكبر خلال حرب الخلافة الإسبانية كواحد من أكثر العسكريين الإسبانين مهارة وجرأة ومهارة وقوة. في عام 1715م، تم تعيينه حاكماً عاماً لكاردونا ومانريسا، وفي الفترة ما بين (1733 إلى 1737م) حاكماً عاماً على وهران والمرسى الكبير. ليعلن بعدها قائداً عاماً لمملكة ميورقة، حيث سيموت هناك في 26 جويلية 1743م.

<sup>96</sup> لويس أوجينيو فرنانديز دي ألفارادو إي بيراليس (Eugenio Fernández de Alvarado) ولد في 6 فيفري 1715م في إسبانيا ببوابيان، وتوفي في بواتيه بفرنسا في 2 يوليو 1780م، كان جندياً، ونبياً شغل مناصب سياسية وعسكرية مهمة في مناطق مختلفة من الإمبراطورية الإسبانية. أول مراكز تابالوسوس. بدأ دراسته في الكلية الملكية في سان مارتين 1730م، ثم انتقل إلى إسبانيا، وبدأ حياته المهنية العسكرية في فوج المشاة اللومباردي في إيطاليا 1736م. كان له أداء متميز في حملات إيطاليا، خلال حرب الخلافة النمساوية. تمت ترقيته إلى كولونيل 1750م. شغل منصب المفوض الملكي الثاني حول قضية الحدود بين إسبانيا والبرتغال. بعد ترقيته إلى رتبة حاكم عام 1763م، عين في العام التالي كحاكم لزامورا، ثم انتقل إلى المعهد الملكي للنبلاء في مدريد. تم تعيينه حاكماً عاماً على وهران بالجزائر، وقد حصل على لقب النبيل للمراكز دي تابالوسوس 5 مارس 1775م، وتم تعيينه حاكماً عاماً لجزر الكناري. توفي في فرنسا سنة 1780م.

كان هؤلاء الحكام يتمتعون بسلطة مطلقة وصلاحيات واسعة جداً، في كل من وهران والمرسى الكبير، فقد كان القائد العام مسؤولاً، في المقام الأول، عن الدفاع عن المكانين وحفظهما. كما كان مسؤولاً أيضاً أمام وزير الحرب وفي جميع الأوقات عن العمليات العسكرية وجميع قوات الحامية؛ حيث تم إرسال مراسلة من إسبانيا لتعزيز ذلك وبشكل رسمي لتوضيح الحاميات تحت أوامره؛ وقد كان له الحق الحصول على ربع الغنائم المحصلة من جراء خوض المعارك والغارات ضد المور أو ضد الدول المعادية. وكل هذا كان بأمر ملكي بتاريخ 15 أبريل 1758م، يحدد أنه اعتباراً من هذا اليوم "ستعتمد الأفواج الثابتة حصرياً على القائد الأعلى لرئاسة هاذين المكانين".

بالإضافة إلى كل ما قد سبق فإن هؤلاء الحكام كانوا لا يقبلون وجود أي إداري معهم، ولا يقدمون تقريراً إلا إلى الملك الذي عينهم في المنصب. وكان للحاكم الحق في التصرف مع حكام تلمسان (في الفترة الأولى من الاحتلال) ومع القياد وشيوخ الدواوير وزعماء القبائل والمدن، حيث يعطي الأمان لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، ويحالف أو يحارب كما يشاء. ولحاكم وهران مجلس مكون من ستة (6) أعضاء مساعدين من بينهم ممثل الملك وحاكم المرسى الكبير - بمثابة مجلس الشورى-، وقد تم اختيار هؤلاء المستشارين، الذين يتم تعيينهم لمدة عام واحد فقط، من قبل الحاكم العام من بين كبار ضباط الجيش الذين كانوا يشرفون على حاميات منتظمة في المدينة. وقد كان لكل من القلاع الخمسة الكبرى التي دافعت عن المكانين (سانت فيليب، سانت أندري، سانت غريغوري، سانتا كروز و روزالكازار) مساعد عسكري للحاكم وقسيس. كلفت الإدارة العسكرية للمكانين المبلغ السنوي البالغ 29760 إيكو<sup>97</sup>.

وقد عهد بالشؤون الإدارية إلى وزير المالية، الذي يعينه الملك، بمبلغ 250 إيكو شهرياً. وكان تحت قيادته العديد من الضباط الإداريين الذين يساعدونه في مهامه المتعددة. يشرف على الأموال التي تدخل للخزينة، وبإشرافه يتم دفع رواتب ضباط وجنود الحامية، ودعم جميع مصاريف الصيانة وتكاليف الحرب وأعمال التحصينات.

نجد في هذا المقال تفصيلاً لطرق معاملة الإسبان للقبائل الجزائرية من حيث السلم والحرب والتجارة والضرائب التي كانوا يجبرين على دفعها، ويقدم الكاتب (ص 267) نموذجاً لمعاهدة بين حاكم

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.349.

وهران (الماركيز دو فلوريس أفيللا (Marquis de Floris y Avila) مع شيخ قبيلة بالقطاع الوهراني.

ويعطينا كازيناف ابتداء من (ص 284) نظرة إجمالية على الوثائق التي اعتمدها في ضبط قائمة حكام المرسي الكبير ووهران، مع إشارة خفيفة إلى وجود بعض الهفوات في بعضها، ثم يعمد إلى رسم هذه القائمة (من ص 289) بدءاً بحكام المرسي وانتهاءً إلى حكام وهران منذ 19 ماي 1509م حتى تحريرها الثاني 1792م.

فمنذ 26 فيفري 1791م أصبحت وهران تحت حكم "دون خوان كورتين"<sup>98</sup> Don Juan Courten الذي بذل جهداً كبيراً ليتجنب سقوط المدينة التي يحاصرها الباي محمد الكبير، بينما كان (فلوريدا بلانكا (Florida Blanca)<sup>99</sup> يفاوض الداوي محمد بن عثمان باشا<sup>100</sup> (Pacha Mohamed Ben Atman)، ثم الداوي حسن، وتوصل مع هذا الأخير إلى اتفاق في 12 سبتمبر 1791م، والذي وافق عليه الملك كارلوس الثالث (Carlos III)<sup>101</sup> في 9 ديسمبر

<sup>98</sup> دون خوان كورتين: ولد في 10 أكتوبر 1730م في طرطوشة، وتوفي في 21 ديسمبر 1796م. بدا حياته العسكرية في الجيوش الإسبانية في حرب الخلافة في سن 14، كان والده من كبار المهندسين العسكريين. شارك في الحرب الإسبانية البرتغالية (1761-1763م)، وغزو الجزائر عام 1775م، وكذا في حصار جبل طارق. كان آخر حاكم إسباني في وهران عام 1792م. بصفته ملازمًا عامًا، قاد فرقة مشاة خلال حرب جبال البرانس ضد الجمهورية الفرنسية الأولى في العديد من الإجراءات بما في ذلك بريبيان، بيرستورس، ترويلاس، والجبل الأسود. عين نقيب أرغون عام 1795م.

<sup>99</sup> دون خوسيه مونيون إي ريوندو (Don José Moñino y Redondo)، كونت فلوريدابلانكا (بالإسبانية خوسيه مونيون إي ريوندو)، ولد في مورسيا في 21 أكتوبر 1728م، توفي في إشبيلية في 30 ديسمبر 1808م، سياسي ودبلوماسي إسباني. كان أول سفير لدى محكمة روما عام 1772م، وكان وزيراً للخارجية في عهد كارلوس الثالث عام 1777م. لقد فشل في الحملة الاستكشافية ضد الجزائر وكذا في مشروع طرد الإنجليز من جبل طارق. بالإضافة إلى ذلك، أشرك بلاده في حرب مدمرة ضد إنجلترا (1779/1783م) من خلال الانحياز إلى الولايات المتحدة الأمريكية. اهتم بالاختلاس، وقد قام كارلوس الرابع ملك إسبانيا عام 1792م بإدخاله السجن وظل مسجوناً لمدة ثلاث سنوات في بامبلونا. ولم يعاود الظهور حتى عام 1808م، خلال انتفاضة شبه الجزيرة الأيبيرية ضد نابليون، ثم انتخب رئيساً لجونتا سوبريما سنترال؛ لكنه مات في العام نفسه.

<sup>100</sup> محمد بن عثمان الكبير، باي الإيالة الغربية وتلمسان، تولى الحكم سنة 1192هـ/1778م ودام حكمه إلى غاية 1212هـ/1779م، حاصر مدينة وهران وتمكن من فتحها عام 1206هـ/ سبتمبر 1971م. تميز بأعماله التي عبرت بوضوح أنه كان مسالماً لمشروع حضاري تغذيه حركة إصلاحية عاشت المخاض في عهده. ينظر: الأعا بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 289-298.

<sup>101</sup> كارلوس الثالث أو تشارلز الثالث (Charale III) (1716-1788م): ملك إسبانيا وجزر الهند الإسبانية بين (1759-1788م) وملك نابولي وصقلية ودوق بارما. الإبن الأكبر لفيليب الخامس، وفي عام 1731م أصبح كارلوس دوق بارما وبياتشينزا باسم كارلوس الأول.

1791م بمدريد، ليرحل آخر حكام وهران باتجاه إسبانيا من المرسى الكبير في 29 فيفري 1792م على متن الباخرة (سانت جواشيم Saint Joachim).

#### سادساً- القبائل المتعاونة مع الإسبان:

لقد أدى الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير والوجود العثماني في باقي الغرب الجزائري إلى فرز بين القبائل، منها ما انضمت إلى الإسبان ومنها ما انضمت إلى الأتراك العثمانيين، أما القبائل الواقعة على الحدود الفاصلة بين إقليمي الإسبان والعثمانيين فقد ظلت مترددة بين التبعية لهؤلاء وأولئك، بحيث أنه لما تضعف شوكة الإسبان تقترب من العثمانيين، وتقترب من الإسبان عندما تضعف شوكة العثمانيين، يتجدد ذلك في كل مرة يهاجم الأتراك العثمانيين المنطقة أو يُهاجمون وهران والمرسى الكبير.

تعود جذور علاقة قبائل الغرب الجزائري بالإسبان عقب احتلال المرسى الكبير سنة 1505م، عندما فتح الإسبان سوقاً تجارياً بجوار المدينة من أجل تزويدهم بما يحتاجونه من المحاصيل الزراعية والحيوانية، مقابل ما كان عند الإسبان من الذهب والفضة، لكن جماعة المسلمين اعتبرت أولئك المتعاونين خونة وعاملتهم معاملة العدا، وأخذت توجه ضدهم الغارات والهجمات على هذا السوق بصورة دائمة، واستمر الحال على حاله إلى غاية احتلال وهران.

وبعد احتلالهم لوهران زاد اهتمام الإسبان لكسب ود العرب القاطنين حول المدينة مستعملين في ذلك جميع الأساليب والطرق، وهذا ما أدى ببعض القبائل إلى إعلان ولائها للإسبان. وقد ذكر فاليجو أن سبب تعاون العرب مع الإسبان يعود إلى تخوفهم من الأتراك العثمانيين وقبائل عربية أخرى، ورد ذلك في سياق حديثه عن العائلات التي كانت تقطن في بلدي إيفري (ifre) وكانستيل (Canstel) وحسبه فإنه لم يكن لهم الجرأة على العودة إلى بلداتهم، وذلك لخوفهم من أي هجوم قد يتعرضوا له من قبل العرب والأتراك العثمانيين<sup>102</sup>.

102 Joseph, Vallejo, « Contribution à l'histoire du vieil Oran, Relations de todas las obras de fortificación y correspondantes a ellas que se han executado en las plazas de Oran, Mazarquivir, », traduction: PELLEGAT, in: B.S.G.A.O, T46, 1926, p.232.

لقد كانت القبائل الخاضعة للإسبان والقاطنة حول وهران تدفع إلى السلطة الإسبانية في وهران ضريبة كل سنة لينالوا بها الأمان، يدعونها الرومية والمقصود بها الضريبة التي تدفع للرومي، فكان كل دوار يدفع ضريبة من القمح تبلغ قيمتها اثنتان من الدوبلات (Doblas) عن كل خيمة، وهي ضريبة غير ثابتة يتحكم فيها عدد خيام الدوار، كميات الإنتاج وأهمية الدوار لدى الإسبان<sup>103</sup>. بالإضافة إلى ذلك، زود المغاربة المكان باللحوم والدواجن والخشب وجميع أنواع الأكل التي منحوها بسعر معتدل للغاية؛ وأحضرت البقية الأخرى القمح وكان هذا أكثر من كافٍ لاحتياجات القوات والسكان. وحتى أن الزائدة منها قد بيعت للتجار، نيابة عن الملك ليتّم استخدام عائدات هذه المبيعات لدفع جزء من النفقات الأخرى<sup>104</sup>.

لقد تمّ القيام بكل شيء لحث السكان الأصليين على التقدم بطلب للحصول على معاهدة الحماية من الحاكم العام لوهران للاستقرار في المناطق الأقرب، وزراعة الأراضي المخصصة لهم، وهكذا نجحت وهران في تمديد هيمنتها إلى ما يصل إلى 140 دوارًا والضريبة النظامية التي تم تحصيلها في بعض السنوات بلغت من 15 إلى 16 ألفاً من القمح، ومن 4 إلى 5 آلاف من الشعير؛ ولكن إذا أخذنا في الاعتبار الهدايا، والإكراميات، والهدايا العديدة المقدمة إلى المغاربة أو النبلاء أو المعارضين، فضلاً عن السعر المنخفض للحبوب في هذه المقاطعة، فنحن مجبرون على ملاحظة أن الخزانة الملكية كانت ستستفيد أكثر من شرائها لتبقيها بمثابة التكريم الإلزامي. وعليه فالكميات القادمة من مساهمات السكان الأصليين لم تمثل حتى نصف الاستهلاك السنوي<sup>105</sup>.

وبالرغم من كل ما كان يستفيد منه الإسبان في وهران أو في إسبانيا نفسها من مستحقات الضرائب المفروضة على القبائل ومدى الاستفادة من هذه الأخيرة إلا أن هناك من كان يرى بأن البعض

<sup>103</sup> CLARIANA, Don Antonio De, "Reprise d'Oran par les espagnole en 1732", in: R.A, N°8, 1864, p.18.

- Joseph, Vallejo, « Contribution à l'histoire du vieil Oran. Mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Mers el Kébir », traduction: Cazenave, (J), in: R.A N°66, 1925, p.323- 368.

<sup>104</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.349.

<sup>105</sup> Ibid, p.363.

قد بالغ في تقديره مدى هذه الاستفادة من أمثال كازيناف الذي رأى بأن فاليوخو يبالغ في تقديره، عندما يزعم أن ساحات وهران والمرسى الكبير زُودت بالكثير نتيجة ما قدمته قبائل المور المتحالفين معها خلال القرون السابقة، ويكفي أن نقرأ المراسلات وتقارير الحكام العامون لنرى أن أسبانيا لم ترسل الأموال فقط، بل وحتى الأحكام من جميع الأنواع، وفي كثير من الأحيان كميات كبيرة من القمح والأكل. من الواضح أن الإسبان لم يستغلوا وضعهم في وهران فقد قدمت شكوى من البندقية<sup>106</sup> للإمبراطور شارل الخامس بعد بضع سنوات من الفتح، تثبت أن التجارة التي قامت بها دول البحر المتوسط مع مملكة تلمسان من ميناء وهران قد توقفت بالكامل<sup>107</sup>.

وبالنظر إلى ما ذكره كازيناف نلاحظ أنه بالغ هو الآخر في التقليل من قيمة ما كانت تقدمه تلك القبائل المتعاونة للإسبان لاسيما وقت الحاجة ونقص الغذاء والمؤونة وهذا ما تثبتته الرسائل الموجهة للملك الإسباني: "... تفتقر المدينة إلى الخبز ... لقد استنفذت إمدادات القمح والشعير... ولكن بفضل العرب تم تزويدها بلحوم تكفي لمدة ثمانية أيام؛ زدونا بمائة (100) من الثيران وخمسمائة (500) من الأغنام والتمر"<sup>108</sup>.

لقد كانت القبائل التابعة والموالية للإسبان تعرف بـ"المغاطيس"<sup>109</sup> "Les Mogateces"، وكانت إسبانيا تسميهم عرب السلام (Moros de pas)، أو السرايا الأهلية لجيش ملك إسبانيا، فكانوا جنوداً للإسبان، يشبهون الصبايحية في لباسهم الواسع من برانس وسراويل، وكان على رأسهم في

<sup>106</sup> البندقية: بالإيطالية فينيزيا (Venesia)، وهي مدينة بشمال إيطاليا وعاصمة إقليم فينيتو وعاصمة مقاطعة فينيسيا. تعد المدينة من أجمل المدن في العالم، وتعتبر ثاني مدينة إيطالية بعد روما من حيث عدد السياح.

<sup>107</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.349.

<sup>108</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

La Primaudaie, op.cit, pp.174- 177.

<sup>109</sup> وهم الأهالي المتعاونون والمتحالفين مع الإسبان مدة احتلالهم لوهران، يستعان بهم لاختطاف أبناء المسلمين، وكان شأنهم مع الإسبان جلب الأخبار لهم، عملوا كمساعدين للإسبان وقتلوا إلى جانبهم، وأدوا جميع أنواع الخدمات لهم وعاشوا فيما بينهم كحلفاء مخلصين، وقد شكلوا منهم فرق عسكرية من المشاة. وقد كان هؤلاء المواليين يطلقون على من تنصر منهم لقب "ميغراتيس mer'atis" بمعنى (المعتد)، ومن هنا جاء إسم "المغاطيس Mogateces". ينظر:

-Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.361.

- Cazenave, (J), "Les présides Espagnols d'Afrique: leur organisation au XVIIIe siècle", in: R.A, N°63, 1922, pp.263- 266.

الفترة الأخيرة للوجود الإسباني، بن جامود، والمنصور بن عوزر<sup>110</sup>. ومن أمثال هذه القبائل نذكر: أولاد عبد الله<sup>111</sup>، وأولاد قلطة، والغروزي، وبني شقران، والسقراطية، وبني عززاوية، وسويد، والجفرة وغيرها<sup>112</sup>. وقد لخص المشرفي القبائل المتعاونة مع الإسبان فيما يلي: "ثم إن هؤلاء الفرق الثمانية الضالة وهم: كريشتل، وشافع<sup>113</sup>، وحميان<sup>114</sup>، وغمرة<sup>115</sup>، وقيرة<sup>116</sup>، وأولاد عبد الله، وأولاد علي<sup>117</sup> والونازرة<sup>118</sup>".

Cazenave, (J), "Pages d'histoire algérienne, une fête à Oran en 1772", in: A.L, N°2, <sup>110</sup> Alger, 1923, p.155.

<sup>111</sup> أولاد عبد الله: وهم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم عبد الله بن صغير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز ابن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، كان مسكنهم بوادي الثلاثاء بملاحة ويفوق عددهم الستين دوارا، ذوو بطش شديد ومكر عتيد. ينظر: عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 27.

<sup>112</sup> أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص ص 449-450.

<sup>113</sup> شافع: وهم بطن من بطون بني عامر التي بالمغرب، من قبائل العرب الذين كانوا متفرقين في الجزيرة العربية، ثم هاجروا إلى الشام ومصر، ومنها زحفوا إلى المغرب الإسلامي سنة 442هـ/1050م في نطاق هجرة بني هلال، كانوا يقيمون بعين البيضاء بملاحة وكذا جبال سيدي سعيد التلمساني، وكان منهم الرعية للنصارى لدرجة أنهم وصفوا بأنهم هم الإسبان دون غيرهم من إخوانهم بني عامر. ينظر: عبد القادر، فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص 346.

<sup>114</sup> حميان: هم قبيلة عظيمة نسبة لجدهم حميان بن عقبة بن يزيد ابن عيسى بن زغبة الهلالي، سكنوا أول الأمر بأرض الحفرة من ملاحة ثم أقطعهم الأتراك العثمانيون أرضا بالمغرب من تامزوغة نحو ساقية سيق إلى أن جاءت الحملة الإسبانية التي تفرغت بعثاتها بالهجوم على العبيد الشراقة حذو المقطع فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين ورجع جلمهم لوهران. ينظر: الأغا بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 233.

<sup>115</sup> غمرة: أصلهم بأرض الحفرة من ملاحة و ينتسبون إلى البربر عن طريق جدهم غمرة البربري، كان عددها يزيد عن ستة دواوير وقد نصرها الإسبانيون نصره شديدة على المسلمين حتى كانوا لهم عضدا في كل شيء. ينظر: عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 25.

<sup>116</sup> قيزة: ويقال لهم جيدزة وهم فرقة من بني عامر من أولاد عامر بن إبراهيم نسبة لجدهم جيزة بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف ابن سعيد ابن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، سكنوا نواحي تارقة بالقرب من عين تيموشنت، ثم انتقلوا إلى جهة ملاحة، كانوا أهل بأس شديد وهم قوة و بطش وفتك بالمسلمين. ينظر: عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 26.

<sup>117</sup> أولاد علي: وهم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم علي بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز ابن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، هم فرقة كبيرة تناهز السبعين دواراً، استقروا في البداية شرق تسالة ثم بضواحي تامزوغة، وهم إذعان كبير للإسبان، وكانوا يغيرون بالليل والنهار على المسلمين. ينظر: الأغا بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 219. وينظر أيضا: عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 27.

<sup>118</sup> الونازرة: بطن من بطون أولاد عبد الله بن صغير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز ابن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، يقال لهم الونازرة نسبة لجدهم ونزار بن عبد بن صغير بن عامر الزغبي، سكنوا تارقة

لما اجتمعوا عند الإسبان وصاروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب، اشتد بهم عضد النصرى، وقويت شوكتهم، وكثر بأسهم على المسلمين إلى أن صاروا سيرات وملاتة من جملة مسارح ومزارع العدو. وليس للمسلمين فيه مطمع إلا من لجأ إلى حزبهم وصار من رعيته، ودخل في حمايتهم، وأدى لهم الجباية، وكان معيناً لهم على مرادهم وصار يتجسس لهم الأخبار على المسلمين... فكانوا عيون العدو الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين، وأعوانه الذين يشن بهم الغارات...". واللافت للانتباه أن المشرفي يستعمل أحياناً أنهم جند الإسبان، وأحياناً أخرى من رعية الإسبان عند الحديث عن هذه القبائل. لقد راسل ابن أبي محلي الخليفة العثماني والفقهاء وشيوخ القبائل العربية من بني عامر وبني راشد وسويد وطلحة يثير حميتهم من خلال الحالة التي عليها وهران في ظل الاحتلال الإسباني، فجاءت قصيدته الرائية معبرة عن حالة الضعف والشقاء، حيث الإهانة والذل واسترقاق المرأة المسلمة وشيوع فواحش النصرى، وصولاً السماسرة اليهود، وهذه مقتطفات من القصيدة:

فمن مبلغ عني قبائل بني عامر      ولا سيما من ثوى تحت كافر.  
وجيرانهم في الغرب من كل ماجد      طويل القنا أهل الوقار والمغافر.  
أناشدكم بالله ما عذر جمعكم      لدى الله في وهران ذات الخنازير.  
أذلكم الجبار كيف رضيتهم      بسبي العذارى من بنات الأكابر<sup>119</sup>.

كان شيخ بني عامر، عبد الرحمان بن رضوان، أول من انضم إلى الإسبان بعد أن تأكد من انهزام العثمانيين، ومقتل عروج، واستمر التحالف بين بني عامر والإسبان مدة طويلة، وهذا ما توضحه الرسائل المتبادلة فيما بينهم والتي يعود تاريخها إلى عام 1535م<sup>120</sup>. وقد تحدث مارسيل بودين في مقاله<sup>121</sup> نقلاً

ثم انتقلوا إلى تامزوغة واستقروا في ملاتة. لا يتعدى عددهم ستة دواوير، ولما جاء الإسبان لوهران كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم. ينظر: عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 28. وينظر أيضاً: حنيفي، هلايلي، عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بحجة الناظر، مجلة الحوار الفكري، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، ديسمبر 2007م، ع 7، ص 145.

<sup>119</sup> عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 8.

<sup>120</sup> Feraud, (L), "lettre arabes de l'époque de l'occupation Espagnole en Algérie", in: R.A, 1873, N°17, p.318.

<sup>121</sup> للأطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

عن المشرفي أصل تسمية المغناطيس (Mogatares) الذي أطلق على القبائل المتحالفة مع الإسبان مستخلصاً بذلك بعض الخدمات التي كانوا يقدمونها للإسبان.

#### سابعاً- معاملة الحكام الإسبان للقبائل المتعاونة (المتحالفة):

لقد اتفقت العديد من المصادر الغربية وعلى رأسها ما كتبه دييغو سواريز وفاليخو أن تلك العائلات كانت تقوم بعملية الإغارة على المداشر والقبائل المحيطة بهم ونهب وسلب كل ما تجده في طريقها أو يعترضها من حبوب ومواشي وأسرى<sup>122</sup>، كما كان الهدف أيضاً من تلك الهجمات هو إثبات وجودهم وتخويف وتأمين محيط التحصينات<sup>123</sup>، وحماية القبائل الموالية مثل قبيلة بني عامر، ومطاردة أعدائهم، وكذا لجمع المعلومات، وإبراز القدرة على المناورة، فحامية وهران تخرج إلى ما وراء سبخة الملح لثفاجئ دواراً اعتماداً على معلومات قدمها عملاؤهم من المنطقة<sup>124</sup>، أما توزيع الغنائم فلكل حصته، أما حصة الحاكم العام فهي الخمس (1/5) ويعتبر ذلك امتياز ملكي. وقد كانت بعض الغارات تعود عليه بفائدة لحسابه قدرة من ثمانية (8) إلى عشرة (10) آلاف دوكا<sup>125</sup>. وقد أكد فاليخو في مذكراته عن الفكرة نفسها وذلك بقوله: "... كان يتم بيع المغاربة والغنائم التي تم الاستيلاء عليها في المباريات العلنية؛

- Bodin, Marcel, « L'agrément du lecteur: Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran, par Si Abd el Kader et Mercheffi», in: R.A N°65, 1924, pp.193 -260.

- Bodin, Marcel, "Note sur l'origine du nom de Mogatazes donné par les Espagnols à certains de leurs auxiliaires indigènes pendant leur occupation d'Oran", in: B.S.G.A.O, T43, 1923, pp.234- 247.

<sup>122</sup> ومحتواها منح كل الصلاحيات للحاكم العام. ينظر:

- Offrey, Robert, Oran et Mers el Kébir, imprimerie Berthod, 1938, p.22.

<sup>123</sup> للإطلاع أكثر على موضوع الأهداف التي دفعت بحكام وهران للقيام بهذه الغارات، ينظر:

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.350- 368.

<sup>124</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ولفهم العلاقة بين الإسبان وتلك القبائل الموالية ينظر:

- Diégo, Suarez, "Deux razzias mouvementées des Espagnols d'Oran, au XVIe siècle", Traduction: CAZENAVE (J), in: B.S.G.A.O, T45, 1925, pp.285- 305.

Ibid, pp.286- 288.

125

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367.

- Diego, Suarez, Historia de Mastre ultimo de montesa, Madrid, 1889, p.127.

تقاسم خلالها المسؤولون والقوات والسكان عائدات هذا البيع وفقاً لبعض القواعد المعمول بها، ويدخل جزء صغير منها إلى الخزينة الملكية<sup>126</sup>. ويمكن أن نعطي مثال على هذا وفق ما ورد على لسان دييغو سواريز في الغارة التي شنّها الإسبان عام 1571م أن الحاكم العام أخذ لنفسه خمس الغنائم والأسرى، وما تبقى بيع في المزاد العلني؛ منها 113 أسير بيعت في وهران والباقي تمّ إرسالهم ليُباعوا في إسبانيا لأن المكان لم يستطع تحمّل المزيد، ووصلت عائدات هذه الغارة إلى 84.329 ريال والتي تمّ توزيعها بين الحاكم العام والضباط، الجنود وملوظفي الإدارة المقربين للحاكم العام. ولم يبق منها سوى 366 ريال لدعم النفقات<sup>127</sup>.

وهناك من الحكام كانوا يسعون من خلال تلك الهجمات إلى مضاعفة القبائل الموالية، لتخضع لهم فتأتي لتحتمي أسوار القلاع بمعنى طلب حماية الإسبان مقابل توفيرها القمح والمواشي والمواد الغذائية. لكن الذي حدث هو العكس فوحشية الهجمات تسببت في إبعاد وتخويف هؤلاء الممولين التقليديين لتلك المعسكرات بسبب انتقام القبائل التي تتعرض لتلك الغارات وبالتالي استحالة قيام منطقة نفوذ محمية وضرورية لتلك المعسكرات الإسبانية، التي أدرك حكامها خطأ سياستهم تلك فتمّ إصدار قرار ملكي سنة 1564م بمنع القيام بتلك الهجمات فكان لذلك انعكاس إيجابي دفع بالأهالي إلى تموين مدينة وهران بالقمح والمواد الغذائية الأخرى لفترة من الزمن، لكن رغم ذلك كان هناك من الحكام من لم يحترم هذا القرار مثل ما فعل حاكم وهران أندرياس بونزي (Andreas Ponzi)، الذي قام بهجوم أسر على إثره إحدى عشر (11) رجلاً من الأهالي، لكن قائد المرسى الكبير فرانسيسكو دي فالنسيا (Francisco de Valencia)<sup>128</sup> رفض الاشتراك فيه وأرسل بتقريره إلى إسبانيا فتوقف الأهالي عن تموين المدينة بما تحتاجه.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.350.

126

Diégo, Suarez, Deux razzias..., op.cit, p.299.

127

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367.

<sup>128</sup> فرانسيسكو دي فالنسيا (1523-1606م): عسكري ومستشار لمجلس الحرب. خدم دوق ألبا خلال الحملات الإيطالية (1554-1558م). في عام 1555م كان ضابطاً مساعداً في مجال التعرف على مواقع العدو. وقد عينه دوق فلورنسا سفيراً استثنائياً في كوزمي دي ميديشي، من أجل الاتفاق على إجراء مشترك ضد البابا بول الرابع. في 1560م شارك في الحملات البحرية في البحر الأبيض المتوسط من أبرزها الحملة على تونس في 1561م. وفي عام 1563م، تعاون مع المهندس خوان باوتيسستا، في تحسين تحصينات وهران، وفي العام الموالي تمّ تعيينه قائداً لقلعة المرسى الكبير، اعتماداً على حاكم وهران. تمّ أسره من قبل القراصنة البربر واقتيد إلى حمامات الجزائر

وقد ورد في التقرير المرسل<sup>129</sup> بأن تلك الغارات تسببت في جذب الأتراك نحو تلك المناطق، صاحبها خسائر كبيرة في صفوف الجنود الإسبان ووقوع أعداد كبيرة منهم في الأسر ليُباعوا بعدها كعبيد، ومثال على ذلك ما وقع للمركز سانتا كروز<sup>130</sup> (Le Marquis de Santa Cruz) (1639-1643م) الذي قام بهجوم خارج أسوار وهران في 21 نوفمبر 1732م، والحصار مضروب عليها، انتهى بمقتله ومقتل أغلبية الفرقة التي خرجت معه<sup>131</sup>. وفي هذا السياق يذكر فالينخو قوله: "لقد حدث وأن قام الحكام العامون في مناسبات عديدة وجريئة للغاية، بحملات من هذا القبيل نحو الداخل، إما مع الحامية، وإما مع القوات الآتية من إسبانيا، لتحقيق المزيد من الأبحاث، أو للحصول على الغنائم، أو لمهاجمة أترك الجزائر في الوقت الذي أتوا فيه لتحصيل الضرائب. وكانت النتيجة دائماً كارثية وأكثر دموية، قُطع فيها آلاف الرجال إلى أشلاء"<sup>132</sup>. كما أنه إذا اقتضى الأمر لانعدام الغذاء الخروج في غارة خاطفة وفرق الخيالة الموالية للإسبان هي التي تقوم بهذه المهمة القادرة، وهكذا فالقاتل والمقتول إخوة والإسبان يتابعون المشهد من على أسوار المدينة وتحصيناتها<sup>133</sup>. فبعد عامين من احتلال الإسبان للمرسى الكبير شن الجنود الإسبان غارة عسكرية على دوار الغرابة بالقرب من مسرغين<sup>134</sup> وذلك بهدف نهب ماشيتها، خاصة وأن المرسى الكبير مبني فوق قمة صخرية بحيث لا يوجد ما ولا غذاء لذلك

العاصمة، حيث التقى رودريغو سرفانتس وأعطاه خطابات توصية موجهة إلى نواب فالنسيا ومايوركا؛ تم تحريره في تطوان مع أنطونيو دي توليدو، في 1577م بعد دفع 7000 دوكات عاد كلاهما إلى إسبانيا. وقد جعله فيليب الثاني عام 1580م مستشاراً عسكرياً لدوق المدينة سيدونيا. كما تم تعيينه عام 1598م مستشاراً لمجلس الحرب، وشغل المنصب حتى عام 1605م. وخلال هذه الفترة كرس نفسه للتنظيم العسكري للملكية الإسبانية ولحاجاتها العملية والنظرية. تقاعد من الخدمة بسبب سوء صحته، لذلك عاد إلى وطنه. توفي في 21 أكتوبر 1606م ودفن في كنيسة سان برناردو، في كاتدرائية زامورا.

Lettre de Valencia à Philippe II, Mers el Kébir, 8 février 1565, Simancas E° 486, in<sup>129</sup> Fernand, Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, T2, 1976, Paris, p.189.

<sup>130</sup> ماركيز دي سانتا كروز دي مارسينادو، هو لقب إسباني نبيل مُنح عام 1692م من قبل الملك كارلوس الثاني لسيباستيان فيجيل دي كينيونيس إي دي لا روا فيكونت بورت، وفارس وسام كالاترافا.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.324. <sup>131</sup>

- SANDOVAL, Les inscriptions d'Oran de Mers-el-Kebir, in: R.A, N°16, 1872, p.60.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.350. <sup>132</sup>

Casenave, (J), Les présides Espagnols..., op.cit, p.268. <sup>133</sup>

<sup>134</sup> بلدية تابعة لدائرة بوتليليس بولاية وهران.

حاول الإسبان تموين وتزويد هذا الحصن<sup>135</sup>، إلى جانب رغبتهم في بسط نفوذهم على الطريق المؤدي إلى تلمسان<sup>136</sup>.

وعموماً فإن أوضاع وهران كانت أحسن بكثير من المرسي الكبير، خاصة قضية التموين بالخبز والفواكه فقد ساهم وجود المجرى المائي "رأس العين" الذي ينحدر حتى البحر في وجود مجموعة بساتين وحدائق تزرع فيها أشجار مثمرة وخضراوات تكفي حاجات المدينة أحياناً<sup>137</sup>. واضطرت الظروف الصعبة المحتلين كاحتياط في حالة حصار طويل إلى حفر مخازن في الصخور لإخفاء الأغذية<sup>138</sup>. وأمام هذه الحالة المزرية توالى النداءات والمراسلات وتواصلت من قبل الحكام مع السلطة الملكية الإسبانية قصد ضمان تموين المراكز المحصنة، وإثر هذا صرح الكونت دالكوديت سنة 1535م قائلاً: "يجزُّ في نفسي الدفاع عن وهران والمرسي الكبير ضد الجوع أكثر من مجابتي للعدو"<sup>139</sup>.

خلال القرن السابع عشر ونتيجة ما آل إليه وضع الاقتصاد الإسباني في شمال إفريقيا والمخاطر التي كانت تعتره، كان له كبير الأثر على ممتلكاتها في شمال إفريقيا، لدرجة أنه لم يكن هناك ما يكفي من المال لدفع مستحقات جنود حامية وهران، لم تكن هناك تجارة حقيقية باستثناء تجارة بيع الأسرى أو الغنائم التي سلبت خلال الغارات خارج أسوار وهران، والتي أصبحت الصناعة الوحيدة المرجحة آنذاك<sup>140</sup>.

لكن مستقبلاً سيتم استنكار هذا الوضع المأساوي بشدة من قبل الحاكم العام لوهران فاليوخو بين عامي 1734م و 1738م، والذي قارنهم بـ "التتار في المجر وبولندا"، مع العلم أن هذا كان السبب الرئيسي لفقدانهم (وهران والمرسي الكبير)<sup>141</sup>. ويمكن أن نستدل هنا بقوله: "بأن الطمع في بعض الأحيان كان يدفع إلى تنظيم غارات دون مبرر معقول على الدواوير وعلى القبائل التي طلبت منهم

Kehl, (C), "Oran et l'Oranie...", op.cit, pp.23- 49. 135

Diego, Suarez, "Mers el- Kebir", Traduction: Berbrugger, (A), in: R.A, T9, 1865, p.412. 136

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire...", op.cit, R.A, p.345. 137

Offrey, Robert, op.cit, pp.23- 24. 138

Paul, Rufé, La domination espagnole a Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete (1543- 1558), Leroux, Paris, 1900, p.10. 139

Braudel, F, Les Espagnols et l'Afrique du Nord (1492 à 1577), in: R.A, 1928, p.353. 140

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire...", op.cit, R.A, p.367. 141

العون والحماية، وشبه غاراتهم على القرى الآمنة بغارات التتار على المجر وبولندا، وإلى جانب الحبوب والأنعام، كانوا يسبون الصبيان من أجل تنصيرهم، وأما الرجال والنساء فكان للحاكم العام الحق في اختيار بعضهم، أما الباقي فكان يقسم بين الضباط والجنود والموظفين، أو يباعون في أسواق إسبانيا بأسعار مرتفعة<sup>142</sup>.

نظراً لتضرر السكان من تلك الغارات اضطروا إلى تشكيل نظام للحراسة والاستطلاع لرصد تحركات الإسبان، فكانوا يكلفون أشخاصاً على الانتشار عبر الطرق وعلى المرتفعات لمراقبتهم واتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهةهم أو الإفلات من غدرهم، فعندما يشرع الجنود الإسبان في تحركهم ضد القرى الواقعة حول وهران والمرسى الكبير، كانت القبائل تعلم بوصولهم، من طرف هؤلاء الحراس، بحيث عندما يقترب الجنود الإسبان من الدواوير كانت هذه الأخيرة تنتقل وبسرعة إلى أماكن أخرى، وكانت في بعض الأحيان بإقامة حرائق داخل الدوار أمام تقدم صفوف الغزاة الإسبان، ثم تحرب بكل عجلة، وذلك حفاظاً على سلامة العائلات<sup>143</sup>.

لقد أدت هذه الغارات إلى زرع وإثارت الكراهية في كل مكان، ويمكن اعتبار ذلك حسب فاليوخو سبب رئيسي يُظهر فشل وقصور سياسة الحكام، مما أدى إلى هجر وهران وفقدانها. ونفس اللوم يلقيه ديبغو سواريز على الحكام الإسبان، ويذكر فاليوخو هنا قوله: "... تصرف الإسبان في كل شيء ومن أجل كل شيء، جعلهم مثل هؤلاء البرابرة"<sup>144</sup>. ويضيف قائلاً: "... إن السياسة الفظة والهمجية التي تمارس في هذه المقاطعة ... لقد دمر السيف تقريباً جميع شيوخ القبائل المخلصين لتحالفنا ... لم يعرف المغاربة الذين هم اليوم رجال، صداقتنا؛ وإذ عاشوا لفترة قصيرة تحت سيطرتنا فلن يحتفظوا بذكراها... إن يعرفون شيئاً واحداً فقط: يجب عليهم أن يعاملونا كأعداء"<sup>145</sup>.

ثامناً- سياسة حكام وهران والوضع الذي آلت إليه بداية من القرن 17م:

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.364- 368. 142

Diego, Suarez, Mers el- Kebir..., op.cit, R.A, 1865, p.412. 143

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.364- 365. 144

Ibid, p.352. 145

حاول حكام إسبانيا في المقاطعتين تطبيق سياسة حسن الجوار ومبدأ التعايش مع الأديان الثلاث (المسيحية، اليهودية، الإسلام)، فاليهود كانوا يعيشون داخل الأسوار والمسلمون خارجاً إلى غاية طرد اليهود سنة 1669م. ومع مطلع 17م ونتيجة ما آل إليه وضع الاقتصاد الإسباني في شمال إفريقيا والمخاطر التي كانت تعتره، كان له كبير الأثر على ممتلكاتها في شمال إفريقيا ومواقع حامياتها بالجزائر، لدرجة أنه لم يكن هناك ما يكفي من المال لدفع مستحقات جنود حامية وهران، مما أقلق حكام المقاطعات الذين كثفوا من عمليات النهب والسلب والسطو على القبائل الوهرانية وأسر الجزائريين، ولم تكن هناك تجارة حقيقية باستثناء تجارة بيع العبيد أو الغنائم التي سلبت خلال الغارات خارج أسوار وهران، والتي أصبحت الصناعة الوحيدة المرحة آنذاك<sup>146</sup>. وكنتيجة لثورة الموريسكيين سنة 1568م<sup>147</sup>، ضرب الإسبان عملة بوهران حاولوا فرضها على سكان المناطق عنوة للتعامل بها<sup>148</sup>.

استقبلت وهران والمناطق المجاورة لها بعد صدور المرسوم الملكي في سبتمبر 1609م (في عهد الملك الإسباني فيليب الثالث<sup>149</sup> 1598-1621م)، بطرد الموريسكيين من الأراضي الإسبانية وترحيلهم إلى مناطق الحاميات الإسبانية بالجزائر. وقد سجلت الوثائق آنذاك حوالي 116022 موريسكي.

لقد تمّ استنكار هذا الوضع المأساوي وبشدة من قبل الحاكم العام لوهران فاليخو، هذا الأخير تفتن لفضاعة الحملات العسكرية الإسبانية في إقليم وهران والنتائج الوخيمة التي تتعرض لها الحامية جراء الأعمال الانتقامية ضد السكان، وشبه هذه الحملات بأنها من الأسباب الرئيسية لتراجع الدفاعات

Braudel, (F), Les Espagnols..., op.cit, p.353.

146

<sup>147</sup> اندلعت الثورة الموريسكية الكبرى في أواخر سنة 1568م، في الوقت الذي كانت فيه إسبانيا منشغلة بثورة الأراضي المنخفضة، وتزعّمها من طرف فرج بن فرج. وقد قدر عدد الثوار بـ 4 آلاف نائر. وأعطى الاسم العربي لزعيم الثورة محمد بن أمية. كان من نتائج الثورة صدور قرار 28 أكتوبر 1570م القاضي بنفي الموريسكيين من غرناطة ومصادرة أملاكهم، وشمل أكثر من 80 ألف موريسكي. للمزيد ينظر: عبد الجليل، التميمي، "الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية، ع23-24، تونس، نوفمبر 1981م، ص ص 196-198.

La primaudaie, op.cit, pp.187-188.

148

<sup>149</sup> هو فيليب الثالث ولد في مدريد سنة 1578م، وحكم أسبانيا بين عامي 1598 و1621م. بدأ في عهده الخطاوط إسبانيا السياسي، ولكن من الناحية الثقافية عرفت إسبانيا عصرها الذهبي الثاني لظهور أدباء كثيرين من أمثال سيرفانتس. ينظر: حمّة، عائشة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، جامعة غرداية، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص98.

الإسبانية بالمنطقة. وهو ما دفعه لأن يشبههم بـ"التتار في المجر وبولندا"<sup>150</sup>. وتكررت الهجومات الجزائرية ضد المواقع الإسبانية وخاصة في عهد الحاكم الماركيز دي أردالس (Marquis des Ardales) (1604-1607م) والماركيز سانتا كروز، وما بذله الجزائريون من جهود معتبرة في صد الهجومات الإسبانية المتكررة على قبائل المنطقة ومحاوله تحرير المناطق المحتلة، إذ تمّ حصار المرسي الكبير سنة 1678م، ومقتل القائد الحاكم الماركيز دي ألقاريفز (de Algarves)، ومقتل الحاكم الكونت براكامونتي (Bracamonté) سنة 1687م.

كان الإسبان يدركون خطورة الوضع إبان الاحتلال الثاني لوهران، ومنذ تعيين دون جوزيف فاليوخو حاكماً عاماً على وهران، قام هذا الأخير باتخاذ تدابير جديدة تقوم على تطبيق سياسة المهادن، وإعادة ترتيب آليات الاحتلال الإسباني من جديد وفق سياسة عمرانية جديدة تهدف إلى مزيد من تقوية الدفاعات بالمنطقة وهيكله التحصينات استعداداً لأي مواجهة، وهذا انطلاقاً من الدفاعات المحيطة بوهران وحمايتها من الجهتين البحرية والبرية: سانت فيليب، والبرج الأحمر، سانت غريغوري، سانتا كروز، وسان أندري. كما أعاد ترتيب العلاقات مع "مغاربة السلام"<sup>151</sup> "Maurs de paix" أو ما يعرف بـ "المغناطيس"، وباقي الجزائريين<sup>152</sup>.

ومن وجهة نظر دفاعية، فإن هذا التغيير قد أدى إلى استعادة وتعزيز الحصون الرئيسية الخمسة، التي تحيط بالمدينة من كل الجهات لحمايتها ضد أي هجوم بري أو بحري. ولتسهيل التواصل بشكل أفضل بين هذه الحصون، وبينها وبين المدينة؛ تمّ بناء أبراج مراقبة أخرى جميعها حول محيط الدفاع عن

150 Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367.

151 الصبايحية (spahis) أو ما يعرف بعرب السلام، المتحالفين الذين لجأوا إلى وهران ووافقوا على العمل كمساعدين للإسبان؛ لقد قاتلوا إلى جانبهم، وأدوا جميع أنواع الخدمات لهم وعاشوا فيما بينهم حلفاء مخلصين. هذه الفئة التي كانت تعتبر ركيزة سلاح الفرسان الإسبان، معرفتهم ودرابتهم بلغة وعادات البلاد. وتستخدم بعض من عناصرها كعملاء تجسس، لكن وعلى الرغم من كل الخدمات التي يقدمونها إلا أنهم لم يكونوا محل ثقة من طرف الإسبان بسبب انتمائهم للدين الإسلامي. وفي عام 1734م، قام جوزيف فاليوخو بتنظيم هذه الفرق المنتظمة من المغاربة المتحالفين، وبموجب المرسوم الملكي المؤرخ 10 ماي 1734م؛ وافق وزير الحرب الإسباني على هذه المبادرة وأعطى لائحة رسمية لهذه المجموعة من القوات المساعدة.

152 Vallejo, (J), Orán bajo la dominación española- Estado Mayor General, Madrid, 1924, (Manuscrit de la Bibliothèque de l'Escoriale), pp.128-132.

ساحة وهران، ولمواجهة المدفعية التركية الثقيلة تمّ اعتماد صيغ دفاعية جديدة، مثل بناء الجدران السميكة للغاية والخنادق العميقة.

في البداية، وللحفاظ على وجودهم وتثبيتته في كامل أنحاء غرب البلاد، اعتمد فاليوخو سياسة قرب جديدة أكثر ودية - سياسة المهادنة - تجاه "عرب السلام"، الذين كانوا موالين لهم في الماضي، كقبائل كانستال وإيفري. هذا ما يفسر، إلى حد ما بقاء الإسبان وسط أرض معادية لهم طيلة ثلاثة قرون. وقد تحقق هذا التعاون من خلال كون أن الحاكم العام باسم الملك يوقع اتفاق مع زعيم القبيلة صالح لمدة سنة قابلة للتجديد، وعليه يجب على زعيم القبيلة أن يصرح عن عدد المحارث والخيام بقبيلته، وعن كمية الحبوب التي يجب أن يسلمها في نهاية كل سنة، في مقابل ذلك يحصل هؤلاء العرب الموالين "عرب السلام" على إذن للزراعة ولرعي قطعانهم بالقرب من محيط وهران والمرسى الكبير، وكذا حمايتهم ضد أي هجوم من طرف العرب والأتراك المعادين للإسبان.

غير أنه وعلى الرغم من كل الخدمات التي كان يقدمها هؤلاء العرب إلا أنه لم يسمح لهم بالعيش والإقامة بشكل دائم داخل أسوار وهران والمرسى الكبير، لكن في مقابل السماح لهم بالدخول ضمن إقامة مؤقتة لإدارة المعاملات التجارية مع سكانها<sup>153</sup>.

إلا أن سياسة التقارب والمهادنة التي انتهجها فاليوخو والقائمة على إبقاء النفوذ الإسباني في المنطقة وفق إستراتيجية محكمة لم تدم طويلاً، فبرحيله من وهران عام 1738م، غير خلفائه سياسته بانتهاج سياسة أكثر عدوانية قائمة على العنف والمواجهة، على غرار الأساليب نفسها المنتهجة في القرون السابقة، والتي تهدف إلى صد أي نوع من أنواع التوغلات من طرف "مغاربة الحرب Maures

<sup>153</sup> Hassaine, Terki, Oran au XVIII<sup>e</sup> siècle : du désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne", Insaniyate: Revue algérienne d'anthropologie et de science sociales, N°23-24, Oran, 2004, pp.197-222.

"de guerre"<sup>154</sup> على وهران وضواحيها. مما زاد في حماس الجزائريين والإكثار من الهجومات من أجل تحرير المنطقتين القابعتين تحت نير الاحتلال، وهذا بالتحالف مع شيوخ الزوايا والسلطة العثمانية<sup>155</sup>.

وأمام فشلها في مواجهة حركة المقاومة المنتشرة في كل مكان، اعتمدت إسبانيا في وقت لاحق سياسة تقوم على فكرة فرق تسد، والتي كان الهدف منها زرع الفتنة وعدم الثقة بين قبائل المنطقة والقوات التركية، إلا أن هذا لم يدم طويلاً، بل على العكس من ذلك، حيث عمل "مغاربة الحرب" على تنسيق وتنظيم أعمالهم العسكرية مع السلطة التركية لإقامة مناخ دائم من انعدام الأمن والاستقرار في جميع أنحاء المنطقتين. وعليه فإذا افترضنا أن "عرب السلام" كانوا وسيلة أساسية لبقاء الإسبان في وهران والمرسى الكبير، فإن "عرب الحرب" قد جعلوا من أنفسهم عدواً دائماً لأولئك الذين عاشوا في هاذين المكانين. هذه هي القبائل التي كانت بعيدة كل البعد عن الخضوع لحاكم وهران، في مقابل ذلك ثابرت في التمسك بالأتراك، وأظهرت عداءً شديداً للإسبان والعرب الذين تعرضوا لها، فكانت حرب طويلة من الاستنزاف امتدت خلال الفترة من 1732 إلى 1785م، أعطت ثمارها وساعدت على تقويض معنويات القوات الإسبانية.

بالإضافة إلى ذلك كله، فإن مخالفات تزويد هاذين المكانين من قبل العاصمة الإسبانية، جعل الحياة لا تطاق فيها، كما أصبحت مكان لنفي أولئك الذين أرادت الحكومة الإسبانية إبعادهم عن أراضيها واعتبروا مذنبين من قبل المحاكم الإسبانية، سواء كانوا من المدنيين أو العسكريين ليقضوا فترة عقوبتهم هناك، ومن بين هؤلاء المحكومين غالباً ما يكون هناك العديد من النبلاء والأغنياء الذين يشاركون في مختلف الأعمال<sup>156</sup>.

<sup>154</sup> يقصد بهم العرب المغاربة المعادين للإسبان. هؤلاء الذين لم يعيشوا داخل هاتين الرئاستين - وهران والمرسى الكبير -، ولكن تم السماح لهم بالدخول لتنفيذ معاملاتهم التجارية مع سكانها. هذه قبائل كانت بعيدة عن الخضوع لحاكم وهران. لقد ثابروا في تمسكهم بالأتراك، وأظهروا عداءً كبيراً للإسبان والعرب الذين كانوا خاضعين لهم.

<sup>155</sup> بينت الأحداث التاريخية عند احتلال وهران للمرة الثانية سنة 1732م من طرف إسبانيا، أنه لم يكن لقبائل بنو عامر أي تماسك أو اتحاد، ففي سنة 1734م قام كل من رؤساء أولاد علي وأولاد زاير بن داموش والمزوار رفقة 47 دوار بالتقرب من الحامية الإسبانية للفت انتباهها. لكن ردود فعل قبائل بني عامر الأخرى جعلت الحكومة الإسبانية في مدريد تتراجع وتعترف عن اتخاذ أي تدبير من شأنه التحالف مع هذه القبائل. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- GORGUOS, « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el Kebir », in: R.A, N°3, 1858, pp.52-61.

Kehl, (C), "Oran et l'Oranie...", op.cit, pp.41- 45.

وعلى الرغم من بعض الإجراءات التي نظمها الحكام<sup>157</sup> لرفع معنويات قواتهم، ظلت وهران كمدينة محصنة، مهددة باستمرار وعرضت للهجوم من قبل الجزائريين. وأمام ما وصلت إليه الحياة اليومية من بؤس داخل المدينة، كان الهجر البديل الوحيد والملاذ الأخير للكثيرين، وكان هذا الفرار سواء بشكل فردي أو جماعي نحو إسبانيا يتم عن طريق البحر من خلال الاختباء داخل السفن الشراعية أو السفن الإسبانية الراقية في أحد موانئ وهران أو المرسى الكبير، أو عن طريق البر وهو طريق تلمسان أو مستغانم أو من معسكر والجزائر. وهرباً من العبودية والقهر اعتنق العديد منهم الديانة الإسلامية<sup>158</sup>.

لقد ندد فاليوخو وبشدة في العديد من المناسبات التي تذكر ماضي وهران على السياسة الإسبانية في إفريقيا، وعلاوة على ذلك فقد رأى أنه لا يمكن للمرء في القرن الثامن عشر، وللأسباب الأنفة الذكر، العودة إلى هذا التكتيك. كما أنه ألقى باللوم على حكام وهران وبتحميلهم مسؤولية كل ما يحدث فيها، وذلك بسبب السياسة التي انتهجوها والقائمة على الانشغال بجمع الثروة وتحقيق الأرباح والأعجاد والتي كان لها دور كبير في أن سمحت للقوات والسكان في هذين المكانين لأن يكتسبوا عادات استثنائية؛ كونهم كانوا يعيشون في علاقات دائمة مع المغاربة منذ ولادتهم، وهذا ما ساعد على تشبههم بالكفار في أذواقهم وطريقة حياتهم، ولا يختلفون عنهم إلا بالاسم فقط، وحتى العناصر المنبوذة التي أرسلت إلى وهران لم تكن بأفضل حال من غيرها واتبعت هذا المنحدر السيئ<sup>159</sup>. ويمكن أن نستدل على ذلك بقوله: "... كان الحكام العامون ومرؤوسيهـم، يأتون فقط للحصول على ألقاب ثم الحصول على بعض المزايا أو الوصايا وغيرها ... لم يفكروا إلا في ملذاتهم وأرباحهم، وتركوا الإسبان المعريين يعيشون على طريقة العرب أنفسهم ... في هذه الأماكن لم يعد الدين يُحترم ولم تعد هناك عدالة سواء في العلاقات العادية أو في الحكومة السياسية"<sup>160</sup>.

<sup>157</sup> خلال الفترة ما بين 1767 و 1774م، قام الحكام العسكريون لوهران بتنظيم حفلات إطلاق رصاص، وجلبوا ممثلين كومبيين من إسبانيا فتحولت الشكات إلى مسارح استعراض. ينظر:

- Kehl, (C), Oran et l'Oranie..., op.cit, p.44.

Cazenave,(J), "Histoire d'Oran, par le marquis de Tabalosos", in: B.S.G.A.O, T51, <sup>158</sup> 1930, p.336.

- La Primaudaie, op.cit, p.192.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367. <sup>159</sup>

Ibid, p.368. <sup>160</sup>

وبالنظر إلى مما سبق يمكن القول أن هناك من الحكام الإسبان بوهران من كانوا يرون بضرورة التخلي عن وهران والاحتفاظ بالمرسى الكبير في ظل هذه الظروف الصعبة. فالأحداث لا تكون مهمة إلا بالنظر إلى عواقبها وما يترتب عليها، إذ أن موضوع البقاء والمحافظة على المستعمرات الإسبانية في وهران والمرسى الكبير أو الخروج منها، كان محل نقاش حاد في البلاط الإسباني بمديره منذ زمن بعيد. والظاهر من خلال الوثائق أن إسبانيا كانت تفكر في الجلاء من المناطق الجزائرية، وهو ما يؤكد تقرير سنة 1574م إذ بعث الحاكم الإسباني غوي بوزكو (Gui puzcua) بوهران إلى السلطات برسالة مفادها إخلاء سبيل وهران مع ضرورة الاحتفاظ بالمرسى الكبير. وفي وثيقة صادرة عن فاليوخو سنة 1738م، وهي عبارة عن رسالة موجهة إلى الملك فيليب الخامس (Philippe V)<sup>161</sup> يخبره بضرورة التخلي عن وهران مع الاحتفاظ بالمرسى الكبير كإستراتيجية بديلة للتواجد الإسباني، وأن عدم الرضوخ للأمر الواقع ستكون له عواقب الموت لمصي المستعمرات. وقد تحدث عن التخلي الصريح بالأدلة المقنعة، ليثبت أن بلاده لا تستطيع الاحتفاظ بالمكانين، لأن هذا لا يمكن أن يجلب لها أي ربح مادي أو معنوي، بل وعلى العكس من ذلك فقد كانت تُنفق مبالغ مالية طائلة هناك<sup>162</sup>. وقد جاء هذا في سياق كلامه: "... إن النكسات التي مررنا بها، والعداء المهدد لجميع السكان الأصليين المتحالفين سابقاً معنا، والحصار المتكرر والمستمر الذي جعل من هذه الأماكن سجوناً حقيقية، وكذا الحاجة إلى توفير القوات والسكان المدنيين والغذاء والتي جُلبت كلها من إسبانيا. يمكن القول هنا بالتأكيد أن إسبانيا قد استبدلت أكواماً من الذهب بجبال من الحجارة ولن تحصل من هذه الحياة على أدنى ربح لشرفها وتجارتها أو لنشر الدين الكاثوليكي"<sup>163</sup>.

ويمكن مقارنة هذا التوجه الجديد بما أشارت إليه رسالة الحاكم الإسباني أرامبورو (1738-1742م) إلى الملك فيليب الخامس سنة 1741م، يلزمه بالتخلي عن وهران وضرورة تحصين المرسى الكبير والبقاء فيها. وقد تمّ التوصل إلى استنتاجاته - فاليوخو - في وقت لاحق من عام 1791م من قبل

<sup>161</sup> الملك فيليب الخامس (1683-1746م)، ملك إسبانيا، كان أول حاكم من بوربون لإسبانيا ما بين (1700م-1746م)، وملك نابولي وصقلية وسردينيا ودوق لوكسمبورغ. وهو والد ملك إسبانيا كارلوس الثالث ولويس الأول وفيرناندو السادس، وهو أيضا عم لويس الخامس عشر ملك فرنسا.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.328.

Ibid, p.351.

162

163

رئيس وزراء كارلوس الرابع<sup>164</sup> (Carlos IV) فلوريدا بلانكا، عندما كان يرغب في تحفيزه على التنازل عن وهران والمرسى الكبير لداي الجزائر<sup>165</sup>.

إن الناظر إلى الوثائق الإسبانية المنشورة في المدونتين محل الدراسة لا يمكنه إلا أن يسجل إثارة مسألة الجلاء عن وهران وخاصة في عهد الملك كارلوس الثالث (1759-1788م) سنة 1767م، لكن اجتماع البلاط الإسباني جعل القادة يُصرون على الاحتفاظ بالمستعمرتين وعدم التخلي عنهما. وفي عهد شارل الثالث بدأت سلسلة الحملات البحرية ضد الجزائر في سنوات 1775م، 1783م و1784م، لكنها باءت بالفشل<sup>166</sup>. وفي سنة 1783م وبإيعاز من الدبلوماسي الكونت أرندا<sup>167</sup> (Comte d'Aranda) بدأ الاهتمام بأمريكا الإسبانية يتصدر اهتمامات الساسة في البلاط الإسباني.

في ظل الأجواء المتوترة وضعف القدرات العسكرية الإسبانية في المنطقة، والزلازل الذي ضرب المنطقة، بات من الواضح جداً التراجع الإسباني في المنطقة<sup>168</sup>. وقد جرت مباحثات بين الطرفين

<sup>164</sup> ابن كارلوس الثالث، ولد في مدينة بورتيشي (Portici) بمقاطعة نابولي بإيطاليا سنة 1748م، ملكاً على إسبانيا ما بين (1788-1808م)، توفي بروما سنة 1819م.

<sup>165</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.328

<sup>166</sup> أعدت إسبانيا ثلاث حملات للانتقام من الجزائر بقيادة الكونت أوريلي ودون أنطونيو. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: - la Primaudaie, (F. Elie De), " les Trois attaques des Espagnoles contre Alger, au XVIIIe siècle", in: R.A, N°20, 1876, pp.300-304.

<sup>167</sup> بيدرو بابلو أباركا دي بولي، الكونت أرنادا (Pedro Pablo Abarca de Bolea, Comte d'Aranda) (ولد في ويسكا في 1 أوت 1719م، وتوفي في سرقسطة في 9 جانفي 1798م، هو رجل دولة إسباني من القرن الثامن عشر. كان سفيراً للملك تشارلز الثالث في بولندا، وفي عام 1766م أصبح رئيساً لمجلس قشتالة وظل حتى عام 1773م، وطرد اليسوعيين في عام 1767م من سلطة محاكم التفتيش في إسبانيا، ثم سفيراً في فرنسا من 1773 إلى 1784م. يعتبر نموذجاً للاستبداد في عهد تشارلز الثالث ملك إسبانيا، وقد تولى منصبه من عام 1766م كرئيس لمجلس الوزراء. تم تعيينه في 28 فيفري 1792م وزير الخارجية (ما يعادل رئيس الوزراء) من قبل الملك تشارلز الرابع ملك إسبانيا ليحل محل كونت فلوريدابلانكا. كان عليه أن يواجه فرنسا الثورية وحاول إنقاذ لويس السادس عشر، لكن الملك تشارلز، الذي اعتبره تجاوز في النهاية، استبدله بمائويل جودوي، في 15 نوفمبر 1792م. توفي عام 1798م.

<sup>168</sup> درس كازيناف أحداث زلزال أكتوبر 1790م الذي ضرب وهران وضرب نصف المدينة، معتمداً في دراسته على الوثائق الإسبانية، والتي تبرر انعكاسها السياسية على التخلي النهائي للإسبان عن وهران سنة 1792م. بعد الهجوم والحصار الذي قاده باي معسكر. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Jean, Cazenave, « le tremblement de terre en 1790 et ses conséquences politiques », in: l'Afrique latine, Alger, 1923, pp.243-262.

الجزائري والإسباني في عهد الباي محمد بن عثمان بهدف الجلاء النهائي للحامية الإسبانية. وقد بدأت النوايا الحسنة منذ معاهدة السلم المبرمة في 14 جوان سنة 1786م، واتفاق 9 ديسمبر 1791م الذي يهدف إلى خروج الإسبان النهائي من وهران والمرسى الكبير، وكان ذلك في 12 فبراير 1792م، مع إقرار معاهدة التجارة بين الطرفين وإحداثا قنصلية إسبانيا بوهران منذ 1794م، والتي استمرت إلى غاية 1830م<sup>169</sup>.

وعليه يمكن القول أن الإسبان لم يعرفوا كيف يحافظوا على ثمار نجاحاتهم من خلال سياسة رشيدة، حيوية ومخلصة، ما سمح للأحداث بأن تنقلب عليهم، إذ اكتفوا فقط بإبقاء جيوشهم في المعازل الساحلية دون التغلغل نحو الداخل. وبالكاد كان يسمح ببعض الحملات الداخلية أو الغارات، والتي كان الدافع منها معاقبة بعض القبائل أو الحصول على الطعام في أوقات الندرة، وهكذا فقد ارتبط هذا الفشل، عموماً بالسياسة المحدودة للاحتلال للإسباني، حيث استعمل هذا الأخير مناطق ساحلية لا يمكن استخدامها قاعدة للتغلغل العميق.

وحين نعود إلى تاريخ البحر المتوسط فإننا نلمس ذلك الترابط الإسلامي المسيحي الذي كان بين هاتين القوتين، فالقوة الإسلامية قد برزت في مظاهر حضارية متنوعة، وصار البحر الأبيض المتوسط وقتئذ بحيرة للالتقاء الحربي أو السلمي بين المسلمين والأوروبيين، وللحوار الثقافي بينهما<sup>170</sup>.

## II- المجالات العسكرية:

لقد فرض الجزائريون حصاراً دائماً على وهران والمرسى الكبير منذ أن استقر بها الإسبان، وللاحتفاظ بهما تطلب القيام بأعمال هامة كبناء حصون جديدة وترميم القديم منها، وإصلاح الأسوار

Cazenave, (J), "Les gouverneurs d'Oran...", op.cit, pp.257-299.

169

- Pestemal Djoglou, (A), "Le consulat français d'Oran de 1732 à 1754", in: R.A, N°86, 1942, pp. 220- 254.

<sup>170</sup> عبد الإله، ميسوم، تأثير الموشحات في التروبادور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 103.

المحيطة بالقاعدتين وترميم المساكن والشوارع<sup>171</sup>، وفعلاً فإن تاريخ وهران والمرسى الكبير طيلة فترة الاحتلال مرتبط بالتحصينات، هذه الأخيرة التي كانت الشغل الشاغل لحكامها<sup>172</sup>.

وقد جاء مسعى وزير الحرب الإسباني جوزيف باتينوا (Joseph Patino)<sup>173</sup> بوضع تشريع ونظام خاص في المجالات العسكرية والاقتصادية والمالية وحتى سياسياً ودينياً للممتلكات الإسبانية في إفريقيا الشمالية، ولا يمكن الحديث عن التحصينات دون الإشارة إلى "مجلس التحصينات" والذي تكمن مهمته في مناقشة وحل مسائل الدفاع، ويتكون من القائد العام، ومسؤول المهندسين، والمسؤول عن الإدارة، وأمين الحاكم الذي يتولى نفس المهام داخل المجلس.

طريقة الدفاع عن السواحل باستعمال القلاع والحصون كانت متبعة في أوروبا وخصوصاً البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط كإسبانيا وإيطاليا، وزاد الاهتمام بها في مطلع القرن السادس عشر بسبب الهجومات والغارات التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون على سواحل تلك البلدان وخصوصاً إسبانيا، فكان منطقياً تغيير القلاع القديمة لفرنسيا<sup>174</sup>، بمنشآت جديدة تكون فيها مواقع مميزة للمدفعية، أما في برشلونة فالمشكل المطروح من يدفع ثمن تلك القلاع أو ترميم التحصينات؛ الملك أم مجلس المدينة.

ابتداءً من 1519م تم إنشاء وتنظيم حرس الشواطئ في فالنسيا مع نظام إنذار مبكر فالخذر والخوف ميزت سياسة الإسبان على سواحلهم لأنها ضرورية لتفادي أي هجوم مباغت للقراصنة الجزائريين، لكن يبقى التخوف أكبر من الأساطيل العثمانية<sup>175</sup>.

KEHL, (C), Oran et l'Oranie..., op.cit, p.43.

171

<sup>172</sup> أنظر خرائط التحصينات بمدينة وهران أثناء الاحتلال الإسباني (الملاحق).

<sup>173</sup> دون جوزيف باتينوا دي روزاليس: ولد في 11 أبريل 1666م، رجل دولة إسباني شغل منصب نائب وزير الدولة الأول من 1734 إلى 1736م. كان والده دون لوكاس باتينوا دو إيبارا عضواً في المجلس الخاص وقائد القوات في دوقية ميلانو ملك إسبانيا، وقد كانت عائلته من المؤيدين الأقوياء لعائلة بوربون خلال حرب الخلافة الإسبانية. حصل جوزيف باتينوا على مقعد في مجلس الشيوخ في ميلانو في عهد فيليب الخامس عام 1700م، ثم نقل إلى إسبانيا عام 1707م ليكون على رأس قيادة الهيئة العسكرية العامة، كما حصل على لقب قائد البحرية عام 1717م. وقد شغل جوزيف باتينوا من عام 1726م إلى غاية وفاته منصب رئيس الوزراء. توفي في 3 نوفمبر 1736م.

<sup>174</sup> فالنسيا: مدينة إسبانية، تقع في شرق إسبانيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتعتبر ثالث أكبر مدن البلاد من حيث التعداد السكاني. أسسها الرومان سنة 139 ق.م، وعرفت باسم بلنسية. تضم معالم سياحية وتاريخية هامة جمعت بين الطابعين الإسلامي والمسيحي.

175

Fernand, Braudel, Les Espagnols..., op.cit, R.A, p.363.

والإشكال المطروح حول المحميات والحصون التي أقامها الإسبان في الجزائر وعلى وجه الخصوص وهران والمرسى الكبير بين 1509م و1511م على الساحل بشكل مشتم ومنهار غير قادر على الدفاع عن نفسه، لكن الإسبان لم يستغلوا تلك الفرصة التي ضاعت منهم ولن تتكرر ثانية، ابتداءً من 1516م، استقر الإخوة بربروس في الجزائر ثم جاء الدخول تحت حماية السلطان العثماني وبداية تحرير المدة الجزائرية.

أولاً- إحكام التحصينات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير:

### 1- المرسى الكبير:

يُجمع الكتاب الأوروبيون الذين عاينوا المرسى الكبير أنه يُعد من أكبر الموانئ وأحسنها وأكثرها ملائمة لرسو السفن التجارية، ونظراً لأهميته واتساع خليجه، أقيم فيه حصن دفاعي يعود إلى القرن 7هـ/13م، وهذا ما شجع السفن التجارية الأوروبية على اعتباره محطة رئيسية في البحر الأبيض المتوسط؛ ومنذ بداية القرن 9 هـ/15م، أصبح المرسى الكبير مركزاً رئيسياً للتبادل التجاري بين الدول المتوسطية وبلاد المغرب الأوسط<sup>176</sup>.

وصف الحسن الوزان ميناء المرسى الكبير بقوله: "ما أن في الدنيا أكبر منه، يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية في مأمّن من كل عاصفة وإعصار"<sup>177</sup>. كما تكمن أهميته في موقعه الاستراتيجي العسكري الذي يمثل البوابة الرئيسية لوهران أو المنفذ لها نتيجة لاعتبارات عديدة منها: قوة تحصين برجها المطل على الميناءين وصلاحيه رسو المراكب بها. هذا ما دفع بالإسبان بداية من القرن السادس عشر لمحاولة جعله حصناً عسكرياً وقاعدة حربية لنشاطاتهم في الداخل والخارج.

لقد قام الإسبان بعد استيلائهم على المرسى الكبير عام 1505م بجعل أبراجه بمثابة التحصينات له، حيث أخذت البناية التي تتوسط حصن المرسى الكبير مقراً لحاكم المرسى. ولتعزيز وجودهم بهذا الموقع

Mas, Latie, Aperçue des relation commerciales de l'Italie septentrionale avec l'Algérie au moyen âge, Imp Royale, Paris, 1845, p.31.

176

177 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 31.

شيدوا حصناً صغيراً بمرتفعات جبل سانتو (Santo)<sup>178</sup> الذي يشرف مباشرة على حصن المرسى الكبير عُرف "بحصن المخلص"، والذي كان الغرض منه رد الهجمات عن المرسى. لكن سرعان ما تعرض هذا الحصن للتدمير إثر الهجوم الذي شنه عليه حسن بن خير الدين باشا سنة 1563م إثر محاولته لاستعادة وهران<sup>179</sup>.

في عهد الملك فيليب الثاني (Philippe II)<sup>180</sup> عمل الإسبان على تحصين قلعة المرسى الكبير، حيث أصدر الملك تعليمات للحاكم دون خوان دافالوس<sup>181</sup> (Don Juan d'Avalos) للقيام بذلك، فشرع هذا الأخير في تنفيذ المشروع بداية من عام 1576م، معتمداً فيه على المهندس خوان باتيست أنطونيلي (Juan Batiste Antonelli)<sup>182</sup> والمهندس جاكوم بالييرو ألفرانتان

<sup>178</sup> إنه يحمي المرسى الكبير من الغرب والجنوب ويمتد على طول الشاطئ نحو وهران. في أعلى نقطة من الجبل والتي تهيمن على الميناء الذي يطلق عليه الإسبان ( تل غوردو Cerro gordo والتي تعني التل الكبير). ينظر:

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.330.

<sup>179</sup> حصن سانتو الحالي، بقايا قلعة سان سلفادور القديمة (حصن المخلص) التي بُنيت في بداية القرن السادس عشر للدفاع عن القلعة، في عام 1563م وأثناء الحصار الشهير للمرسى الكبير من قبل داي الجزائر حسن باشا، عانت سان سلفادور من سلسلة من الاعتداءات القاتلة وتم إجلاؤهم بعد 22 يوماً من المقاومة الشرسة؛ استولى عليها الأتراك في 7 ماي 1563م وقاموا بتدمير الحصن. للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

- CAZENAVE, (Jean), "Cervantès à Oran 1518", in: B.S.G.A.O, T43, 1923, pp.230-240.

<sup>180</sup> فيليب الثاني (1527-1598م)، ملك نابولي وحاكم هولندا ثم ملك إسبانيا (1556-1598م) بعد تنازل أبيه شارل كوينت، النمسا والتاج الإمبراطوري منح لعنه فرديناند الأول، ممتلكاته كانت واسعة جداً شمل الجزء الأكبر من إيطاليا جزء من فرنسا، هولندا أمريكا والفلبين، استطاع ضم البرتغال رغم الإمكانات الضخمة والجيش عجز عن القضاء على قوة الجزائر في الحوض الغربي للمتوسط حكمه الشامل تسبب في ثورة العديد من المقاطعات، واشتبك مع العثمانيين في معركة ليبانت 1571م. توفي فيليب الثاني سنة 1598م ودفن في قصر الأسكوريال الذي بني في عهده. ينظر:

- Mourre, Michel, op.cit, p.861.

- Dubois Claude, op.cit, p.1601.

<sup>181</sup> دون خوان دافالوس دو ريبيرا (Don Juan d'Avalos de Ribera): ولد في ليما عام 1553م، وتوفي في بيسكو 20 ماي 1622م، كاتب وشاعر ورجل دولة إسباني، شغل مناصب عسكرية وسياسية رفيعة المستوى، حيث كان نائب الملك في بيرو، وحاكم لمدينة ليما لثلاث مرات. شغل منصب عضو مجلس ليما المحلي (1570-1571م). سافر إلى إسبانيا عام 1583م، وكرم من طرف المحكمة الإسبانية، وقد اعتبر سرفانتس قصائده وأعماله الأدبية نموذجاً يعكس طبيعة ذكائه وجمال أسلوبه.

<sup>182</sup> خوان باتيست أنطونيلي: مهندس عسكري إيطالي، ولد في إيطاليا في غاتيو عام 1527م، وتوفي في توليدو بإسبانيا في 17 مارس 1588م. قام بتصميم وبناء بعض التحصينات والحصون العسكرية في أوروبا للتاج الإسباني خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، وكانت من أهم أعماله أيضاً سلسلة من أبراج المراقبة وبناء التحصينات على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط. كتحصينات ميناء مدينة قرطاجنة، وساحل مملكة فالنسيا والموانئ الإفريقية في وهران والمرسى الكبير. ومنذ عام 1580م؛ كرس خوان باتيست أنطونيلي نفسه

(Jacome Paleara Elfrantine) واستمر العمل به لمدة ثلاثين سنة، وجلبت له مواد البناء من إسبانيا، ما أدى إلى رفع تكلفة المشروع إلى أكثر من 3 ملايين<sup>183</sup> دوكا<sup>184</sup>.

وقد تحدث فاليوخو<sup>185</sup> عن المرسى الكبير وتحصيناته قائلاً "... إن له جدران ذات ارتفاع كافي، كما له دفاعات وتحصينات خارجية وخنادق محفورة في الصخور، إلا أنه وبالرغم من ذلك لا يوجد به مبنى يكون بمثابة ثكنات للحاميات العسكرية، هذه الأخيرة التي تكاد تكون تعيش بالكامل في الخيام معرضة بذلك لكل المؤثرات الخارجية؛ من سوء الأحوال الجوية والأمراض وغيرها.... ولم يكن الضباط بأحسن حال من الجنود"<sup>186</sup>. كما أن جدران قلعة المرسى الكبير وحصونه لم تكن محمية بالقدر الكافي فمعظمها سيء البناء ويفتقر لتقنيات التحصين. تحتوي على 27 مدفعاً من البرونز والحديد، وهي بحاجة إلى 13 قاذفة<sup>187</sup>.

كما قام المهندس هونتبات (Hontabat) بإرسال مخطط مشروع يتعلق بتحسين قاعدة وهران والمرسى الكبير إلى وزارة الحرب الإسبانية، والتي رأى فيها بضرورة إقامة مساحات كافية للحاميات والأسلحة وكذا بناء جدران وقباب<sup>188</sup> لحماية الحصون والخنادق، هذه الأخيرة التي يمكن أن الاستعانة بها في إنشاء خزانات من خلال الجرف الخارجي للخندق بحيث تساهم في تجميع مياه الأمطار - لاسيما

لدراسة إمكانية التنقل في تاغوس بين لشبونة وتوليدو، وهو المشروع لم يرى النور. وقد عمل معه شقيقه الأصغر باتيست أنطونيلي في مشاريع العمارة العسكرية في كل من وهران والجزائر وإسبانيا.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, pp.329.

الدوكات (Ducat) هي عملة قديمة من الذهب والفضة تداولت في أوروبا بداية من القرن الثاني عشر واستمر استخدامها حتى بداية القرن العشرين، وخاصة في الإمبراطورية النمساوية المجرية. جاء اسمها من الدوقية اللاتينية في العصور الوسطى، ويشير أصل الكلمة إلى أنها عملة تحمل صورة الدوق (dux) أو دوقية (ducat).<sup>183</sup>

حكم فاليوخو منطقة وهران والمرسى الكبير مرتين، الأولى (1734)، والثانية (1748-1837م)، ويعتبر من أكفأ القادة العسكريين الإسبان في المنطقة. وقد حاول مدهنة الجزائريين والسلطة العثمانية بشتى الوسائل في إطار سياسة التعايش وفتح مجال التجارة مع سكان المناطق المجاورة.<sup>184</sup>

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, pp.329- 330.

Ibid, p.331.

القبو (Voûte): هو هيكل تسقيفي معماري مكور من الداخل، من الناحية الإنشائية يعمل القبو كوحدة واحدة تنقل الأحمال من هيكل السقف إلى الجدران أو الأعمدة أو الجسور التي يستند إليها. والقبو من أقدم وسائل التسقيف وله كفاءة ومقاومة عالية، لذا تغطي به المساحات الواسعة. أول ما استخدم القبو كان في الهياكل التي تحت الأرض (سرداب أو خندق). ويكون القبو غالباً ضخماً جداً وثقيل الوزن لذا يحتاج إلى دعم قوي، حين يكون تحت الأرض توفر الأرض الدعم الضروري، ولكن حين يرتفع عن سطح الأرض يحتاج إلى جدران سميكة وقوية تسنده من الجانبين الطويلين.<sup>185</sup>

فترة التساقط الوفير - التي يمكن أن توفر لنا كميات كافية من المياه لتغطية متطلبات الحامية والسكان تكفي لمدة ثلاث سنوات<sup>189</sup>.

لقد تمّ تحصين المساحة الواقعة بين مقدمة الجزء الأمامي لقلعة المرسى الكبير والنقطة التي بُنيت عليها المنارة - تستعمل كدليل للسفن-، لكن تبقى هذه المساحة صغيرة وغير كافية مقارنة بما يجب أن تكون عليه التحصينات بها، حيث أنّها لا تتسع في أوقات الضرورة لأزيد من 2000 رجل، هذا ما أدى إلى بقاء العديد من زوايا الدخول دون دفاع أو حماية جانبية، ناهيك عن ضرورة أن يتم فيها توفير مباني للحامية. وقد تمّ تزويد قاعدة المرسى الكبير بـ 58 مدفعاً، ويمكن أن تستقبل 46 أخرى، وفي حالة الهجوم تحتاج إلى 1300 رجل للدفاع عنها<sup>190</sup>.

يرى هونتبات أنه وبالرغم من تعزيز زوايا القلعة على الجهتين اليمنى واليسرى بحصنين يمنحانها حماية ودفاع قوي؛ حيث يضم الأول مباني ثكنية تتسع لثلاثمائة (شخص)، والثاني أنشأت به محلات لتوفير المسحوق والمستلزمات الضرورية تحتوي على 2000 قنطار، إلا أن هذين الحصنين لا يمنعان من عدم تعرضها للهجوم من جهة البحر، لذا تمّ تدعيم الحصنين بجدران من الداخل والخارج مع إنشاء ثلاث قباب لحماية الحامية ويمكن أن تستخدم كمخازن إذا لزم الأمر خاصة في أوقات السلم، وهي كافية لأن تشغل من 25 إلى 30 رجلاً، وفي حالة الحصار أو الهجوم يمكن رفع العدد إلى 100 رجل. كما يمكن للحامية أن تخرج منها بسهولة إلى الساحة في حالة عدم وجود أجنحة وجدران تحيط بالخندق وتغلقه من كل الجوانب<sup>191</sup>.

بالرغم من كل هذه الأعمال والجهود التي بُذلت لتقوية وتحصين قاعدة المرسى الكبير إلا أنه لا يزال هناك الكثير مما يتعين القيام به. كل هذا العمل هو مهم جداً، لكن يبقى من بين أهم ما يواجهه من صعوبات هو قلة المصاريف والمقدرة و فقط بـ 25 ألف ريال شهرياً (6750 فرنك)<sup>192</sup>.

<sup>189</sup> Hontabat, don Harnaldo, «Relacions général de la consistencia de las Plazas de Oran y Mazarquivir (Mers-el-Kébir)», traduction: PELLEGGAT, (G), in: B.S.G.A.O, T44, 1924, pp.256, 261.

<sup>190</sup> Ibid, pp.256- 263.

<sup>191</sup> Hontabat, op.cit, pp.257- 258.

<sup>192</sup> Ibid, p.263.

أعاد الإسبان تحصين برج المرسى الكبير من جديد، ودُعمت أبراج القصبية بأسلحة؛ وهذا ما يشير إليه بستيموجاقلو الذي يؤكد أن أسلحته أثناء الاحتلال الثاني لا تتعدى سبعة وعشرين (27) مدفعاً من الحديد والبرونز، وبطلب من فاليوخو أضيف إليه ثلاثة عشر (13) مدفعاً، لتصل سنة 1772م إلى ثمانية وخمسين (58) مدفعاً<sup>193</sup>.

وتكمن أهمية المرسى الكبير في موقعه الإستراتيجي العسكري، الذي يمثل البوابة الرئيسية لوهرا، أو المر والمرنفذ لها نتيجة لاعتبارات عديدة، منها قوة تحصين برجها المطل على الميناءين، وصلاحيه رسوا المراكب بها، إذ لا أمن أو استقرار لوهرا دون تبعية كلاهما للآخر، فالروابط التجارية والطبوغرافية جد وطيدة بينهما، إذ لا يمكن الدخول إلى المدينة إلا بمشقة كبيرة إن لم يكن هذا عن طريق وهران<sup>194</sup>.

وقد أبدى معالم تلك الميزات - أثناء بحثه عن المراكز الساحلية - المفاوض فينالي حينما قدم تقريراً مرفوقاً بخارطة مفصلة عن المكانين للأسقف خيمينيس سيسنيروس، متحدثاً بإسهاب عن مكانة وهران، وعن الخاصيات التجارية والعسكرية للمرسى الكبير، واصفاً إياها "بالمكان القوي التحصين والملجأ الرئيسي للقراصنة"<sup>195</sup>.

لم يغب عن أذهان الإسبان بواسطة ما تجمع لديهم من معلومات وأخبار عن فعالية المرسى الكبير إستراتيجياً<sup>196</sup>، ومدى اتخاذها كنقطة ارتكاز وتجمع أولى نظراً لهذه الخاصية، كما أنها تحول لهم التمرکز وحشد قواهم للانطلاق إلى وهران، تمّ التوسع بالداخل مما يتيح لهم فيما بعد اتخاذها كقاعدة خلفية في حالة فشل الزحف سواء كان ذلك على طول الشريط الساحلي أم صوب الداخل الوهراني، وفي نفس

<sup>193</sup> للتخفيف من شدة الحصار المضروب على البرج، فكر فاليوخو في بناء برجين سنة 1734م، الأول على اليمين وهو برج القديس فاردناند (Saint Ferdinand)، ويضم حامية بـ 100 جندي. وعلى اليسار برج القديس شارل (Saint Charles) بحامية تضم 100 جندي و 24 قطعة مدفعية، أما برج القديس فليب (Saint Philippe) فكان يضم 16 مدفعاً من البرونز، و 12 مدفعاً من الحديد و 3 هونات. للمزيد حول الموضوع، راجع:

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, pp.324- 339.

- Pestemaldjoglou, (A), "Mers- El-Kebir, Histoire et description de la Forteresse", in: R.A, N°84, 1940, pp.160- 164.

Roset, (M.P), " Carette, f. hoefer l'Algérie état tripolitaine", Tunis, 1980, pp.51- 52. <sup>194</sup>

Lespes, René, étude de géographie et d'histoire urbaine, Paris, F. Alcan, 1930, p.57. <sup>195</sup>

Fer, (H.I), histoire d'Oran, Perrier tripolitaine. <sup>196</sup>

السياق يذكر فاليوخو: "... مهما يقال، فإن هذه المدينة ستظل دوماً ذات أهمية لمملكتها، فالمرسى وخليجها لا نخدمنا إلا إذا تمكنا من الاحتفاظ بوهران، مع شريطة الاحتفاظ بالمرسى الكبير" <sup>197</sup>.

من هنا تبدو لنا نوعية العلاقة ما بين المدينتين وما لهما من قيمة عسكرية وتجارية في الاحتفاظ بهما معاً؛ إذ لا استغناء لواحدة عن الأخرى، وهذا ما دفع الإسبان لاختيار المرسى الكبير كمنطلق أساسي للاحتلال، وضمن دائرة النشاط التجاري والعسكري للمرسى الكبير يورد لنا الإدريسي قائلاً: "ولها على ميلين منها- أي مدينة وهران- مرسى ترسو به المراكب والسفن الصغيرة، وهذا المرسى يستر من كل ريح: وليس له مثال في مراسي شاطئ البحر من بلاد البربر، ويشرب أهلها من واد يجري إليها من البر وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه، وأهلها في خصب، والعمل بها موجود، وكذلك السمن والزبدة ... ومراكب الأندلس بها مختلفة ..." <sup>198</sup>.

لم يستأثر جبل طارق وحدة بالسّمات الطبوغرافية التي تحوّل له أن يكون فعلاً بوابة للبحر الأبيض المتوسط، فقد كان المرسى الكبير بدوره مركزاً حساساً لمراقبة أو تهديد السواحل الغربية من الحوض الغربي، إضافة إلى اعتباره حلقة وصل ما بين الجزيرة الإيبيرية والساحل الإفريقي وداخله <sup>199</sup>، وعن هذه الوضعية يتحدث "قونزالو أيورا Gonzalo Ayora" ذاكراً أن "المرسى الكبير به بطحاء جدّ قوية وكبيرة، ذات قيمة كبرى لجلالتكم ولفتح إفريقيا، وحسب اعتقادي يتطلب من جلالتم ترتيبها في مصاف المراكز الأولى، فإذا كان جبل طارق بكل ما يملكه من وسائل لفتح إفريقيا وأمن إسبانيا ... ولنفس الأغراض والأسباب كان المرسى الكبير في المقدمة، فبواسطته يتم فتح نصف الشمال الإفريقي، وضمّان كامل أمن إسبانيا تقريباً" <sup>200</sup>.

Roset, (M.P), op.cit, p.50.

197

الإدريسي، المصدر السابق، ص 105.

198

Marmol, Earvajale, Description de Africain, 2 parte, p.203.

199

200 للإطلاع على الموضوع، ينظر:

Didier, (le Général L.), Histoire d'Oran: Période de 1501 a 1550, Imprimerie

Jeanne D'arc, Oran, 1927.

## 2- وهران:

تقع وهران في منحدر تحيط به الجبال من كل جانب، ولذا فإنها تمثل نقطة ضعف للمدينة، إذا هوجمت من تلك المرتفعات، لذا جاء مشروع الإسبان لحمايتها بتطويقها بسلسلة من الحصون تقام على تلك المرتفعات في نظام دفاعي تجعل من كل حصن مكماً للآخر ويحميه في نفس الوقت وسوف نتناول أهمها وكما تذكرها العديد من المصادر العربية والأجنبية عددها خمسة وهي: سانتا كروز ( Santa Cruz)، سانت قريغور (Saint Grégoire)، سانت فيليب (Saint Philipe)، سانت أندري (Saint André)، روزا ألكازار (Rosal cazar) (البرج الأحمر)، وسقوط أي حصن منها يعني فقدان المدينة لنظامها الدفاعي، يضاف لتلك الحصون حصن القصبه (Alcazaba) الذي يشرف على المدينة<sup>201</sup>.

وقد أشار ابن سحنون الراشدي إلى ذلك في موضعين من كتابه الثغر الجماني: " فيا الله كم للإسلام من حيرة أمام تلك الأسوار، وكم للمسلمين تلقاءها من وقفة دهشية هم إلى البوار، ما دنوا منها إلا دفعتهم مدافعها..."<sup>202</sup>، كما ذكر أيضاً قوله: " وما زال الكفار يحصنونها في كل حال حتى صار فتحها من قضايا المحال"<sup>203</sup>. كما لم تهمل المذكرات الإسبانية التي ترجمها الفرنسيون إلى لغتهم؛ وصف المدينة من الداخل وإبراز قوة تحصينها، ووصف بناياتها .

واجه الإسبان أثناء عودتهم إلى وهران والمرسى الكبير، في الفاتح من جويلية 1732م، مقاومة محلية، انتهت بالفشل؛ حيث تراجع الجيش العثماني عن ضواحي وهران عام 1734م، مما سمح للحاكم العام جوزيف فاليوخو الذي حكم وهران في الفترة ما بين (1733- 1738م)، باستغلال ذلك للشروع في بناء الحصون والقلاع اعتماداً على مهندسين إسبان. وقد تواصلت مساعي تحصين وهران بعد فاليوخو براً وبحراً حتى يتسنى للإسبان صدّ العمليات العسكرية العثمانية الرامية لاستعادة وهران، وبالتالي الحفاظ

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, p.332.

201

- Lespes, (R), op.cit, p.69.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, pp. 324- 327.

202

203 ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 91.

عليها والبقاء بها لمدة أطول، وما كان ذلك ليحدث لولا النظام التحصيني الذي أقاموه واحتموا به داخلها. ومن بين تلك الحصون والقلاع ما لا تزال معالمه قائمة إلى اليوم، والبعض الآخر تمّ تهديمه<sup>204</sup>.

وقد تحدثت العديد من المصادر العربية والأجنبية عن حصانة ومناعة مدينة وهران، كما لم تحمل المذكرات الإسبانية التي ترجمها الفرنسيون إلى لغتهم وصف المدينة من الداخل وإبراز قوة تحصينها، وستحدث هنا عن هذه التحصينات وفق ما ورد في مذكرات البعض منهم اعتماداً على الترجمة التي أوردها جون كازيناف في مقاله<sup>205</sup>، وكذا عمليات التوسعة والترميم كتلك التي قام بها المهندس هونتبات<sup>206</sup>.

#### أ- أبواب المدينة:

ضبط المؤرخون المهتمون بتاريخ وهران ثلاثة أبواب وهي<sup>207</sup>:

- باب البحر: ويسمى أيضا باب كانستال (Canastel)، وباب الحمار، يطل على البحر ومحاط بسور ضخّم مربع الشكل، يمكن تجهيزه بمدافع عند الضرورة.
- باب تلمسان: يحاذي برج رأس العين مفتوح على البحر الوهراني، به بطارية مدفعية.
- باب سانتو (Del Santo): ويسمى أيضا باب المرسى، دشن سنة 1754م في شمال غرب المدينة، ومنه يمتد طريق نحو المرسى الكبير، وكان له دورا عسكريا واقتصاديا.

<sup>204</sup> PESTEMALDJOGLOU, (A), "Ce qui subsiste de l'Oran espagnol", in: R.A, T79, 1936, p.665.

- Cazenave, (J), Les présides Espagnols..., op.cit, pp.254- 255.

<sup>205</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, N°66, 1925.

Ibid, B.S.G.A.O, T46, 1926.

<sup>206</sup> Hontabat, op.cit.

<sup>207</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص 186 - 202.

## ب- حصون وأبراج وقلاع مدينة وهران:

1- البرج الأحمر (Rosal Cazar)<sup>208</sup>:

يعتبر البرج الأحمر من أحسن الحصون في النظام الدفاعي الذي أقامه الإسبان، كونه بُني على قواعد سليمة، كما روعيت فيه قواعد البناء. قاموا بتوسعته وزادوا في تحصينه بين سنتي 1663-1701م واتخذوه مقرّاً لحكّهم. كان يسمّى في لغتهم "روزاس كاخاس Roxas cajas"، "روزالكابير Rozalcaper". شهد في عهد الملك فيليب الثاني بعض التغييرات، كما تواصلت التحصينات به فيما بعد. ويُعد من أعظم حصون وهران وأشدّها دفاعاً عليها، يطل على البحر من جهة الشرق إذ يحمي ويؤمن الاتصالات مع المرسى الكبير، وكذا يراقب مشارف هضبة كارجنطة<sup>209</sup> (Karguenta)<sup>210</sup>، وهو محصن من جهة البادية، فأى هجوم يتعرض له من تلك الناحية تقابله وسائل دفاع قوية في مقدمتها مجموعة مدافع ثقيلة، وبالإضافة إلى ذلك فهو محاط بخندق يصعب عبوره، وازدادت أهميته بأنه يشرف ويحمي كل من حصن سانتا كروز وسانت غريغوار<sup>211</sup>. وقد استعمله الإسبان في تخزين مؤونتهم الغذائية وذخيرتهم الحربية الموجهة لحامية تتكون من أربعمئة جندي، مع إمكانية إضافة 200 رجل في حالة الهجوم. وقد وصف فاليخو هذا البرج قائلاً: "روزالكازار هو الأفضل من بين جميع القلاع المحصنة في وهران، وبفضل أبعاده وتحصيناته القوية وموقعه الممتاز لم يدع مجالاً للشك في ذلك، ولا أعتقد أننا سنجد ما هو أكثر منه جمالاً في دولة أوروبية، وإن أهمية ومدى تحصيناته، ستجعل منه حصناً ذا أهمية بالغة"<sup>212</sup>.

<sup>208</sup> البرج الأحمر: تم بناؤه في عهد السلطان المريني أبو حسان وذلك سنة 1347م لحماية المدينة وعند احتلال وهران سنة 1509م اتخذ منه بيدرو نافارو القاعدة الأولى للاحتفاظ بالمدينة. وكلمة روزا الكازار (Rozal-Cazar) مأخوذة من الكلمة العربية رأس الكاسر= القلعة، وليس من (Rojas casas) والتي تعني المنازل الحمراء كما يزعم البعض. ينظر:

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.341.

<sup>209</sup> كانت كارجنطة قرية بأكملها، وخلافاً للاعتقاد السائد، فإن المدينة القديمة في وهران، والتي كانت محصورة في منطقة سيدي الهواري الحالية، لم تعبر حدودها إلا بعد الاستعمار الفرنسي. كانت قرية كارجنطة موجودة بالفعل، وتمتد على الضفتين، وبشكل خاص إلى الشرق من وادي عين رويبا الذي كان طريقه تقريباً من أسفل الثكنات الحالية من المدينة الجديدة إلى البحر (شاطئ وهران).

Hantabat, op.cit, pp.249- 250.

Fernand, Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranée à l'époque de Philippe II, T2, Paris, 1976, pp.180-181.

II, T2, Paris, 1976, pp.180-181.

Valléjo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.341- 342.

قدّر ابن سحنون أن البرج الأحمر قد يحمل ثلاثمائة مدفع، أما فاليوخو فقد عدّد المدفعية الثقيلة للبرج الأحمر باثنتي عشر (12) مدفعاً برونزياً وسبعة عشر (17) مدفعاً من الحديد بالإضافة إلى قاذفتين، وبالنظر إلى حجمها يمكن إضافة 12 مدفعاً من حديد. وتتصل به حصون أصغر منه تحيط بها خنادق، وأحد هذه الحصون يضم 100 رجل<sup>213</sup>. وعندما احتل الإسبان وهران مرة أخرى عام 1732م، أحدثوا فيه بعض التغييرات، وشيدوا بعض الأقواس والأقسام والمخابئ وربطوه مع باقي الحصون بأنفاق أرضية تسهل عملية المرور والمواصلات بين الأبراج والتخفيف من الهجمات المرتقبة، عهد الملك شارل الثالث، وسجلوا ذلك في لوحة رخامية على أحد جدرانها<sup>214</sup>. توجد به عدّة أدوات للحماية والنجدة؛ من بطاريات ومخازن للبارود، ووضعوا به 30 مدفعاً ثم زادوا منها حتى بلغت 300 مدفعاً بعد أن كانت زمن فاليوخو لا تتعدى واحد وثلاثين مدفعاً، وكل هذا نظراً لأهميتها في الدفاع عن المدينة والميناء، وازدادت أهميته بأنه يشرف ويحمي كل من حصن سانتا كروز وسانت غريغوار<sup>215</sup>. وفي سنة 1792م اتخذه الباي محمد الكبير مقراً لحكمه.

وقد سّماه المؤرخ الفرنسي "إسترهازي M. walsin Esterhazy"<sup>216</sup> بـ "القصر الجديد Château neuf"، كما سُمي في لغة الفرنسيين أيضاً: "روزالكازار Ros alcazar"<sup>217</sup>. وقد سكنه الباي محمد الكبير (Mohammed el Kebir) عند فتحه للمدينة عام 1792م.

- Hantabat, op.cit, p.249.

Valléjo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.342.

213

- Hantabat, op.cit, p.251.

-Gorguos, (A), op.cit, p.39.

Hantabat, op. cit, p.234.

214

Ibid,pp.238- 243.

215

<sup>216</sup> ماري تشارلز فرديناند والسين استرهازي، من مواليد 1847م في باريس وتوفي في عام 1923م في هاريندن في إنجلترا، وهو ضابط فرنسي، ولكن سرعان ما أصبح ملازم ثاني، وتم تعيينه ضابطاً لدى الجنرال جرينير وشارك في حرب 1870م. منذ عام 1894م بدأ نشاطه في التجسس لصالح الألمان، وتمت محاكمته عام 1898م، ونفي إلى لندن وبقي هناك من عام 1903 إلى عام 1908م، واستقر في مدينة هاريندن شرق إنجلترا، وأخفى هويته تحت اسم الكونت جون دي فوليمونت من عام 1911م إلى عام 1917م، وتوفي عن 1923م ودفن في مقبرة كنيسة سانت نيكولاس تحت هويته المزيفة وسنة ميلاد مزيفة أيضاً (1849م) دون أن يحكم عليه.

217

Lespès, (R), op.cit, pp.74- 75.

2- برج اليهودي (سان غريغوري)<sup>218</sup>:

أقامه الإسبان في هذا المكان عام 1588م لحماية ميناءي وهران والمرسى الكبير ولتأمين الاتصالات بين المدينة وسانتا كروز، وعززوه بمنشآت دفاعية، منها مخزن للذخيرة، وبطارية قاذفات ليصبح بمقدوره سنة 1772م أن يستقبل تسعة قاذفات أخرى<sup>219</sup>. وقد وصفها فاليوخو بقوله: " هذه القلعة المحصنة هي الأقرب إلى المدينة على الجانب الجبلي، صغيرة وغير منتظمة الشكل، لكن تحصيناتها، لا تزال تبدو قوية وفي حالة جيدة وهي بالكاد بحاجة إلى إصلاحات. إنها تسيطر على المدينة وتدافع عن ميناءي وهران والمرسى الكبير. يُؤمن الاتصالات بين المدينة وسانتا كروز... وبها خزانات مياه جيدة للغاية"<sup>220</sup>.

سمّاه الإسبان "سان غريغوري San Grégoire"، يقع في غرب المدينة، إذ يدافع عن ميناءي وهران والمرسى الكبير، وكان قبل الاحتلال الإسباني، عبارة عن سور أنجزه المغاربة ثم وسعه الإسبان، وفي سنة 1588م طوره حاكم وهران دون بيدرو دي باديللا<sup>221</sup> (Don Pedro de Padilla) إلى برج وسمّاه "سان غريغوري"، ودعاه الجزائريون ببرج اليهودي (Bordj El- lhoudi) نظرا لاستقرار الجالية اليهودية به مكافأة لهم على المساعدة التي قدمها زعيمهم "ابن الزاوي Iben" لقوات الاحتلال الإسبانية سنة 1509م<sup>222</sup>. وقد كانت تفصله عن المدينة حصون صغيرة، وأهم ما يميزه أنه يتوفر على خزانات مائية وبإمكانه إيواء مائتي جندي، وتتنوع عليه ثلاثة مدافع من البرونز وأحد عشر مدفعا من

<sup>218</sup> سانت قريغوار: كان قصراً قبل أن يحول إلى حصن، ويدعى عند المسلمين ببرج بني زهوة في الجهة السفلى لحصن سانتا كروز، وقد بني به برج مراقبته قبل احتلال الإسبان الذين قاموا بتوسيعه، وأعطوه اسم لا فيجي (La vigie) حوالي 1588م.

Hantabat, op.cit, p.252.

219

Valléjo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.334.

220

<sup>221</sup> دون بيدرو دي باديللا، ولد في تالافيرا دي لارينا، وتوفي عام 1599م في غرناطة. قائد عسكري بارز في سانتياغو منذ عام 1597م، وكذا في فلاندرز، وحاكم في نابولي بإيطاليا. خلال الفترة ما بين 1569-1571م عمل تحت قيادة دون جوان النمساوي في الحرب ضد الموريسكيين في غرناطة، كما شارك في معركة ليبانت ونافارين ضد العثمانيين، وعمل في شمال إفريقيا في حصار الأماكن الموجودة الآن في كل من الجزائر والمغرب، وأصبح حامياً عاماً على وهران والمرسى الكبير (1585-1589م). وخلال عام 1595م، عين حاكماً مؤقتاً لوقية ميلان مكان خوان فيرنانديز دي فيلاسكو.

<sup>222</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، ص 200. وينظر أيضا:

- Gorguos, (A), op.cit, p.39.

الحديد وقذيفة واحدة<sup>223</sup>. وخلال زحف بوشلاغم على وهران عام 1708م، هاجم هذا البرج برفقة القائد حسن وهدما جزءاً منه.

### 3- برج العين (Bordj el Ain):

عرف برج سان فيليب وهو ثالث الحصون في تلك السلسلة التي وضعت لمنع أي محاولة لتحرير مدينة وهران، وقد سمّاه الفرنسيون ببرج "سان فيليب Saint Philippe"، وسمي بعد تحرير وهران ببرج بني زروال (Béni Zeroual)<sup>224</sup>، لأن هذه القبيلة العربية، كادت أن تفتحه أثناء الاقتحام الشامل الذي دعا إليه الباي محمد الكبير، في 21 أكتوبر 1790م، لأنه أول برج يصادف من يهاجم وهران براً، ومن حيث المسافة فهو أبعد الحصون عن المدينة مقارنة بالحصون الأخرى<sup>225</sup>، ويتميز بصغر حجمه حتى أنه يمكن تسميته بالقصر، يوجد به مستودع لتخزين المواد الغذائية والذخيرة الحربية، وخزانات مائية وستة عشر مدفعا من البرونز، واثنى عشر مدفعا من الحديد وثلاث قاذفات، ويرى هونتبات أن بإمكانه استقبال ثلاثة مدافع أخرى. أما ابن سحنون فذكر أنه يحمل ثلاثة مدافع<sup>226</sup>.

لقد خطط المهندس دون أنطوان مونتيجوت (don Antoine Montaignut) لإعادة تشكيل هذه البرج ومنحه شكلاً أكثر انتظاماً؛ فبدأ بحفر الخنادق الجديدة وتُصب الجدران، لكن قبل القيام بالتحصين الجديد، وحتى قبل إتمام الممر والطريق المغطى، اندلعت الخلافات بين هذا المهندس

223 Valléjo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.334.

224 بني زروال: أصل قبيلة بني زروال أمازيغي من غمارة ويقول البعض أنها من صنهاجة لوقوعها بين القبيلتين. وغمارة معروفة أنها من المصامدة، ولفظة غمارة تطلق على كل من صنهاجة وكتامة وملتونة ومسفيوية ولمطة ومثوية لأنهم غمروا الجبال. وهم بنو زروال بن سعيد بن خزرون بن محمد بن خزر بن خفص بن صولات بن وزمار. وهي وإن كانت بربرية الأصل فإنها تعربت تماماً وانعدمت منها كلبة الأمازيغية. ولم يبق لها منها إلا الاسم شأن قبائل كثيرة بالمغرب كدكالة مثلاً.

Lespes, (R), op.cit, p.37. 225

Valléjo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.337- 339. 226

- Hantabat, op.cit, pp.247.

والحاكم العام الماركيز دي فيليداريا (de Villadarias)<sup>227</sup> فتمّ تعليق العمل بالكامل؛ وظل البرج أكثر عرضة للخطر مما كان عليه من قبل.

عمل فاليوخو عام 1736م على إعادة تحصين هذا البرج وتقويته خاصة بعد الأضرار التي تعرض لها عام 1732م، وذلك عن طريق تدعيمه بحصنين يوفران له حماية أكثر، أحدهما على اليمين وهو حصن سانت فرديناند (Saint- Ferdinand)، والآخر على اليسار وهو حصن سانت شارل (Saint- Charles)، يتسع الأول لمائة (100) رجل، بينما الثاني طاقه استيعابه أقل. وقد أحيط بالبرج والحصنين الصغيرين المجاورين له؛ خنادق بغية إعاقة أي هجوم عثماني<sup>228</sup>. وبالإضافة إلى كونه يعتبر من أولى المراكز الدفاعية عن المدينة، فإنه يوفر كذلك حماية لكل من برج سان أندري وروزالكازار<sup>229</sup>. ويعود كل هذا الحرص على حماية سانت فيليب؛ لأن هذا الأخير وبالإضافة إلى كل ما سبق يشرف ويتحكم في رأس العين التي تعتبر المورد الرئيسي لتوفير المياه الصالحة للشرب لمدينة وهران والمرسى الكبير.

#### 4- البرج الجديد (سان أندري):

يسميه الإسبان برج "سان أندري San Andrés"، يقع جنوب مدينة وهران بين برج العين (سان فيليب) والبرج الأحمر (روزالكازار)، ويعتبر بناؤه حديثاً مقارنة بالحصون الأخرى، حيث تمّ تأسيسه عام 1693م من قبل الدوق دي كاثانو (Doc de Cansano)<sup>230</sup>، على الضفة الشرقية لواد الرحي لمراقبة قرية إيفري العربية على الضفة اليسرى للوادي. يتوفر على خزانات مائية ومستودعات وثكنات، وبإمكان البرج الجديد إيواء مائتي رجل، وتتوزع عليه ثلاثة عشر مدفعاً من البرونز، وستة عشر

<sup>227</sup> فرانسيسكو كاستيلو فاجاردو، ماركيز دي فيليداريا (Francisco Castillo Fajardo, marquis de Villadarias)، ولد في مالقة يوم 17 ديسمبر 1642م، الماركيز الثاني لفيليداريا، كان قائداً عسكرياً إسبانياً. أول شخص استخدم اللقب رسمياً عندما وراث الشرف عام 1699م. أصبح حاكماً في عام 1696م، وفي عام 1698م دافع عن وهران بنجاح ضد العثمانيين، وفي العام نفسه أصبح حاكماً لإقليم سبتة الإسباني على ساحل شمال إفريقيا. في عام 1702م، كان عليه أن يسافر عبر مضيق جبل طارق ليصبح قائداً للطرف الجنوبي من أيبيريا المعروفة باسم الأندلس، ودافع عن قادس بنجاح ضد الأسطول البريطاني الهولندي في ما سمي بمعركة قادس. عُين في عام 1710م قائداً على جيش بوربون في كنالونيا، وفي عام 1713م أصبح حاكماً عاماً لغالنسيا. توفي في مدريد عام 1716م.

<sup>228</sup> Valléjo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.337- 338.

<sup>229</sup> Hantabat, op.cit, pp.248.

<sup>230</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, op.cit, p.340.

- Hantabat, op.cit, pp.243.

مدفعا من الحديد وثلاث قاذفات. وقد كان هذا البرج أكثر حداثة، ومبني بمواد أكثر صلابة من باقي الحصون؛ هذا ما أهله لأن يلعب دورًا هاماً في الهجومين اللذين قام بهما الأتراك<sup>231</sup> ضد وهران، في عامي 1708 و 1732م. وبالتالي فقد تم تقديمه كنموذج للتحصين، ولكن يبقى غير قادر كلية على ضمان حمايته وحماية المدينة<sup>232</sup>.

زاد في حصانته المهندس هونتبات في فترة الاحتلال الثاني للمدينة، وقد ذكر هذا الأخير أنه في يوم 4 ماي 1769 حدث انفجار بمخزن البارود مما أدى إلى تدمير البرج تماماً، وتعرض ثلاث فرق إلى الهلاك. ولكن بعد ذلك أعيد بناؤه على مساحة أقل من التي كان يشغلها من قبل، وكان بإمكانه احتواء 400 رجل في حالة الهجوم، وتم تعزيزه بـ 25 قاذفة. ويمكنه استقبال 16 أخرى. أنشئ إلى الشرق منه على طريق تلمسان حصن جديد عام 1736م، أطلق عليه اسم "سان لويس San Louis" لتدعيمه وتأمين الاتصالات مع برج سان فيليب الواقع إلى الجنوب من حصن سان أندري<sup>233</sup>.

#### 5- قلعة مرجاجو (Santa-Cruz):

يسمىها الإسبان قلعة سانتا كروز (Santa-Cruz)، بناه الإسبان فوق أعلى قمة تشرف على وهران، والمعروفة بجبل مرجاجو (Murdjajo)<sup>234</sup> أو جبل هيدرو (Heïdour)، عام 1567م على ارتفاع 375 متر عن البحر، في عهد الحاكم "دون لويس غالسيران دي بورجيا Don Louis Galceran de Borgia"<sup>235</sup>. وبنائه على تل ضيق، وعلو الصخرة التي بُني عليها، جعل موقعه

<sup>231</sup> يصف فاليوخو المغاربة بالمور والأتراك بالكفار وهذا الأمر ليس بالجديد في الكتابات الإسبانية والغربية بصفة عامة.

<sup>232</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.337- 338.

<sup>233</sup> Hantabat, op.cit, pp.243- 245

<sup>234</sup> هو جبل بارتفاع 429.3 متر، يشرف على مدينة وهران، شيدت به العديد من المباني منها القلعة وكنيسة سانتا كروز. عرف هذا الجبل منذ القرن 13م تحت إسم "هيدور" وتم تسجيل الاسم من طرف المؤرخين العرب. ومن ثمة سمي بالمرجاجو خلال الاستعمار الإسباني للمدينة.

<sup>235</sup> من النبلاء الإسبان، ولد دون بيدرو لويس غالسيران دي بورجيا في سيغورب بأراغون عام 1528م، ماركيز دي نافاريس وآخر حاكم لمونتيسا. حفيد البابا بورخا ألكسندر السادس. تم تعيينه عام 1556م نائب الملك والقائد العام لممالك تلمسان وتنس ووهران والمرسى الكبير، وفي عام 1557م جعله الملك ماركيز نافاريس. كان حاكم على وهران من عام 1567م وإلى غاية 1571م، وحدثت هناك العديد من المناوشات ضد المسلمين هناك، وقام بترميم وإقامة بعض التحصينات هناك. عاد إلى إسبانيا عام 1572م، وعين عام 1591م نائب الملك في كتالونيا. وتوفي في برشلونة في 20 مارس 1592م.

في مأمّن، ولا يمكن الاستيلاء عليه بسهولة<sup>236</sup>. تكمن أهميته في أنه يطل على المدينة ومينائها، كما أنه يحمي حصن سان غريغوري، وحماتها هي الأخرى تعتمد على بقاء هذا الأخير؛ لأنه في حالة خسارة هاتين القلعتين ستصبح المدينة والميناء مكشوفتان تماماً، ولن يكون بمقدور رجال الحامية الظهور دون التعرض للهجوم من قبل الأعداء، وفي ظل هذه الظروف سيكون ربح المعركة شبه مستحيل<sup>237</sup>.

تروي العديد من المصادر وفي مقدمتها الشيخ عبد القادر المشرفي في كتابه: "هجرة الناظر" أن شيخ قبيلة حميان تطوع لنقل المياه إلى القلعة، وبالتالي ساعد على تمكين الاحتلال الإسباني من الاستقرار بالمدينة<sup>238</sup>، وتقع القلعة في غرب وهران، تكمن أهميتها في كشف أخبار البر والبحر، وتدافع عن برج اليهودي، وتحمي البحرية، وتضمن الاتصالات بين المدينة والمرسى الكبير<sup>239</sup>. وقد زاد من تحصينها الحاكم الإسباني بوهران "جوزيف فاليوخ"، وبإمكانها إيواء مائتي رجل، وبها مستودعات للمواد الغذائية والذخيرة الحربية، وتتوزع على القلعة سبعة مدافع من البرونز وقذيفة واحدة، وهي بحاجة إلى واحدة أخرى<sup>240</sup>، أما ابن سحنون الراشدي فذكر أن بإمكانها حمل ثلاثين مدفعا<sup>241</sup>.

قام الإسبان بإعادة تحصينه بعد استعادتهم لوهران عام 1732م، بعد إدراكهم لعدم قدرته على الدفاع عن نفسه، نتيجة ما تعرض له من أضرار خلال هاته الفترة. لتتم وبصورة شبه كاملة عملية بنائه وتحصينه تحت حكومة فاليوخ. إلا أن الأشغال قد استأنفت به من جديد عام 1771م، في ظل حكومة الحاكم العام أوجين دي ألفارادو، لاستكمال ما تبقى به من أشغال، وعلى الرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهها المهندس هونتبات إلا أنه تمكن من الانتهاء منه<sup>242</sup>.

وهكذا يمكن القول أن الإسبان قاموا بتحديث وتحصين وتجهيز العديد من الحصون والأبراج لإتمام شبكة النظام الدفاعي التي وضعوها، ومجموعة الحصون السالفة الذكر متصلة ببعضها البعض

Kehl, (C), "Le Fort Santa- Cruz", in: B.S.G.A.O, 1933, T54, p.318. 236

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.335- 336. 237

Ibid, p.340. 238

عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 27. 239

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.336. 240

عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 27. 241

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.335- 336. 242

- Cazenave, (J), Les présides Espagnols..., op.cit, pp.251- 252.

بمجموعة خنادق ودهاليز تحت الأرض للتسهيل التنقل فيما بينها ونجدة بعضها البعض في حالة تعرض إحداها للهجوم. كما تمّ الربط بينها ببناء سور باستثناء سانتا كروز وسانت غريغوري، وهي تمثل وسيلة الدفاع الأولى والأمامية ما بين المدينة والبادية المحيطة بها، وأقيم على جانب السور بوابتين هما باب تلمسان، وباب كانستال، ليتم بعد ذلك فتح باب ثلاثة تعرف بـ"الساتو" شمال غرب السور، وتدعيماً أكثر لوهراة والمرسى الكبير ورغبة في جعلها نقطة ارتكاز رئيسية لكل النظام الدفاعي الإسباني على طول ساحل الشمال الإفريقي حتى إيطاليا<sup>243</sup>.

### 6- قلعة القصبه (Alcazaba):

تقع على الضفة الغربية لوادي الرحي (رأس العين) على سفح جبل المايده (مرجاجو). تأسست في مطلع القرن العاشر الميلادي. كانت مركزاً لسلطة الحكام في العهد الإسلامي المختلفة وفي العهد الإسباني والتركي منذ أن تأسست في القسم العلوي على سفح الجبل، وهي على شكل مثلث، في القسم السفلي إلى الشرق من القسم العلوي توجد مرافق ثكنة الجيش ومخازن للأسلحة والذخيرة، وكذا للمواد الغذائية، وعدة أبنية لإدارة الجيوش والبحرية ومجالس الحرب، وبه مستشفى صغير. وتتصل القصبه بباقي أجزاء المدينة بواسطة بابين<sup>244</sup>.

وقد تعرضت القصبه مراراً إلى التهديم والتخريب، حيث هدم الكاردينال خيمينيس جزءاً منها عام 1509م. ثم جدد الإسبان بناءها عام 1589م خلال فترة حكم دون بيدرو دي باديللا<sup>245</sup>، وأحاطوها بسور خلال أعوام 1665م و 1682م، وأحدثوا بها بعض الحصون والمنشآت للحماية والدفاع. وعندما فتح بوشلاغم وهران عام 1708م اتخذ القصبه مقراً لإقامته<sup>246</sup>. ولما أعاد الإسبان احتلالهم لوهراة في سنة 1732م، أحاطوا القصبه بعدد من المعقل المحصنة حولها للدفاع عنها. من أهمها معقل الحاجز (La Barrera) في الجهة الشرقية، والذي يمتد من القصر الأحمر إلى البرج الجديد

Fernand, Braudel, La Méditerranée..., op.cit, pp.180-181.

243

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.333.

244

Hantabat, op.cit, p.266.

245

يحي، بوعزيز، وهران...، المرجع السابق، ص ص 144 - 147.

246

المعروف بسان أندري<sup>247</sup>. وقد وصفها هونتبات بقوله: "القصر الذي يسكنه الحكام العامون، يتكون من 37 غرفة تتألف من مسكن له ولعائلته ومكاتبه الخاصة، وأمانة القيادة العامة، فضلاً عن حراسة المبنى، وهناك أيضاً إسطبلات، وساحة فناء وحديقة بها أحواض"<sup>248</sup>. في ليلة 8 و 9 أكتوبر 1790م، عانت القصبه كثيراً من الزلزال؛ وانهارت العديد من جدرانها؛ دفن إثرها الحاكم العام بالنيابة دون باسيلجي جاسكون (Don Basile Gascon) و 750 رجلاً من أفوج أستورياس (Asturies) المتواجدة بالثكنات آنذاك<sup>249</sup>.

### ج- الحصون الصغرى بمدينة وهران:

ذكر المؤرخون حصونا صغرى أحاطت بالحصون الكبرى، وبالقصبة تدافع عن بعضها البعض حتى لا يتمكن العرب والعثمانيون من السيطرة عليها الواحدة تلو الأخرى مثلما وقع سنة 1708م، وهو ما جعل الباي محمد الكبير يفشل في عدة محاولات لاقتحام المدينة اقتحاماً شاملاً، ويمكن أن نذكر هذه الحصون الصغيرة العديدة كالاتي:

#### 1- برج القديسة تيريز (Sante- Thérèse):

أسسه الكونت دالكوديت بين عامي 1557- 1558م في شمال البرج الأحمر، على صخرة بساحل البحر. وحسب أحد المصادر الإسبانية أن وجود البرج في هذا الموقع له أهمية بالغة، حيث تمكن من خلاله الإسبان الدفاع بواسطة المدافع والبنادق، ومراقبة المنطق الموجودة حوله، وكشف الكمائن ورصد زوارق الأعداء. ومن خلاله يمكن تأمين أسوار المدينة<sup>250</sup>. ونظراً لأهميته جدد تحصينه من طرف فاليوخو في عامي 1737- 1738م، ووضع به 12 مدفعاً، وأقام بجواره مركزين صغيرين للحراسة

247 Epalza, Mikel, de y Juan Bta, Villar, Planso y mapas hispanicos de Argelia siglos XVI-XVIII, Institutou Hispanico- Arab de Cultura, Madrid, 1988, p.123.

248 للإطلاع أكثر وبشكل تفصيلي على ما تحتويه القصبه من سكنات مدنية وعسكرية، محلات، أماكن حراسة وغيرها، ينظر: - Hantabat, op.cit, pp.211- 227.

249 Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.332. -Hantabat, op.cit, p.227.

250 يحي، بوعزيز، وهران...، المرجع السابق، ص ص 150 - 151.

أحاطها بأسوار، وأصبح بإمكانه احتواء 60 رجلاً و5 مدافع. وبعد التحرير النهائي لوهران عام 1792م اتخذ عثمان الكبير مركزاً لجمع أمواله وثرواته<sup>251</sup>.

## 2- برج الفرانيسيس:

يدعى لدى الإسبان "برج سان ميغيل San Miguel"، يقع غرب البرج الأحمر، بناه الإسبان في عام 1740م، على ريو في الضفة الشرقية بواد عين رويئة الذي يفصل بين وهران وخنق النطاح (Kheneg en-Nitah)<sup>252</sup>، جهزه الإسبان بـ 18 مدفعاً، وبإمكانه احتواء 200 رجل من رجال الحامية، ويمكنه أن يستقبل 6 مدافع أخرى<sup>253</sup>. وقدّر ابن سحنون حمولته المدفعية باثني عشر مدفعاً. هدمه محمد الكبير تماماً عام 1791م ولم يجدد بناؤه<sup>254</sup>.

## 3- البرج الكبير (La Grosse Tour):

تم بناء البرج الكبير (Torre Gorda) في عام 1570 من قبل الحاكم العام دون لويس غالسيان دي بورجيا مقابل باب تلمسان، بين برج سانت أندري وروزالكازار. يتألف من قبو محاط بخندق، به ضابط، و20 رجلاً يقومون بالحراسة الليلية<sup>255</sup>.

Hantabat, op.cit, p.240.

251

<sup>252</sup> يشير الشيخ المهدي البوعبدلي في حديثه عن "خنق النطاح" أن مدينة وهران كانت عند الاحتلال الفرنسي مقسمة إلى قسمين: القسم الأول المدينة القديمة أي "جامع الباشا" الحالي والجامع الأعظم القديم الذي هدم وبني على أنقاضه المستشفى العسكري ومازال يحتفظ بمنارته وكان هذا الحي يدعى ببحر البحرية وحي الشيخ سيدي الهواري حيث يوجد ضريحه ومسجده. والقسم الثاني من المدينة القرية المعروفة "بخنق النطاح" وهي منفصلة عن البلدة، حيث يوجد المسجد الصغير المنسوب إلى الباي محمد الكبير وكان يفصل بينها وبين المدينة شعاب وحفير هائل، يشقها وادي صغير، يسمى "عين الروينة" وهذه الشعاب ردمت فيما بعد وبني عليها الحي الممتد من ساحة قصر البلدية إلى محطة السكة الحديدية وقد حول الفرنسيون اسم خنق النطاح إلى قرقينطة، كما تداول اسم خنق النطاح كثيراً في المعارك التي دارت بين الأمير عبد القادر ووالده الشيخ محي الدين ضد الاستعمار الفرنسي. ينظر: المهدي، البوعبدلي، تاريخ المدن، إعداد وجمع: عبد الرحمن ديب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص ص 611-612.

Hantabat, op.cit, pp.240- 241.

253

<sup>254</sup> يحي، بوعزيز، وهران... المرجع السابق، ص 156.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.243.

255

- Hantabat, op.cit, p.243.

**4- حصن سان إغناسيو (San Ignacio):**

يحمي هذا الحصن برج روزالكازار من جهة الوادي، يحيط به خندق. وقد قام فاليوخو بتهديم حواجه عام 1735م، ليوضع مكانها مجموعة من القباب للضابط ورجال الحامية، توجد به مخازن لسلاح والذخيرة، ويضم ثلاثين رجلاً<sup>256</sup>.

**5- برج ناسيمينتو (Tour de Nacimiento):**

يقع على يمين برج سان فيرناندو في الجهة الجنوبية للوادي، سماه الفرنسيون حصن المصدر (le fort de la Source)، بُني في عهد الجنرال دون ألكسندر دو لاموت (Don Alexandre de la Motte)<sup>257</sup> (1739-1743م)، جيد التحصين والبناء، يحتوي على 20 رجلاً و12 بندقية مهمته الحراسة<sup>258</sup>.

**6- برج سانتا بارب (Sainte-Barbe):**

أنشأه الإسبان في عام 1734م إلى الجنوب من البرج الأحمر، وكان الهدف من إنشائه هو حماية الاتصالات مع برج سان أندري، يحتوي 30 رجلاً وتم تزويده بـ 3 مدافع<sup>259</sup>.

**7- حصن سان كارلوس (San-Carlos):**

يحمي هذا الحصن برج سان فيليب من الجهة الخلفية، به خندق ويحتوي على مائة رجل<sup>260</sup>.

Hantabat, op.cit, p.239.

256

<sup>257</sup> ألكسندر دي لا موت باراسي دي سينونز، يحمل لقب فيكونت سينونز، من مواليد 3 جويلية 1781م في شاتو دي سينون، وهو جندي فرنسي، كاتب ورسام، أمين عام للمتحف الملكية في عام 1816م. استقبلته أكاديمية الفنون الجميلة كأحد أعضائها الفخريين في 10 أبريل 1816م. وفي عام 1821م تم تعيينه أميناً عاماً لوزارة بيت الملك، ثم مستشاراً للدولة تحت قيادة المارشال لوريستون، الذي قام بحمايته بشكل خاص. توفي في 21 مارس 1840م في باريس.

258

Hantabat, op.cit, p.249.

- MICHEL, (R. FRANCISQUE), "Documents inédits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnols. (Dialogue sur les guerres d'Oran, de Balthazar de Morales)", in: B.S.G.A.O, T9, 1889, pp.228, 247.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, B.S.G.A.O, p.223.

259

- Hantabat, op.cit, p.242.

**8- برج لمونة (La Mona):**

ويدعى عند الإسبان "Lapunta de lamuna"، يقطع أسفل برج اليهودي على ساحل البحر به أربع مدافع، أسسه "جوزيف أرامبورو" عام 1742م من أجل تسهيل الاتصال بالمرسى الكبير علماً أن الإسبان قد عبدوا طريقاً بين وهران والمرسى الكبير<sup>261</sup>.

**9- حصن "سانت فيرناندو" Sant Fernando<sup>262</sup>، وحصن "سانت شارل" Saint- Carle**

تمّ بناؤها في فترة حكم فاليخو، وكلاهما يجاوران برج العين وبرج سان فليب، الأول يجاوره من اليمين وبإمكانه إيواء مائة رجل ويراقب المجرى المائي الذي يخترق المدينة، والثاني يجاوره من الشمال يضم سبعين رجلاً، وتمّ تسليحه بـ 24 مدفعاً<sup>263</sup>.

**10- حصن سان لويس (Saint- Louis):**

يتصل حصن سان لويس بحصن سان أندري، ويقدم حماية لهذا الأخير، محاط بخندق، ويضم 70 رجلاً وأربع مدافع<sup>264</sup>.

بالإضافة إلى هذه الحصون هناك حصون أخرى عديدة: كحصن سان جاك (San Jacques)، حصن بريرا (Barrera)، حصن سان بيار (Saint Pierre)، حصن سانتا إيزابيلا (Santa Isabella)، حصن كوندوكتو (Condoucto)، حصن لالينا (La lina)، حصن بولفرت

Hantabat, op.cit, p.248- 249.

260

<sup>261</sup> ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 203.

- Kehl, (C), "Le fort Santa Cruz...", op.cit, pp.381- 390.

<sup>262</sup> بُني حصن سانت فرديناند عام 1734م، بعد تولية فاليجو على وهران، تمّ بناؤه على أنقاض حصن القديسين (Tour des saints)، والذي عرف عند الإسبان ببرج سانتوس (Torre de los Santos)، كان عبارة عن مركز مراقبة بُني سنة 1514م تخوفاً من هجوم يقوم به الإخوة بربروس لاسترجاع وهران. وقد تعرّض الذي تعرض للتدمير إثر هجوم شنّه عليه حسن بن خير الدين باشا في بداية شهر أفريل 1563م، قبل أن يُحاصر مدينة المرسى الكبير. ينظر:

-Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.338.

Ibid, p.339.

263

- Hantabat, op.cit, p.249.

- Cruck, Eugène, Oran et les témoins de son passé, 2<sup>ème</sup> édition, p.195.

- Gorguos, op.cit ,p.39.

Hantabat, op.cit, pp.240- 241.

264

(Bolevart) بوسط المدينة، حصن سان نيكولا (San Nicolas) في أسفل باب تلمسان، حصن سان جوزيف (St Joseph)، حصن سانتا آنا (Santa Anne) تمّ تزويده بستة قطع مدفعية ما بين 1740 و1741م<sup>265</sup>.

كان لكل حصن نفق يؤدي إلى غيره، استعمله الإسبان للتنقل عبر أنحاء المدينة، كما مثلت الأنفاق أو الممرات الأرضية الباطنية شبكة اتصال في وقت الحرب، وسُخّرت كملاجئ للمدنيين<sup>266</sup>، وكان لكل حصن خندق خاص يحيط به من جميع جهاته، وعلى طرفي الخندق خشب محدبة الرؤوس. وفي هذا الصدد يمكن ذكر قول فاليخو: "... وهذا يعني أن لكل منهم خندقه، وحاميته الدائمة، هذه الأخيرة التي تعمل على توفير حراسة للمكان، وفي نفس الوقت إبقاء العدو بعيداً عن القلاع التي يحمون جوانبها، وبالنظر إلى إصرار وجراءة هؤلاء البرابرة، فإنه وفي حالة غياب هذه الحصون الصغيرة المتقدمة، فإن سلاحهم وهجماتهم قد تصل غالباً إلى الوادي بل وحتى إلى داخل المدينة<sup>267</sup>.

إلى جانب ذلك وجدت ثكنات داخل المدينة منها: ثلاث ثكنات للكتائب العسكرية، وثكنة واحدة لسلاح المدفعية، وثكنة واحدة لأربعمائة وعشرين معتقلاً، كما وجدت ست ثكنات أخرى خاصة بالمؤونة الغذائية<sup>268</sup>.

على هذا الأساس، يظهر لنا جلياً مدى حصانة مدينة وهران التي أربكت كل من حاول اقتحامها من البايات خاصة بعد 1732م، ويذكر ابن سحنون حالة يأس انتابت العامة حيث زعموا أنها لا تُفتح إلا على يد المهدي المنتظر وأنها لا تؤخذ إلاّ بحيلة ولو اجتمعت ألف قبيلة.

وهكذا يمكن القول أنه خلال القرن الثامن عشر كان الحكام العامون لوهران يديرون شبكة كاملة من الخنادق والاتصالات والممرات تحت الأرض لربط دفاعات وحصون المدينة. وقد تمّ ردم هذه المقاطع إلى حد كبير، وفقاً لبند من معاهدة عام 1791 الموقعة بين إسبانيا ودائي الجزائر<sup>269</sup>.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.338.

265

Ibid, pp.339- 340.

266

Ibid, p.343.

267

-Ibid, B.S.G.A.O, 1926, p.225.

Ibid, R.A, p.343.

268

Ibid, B.S.G.A.O, 1926, p.225.

## د- السجون:

بالإضافة إلى كل هذه الحصون والقلاع قام الإسبان ببناء العديد من السجون داخل المناطق المحصنة على شكل أحياء وكل واحدة من هذه الأخيرة حُصصت إلى فئة عمرية معينة، وقد تحدث عنها هونتبات، ويمكن أن نذكر منها: حي السجناء البالغين (الراشدين) يتسع لاستقبال ستمائة (600) رجل وبه 20 غرفة، ولا يتوفر على معدات كافية. كما أن هناك حي السجناء القُصّر الأقل من 16 سنة، ويستقبل بالإضافة إلى هذه الفئة بعض اللاجئين، يستقبل 120 شخصاً وبه سبعة سكنات، ويتوفر على المعدات اللازمة. وأخيراً هناك حي السجناء الشيوخ يمكنه استقبال ألف (1000) شخص<sup>270</sup>.

## ثانياً- الحامية الإسبانية لوهران والمرسى الكبير:

الحديث عن التحصينات يقودنا لا محالة للحامية العسكرية الإسبانية، فعزلة القاعدتين وحالة الحرب والمقاومة الدائمة والهجمات المتواصلة تطلب وجود حامية عسكرية كاملة العدد والعدة، وأولى وزراء الحربية الإسبان اهتماماً وعناية خاصة للتنظيم العسكري<sup>271</sup>.

## 1- المشاة:

بقرار من الملك تمّ تكوين فرقة دائمة من المشاة تعرف بفرقة وهران متكونة من 1300 جندي، وكان التجنيد يتم في إسبانيا يُضاف لهم عدد من المنفيين وذوي السوابق العدلية<sup>272</sup>. وفي حالة وجود المدينة محاصرة فإن كل من هو قادر على حمل السلاح ينظم لتلك الفرقة، وقد ارتفع العدد الإجمالي للجنود الإسبان في القاعدتين مع مرور الوقت حيث بلغ مع منتصف القرن 16م، 2700 جندي و90 فارس. وعلى العموم فإن عدد الجنود كان يفوق دائماً عدد المدنيين داخل المدينة<sup>273</sup>. وقد كانت

-Ibid, R.A, p.343.

Hantabat, op.cit, pp.214.

Casenave,(J), Les présides..., op.cit, p.247.

Hontabat, op.cit, pp.113-114.

Lespes, (R), op.cit, p.68.

270

271

272

273

النفقات السنوية على الجنود باهضة وعالية التكاليف، كلفت الخزينة أموالاً معتبرة، فقد كانت مدينة وهران لوحدها تستهلك على الأقل أربعة ملايين وسبعمائة ريال<sup>274</sup>.

تألّفت الحامية العادية في الغالب من عدد قليل من المشاة وسلاح الفرسان المنفصلين عن الأفواج الإسبانية التي كانت بالقرب من الساحل. زاد عدد الجنود أو انخفض حسب مقتضيات الحرب، سواء في إسبانيا أو في وهران. وقد تمّ إرسال أفواج كاملة هناك فقط لصد هجوم قام به الأتراك في الجزائر؛ وبدء الخطر تتم إعادتهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية. ونادراً ما كان هناك أكثر من 1500 جندي من مشاة وفرسان<sup>275</sup>.

وليُبقِي الإسبان شُعلة الحماس الديني مشتعلة لمحاربة "الكفار" فقد كان في المدينتين بصفة دائمة قساوسة ورهبان للإشراف على الكنائس التي أقيمت هناك<sup>276</sup>.

## 2- الهندسة الحربية:

وعلى رأسها المهندس المعماري الذي كانت له مكانة هامة، ومن بين هؤلاء نذكر خوان باتيست أنطونيلي الذي كلف بأشغال تهيئة المرسى الكبير. فالتحصينات كانت الشغل الشاغل لهؤلاء المهندسين، منها إنجاز نصف السور المحيط بالمدينة في عهد الحاكم العام فاليوخو ثم بعده أرامبورو عام 1738م الذي قام ببناء حصن سانت ميشيل، ورأس مونة<sup>277</sup>.

منذ توليه الحكم عام 1734م عمل فاليوخو على تنظيم فرق نظامية من السكان الأصليين، والمعروفة باسم المغناطيس، من المغاربة الذين لجأوا إلى مدينة وهران. بموجب المرسوم الملكي المؤرخ في 10 ماي 1734م، حيث وافق وزير الحرب الإسباني على هذه المبادرة وأعطى لائحة رسمية لهذه المجموعة من القوات المساعدة. وقد تمّ على إثرها فتح أكاديمية للرياضيات في وهران، بناءً على دعوة من هذا الضابط النشط والنزيه، وعلى غرار تلك الموجودة بالفعل في برشلونة لتعليم الطلاب الذين يرغبون في

Casave, (J), "organisation militaire d'Oran pendant l'occupation espagnole, L'Armée d'Afrique, N°41, 1928, p.327.

274

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.350.

275

Casave, (J), Les présides Espagnols..., op.cit, p.253.

276

Ibid, p.255.

277

الخدمة بالمدفعية أو الهندسة. قام المهندس دون أنطوان غافير (Don Antoine Gaver) بإدارة هذه المدرسة بمهارة حتى عام 1748 وتمّ تدريب العديد من الطلاب<sup>278</sup>.

### 3- المدفعية:

سعت إسبانيا إلى تأمين وجود قوة ضاربة وهي أساس النظام الدفاعي الإسباني للمحميات ونقصد بها المدفعية، ولتوضيح أهميتها نشير إلى أن أعمال الصيانة الخاصة بالصيانة الخاصة بالمدفعية كان يتكفل بها أكثر من 100 رجل<sup>279</sup>، وبلغ عدد المدافع في كل من وهران والمرسى الكبير حوالي 228 مدفع كبير، 18 مدفع صغير، كما تمّ إنشاء ورشة للصيانة وإصلاح المدافع والأسلحة وتوفير قطع الغيار بمعنى إنشاء صناعة حربية في وهران نفسها<sup>280</sup>.

كان الإنفاق السنوي على الذخيرة والمسحوق مرتفعاً؛ حيث جاءت البنادق من إسبانيا، وكذلك الرصاص والقذائف والقنابل. في عام 1770، لم يكن لدى وهران والمرسى الكبير ما لا يقل عن 228 مسدساً، و 18 مدفعاً، و 201 بندقية<sup>281</sup>.

قد تحتاج بندق وأسلحة الحامية كلها إلى إصلاحات؛ ويتطلب عمل التحصين أدوات من الخشب أو الحديد وكان من المستحيل البقاء في انتظار التزويد من إسبانيا، خاصة وأن الأجواء في البحر لم تكن دائماً سهلة وغالبا ما تكون خطيرة ومليئة بالقراصنة<sup>282</sup>.

### 4- الخيالة:

إن الدور المنوط بها حسب وزير الحربية الإسبانية هو الدفاع عن المدينة تحت حماية المدفعية وحماية الماشية التي ترعى قرب الحصون، وأيضاً حماية القبائل الموالية للإسبان؛ وتحولوا إلى فرقة تابعة لحماية وهران الإسبانية والمكونة من 100 فارس، أجورهم يدفعها الملك، وقد كان يهتم بها اهتماماً خاصاً، وكيف لا وهي قد أسندت إليها أخطر المهام والمتمثلة في حماية الفرق العسكرية التي تخرج في هجومات

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.327. 278

Hontabat, op.cit, pp.114-115. 279

Casenave, (J), Les présides Espagnols..., op.cit, p.260. 280

Ibid, p.258. 281

Ibid, pp.311- 312. 282

وغارات على البادية، ساعدهم في ذلك درايتهم بطبيعة الأرض وأساليب القتال المتبعة من طرف إخوانهم، وقد تميزوا بالبطش والقتل دون تمييز<sup>283</sup>.

### ثالثاً- صعوبة تمويل المراكز المحصنة في وهران والمرسى الكبير:

تحدث كيل (Kehl) في مقاله<sup>284</sup> عن صعوبة تمويل المراكز الإسبانية المحصنة ( Les présidios) في وهران والمرسى الكبير طيلة السنوات الأولى للاحتلال والتي شارفت على مجاعات، حيث لم يكن بوسع حكامها القيام بأي شيء، والغريب في الأمر أن السياسة المتبعة خارج الأسوار وهي الإغارة والهجمات دفع بالأهالي إلى رفض تمويل المدينة، "ولم تعد وهران والمرسى الكبير ثمونان إلا من إسبانيا، لم يعد أحد من الأهالي يأتي بشيء للمدينة، وبسبب انعدام الأمن في البحر فالمبادلات توقفت نهائياً". وبسبب الحصار المفروض كان اعتماد تلك التحصينات في تمويلها وتمويلها على السفن القادمة من إسبانيا حتى بالماء والمواد الغذائية والأقمشة، ورغم التفوق العسكري إلا أن المجهود المبذول والنفقات في تضاعف مستمر<sup>285</sup>.

كانت المعيشة صعبة جداً في تلك القواعد، فالتلف يصيب المواد الغذائية بسرعة بسبب رطوبة البحر، فكل شيء يأتي من إسبانيا من ميناء "مالقة Málaga"<sup>286</sup> بمساعدة مصالح قرطاجنة، هذه الأخيرة التي تتكفل بتمويل المنطقة الغربية وعلى رأسها كل من وهران والمرسى الكبير، ومن بين كل ما يرسل الذخيرة الحربية، المواد الغذائية ومواد البناء، الجنود، السجناء، المنفيين، بل وحتى بالماء أحياناً، ولم يكن السهل أن تصل هذه المؤونة بسبب نشاط القرصنة<sup>287</sup>.

283 Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, p.327.

284 Kehl, (C), "Oran et l'Oranie...", op.cit, p.43.

285 La Primaudaie, "Document inédits sur l'histoire...", op.cit, pp.161- 162.

286 مالقة: بالأندلس، مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليها. وهي حسنة أهلة كثيرة الديار، بها شجر التين بكثرة، وهي مدينة في غاية الحصانة والمنعة، ومن مالقة إلى أرشذونة ثمانية وعشرون ميلاً. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 517-518. اشتهرت مالاغا باسم مالقة أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا ولكن الاسم مالقة مأخوذة من الاسم الفينيقي مالاكا أو ملكة، وهي مدينة إسبانية قديمة بنيت من قبل الفينيقيين قبل حوالي 2770 عاماً والمدينة واقعة في جنوب البلاد في منطقة أندلوسيا. تطل على البحر المتوسط وتقع وسط منطقة كوستا دل سول وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة.

287 Fernand, Braudel, La Méditerranée..., op.cit, p.187.

وما زاد من تردي الأوضاع داخل تلك القواعد والحصون هو التنظيم الداخلي لها، وكمثال على ذلك ما كان جارياً في المرسى الكبير؛ فأمين المخزن هو الذي يتكفل بتوزيع المواد الغذائية على الجنود بأسعار حددت في إسبانيا وأرسلت مع السلع، وما دام الجنود لم يحصلوا على رواتبهم في بعض الأحيان لعدة شهور، فما عليهم سوى الاقتراض، وذلك حسب نظام التسبيق على الأجر إذا أضفنا لها الفوائد المطبقة فالديون تكبر وتتضاعف، وقد ترتفع أسعار السلع لندرتها وإلا لتواطؤ الحاكم في ذلك ليجني أكبر ربح ممكن، وأمام عجز الجنود على تسديد تلك القروض فلم يبق لهم حل سوى الفرار من تلك القلاع، وعدد كبير منهم اعتنق الإسلام، كل ذلك دفع بالسلطات الإسبانية إلى إخفاء الوجهة المقصودة عند الإبحار بالجنود نحو تلك المعسكرات، وعند الوصول والاستقرار لا تقوم باستبدالهم، والأمر ذاته يطبق حتى على الحكام، ومثال على ذلك أن ديبغو سواريز قضى ما يقارب ثلاثين سنة (30) في وهران، رغم محاولاته العديدة للفرار<sup>288</sup>.

وهكذا تحولت تلك الحصون والقلاع أو القواعد إلى سجون تستقبل العديد من النبلاء والأغنياء المحكوم عليهم جنائياً لقضاء فترة عقوبتهم هناك، كما أصبحت مكان للنفي لكل الذين أرادت الحكومة الإسبانية إبعادهم عن أراضيها واعتبروا مذنبين من قبل المحاكم الإسبانية، سواء من المدنيين أو العسكريين، ومثال على ذلك ما حدث مع حفيد كريستوف كولومبوس ( Christoph Columbus)<sup>289</sup>، الذي حكم عليه لارتكابه جناية بعشر سنوات في المنفى حيث وصل إلى وهران سنة 1563م وتوفي بها في 1573م<sup>290</sup>. وبهذا يمكن القول أن فيليب الثاني قد حول وهران إلى سجن ومنفى للسادة والنبلاء الذين فقدوا مكانتهم لدى البلاط الإسباني<sup>291</sup>.

كما يمكن القول أن كل من الجفاف وضعف العنصر البشري الإسباني الذي كان منجذباً نحو أمريكا؛ حال دون إقامة مستوطنات إسبانية في شمال إفريقيا، كما فكر كل من فرديناند الكاثوليكي وشارل الخامس من بعده. بالإضافة إلى أن الحميات المسيحية التي كانت تتمركز على الشواطئ الإفريقية

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, p.364.

288

كريستوفر كولومبوس (1451-1506م)، رحلة إيطالي، ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة في إيطاليا

ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية في جامعة بافيا.

290

Fernand, Braudel, La Méditerranée, ..., op.cit, p.187.

Lespes, (R), op.cit, p.65.

291

كانت تعاني من أحوال سيئة على صعيد المئون والتنظيم، الأمر الذي حمل الكثير من جنودها الذين كانوا في معظمهم من الأسرى والسجناء، على الهرب إلى بلاد الإسلام. لكن هذه المسألة؛ هي في الأصل، بُعد من أبعاد السيكلوجية (النفسية) المسيحية الكاثوليكية الدفاعية المتبعة في الحرب<sup>292</sup>.

وفي هذا الشأن يذكر شارل أندري جوليان في كتابه "تاريخ إفريقيا الشمالية" واصفاً حال الحاميات الإسبانية في شمال إفريقيا آنذاك قائلاً: "... شيد الإسبان سلسلة من القلاع والحصون على طول ساحل شمال إفريقيا، وعاشت هذه القلاع والحصون الإسبانية، في حالة من الحصار طوال فترة الاحتلال، وكانت حياة الجند صعبة وشاقة ولا توصف، وقد بلغ اليأس بالجند مبلغاً جعلهم يفكرون في أن يتحولوا إلى مغاربة"<sup>293</sup>.

وعن فشل المشروع الاستعماري الإسباني في السيطرة على سواحل الشمال الإفريقي، يذكر برودال قوله: "لقد اتجه الإسبان إلى السيطرة على الساحل الإفريقي، من غير أن تتوفر لا الإرادة ولا الوضوح ولا الاستمرارية المتطابقة مع المصالح الإسبانية لانجاز تلك السيطرة. فعدم استمرار إسبانيا في خوض هذه الحرب، بعد احتلالها مدناً عدّة على الساحل الإفريقي، هو الذي آل إلى كارثة إسبانية سببها جري الإسبانين وراء سراب إيطاليا وسهولة السيطرة على أمريكا. وهكذا لم يُكتب لإسبانيا أن تقوم بجناحين أحدهما إفريقي والآخر أوروبي"<sup>294</sup>.

#### رابعاً- الإغارة خارج أسوار القلاع والحصون:

لقد تحدث برعمودي في مقاله<sup>295</sup>، على أن العلاقة بين القواعد والحصون الإسبانية كونها معقل لحاكمها العام، وبأنها أقرب إلى ملكية عائلية تخضع لأسرة معينة مدة طويلة مثلما هو الأمر في وهران بالنسبة لعائلة الكوديت. ومن هنا فقد اتفقت العديد من المصادر الغربية وعلى رأسها ما كتبه دييغو

<sup>292</sup> فرنان، برويل، المتوسط والعالم المتوسطي، تر: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص ص 150-151.

<sup>293</sup> شارل أندري، جوليان، المرجع السابق، ص 325.

<sup>294</sup> فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص ص 38-39.

<sup>295</sup> La Primaudaie, Lettre de l'empereur à Don Martin de Cordoba contre d'Alcaudete, Seqovie, 4 juin 1534, Arch De Simancas, Estado Legaje 461, in: R.A, N° 19, 1875, pp.284- 285.

سواريز وفاليخو أن تلك العائلات كانت تقوم بعملية الإغارة على المداشر والقبائل المحيطة بهم ونهب وسلب كل ما تجده في طريقها أو يعترضها من حبوب ومواشي وأسرى<sup>296</sup>، كما كان الهدف أيضا من تلك الهجمات هو إثبات وجودهم وتخويف وتأمين محيط التحصينات<sup>297</sup>، وحماية القبائل الموالية مثل قبيلة بني عامر، ومطاردة أعدائهم، وكذا لجمع المعلومات، وإبراز القدرة على المناورة، فحامية وهران تخرج إلى ما وراء سبخة الملح لثفاجي دواراً اعتماداً على معلومات قدمها عملاؤهم من المنطقة<sup>298</sup>، أما توزيع الغنائم فلكل حصته أما حصة الحاكم العام فهي الخمس (1/5) ويعتبر ذلك امتياز ملكي. وقد كانت بعض الغارات تعود عليه بفائدة لحسابه قدرة من ثمانية (8) إلى عشرة (10) آلاف دوكا<sup>299</sup>. وقد أكد فاليخو في مذكراته عن الفكرة نفسها وذلك بقوله: "... كان يتم بيع المغاربة والغنائم التي تم الاستيلاء عليها في المباريات العلنية؛ تقاسم خلالها المسؤولون والقوات والسكان عائدات هذا البيع وفقاً لبعض القواعد المعمول بها، ويدخل جزء صغير منها إلى الخزينة الملكية"<sup>300</sup>. ويمكن أن نعطي مثال على هذا وفق ما ورد على لسان دييغو سواريز في الغارة التي شنها الإسبان عام 1571م أن الحاكم العام أخذ لنفسه خمس الغنائم والأسرى، وما تبقى بيع في المزاد العلني؛ منها 113 أسير بيعت في وهران والباقي تم إرسالهم ليبياعوا في إسبانيا لأن المكان لم يستطع تحمّل المزيد، ووصلت عائدات هذه الغارة إلى 84.329 ريال والتي تم توزيعها بين الحاكم العام والضباط، الجنود وملوظفي الإدارة المقربين للحاكم العام. ولم يبق منها سوى 366 ريال لدعم النفقات<sup>301</sup>.

<sup>296</sup> ومحتواها منح كل الصلاحيات للحاكم العام. ينظر:

- Offrey, Robert, op.cit, p.22.

<sup>297</sup> للإطلاع أكثر على موضوع الأهداف التي دفعت بحكام وهران للقيام بهذه الغارات، ينظر:

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, pp.350- 368.

<sup>298</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ولفهم العلاقة بين الإسبان وتلك القبائل ينظر:

- Diégo, Suarez, Deux razzias..., op.cit, pp.285- 305.

Ibid, pp.286- 288.

299

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367.

- Diego, Suarez, Historia de Mastre ultimo de montesa, Madrid, 1889, p.127.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.350.

300

Diégo, Suarez, Deux razzias..., op.cit, p.299.

301

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367.

وهناك من الحكام كانوا يسعون من خلال تلك الهجمات إلى مضاعفة القبائل الموالية، لتخضع لهم فتأتي لتحتمي أسوار القلاع بمعنى طلب حماية الإسبان مقابل توفيرها القمح والمواشي والمواد الغذائية. لكن الذي حدث هو العكس فوحشية الهجمات تسببت في إبعاد وتخويف هؤلاء الممولين التقليديين لتلك المعسكرات بسبب انتقام القبائل التي تتعرض لتلك الغارات وبالتالي استحالة قيام منطقة نفوذ محمية وضرورية لتلك المعسكرات الإسبانية، التي أدرك حكامها خطأ سياستهم تلك فتم إصدار قرار ملكي سنة 1564م بمنع القيام بتلك الهجمات فكان لذلك انعكاس إيجابي دفع بالأهالي إلى تموين مدينة وهران بالقمح والمواد الغذائية الأخرى لفترة من الزمن، لكن رغم ذلك كان هناك من الحكام من لم يحترم هذا القرار مثل ما فعل حاكم وهران أندرياس بونزي، الذي قام بهجوم أسر على إثره إحدى عشر (11) رجلاً من الأهالي، لكن قائد المرسى الكبير فرانسيسكو دي فالنسيا ( Francisco de Valencia) رفض الاشتراك فيه وأرسل بتقريره إلى إسبانيا فتوقف الأهالي عن تموين المدينة بما تحتاجه.

وقد ورد في التقرير المرسل<sup>302</sup> بأن تلك الغارات تسببت في جذب الأتراك نحو تلك المناطق، صاحبها خسائر كبيرة في صفوف الجنود الإسبان ووقوع أعداد كبيرة منهم في الأسر ليباعوا بعدها كعبيد، ومثال على ذلك ما وقع للمركز سانتا كروز الذي قام بهجوم خارج أسوار وهران في 21 نوفمبر 1732م، والحصار مضروب عليها، انتهى بمقتله ومقتل أغلبية الفرقة التي خرجت معه<sup>303</sup>. وفي هذا السياق يذكر فالينخو قوله: "لقد حدث وأن قام الحكام العامون في مناسبات عديدة وجريئة للغاية، بحملات من هذا القبيل نحو الداخل، إما مع الحامية، وإما مع القوات الآتية من إسبانيا، لتحقيق المزيد من الأحماد، أو للحصول على الغنائم، أو لمهاجمة أترك الجزائر في الوقت الذي أتوا فيه لتحصيل الضرائب. وكانت النتيجة دائماً كارثية وأكثر دموية، فُطع فيها آلاف الرجال إلى أشلاء"<sup>304</sup>. كما أنه إذا اقتضى الأمر لانعدام الغذاء الخروج في غارة خاطفة وفرق الخيالة الموالية للإسبان هي التي تقوم بهذه المهمة القادرة، وهكذا فالقاتل والمقتول إخوة والإسبان يتابعون المشهد من على أسوار المدينة

Fernand, Braudel, La Méditerranée..., op.cit, p.189.

302

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.324.

303

- SANDOVAL, Les inscriptions d'Oran de Mers- el-Kebir, in R.A, N°16, 1872, p.60.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, 1925, p.350.

304

وتحصيناتها<sup>305</sup>. فبعد عامين من احتلال الإسبان للمرسى الكبير شن الجنود الإسبان غارة عسكرية على دوار العرابة بالقرب من مسرغين وذلك بهدف نهب ماشيتها، خاصة وأن المرسى الكبير مبني فوق قمة صخرية بحيث لا يوجد ما ولا غذاء لذلك حاول الإسبان تموين وتزويد هذا الحصن<sup>306</sup>، إلى جانب رغبتهم في بسط نفوذهم على الطريق المؤدي إلى تلمسان<sup>307</sup>.

وعموماً فإن أوضاع وهران كانت أحسن بكثير من المرسى الكبير، خاصة قضية التموين بالخضار والفواكه فقد ساهم وجود المجرى المائي "رأس العين" الذي ينحدر حتى البحر في وجود مجموعة بساتين وحدائق تزرع فيها أشجار مثمرة وخضراوات تكفي حاجات المدينة أحياناً<sup>308</sup>. واضطرت الظروف الصعبة المحتلين كاحتياط في حالة حصار طويل إلى حفر مخازن في الصخور لإخفاء الأغذية<sup>309</sup>. وأمام هذه الحالة المزرية توالى النداءات والمراسلات وتواصلت من قبل الحكام مع السلطة الملكية الإسبانية قصد ضمان تموين المراكز المحصنة، وإثر هذا صرح الكونت دالكوديت سنة 1535م قائلاً: "يجزّ في نفسي الدفاع عن وهران والمرسى الكبير ضد الجوع أكثر من مجابتي للعدو"<sup>310</sup>.

خلال القرن السابع عشر ونتيجة ما آل إليه وضع الاقتصاد الإسباني في شمال إفريقيا والمخاطر التي كانت تعتريه، كان له كبير الأثر على ممتلكاتها في شمال إفريقيا، لدرجة أنه لم يكن هناك ما يكفي من المال لدفع مستحقات جنود حامية وهران، لم تكن هناك تجارة حقيقية باستثناء تجارة بيع الأسرى أو الغنائم التي سلبت خلال الغارات خارج أسوار وهران، والتي أصبحت الصناعة الوحيدة المربحة آنذاك<sup>311</sup>.

لكن مستقبلاً سيتم استنكار هذا الوضع المأساوي بشدة من قبل الحاكم العام لوهران فاليوخو بين عامي 1734م و 1738م، والذي قارنهم بـ "التار في المجر وبولندا"، مع العلم أن هذا كان السبب الرئيسي لفقدانهم (وهران والمرسى الكبير)<sup>312</sup>. ويمكن أن نستدل هنا بقوله: "بأن الطمع في بعض

Casave, (J), Les présides Espagnols..., op.cit, p.268.

305

Kehl, (C), "Oran et l'Oranie...", op.cit, pp.23- 49.

306

Diego, Suarez, "Mers el- Kebir...", op.cit, p.412.

307

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.345.

308

Offrey, Robert, op.cit, pp.23- 24.

309

Paul, Rufe, op.cit, p.10.

310

Braudel, (F), Les Espagnols..., op.cit, p.353.

311

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.367.

312

الأحيان كان يدفع إلى تنظيم غارات دون مبرر معقول على الدواوير وعلى القبائل التي طلبت منهم العون والحماية، وشبه غاراتهم على القرى الآمنة بغارات التتار على المجر وبولندا، وإلى جانب الحبوب والأنعام، كانوا يسبون الصبيان من أجل تنصيرهم<sup>313</sup>، وأما الرجال والنساء فكان للحاكم العام الحق في اختيار بعضهم، أما الباقي فكان يقسم بين الضباط والجنود والموظفين، أو يباعون في أسواق إسبانيا بأسعار مرتفعة<sup>314</sup>.

نظراً لتضرر السكان من تلك الغارات اضطروا إلى تشكيل نظام للحراسة والاستطلاع لرصد تحركات الإسبان، فكانوا يكلفون أشخاصاً على الانتشار عبر الطرق وعلى المرتفعات لمراقبتهم واتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهةهم أو الإفلات من غدرهم، فعندما يشرع الجنود الإسبان في تحركهم ضد القرى الواقعة حول وهران والمرسى الكبير، كانت القبائل تعلم بوصولهم، من طرف هؤلاء الحراس، بحيث عندما يقترب الجنود الإسبان من الدواوير كانت هذه الأخيرة تنتقل وبسرعة إلى أماكن أخرى، وكانت في بعض الأحيان بإقامة حرائق داخل الدوار أمام تقدم صفوف الغزاة الإسبان، ثم تهرب بكل عجلة، وذلك حفاظاً على سلامة العائلات<sup>315</sup>.

كان المخبرون ينقسمون إلى مجموعات تتألف كل واحدة منها من شخصيتين، وذلك من أجل الإعلان عن الخطر، أو إخطار الدواوير، وذلك بتحريك راية بيضاء في النهار، وبناءً على هذه الإشارة تقوم القبائل بالرحيل من مكان إقامتهم بصورة سريعة، أو يتخذون التدابير اللازمة والاستعدادات لمواجهة الخطر، ومن بين ما كانت تقوم به تلك الدواوير هي أنها تلجأ بسرعة إلى الأسلحة، وهي عملية تيرغنت، أما الشوالة فتقوم بإشعال النار بسرعة، وهذا ما يعني النداء لاستعمال السلاح ليلاً<sup>316</sup>.

#### خامساً- العلاقة بين القاعدتين (وهران والمرسى الكبير):

<sup>313</sup> اعتاد الإسبان أن يُعمدوا ثم يربوا على الديانة المسيحية الأطفال الصغار الذين تم أسرهم خلال الغارات، وقد ذكر فاليجو أن متوسط عدد ما كان يتم تعميدهم من المغاربة يصل إلى 30 مغاربياً سنوياً ما دون سن السابعة. ينظر:

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.368.

Ibid, pp.364- 368.

314

Diego, Suarez, Mers el- Kebir..., op.cit, p.412.

315

Noel, (A), Documents pour servir L'histoire des Hamyanes et la région qu'il occupent actuellement, in: B.S.G.A.O, T35, 1915, p.153.

316

يمكن أن نعالج هذه النقطة من خلال الترجمة<sup>317</sup> التي قام بها المارشال بودين لمذكرة كتبها صانشو مارتينيز<sup>318</sup> (Sancho Martinez de Leiva)، الذي تولى الدفاع عن قلعة جزيرة جربة ضد درغوث<sup>319</sup> (Dragut) وبيالي (Pialy)<sup>320</sup> القائدين التركيين اللذين استوليا على المنطقة في نهاية جوان 1561م، اقتيد خلالها صانشو إلى سجن القسطنطينية، وبقي بها إلى غاية 1562م.

هذه المذكرة هي عبارة عن مخطوطة كتبها صانشو عام 1576م، وهي واحدة من المخطوطات غير المنشورة المحفوظة بمكتبة الكونت أفيلا (M. le Comte del Aguila)<sup>321</sup> في إشبيلية. والتي تتضمن محاولة اطلاع الملك ومجلس الحرب على مزايا تحصين المرسى الكبير وميناءها، لتحسين وهران، مع ضرورة توفير مختلف الوسائل المقترحة لهذا الغرض، في عام 1576م.

<sup>317</sup> BODIN, (M), Documents sur L'Histoire Espagnole D'Oran Nécessité de fortifier Oran 1576, in B.S.G.A.O, T55, 1934, pp.360- 374.

<sup>318</sup> صانشو مارتينيز دي ليفا (1509- 1579م): ولد بنابولي، وشغل منصب قبطان فيها ودافع عن سواحلها. شارك في الحملات الإسبانية على شمال إفريقيا، وعلى رأسها الحملة الفاشلة على تونس بقيادة دون جوان النمساوي، ومعركة جربة ضد درغوث باشا، وبيالي باشا عام 1561م.

<sup>319</sup> ولد درغوث بن علي بجزيرة رودس حوالي سنة 1485م، نشأ وترى على الحياة الإسلامية، وشب على حياة الفروسية والمغامرة في البحار مع الأساطيل البحرية العثمانية. وفي 1533م، ذكر بين البحارة العثمانيين الذين كانوا يهاجمون سفن البندقية في بحر إيجه، عين حاكماً على طرابلس سنة 1556م. ينظر: أحمد بن حسين النائب، الأنصاري الطرابلسي، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تق و تح: محمد زينهم، محمد عرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، مصر، 1994م، ص 209.

- جون، ب وولف، المرجع السابق، ص ص 64- 65.

<sup>320</sup> بيالي من أكبر أمراء البحر العثمانيين، أصله كرواتيا، انخرط في خدمة القصر في إسطنبول، وعين قائداً لأمرأ البحر، خلف سنان باشا في منصب أمير الأسطول العثماني الذي كان يشغله (1548- 1554م). قام بأعمال مجيدة في البحر الأبيض المتوسط، وانتصر في عدة معارك ضد الجمهوريات الإيطالية. كانت أشهر أعماله انتصاره في معركة جربة على الحملة الصليبية التي قادها في 1560م، في أوت 1564م خلص حجر بادس من الإحتلال الإسباني، وفي 1565م ساهم في حصار مالطا، توفي في 1578م. ينظر: بومشوش، نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، الجزائر، 1999م، ص 109.

<sup>321</sup> خوان دي أفيلا أريلاو، جندي وقائد عسكري وسياسي إسباني، ولد في أفيلا عام 1545م من عائلة إسبانية نبيلة. شارك في العديد من الأحداث العسكرية الكبرى في عصره، مثل حصار مالطا، كما شارك عام 1563م في غزو حصن البنيون، كما قاد الفرقة العسكرية الإسبانية لنجدة مالطا المحاصرة من قبل العثمانيين عام 1565م. وقد تمت ترقيته إلى رتبة نقيب عام 1569م. عُين حاكماً على إيرلندا بعد استسلام المدينة الرئيسية نيوبورت للإسبان عام 1583م، كما خاض حروباً ضد فرنسا، إنجلترا وإيرلندا وغيرها. وفي عام 1600م، تم سجن الكونت أفيلا لاستفادته من الضريبة الملكية بشكل مبالغ فيه ووضع قيد الإقامة الجبرية في لاکورونيا؛ هذه الأخيرة التي توفي بها في أوت 1602م.

وقد تحدث بودين في بداية ترجمته عن المحاولتين الإسبانيتين الفاشلتين ضد حصن البنيون، الأولى عام 1563م بقيادة دو فالي دولاقوميرا (Velez de la Gomera)، والثانية بقيادة دون قارسيا دو توليدو (don Garcia de Toledo)<sup>322</sup>، هذا الأخير الذي اضطر للاستسلام في 5 سبتمبر 1564م.

لقد كان صانشو - حسب رأي صاحب المقال - رجل حرب وبحر، وعلى دراية واسعة بساحل البحر الأبيض المتوسط وبخاصة ساحل البربر، ما أعطاه وزن كبير في مجلس الدولة والحرب، وهذا ما يتضح لنا من خلال ما توصل إليه من نتائج حول فكرة استحالة التمركز في المرسى الكبير دون احتلال وهران. هذه الفكرة التي كانت منطلق للعديد من حكام وهران وعلى رأسهم فاليوخو الذي تبني الرأي نفسه عام 1734م، أي بعد حوالي قرن ونصف من ذلك<sup>323</sup>، قائلاً: "... مهما يقال، فإن هذه المدينة ستظل دوماً ذات أهمية لمملكتها، فالمرسى الكبير وخليجها لا يخدمنا إلا إذا تمكنا من الاحتفاظ بوهران، وشريطة الإبقاء على وهران لا بد من الاحتفاظ بالمرسى الكبير"<sup>324</sup>.

بعد أن أنهى بودين مقدمته بإعطاء لمحة مختصرة عن صانشو، بدأ في الحديث عن مضمون مذكرته، مُبدياً رأي صانشو في قضية تحصين وهران والمرسى الكبير كما يلي: نحن نسعى إلى تحصين وهران إلا أنه لا يمكننا ذلك، لأنه ليس لدينا الحق أولاً، وليس لنا القدرة والإمكانات المادية الكافية ثانياً. ونظراً لأهمية هذا العمل يجب تجربة وتكرار العملية عدة مرات مع وضع دراسة دقيقة ومخططات للمشروع، والأخذ برأي المساندين والمعارضين معاً<sup>325</sup>.

<sup>322</sup> ولد غارسيا ألفاريز دي توليدو أوسوريو في فيلافانكا ديل بيزيرو بمقاطعة ليون، عام 1514م، قائد عسكري وسياسي إسباني، وهو رابع ماركيز في فيلافانكا ديل بيزيرو، دوق فرناندينا، وأمير مونتالبان. بدأت مسيرته العسكرية تحت قيادة أندري دوريا عام 1535م، وبرز بشكل كبير في العديد من المعارك التي شنت ضد حلق الوادي، تونس، الجزائر، ليبيا، وقاد البعثة البحرية إلى اليونان لمواجهة العثمانيين. تم تعيينه كقائد عام للأسطول البحري في نابولي عام 1541م من قبل الملك كارلوس الأول، وقد حصل على لقب أميرال عام 1544م بعد حروبه ضد بربوسا واحتلاله لصخرة البنيون (حجر باديس) عام 1564م ساهم في تخفيف الحصار العثماني على مالطا في عام 1565م، وبهذا حصل من قبل ملك إسبانيا فيليب الثاني على لقب دوق فرناندينا وأمير مونتالبان عام 1569م. وقد شغل أيضاً منصب نائب للملك في كل من كتالونيا (1558-1564م)، وصقلية (1564-1566م). توفي في نابولي عام 1577م.

BODIN, (M), Documents..., op.cit, p.369. 323

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.354. 324

BODIN, (M), Documents..., op.cit, p.370. 325

ومن الملاحظ أن الساحل البربري لا توجد به موانئ باستثناء ميناء بورتو فارينا ( Porto Farina)<sup>326</sup> والمرسى الكبير لاستقبال العدد الكافي من السفن الحربية لاسيما في فصل الشتاء مثلما هي عليه الموانئ في تركيا. وبالحديث عن ميناء غار الملح بتونس فلم يكن من السهل السيطرة عليه من طرف الإسبان، على عكس ما حدث مع المرسى الكبير. لذلك رأى صانشو أن هذا الأخير له أهمية بالغة في حماية الممالك المحيطة به، حتى أن الأتراك كانوا يحصلون على كل ما يحتاجون إليه من المرسى الكبير دون اللجوء إلى وهران، وبذلك كانوا غير مضطرين لمهاجمة الإسبان<sup>327</sup>.

لقد كان باستطاعة الأتراك والبربر السيطرة على وهران من خلال تحصين المرسى الكبير، بل وحتى غلقه إذا استلزم الأمر لذلك. ساعدهم في ذلك الأبراج والحصون المبنية بأعالي الجبال والهضاب الواقعة أسفل الميناء بحيث لا يمكن لأي سفينة الدخول أو التوقف هناك. وبهذه الطريقة سيصبح من الصعب، بل ومن المستحيل، أن تصلنا النجدة أو أن تُنقِض المنطقة. وبالتالي فالحل الوحيد حسب رأي صانشو، يكمن في إحكام السيطرة على المرسى الكبير ليس عن طريق تحطيم الأبراج والحصون التي يحتمي بها الأتراك والبربر، أو زيادة عددها، لأن هذا سيحتاج إلى وقت، وباستطاعتهم بكل سهولة إعادة بنائها. وإنما الحل يكون بجلب أسطول قوي مدعم بعناد ورجال حرب أقوياء، يصل تعداده من 8 إلى 10 آلاف رجل ليمكنوا من توفير الحماية اللازمة للميناء<sup>328</sup>.

وفي الأخير خلُص صاحب المقال - حسب رأي صانشو- إلى أن الاحتفاظ بوهران وحماتها لا يكون إلا بالحفاظ على المرسى الكبير، وبدل أن نُصَب جُل اهتماماتنا وتحصيناتنا على وهران، يجب أن نحمي ونحصن المرسى الكبير. ولا يمكن أن نوفر هذه الحماية والتقوية والتحصين، إلا بتكاتف جميع الجهود. وإذا طبقنا هذا الأمر في السنة المقبلة -1577م- سيكون لدينا فعلاً مناطق محمية للأبد،

<sup>326</sup> بالقرية يدعى غار الملح، وتعني "كهف الملح"، سمي كذلك بسبب قربه من المياه المالحة، وكان يعرف سابقاً باسم بورتو فارينا، أي ميناء فارينا. وهي مدينة ساحلية في شمال شرق تونس. تقع مدينة غار الملح على بعد 56 كلم شمال تونس وبحوالي 40 كلم شرق بنزرت، كانت قاعدة مهمة للجنود المغاربة عقب غزو شارل الخامس لتونس عام 1534م. بني بها ميناء والعديد من الحصون.

BODIN, (M), Documents..., op.cit, p.370.

Ibid, pp.371- 373.

327

328

وسيقى الباب مفتوح لممارسة الأنشطة التجارية بشكل عادي، فيصبح هذا المكان بمثابة الحد الفاصل للأتراك والبربر<sup>329</sup>.

وهكذا لم يغيب عن أذهان الإسبان بواسطة ما تجمع لديهم من معلومات وأخبار عن فعالية المرسى الكبير إستراتيجياً. ومدى اتخاذها كنقطة ارتكاز وتجمع أولي نظراً لهذه الخاصية، كما أنها تخول لهم التمرکز وحشد قواهم للانطلاق إلى وهران، ثم التوسع بالداخل مما يتيح لهم فيما بعد اتخاذها كقاعدة خلفية في حالة فشل الزحف سواءً كان ذلك عن طريق الشريط الساحلي أو صوب الداخل الوهراني.

من هنا تبدو لنا نوعية العلاقة ما بين المدينتين والقيمة العسكرية والتجارية في الاحتفاظ بهما معاً، إذ لا استغناء لواحدة عن الأخرى. هذا كله ما دفع بالإسبان لاختيار المرسى الكبير منطلقاً أساسياً للاحتلال، وضمن دائرة هذا النشاط العسكري والتجاري، وهو جانب غاية في الأهمية.

وفي ختام هذا الفصل خلصنا إلى الاستنتاجات الآتية:

- تعتبر المنطقة الغربية للإيالة الجزائرية منطقة إستراتيجية هامة، عبر العصور، بحكم تمركزها على ساحل البحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية، والذي أعطى صبغة لمدنها بأن تحتل مكانة مرموقة وسط بايلك الإيالة، لتوفرها على أهم الموانئ المشهورة في الجزائر مثل: وهران، والمرسى الكبير.

- أن بايلك الغرب في العهد العثماني لم يعرف الاستقرار وكان الوضع متدهوراً بسبب سياسة الحكم العثماني من جهة وتعرضه للأطماع المغربية التي حاولت إبعاد الخطر العثماني والتوسع في نواحي تلمسان والاحتلال الإسباني من جهة أخرى.

- فرض الجزائريون حصاراً دائماً على وهران والمرسى الكبير منذ أن استقر بها الإسبان، وللاحتفاظ بهما تطلب القيام بأعمال هامة كبناء حصون جديدة وترميم القديم منها، وإصلاح الأسوار المحيطة بالقاعدتين وترميم المساكن والشوارع، وفعلاً فإن تاريخ وهران والمرسى الكبير طيلة فترة الاحتلال مرتبط بالتحصينات، هذه الأخيرة التي كانت الشغل الشاغل لحكامها.

- لقد قام الإسبان بعمل عظيم في مختلف القلاع والحصون التي دافعت عن المدينة، وهذا ما يبرز بكثرة في عهد فاليوخو والذي أكسبه شهرة كبيرة، حيث تمّ بناء حصن سان فيرناندو وسان شارل، وأنهى الأعمال التي بدأت في حصن سانت فيليب، سانتا كروز، سان جاك، وأدخل تعديلات مهمة على حصون سانت بارب، سان بيار، سانت إيغناس، مع إعادة بناء كنيسة القصبه، وزود المكان بكثير من الألغام والخنادق والاتصالات تحت الأرض.

- إن التواجد الإسباني في وهران لمدة طويلة ساهم في تغيير النمط العمراني بها فبعدما كان تقليدي ذو طابع إسلامي أصبح عصري ذو طابع أوروبي.

- إن احتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير واستقرارهم مدة طويلة بهذين الموقعين؛ عمدت بعض قبائل الغرب الجزائري إلى التحالف مع الإسبان، حيث كانوا يزودونهم بالحبوب والماشية وبضائع أخرى كانوا في حاجة إليها، كما شكلوا منهم شبكة من الجواسيس لنقل الأخبار مقابل مكافآت مالية، وقد تسبب ذلك في حدوث شرخ في صفوف المجتمع الجزائري في هذه المنطقة وهذا ما ساهم من دون شك في استمرار بقاء الإسبان مدة طويلة في وهران والمرسى الكبير.

- لقد ترتب عن الإحتلال الإسباني لمدينة وهران والمرسى الكبير لمدة تقارب الثلاثة قرون؛ تعرّض قبائل الغرب الجزائري خاصة تلك المجاورة للموقعين المحتلين إلى غارات وهجمات شنها الإسبان على القبائل المعادية والتي رفضت الخضوع لهم.

- لقد استغلت إسبانيا الحالة العامة السياسية والاقتصادية والثقافية غير المستقرة للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، لتنفيذ مخطط طويل الأمد للسيطرة على المنطقة، بوضع أهداف إستراتيجية تدفعها الحاجة الاقتصادية والحقد الديني، فاحتلت العديد من المناطق الساحلية بالمغرب الأوسط لاسيما في الجهة الغربية منه، بدعوى محاربة القرصنة، لكن في نهاية الأمر انكمش هذا الوجود خلف الأسوار ولم يتعدى مساحة الموانئ، كما ظلّ محصوراً إلى حين انهيار النظام الاستعماري الذي تعاون مع بعض القبائل التي أبقت على الوجود الإسباني ولو لفترة وجيزة، وقد شبه أحد المؤرخين الإحتلال الإسباني بالأخطبوط بقوله: "لقد كان الوجود الإسباني يشبه إلى حدٍ كبير الأخطبوط الذي سُحب من الماء ووضع داخل وعاء يُسقى يومياً بجرعات، إن توقفت أُصيب بالشلل التام"<sup>330</sup>

<sup>330</sup> أليتش بروشين، نيكولاي، تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16 حتى مطلع القرن 20م، تر: عماد حاسم، ط2، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، 2001م، ص 25.

## الفصل الخامس:

### المجالات العمرانية والطبوغرافية.

أولاً- المخلفات العمرانية الإسبانية في وهران والمرسى الكبير (1505-  
1792م):

1- عمران ذو طابع عسكري.

2- عمران ذو طابع مدني:

ثانياً- وهران خلال فترة حكم الباي محمد الكبير (1193-1212هـ/  
1779-1797م):

ثالثاً- وصف لمدينة وهران والمرسى الكبير.

1- وهران.

2- المرسى الكبير.

مع مطلع القرن السادس عشر كان الملوك الكاثوليك في عزّ قوتهم فقرروا ضمّ العديد من الموانئ الجزائرية، ومن بينها وهران والمرسى الكبير، هاتين الأخيرتين اللتين تعرضتا للاحتلال الإسباني، هذا الأخير الذي محا الكثير من معالم المدينة الإسلامية ليحولها إلى مدينة نموذجية عن المدن الأوروبية المسيحية، وأعاد بناءها على أساس الضرورات الأمنية والعسكرية، حيث شكل المهندسون الإسبان شبكة من الحصون والقلاع، والتي يمكن القول أنهم معها ضحوا بمقتضيات الرفاهية الحضرية في سبيل حماية الفضاء الحضري المبني من قبل الغزو الاستعماري<sup>1</sup>.

أولاً- المخلفات العمرانية الإسبانية في وهران والمرسى الكبير (1505-1792م):

### 1- عمران ذو طابع عسكري:

في عام 1505م، رست السفن الإسبانية بالمرسى الكبير في أول حملة لها على وهران عام 1509م، وفي صبيحة سقوطها، أُفرغت وهران من سكانها الذين هجروها، واحتلتها بالكامل القوات الإسبانية. وقد هتف الكاردينال خيمينيس بعد مشاهدته للمدينة التي جاء لضمها للملك الكاثوليك: "إن هذه هي أجمل مدينة في العالم، وفي نفس السنة قام ببناء كنيسة القديس لويس (Saint Louis)<sup>2</sup> التي تشرف على المدينة القديمة وذلك على أنقاض مسجد ابن البيطار"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Aiman, Saïd, Le logement social urbain à Oran, nouvelle politique de l'habitat et retombées locales, Mémoire de Magister en géographie, Université d'Oran, 2002, p.175.

<sup>2</sup> بعد غزو وهران من قبل الإسبان تقرر عام 1679م بناء الكنيسة. وعام 1708م بعد استرجاع الأتراك للمدينة من الإسبان من قبل مصطفى بوشلاغم، ليعاد بناء الكنيسة خلال الاحتلال الثاني لوهران عام 1732م. وخلال الزلزال الذي وقع في 1790م دمرت الكنيسة بشكل كبير. ثم أعيد بناؤها في نهاية المطاف من قبل الفرنسيين في 1838م وارتقى إلى كاتدرائية في عام 1866م. أنشئت الكنيسة في عام 1867م، تمّ بناء أبرشية وهران حول كنيسة سانت لويس يقع في المدينة القديمة، وفتحت عام 1855م.

<sup>3</sup> مسجد ابن البيطار الكبير بوهران تمّ بناؤه سنة (747هـ/1347م) بسيدي الهواري في شمال القصبة، تيمناً بالعالم والصيدلي ابن البيطار الذي قدم من الأندلس وعاش بوهران حوالي 23 سنة وقد تم تحويل المسجد إلى كنيسة سان لويس (saint Louis) من طرف المستعمر، والآن هو مركز ثقافي. ينظر: يحي، بوعزيز، مدينة عبر التاريخ... المرجع السابق، ص 168.

وقد قام الحاكم العام الكونت ألكوديت عام 1554م بإبرام تحالف مع محمد الشيخ (Mohammed Al-Sheikh)<sup>4</sup> سلطان السعديين في المغرب الأقصى ضد العثمانيين الذين تموقعوا في الجزائر، ليتمكن من الحفاظ على حكمه وعلى الوجود الإسباني في المنطقة. وهكذا بدأ الإسبان أعمال الترميم في القلعة المخصصة لتكون مقر لحاكم المدينة، فجعلوا تحصيناتها (القصبة) تتألف من جدار متواصل تعلوه أبراج قوية متباعدة فيما بينها، وقد أسس الحاكم الإسباني مقره الرئيسي في هذا الجانب<sup>5</sup>.

والجدير بالذكر أن الإسبان ومنذ احتلالهم للمرسى الكبير 1505م، ووهران 1509م شرعوا في إنشاء نقاط دفاعية وترميم الأسوار، ومن أهم الانجازات العمرانية العسكرية التي قام بها الإسبان بوهران خلال القرن السادس عشر أعمالاً للماركيز دي قوماز (De Comarez) ما بين (1518-1535م) والمتمثلة في بناء برج المونة أو برج اليهودي وبرج لويس سانتوس (Los Santos).

كما قام خليفته الكونت ألكوديت بتشديد برج سانت تيريز وبرج بونيقية. وفي سنة 1588م تمكن دون بيير دو باديا (Don Pierre de Badia) من إنشاء برج حسن بن زهوة، وبرج المرجاجو.

جعل الإسبان خلال القرن السادس عشر من مدينة وهران معقلاً لهم، فبنوا فيها سجناً على ثنوء صخري بالقرب من ميناء المرسى الكبير، قبل أن يشرع الماركيز سانتا كروز عام 1563م في بناء قلعة تحمل اسمه<sup>6</sup>. وقد شهدت المدينة زيارة دون جوان النمساوي<sup>7</sup> (Don Jeanne d'Autriche)، القرصان الأوروبي المعروف والذي قضى فيها يومين تفقد فيها تحصينات المدينة.

<sup>4</sup> محمد الشيخ: هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان السعدي الحسني سلطان الدولة السعدية حكم ما بين سنتي 1540م و 1557م، وفي عهده قضى على الوطاسيين بالمغرب سنة 1554م قام بعدها بتوطيد دعائم ملكه وأمن البلاد واستولى على تلمسان، لقب أبو عبد الله محمد الشيخ بالمهدي.

<sup>5</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

Métair, Kouider ,Oran « mémoires en images », éditions Association Bel Horizon de Santa Cruz, 2005.

<sup>6</sup> أشرنا إليها في الفصل الرابع.

<sup>7</sup> دون جوان، ابن شارل كوينت وأخ فيليب الثاني من الأب، عاش بين عامي (1545-1578)، قام بالقضاء على ثورة المورسكيين في غرناطة في سنة 1570م، واختاره البابا بيوس الخامس قائداً للعبدة المقدسة في سنة 1571م التي واجهت الأسطول العثماني في ليبانت،

وبالرغم من قوة التحصينات الإسبانية تمكن الجزائريون من الاستيلاء على المدينة وفتحها بقيادة الباي بوشلاغم سنة 1708م<sup>8</sup>، وعملوا بدورهم على إنشاء بنايات جديدة وترميم المناطق الدفاعية المتضررة بفعل المعارك. وقد كان الإسبان يدركون خطورة الوضع إبان الاحتلال الثاني لوهراة سنة 1732م، فبدأ الحاكم فاليوخو في إعادة ترتيب آليات الاحتلال الإسباني من جديد وفق سياسة عمرانية جديدة تهدف إلى زيادة تقوية الدفاعات بالمنطقة وهيكلية التحصينات وفق هندسة جديدة استعداداً لأي مواجهة، وهذا انطلاقاً من الدفاعات المحيطة بوهراة وحمايتها من الجهتين البحرية والبرية مثل: سانت فليب، والبرج الأحمر، سانت غريغوري، سانتا كروز، وسان أندري.

كانت ساحة وهران والمرسى الكبير، منذ عام 1734، مكاناً محمياً بغطاء نصف دائري منيع تقريباً، ويمكننا أن نقول أن إسبانيا أنفقت مبالغ باهضة على بناء هذه الجدران والدفاعات. وقد اعترف الجنرال فاليوخو، في ختام تقريره الرسمي عن وهران والمرسى الكبير، بأن بلاده قد "استبدلت أكوام من الذهب بجبال من الحجارة"<sup>9</sup>.

كانت القلاع الخمسة، قادرة على مقاومة أي هجوم، مع حامية منتظمة مكونة من 200 رجل، أبقّت المحاصرين على مسافة؛ دافع حصن سان غريغوري، عن مدخل الميناء والمرسى الكبير؛ هو نفسه كان محمياً بسانتا كروز، الجالس على حصن مرجاجو؛ ثم روزالكازار، باتجاه وسط المدينة، حيث أقام الحاكم العام، مع مكاتب ومسكن وزير المالية والمتاجر وجزء كبير من القوات. بجانب سانت أندريه وكذلك سانت فليب تتطلع نحو الريف. وبعد فاليوخو الذي قام بإصلاح كل هذه التحصينات أثناء

وعين حاكماً على الأراضي المنخفضة (1576م-1578م)، لعب دوراً هاماً في القضاء على ثورة البشارت في الأندلس، كان لذلك كبير الأثر في تعيينه قائداً للأسطول المسيحي. وتم إعلام علج علي بذلك ودعوته للانضمام للأسطول العثماني في مراسلة من السلطان سليم الثاني محفوظة في الأرشيف الوطني دفتر مهمة (16)، حكم 40، 979/5/21، 1571م. توفي مسموماً عام 1578م. ينظر: -François, Garnier: Journal de la bataille de Lépanthe, édition De Paris, Paris 1972, p.421.

<sup>8</sup> من مميزات الحكم في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، هو سيطرة عائلتان على السلطة وهما عائلة بوشلاغم التي امتد حكمها من 1696م إلى 1760م مع توقف نسبي من 1738م إلى 1798م وعائلة محمد بن عثمان الملقب بالكثير من 1799م إلى غاية 1805م مع انقطاع قصير من 1800م إلى 1805م، ينظر:

- Boyer, (P), « introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger », in: Revue historique, N°478, avril-juin 1966, p.214.

Braudel, (F), Les Espagnols et l'Afrique ..., op.cit, p.332.

الاحتلال الإسلامي (التحرير الأول لوهرا (1708-1732م)، كان جميع الحكام حريصين على تحسين نظام الدفاعات هذا، حيث بنى أرامبورو (1738م) حصن سان ميشال وقلعة بوانت دي لامون. ألفارادو يتغلب على عمل كبير والمتمثل في قطع ممر الهضبة الذي يربط الجبل بسانتا كروز، بملاً جميع الأسوار مع المساجد، وبنى الحصون المهمة لسان شارل، وسان جاك، وسانت بيير، وسانت تيريز... إلخ، وقد ساعد هؤلاء الجنرالات في مهمتهم بشكل كبير المهندسين؛ من أمثال: مونتيغو (Montaigut)، وغافر (Gaver) وزيرمينو (Zermeno) وهونتبات<sup>10</sup>.

وقد كُلف عدد من الضباط بالإشراف على مجموعات معظمها من المتطوعين، مع عدد قليل من السجناء؛ مهمتها الرئيسية، بصرف النظر عن ترتيب الأبراج والحصون هو حفر وصيانة الاتصالات السرية بين القلاع، وفي حالة الحصار، إعداد الألغام والألغام المضادة للرد على ألغام العدو وتفجيرها. تُبلغ تقارير القادة والمهندسين عن العديد من الشرايين المخفية، التي تتقاطع مع المدينة في جميع الاتجاهات، وهكذا لم يجد الإسبان في وهران، عام 1732، الكثير من الأعمال من هذا النوع، فشرعت مجموعة من عمال المناجم في العمل، بناءً على أوامر من فاليوخو، وتم فتح طريق واسع تحت الأرض، لتسهيل عملية انتقال الجنود والحاميات.

من بلاص دارم (Place d'Armes)<sup>11</sup> إلى قلعة سانت أندريه على هذا المقطع، أوجد آخرون أقل أهمية تدريجياً للتواصل حيث تفاوت عرضهم وارتفاعهم وانتهوا في القلاع الأخرى من المدينة. ومثلما كان بعضها واسع؛ كان البعض الآخر أضيق. وقد كان لكل حصن نصف حزام من الألغام، مع وجود مخرج، موجه إلى الخارج، من أجل مفاجأة المهاجمين أو تفجيرهم بالمسحوق أثناء اقترابهم من الخندق. لكن معظم هذه الأنفاق قد تضررت منذ ذلك الحين بسبب الانهيارات الأرضية أو اختفت بالكامل تقريباً، في وهران، أثناء الزلزال الرهيب الذي حدث عام 1790م<sup>12</sup>.

فيما يتعلق بالتكوين الداخلي للمدينة، لم تخضع وهران لأي تغيير خلال فترة حكومة الباي بوشلاغم، وبقيت تحافظ على نفس الهيكل الحضري ذو الطابع العسكري. كانت محطة بجدار يصل

10 Braudel, (F), "Les Espagnols et l'Afrique ...", op.cit, pp.184- 233.

11 ساحة السلاح (بلاص دارم)، قديماً، ساحة أول نوفمبر بوهران.

12 Cazenave, (J), "Les présides Espagnols...", op.cit, pp.311- 312.

طوله إلى 2012م، مع وجود باين خارجيين: كانستيل (الشمال الشرقي) وتلمسان (الجنوب الشرقي). وتقع القصبه في الجزء الشمالي من المدينة، يحيط بها فناء كبير؛ تتألف من مجموعة من الأبراج والثكنات والمكاتب، مجتمعة معاً، في جميع أنحاء إقامة الباي. وفي نفس الفترة سيتم إنشاء مكان لإقامة الحاكم العام وكبار ضباط الجيش ولتخزين المواد الغذائية والذخيرة في جميع أنحاء الحامية<sup>13</sup>.

وكما ذكرنا آنفاً أنه وبسقوط مدينة وهران للمرة الثانية بيد الإسبان سنة 1732م، أعاد الإسبان مخططاتها الدفاعية وفق هندسة جديدة، وهذا ما يوضحه تقرير فاليوخو، وأكمل المهندس هوتنات المخطط في نهاية السبعينات<sup>14</sup>.

ويصف لنا صاحب النغر الجماني مدينة وهران وحصونها مع إحصاء عام لأسلحتها ومقارنة قوتها الدفاعية في عهد الباي مصطفى بوشلاغم والإسبان من بعده حيث يقول ما نصه: "ومن جملة حصون هذا البلد قصبته العظيمة وحصونها وشوارعها المتلاصقة المؤدي بعضها إلى بعض إلى غير ذلك من الأبنية التي أتقنوا بناءها وأحكموا وضعها وأكثرها إنما يعرف بلغة النصارى ليُبعد العهد بينها وبين المسلمين ولاستحداث النصارى دمرهم الله أكثر ما بعد استيلائهم عليها من يد الباي بوشلاغم".

كما يخبرنا ابن سحنون عن عدد الأبراج المقدرة بنحو ثلاثين بأسلحتها دون التي لا يعرفها حيث يقول في هذا الصدد: "وهنا بقية مواضع لم أحفظ أسماءها... وأما المواضع التي وُضعت لمجرد الرمي بالرصاص فلا يمكن حصرها وما من موضع من هذه المواضع إلا وفيه نفق يؤدي إلى غيره فمن كان فيها وأراد أن يذهب تحت الأرض إلى أي موضع منها أو من المدينة ذهب"<sup>15</sup>.

<sup>13</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

Vallejo, (J), Oràn bajo la dominacion..., op.cit.

<sup>14</sup> مخطوطة باللغة الإسبانية بتاريخ 31 ديسمبر 1772م، حررت من طرف الكولونيل الإسباني دون أرنلندو هوتنات قائد سلك ضابط الهندسة العسكرية أثناء عملية تفتيش ساحة وهران. وقد احتفظ بهذا المخطوط في أرشيف وزارة الحربية بمدريد إلى غاية 1850م حين أرسلت من مدريد من طرف النقيب هارموا (Harmonis) الملحق بالسفارة الفرنسية، إلى الجنرال الفرنسي بيليسي الذي أوكل مهمة ترجمتها إلى اثنين من أقرب مساعديه من ضباط الهندسة العسكرية وهما النقيبان: كاسان (Cassaigne)، ولاش ودي لوكيسي (Lachaud de Loqueyssie). تم الفراغ من ترجمة المذكورة في شهر أوت من سنة 1851م مع إعطائها عنواناً فرنسياً. ويعود الفضل في الكشف عن اسم صاحبها الحقيقي (هوتنات) إلى الكاتب جون كازيناف (Jean Cazenave)، إثر الأبحاث التي قام بها في المكتبة الوطنية بباريس سنة 1920م. ينظر:

- Fey, (L. H), op.cit, p.3.

<sup>15</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 201.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن موقع كل من وهران والمرسى الكبير قد لفت انتباه ضباط الهندسة العسكرية الإسبانية ومن بعدها الفرنسية؛ هذه الأخيرة التي كانت ترى في المنشآت المحصنة التي أنشأها الإسبان الذين سبقوهم، دليلاً على ارتفاع العلوم العسكرية الفرنسية، كون أن كل الانجازات الدفاعية تلك، أُعيدت من جديد خلال القرن الثامن عشر. لقد كان كل شيء في المدينة يُذكر بالوجود الإسباني الذي لم تتمكن من محوه الحقبة الثانية (1792 - 1831م) التي استرجع خلالها الجزائريون المدينة؛ على حد قول الفرنسي فوبان (Vauban)<sup>16</sup>.

وغداة نزول قوات الحملة الفرنسية بالجزائر، كلفت مصلحة الهندسة العسكرية بإنجاز أولى المخططات الخاصة بالمدن المحتلة، وبهذا حظيت عملية رسم مخططات المدن باهتمام بالغ من طرف البعثات الفرنسية، كونها أداة عمل لا غنى عنها في معرفة إستراتيجية المواقع الحضرية سواء من الناحية الدفاعية أو من ناحية السيطرة العسكرية، وقد كانت مديرية الهندسة العسكرية بوهان تحت قيادة سافار (Savard) تجمع مختلف الأسلاك التقنية لجيش الهندسة من: مهندسون جغرافيون، الطبوغرافيون والمختصون في مسح الأراضي، ومهندسون مختصون في التحصين وغيرها. وقد كان أول مخطط لمدينة وهران واستخدم من طرف قيادة الهيئة البعثية هو المخطط الذي قام بإنشائه النقيب لوفيت (Levet) بالتعاون مع شافو (Chavot) باستخدام الوسائل المتوفرة في جانفي 1831م. وفي السنة نفسها قام بيرار (A. Bérard) بإنجاز مخطط الإرساء لخليج وهران، كما قام المهندس بيزيرات (M. Pézerat)<sup>17</sup> الذي كان أول مدير لمصلحة الجسور والطرق بوهان بإنجاز مخطط سنة 1832م.

<sup>16</sup> سيباستيان لو بريستر، ماركيز فوبان، والمعروف عمومًا باسم فوبان (1633 - 1707م)، هو مهندس فرنسي ومهندس عسكري ومخطط مدن ومهندس هيدروليكي وكاتب مقالات. تم تسميته مارشال فرنسا من قبل لويس الرابع عشر. لديه رؤية علمية، إن لم تكن رياضية، للواقع ويستخدمها على نطاق واسع في أنشطته. خبير في علم السياسة.

<sup>17</sup> (1801 - 1872م) مهندس معماري وهيدروغرافي فرنسي، تخرج من أكاديمية باريس للهندسة المعمارية والكلية المتعددة التقنيات، عمل في البرازيل خلال الفترة من 1825م إلى 1831م، وفي عام 1828م، تولى منصب "المهندس المعماري الخاص" للإمبراطور، وصمم الأكاديمية العسكرية الملكية. عمل في الجزائر مهندسًا في الحكومة الفرنسية ما بين 1831 و 1840م وانتهى به الأمر للعيش في لشبونة، حيث عمل كأستاذ تصميمات في المدرسة المتعددة التقنيات بلشبونة، وطور مشاريع حضرية ومعمارية عديدة هناك. توفي هناك في ماي 1872م.

ويمكن القول أن الشخص الذي ساهم من خلال أعماله الجغرافية في تجسيد تمثيل دقيق لمدينة وهران وضواحيها مع استعمال الألوان، هو الضابط إيسدور دوريان، الذي أنجز سنة 1874م خريطة جدّ هامة للمدينة، يعود إليها الفضل في إظهار التصور المجالي للمدينة وضواحيها قبل التغيرات العمرانية الكبرى التي طرأت عليها في القرن العشرين<sup>18</sup>.

وقد عمد ليسباس إلى مقارنة مخطط للمدينة الإسبانية القديمة لوهران والتي يفوق عمرها القرن من الزمن، موضحاً أنه داخل حدود الحصن ومن ثمة على الضفة اليسرى من الوادي. لم تحدث أية تغيرات في رسم حدود الطرقات التي بقيت خطوطها هي ذاتها إلى غاية أيامنا هذه. كما يشير إلى أن "مخطط مدينة وهران 1832م"، المنجز من طرف بيزيرات، والذي تسهل عملية التعرف على الطرقات الموجودة فيه ومقارنتها بتلك الموجودة في المخطط الإسباني<sup>19</sup>. وقد كان يرى أن وهران هي المدينة الأوروبية في الجزائر المستعمرة، حيث وصلت نسبة قاطنيها منهم إلى 64.5%، غالبيتهم من الإسبان<sup>20</sup>.

وقد تحدث ديشو (Déchaud) في مقاله<sup>21</sup> عن تطورات الإستيطان الإسباني في وهران لاسيما خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعن السياسات المنتهجة من طرف السلطة الفرنسية تجاه الإسبانين كقوانين إعطاء الجنسية وحق العمل وغيرها. والتي ساهمت بشكل كبير في توافد وانتشار العنصر الإسباني بالجزائر واستقراره بشكل أكبر لاسيما في المنطقة الغربية للبلاد، وكل هذا تشجيعاً من السلطة الفرنسية لتحقيق سياسة الإستيطان الاستعمارية.

ومنذ القرن السابع عشر بدأت القوى الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وإسبانيا تطوير فن رسم الخرائط والتحصينات، سواء على مستوى أقاليمها الداخلية أو ممتلكاتها الاستعمارية<sup>22</sup>. وقد لعبت هذه

<sup>18</sup> Derrien, (I), Les Français A Oran depuis 1830 Jusqu'a non gours, imprimerie Nicot, Aix, 1886.

<sup>19</sup> Lespes, (R), op.cit, p.142.

<sup>20</sup> Ibid, p.44.

<sup>21</sup> Déchaud, (ED), "Le Peuplement Espagnole en Oranie", in: B.S.G.A.O, T28, 1908, Oran, pp.37-50, et 51- 73.

<sup>22</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Voir le numéro spéciale de la revue URBI consacré à l'architecture militaire, XI, Liège, Pierre Mardaga éditeur, été 1989.

المخططات التي تم إنجازها من طرف المهندسين المعماريين العسكريين دوراً كبيراً في فهم المدينة والتحكم فيها وتغيير الشكل الحضري لها من طرف المهندس أو المهندس المعماري<sup>23</sup>.

وبالرغم من الزخم الوثائقي الخرائطي الذي تراكم لدى الإسبانين خلال فترتي احتلالهم للمدينة من 1509 إلى 1792م، مع فترة انقطاع دامت من 1708 إلى 1732م، كمخططات للمدينة وضواحيها، وخرائط منجزة بتقنيات مختلفة من المقياس ونوعية الرسم<sup>24</sup>، إلا أن الإسبانين لم يكونوا لوحدهم من أنجز وثائق خرائطية حول مدينة وهران. بل وحتى الفرنسيين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المخططات العديدة والخرائط الفرنسية، ومن بينها رصيد وزارة البحرية، ووزارة الشؤون الخارجية، والمكتبات ومستودعات أرشيف مختلف الموانئ التي كانت لها علاقة بوهران، وهذا ما أشار إليه جون كازيناف سنة 1933م في مقاله إلى بعض الوثائق الأرشيفية الفرنسية التي كانت تتضمن خرائط وتصميمات لمدينة وهران، قبل الفترة الكولونيالية<sup>25</sup>.

## 2- عمران ذو هندسة مدنية:

### أ- الأحياء:

في الواقع أن أغلب الأحياء السكنية التي انتشرت على طول ساحات وهران والمرسى الكبير كانت ذات طابع عسكري، وقد تحدث عنها هونتبات بالتفصيل في المخطوطة التي ترجمها ونشرها بلجات في نشرية الجغرافيا والآثار لوهران. فالقصة مثلاً يوجد بها حيين رئيسيين: أولهما يسمى حي الملك، والثاني حي سان جاك (Saint Jack)، بالإضافة إلى وجود أحياء عسكرية فرعية أخرى

- Boutier, (J), Teysseyre- Sallmann, L, Du plan cavalier au plan géométrique cartographie urbaine en Europe occidentale du XVI au XVIII siècle, Paris, Colloque du groupe de travail international d'histoire urbaine, multigr.

Martha Pollak, (D), Introduction, URBI, XI, Architecture militaire, Liège, Pierre Mardaga éditeur, 1989, p.V. <sup>23</sup>

Epalza, M- D, Vilar, J- B, "Planos y mapas hispanicos de Argelia Siglos XVI- XVIII" <sup>24</sup>  
Plans et cartes hispaniques XVI<sup>e</sup>-XVIII<sup>e</sup> siècles, (Edition bilingue), Madrid, Instituto Hispano- Arabe de Cultura, 1988.

Cazenave, Jean, "Les sources de l'histoire d'Oran, Essai bibliographiques", <sup>25</sup>  
B.S.G.A.O, T54, septembre- décembre 1933, Oran, pp.303- 379.

لاحتواء الجنود والعتاد الحربي من ذخيرة ومدفعية كحي سان تيريز الذي أنشأ سنة 1735م، وحي النصر، حي سان برنار، حي الجند من المشاة، وحتى السجناء خصصت لهم أحياء خاصة بهم حسب الفئة العمرية<sup>26</sup>.

كما توجد هناك سكنات ومنازل فاخرة خصصت في أغلبها للحاكم العام ووزرائه وللقائدات العليا في الحاميات العسكرية بوهران والمرسى الكبير، بالإضافة إلى وجود سكنات للكهنة ورجال الدين الإسبان، مع انتشار المحلات بتنوع أنشطتها عبر الأحياء المدنية والعسكرية<sup>27</sup>.

### ب- القرى:

تحدث فاليوخو عن وجود بعض القرى في وهران مثل أرزيو (Arzeu) وكانستيل، فعلى طول الساحل باتجاه الغرب، لا توجد مدينة؛ إلى الشرق، وعلى بعد ثلاث مراحل من وهران، نجد قرية كانستيل الصغيرة، هذه القرية الصغيرة تقع بين أشجار الزيتون وعند سفوح سلسلة من الجبال العالية، من جبل خير (Djebel Kher) إلى الجنوب من كاب فيرا (Cap Ferrat)<sup>28</sup>، على جانب البحر. كان يسكنها في السابق المغاربة المتحالفين الفلاحون في هذا المكان وتتألف من عدد صغير من الأكواخ التي تبدو أشبه بالزريبة منها إلى المنزل. اليوم هجرها سكانها تمامًا والبعض الآخر لجأوا إلينا.

وعلى بعد أميال من خارج كانستيل، نرى قرية أرزيو البحرية، والأهم من ذلك أنها تتكون من منازل أكثر صلابة قوية وجيدة، مع رصيف كافي لاستقبال القوارب وحمولاتها، وهو في هذا الاتجاه أهم ميناء قبل الوصول إلى الجزائر<sup>29</sup>.

### ج- السكنات:

داخل أسوار المدينة - حسب ما ورد في مذكرات بعض الشخصيات الإسبانية وحتى الفرنسية-، هناك حوالي 400 منزل؛ وهي صغيرة وبائسة لدرجة أنه من الأفضل التحدث عن الأكواخ المصنوعة من

Hontabat, op.cit, pp.211-215.

26

Ibid, pp.216-233.

27

<sup>28</sup> سان جان كاب فيرات (سان جوان كا فيرات) (Saint-Jean-Cap-Ferrat): هي بلدة فرنسية تقع في قسم ألب ماريتيم في

منطقة بروفانس ألب كوت دازور.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.346.

29

القش بدلاً من المباني؛ لأن معظمها قد تم بناؤه مؤخراً من قبل المغاربة ومع هذه المواد السيئة التي لا تقوى مطلقاً على حمل المدافع أو التصدي لها، ولا لتجنب الأضرار الناجمة عن تحطمها.

كما كان هناك أربع كنائس معظمها كبيرة للرعية، لديها جدران حجرية صلبة إلى حد ما. أثناء احتلالهم احترام المغاربة ذلك. وكان الثاني بمثابة كنيسة صغيرة في المستشفى؛ وينتمي الاثنان الآخران إلى دير آباء الرحمة والقديس دومينيك<sup>30</sup> (Saint Dominique)؛ واحد منها لا يزال قائماً. لكن النصف الثاني مدمر، مثل كل الغرف تقريباً والمباني الخارجية للأديرة المذكورة؛ إن مستشفى سانت دومينيك يعمل حالياً كمستشفى لقوات الملك<sup>31</sup>.

ومن وجهة نظر حضرية، لم تشهد وهران تغييراً كبيراً، حيث كانت دائماً مدينة تشبه توليدو (Toledo)<sup>32</sup>، مع منازل مكتظة وشوارع ضيقة على شكل متاهة، مما يمكنها من التواصل مع بعضها البعض، من خلال نقاط تقاطع في شكل مربعات صغيرة من مختلف الأحجام، وأبرزها ذلك الذي في بلاص دارم، حيث يمكن للمرء أن يجد على جانبي شوارعه منازل جميلة للغاية مع وجود فناءات بداخلها، وعدد قليل من النوافذ والجدران البيضاء والمدرجات بدلاً من الأسطح. كما كان هناك أيضاً محلات لبيع المنتجات المحلية، والتغيير الوحيد الذي حدث هو إعداد الأرضيات بتحسين الطرق وشبكة توزيع المياه والإضاءة الليلية في الشوارع والأماكن<sup>33</sup>.

وخلال فترة الاحتلال الثاني للمدينة شهدت وهران حركة نمو متواصلة أجبرتها على التوسع خارج أسوارها التي تهدمت تدريجياً، وبحلول عام 1770م كان بوهران حوالي 532 منزل خاص و42 صرح معماري، ووصل عدد سكانها إلى 2.317 شخص و 2.821 مُرتحل يعيشون من التجارة، وبين عامي 1780م و1783م اقترح كارلوس الثالث ملك إسبانيا على إنجلترا مبادلة وهران بجبل طارق لكن زلزال عام 1790م والحرائق التي تبعتها خلّفت 3000 ضحية ودمر المدينة بأكملها. وأصبحت المدينة

<sup>30</sup> القديس دومينيك (Dominique de Guzmán)، هو كاهن كاثوليكي إسباني، مؤسس ما يسمى عادة "الدومينيكان" بالكنيسة عام 1234م، وهو مشهور باسم القديس دومينيك. يتم الاحتفال به في 8 أوت في مجمع الفاتيكان الثاني. توفي عام 1221م في بولونيا بإيطاليا.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.333.

31

<sup>32</sup> طليطلة (بالإسبانية توليدو: Toledo)، مدينة إسبانية تقع على بعد 75م جنوب العاصمة الإسبانية مدريد.

Vallejo, (J), Oràn bajo la dominacion espanola..., op.cit, p.179.

33

خطرة جداً واستحالت إعادة بنائها والدفاع عنها مكلفة للغاية على العاهل الإسباني، فبدأ الملك كارلوس الرابع الذي بدأ مفاوضات مع داي الجزائر العاصمة لأكثر من عام من أجل تسليمها له.

ثانياً- وهران خلال فترة حكم الباي محمد الكبير (1193-1212هـ/1779-1797م):

اهتم الباي محمد بن عثمان (الملقب بمحمد الكبير) - منذ توليه ولاية وهران- بتعميرها وإعادة الحيوية إليها فاستقدم الناس لسكن بها من جهات كثيرة حتى من وجدة وفاس وتلمسان وأقطعهم أراضي لبناء الدور والمنازل والمتاجر وقام بتهديم الحصون والأبراج والصوامع الإسبانية حتى يقطع كل أمل للإسبان في العودة إليها ومن ضمنها حصن مرجاجو وحصن رأس الكبير والصغير<sup>34</sup>.

ومن بين الأسباب التي جعلت الباي محمد الكبير يواصل توسيع المدينة إلى الجانب الأيمن من واد الرحي هو الضرورات الأمنية والدفاعية، ثم توافر المساحات الفارغة في هذه الجهة، وأخيراً تواجد شبكة من منظمة من المسالك ورثتها المدينة عن الحقبة الإسبانية. وقد وصف مشروعه على أنه مخطط عمراني حقيقي<sup>35</sup>.

وحتى يُعيد للمدينة وجهها العربي الإسلامي أسس عدة مساجد ومدارس منها: جامع الباشا<sup>36</sup> ومسجد ومدرسة، وحنق النطاح جامع الباي<sup>37</sup> حالياً كما بنى قلعة برج الأحمر والجامع الأعظم بحي عين البيضاء في معسكر وجامع الكرط وتوافدت الناس في عهده للسكن في وهران خاصة العلماء والتجار وأصحاب الصناعات والحرف التقليدية فتوسع عمرانها بسرعة واستعادت حيويتها الاقتصادية

<sup>34</sup> يحي، بوعزيز، وهران... المرجع السابق، ص 101.

<sup>35</sup> للإطلاع على الإجراءات والتدابير التي اتخذها محمد الكبير بعد فتح وهران، ينظر: بلبروات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م-1797م)، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م.

<sup>36</sup> أسس من طرف الباي محمد الكبير عام 1796م، بأمر من الداوي حسين باشا أو كما يسمى "بابا حسن" احتفالاً بالفتح الكبير لمدينة وهران وتحريرها من العدو الإسباني وذلك ضمن خطة لإعادة الوجه العربي الإسلامي لمدينة وهران بعد أن مسخها النصرى الإسباني وطمسوا معظم معالمها الإسلامية الحضارية، وهو يقع شمال المدينة القديمة على الضفة اليمنى الشرقية بوادي "رأس العين" ومن بين حبوس هذا الجامع خزانة الكتب العامة بالمصاحف القرآنية وكتب الفقه الإسلامي، ومن ضمن مخطوطاته النادرة، مخطوط كتاب المعيار في الفتاوى للعلامة أحمد الونشريسي. ينظر: يحي، بوعزيز، مدن تاريخية... المرجع السابق، ص 69.

<sup>37</sup> مسجد الباي محمد الكبير: أسس الباي عثمان بن محمد الكبير عامي (1799-1800م) بجوار برج القصبية والذي خُلد تأسيسه في لوحة رخامية على جدار منارته المواجهة للقصبية، وبعد الاحتلال الفرنسي حوّل إلى مستشفى عسكري لسنوات طويلة، ولقد تمّ إصلاحه وفتحه، وهو من المعالم والآثار الهامة بوهران، بشكله المعماري والهندسي.

والاجتماعية والثقافية والدينية وحتى اليهود وجدوا بغيتهم وحصلوا على أراضي لبناء المنازل ورُخص ممارسة الأعمال التجارية ومختلف المهن الأخرى<sup>38</sup>.

وخلال عهد محمد الكبير كانت مدينة وهران تحتوي على أربعة تجمعات:

### 1- إيفري:

تقع على سفح جبل مرجاجو أنشأت على يد الباي مصطفى بوشلاغم الذي أسس رباط الطلبة المجاهدين عندما حاصر الإسبان<sup>39</sup>.

### 2- كلاية (Claya):

هي مشتة توجد في المكان الحالي للمدينة الجديدة، وطّن فيها الباي محمد الكبير سكان قرية كلاية لتداول التجارة مع الإسبان في انتظار رحيلهم.

### 3- خنق النطاح:

كانت مكاناً ملائماً للزراعة والرعي، جذب إليها ساكنة من دواوير الزمالة، والغرابة، أقام فيها الباي محمد الكبير مسجداً، ومدرسة قرآنية، ومقبرة للعائلة البايلكية. وهي قرية زراعية يوجد بها المسجد الصغير، المنسوب للباي محمد بن عثمان، يوجد ضريحه فيه، عرفت هذه القرية بخنق النطاح. كان يفصل بينها وبين المدينة شعاب وحفيرها هائل يشاقها واد صغير يسمى عين روبنة، فقد حوّل الفرنسيون اسم خنق النطاح إلى قرقنطة، ومازالت بعض معالم البلدة تحمل هذا الاسم<sup>40</sup>.

ويرجع تموقع المدينة في محيط رأس العين<sup>41</sup> إلى الضرورات الأمنية والدفاعية التي فرضتها الهجمات المتوالية على المدينة والصراع الواقع بين العثمانيين والإسبان حول الاستيلاء على مدينة وهران، بالإضافة إلى توفر هذا الموقع على المياه<sup>42</sup>.

<sup>38</sup> يحي، بوعزيز، مدينة وهران...، المرجع السابق، ص 102.

<sup>39</sup> للإطلاع على دور الطلبة في تحرير وهران، ينظر: محمد، بوشنافي، دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الإسباني عام 1791م من خلال مصادر معاصرة، مجلة عصور الجديدة، 1432هـ/2011م، ع1، ص ص 85-95.

<sup>40</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: المهدي، البوعبدلي، المرجع السابق، ص 116.

<sup>41</sup> تقع تقريباً في حي شولي (Chollet) حالياً.

كما توجد بالمدينة عدة مرافق اجتماعية وخدماتية هذا ما أهلها لكي تكون في مصاف المدن الكبيرة في ذلك العصر فكان يوجد بها أسواق ومقاهي وحمامات وكان يعيش مجتمعها حياة حضرية<sup>43</sup>.

أ- **المقاهي:** كانت المدينة تحتوي على العديد من المقاهي فهي تقع في الطريق الرئيسي وسط المدينة المسماة بالحي الجديد.

ب- **الحمامات:** كان عدد الحمامات يضاف إليها الطابع الحضاري ويعطي أهلها طابعاً اجتماعياً خاصاً بهم ويكون تواجدها بجوار المساجد فهناك حمام بالقرب من مسجد الباشا وحمام آخر بالقرب من قبة محمد بن عمر الهواري<sup>44</sup> التي بناها الباي عثمان 1799م.

وقد وصف روني ليسباس مدينة وهران قبل الاستعمار الفرنسي، على أنها تجمع سكاني في وسط ريفي، "بما أنه قبل 1830م لم يكن المحيط التنبوي الخارجي مكوناً إلا من بساتين خضر وبقول"<sup>45</sup>.

وهكذا لم تعد وهران تظهر بمظهر المدينة التي يغلب عليها الطابع العربي الإسلامي الذي كان يميز غيرها من المدن التقليدية الجزائرية كمدينة تلمسان ومعسكر أو مازونة مثلاً، وباستثناء بعض البنايات الموروثة عن الأزمنة التي تم فيها استعادة المدينة من قبل الجزائريين والعثمانيين في الفترة الممتدة ما بين (1708-1732م) و(1792-1831م)، فإن الجزء الأهم من الموروث الأثري والمعماري يعود بالدرجة الأولى لفترة التواجد الطويلة للإسبانيين في المنطقة، والتي جعلت منها سواء على المستوى الدفاعي أو الحضري مدينة تهيمن عليها صبغة التصميم الغربي فأصبحت مدينة مماثلة للمدن الإسبانية العريقة.

42 Sidi Mohamed, Trache, Mobilités résidentielles et périurbanisation dans l'agglomération oranaise, Thèse de Doctorat D'état en géographie, Uni d'Oran, 2010, p.137.

43 عبد القادر، بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير غير منشورة، التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013م، ص 134.

44 هو الشيخ محمد بن عمر الهواري، علامة ويعده أهل وهران من أولياء الله الصالحين. ولد في جوار كلميتو على بعد 20 كلم من شرق مدينة مستغانم سنة 1350م، في ذلك الوقت كان يحكم وهران أبي حسن المريني. توفي بوهران سنة 1439م عن يناهز 89 سنة.

45 Lespès, (R), op.cit ,p.18- 21.

ويمكن أن نعطي صورة عامة على وهران والمرسى الكبير من خلال الوصف الذي ورد في بعض التقارير الإسبانية والفرنسية:

### ثالثاً- وصف لمدينة وهران والمرسى الكبير:

#### 1- وهران:

سنتناول هذا العنصر من خلال هذا المقال<sup>46</sup> الذي هو عبارة عن مخطوط كُتِب عام 1842م ضمن 53 صفحة، من طرف جيوت (Guyot)<sup>47</sup>، وزير الداخلية في الجزائر العاصمة. تقرير موجه إلى وزير الحرب في باريس عن الرحلة التي قام بها إلى الغرب الجزائري في 15 ديسمبر 1842م، ودراسة حالة المنطقة وبالتحديد وهران والمرسى الكبير بالعودة في الزمن ما يقارب مائة سنة خلت.

وقد رأى روبرت تنثوين الذي قام بنشر هذه الوثيقة، أنها ستسمح بإعادة تشكيل جانب من جوانب وهران عام 1842 والحكم على العمل الذي تحقق منذ ذلك الحين. فقبل مائة عام، أدركت الإدارة المدنية أن معرفة المنشآت المحلية تشكل عنصراً أساسياً في الإدارة الجيدة، لذلك أصدر الحاكم العام للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا بيوجو، أمراً لجيوت، لبحث إمكانية إنشاء مستودع وأرصفة في وهران والمرسى الكبير على الفور.

وقد كتب تنثوين في الصفحات الأولى من هذا العمل، أنه وبالنظر إلى الواقع، لا يمكن للتقارير ولا المخططات؛ مهما كانت دقيقة، أن تحل محل زيارة دقيقة للمكان، حيث كان يجب أن نبدأ كل شيء من نقطة الصفر. فالمدن البحرية الجزائرية تفتقر إلى الموانئ والاتصالات والمباني اللازمة لتوفير الخدمات العامة، بينما في الداخل؛ كانت التجمعات الحضرية نادرة<sup>48</sup>.

تضمن التقرير وصف لمدينة وهران والحالة التي كانت عليها المرافق العمومية بالمدينة من طرقات، إضاءة، شرطة، سكنات، أحياء... إلخ، قبل مائة سنة خلت؛ أي بالعودة إلى تاريخ المنطقة خلال التواجد الإسباني بها. وقد أشار جيوت إلى عدم الترابط الذي تشهده الأحياء الأربعة الموجودة بمدينة

<sup>46</sup> Robert, TINTHOIN, "Oran et Mers-el-Kébir il y a cent ans (avec d'Oran levé en 1842)", in: B.S.G.A.O, T71, 1948, pp.5- 21.

<sup>47</sup> كان كلود إتيان جيوت (Claude-Étienne Guyot) (1768-1837): جنرال فرنسي للثورة والإمبراطورية، شارك في الحروب الثورية الفرنسية والحروب النابليونية، وقد تم تعيينه لقيادة سلاح الفرسان للحرس الإمبراطوري في عهد نابليون، وحصل على وسام جوقة الشرف. أحيل على التقاعد في عام 1816م.

Tinthoin, (R), op.cit, p.5.

<sup>48</sup>

وهران آنذاك وهم يأتون بالترتيب على النحو التالي؛ من المرسى الكبير: ( البحرية (LA Marin)، حي بلانكا (Blanca)، شاطوناف (Château Neuf)، وحي نابليون (Napoléon)<sup>49</sup>، وعدم الترابط هذا لم يكن سببه بعد المسافة بقدر ما كان بسبب عدم وجود روابط تربط فيما بينها، فيما عدا الجسر الذي يعبر الوادي بالقرب من "ميدان كليبر Kléber"<sup>50</sup> والآخر في نهاية المدينة بالقرب من بوابة رأس العين (Ras-el-Ain) والتي كان يطلق عليها باب تلمسان في الساحة العامة لوهران<sup>51</sup>.

ليتحدث بعدها صاحب التقرير ويصف لنا الوادي الذي يعبر المدينة، وكيف أنه كان يضيء عليها طابعاً جمالياً رائعاً، إلا أنه مهدد بفقدان هذه الميزة؛ بسبب جوار المنازل التي تحيط به والنفايات والحطام المتراكم باستمرار، وكذا ما ينتج عن النشاط الزراعي كقطع الأشجار من أجل زراعة الخضروات<sup>52</sup>. ورغم بعض الجهود التي يمكن أن تقوم بها الإدارة، إلا أنها ستبقى عاجزة ضد هذا الغزو للمدينة الذي، سيكبر تدريجياً، ليغطي يوماً ما كل الوادي.

وقد تحدث فاليوخو أيضاً عن هذا الوادي الذي يُعتبر المصدر الأساسي لتزويد المدينة بالمياه بقوله: "تأتي كل مياه المدينة من نبع ينبع بالقرب من سفح حصن سانت فرديناند، من وادٍ يقع بين جبل ميسيتا وسانتا كروز والمدينة على جانب واحد، وعلى الجانب الآخر، الهضبة التي بُنيت عليها قلاع روزالكازار وسان أندري وسان فيليب. وقد تمّ بناء حصن سانت فرديناند فوق مصدر الوادي لحمايته من أن يستولي عليه المغاربة".

بالإضافة إلى ذلك، وعلى طول الوادي وصولاً إلى البحر، تغطي الحدائق وبساتين أشجار الفاكهة الجانبين، وذلك بفضل خصوبة التربة ووفرة المياه حتى أنه في غضون أيام قليلة، وبسرعة فائقة،

<sup>49</sup> بلاص دارم سابقاً، ساحة "المارشال فوش Maréchal Foch" حالياً.

<sup>50</sup> الجنرال جان بابتيست كليبر (Jean-Baptiste Kléber) (1753-1800م)، هو أحد جنرالات فرنسا أثناء حروب الثورة الفرنسية.

51

Tinthoin, (R), op.cit, p.6.

<sup>52</sup> يتم تموين السوق بالخضروات التي يتم جنيها في وهران والقادمة أيضاً من إسبانيا؛ فقد لا تكون الخضروات التي يتم إنتاجها كافية للاستهلاك، لكن مقارنة مع تلك القادمة من إسبانيا تُعد ميزة جيدة؛ خلال السنوات الأولى من الاحتلال، جميع الخضراوات المبكرة كانت تأتي إلينا من إسبانيا، ولكن سرعان ما أدرك فلاحونا الفائدة الكبيرة من إنتاجها هنا في وهران، هذه الأخيرة التي يتم فيها جني الثمن والمشمش والخوخ والعنب فقط؛ لذلك جميع الفواكه التي ننتجها تأتي من إسبانيا والتي تمثل (6/5) من احتياجنا. وفيما يتعلق بالفلاحين فإنها يوجد حوالي من 225 إلى 240 مزارع منهم: 180 من جنوه، و 25 إسبان، 16 عربي، ومن 10 إلى 12 فلاح هودي، ولا يوجد فرنسيون.

تنمو الفواكه والخضروات، ذات النوعية الممتازة والوفيرة تكفي لتزويد العديد من حاميات وهران على مدار السنة<sup>53</sup>. وبالرغم من كل هذا تفتقر المدينة والحصون تمامًا إلى الخشب، في حالات السلم والحرب؛ حيث لا توجد هناك يوجد غابة قريبة. وسابقا كان مغاربة السلام (المتحالفين) يقومون بجلب بعض الأحمال من الخشب كل يوم لنا. كان هذا كافياً لأن السكان لم يكونوا كثيرين للغاية ولم تكن هناك حامية منتظمة. لذلك كان المغاربة يزودون المدينة بما يكفي من المواد الغذائية ووحدها الأصناف غير المزروعة في إفريقيا هي التي يتم إحضارها من إسبانيا<sup>54</sup>.

ويمكن أن نستدل على ذلك بوصف الكاردينال سيسنيروس، في اليوم التالي لغزو وهران في عام 1509م وتعبيراً عن فرحه بالانتصار الرسالة التي بعث بها إلى أصدقائه في توليدو يصف لهم فيها المدينة التي تم فتحها بأن بها حدائق جعلتها بمثابة جنة على الأرض (جنة من البساتين والحدائق es paraiso de huertas). كما وصف وادي المدينة قائلاً: "... هو مصدر ممتاز للمياه، هذه الأخيرة التي تتدفق على طول طريق الوادي وتمر تحت أسوار المدينة، يزود المدينة بالمياه الوفيرة، وهو مليء بالكائنات الساحرة والرائحة؛ مثل الرواسب التي تشكلها الصخور، وبساتين البرتقال، وما إلى ذلك والتي تشكل منظرًا طبيعيًا رائعًا..."<sup>55</sup>.

وقد تحدث صاحب المقال - تنثوين - بداية من الصفحة (7) عن مضمون المشروع والمخطط الذي وضعه "جيوت" للمدينة، على النحو التالي:

أ- مشروع الساحة (الميدان):

سيتم إنشاء هذه الساحة عند نقطة عبور الوادي بواسطة جسر كليبر الذي سيشكل حدود مع الشوارع المهمة الموجودة، والتي سيكون لها عبور مزدوج مع البحر من خلال الشارعين اللذين يربطان الوادي السفلي، والبحرية مع حي بلانكا. كما سيتم ربط الساحة بطريقين، هما: المسار الذي يتبع ساحة كليبر والثاني الذي يتصل بشارع أودينو (Oudinot)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ستكون هذه الساحة متصلة بالحيين الآخرين بواسطة شارع فيليب (Philippe).

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.334.

53

Ibid, p.345.

54

Ibid, p.344.

55

وقد وضع جيوت أهمية هذه الساحة وما ستحتويه من مؤسسات عامة مختلفة: كالمديرية الفرعية للدخلية، دار للبلدية والدرك، وستكون هناك عدة مباني مجتمعة مثل: مبنى للمالية، وآخر للعدالة، مصرف، مسرح... إلخ. كما ستكون هناك محلات لتجارة التجزئة وستغطي المنازل الأراضي المجاورة. وكل ما سيتم اكتسابه من وراء هذا، سيعوض إلى حد كبير تكاليف تنفيذ هذا المشروع. وبناءً على ذلك، طلبت من وزارة الطرق والجسور دراسة المشروع وجميع الاستفسارات التي تتعلق بهذا الإنجاز<sup>56</sup>.

### ب - الشوارع المتوقعة:

وهما الشارعين الجديدين اللذان سينتهيان أيضاً إلى الساحة، أحدهما شارع "تورين Turin"، الذي سيتجاوز الحدائق التي تقع في منتزه "ليتانغ Létang"، والشارع الآخر سيكون محاذياً للجانب العلوي الأيمن من الوادي وكما تعلمون سموكم سيمتد على الجهة اليسرى من نهج "أودينو"، وسينتهي به المطاف إلى منطقة نابليون على منحدر يقدر بـ 4 إلى 5 ٪، وستكون ميزته الأولى توفير منحدر أكثر ملائمة من مثيله المتواجد في شارع فيليب، ومن ثمة تسهيل عملية الإنشاء على أسس شديد الانحدار والتي ستعطيها جانباً أكثر متعة وتجعل منه ذو أهمية حقيقية عما كان عليه في السابق. كما أن هذا سيسمح لنا بربطه بشوارع صغيرة يسمح بتنقل المشاة وقطعان حيواناتهم.

لا يزال من الضروري الحديث عن شارع ثالث يسمح لنا بالانتقال من البحرية إلى الكنيسة - سانت لويس - ومن ثمة النزول في اتجاه المستشفى العسكري الحالي، وقد تم التخطيط لإنشاء نفق<sup>57</sup> لهذا الغرض والذي لن يكلف أكثر من 25 ألف فرنك. لكن يمكن أن نتجنب هذه النفقات والمصاريف، في مقابل التضحية ولو بجزء قليل من الحصن المهدم والذي لا ضرورة له اليوم. وبهذا أعطيتُ أمراً لدراسة هذه النقطة المزدوجة؛ في ضوء هذا الشارع الذي سيصبح وسيلة جديدة للاتصال تربط بين البحر ووسط المدينة وتساهم كثيراً في إنعاش هذه الأخيرة وزيادة نشاطها<sup>58</sup>.

Tinthoin, (R), op.cit, pp.7- 8.

56

<sup>57</sup> الذي يربط ساحة اللؤلؤة (la Perle) (الساحة الرئيسية سابقاً دي لا بلانكا (de la Blanca) مع شارع أرسونال (l'Arsenal)، الذي بدأ العمل به في عام 1845، وتم الانتهاء منه عام 1867م.

Tinthoin, (R), op.cit, pp.8- 9.

58

## ج- ساحة نابليون:

في حي نابليون، تمّ قبول فكرة إنشاء ساحة تحمل نفس الاسم، والتي كان من المفترض أن تصبح المكان الرئيسي لوهران بين باب السوق وهيئة الأركان العامة في ذات المكان. وعليه فقد درست هذا المشروع بعناية وتوصلت إلى قناعة مفادها أن هذا المكان ومع التطور الذي اقترخناه لتقدمه؛ سيكون حجمه كبير للغاية مقارنة بالحي الذي يقع فيه. كما أن بعدها عن المركز وصعوبة المناطق المحيطة بها لن تسمح لنا بأن نأمل أن تصبح مكان لالتقاء السكان. وفي الأخير فإن وقوعها بين أرصفة المنازل وحصن شاطوناف سيجعلها تفتقر إلى وضوح الرؤية والهواء؛ ولهذا فقد أرادت الإدارة المحلية نقلها إلى حافة الوادي وجعلها تبدو كما هي للإبقاء على مظهرها مع إضافة جمالية منظر البحر.

لقد نوه جيوت إلى أنه وبالرغم من أهمية هذا التعديل، إلا أنه من الضروري التخلي عنه؛ بناءً على ما أفادته به مفتشيه المبنى وبما سيتطلبه هذا التغيير من مصاريف هائلة من مواد للردم وأعمدة لتثبيت الجدار، لذلك أعطيت أمراً بدراسة المكان الجديد، وقد وصفت ساحة نابليون، والأمور اللازمة من أجل الحفاظ عليها، مع تقليل النفقات، وإيجاد قطع أرضية صغيرة كافية لتسهيل دخول المدينة واجتماع بعض القوات أمام قيادة الأركان العامة. بناءً على ذلك، أطلب من سموكم أن تُوجّل الموافقة التي كنت قد طلبتها منكم بخصوص الموافقة على مشروع ساحة نابليون.

هذه هي أهم النقاط التي بدا لي أنها مرتبطة بالتشخيص العام للمدينة؛ وبمجرد الانتهاء منه، سأركز على المؤسسات العامة المختلفة.

## د- الإدارة الفرعية:

إن المنزل المخصص لفرع وزارة الداخلية، على الرغم من أنه يوفر مساكن قليلة فإنه يكفي في الوقت الحالي. لكن سيكون من الضروري بعد بضع سنوات إعادة بنائه جزئياً على موقعه الحالي، وهو أمر مناسب، خاصةً إذا تم تنفيذه في المكان المخطط له، لأن هذا المبنى سيكون له واجهته الخاصة، و بطاقة استيعاب كافية تتماشى وأهمية النشاط المنوط به<sup>59</sup>.

## هـ- دار البلدية و مقر الدرك :

لقد تمّ إنشاء دار البلدية وقوات الدرك المجاورة للمديرية الفرعية، في نفس المبنى السابق. لكن هذا الأخير قد أُعيد بناؤه في معظمه برعاية بيزورا (M. Pézerat)<sup>60</sup>، وهذا ما يطرح تساؤلات بالنسبة للمستقبل حول الحالة البائسة لجميع المباني التي يشرف عليها هذا المهندس.

## و- الشرطة:

لن تتمكن مكاتب الشرطة، التي تمّ إنشاؤها في جزء من منزل تمّ تأجيرها، من الإقامة لفترة طويلة في الغرفة غير الكافية التي يشغلونها.

## ز- السجن المدني:

السجن المدني مُنجز إلى حد ما وقد يكون كافياً بشكل كبير، حتى أنه سيكون من الممكن تخصيص جزء من هذا المبنى لاستقبال الميليشيات المحكوم عليها بالسجن.

## ح- المستوصف:

على الرغم من أنه تمّ إنشاؤه مؤخراً، وفي أسوأ الظروف حتى أن الأموال التي تمّ جمعها كميزانية لإكمال هذا الانجاز ستكون بالتأكيد غير كافية.

## ط- المستشفى المدني:

لا يوجد مستشفى مدني في وهران، حيث يتم استقبال المرضى (الرجال) في المستشفى العسكري. لقد اقترحت على سموكم في ميزانية عام 1842م إنشاء دار رعاية على الأقل للنساء اللائي لا يمكن قبولهن في المستشفى العسكري، وبالتالي يتعرضون لنقص الرعاية.

## ي- المسلخ:

عند رؤية المسلخ<sup>61</sup> الذي كنت أعرف أن تكلفته باهظة الثمن. فلقد تفاجأت كثيراً، حين وجدته مجرد غرفة كبيرة جيدة التهوية، إلا أنها لا تتوفر على أدنى متطلبات الراحة، ولا يوجد بها حتى مكتب استقبال وهذه النقاط يجب أخذها بعين الاعتبار مستقبلاً<sup>62</sup>.

<sup>60</sup> المهندس بيزورا هو المدير الأول لشركة الجسور والطرق في وهران. أنجز المخطط الأول للمدينة عام 1832.

<sup>61</sup> تقع في ساحة البحرية وتم توسيعها في عام 1842، عند مصب وادي رأس العين.

<sup>62</sup> Tinthoin, (R), op.cit, p.11.

## ك- الأسواق المغطاة:

يوجد بوهران إثنان من الأسواق المغطاة؛ واحدة في حي البحرية والأخرى في منطقة نابليون. على الرغم من أن هذه المؤسسات غير كافية، إلا أن هذه المدينة تمتاز بتوزيع أفضل من أي مكان آخر في الجزائر.

## ل- النافورات:

المياه التي تُمَوّن المدينة وفيرة، ولزيادة حجم إمدادات المياه، من الضروري ترميم قناة رأس العين، التي ستوفر عن طريق التوزيع الجيد، وسائل الري لجميع حدائق الوادي، لكن سيكون من المستحسن أن توافق الإدارة العسكرية على نقل طواحين الكرمة<sup>63</sup> إلى الجزء العلوي منها. هذا من شأنه أن يُعفيها من إنجاز خزانات تقلل من كمية المياه المتاحة للاستهلاك الخاص وتسمح لها باستخدام كل هذه الكمية دون أي خسارة أو ضرر لها أو للمدينة. كما أن النافورات أيضاً نادرة جداً في المناطق الداخلية ويجب مضاعفتها.

## م- الكنيسة (سانت لويس):

تتمتع الكنيسة بمكان جيد، بعيدة عن وسط المدينة، لكن إذا تطورت هذه الأخيرة بالشكل الذي نفترضه، سيكون من الضروري إنشاء فرع على الجانب الآخر من الوادي، نحو ساحة نابليون، لكن حتى في هذه الحالة، فإن الكنيسة الحالية صغيرة جداً.

وقد تحدث فاليوخو عن وجود أربع كنائس كبيرة في معظمها خصصت للرعية، كانت ذات جدران حجرية صلبة إلى حد ما، وأثناء احتلالنا للمنطقة احترام المغاربة وجود تلك الكنائس التي كانت تمثل أماكن مقدسة بالنسبة لنا، كان المبنى الثاني بمثابة كنيسة صغيرة في المستشفى؛ وينتمي الاثنان الآخران إلى دير "آباء الرحمة" و"القديس دومينيك"؛ واحد منها لا يزال قائماً إلى اليوم، والثاني مدمر؛ مثل كل الغرف تقريباً والمباني الخارجية للأديرة المذكورة. كما أن مستشفى سانت دومينيك كان يستخدم كمستشفى لقوات الملك. أما فيما يخص الأجراس فهي مفقودة في جميع الكنائس<sup>64</sup>.

<sup>63</sup> عين الكرمة حالياً هي إحدى بلديات ولاية وهران التابعة لدائرة بوتليليس.

<sup>64</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.333

## ن- بيت القساوسة :

سيكون من الضروري في وقت لاحق تجنب رسوم إيجار باهظة الثمن لنتمكن من بناء منزل لرجال الدين في المدينة، وهذا ما حدث مع كاهن وهران، الذي كان يقيم في مبنى مدرسة (تقع في حي لابلانكا La Blanca) <sup>65</sup>.

## س - المقابر:

لقد عرضوا عليّ مقبرتين لا تتوفران على أدنى مرافق الراحة، ولا توجد بهما حتى أماكن للإستراحة.

## ع- المدارس:

المدارس هي أيضا تمت تسويتها وتحسينها في وقت متأخر جداً، حيث تمّ شراء منزل في حي "لابلانكا" لإنجاز مدرسة ابتدائية، لكن المبنى الذي توجد به المحكمة <sup>66</sup> لم يعد صالحاً للإقامة، فكان يجب نقله إلى مبنى آخر ومبنى المدرسة يبقى مخصص لهذه الخدمة. ومن الواضح أن هذه الوضعية ستكون مؤقتة فقط؛ إذ يجب تقريب المحكمة من وسط المدينة وإنجاز المدرسة في المكان المناسب الذي كان مخصصاً لها.

أما بالنسبة لتعليم الفتيات الصغيرات، فإن مؤسسة سيدات التثليث (des dames trinitaires) <sup>67</sup> - من خلال معاشات التقاعد الحالية لكنيسة القديس لويس- تُلبّي جميع الاحتياجات؛ فهي تحظى بمكان واسع من حيث المساحة، الصيانة الجيدة، كما أنها تتلقى تجهيزات جديدة. ومن المؤسف أن الكنيسة الصغيرة الفسيحة والجميلة التي نعتمد عليها هي أيضاً قريبة من الكنيسة الكبيرة، ولو أنها كانت تقع في الحي المقابل من المدينة، سنكون بهذا قد شيدنا المبنى الديني الثاني، الذي سيكون ضروريا لاحقاً، وبإستطاعته أن يُقدم دعامة مهمة للنشاط الديني بالمنطقة ويكون ذو فائدة أكبر في مكان تواجده.

Tinthoin, (R), op.cit, pp.12- 13.

65

66 شارع باسانو سابقاً.

67 هو نظام ديني كاثوليكي تأسس حوالي 1194م من قبل القديس جان لتخليص الأسرى المسيحيين الذين تمّ أسرهم من قبل المور (المغاربة). وهي أقدم مؤسسة رسمية للكنيسة الكاثوليكية مكرسة لخدمة الخلاص بدون استعمال السلاح واللجوء إلى الحرب، وفي خدمة الجميع، فهي تساعد الأسرى والسجناء بمختلف أنواعهم دون مقابل وتسعى إلى تخليصهم من بين أيدي المور الذين قاموا بأسرهم، عن طريق استخدام ثلث دخلهم لإعادة شراء الأسرى.

## ف- المسجد:

من المهم الحفاظ على المؤسسات الدينية للسكان المحليين. إنه من واجب الإدارة ودليل على السياسة الجيدة. ومن بين هذه المساجد، المسجد الكبير<sup>68</sup> الجميل جداً، لكنه يحتاج إلى بعض الإصلاحات الخفيفة. وقد طلبت مبلغ الأشغال بالتقدير وأكد لي زميلي المكلف بالمالية أنه سيوفر لي الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه الإصلاحات.

## ص- محكمة القاضي:

محكمة القاضي تظهر من الوهلة الأولى بعيدة كل البعد من أن تكون في حالة مُرضية تتماشى والدور المنوط بها كمؤسسة مسؤولة عن تسيير الشؤون المدنية للسكان بالمنطقة.

## ق- الأسواق العربية:

تُقام الأسواق العربية تحت جدران شاطوناف، وهناك قاعة مغطاة، لمبنى بربري قديم، تم تخصيصه للحبوب. كما نفتقر إلى مؤسسة كبيرة مناسبة لهذا الغرض. ولكن سيكون من السهل إنشاء هذا السوق في مكان الفندق القديم الذي يوجد بجانب شاطونوف. ونائب مدير وهران الآن في محادثات حول هذا الموضوع مع مسؤول الهندسة العسكرية ونأمل ألا يتم رفض منحنا الترخيص اللازم للقيام بذلك<sup>69</sup>.

## ر- الرصيف:

من بين أهم النفقات الكبيرة التي تتطلبها المدينة هي صيانة الطرق. وللإشارة فإنه لا توجد آثار للأرصفة في الشوارع، الأمر الذي بدا لي استثنائياً للغاية في مدينة ترك لنا فيها الإسبان آثاراً رائعة بالنظر إلى الأهمية التي يُولونها إلى هذه الملكية والصيانة الكاملة التي قاموا بها خلال تواجدهم بالمنطقة. لذلك، أقترح على سموكم أن تُخصصوا على الأقل في كل ميزانية سنوية صندوقاً خاصاً لهذا الغرض، وسيتم استخدامه عند الانتهاء من إنجاز كل شارع. كل هذه المنشآت مهمة حقاً، فالمنازل تُبنى، من جميع الجوانب ويتم ترميمها، مع رص حجارة الأرصفة على الفور، ثم إن ثمن الجص<sup>70</sup> رخيص مما لا يستطيع تكاليف باهضة للقيام بذلك. كما أننا نصنع طوباً جيداً نجلبه من المرسى الكبير، ويقيى الخشب هو

<sup>68</sup>مسجد الباشا، شارع فيليب، الذي أنجز عام 1716م من قبل الباي محمد الكبير من عائلات فدية العبيد المسيحيين.

<sup>69</sup>Tinthoin, (R), op.cit, pp.13- 14.

<sup>70</sup>الجص: هو نوع من الخامات المتوفرة بكثرة في الأرض وهو أكثر معدن كبريتي منتشر في الطبيعة بأحد شكله المعدني أو الصخري الرسوبي وهو يتداخل مع معدن الأنهدريت (كبريتات الكالسيوم اللامائية) ويتواجد مع الدولوميت والطين والحجر الجيري وهو ذو لون رمادي أو أبيض ويميل إلى الاحمرار في بعض الأحيان وقد يكون وجوده على سطح الأرض أو على أعماق قد تصل إلى 350م.

المادة الخام الوحيدة التي يجب إحضارها من بعيد. وعليه ليس هناك شك في أنه إذا توفرت لنا أسباب ازدهار هذه المدينة على النحو المأمول، فإن نشاط البناء سينتهي بمنحها طابعاً أوروبياً حقاً.

### ش - الميناء:

هذا المكان - المدينة - لا يوجد به ميناء أو أرصفة، وشاطئه يتوفر على رصيف سيء للغاية. كما أن المكان غير آمن لرسو القوارب بسبب تعرضه للرياح الشمالية الشرقية، ولتجنب أي مشاكل تنجم عن هذا، تتوجه القوارب كل مساء لترسو في المرسى الكبير. والرصيف الذي شكله البحر صغير ويسيطر عليه بالكامل جبل وقلعة سان غريغوري؛ هذا الشاطئ لم يتم به بناء أي متاجر أو منازل أو ملاجئ وبالكد نستطيع رؤية بعض المباني القليلة المستخدمة لإيواء قائد الميناء ( Capitaine du Port) والبعض الآخر مخصصة لحماية الحراسة القريبة من المكان، مع وجود أربعة حظائر كبيرة يمكنها أن تستوعب 300 حصان لإيواء أفواج فرسان وهران<sup>71</sup>.

### ت - الأرصفة البحرية:

يمكن اعتبار التجارة بالنظر إلى أهميتها من أقوى الأسباب الدافعة لإنجاز الأرصفة البحرية، لذلك يجب على الإدارة أولاً وقبل كل شيء السعي لتوفير وسائل أسهل وأكثر أماناً لإفراغ منتجاننا وشحن منتجات السكان الأصليين، وعلى الرغم من أنه من النادر أن ترسو السفن في وهران؛ حيث يتم الشحن والتفريغ في ظل أمان نسبي خلال السنة على شاطئ صغير لا توجد به مساحة كافية لتوصيل المواد الغذائية والطرود، ومن المؤسف بنفس الوقت وجود ازدحام كبير على طريق المرسى الكبير الذي يمر بالمدينة في هذه الزاوية، كما يهيمن على الشاطئ تل جبل عالٍ توجد به محلات قديمة ومن الضروري أن يمتد على الساحل المقابل للبحر، وقد بدأنا العمل لهذا الغرض. ومن الملاحظ أن هناك امتداد طويل جداً من رصيف المراكب الإسبانية المسمى رصيف "سانت ماري Sainte Marie"<sup>72</sup>، لكن من الواضح أنه لم يتم بناؤه لتسهيل عمليات التفريغ، لأنه محمي من جهة الساحل البحري حيث لا يسمح بالاقتراب، وهو على ارتفاع ثلاثة (3) أمتار فوق مستوى سطح البحر، ويبدو أنه كان يهدف إما لدعم

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, p.334- 346.

71

72 إل بويرتو دي سانتا ماري، (بالإسبانية: El Puerto de Santa María) وهي مدينة تقع في مقاطعة قانس التابعة لمنطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا.

الأرض أو لتشكيل جسر أمام المباني الإسبانية الرائعة حيث يتم التعامل مع المنتجات. وبناءً على ذلك، فقد أصدرت أوامر ببداية نشاط الرصيف، وفق لما تسمح به ميزانيتنا<sup>73</sup>.

### ث- الجمارك الجديدة:

سيكون البناء المقترح للجمارك على الرصيف في الزاوية البحرية فهو المكان الأنسب لذلك وفي حال موافقتكم سيتم دراسة المكان.

وفي الأخير وقبل الانتهاء من الملاحظات المتعلقة بوهان يجب الإشارة إلى قساوة كافة جوانبها، حيث يتم تجريد الجبال المجاورة لهذه المنطقة التي أُدرجت ضمن الخندق الذي أنشأه الجنرال لاموريسيار لوضع قبيلة الدواير<sup>74</sup> (Douairs) والزماله<sup>75</sup> خارج الجدران القديمة لجعل المكان في مأمن من هجمات العدو. ويمكن اعتبارها من ضمن الأراضي التي تمت إزالتها على أنقاض التحصينات القديمة التي تظهر هنا وهناك في المدينة، وسيكون من الجيد أن تُنمى ثقافة إعادة إحياء هذه الأراضي التي ولربما مع القليل من الاهتمام، ستستفيد من كل ما تقدمه المدينة عادة لأراضيها. وعليه يمكن القول أن عبقرية العسكرية قد سمحت بالتخلي عن سياسة نزع الأسوار المهدامة والتي تبدو عديمة الفائدة، وجعلها أكثر ملاءمة وهذا ما يظهر لنا من خلال ترميمه للقصبه القديمة<sup>76</sup>.

### خ- محيط وهران:

لم يبق لي إلا أن أتحدث عن محيط وهران، فبصرف النظر عن بعض الثقافات العسكرية في المنطقة المجاورة لحي الفرسان الجميل بالقرب من هضبة كارجينطة، بالقرب من الوادي الأبيض، وبعض

Tinthoin, op.cit, pp.14- 15.

73

<sup>74</sup> قبيلة دوار الدواير: تتكون من حوالي 11300 شخص، ومن عروشها: أولاد قبزة، أولاد سيدي الحمادي... الخ.

<sup>75</sup> قبيلة زماله اليوم الونازرة قديماً (المعروفين بـ "أولاد التل" نسبة للتل -هضاب- الوهراني الممتد ما بين وهران ومعسكر)، ويعود أصل التسمية الحديثة للعهد التركي، وكان عدد المنتمين إليها في حدود 6700 شخص. الونازرة: وهي التسمية القديمة لقبيلة الزماله الوهرانية: نسبة لوزار بن عبد الله بن سغير بن عامر الزغبي كانت مساكنهم في العهد العثماني بوادي سنان بنواحي تموشنت من مزارع أولاد خالفة ثم تحالفوا مع الدولة العثمانية وصاروا من مخزنها (جنودها) فانتقلوا وسكنوا بالجبل المطل على وهران قبلتها من نواحي تمزوغة واستقروا بملاحة جبالا ووطاً وعمروا الأراضي الوهرانية وتصرفوا فيها بما شاءوا فالونازة هم من تسموا بالزماله في العهد التركي بعدها تحالفوا مع إخوتهم من قبزة فهم ونازرة العبدلاويون، وأهم عروشهم اليوم إلى: المخاليف والقدادرة والقرابدية (المعايزية)، والوراددية والمخاترية واليساسفة والشوايلية. ومعهم أولاد سيدي شحمي، أولاد سيدي معروف... الخ

Tinthoin, op.cit, p.16.

76

الحدائق التي تتشكل هنا وهناك، فإن ما نلاحظه هو أن الأرض قاحلة وغير مزروعة تقريباً. وعليه سأقتصر على الإشارة إلى الطريق المؤدي من هذه المنطقة إلى المدينة والتي كانت مزارعها ناجحة إلى حد ما.

### خ-1- الطرقات:

بالعودة إلى المرسى الكبير، تمكنت من معاينة الطريق الذي يربط هذا المكان بمدينة وهران. لكن من المؤسف أنها ضيقة، يمر بها نفق بطول 50 متراً. وبالإضافة إلى هذا فإن صيانتها من الاختيارات الأرضية التي يتم تجديدها كل شتاء يتطلب مصاريف أكثر لذا نرجوا من صاحب الجلالة أن يخصص لها جانب في كل ميزانية.

### خ-2- المياه الحارة (المعدنية):

إن المياه الحارة التي تستغلها مؤسسة حمامات الملكة، والتي تجتمع في هذا الطريق، تستحق اهتمامنا، فالحوض الذي تم إنشاؤه في المكان قديم جداً. وقد تمّ تطهيره مع تركيب مضخة وحمامات. وتنقسم هذه الينابيع إلى قسمين وذلك من حيث أن أحدها أكثر حرارة من الثاني.

كما يوجد بها فندق صغير، يُعتبر بمثابة المأوى للمرضى الذين يرتادون تلك الحمامات. أما فيما يتعلق بالإدارة العسكرية؛ هذه الأخيرة التي مُنحت لها العديد من التسهيلات داخل هذه الحمامات، فإنها حتى الآن لم تُقدم أي تعويضات لصاحبها، هذا الأخير الذي يجب علينا تشجيع جهوده ونُحشى أنه لن يجد من المرضى المدنيين أجراً كافياً لعمله المفيد لفترة طويلة وهذا ما سيثقل كاهل المسؤولية الملقاة عليه لتقديم خدمات أرقى<sup>77</sup>.

### 2- المرسى الكبير:

#### أ- القرية:

بنية قرية المرسى الكبير على هضبة صخرية، ما جعلها تعاني من سوء التنظيم، لكن يمكن تجاوز هذا إذا ما لقيت الدعم المادي من طرف السلطات. سكناتها فوضوية ومبعثرة وغير منتظمة، وقد يكون من بين أسباب ذلك كما ذكرنا آنفاً طبيعة المنطقة الصخرية الهضبية، وعليه سيكون من الصعب أن

Tinthoin, (R), op.cit, pp.16- 17.

نفهم كيف أمكن للسكان وأن قرروا إنشاء منشآتهم على هذه الصخرة شديدة الانحدار وأن يصارعوا بمواردهم الخاصة البسيطة صعوبات مثل هذه، يجب أن نشعر بالأسف خاصة وأن مثل هذه الجهود النشطة لم يتم دعمها وتوجيهها. لقد حان الوقت إذن لاستعادة ولو قدر ضئيل من التماثل في مثل هذه الأماكن وجعلها أكثر ملاءمة.

#### ب- الشرطة:

تبدو لنا هذه البلدة الصغيرة والتي يتألف معظم سكانها من الإسبان، الأكثر تعقيداً وتنظيماً، وذلك بحكم ما توفره الشرطة من نظام والذي جعلها تبدو أفضل من النقاط الأخرى التي تتوفر على ظروف أكثر ملاءمة.

#### ج- المنارة:

سأشير هنا إلى "منارة المرسى الكبير"، لأن هذا البناء الجميل يرجع إلى أكورت ( M. Aucourt) وفقاً لبعض الرسومات والمخططات التي وضعها المهندس بيزيرات، والتي زُرّتها بارتياح حقيقي. لقد نظرت، معالي الوزير، إلى أشياء مختلفة تتعلق بمستقبل هذا الميناء وذلك بإنشاء المستودع الذي نحتاجه<sup>78</sup>.

#### د- المستودع المؤقت:

لن أتوقف عند المستودع المؤقت الذي يتم إنشاؤه حالياً بناءً على متطلبات التجارة من خلال رعاية اتجاه التموين في جزء من الميناء المخصص لهذه الوجهة، حيث ستكون المتاجر الكبيرة إلى حد ما على ارتفاع 30 متراً على الأقل من الشاطئ؛ ولا يمكن أن تصل الحمولات إلى هناك إلا بواسطة الرافعات القوية، وعليه فالتداول الداخلي سيكون صعباً للغاية. هذا المشروع هو بالتالي دليل كبير على حسن نية الإدارة التي لم تستطع القيام بعمل أفضل، وستكون التجارة ممتنة لها، على الرغم من أن نسبة

30% من التكاليف هي ناجمة عن الحاجة إلى إرسال الحمولات الخاصة إلى مستودع وهران ثم استعادتها من جديد. وإلى جانب ذلك كله، كما قلت، فإن هذه المؤسسة ستكون مؤقتة<sup>79</sup>.

وقبل الوصول إلى التساؤل النهائي حول المستودع، إليك شيئا ينبغي أن أشير إليهما بشكل خاص على أنهما متصلان به:

### د-1- الرصيف:

أولاً، يجب بناء رصيف في المرسى الكبير، على الرغم من أن المستودع يجب أن يكون بعيداً على السكان وحركتهم وفي نقطة بعيدة كل البعد عن القرية الحالية. خاصة وأن هذه القرية تقع على حدود الجهة الأفضل للمرسى، وعليه فإن المنشآت البحرية ستبقى هناك حتماً ومعها البحارة والركاب والكثير من البضائع، هذا ما ولد تداول ونشاط كبير؛ في المقابل مساحة ضيقة، ولذا يجب فتح هذا المكان على البحر وعلى الصخرة معاً.

### د-2- المياه:

ثانياً، يفتقر المرسى الكبير إلى الماء. نافورة واحدة موضوعة على طريق وهران، وبالكاد توفر 1000 لتر من الماء لكل 24 ساعة. السفن الراسية في الميناء بحاجة لإرسال قواربها ل جلب الماء إلى وهران، ومن خلال هذا حاولت معرفة ما إذا كان من الممكن تلبية هذه الحاجيات بتكاليف أقل، وذلك باستخدام ما تتوفر عليه العديد من الجبال المجاورة. لكن من غير المحتمل أنها يمكن أن تكون كافية تماماً، ونخشى أن يكون من الضروري محاولة جلب مياه قنوات نهر وهران إلى المرسى الكبير. ومع ذلك، يمكن أيضاً تحسين النافورة الحالية؛ والحوض الإسباني الرائع ليصبح في حالة جيدة تُمكن من جعله خزاناً بطاقة استيعاب كبيرة، لجمع وتخزين مياه الجبال<sup>80</sup>.

Tinthoin, (R), op.cit, p.19.

Ibid, pp.19- 20.

79

80

## هـ- المستودع:

على خط المواجهة في تجارة التهريب- التجارة الممنوعة- التي نريد الترويج لها والتي ستجعلنا حتماً نتخلى عن جبل طارق عندما نجد الإمدادات والمرافق الكافية لها في المرسى الكبير.

لم يستأثر جبل طارق وحده بالسماط الطبوغرافية التي تحوّل له أن يكون فعلاً بوابة البحر الأبيض المتوسط، فقد كان المرسى الكبير بدوره مركزاً حساساً لمراقبة أو تهديد السواحل الغربية من الحوض الغربي، إضافة إلى اعتباره حلقة وصل ما بين شبه الجزيرة الأيبيرية والساحل الإفريقي وداخله<sup>81</sup>، وعن هذه الوضعية يورد أبرا (Gonzalo Ayora) قائلاً أن: "المرسى الكبير به بطحاء جدّ قوية وكبيرة، ذات قيمة كبرى لجلالتكم ولفتح إفريقيا، وحسب اعتقادي يتطلب من جلالتكم ترتيبها في مصاف المراكز الأولى، إذ كان جبل طارق بكل ما يملكه من وسائل لفتح إفريقيا وأمن إسبانيا... فنفس الغرض والأسباب تجعل المرسى الكبير في المقدمة، فبواسطته يتم فتح نصف الشمال الإفريقي، وضمان كامل أمن إسبانيا تقريباً".

بصرف النظر عن هذه التجارة، فإن المستودع، ومن خلال ما يوفره من بضائع للسفن التي لا تُعد ولا تحصى والتي تعبر المضيق، ستجعل من جبل طارق وقادس (Cadix)<sup>82</sup> قائمان على المنافسة نفسها التي أصبحت من خلالها هذه المدينة الأخيرة ميناء حراً، وأصبح الأول مع الكثير من المزاي، يقدم لتجار وهران الدعم لتجربتهم.

من أجل تحقيق الفائدة التي ستأتي من تجارة التهريب، وبعبارة أخرى، التهريب من وهران؟ ليس لصالح السلع الإنجليزية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل ينبغي لنا تشجيع التجارة الإنجليزية، وأن نقوم بشيء ما دون أن نكون حذرين كل الحذر، وهل يمكننا أن نعتبره مهيناً للقانون الدولي؟ شمال إسبانيا يقاتل معنا ضد غزو المصانع الإنجليزية ويدافع عن نفسه ضد التهريب وسوف نتحالف بشكل ما ضد كاتالونيا (Catalogne)<sup>83</sup>. نحن في الواقع نؤيد التهريب، على الرغم من مبادئ القانون الدولي

<sup>81</sup> Marmol, Earvajal, Descripcion de Africa, Réal Académia la historia, Madrid, 2parte, p.203.

<sup>82</sup> جزيرة بالاندلس عند طالقة من مدن إشبيلية، وطول الجزيرة 12 ميلاً. الحميري، المصدر السابق، ص 448-449.

<sup>83</sup> هي منطقة تقع في أقصى شمال شرق شبه إسبانيا. تبلغ مساحتها 32.106 كم<sup>2</sup>.

ولمصلحة العدو. في الحقيقة، وعلى الرغم من أن المروجين والمؤيدين للمشروع قد يُخفون، لكن ألا تشكل منتجات هذه التجارة غير المشروعة الجزء الأكبر من آمالهم؟ وبغض النظر عن ذلك، بدا لي أن هذا السؤال يستحق أن يطرح ويخضع لتقدير الحكومة. وأنا أود أن أكون مخطئاً وأن تكون فكرة إنشاء مستودع لها ما يبررها من مزايا أخرى.

إن أي شيء يتعلق بشروط ممارسة الأعمال التجارية لا يقع ضمن واجباتي، وسأتعامل مع هذه المشكلة فقط لتقديم ملاحظة بسيطة حول ما أعتقد أنني أعرفه عن النظام الذي يجب على زميلي اقتراحه. سيتألف هذا النظام، إذا تلتقت تعليمات جيدة، من عزل المستودع بالكامل عن الإقليم وجعله محاط بحاجز من الجدران، بحيث يشكل نوعاً من الأرض المحايدة حيث ستمارس التجارة بحرية تامة؛ وحتى خطها الجمركي لن يوضع إلا في الخارج. وقد يتساءل المرء ما إذا كانت المدينة والخزينة لن يعانوا من هذه المجموعة من الأحكام<sup>84</sup>.

وفي الأخير يمكن القول أنه قد تمّ تحويل وهران إلى محور للتوحيد المسيحي الإسباني في شمال إفريقيا، حيث تمّ فيها تحويل العديد من النظم الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، والدينية التي أقامها الملك الكاثوليكي للمدن الإسلامية التي تمّ احتلالها وطرد المسلمين منها، كما تمّ تحويل المرسى الكبير إلى مركز رئيسي للدفاع عن التواجد المسيحي الإسباني المقام بواسطة العديد من المراكز حيث تمّ تحصينه وحول إلى مدينة مسيحية تدافع عنها العديد من الحاميات من خلال بناء قصور وقلاع وفقاً لأحدث التقنيات العمرانية للتحصين، كما أوجدوا نظاماً دينياً وهياكل إدارية واقتصادية، كل هذه الأعمال ساهمت في الاستقرار السكاني للإسبان بالمنطقة<sup>85</sup>.

ومن هنا جاء اهتمام الباحثون والمستشرقون بالبحث عن المصادر والتأثيرات التي عرفتها فنون الجزائر وعمارتها، فالبحث عن المصادر يُعد أهم شيء في دراستهم، وهذا ما حملهم على القيام بمقارنة عناصر العمارة والزخارف في الفنون السابقة للإسلام. فمن الواضح أن العديد من هؤلاء الباحثين والمستشرقين يُعدّون الجزائريين مدينين قبل كل شيء للحضارات السابقة لهم، وهي نظرة كانت سائدة

Tinthoin, (R), op.cit, pp.20- 21.

84

Garcin, Jean-Claude, Grandes Villes Méditerranéennes du Monde Musulman, Collection de l'école Française de Rome, 2000, pp.252-254.

85

خاصة خلال فترة احتلال الوطن العربي من قبل القوى العظمى، وتعد هذه الآراء، بالطبع، إحدى العناصر الأساسية لتبرير وجود الاحتلال الغربي<sup>86</sup>.

وفي ختام هذا الفصل خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات:

- أنه ومع اشتداد حركة التنافس الاستعماري في مطلع القرن السادس عشر، اشتدت الغارات الاسبانية على مدينة وهران لتدخل بذلك المدينة حقبة تاريخية جديدة من السيطرة الاسبانية عليها زهاء ثلاثة قرون ما ساهم في تغيير بنيتها السكانية وغطها العمراني.

- يتضح لنا من خلال استعراض الاستحكامات العسكرية بوهران والمرسى الكبير، من أسوار وأبواب وقلاع وحصون وأبراج، بأن المدينة محصنة بوسائل دفاعية مستحدثة يصعب اختراقها ودخول المدينة ومينائها خاصة في أوج قوتها وتألقها الحضاري، ومن جهة أخرى توحى هذه الاستحكامات بمدى تقدم العمارة العسكرية بالمدينة من حيث تخطيطها ومواد بنائها وإستراتيجية إقامتها وطريقة الاتصال بين الحصون والقلاع والتي من دون شك رافقها تطور استعمال السلاح الدفاعي آنذاك.

- تكشف لنا الآثار الدفاعية التي ما تزال قائمة في وهران على تطور الأساليب الدفاعية والهجومية عبر حقب متعاقبة ومدى الاهتمام الذي كانت تحظى به في الذاكرة الغربية.

- إن نظرة الكثير من المستشرقين اتفقت على إنكار أي فضل للجزائريين في التأثيرات التي عرفتها فنون العمارة في المنطقة، وجردوهم من كل حس فني، أو استنباط معماري.

- إن التواجد الاسباني في وهران لمدة طويلة ساهم في تغيير النمط العمراني بها فبعدما كان تقليدي ذو طابع إسلامي أصبح عصري ذو طابع أوروبي. يغلب عليه الطابع العسكري الدفاعي التحصيني في أغلب الأحيان فأصبحت مدينة تشبه المدن الإسبانية العريقة.

- يعتبر التوسع الإسباني في الجهة الغربية من المغرب الأوسط وإقامة القلاع والحصون والاهتمام بشكل أكبر بالهندسة العسكرية؛ جزءاً وخطوة أولى لإستراتيجية توسعية إسبانية توضع في أولى اهتماماتها مدن

<sup>86</sup> يؤكد مثلاً (ج. مارسيه) على أن الفن الإسلامي مدين بالكثير للفنون التي سبقته. ينظر:

Marçais, (G), L'art Musulman, P.U.F, 1962.

وموانئ المغرب الإسلامي لتتمكن من التوغل نحو الداخل والتحكم في التجارة الإفريقية وبالتالي تحقيق حلم الإمبراطورية المسيحية الكاثوليكية التي يتمناها الإسبان وتباركها البابوية الرومانية.

- وكونه نتاج رد فعل قائم على الانتقام لم يعتمد الاحتلال الإسباني بالقدر الكافي على دراسات مسبقة ومتأنية مبنية على أساس دراسة تلك المناطق من حيث جغرافيتها، سكانها، الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها، وما كان بمثابة العثرات بالنسبة للاحتلال الإسباني في المنطقة تداركه الاستعمار الفرنسي بعد نجاح الحملة سنة 1830م.

## الفصل السادس:

### الأستغرافية الإسبانية والفرنسية حول الاحتلال في وهران والمرسى الكبير (1505-1792م).

أولاً- احتلال المرسى الكبير 1505م.

ثانياً- الاحتلال الإسباني الأول لوهران عام 1509م.

ثالثاً- الحملات الإسبانية خلال المرحلة الأولى من الاحتلال (1505-1732).

رابعاً- الغارتان اللتان شنهما إسبان وهران في القرن 16م.

خامساً- محاولات تحرير وهران والمرسى الكبير.

1- محاولة عام 1563م.

2- محاولة عام 1708م.

ساساً: الاحتلال الإسباني الثاني لوهران عام 1732م.

سابعاً- ملاحظات ووثائق حول استيلاء الإسبان على وهران في عام 1732م.

ثامناً- استعادة الإسبان لوهران عام 1732م.

تاسعاً- طبيعة الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير.

عاشراً- وثائق جديدة حول تاريخ الاحتلال الإسباني في إفريقيا.

إحدى عشر- مناطق السيادة الإسبانية في إفريقيا.

إثنا عشر- نظرة تحليلية عامة حول الدراسات المنشورة في المدونتين.

لقد شكلت مدينة وهران ومينائها بفعل ماضيها المتمثل في كونها مركز قوة أستعمر لأكثر من ثلاثة قرون من طرف قوة غربية تمثلت في إسبانيا في الفترة ما بين (1505 - 1708م)، ثم (1732 - 1792م)، موضوع عدة دراسات وصفية قام بها مراقبون أوروبيون: رحالة، وعسكريون، وأسرى، وعلماء الطبيعة، ورجال الدين، وقناصل... الخ، من أمثال: ليون الإفريقي (Léon l'Africain) (1550م) لويس مارمول كاربخال (Louis Marmol- Caravajal) (1573م)، ديبغوا سواريز كورفين (Diego Suarez Corvin) (1664م)، الماركيز دي لاقاناز (Marquis de Léganés) (1665م)، دون بيدرو دي كويبا (Don Pedro de la Cueba) (1732م)، دون أنطونيو كلاريانا (Don Antonio Clariana) (1733م)، دون ألونسو كاماشو (Don Alonso Camacho) (1774م)، جون بيسونال (Jean Peysonnel) (1694 - 1759م)، روني لويس ديسفونتان (René- Louis Desfontaines) (1750 - 1833م)، توماس شو (Thomas Shaw) (1691 - 1794م)، دون لويس رويال (Don Luis Roèl) (1789م). ولم يغفل أي منهم الإشارة، في رحلاته، إلى الأهمية الإستراتيجية لهذين الموقعين.

لقد جاءت المجلة الإفريقية ونظيرتها النثرية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران في القرن التاسع عشر لتنتشر أعمالاً كثيرة لباحثين بمختلف التوجهات والتخصصات، درسوا مختلف جوانب تاريخ الوجود الإسباني ومؤسساته في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة، وكذا الشخصيات التي كان لها دور فيه، والذين رسموا خرائط للمدن المحتلة وأنجزوا أعمالاً حول حكامها الإسبان وحول الحملات التي شنت لإخضاعها. وهذا الاهتمام لم يقتصر على فترة معينة من عمر المجلتين وإنما استمر في التدرج زمنياً خلال النصف الثاني من القرن 19م وحتى منتصف القرن 20 تقريباً، وعالجه مؤرخون من مدارس مختلفة من أمثال: بيربروجر، كازيناف، بروديل، ساندوفال (SANDOVAL)، برمودي، قوين، وغيرهم<sup>1</sup>.

وإذا كان الاحتلال في حد ذاته قاسماً مشتركاً بين هذه الدراسات فإنها اختلفت من حيث مواضيعها، فمن الحملات العسكرية إلى المؤسسات ومناطق السيادة الإسبانية بالمنطقة مروراً بمحاولات

<sup>1</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: الملاحق من (1) إلى (10) من الدراسة.

استعادة وهران عام 1732م وحكامها خلال المرحلة الاستعمارية كلها، والعلاقات التي جمعت الدولتين الفرنسية والإسبانية من خلال القنصلية الفرنسية بوههران<sup>2</sup>.

### أولاً- احتلال المرسى الكبير 1505م:

لقد تضاربت الآراء وتناقضت التسجيلات التاريخية حول تاريخ انطلاق الحملة من الساحل الإسباني، وكذا حول تاريخ وصولها إلى المرسى الكبير، بل وحتى في تاريخ حدوثها، وسنحاول أن نورد بعض الوقائع محولين في نفس الوقت التركيز على الاقتراب من تحديد موعد إبحار الأسطول الإسباني، إضافة إلى تاريخ وصوله إلى سواحل وهران.

كان يوم 3 سبتمبر 1505م هو تاريخ إبحار الأسطول من قاعدة كانتال دي فازميليانة (Cantal Vezmeliana) حسب ساندوفال، بالقرب من مالقة متجهاً صوب المربة<sup>3</sup> (Almería)<sup>4</sup>، ثم منها القرب إلى الصواب إذا ما اعتمدنا أصلاً على شهر سبتمبر كقاسم مشترك يجمع مختلف الروايات التي تتخذه كزمن رئيسي لبداية الانطلاقة، إضافة إلى تعيينه القاعدة البحرية القريبة من مالقة ألا وهي "كانتال"، على نقيض مالا نجد في مختلف الروايات المذكوراً، إذ يجمع رأي المؤرخين على "مالقة" لا غير، دون تحديد لهذه النقطة الساحلية الهامة، بينما تبدو وجهة الاختلاف في عملية

<sup>2</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

Pestemal Djoglou, (A), Le consulat français..., op.cit, R.A, N°86, 1942, pp.220- 254.

<sup>3</sup> المربة: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس وكانت هي وبجانبه باقي الشرق، منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب. ينظر: محمد أحمد، أبو الفضل، تاريخ مدينة المربة في العصر الإسلامي: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، 1966م، ص 31.

- الحميري، المصدر السابق، ص 537- 538.

<sup>4</sup> SANDOVAL, "Oran sous les Espagnols, Expéditions et razzias", in: R.A, N°13, 1869, p.100.

الإنزال بالنسبة للمكان، إذ تمت هذه العملية بساحل الأندلس وليس كاب فالكون ( Cap Falcon)<sup>5</sup>.

كما يذكر ساندوفال أن الأسطول خرج من مالقة يوم 3 سبتمبر 1505م، ونتيجة للرياح المعاكسة لم يصل إلى المرية إلا بعد ستة أيام (أي يوم الثلاثاء 9 سبتمبر) لشحن حامية أراغونية<sup>6</sup>، ليصل منها- أي المرية - إلى ساحل الأندلس في اليوم الثاني، أي 11 سبتمبر وهو التاريخ ببضعة أيام وفي نفس الشهر<sup>7</sup>، واعتقد أن مرد ذلك راجع أساساً إلى اتخاذه - المرية- بدلاً من مالقة قاعدة الإبحار لأنه يبدو من خلال ما استعرضناه أن الأسطول حلّ بالمرية فعلاً في اليوم التاسع إذ ما اعتبرنا الفترة الزمنية التي استغرقتها المسيرة الساحلية الأولى والمقدرة بستة أيام، يضاف إليها الأيام الثلاثة الأولى أي 3 سبتمبر وهو تاريخ بداية الإبحار من كانتال، بينما يتفق مع سابقه بالنسبة لفترة حصار المرسى الكبير التي استغرقت زهاء خمسين يوماً وتاريخ الاستيلاء ألا وهو 23 أكتوبر وعن ذلك، يستطرد قائلاً: " بعد غارة قراصنة المرسى الكبير على سواحل أليكانت<sup>8</sup> وألشي، ومالقة في ربيع 1505م يدخل الإسبان حلبة الصراع، فيتمكن الأسطول الإسباني من الزحف على المرسى الكبير خلال شهر، ونصف أي من 9 سبتمبر حتى 23 أكتوبر".

<sup>5</sup> يقع شاطئ كاب فالكون في بلدة عين الترك بولاية وهران، وعلى مسافة قصيرة غرب الساحل الغربي لخليج وهران، في أعلى نقطة في الرأس، يمكنك رؤية منارة كيب فالكون، التي بنيت في وقت الاستعمار الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشر بواسطة مهندسي الجسور والطرق روبن وديناميل. يبلغ ارتفاع المبنى 28.70 متراً، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 104 أمتار، كما يبلغ مدى الضوء 34 ميلاً بحرياً (حوالي 54 كيلومتراً)، وهي حالياً واحدة من أهم المنارات في وهران وأحد المنارات الخمسة المسؤولة عن مراقبة ساحل وهران. حول الموضوع، ينظر:

SANDOVAL, (Général C-X. De), Les inscriptions d'Oran de Mers-el-Kébir, in: R.A, 1872, N°16, pp.278-291.

<sup>6</sup> أراغون، هو اسم بلاد غرسية بن شانجة يشمل على بلادٍ ومنازل وأعمال. تقع في شمال شرق إسبانيا. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 27.

<sup>7</sup> SANDOVAL, "Oran sous les Espagnols...", op.cit, R.A, p.102.

<sup>8</sup> أليكانت (Alicante)، مدينة تقع في شرق إسبانيا، وهي عاصمة مقاطعة لقنت التابعة لمنطقة بلنسية. وهي أيضاً ميناء تاريخي في البحر المتوسط، عرفت باسم لقنت أو اللقنت أيام الحكم الإسلامي لها.

## والمرسى الكبير

وفي خضم حديثنا عن غزو المرسى الكبير، نجد دييغو سواريز تائهاً في خضم التناقضات، وفي فوضى من حيث الترتيب لبعض التواريخ بالنسبة للمؤرخين الإسبان الأساسيين الذين يذكرون أن الغزو تمّ أيام 13 سبتمبر أو 23 أكتوبر 1505م، وحسب رأيه فإن الهجوم الإسباني على المرسى الكبير "حدث يوم الإثنين 13 جويلية 1505م وفي الغد أي 14 جويلية احتل الأسطول المدينة، إلا أن ذلك بعيد عن جادة الصواب حتى إذا اعتمدنا في تحليلنا وركزنا على ما أورده المؤرخ بيليسي (Pélissier)<sup>9</sup> مثلاً عن تقرير إسباني مترجم إلى الفرنسية أن "الأسطول الإسباني غادر مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505م ... ووصل أمام المرسى الكبير يوم 11 سبتمبر". إذن كيف يُعقل أن يكون تاريخ الإبحار هو 29 أوت وإقامة القديس بمسجد المدينة الذي حوّل إلى كنيسة القديس ميخائيل<sup>10</sup> يوم 15 جويلية، أي قبل تاريخ الإبحار، وفي فترة زمنية متأخرة نوعاً ما، نجد أن الاحتلال الفعلي للمرسى الكبير كان بتاريخ 23 أكتوبر فعلاً، في حين يركز كاميل كيل على تاريخ رسوا الأسطول بساحل المرسى يوم 13 سبتمبر دون الأخذ بعين الاعتبار تاريخ الإبحار من الساحل الإسباني<sup>11</sup>. وفي خضم كل هذا الاختلاف في تحديد تاريخ انطلاق ووصول الحملة، هناك من اختلف معهم حتى في سنة انطلاقها من أمثال دو فولكس والحاكم العام لوهران فاليوخو<sup>12</sup>، حيث يرى هذين الأخيرين أن انطلاق الحملة كان سنة

<sup>9</sup> إيمانيل جان جاك بيليسي (Aimable Jean Jacques Pélissier)، دوق مالكوف (Malakoff)، وهو جندي فرنسي أصبح مارشال فرنسا، ولد في 6 نوفمبر 1794م في ماروم وتوفي في الجزائر العاصمة في 22 ماي 1864م. قائد مدفعية الحرس الملكي، عمل في هيئة الأركان العامة عام 1819م وشغل مرات عديدة وظائف مساعد المارشال. شارك في غزو الجزائر عام 1830م وظهر بعد ذلك بخمس عشرة سنة برتبة رائد في ولاية وهران. تمت دعوته إلى شبه جزيرة القرم لتولي قيادة القوات الفرنسية هناك، وقد تمّ تعيينه مارشال فرنسا بعد سقوط سيستوبول في 12 سبتمبر 1855م. لقب دوق مالكوف كمكافأة على هذا الانتصار، شغل بيليسي مناصب عديدة في ظل الإمبراطورية الثانية قبل تعيينه حاكماً عامًا للجزائر عام 1860م. وتوفي أثناء ممارسة مهامه في الجزائر، 22 ماي 1864م.

<sup>10</sup> SANDOVAL, "Oran sous les Espagnols..", op.cit, R.A, p.105.

<sup>11</sup> Diego, Suarez, "Histoire de 1 Maestre ultimo que fue de Monteza y de su hermano don felipe de borja, Capitanes en las plazas de Oran y Mazalquivir, reynos de Ténez en Africa".

<sup>12</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر:

- Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.347.

1506م، وقد حدد دو فولكس تاريخها بيوم 25 أوت 1506م، واتفق معهم فيما يخص الانطلاق من قاعدة الإبحار مالقة مروراً بالمرية<sup>13</sup>.

### ثانياً- الاحتلال الإسباني الأول لوهران عام 1509م:

سنتحدث في هذا المقام عن ترجمة<sup>14</sup> قام بها دو فولكس لمخطوطة إسبانية تتضمن مخطط لوهران عام 1509م. وقد أشار دو فولكس في آخر مقاله إلى أن صاحب هذه المخطوطة هو السيد دون جوزيف ميغال دو فلوريس (Don Joseph Miguel de Flores)<sup>15</sup>، والتي تم العثور عليها بمدريد من قبل أنطونيو رامون دو فالي (Antonio Ramon de Valle).

استهل صاحب المقال حديثه عن كيفية حصول الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران على هذا المخطط، تحت عنوان: "خريطة طبوغرافية لوهران (القلاع الحصون، الأبراج... إلخ)، مقدمة من قبل الرائد أورتييس دو زوقاستي (Ortiz de Zugasti) - قنصل القسم الإسباني الأول في وهران آنذاك - متبوعة بوثائق توضيحية تشرح بدقة موقع كل من حصن سانتا كروز ووهران.

وبالنظر إلى عنوان المقال -مخطط لوهران- يتبادر إلى الأذهان أنه ربما سيتناول هيكل المدينة وما تحتويه، إلا أن الدراسة اهتمت أكثر بالاحتلال الأول والثاني لوهران، مع سرد كرونولوجي موجز لبعض محاولات تحريها، متناولاً بذلك المحاولات الإسبانية الأولى لاحتلال وهران بداية بحاكم المنطقة دون ديبغو

<sup>13</sup> De Foulques, (L), Bibliographie: "Le Plan D'Oran en 1509", in: B.S.G.A.O, T4, 1884, pp.122- 123.

<sup>14</sup> Ibid, pp.122- 124.

<sup>15</sup> خوسيه ميغيل دي فلوريس ولا باريرا ولد في روتا في 15 أبريل 1724م، وتوفي في مدريد في 23 فيفري 1790م، مؤرخ وصحفي إسباني من عصر التنوير. حاصل على شهادة في القانون المدني، محامي لدى محكمة إشبيلية 1744م، تم قبوله في مدريد عام 1748م وكان حاكم دي إستانبا 1751م، المستشار العام للجيش ومستشار قيادة مدريد عام 1773م ومؤتمر الجزائر في 1775م، عضو في مجلس الملك وقائد المجلس والمحكمة منذ عام 1786م. أكاديمي إسباني عضو وسكرتير دائم في الأكاديمية الملكية للتاريخ (1769-1789م). كانت له عدة مؤلفات حيث تم تحرير "العادات النقدية (1763-1765م)"، وأعد طبعات في "تاريخ الملك إنريكي الرابع دييغو إنريكي ديل كاستيلو 1787م"، وكذا "قائع دون ألفارو دي لونا 1784م".

فيرنانديز دي قرطبة (Don Diego Fernandez de Cordoba)<sup>16</sup> الذي خرج يوم 25 أوت 1506م من مالقة على رأس 6 سفن محملة بالموونة وبها أكثر من 5 آلاف رجل ليستقر بعدها في المرسى الكبير<sup>17</sup>.

في عام 1509م انطلق الكاردينال خيمينيس سيسنيروس وبيدرو نفارو على رأس أسطول مكون من 14 ألف رجل، سار به عبر طريق قرطاج مروراً بمالقة ثم المرسى الكبير. وفي 17 ماي اعتدى على المدينة واستولى عليها، محرزاً انتصاراً كبيراً أدى إلى هلاك أكثر من 4000 شخص وأسر أكثر من 5000 آخرين، كما تم تحرير ثلاثين مسيحياً، وهكذا أصبح الدون دييغو فيرنانديز دي قرطبة أول حاكم إسباني على مدينة وهران.

كما تحدث صاحب المقال عن تحصين وهران ومحاولة تحريرها من قبل السلطان العثماني بما يقارب 3 آلاف تركي و 14 ألف بربري، و 30 ألف عربي، سنة 1555م، إلا أن الكونت دالكوديت تمكن من الدفاع عن المدينة وإفشال هذه المحاولة. لتأتي المحاولة الثانية من قبل حسن باشا عام 1563م والتي فشلت هي الأخرى في استعادة المدينة. إلا أن الأتراك تمكنوا من إستعادة المدينة عام 1708م.

بعد ذلك تحدث صاحب المقال عن إستعادة الإسبان لوهران عام 1732م، من قبل الكونت مونتيمار (Comte de Montmartre)<sup>18</sup> الذي أبحر من خليج أليكونت على رأس جيش قوامه

<sup>16</sup> دون دييغو فيرنانديز دي قرطبة أريلاو، قائد عسكري إسباني، ولد عام 1463م بإسبانيا. شارك في عام 1501م في القضاء على ثورة الموريسكيين في مقاطعة الميريا. كما شارك في غزو المرسى الكبير عام 1505م، ووهان عام 1509م. وحصل بعدها على لقب ماركيز دي قوماريز عام 1512م، وكان حاكم عام على وهران والمرسى الكبير مرتين الأولى (1509-1512م) والثانية (1516-1518م). وأول نائب للملك في نافار ما بين (1512-1515م). توفي بوهران عام 1518م.

<sup>17</sup> De Foulques, (L), op.cit, p.122.

<sup>18</sup> خوسيه كارو دي ألبورنوز إي مونتيل (José Carrillo de Albornoz y Montiel)، ولد في إشبيلية في 8 أكتوبر 1671م، وهو قائد عسكري وسياسي إسباني. ثالث كونت وأول دوق لمونتيمار، نائب الملك في صقلية (1734-1737م). في عام 1707م، ورث لقب "كونت مونتيمار" وكان قائداً لأمر وسام سانتياغو في موراتالا (بالقرب من مورسيا). وفي عام 1710م حصل على رتبة مارشال. تم تعيينه حاكم عام على كاتالونيا في عام 1722م، ثم الحاكم العام لغرناطة في عام 1726م. قاد الحملة الإسبانية على وهران عام 1732م. وقد قام الملك فيليب الخامس بتعيينه وزيراً للحرب بين 1737 و 1741م. توفي في مدريد في 26 جوان 1747م.

500 سفينة نقل، بما 12 قارباً مسلحاً، و25 ألف جندي من المشاة، وصل إلى وهران في 28 جوان، وفي اليوم الموالي وصلوا إلى شاطئ لاس أقادس (Las Aguadas) (الخليج الأندلسي)، واستقروا هناك<sup>19</sup>.

بدأت المعركة في 30 جوان وانتهت لصالح الإسبان، الذين دخلوا المدينة في 1 جويلية وتركوها تحت حكم الماركيز دي سانتا كروز (Le marquis de Santa-Cruz). وقد تعرضت المدينة لزلزال عنيف في 8 و9 أكتوبر 1790م<sup>20</sup>.

### ثالثاً- الحملات الإسبانية خلال المرحلة الأولى من الاحتلال (1505-1732م):

لقد تم أخذ مادة هذا المقال<sup>21</sup> من مخطوط دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران للقاضي محمد بن يوسف الزياني (Mohammed ben Youssef ez-Ziani)<sup>22</sup>، وهذا حسب ما ورد في الصفحة الأخيرة منه، غير أن الباحث قوين (Guin) لم يشير إلى هذا الاقتباس في

De Foulques, (L), op.cit, p.123.

19

Ibid, p.123.

20

Guin, (L), Quelques notes sue les entreprises des Espagnols, pendant la première occupation d'Oran, in: R.A, N°30, 1886, pp.312- 322.

21

<sup>22</sup> هو محمد بن يوسف الزياني البرجي ثم الوهراني من مواليد الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ببلدة برج عياش المعروفة ببرج ولد المخفي، اليوم الواقعة قرب معسكر حيث موطن الأسرة، وهي من الأسر العلمية والسياسية التي كانت تتولى الوظائف في العهد العثماني، ومنها عمه أحمد بن يوسف الزياني الذي كان من العلماء المستشارين عند إبراهيم الملياني باي الإيالة الغربية (1756م-1771م/1170هـ-1185هـ). درس الزياني كغيره من شباب عصره على علماء الوقت في مدينة معسكر وغيرها من حواضر الغرب الجزائري، وقد يكون من الذين درسوا في المدارس الشرعية الفرنسية الثلاث خصوصا مدرسة تلمسان التي تأسست سنة 1850م، وعلى العموم فهو من المثقفين ثقافة مخضرة. وبعد إنهاء فترة الدراسة تولى الزياني عدة وظائف قضائية للفرنسيين، فقد تولى قضاء مدينة البرج ابتداء من سنة 1861م، وفي سنة 1883م انتقل إلى قضاء وادي تلبلات ومنها إلى قضاء مدينة سيق، فيكون بذلك الزياني قد استمر مدة طويلة في هذا الوظيف الذي حدد علاقته مع الفرنسيين لأن منصب القضاء كان منصبا سياسياً عندهم، وإنه قد عايش الحملة التي انطلقت ضد القضاء الإسلامي لإدماجه في القضاء الفرنسي سيما عقد الثمانينات. ولم تشغل وظيفة القضاء الزياني عن التأليف والإنتاج الثقافي، فقد كان من المساهمين في ميدان التاريخ من خلال كتابه الذي خص به مدينة وهران ووسمه بدليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران والذي قدم له وعلق عليه المهدي البوعبدلي ونشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1978م. ينظر: عادل، نويهض، المرجع السابق، ص 173.

المقال ولا في ثناياه وهو ما يعطي للقارئ انطباعاً خاطئاً، إذ يظل يتتبع الأحداث ظاناً أنها له دون غيره. ثم يشير قوين إلى اعتماده على أبو راس الناصري (Mohammed Abou Ras ben en-Nacer)<sup>23</sup> الذي يصفه بالحافظ (Hafed)، لكنه لا يُجِيل إلى عنوان الكتاب الذي اعتمد عليه ولا يذكر صفحة ولا اقتباساً، بيد أنه يُنهي بعض كلامه بعبارات توحى بالاقتباس، فبعد حديثه عن تحرير وهران الأول يورد العبارة التالية: "تمت إزالة قلاع هذا المكان فجأة، ولم يتمكنوا من الصمود. يعطي الله القوة لمن يريد Dieu donne la puissance à qui Il veut"<sup>24</sup>، وينتهي حديثه عن هذا الصراع الإسلامي المسيحي بما يلي: "وهذه هي إرادة سيد العالمين! الحمد لله! Telle est la volonté du Maître des monde ! Loué soit-il !". وبالنظر إلى الأحداث التي وقعت تقريباً منذ بداية هذا الاحتلال، خلال منتصف القرن العاشر الهجري، مكنت الإسبان من تصور الكثير من الآمال، إذ أجبرت أسلحتهم السكان العرب حول وهران على الاعتراف بسلطتهم ومن ثمة تزويدهم بمساعدين وفرسان وغيرها، ومن خلال تعداد النتائج التي حققوها، يبدو أنه من المؤكد أنهم وبدون ظهور الأتراك، كانوا سينجحون في بناء مملكة على هذا الجانب من البحر<sup>25</sup>.

والجدير بالذكر أن آخر صفحات المقال لا تحتوي على كلمة (Trad) التي تدل على الترجمة. أما الهامش الثاني في ذات الصفحة فيحتوي على تذكير من هيئة التحرير جاء فيه: "ربما أتمّ قوين مداخلته الهامة بنقد النص العربي الذي يعطي في بعض الأحيان تواريخ خاطئة بشكل واضح كتاريخ الاستيلاء على قلعة بني راشد"، لكن لم ترد أي إشارة إلى موضع هذه التهمة<sup>26</sup>.

<sup>23</sup> العلامة الحافظ محمد أبو راس الناصري العسكري الجزائري هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي العسكري، المعروف بأبي راس، علامة مؤرخ ومحقق في العلوم الإسلامية وحافظ للحديث النبوي من الجزائر. ولد بنواحي مدينة معسكر عام 1737م، وتوفي عام 1824م. شارك في الجهاد لفتح مدينة وهران عام 1792م إلى جانب الباي محمد بن عثمان. ترك العديد من المؤلفات في علوم الحديث والقرآن والأنساب. ينظر: عادل، نويهض، المرجع السابق، ص 306-307.

Guin, (L), op.cit, p.314.

Ibid, p.313.

Ibid, p.322.

يستهل قوين حديثه بالإشارة إلى أن إسبانيا احتلت وهران مرتين، ويقصد 1509م و1732م، ثم يسترسل في الحديث عن قوة إسبانيا المتنامية التي صارت تغزو اليباس وتجوّب البحار، فعندما شعرت بأنها قوية، فكرت في اكتساب موطئ قدم لها في هذا الجزء من المنطقة المغاربية. كما أشار إلى شجاعة الجنود الإسبان وهم يغزون أرض الإسلام، وقد وضعوا صوب أعينهم الجزاء الذي يلقونه في الحياة الآخرة، ثم يعرج على شعور مشابه لدى الجندي المسلم، فالتقى هذا وذاك باسم الدين وسالت الدماء حتى احمرت تربة هذا البلد.

وبعد الحديث عن احتلال وهران الأول عام 1509م وتحريرها الأول في عام 1708م، جاء الحديث عن الاحتلال الثاني الذي كان في 1144هـ/ 1732م وانتهى عام 1206هـ/ 1791م، وهو يختلف عن الاحتلال الأول تماماً؛ ففوة الإسبان لم تعد على حالها، ولم يعد باستطاعتهم فرض هيمنتهم على القبائل المجاورة للمدينة، وفي المقابل تزايدت قوة الأتراك فأخضعوا كل بايلك الغرب باستثناء وهران والمرسى الكبير. ويظهر ذلك في قوله: "بالنظر إلى الاحتلال الثاني (1732- 1792م)، يبدو أن الإسبان قد فقدوا طاقتهم الأولى... والتي من خلالها عقدوا بحزم الحملة في البداية، ولم يحسبوا التضحيات لإثبات سيطرتهم على هذه الأرض المسلمة، أما في الثاني، فإن الظروف قد تغيرت فيها، ولم يبق الوضع كما كان خلف أسوارهم، أسوار مبنية بقوة، والتي بدت وكأنها تتحدى أي هجوم"<sup>27</sup>.

ويعضي قوين إلى الحديث عن الحملات التي كان الإسبان يشنونها على مدن البايك كتلمسان ومستغانم بتنظيمهم المحكم ومخططاتهم المدروسة، كما تحدث عن الحملات البسيطة التي كانت توجه إلى ضواحي وهران لتضغط على السكان وتعود ببعض الغنائم؛ هذه الحملات كان الهدف منها إخضاع السكان وترهييبهم والحصول على أكبر قدر ممكن من الغنائم، وقد رأى قوين أنه من الجريء إدارة البلاد بهذه الطريقة<sup>28</sup>.

ومن ذلك هجوم الإسبان على غمرة (R'omra) في (919هـ/ 1513م) وموطنها غرب المرسى الكبير بين الجبال والبحر، ولها جنود أشداء. وفي سنة (920هـ/ 1514م) جاء دور الونازرة

Guin, (L), op.cit, p.314.

27

Ibid, pp.314- 315.

28

(El Ounazera) على أطراف سبخة وهران فخضعوا للإسبان واعتنق بعضهم المسيحية. وفي (923هـ/1517م) هاجموا دوار قبزة (Guizza) على أطراف تامزورة (Tamzour'a)<sup>29</sup> وعادوا إلى وهران بغنائم هامة.

غير أن هذه المعطيات التي يسوقها صاحب المقال لم تمنعه من الوقوع في الخطأ حين تحدث عن الهجوم على قلعة بني راشد وحدد تاريخه في (927هـ/1520م) بينما هو عند المؤرخين كان قبل ذلك؛ أي في حياة عروج الذي قتل في 30 سبتمبر 1518م. وهو من قال أنه سيحاول إضافة ما أمكن من معلومات في حالة إيجادها ضرورة حول ما ستتم الإشارة إليه في مقاله.

ورغم هذا فإنه يعطينا بعض التفاصيل المهمة مثل حديثه عن تواطؤ بوقلموس الزياني (Bou k'elmous)<sup>30</sup> مع الإسبان لمهاجمة قلعة بني راشد، نشير هنا إلى أن الزياني صاحب دليل الحيران يذكر أنه يسمى أبا قلموس لا أبا قلمون كما هو شائع<sup>31</sup>.

ويحدثنا قوين كيف تنكر الإسبان لعودهم لأهل القلعة حيث أعطوهم الأمان ثم غدروا بهم فذبحوا كل من استطاعوا الوصول. وفي (930هـ/1523م) جاء دور أولاد علي فأخضعوا وكانوا

<sup>29</sup> تقع بلدة تامزورة شرق ولاية عين تموشنت، تامزورة ويعني اسم تامزورة "الشلال". تضم البلدة منطقتين متناقضتين للغاية. الجزء الشمالي، يقع في السهل الكبير في ملاتة الذي يمتد جنوب سبخة وهران الكبرى. يبلغ ارتفاع هذا السهل من الشمال إلى الجنوب، من 89م فوق مستوى سطح البحر على حافة البحيرة المالحة إلى 200م عند سفح التلال الجبلية الأولى. والمنطقة الجنوبية من المدينة جبلية، تقع في المنحدر الشمالي لجبال تيسالة، وتسمى هنا جبل بوحنش، والتي يبلغ ارتفاعها حوالي 900م. تقع بلدة البلدية الرئيسية عند تقاطع هاتين المنطقتين.

<sup>30</sup> أبو حمو موسى الثالث بن محمد الثابت بن محمد المتوكل على الله، الملقب بأبي كلمون. ينظر: عادل، نويهض، المرجع السابق، ص 126-127.

<sup>31</sup> هكذا ذكر (قلموس) وهو أبو حمو الثالث المعروف بابن قلمون أو بوقلمون الذي حكم خلال فترتين: الأولى من 1503م إلى 1517م، والثانية في 1518م وهي سنة وفاته. وبوقلمون كلمة معربة مشتقة من اللفظ اليوناني (Kamlion) أي الحرياء التي يُضرب بها المثل في تغيير لونها، وأبو قلمون نسيج معين له بريق خاص. ثم حجر كريم ثم طائر ثم حيوان رخو، وأبو قلمون في الثياب - عند الثعالي - كأبي براقش في الطير، فإن أبا قلمون يتلون وأبا براقش يُنخيل. ينظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، ط1، دار الآفاق العربية، 2002م، ص 27.

- الزياني، المصدر السابق، ص 142.

يسكنون ذات المكان الذي سكنوه أيام كتابة المقال والذي حدده صاحبه بالبلدية المختلطة سانت لوسيان (Saint- Lucien) (زهانة حالياً). وفي عام (935هـ / 1528م) غزا الإسبان شافع بسهل ملاتة (Melata)<sup>32</sup> حيث لازالوا يسكنون، وهم ينتمون إلى بلدية عين الأربعاء (Ain-el-Arba)<sup>33</sup>.

وفي مارس (949هـ / 1543م) توجه إلى تلمسان جيش يتكون من 14000 مقاتل على رأسهم القائد الزياني حميدة العليج بن رضوان (Hamida El-Euldj ben Red'ouan) وغراب (Grab) زعيم أولاد خلفة (Oulad-Kralfa) (الذين يسكنون عين تموشنت) واحتلوا المدينة 13 يوماً حسب بعض الروايات وشهرين حسب روايات أخرى.

ثم يحدنا قوين عن زوارة (Zouata) في مسموط (Mesmout) وعن وصول الإسبان حتى وادي الطاغية<sup>34</sup> (El-Tar'ia) حيث الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى التيجاني (Bou Mehdi Aissa ben Moussa et-Tedjani)<sup>35</sup> الذي تنبأ بالهجوم ودعا الناس إلى الاختباء في الغابة. كما أورد فقرات حول فروحة (Feroha)<sup>36</sup> والعائسية (R'eris) وغيرهم كالكرط (Kert') مثلاً في شمال سهل عواجة<sup>37</sup> (A'ouadja) والتي تمت مهاجتها عام 1543م، دون أن

<sup>32</sup> سهل ملاتة الممتد من حدود ولاية وهران إلى غاية عين الأربعاء.

<sup>33</sup> عين الأربعاء هي إحدى بلديات ولاية عين تموشنت الجزائرية.

<sup>34</sup> كانت تسمى من قبل وادي الطاغية، ولصعوبة نطق الطاء استبدل بالهاء فصارت وادي التاغية. يقال إن امرأة طاغية كانت تسكن بجواره وتقطع الطريق أو تدفع العابرين ثمن عبور الوادي. ولكن هذه القصة تبدو خرافية وليس بين يدينا ما يؤكد صحتها أو يفندها. كان الرحالة الفرنسيون يسمونها (Oued Traria).

<sup>35</sup> الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى التيجاني، المشهور بين سكان المنطقة باسم سيدي عيسى، من أعيان وادي التاغية (معسكر)، وهو كذلك من علماء المغرب العربي للقرن 10هـ/16م، كانت له زاوية في منطقة واد التاغية بمعسكر حالياً. توفي في سنة 962هـ/155م ودفن في ضواحي وادي التاغية.

<sup>36</sup> فروحة بلدية تابعة لدائرة تيزي ولاية معسكر، تقع جنوب معسكر على الطريق الوطني رقم 6، أنشأت بلدية فروحة خلال الحقبة الاستعمارية حوالي سنة 1886م وثبت تاريخياً أن تسميتها الأصلية تعود إلى وادي الفرحة الذي يعبرها وادي كان موطناً لقبيلة الحشم التي أجرت التحضيرات الأولية لميلاد دولة الأمير عبد القادر.

<sup>37</sup> تبعد حوالي ستة كيلومترات غرب معسكر.

ينسى ذكر دليل الإسبان رابح بن سولة (Rabah ben Soula) زعيم السوالة (Souala) ببلدية سانت لوسيان.

كما هاجم الإسبان عام (951هـ/ 1544م) منطقة عين فارس (Ain- Farès)<sup>38</sup> بإقليم بني شقران (Beni- Chougran)<sup>39</sup>، وصولاً إلى منطقة تسالة (Tassala)<sup>40</sup> عام 1545م. وختم قوين المقال بالآية الكريمة: "إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"<sup>41</sup>، قبل أن يُقَر بالآتي: "كُتِب من قبل الذي يرجو رحمة ربه محمد بن يوسف الزباني (Mohammed ben Youssef ez-Ziani)".

وقد تضمن برنامج الإسبان بعد هذا الاحتلال تعمير هذه المدن بالإسبان وجعلها مدناً مسيحية. والملاحظ أن نفقات إسبانيا على هذه المستعمرات كانت تغطيها من نفس المنطقة عن طريق الضرائب التي تفرضها على السكان، وبذلك كان يسهل التحكم فيها<sup>42</sup>. والواقع أن القضاء على المملكة الزبانية من طرف القوات العثمانية والدخول إلى تلمسان سنة 1556م، كان وراء انكماش دائر الاحتلال الإسباني إلى ما وراء خطوط التماس في وهران والمرسى الكبير، وهذا في إطار سياسة احتلال مقيد بالدفاعات وراء ترسانة ضخمة من الحصون والقلاع شديدة الحراسة<sup>43</sup>.

<sup>38</sup> عين فارس: بلدية تابعة لدائرة عين فارس بولاية معسكر (الجزائر).

<sup>39</sup> تقع في ولاية معسكر وتشمل سلسلة جبال بني شقران التابعة للأطلس التلي، تقع بين سهول سيق والهبرة في الشمال وسهل غريس بالجنوب. تنتشر على جبال بني شقران 18 بلدية من ولاية معسكر، ما يمثل ثلث مساحة الولاية.

<sup>40</sup> تسالة بلدية جزائرية في ولاية سيدي بلعباس شمال غرب الجزائر. تقع شمال غرب مدينة سيدي بلعباس.

<sup>41</sup> سورة الأعراف الآية: 128.

<sup>42</sup> la Primaudaie, (F. Elie De), « Documents inédits sur l'histoire de l'histoire de l'occupation Espagnols en Afrique (1516-1574) », in: R.A, N °20, 1876, pp.136-150.

<sup>43</sup> حول نتائج احتلال وهران والمرسى الكبير، ينظر:

- Fey, (H.L), op.cit, pp.142-146.

-Didier, op.cit, p.75.

رابعاً- الغارتان اللتان شنهما إسبان وهران في القرن 16م<sup>44</sup>:

هذا المقال هو عبارة عن ترجمة قام بها كازيناف لمخطوطة إسبانية من تأليف دييغو سواريز - الذي عمل بوهران ما يقارب الثلاثين عاماً في نهاية القرن 16م-. هذه المخطوطة متواجدة بالمكتبة الوطنية بمدريد، وقد ذكر صاحب المقال بأنها تحتوي على سجلات حول وهران أثناء حكم الأخوين بورجيا (Borgia) (1567-1573م).

لقد قام جيلين روبليس (Guillen Robles) بنشر الجزء الأول من المخطوطة بمدريد عام 1889م. أما فيما يخص هذا العمل الذي قام به كازيناف فيتعلق بالجزء الثاني منها، والذي كان لم ينشر بعد. عرض لنا من خلاله اثنين من الغارات العنيفة، التي وقعت تحت إشراف خامس حكام وهران دون لويس بيار غالسيران دو بورجيا (1567-1571م)، وأخوه فيليب دو بورجيا (Philippe de Borgia)<sup>45</sup> (1571-1573م) كان الحاكم يلقب بـ: "القائد العام لممالك تلمسان وتنس ومحافظ قلاع وحصون وهران والمرسى الكبير Capitaine Général des Royaumes de Tlemcen et de Ténès et Gouverneur de la forteresse et des Places fortes d'Oran et de Mers El Kébir". هذا اللقب الذي أطلقه الملك الإسباني فيليب الثاني على حكام وهران.

كما تحدث صاحب المقال عن الأيام الأولى للاحتلال الإسباني لوهران من قبل الكاردينال سيسنيروس وبيار نفارو عام 1509م، والاعتداءات المتكررة لأسطول الحماية الإسباني على المغاربة. مع الإشارة لسعي سيسنيروس لتحقيق أرباح وانتصارات شخصية من خلال إلحاحه ورغبته في أن يقود الحملة بنفسه، وبالفعل عينه الملك فرديناند قائداً عاماً للحملة الموجهة ضد وهران، وأعد الخطوات الأساسية لذلك<sup>46</sup>.

44 Cazenave, (J), Deux razzias..., op.cit, pp.285- 305.

45 فيليب دو بورجيا: قائد عسكري وسياسي إسباني، أصبح حاكم عام لوهران والمرسى الكبير من نوفمبر 1571 إلى مارس 1573م، خلفاً لشقيقه دون بيدرو لويس غالسيران دو بورجيا- حاكم ميسينا بإيطاليا-. توفي عام 1587م.

46 Cazenave, (J), Deux razzias..., op.cit, pp.285- 305.

وقد حقق الإسبان انتصارات كبيرة في المنطقة من جراء الاعتداءات والهجمات المتكررة والمباغثة على القبائل المغاربية، وما غنموه من وراء ذلك من غنائم عادوا بها إلى وهران والمرسى الكبير<sup>47</sup>، خاصة وأن تلك الهجمات كانت تتم في الليل وقبل بزوغ الفجر. إلا أن سياسة الإسبان تجاه بعض القبائل قد تغيرت، لاسيما منها من كانت على خلاف مع الأتراك، وبذلك أصبحت هناك قبائل معادية، وقبائل متحالفة ومتعاونة، هذه الأخيرة التي أصبحت تقدم كل أوجه الدعم والمساعدة للإسبان في المنطقة، مقابل الحصول على امتيازات متنوعة<sup>48</sup>.

وقد أعطى دييغو سواريز رأيه فيما يخص علاقة الإسبان بالقبائل المغاربية ودعا إلى ضرورة احترامها والاستفادة منها لما تقدمه من ودعم وحماية لوهران والمرسى الكبير، وبضرورة الحفاظ على التحالف معها والتوقف عن الاعتداءات غير المبررة لبعض الحكام على هذه القبائل، وهذا ما أدى في الأخير إلى فشلهم وخسارتهم.

وفي ختام المقال دعا كازيناف إلى ضرورة الإطلاع على ما كتبه دييغو سواريز لفهم العلاقة بين الإسبان في وهران والمرسى الكبير و السكان المحليين، في قلب بلد كان رافضاً للاحتلال<sup>49</sup>.

#### خامساً- محاولات تحرير وهران والمرسى الكبير:

#### 1- محاولة عام 1563م:

يتحدث كازيناف في مقاله المعنون بـ"سرفانتس في وهران سنة 1581م"، عن المخطات المهمة التي تحدث عنها سرفانتس خلال رحلته عام 1581م إلى وهران، ومن بين ما تناوله صاحب المقال؛ حصار وهران ومحاولة تحريرها عام 1563م. حيث تحدث على لسان سرفانتس عن البطولات التي أظهرتها الشخصيات الإسبانية تحت جدران وهران والمرسى الكبير أثناء الحصار.

Cazenave, (J), Deux razzias..., op.cit., pp.298- 299.

47

Ibid, pp.287.

48

Ibid, pp.226-288.

49

قام حسن باشا بن خير الدين بالإعداد للحملة، وانطلق في أبريل 1563م متجهاً نحو الغرب للهجوم على وهران والمرسى الكبير بجيش مؤلف من 15 ألف رجل من الرماة و12 ألف رجل من قبيلتي زاووة وبني عباس، و10 آلاف فارس، وأرسل عبر البحر 32 سفينة مختلفة الأحجام لنقل المدفعية والذخيرة والمؤونة. وكانت جميع القبائل تقريباً تزوده بالفرسان والمشاة، باستثناء القبائل الثلاث المتعاونة مع الإسبان: قبيلة بني عامر، أولاد عبد الله، أولاد موسى. وبعد أن أحسّ فيليب الثاني بالخطر الموجه كثّف الحماية<sup>50</sup>.

في ماي 1560، قام بيالي باشا بتدمير الأسطول الإسباني بقيادة الدوق ميديناسيلي ( Duc de Médinacéli)<sup>51</sup> بالقرب من جزيرة جربة. وأمام هذا الانتصار أراد الملك الكاثوليكي الانتقام بمساعدة فرانسوا الثاني (François II)<sup>52</sup>، وسرعان ما تم تجهيز السفن والأسلحة بقيادة دون خوان

CAZENAVE (Jean), Cervantès à Oran..., op.cit, pp.230- 231. 50

<sup>51</sup> خوان دي لا سيردا دوق ميديناسيلي (Juan de la Cerda y Silva, cuarto duque de Medinaceli) من نبلأ اسبانيا (1514-1575م)، هو ابن دون خوان دي لا سيردا، الدوق الثاني من ميديناسيلي، في عام 1552 ورث خوان دي لا سيردا الألقاب من أخيه غير الشقيق الأكبر جاستون دي لا سيردا و البرتغال. في عام 1557م، عينه الملك فيليب الثاني ملك إسبانيا نائباً لملك صقلية، وهو المنصب الذي شغله حتى عام 1564م. وخلال ذلك الوقت حاصر برفقة أسطوله ميناء طرابلس الغرب في شمال إفريقيا، و تواجه مع درغوث باشا، الأدميرال العثماني. وكان خوان دي لا سيردا مع قوة بحرية كبيرة من إسبانيا وجنوة وتوسكانا وفرسان مالطا والولايات البابوية، وقد دُمرت هذه الأخيرة تقريباً في معركة جربة في عام 1560م.

<sup>52</sup> فرانسوا الثاني (1544-1560م) قرين ملكة اسكتلندا (1558-1560م)، وملك فرنسا (1559-1560م)، ولد في قصر فونتينبلو الملكي، سين ومارين، ابن هنري الثاني ملك فرنسا، وحفيد فرانسوا الأول ملك فرنسا.

دي ماندوزا (Don Juan de Mendoza) <sup>53</sup>. كما حصل فيليب الثاني على إذن من البابا بول الرابع (Paul IV) <sup>54</sup> بتحصيل ما يسمى بالضريبة الصليبية (La Crusada) <sup>55</sup>.

في 19 أكتوبر 1562م، ضربت عاصفة قوية في لاهيرادورا (la Herradura) <sup>56</sup> على سواحل غرناطة، خلفت خسائر جسيمة على الأسطول وأدت إلى تحطم 22 سفينة، و5 آلاف رجل من أفراد الجيش، بالإضافة إلى عدد كبير من الضباط بما في ذلك الأميرال نفسه. بعد ذلك بقليل، دمرت العاصفة الثانية 12 سفينة في ميناء قادس. هذا ما سهل على حسن باشا السير نحو وهران والمرسى الكبير، حيث غادر الجزائر في بداية فيفري 1563م، ووصل بكامل جيشه في 5 أبريل أمام مدينة وهران ومرساها الكبير وخيم فيها ونصب مدافعه اتجاه حصن القديسين (des Saints) ولقد كان الإسبان مستعدين للدفاع عن حصونهم وقلاعهم ومراكز دفاعهم، لكن أمام طول مدة الحصار الذي دام شهرين وأربعة أيام ونقص المؤونة تراجعت حامية المرسى الكبير إلى 130 رجل مما اضطر

<sup>53</sup> دون جوان دي ميندوزا إيلونا (بالإسبانية Don Juan de Mendoza y Luna)، ثالث مراكز لونتيسكلاروس، ولد في جانفي 1571م في غوادالاجارا بإسبانيا، وتوفي في 9 أكتوبر 1628م بمدريد، القائد الإسباني، حصل على وسام كالبيريو دي سانتياغو في عام 1591م. أصبح نائب الملك العاشر لإسبانيا الجديدة حكم من 27 أكتوبر 1603م إلى 2 جويلية 1607م. ثم أصبح نائباً لحاكم البيرو في الفترة من 21 ديسمبر 1607م إلى 18 ديسمبر 1615م. بعد عودته إلى إسبانيا، أصبح مستشاراً للملك ومن كبار الشخصيات في المحكمة.

<sup>54</sup> في عام 1555م انتخب بول الرابع في منصب البابا عن عمر يناهز 79 عامًا. أصبح أولاً قائداً للكنيسة ثم دوق باليانو. استغل منصبه ونفذه لصالح مقربيه، كان من قادة محاكم التفتيش، كما أظهر قسوة في التعامل مع اليهود وحرق الكتب العبرية. و ضد البروتستانت الإيطاليين، مما ألب عليه المجتمع اليهودي. وبصفته البابا، عارض السلام الديني لأوغسبورغ في 25 سبتمبر 1555م؛ سمح ذلك لكل من الملوك وأعضاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة الألمانية، باختيار اعترافه وجعله ديناً للدولة. تحالف مع فرنسا ضد بيت الهابسبورغ، وقد خسر بول الرابع الحرب ضد إسبانيا وكان عليه أن يقبل في عام 1557م شروط السلام بعد أن احتل دوق ألبا ولايات الكنيسة. وفي مسألة خلافة عرش إنجلترا، حاول استخدام نفوذه ضد الملكة إليزابيث التي كانت بروتستانتية.

<sup>55</sup> هي عبارة عن إمدادات مالية تقدم إلى الملك الكاثوليكيان لتمويل مشاريع الحملة الصليبية، تدفع كل خمسة سنوات.

<sup>56</sup> لاهيرادورا (أو بالأحرى الفانوس)، منارة تقع في مقاطعة غرناطة في الأندلس (إسبانيا). كان هذا البرج جزءاً من نظام أبراج المراقبة على الساحل الجنوبي لإسبانيا، تم بناؤه في عهد الملك فيليب الثاني.

المدافعون إلى الاستسلام، وتمّ اعتقال دون مارتن (Don Martin de Cordova)<sup>57</sup> مع 170 رجل، عرض خلالها حسن باشا على الإسبان إطلاق سراح دون مارتن مقابل التخلي عن المنطقة، إلا أن طلبه هذا قوبل بالرفض التام. وفي هذه الأثناء انضمت إلى حسن باشا القبائل المجاورة لوهران<sup>58</sup>.

قبل الهجوم على المرسى الكبير كان من الضروري الاستيلاء على حصن سان سوفور (Saint-Sauveur)، الذي كان يدافع عنه قرابة 200 رجل تحت قيادة دون فرانسيسكو دو ريبرو (Don Francisco de Ribero)<sup>59</sup>، وفي ليلة 30 أفريل وصل الدعم الإسباني من قرطاج ونجحت أربع فرقاطات<sup>60</sup> في الوصول إلى ميناء وهران محملة بالمؤونة وحوالي 30 فارس، ومعهم المهندس دون رافيل (Don Raphael)، وقد كان في اعتقاد حسن باشا أنه من السهل السيطرة على الحصن دون زيادة عدد المعدات العسكرية، إلا أن هذا كلفه خسائر جسيمة بعث على إثرها الإسبان 50 رأساً من البربر إلى وهران تعبيراً عن انتصارهم الباهر<sup>61</sup>.

لقد تجدد الهجوم بين الطرفين في 7 ماي، توفي على إثره ابن ملك الكوكو وعدد من المسؤولين الأتراك من بينهم حسن باشا الذي أصيب بجروح، وبعد 22 يوماً من المقاومة هُدم حصن سان سوفور، واستنجد قائد الحملة الاسبانية باسبانيا حيث أرسلت حملة أخرى إلى وهران تحت قيادة دون خوان دي

<sup>57</sup> مارتن دي قرطبة وفيلاسكو (1520-1604م): كان ماركيز كورتيس وحاكم وهران من 1575م إلى 1585م. كان والده مارتن أونسو فرنانديز دي قرطبة مونتيمار. شارك في الحملة الفاشلة ضد مستغانم عام 1558م حيث تمّ أسره وسجنه في الجزائر العاصمة خلال حكم حسن باشا، وأطلق سراحه بفدية. شارك في صد الحصار الذي شنه حسن باشا على وهران والمرسى الكبير عام 1563م، وكذا في الحملات سنة 1575م، 1585م. كان نائب الملك في نفاري بين 1589-1595م.

<sup>58</sup> CAZENAVE (J), Cervantès à Oran..., op.cit, pp.232- 239.

<sup>59</sup> دون خوان فرانسيسكو دي لا سيردا إنريكي دو ريبيرا (Juan Francisco de la Cerda Enríquez de Ribera)، دوق مديناسيلي الثامن، وسابع ماركيز لكوجولودو، ورابع ماركيز لألكالا دي لا ألاميدا، والدوق السادس لألكالا دي لوس جازولز، الكونت الثامن لدليل بويرتو دي سانتا ماريا. ولد في مديناسيلي في 4 نوفمبر 1637م وتوفي في مدريد في 20 فيفري 1691م، هو أرستقراطي وسياسي إسباني في القرن السابع عشر. إنه صدق ملك إسبانيا شارل الثاني.

<sup>60</sup> الفرقاطة (Frigate): هو إسم يطلق على نوع من السفن الحربية السريعة التي تكون أصغر حجماً من المدمرات وأكبر من الفرقيطة أو الكورفيت. وبالمقارنة مع المدمرات فإن الفرقطات ذات سرعة ومدى بحري أقل.

<sup>61</sup> CAZENAVE (J), Cervantès à Oran..., op.cit, p.233.

ماندوزا، لكن عاصفة هبت على البحر أتلفت ثلاثة أرباع الأسطول، وقد غرق من كان فيه منهم الدون خوان فلم يصل إلى وهران أكثر من ألف رجل. ويوم 22 ماي كانت مدافع الجزائريين قد حطمت حصون الناحية الغربية لوهران بصفة تامة، فأرسل حسن باشا مرة أخرى في 5 جوان إلى دون مارتن يطلب تسليم المدينة، فأجابه بالرفض قائلاً: " بما أن الحصون قد تحطمت فما الذي يمنعك من اقتحام المدينة"، عندئذٍ أمر حسن باشا بهجوم عام، لكن الإسبان أظهروا بسالة في الدفاع عن بقايا الحصون ليرجع الجزائريون لمواقعهم الأولى. وما زاد الوضع تعقيداً هو وصول المد الإسباني لوهران على متن 55 سفينة بقيادة الأميرال دوريا<sup>62</sup>.

في 08 جوان 1563م، وصلت بالفعل شراعات الأسطول الإسباني الضخم تحمل النجدة المطلوبة، فرأى حسن باشا هذه القوة الإسبانية وهي على أتم الاستعداد للقتال فحاول الفرار عبر ميناء أرزيو لكن المحاولة باءت بالفشل وتم الهجوم عليهم والتحم الجيشان في معركة غير متكافئة انتهت بفشل الحملة الجزائرية وفقدان عدد معتبر من الضباط والجنود وصل إلى 5 آلاف رجل. في المقابل قام فيليب الثاني بمكافأة كل أعضاء حامية وهران والمرسى الكبير وأهدى دون مارتن دي قرطبة قيادة وحكم هورناتشوس (Hornachos)<sup>63</sup> و6 آلاف دوقة<sup>64</sup>.

## 2- محاولة عام 1708م:

تحدث فاليوخو وساندوفال وغيرهم من المؤرخين الغربيين عن التحرير الأول لوهران عام 1708م موعزين أسباب نجاح مصطفى بوشلاغم في استرجاع وهران إلى استغلاله للوضع الذي كانت تعيشه إسبانيا في فترة حكم فيليب الخامس، داخلياً وخارجياً خاصة ما تعلق منها بحروب الخلافة الإسبانية في إطار الحروب الأوروبية وكذا لكونه يعلم أن وهران لن تتمكن من الحصول على دعم من شبه الجزيرة

<sup>62</sup> CAZENAVE (J), Cervantès à Oran..., op.cit, pp.234- 238.

<sup>63</sup> هورناتشوس أو هرنجس بلدية إسبانية تقع في مقاطعة بطليوس، بمنطقة إكستريمادور ذاتية الحكم. اشتق اسمها من مناجم الحديد الموجودة بها. وتعرف هذه المنطقة في التاريخ الإسلامي كونها آوت جالية مسلمة مهمة بعد سقوط الأندلس وحافظت على هويتها العربية الإسلامية رغم عمليات الاضطهاد التي انتهجتها السلطات الإسبانية. وبعد عملية الطرد النهائي سنة 1609م انتقل مسلموها إلى الرباط في المغرب. وأسسوا جمهورية أبي الرقراق. يبلغ عدد سكانها حالياً 3840 نسمة.

<sup>64</sup> CAZENAVE (J), Cervantès à Oran..., op.cit, pp.239- 240.

الأيبيرية وبالتالي الاعتماد على الإمكانيات الذاتية. وأمام كل هذا سعى داي الجزائر محمد بكداش (Bakthache)<sup>65</sup> إلى تحرير وهران والمرسى الكبير، وذلك بتكليف مصطفى بوشلاغم بهذه المهمة، هذا الأخير الذي بدأ عام 1704م بزيادة استعداداته واتخاذ الترتيبات اللازمة، كما أنه تلقى دعماً كبيراً من قبل العديد من القبائل وكل من الخزناسي ووزيره وصهره والداي أوزون حسن (Ouzoun Hassan)<sup>66</sup> وتم فرض الحصار على مدينة وهران عام 1707م.

وقد كانت وهران في تلك الأثناء تحت قيادة الدون بيدرو إسبينوزا دي لوس مونتيروس (Don Pedro Espinosa de los Monteros)<sup>67</sup> والذي مكث مدة طويلة ثم جاء بعده دون كارلوس كارفا (Don Carlos Carafa)<sup>68</sup> الذي كلف بمهمة القيادة والدفاع عن المدينة، وفي الأشهر الأخيرة استبدل القائد كارفا بالدون ميليشور دي أفلانيدا (Don Melchor de Avellaneda)<sup>70</sup>.

<sup>65</sup> محمد بكداش باشا (1707-1710م)، سمّاه والده بكداش ومعناها الحجر الصلب. كان من أصل عربي ومن كبار العلماء والأدباء. قدم إلى الجزائر سنة 1657م، وانتقل إلى بونة ولازم الشيخ قاسم بن ساسي البوني، فسّمّاه محمد. للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر: محمد، بن ميمون الجزائري، المصدر السابق.

<sup>66</sup> Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.352.

<sup>67</sup> الدون بيدرو إسبينوزا دي لوس مونتيروس (1671-1733م): خطيب ملكي وأسقف جاكا الفرنسييسكان في إسبانيا. كان مدرساً متقاعدًا لعلم اللاهوت المدرسي والأخلاقي في الرهبنة الفرنسييسكانية في ديره بمدريد. تطلع إلى منصب خطيب الملك في 1715م، حيث حصل على منصب القديس من دير سان فيسنتي دي كاردونا. وقد اشتهر بوعظه، في الكنيسة الملكية وفي الأديرة المختلفة لمدرسه. وقد تم اقتراحه من قبل غرفة قشتالة، بتصويت خاص لماركيز بينارندا، في عام 1723م لتولي منصب أسقف أستورجا، ونظرًا لمزاياه العديدة، فقد اقترحت أيضًا غرفة قشتالة الثانية لأسقفية موندونيدو في عام 1728م. وفي عام 1731م، تم اقتراحه مرة أخرى، في المركز الثالث من قبل غرفة قشتالة، لشغل منصب أسقفية قرطبة. فاجأه الموت في بامبلونا (نافارا) في ماي 1733م. ألف العديد من الدراسات في اللاهوت، وعن الوجود الإسباني في وهران وغيرها.

<sup>68</sup> كارلوس كارفا: الحاكم العام لوهران ما بين (1704-1707م). هو الكاردينال الإيطالي، ابن أخ البابا بول الرابع، وابن جان ألفونس كارفا، كونت مونتوريو. شارك في الحروب ضد العثمانيين في أوروبا.

<sup>69</sup> الدون ميليشور دي أفلانيدا (Melchor Avellaneda y Sandoval Rojas y Ramiro)، قائد عسكري وسياسي إسباني، ولد في 22 جانفي 1653م في كامبو دي كريتانا. القائد العام للجيش الملكية الإسبانية، ثاني ماركيز لتوريمايور ما بين (1632-1694م)، والماركيز الأول لفالديكاناس. أول حاكم عام الأول لفرنسيا عام (1716-1719م). شارك في المعارك ضد

## والمرسى الكبير

تركزت هجومات المغاربة على الأبراج الرئيسية التي تدافع عن المدينة فسقطت على إثرها قلعة سانتا كرزو، وتوالى بعدها سقوط الأبراج الأخرى كبرج سان فيليب وسان أندريه وحصن غريغوري. وقد أرجع ساندوفال أسباب هذا التقدم الذي أحرزته قوات بوشلاغم إلى كونه كان بفضل مساعدة بعض المهندسين والمدنيين المسيحيين أو بخيانة من بعض الذين سهلوا عميلة السيطرة عليها، وعلى إثر هذا تم إخلاء المدينة ودخلها المنتصرون في 20 جانفي 1708م، في حين فرّ الحاكم العام دون كارلوس كارفا إلى المرسى الكبير ومنها إلى إسبانيا مع عدد من السكان الإسبانين، وتمّ أسر جميع جنود المعسكر<sup>71</sup>.

كما تحدث ساندوفال أيضاً عن بسالة الجنود الإسبان في الدفاع عن المدينة، وأوعز سبب استسلامهم إلى نقص الذخيرة والغذاء، وهذا ما يظهر في قوله: " وبالرغم من وجود الخنادق والألغام ... صدوا ستة اعتداءات وهلكوا جميعاً والأسلحة في أيديهم، هذه هي الطريقة التي يمكن أن يرى بها المغاربة أنفسهم على أنهم أسياد لجميع حصون وهران، وأنه يمكن أن يُعرف العلم الجزائري على هذه الجدران حيث كان يتعرض للإهانة في كثير من الأحيان"<sup>72</sup>. وفي تلك الأثناء توجه الباي بوشلاغم وأوزون حسن إلى برج المرسى الكبير وقاموا بتنصيب الألغام وحفر الخنادق وبعد القيام بعدة تفجيرات استسلمت الحامية الإسبانية هناك في 3 أبريل ليتم اقتحامه من طرف قوات بوشلاغم في 16 أبريل 1708م وقتلوا معظم جنود الحامية الإسبانية<sup>73</sup>. بقيت قوات حامية مصطفى بوشلاغم في وهران، هذه الأخيرة التي جعلها عاصمة له وبقي هناك حتى عام 1732م<sup>74</sup>.

قاس وهران وسبتة، وقد تمّ تعيينه حاكم عام لوهران (1707-1708م) بأوامر من الملك فيليب الخامس. كما كان حاكم عام لأراغون عام 1712م. وماركيز دو فيلادارياس في 1716م. توفي في 5 ماي 1719م بمدريد عن عمر يناهز 66 سنة.

SANDOVAL, Les inscriptions d'Oran..., op.cit, p.65. 70

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.352. 71

-SANDOVAL, Les inscriptions d'Oran....., op.cit, pp.65- 66. 72

Ibid, p.67. 72

Ibid, pp.65- 67. 73

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, R.A, p.352. 74

وقد تحدث فاليخو عن الحالة التي أصبح عليها تواجدهم في وهران ومدى تراجع هيبتهم هناك بقوله: "أعتقد أن المشكل عويص ويتطلب وقتاً طويلاً حتى يعترف المغاربة في هذه الأماكن بسيادتنا ويطلبون حماية أسلحتنا، كما فعلوا قبل 1708م؛ فالدوافع التي دفعتهم في ذلك الوقت نحونا لم تعد موجودة اليوم: فحينها لم يكن البرابرة جيران هذه الأماكن؛ متمرسين ولم يمتلكوا أسلحة، كما في أيامنا هذه (كان من النادر العثور على أربع أو خمس مدافع، وأحياناً بندقية)، كلهم يحملون سيوف وخناجر، هذه هي التغييرات الكبيرة التي حدثت في هذا البلد أثناء الاحتلال التركي (من 1708 إلى 1732م)، بفضل الاستيراد المكثف للأسلحة الفرنسية والإنجليزية"<sup>75</sup>.

وأضاف قائلاً: "أود أن أضيف أنه من الآن فصاعداً سنكون أقل أماناً هنا؛ فقبل عام 1708م كان المغاربة وحتى الأتراك في الجزائر يعتبرون وهران قلعةً منيعة، لم يجرؤوا على مهاجمتها وحتى في تفكيرهم رأوا أنها أكثر مما هي عليه في الواقع. كانوا يأتون في السابق لاستثمارها، دون أي أمل في أخذها، وقد ساهمت ظروفنا ومآسينا كثيراً في إنجاح محاولاتهم ليجعلوا أنفسهم أسيادها. وبتشجيع من هذا النجاح الأول- 1708م-، من المؤكد أنهم سيعودون مرة أخرى في كل مرة يرون فيها إسبانيا تخوض حرباً أوروبية خطيرة"<sup>76</sup>.

#### سادساً: الاحتلال الإسباني الثاني لوهران عام 1732م<sup>77</sup>:

هذا المقال هو ترجمة بيربروجر لعمل كلارينا (Clariana) حول احتلال وهران من قبل الإسبان للمرة الثانية عام 1732م بعد أن تم تحريرها على يد مصطفى بوشلاغم عام 1708م ونقلت إليها العاصمة من معسكر. وقد رأى بيربروجر في مقدمته، أنه لا يوجد عمل عاجل هذا الموضوع أفضل من هذا الذي بين أيدينا، رغم أنه في هامش الصفحة الأولى ذكر بعض النماذج الناجحة التي وصفها

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire... », op.cit, p.352.

75

Ibid, p.353.

76

Don Antonio, de Clariana, "Reprise d'Oran par les Espagnols, en 1732", in: R.A, N°8, 1864, pp.12- 28.

77

بالمختصرة، منها: عمل ليون فاي (Leon Fey)<sup>78</sup> حول "تاريخ وهران Histoire d'Oran"<sup>79</sup>، ولوفاردو (Loverdo)<sup>80</sup> "نظرة عامة على ولاية الجزائر Aperçu sur l'état d'Alger".

وكان كلاريانا قد نشر في 1733م ترجمة لكتاب لوجير دوتاسي (Laugier de Tassy) "تاريخ مملكة الجزائر Histoire du Royaume d'Alger"<sup>81</sup> - الموظف الفرنسي بالقنصلية الفرنسية بمدينة الجزائر - المطبوع بأمر استرداد عام 1725م، وقد أضاف إليه ما تعلق باستعادة السيطرة على وهران من قبل الكونت مونتيمار عام 1732م. وقبل البدء في الترجمة يدافع بيربروجر عن الإسبان ويعتبر وجودهم بوهران والمرسى الكبير خلال الثلاثة قرون دفاعاً عن الحضارة المسيحية في المنطقة.

وتحت عنوان احتلال وهران كتب كلاريانا 40 صفحة من 148 إلى 188، وقد بدأها بعزم الملك فيليب الخامس على إلحاق وهران بتاجه الملكي. ثم عرج لتحدث عن أهمية المرسى الكبير الذي

<sup>78</sup> ليون فاي، من مواليد 10 جوان 1899م في فارجت (دوردوني) وتوفي في 30 جانفي 1945م في معسكر في معتقل سان نبورغ (Sonnenburg) في سن 45، وهو ضابط فرنسي في القرن العشرين، والذي كان خلال الحرب العالمية الثانية أحد مؤسسي وقادة شبكة استخبارات التحالف. كان قائدها العسكري من ماي 1942 إلى سبتمبر 1943م. كان لقبها الرئيسي "Aigle": الصقر أو النسر". حصل على وسام جوقة الشرف عام 1926م، وتم تعيينه عام 1940م في هيئة الأركان العامة للقيادة الجوية في الجزائر. وفي عام 1944م جرت محاكمة فاي في الفترة من 26 إلى 28 جوان؛ حيث حوكم من قبل المحكمة العسكرية في فرايبورغ إم بريسغاو، ونُقل إلى قلعة بروخسال وحُكم عليه بالإعدام في 28 جوان 1945م، وهو أحد ضحايا المذبحة التي ارتكبتها الألمان في 30 جانفي، عند اقتراب القوات السوفيتية.

<sup>79</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

Henri, (L. F), op.cit.

<sup>80</sup> نيكولاس ميشيلاكاتو (Nicolas Michielacato)، كونت لوفاردو، من مواليد 3 نوفمبر 1773م في قرية كونتوجونادا (Kontogennada)، على أراضي بالي في كيفالونيا (Céphalonie) بإيطاليا، وهو من أصل يوناني، وتجنس بالجنسية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية. تم تعيينه مستشاراً أول لمجلس الشيوخ خلال فترة حكم نابليون، ثم سرعان ما رقي إلى رتبة مستشار رئيسي (السكرتير الأول للرئيس) في الحكومة المركزية في كورفو. شارك في العديد من المعارك في أوروبا وإفريقيا ونظراً لشجاعته رقي إلى رتبة رائد عام 1807م. شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م، توفي في 26 جويلية 1837م في باريس.

<sup>81</sup> في عام 1725م، ظهر كتاب "تاريخ مملكة الجزائر" لجاك فيليب لوجير دو تاسي؛ الدبلوماسي السابق، ومستشار القنصلية في الجزائر (1717-1718م)، ثم مفوض البحرية في أمستردام عام 1725م. يرسم فيه المملكة وعاصمتها، حيث عاش لعدة سنوات، وهكذا ضمن هذا المؤلف النجاح الهائل الذي حققه عمله هذا طوال القرن وجعله، بالنسبة لنا، أحد المصادر المميزة في تاريخ الجزائر ما قبل الاستعمار.

اعتبره أحسن ميناء على مستوى الساحل كله. وعمد إلى وهران من حيث الموقع والاسم الذي أعطاه معانٍ لم يوافق عليها المترجم.

في الكتاب أيضاً وصف للقبائل التي كانت تسكن بالقرب من وهران والتي كان أغلبها متعاوناً مع الإسبان، وفيه إدعاء بأن هؤلاء كانوا يحمونها، والواقع أنها كانت تدفع "الرومية"<sup>82</sup> مقابل الأمان، وإلا سُلِّطت عليها أشد أنواع العقوبات. وبمضي المؤلف في الحديث عن ظروف استعادة وهران والمرسى الكبير، ليضيف المترجم في نهاية المقال حديثه عن الباي بوشلاغم (Bigotillos) الذي لم يُبد - في نظره - مقاومة شديدة تجاه حملة مونتيمار.

### سابعاً- ملاحظات ووثائق حول استيلاء الإسبان على وهران في عام 1732م<sup>83</sup>:

هذا المقال عبارة عن ترجمة قام بها أنونيم هيرولت لنص إسباني، نُشر في باريس في نهاية جويلية 1732م، حول احتلال وهران من قبل الإسبان للمرة الثانية عام 1732م، وقد ذكر صاحب المقال أن مقاله هذا يتضمن سرد للأحداث التي وقعت منذ مغادرة الأسطول الذي تم تجميعه في خليج أليكونت، والتقدم الكبير لجيش ملك إسبانيا، في غزو واستعادة وهران في غضون أربع أيام ما بين 29 و 30 جوان، 1 و 2 جويلية من عام 1732م.

بدأ هيرولت حديثه عن إبحار الأسطول من خليج أليكونت، في 15 جوان، والمتكون من 500 سفينة نقل، فرقاطتان، قاذفتان للقنابل، 6 سفن، و 18 قاذفة، 12 قارباً مسلحاً، و 25 ألف رجل. والذي يرى أنه وبسبب الرياح المعاكسة والتيارات السريعة اضطر للبقاء مدة 10 أيام في مأوى رأس بالوس (Palos)، وبالرغم من أن الأسطول قد استأنف سيره في 24 من جوان، إلا أن وصوله لشواطئ وهران والمرسى الكبير لم يكن إلا في 28 من الشهر نفسه وللأسباب نفسها. لبيدأ الإنزال في اليوم الموالي

<sup>82</sup> هي عبارة عن ضريبة تدفعها القبائل المنتشرة بوهران والمرسى الكبير للإسبان مقابل الحماية والأمان وتختلف قيمتها بطبيعة العلاقة التي تربط القبيلة بالحاكم العام وكذا بعدد الخيام داخل القبيلة.

<sup>83</sup> ANONYME, Hérault, " Notes et Documents: La reprise d'Oran par les Espagnols en 1732", in: B.S.G.A.O, T52, 1931, pp.83- 88.

في الصباح الباكر بشاطئ أيجواداس (Aiguadas)<sup>84</sup>، قرب قلعة المرسى الكبير، على متن خمسمائة زورق مصطفة كلها على خط واحد، وبدعم من جميع السفن والمراكب الشراعية، بقيادة الحاكم العام الكونت مونتيمار<sup>85</sup>. وما يمكن الإشارة إليه في هذا الموضوع، هو أن دو فولكس يسرد في مقاله هو الآخر الأرقام والأحداث نفسها<sup>86</sup>.

ويسترسل صاحب المقال - هيرولت - في سرد مجريات الأحداث ببدء الإنزال والهجوم في 29 من جوان، وكيف كانت مقاومة الأتراك والمغاربة لهذا، واللذين بلغ عددهم ما بين 10 إلى 12 ألف رجل، ويصف لنا الخسائر الكبيرة التي لحقت بصفوف المغاربة بسبب القذائف التي تم إطلاقها من على متن باخرة "القديس جوزيف Saint Joseph"؛ في حين لم يكن هناك في جيش الملك إلا عدد قليل فقط من الجنود الجرحى. واستمرت القوات الإسبانية في النزول على الرغم من المناوشات المستمرة للمغاربة. لكن الحاكم العام وبعد أن لاحظ تحركاتهم، أرسل إليهم 16 مجموعة من رماة القنابل بقيادة دون لوкас فرناندو باتينييو (Don Lucas Fernando Patigno)، مارشال دي كامب (Marquis de )<sup>87</sup> (Maréchal de Camp)، وأربعمائة من الخيالة يقودها ماركيز دي لا مينا (la Mina)<sup>88</sup>، لمنعهم من التراجع ومهاجمة الجيش<sup>89</sup>.

<sup>84</sup> يقع على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من مدينة بجاية؛ على الساحل الغربي لها. ولا شك أن الأيجواداس، التي يطلق عليها عادة "الزقوات"، هي جنة بيئية فريدة من نوعها على البحر الأبيض المتوسط. لا يعرفها الكثير من السياح على شاطئ بجاية، خليجها الضخم، في نفس الوقت المائي والمرح والسحري، يقدم كل ما هو أفضل للاسترخاء لمحي الطبيعة الذين يبحثون عن الجمال الأبدي والذين يعشقون هذه الزاوية مع المناظر الخلابة والمذهلة التي لا يمكنهم الاستغناء عنها.

ANONYME, (H), op.cit, p.83.

<sup>86</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

- Foulques (L. DE), op.cit, pp.122-124.

<sup>87</sup> المارشال هو رتبة عسكرية تختلف معانيها باختلاف البلد، وهو أعلى درجة في سلك الضباط في إسبانيا، وقد كانت رتبة مارشال دي كامب، في عهد الملك فيليب الخامس هي الرتبة ما بين العقيد والملازم الأول، ألا وهي اللواء.

<sup>88</sup> كان خيمي دي غوزمان إي سبينولا (Jimmy de Guzman y Spinola)، ثاني ماركيز في لامينا (1690-1767م)، عُين قائداً للجيش الإسباني وحاكم عام لكاتالونيا ما بين (1749-1767م). وكان أيضاً الكونت الخامس لبيزويلا دي لاس توريس بالقرب من الكالا دي هيناريس. تولى منصب وزير الاقتصاد والحرب والبحرية. وكان أيضاً مشرفاً عاماً للشؤون المالية، وملازماً للأميرالية، وزير الخارجية؛ كاتب العدل في ممالك إسبانيا وفارس الصوف الذهبي. عاصر ثلاثة ملوك: فيليب الخامس، فرديناند السادس وشارل الثالث.

## والمرسى الكبير

ويستمر صاحب المقال في ذكر الانتصارات التي حققتها قوات الحاكم العام الكونت مونتيمار على المغاربة ومدى الرعب الذي نشره في صفوف هؤلاء. ليُعرج في سياق حديثه عن الإجراء الوقائي الذي قام به الإسبان في 30 من جوان، والمتمثل في بناء قلعة على الشاطئ، أسفل جبل ديل سانتو (del Santo) الذي يسيطر على حصن المرسى الكبير، للتمكن من الاتصال وتكملة عملية الإنزال وتموين الجيش وقطع جميع اتصالات العدو. وفي هذه الأثناء حدثت مناوشات مع المغاربة الذين بلغ عددهم 22 ألف من المغاربة و2000 من الأتراك، أسفرت عن تراجع الجيش بسبب إصابة عدد كبير من الرجال والخيول، حيث قتل 33 رجلاً، وجرح 100، منهم قتيلان من الضباط و6 جرحى. في هذه الأثناء استعد الكونت مونتيمار لمهاجمتهم ومباغتتهم من جهة اليسار، حيث أبحه رفقة جيوشه للاستيلاء على الجبال حيث يتواجد البرابرة (المغاربة)، وهو ما سمح على الرغم من العدد الكبير من الأعداء<sup>90</sup>، وما يتوفر عليه المكان من شروط حماية؛ إلى إجبارهم على التخلي عن المرتفعات التي كانوا يحتلونها وذلك بفضل شجاعة قوات جلالته<sup>91</sup>.

وما يمكن ملاحظته من خلال تناولنا لنص المقال هو مبالغة صاحبه في وصف بعض الأحداث، حيث رأى أنه ونتيجة تقدم قوات مونتيمار وما أحرزته من انتصارات اضطر الباي للفرار ليلاً مع جميع حراسه، مع 200 من الإبل المحملة بالأثاث الثمين الذي يستطيع حمله. وهكذا دخلت قوات الكونت مونتيمار في الأول من جويلية، ميدان المرسى الكبير وساحة وهران، فوجدوها خالية وبدون مقاومة تذكر. فحصلوا بذلك على غنائم معتبرة من طعام وذخيرة، وكمية كبيرة من مؤونة الحرب، أموال، فضة، وغيرها من الغنائم.

وبعد حرب الخلافة الإسبانية أصبح دبلوماسيًا مهمًا وكان سفيرًا لفرنسا بين 1736 و 1740م. وفي عام 1738م حصل على لقب فارس في وسام الصوف الذهبي. نفي بأمر ملكي عام 1754م، بتهمة التحريض على الثورة في عهد الملك تشارلز الثالث، إلى مدينة ديل كامبو، وتوفي هناك في 2 ديسمبر 1781م.

ANONYME, (H), op.cit, pp.83- 84.

89

<sup>90</sup> يتم وصف العرب المغاربة بالبربر والأعداء في ثنايا نص المقال، وهذا طبيعي، لأن النص إسباني وهذا ما يجعلنا نلاحظ أيضاً مبالغة في وصف بعض الأحداث، وهذه النظرة الفوقية المتعالية والبعيدة أحياناً عن الموضوعية موجودة لدى العديد من الكتاب الغربيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

ANONYME, (H), op.cit, pp.84- 87.

91

وهناك من الكتاب من يختلف في طرحه لبعض الأحداث والأرقام عما جاء به صاحب المقال من أمثال ليون جودارد (Léon Godard) الذي يتوافق مع صاحب المقال في العديد من النقاط لكن الاختلاف يكمن في تعداد القوات المغاربية إذ يرى جودارد حسب ما ورد عن خيمينيس أنها بلغت 40 ألف، وأن دخول الإسبان للمدينة كان في الثاني من جويلية 1732م وهذا هو التأريخ الأصح<sup>92</sup>. في الأخير ختم صاحب المقال حديثه عن الانتصار العظيم الذي تم إحرازه باستعادة وهران في غضون فترة قصيرة لم تتجاوز الأربعة أيام، بين إنزال وهجوم. وكيف تم طرد الأعداء (المغاربة والأتراك) من المواقع المهمة التي كانوا يشغلونها، على الرغم من الخطط والأسلحة التي كانوا يملكونها والتي تمثلت في: 138 مدفع من بينها 87 قطعة مصنوعة من الفولاذ، 7 قذائف هاون، 12 مدفعية، بالإضافة إلى سفينة شراعية كبيرة و5 مراكب، وعدد كبير من مؤونة الحرب.

ومن هنا يجب علينا أن نعترف بفضل القوات المسلحة التي لا تُقهر في تحقيق هذه الانتصارات التي أعطت للملك والتاج موقعاً هاماً محاطاً بجدران دفاعية قوية وهامة؛ هذه الأخيرة التي كانت تشكل حواجز قوية ساهمت في هيمنة الأفارقة، الذين خربوا سواحل المقاطعات المجاورة لإسبانيا، لكن ليس بعد اليوم، فالقسم بالطاعة والإخلاص الذي قدمه سكان القرى والمناطق المحيطة، والذين تجمعوا في حشود كبيرة لا يدع مجالاً للشك<sup>93</sup>.

<sup>92</sup> للإطلاع أكثر على الموضوع، ينظر:

-GODARD, (Léon), "Souvenirs de l'expédition de Ximénès en Afrique", in: R.A, N°54, 1861, pp.54- 58.

- BLUM, (N), "La croisade de Ximénès en Afrique", in: B.S.G.A.O, T17, 1897, pp.319-366; et T18, 1898, pp.1-48.

ANONYME, (H), op.cit, pp.87-88.

ثامناً- استعادة الإسبان لوهران عام 1732م<sup>94</sup>:

سنتناول هذا العنصر من خلال الرسالة التي بعث بها ساندوفال إلى بيربروجر يشكره فيها على تعاطفه مع إسبانيا وما كتبه حولها في المقال السابق تعقيباً على كتاب كلارينا بأنها كانت تدافع عن الحضارة الأوروبية، وكونها ظلت تكافح طيلة ثلاثة قرون بهذا البلد (ويعني الجزائر). كما استغل صاحب الرسالة الفرصة للحديث عن مستغانم ومزغران<sup>95</sup>، ولفت عناية مراسله إلى كتاب هام طبع عام 1593م تحت عنوان: "حوارات حروب وهران Dialogues des guerres d'Oran" للقبطان "بالتازار موراليس Baltasar Morales"، ونبهه إلى أنه يحتوي على معلومات هامة عن الكونت دالكوديت والحوادث التي وقعت آنذاك<sup>96</sup>.

كما تحدث صاحب الرسالة عن الكتاب التالي: "نظرة عامة حول مدينة الجزائر" للوفاردو، وأن صاحبه هو ابن حاكم وهران بين 1770 و 1774م الذي كانت تحت يده وثائق كثيرة وهامة، ولذلك أراد أن يضيف إلى كتابه مجموعة منها، فيها إحصاءات ومسارات هامة نحو الداخل وأسماء القبائل والدواوير التي كانت تدفع الضرائب في شكل جبوب، وطريقة توزيع الغنائم بعد الاعتداء على الجزائريين قبل 1708م. وفيها أيضاً قائمة بأسماء حكام وهران منذ 1505 إلى 1774م.

ثم ينبه ساندوفال مراسله بيربروجر إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها فاي صاحب الكتاب الذي أشاد به في معرض حديثه عن كتاب كلارينا سابق الذكر "تاريخ وهران"، وكأنه يطعن في صحة اختياره للجيد من المؤلفات، ثم يُذكره بوحدة من هذه الأخطاء وهي المتعلقة بعدم ذكر الماركيز داردالس (Marquis d'Ardales) ضمن قائمة حكام وهران رغم أنه حكمها بين 1603- 1608م.

<sup>94</sup> Sandoval, (Général de), "Sur la reprise d'Oran en 1732, et sur quelques autres faits de l'Histoire des espagnols en Afrique", in: R.A, N°08, 1864, pp.221- 226.

<sup>95</sup> هي إحدى بلديات دائرة حاسي مماش التابعة لولاية مستغانم.

<sup>96</sup> Balthazar, Morales, Documents inédits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnols (Dialogue sur les guerres d'Oran), Traductions: Michel FRANCISQUE, (R), B.S.G.A.O, T7, 1887, p.10, T9, 1889, pp.95-155 et pp.223- 255.

## والمرسى الكبير

ويضيف بعد ذلك بأن هذا الماركيز "الشجاع" هو الذي قهر الداى كوسة مصطفى<sup>97</sup> في إحدى غزواته لجهة مستغانم حيث هزمه في 27 أبريل 1606م، ويأتي التعليق من إدارة المجلة الإفريقية بأن هذه المعطيات جديدة لم يأت بها أي مصدر قبل ذلك وأنها تنتمي للتاريخ المحلي.

## تاسعاً- طبيعة الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير:

إن احتلال وخضوع المدن الساحلية للمغرب الأوسط للإسبان وتقديم الطاعة والولاء في البعض منها جاء مناسباً لسياسة ومشاريع فرديناند حتى يتفرغ أكثر لإيطاليا والصراع الدائر هناك بين الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا، للسيطرة على ثرواتها إضافة لكونها موطن الكنيسة البابوية.

وباستثناء وهران والمرسى الكبير فإن السياسة الإسبانية في باقي المدن التي احتلتها في الجزائر اعتمدت على ترك التسيير داخل المدينة للأهالي والمشايخ التابعين لها، واختلفت السياسة الإسبانية في تلك المدن حسب مشاريع ورغبات الملوك الإسبان، فبينما كان هدف إيزابيلا، بتدعيم وتوجيه الكاردينال خيمينيس للاستيطان والاستقرار في تلك المدن وعلى رأسها وهران والمرسى الكبير، واتخاذها كقواعد للتوسع داخل البلاد، أما زوجها فرديناند فقد اكتفى بإقامة مراكز محصنة (Presidios) في تلك المدن، لأنه كان مهتم أكثر بإيطاليا<sup>98</sup>. ويمكن أن يكون أحسن وصف لتلك السياسة هي الاحتواء لمنع أو على الأقل الحد من نشاط القرصنة<sup>99</sup> وتأمين الطريق البحري نحو إيطاليا، وخير مثال على ذلك ما أقامه الإسبان في كل من وهران والمرسى الكبير من سياسات وعلى رأسها العسكرية. هل معنى ذلك أن

<sup>97</sup> الداى كوسة مصطفى باشا تولى حكم الجزائر مرتين الأولى (1605-1607م)، والثانية (1610-1613)، وعام 1616م.

<sup>98</sup> جون، ب، وولف، المرجع السابق، ص ص 26-27.

<sup>99</sup> القرصنة: هي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية الغاية منها ضرب إقتصاديات العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة عليه، وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن المعادية، وهي تختلف عن لصووية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب. وانتشرت القرصنة انتشاراً هائلاً بعد اكتشاف القارة الجديدة (أمريكا). وكانت نوعاً من الحروب المشروعة النظامية التي شاركت فيها كل دول العالم ولم يكن المسلمون خلالها إلا مدافعين، ولم يكن عندهم مجال من الأحوال (لصووية البحر) فكانوا يسالمون من يسالمهم ويجموه ويحاربون من يحاربهم. ينظر: أحمد توفيق، المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ت)، ص 268.

- أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة،...، المرجع السابق، ص 72.

الإسبان اكتفوا بإقامة التحصينات والمحميات تطبيقاً لسياسة الاحتواء لمدة زمنية ريثما يقضي على مسبباتها، أم الاستقرار والبقاء الدائم؟ ونحن نميل أكثر إلى الرأي الثاني ويمكن أن نستدل على ذلك بما حدث لسبتة<sup>100</sup> ومليلة المغريتين. وللإشارة فإن هناك مجموعة من الكتاب الغربيين الذين تناولوا الموضوع خصوصاً ما تعلق منه بتقييم تلك السياسة؛ فالكل يُعبر عن تأسفه وندمه لعدم استغلال الإسبان للفرصة التي منحهم إياها الإله لتوسيع رقعة ممتلكاتهم في إفريقيا الشمالية بحيث لم تكن هناك حواجز أمامهم، وفي هذا الصدد يذكر كازيناف قوله<sup>101</sup>: "طيلة قرون بذلت إسبانيا في إفريقيا مجهودات جبارة، مسكونة في ذلك بمشروع حرب صليبية للسيطرة على بلاد الكفار... لكن في كل مرة لم يكن النجاح الدائم حليف الغزاة، هذه المشاريع التي تم تنفيذها اعتماداً على أساطيل جبارة، وبقوات كبيرة كان مصيرها دائماً الفشل... فالإسبان لم يستطيعوا طيلة وجودهم إخضاع داخل البلاد، واكتفوا بالبقاء على الساحل، لم يكن في إفريقيا استعمار إسباني"<sup>102</sup>.

وفي نهاية الأمر انكمش الوجود الإسباني خلف الأسوار ولم يتعد مساحة الموانئ، كما ظلّ محصوراً إلى حين انهيار النظام الاستعماري الذي تعاون مع بعض القبائل التي أبقت على الوجود الإسباني ولو لفترة وجيزة، وقد شبه أحد المؤرخين الاحتلال الإسباني بالأخطبوط بقوله: "لقد كان الوجود الإسباني يشبه إلى حد كبير الأخطبوط الذي سُحب من الماء ووضع داخل وعاء يُسقى يومياً بجرعات، إن توقفت أُصيب بالشلل التام"<sup>103</sup>.

<sup>100</sup> مدينة ساحلية من المدن المغربية الشمالية، وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق جبل طارق، تحيط بها الجبال من ناحية الجنوب، لها تاريخها على مرّ العصور الوسطى الإسلامية حيث كانت نقطة سياسية هامة، وتتبع حالياً إسبانيا. ينظر: لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني، ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تر: محمد كمال شبان، ط1، مطبعة أفدال، المغرب، 1977م، ص ص 71-72. وينظر أيضاً: ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 303.

<sup>101</sup> CAZENAVE, (J), Les présides Espagnols d'Afrique..., op.cit, p.226.

<sup>102</sup> إذا سلّمنا بكلام كازيناف فماذا نسمي الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير، وحتى في سبتة ومليلة.

<sup>103</sup> أليث بروشين، نيكولاي، تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16 حتى مطلع القرن 20م، تر: عماد حاسم، ط2، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، 2001م، ص 25.

عاشراً- وثائق جديدة حول تاريخ الاحتلال الإسباني في إفريقيا<sup>104</sup>:

يشمل عنوان المقال الشمال الإفريقي لكن الدراسة اهتمت أكثر باحتلال وهران من خلال وثائق جديدة تشمل الفترة ما بين 1506م و 1574م، وقد كانت مناسبتها مرتبطة بتكليف الضابط السابق مالميشور تيران (Melchior Tiran)<sup>105</sup> عام 1841م بالقيام بأبحاث تاريخية وأدبية في الأرشيف الإسباني، فطلب من وزير الحربية المارشال "الدوق دو دالماتي"<sup>106</sup> "Duc de Dalmatie" السماح له بالبحث في بعض القضايا التي تخص وزارة الحربية ومنها إدارة الجزائر، فقبل طلب تيران وتكفلت إدارة الجزائر - كنتيجة لذلك - بجزء من هذه الأبحاث التاريخية والتي شملت:

1- سيطرة العرب على إسبانيا حتى طردهم منها.

<sup>104</sup> La Primaudaie, "Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1516-1574)", in: R.A, N°19, 1875, pp.62- 77, pp.148- 157, pp.161- 193, pp.265 - 288, pp.337- 360, pp.483- 496; et N°20, 1876, pp.128- 144, pp.232- 244, pp.320 - 335, pp.387- 416; et N°21, 1877, pp.17- 32, pp.81- 96, pp.198- 229, pp.265- 298 pp.361- 379, pp.461- 472.

<sup>105</sup> ضابط فرنسي في الحرس الملكي قبل عام 1830م، تم تكليفه في عام 1841م، بمهمة في إسبانيا من قبل وزارات التعليم العام والحرب والشؤون الخارجية. حيث كلف بمهمة نسخ النصوص الإسبانية والعربية المتعلقة بتاريخ الجزائر في مختلف مستودعات شبه الجزيرة الأيبيرية. وفي أثناء بحثه، علم تيران بوجود عدد كبير من الوثائق المتعلقة بالسياسة والحرب والمالية والتجارة والأدب والشؤون الدينية في إسبانيا، والتي تم جمعها في القرن الثامن عشر بقلم دون فيليب بلترام؛ أسقف سالامانكا والحقق المشهور. فطلب تيران من ورثة الأسقف أن يتنازلوا عنه، وتم إيداع المجموعة المرسله إلى باريس في أرشيف الشؤون الخارجية. ليتيم تصنيفها من قبل أمين الأرشيف تيودوريك ليجراند ونقلها إلى الأرشيف الوطني في أبريل 1914م.

<sup>106</sup> جان دي ديو سولتن، الدوق دو دالماتي، من مواليد 29 مارس 1769م في سان أمانز لا باستيد، اليوم سان أمانز سولت (تارن)، هو جندي ورجل دولة فرنسي. عين قائدا للفرقة العسكرية الثالثة عشرة في 21 جوان 1814م، ثم وزير الحرب، من 3 ديسمبر 1814 إلى 11 مارس 1815م عينه نابليون لواء في الجيش في 9 ماي 1815م. نفي ثم عاد إلى فرنسا وأصبح وزيراً للحرب في عهد لويس فيليب، تولى رئاسة مجلس الوزراء لأول مرة في (1832- 1834م). عاد مرة أخرى على رأس الحكومة الفرنسية لثلاث مرات في ظل ملكية يوليو (1839- 1840م)، كان أيضاً حائزاً لمحافظة وزارة الشؤون الخارجية. شارك في مراسيم عودة الإمبراطور نابليون الأول في ديسمبر 1840م. رئيس المجلس لما يقرب من سبع سنوات، من عام 1840 إلى عام 1847م. توفي في قلعة في سولت بارغ، قبل أيام قليلة من الانقلاب من قبل لويس نابليون بونابرت في 26 نوفمبر 1851م.

2- المؤسسات الإسبانية على الساحل الإفريقي.

3- الأحداث التاريخية المتعلقة بحروب القرن 18م.

وقد قامت وزارة الحربية بتسليم الوثائق التي جمعها تيران إلى إدارة الجزائر والمستعمرات. وفي 1868م تم العثور على هذا الجزء بالذات في مكتبة الحاكم العام المارشال الدوق دالماتي فأعطى أمراً بترتيبها وترجمتها إلى الفرنسية.

وقد ضمت هذه المجموعة 20 ملفاً يحتوي على 361 وثيقة إسبانية وبرتغالية وإيطالية، كلها جديدة باستثناء 12 أو 15 وثيقة منها كانت متوفرة من قبل. أما فيما يخص القضايا التي تضمنتها هذه المذكرات والرسائل الرسمية المترجمة فهي:

1- احتلال وهران وعنابة (1506- 1542م).

2- احتلال بجاية (1510- 1555م).

3- حملة شارلكان على تونس (1535م).

4- احتلال عنابة (1535- 1540م).

5- مفاوضات الكونت دالكوديت مع الشريف محمد (Mohammed Chérif) (1555م).

6- سيطرة الأتراك على حلق الوادي وحصن تونس (1574م)<sup>107</sup>.

وبعد هذه التوطئة أبدى بريمودي تواضعه بالإشارة إلى عدم رغبته في المبالغة في الحديث عن أهمية هذا العمل، غير أنه لم يُخف قناعته بضرورته مبيناً أن دراسة هذه الوثائق تسمح بتصحيح أخطاء كثيرة ومراجعة قيمة لبعض روايات المؤرخين وملاء بعض الفراغات.

شمل الموضوع أحداثاً تاريخية وتعليقات وتصويبات، وفي نهايته وضعت قائمة بحكام وهران والمرسى الكبير وترتيب زمني للأحداث حتى 1708م وهي سنة تحرير وهران الأول. والملاحظ أن هناك اختلاف

بين المؤرخين فيما يخص تاريخ احتلال المرسى الكبير، وفي هذا المقال يشار إلى أنه كان في 13 سبتمبر 1505م<sup>108</sup>.

#### إحدى عشر- مناطق السيادة الإسبانية في إفريقيا<sup>109</sup>:

يتحدث صاحب المقال عن مناطق السيادة التي ظلت للإسبان بداية القرن 18م بإفريقيا وهي خمسة: وهران والمرسى الكبير، مليلية، الحسيمة<sup>110</sup>، حجر بادس (Penon de Velez) وسبتة. ويعيب على هؤلاء بقائهم في السواحل أو محاولة التقدم - في أحسن الأحوال- على حساب بعض القبائل للحصول على بعض المؤونة.

وما يهمننا في هذا المقام من العمل الذي بين أيدينا هو المرسى الكبير ووهران، حيث تحدث الكاتب عنهما بحسرة كبيرة حين عرض مسألة الاكتفاء بهما وعدم المغامرة بالتوغل في المناطق الداخلية امتثالاً للأوامر التي جاءت من مستمر إسبانيا فهذا فيليب الخامس ملك إسبانيا يحظر أي خروج للقادة العامون، وتحت عقوبات أشد ظلت الحامية محصورة طوعاً داخل أسوار المدينة سجينة لمدة قرن تقريباً، ومهددة من قبل السكان الأصليين أو الأتراك بحصار منتظم من وقت لآخر<sup>111</sup>. ويسترسل كازيناف واصفاً مناطق السيادة هذه بالمنفى أو السجن لأن كل أنواع التواصل مع القبائل المجاورة كانت ممنوعة على هؤلاء وإلا تعرضوا لعقوبات شديدة، وكنتيجة لذلك صار على الإسبان جلب المواد الغذائية خاصة القمح واللحم من إسبانيا بل وحتى الماء أحياناً. إضافة إلى ما كان يسببه هذا من تكاليف تتحملها الخزانة الملكية.

La Primaudaie, Document..., op.cit, N°21, 1877, p.466. <sup>108</sup>

CAZENAVE (J), Les présides Espagnols d'Afrique..., op.cit, R.A, N°63, 1922, pp. 225- 269 et pp. 457- 488. <sup>109</sup>

-Pestemaldjoglou, (A), «Ce que subsiste de L'Oran espagnol», in: B.S.G.A.O, T79, 1936, pp.665- 686.

<sup>110</sup> الحسيمة: مدينة مغربية ساحلية، تحيط بها تضاريس جبلية، وتقع في منتصف الشريط الساحلي المتوسطي المغربي. هي من أهم حواضر منطقة الريف الكبرى وهي العاصمة الإدارية لإقليم الحسيمة.

Vallejo, (J), « Contribution à l'histoire..., op.cit, R.A, p.364. <sup>111</sup>

ورغم هذا احتفظت إسبانيا بهذه "القلاع" الخمسة بشمال إفريقيا، لأنها احتُلت "بذهب إسبانيا وبدماء أبنائها"، وكانت في ذات الوقت تمثل أمل الامتداد نحو المناطق الداخلية من إفريقيا، لذلك تمّ الاهتمام بتنظيم شؤون هذه المراكز الإسبانية، وقد التفت إليها وزراء الداخلية من أمثال جوزيف باتينو، فحصلت ستة على قانونها الخاص عام 1715م بينما حصلت وهران على مثل ذلك عام 1745م.

لقد أخذت هذه التشريعات الجديدة بعين الاعتبار التنظيم العسكري والاقتصادي والسياسي والديني لهذه المناطق، وصار كل واحد يعرف ماله وما عليه، في ظل تعايش جنود الحماية والمجرمين والسجناء والمدنيين والعرب واللاجئين.

ثم عمد بعدها صاحب المقال إلى الحديث عن وهران واحتلالها عام 1509م من قبل خيمينيس الذي قاد الحملة بنفسه بعد أن جمع لها الكثير من الأموال، وكان المرسى الكبير يومها بيد الإسبان منذ 1504م<sup>112</sup>، وما قام به الكاردينال مثل حرباً "دينية مقدسة". وقد ذكرنا الكاتب بهذا من خلال اعتماده على كتاب يحمل دلالة خاصة نلمسها من عنوانه: "الحملة الصليبية لخيمينيس في إفريقيا Croisade de Ximénès en Afrique" لصاحبه (ن. بلوم N. Blum)، ثم عرّج على تحريرها يوم 20 جانفي 1708م من قبل الباي بوشلاغم الذي حضّر للحملة بشكل جيد رغم أن العرش الملكي الإسباني بذل كل الجهود للحفاظ على المدينة. ولما تخلص الملك فيليب الخامس من بعض مشاكله في أوروبا عزم على استعادة وهران وهو ما كان في 01 جويلية 1732م تحت قيادة الكونت مونتيمار.

وحين تطرق الباحث لتحرير وهران الثاني عام 1791م لم يذكر جهود الباي محمد الكبير<sup>113</sup> ولا الطلبة الذين حاصروا المدينة وحرروها<sup>114</sup>، وإنما عزا ذلك كله إلى زلزال 1790م الذي دمر ثلثي

<sup>112</sup> التاريخ الصحيح هو 1505م.

<sup>113</sup> للإطلاع أكثر على جهود الباي محمد الكبير في تحرير وهران، ينظر: بلبروات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016م.

<sup>114</sup> للإطلاع أكثر على الدور الذي لعبه الطلبة في تحرير مدينة وهران، ينظر: محمد، بوشنافي، دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الإسباني عام 1791م، من خلال مصادر معاصرة، مجلة عصور الجديدة، ع1، 1432هـ/2011م.

مساكن المدينة ما أجبر سكانها على مغادرتها، فأقدم الملك شارل الثالث على تركها لداي الجزائر بمقتضى اتفاقية 1791م.

ثم يعود الكاتب إلى محاولات تحرير وهران من قبل الباى بوشلاغم وبعض القبائل التي كانت تحاصر المدينة أحياناً، وقد مرت سنوات لم تكن محاولات التحرير خلالها تقل عن خمسة أو ستة مرات، وكان ذلك كله يشكل ثقلًا على المدينة ولو من حيث الذخيرة. ففي 21 نوفمبر 1732م قُتِلَ المركز سانتا كروز وبعض جنوده ولم يستعد الإسبان جثته.

ومنذ 1732م أصبحت وهران والمرسى الكبير محكومين من قبل ضباط الجيش الملكي برتبة مارشال (ضابط عام) Maréchal de Camp أو ملازم أول (Lieutenant Général) يتقاضى 750 إيكو (Ecu) شهرياً، ويساعده مجلس من ستة (6) ضباط يُنتارون لمدة عام واحد من بين مسؤولي الحاميات، بينما كان على رأس المرسى الكبير حاكم تابع لحاكم وهران. وقد مرّ عليهما 13 حاكماً أبرزهم فاليوخو (1733-1738م) الذي عزز تحصينات المدينة، وألفارادو (1770-1774م) الذي جعل مدينة وهران جميلة جداً بإدارته وكانت تضم عشرة آلاف نسمة.

وفي المقال تفصيل هام عن الحصون ومسئوليتها وتنظيم المدينة والموظفين الذين عُهد إليهم بذلك، والمبالغ العامة التي كانت تُصرف عليهم والتي بلغت سنوياً 29760 إيكو. كما تحدث المؤلف عن دور الكنيسة في تعزيز احتلال وهران وتأثير رجال الدين على يومياتها، وذكر لنا على سبيل المثال أنطونيو كامبوا موراتا (Antonio Campoi y Morata) الذي أنشأ مستشفى سانت برناردين (Saint Bernardin)<sup>115</sup> عام 1756م، وكان يجوب المدينة لجمع التبرعات الضرورية لتسييره.

<sup>115</sup> سانت برناردين: ولد في ماسا ماريتيما في 1380م، وتوفي في لاكويلا 20 ماي 1444م، هو خطيب فرنسيسكان معترف به من قبل الكنيسة الكاثوليكية. نشر التفاني في اسم يسوع المقدس وكان يلقب بـ "رسول إيطاليا" لجهوده في إعادة الإيمان الكاثوليكي إلى بلاده في القرن الخامس عشر. التحق بمستشفى سانتا ماريا ديلا سكالا، وعندما ضرب وباء الطاعون مدينة سينا؛ كرس برناردين نفسه لخدمة المرضى.

ويعود صاحب المقال إلى الحاكم العام لمدينة وهران فيحدثنا عنه بالتفصيل، فهو الذي يعينه الملك شخصياً لمدة غير محددة ولا يقدم تقاريره إلا إلى وزير الحربية، وله الحق في مراقبة الحاميات بناءً على تكليفه من قبل الملك بالأمر الملكي المؤرخ في 15 أبريل 1758م. وهو الذي يشرف على العمليات العسكرية وغزو القبائل العربية وله في المقابل ربع الغنائم المحصّلة من ذلك كله. كما نقل إلينا كازيناف أهم المشاكل التي عانى منها الحاكم العام، مشيراً إلى أهمية الإطلاع على المراسلات التي كانت بين وهران وإسبانيا للتعرف أكثر على طبيعة تسيير المدينة<sup>116</sup>.

#### إثنا عشر - نظرة تحليلية عامة حول الدراسات المنشورة في المدونتين:

إن المطلع على الدراسات الواردة في المدونتين - المجلة الإفريقية ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران - والمتعلقة بموضع الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير يجد أن الغالب فيها عبارة عن مقالات، ثم تأتي الكتب في المرتبة الثانية، ومونوغرافيات وملاحظات تاريخية وجغرافية وهندسية معمارية، في حين تمدنا المراسلات والتي في أغلبها عبارة عن رسائل وتقارير ذات طابع عسكري بمعلومات دقيقة عن الإمدادات والتموين العسكري للحاميات الإسبانية المرابطة في المنطقتين المحتلتين<sup>117</sup>. لكن تبقى مراسلات مدعمة لدراسة الحدث التاريخي وتحتاج إلى وثائق ومصادر تبرز مضامينها بوضوح وتضعها بدقة في سياقها التاريخي.

والجدير بالذكر أن هذه الدراسات اعتمدت على مصادر كان أصحابها قريبين جداً من الحدث بل من مراكز صناعة القرار سواء على مستوى الإدارة الإسبانية سابقاً أو الإدارة الفرنسية لاحقاً، وهو ما أوهمهم بصحة المعطيات التي نقلوها وأنهم صاروا فوق احتمالية الوقوع في الخطأ.

وإذا أشرنا إلى الإنتاج التاريخي (الأستغرافيا الإسبانية) الإسباني حول مسألة هذين المكانين - وهران والمرسى الكبير - نجد أنها تحتل زاوية ضيقة في هذا الإنتاج، خاصة إذا قارنا القرن السادس بالقرنين

<sup>116</sup> CAZENAVE (J), Les présides Espagnols d'Afrique..., op.cit, R.A, N°63, 1922, pp. 260-269

<sup>117</sup> حنيفي، هلايلي، ببليوغرافيا حول الاحتلال الإسباني لوهران (1505م-1792م) من خلال المدونات الفرنسية: المجلة الإفريقية (R.A) ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران (B.S.G.O)، فعاليات الملتقى الدولي، 2016م، ص 32.

السابع عشر والثامن عشر، حيث نجد أن الكتاب الوحيد المكتوب في نهاية القرن السادس عشر حول وهران والمرسى الكبير هو للمؤلف ديبغو سواريز والذي نشر في نهاية القرن التاسع عشر<sup>118</sup>. هذا الكتاب الذي سيكون، ولفترة طويلة، المصدر والمرجع الوحيد للمؤرخين الإسبان والفرنسيين.

والملاحظ أن اهتمام المؤرخين الإسبان قد بدأ ينصرف تدريجياً خلال القرن السابع عشر عن الكتابة حول تاريخ الوجود الإسباني في الجزائر، وهذا يعني منذ اللحظة التي بدأت فيها شعبية إسبانيا في الجزائر بالتراجع للتركيز على أوروبا. هذا الشعور بعدم الاهتمام بعد إخلاء وهران والمرسى الكبير في عام 1792م، والذي سيكون أكثر حدة بعد عام 1830م أي بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ومن بين المؤرخين الإسبان الذين كتبوا بعض الفصول حول هاذين المكانين، نذكر: ساندوفال، زافالا (Zavala)<sup>119</sup>، غارسيا فيغيراس (García Figueras)<sup>120</sup>، وغيرهم<sup>121</sup>. إلا أن هؤلاء

<sup>118</sup> Diego, Historia del Maestre ultimo de Montesa, Manuscrit annoté par Guillen de Roblès et édité par la Sociedad de Bibliofilos Espanoles, en 1889.

تم نشره وحققه الباحث الجزائري المختص في الإنسانيات:

- Malki, (Noureddine), Razzia, butin et esclavage dans l'Oranais au XVIe siècle, d'après la manuscrit de Diego Suarez, dar el Gharb, Oran, 2002.

- هناك دراسة قيمة حول أوضاع بايلك الغرب وأحداث المجاعة التي شهدتها المنطقة سنة 1750م، وعمليات الاختطاف والأسرى في السجون الإسبانية بالحاميات العسكرية، ينظر:

- Luis Fernando Fé Canto, "la grande famine de 1750 dans l'Oranais: d'autres voies vers la captivité et l'esclavage", In, cahiers de la Méditerranée, N°87,2013, pp.275- 280.

<sup>119</sup> كان خوان دي زافالا إي دي لا بوينتي ولد في ليما 27 ديسمبر 1804م، كان رجلاً عسكرياً وسياسياً إسبانياً. كان رئيساً لمجلس وزراء إسبانيا عام 1874م خلال الجمهورية الإسبانية الأولى. بالإضافة إلى كونه الماركيز الأول لسييرا بولونز، كونت باريديس دي نافا، وليما (بيرو) عام 1804م، تم تعيينه حاكم عام على فالنسيا عام 1842م، كما تولى العديد من المناصب العسكرية في في الجيش الإسباني كرتبة عقيد عام 1833م. حكم عليه بالنفي إلى سبتة في 11 ماي 1848م، على الرغم من أنه لم يقض حتى شهراً من الحكم على إقامته في مدريد بسبب الانتفاضات التي قامت في إشبيلية ومدريد. توفي بمدريد في 29 ديسمبر 1879م.

<sup>120</sup> توماس غارسيا فيغيراس (Tomás García Figueras) ولد في جبريز دي لا فرونتيرا في 19 جوان 1892م، وتوفي في 12 فيفري 1981م، كان رجلاً عسكرياً، وكاتباً إسبانياً ومؤرخاً وباحثاً في الشؤون الإفريقية. ركزت مسيرته العسكرية على إفريقيا وخاصة على المغرب الذي كان تحت الحماية الإسبانية، حيث قضى 30 عامًا من حياته. في جانبه الآخر كمؤرخ وكاتب عن الحياة، كتب وجمع كمية كبيرة من المواد المتعلقة بإفريقيا والتي تشكل مجموعة واسعة وممتازة ذات قيمة عالية للدراسات الأفريقية والعالم العربي بشكل عام.

المؤرخين كانت لديهم رؤية استعمارية إيديولوجية في كتابتهم للتاريخ المغرب الكبير، ويُعيون على حكاهم تخلّيه عن وهران والمرسى الكبير ما تسبب في غلق باب التوسع الإسباني في الجزائر.

وما يدل على المكانة التي لازالت تحظى بها وهران في الذاكرة التاريخية الإسبانية ما حدث سنة 1844م حين أرسلت الضابط السامي الجنرال دون كريسا خيمينيس دي ساندوفال رسمياً في مهمة إلى وهران للقيام بجمع الكتابات القشتالية (inscription castillanes)<sup>122</sup>. وقد اعتمد أيضاً على مخطوط مؤرخ وهران تابالوسوس (Tabalosos) وعلى كتاب هنري ليون فاي<sup>123</sup>، وهذا وإن دل على شيء، إنما يدل على المكانة التي كانت لا تزال تشغلها مدينة وهران في الذاكرة التاريخية الإسبانية.

وفيما يخص مجال التأريخ للتواجد العسكري الإسباني بالمنطقة نلاحظ انعدام أي أطروحة حول الموضوع سواء باللغة الإسبانية أو الفرنسية، باستثناء العمل الجبار الذي قام به بروديل في كتاباته لاسيما في القسم الثالث من كتابه "المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني"<sup>124</sup>، والذي ألم فيه بالموضوع وبطبيعة الصراع الإسباني العثماني برؤيا تحليلية للأحداث وسياقاتها<sup>125</sup>.

121 Arques, Fernàndez, Enrique, Las adelantades de Espana- Madrid, Las plazas

espanolas del litoral africano del Mediterràneo, I.D.E.A, 1966.

- Arques, Fernàndez, Enrique, "Moros de paz", Revista de Tropas Coloniales, N°4, avril 1925, pp.1- 5.

122 Sandoval, Don C-X de, Las inscripciones de Oran y Mazalquivir, Noticias sobre

ambas plazas desde la conquista hasta su abandono en 1792, Madrid, R. Vicente, 1867,

traduit par le Dr Monnereau. « Les inscriptions d'Oran... », op.cit, R. A, 1872.

-Henri, (L. F), Histoire d'Oran..., op.cit. 123

124 ترجم الكتاب إلى أكثر من 25 لغة في العالم من بينها الإنجليزية، الإيطالية، الإسبانية، البولونية، البرتغالية، اليونانية، الألمانية، التركية،

وغيرها من اللغات، والمؤسف أنه لم يترجم بعد إلى اللغة العربية، فيما عدا مبادرة المؤرخ مروان أبي سمراء، الذي ترجم موجز عن هذا الكتاب

- الضخم الذي يضم حوالي 1200 صفحة- إصدار دار المنتخب العربي، بيروت، 1993م. ينظر:

Braudel, Fernand, La Méditerranée et le monde Méditerranéen..., op.cit.

125 للإطلاع أكثر على الموضوع ينظر: مسعودة، بوجلال، العلاقات العثمانية الإسبانية على ضوء كتابات برودال، مذكرة ماجستير في

التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م.

وعند استعراض الأحداث التاريخية في المدونتين فإننا نجد أن أكبر المهتمين بحركة التوسع الإسباني في القرن السادس عشر الميلادي بالمنطقة المغاربية هي المدرسة الفرنسية بكل توجهاتها الإيديولوجية، وذلك لأسباب استعمارية محضة، ومن هنا يأتي تكليف وزارة الحرب الفرنسية لأحد موظفيها المدنيين وهو مالشيور تيران بجمع الكتابات التي تشير إلى هيمنة العرب بإسبانيا لاسيما ما تعلق منها باحتلال الإسبان للسواحل الإفريقية، كما كلف أيضا بالاهتمام بالأحداث المختلفة التي وقعت في حروب القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، حيث تمّ تحويل جزء كبير من الوثائق الأرشيفية الإسبانية التي جمعها تيران فيما بعد للحكومة العامة في الجزائر، وللاستفادة أكثر من هذا المخزون المعرفي بما في ذلك الوثائق الخاصة بالاحتلال الإسباني لوهران، قام تيران بكتابة "وثيقة حول وهران خلال فترة الاحتلال الإسباني" سنة 1847م<sup>126</sup>؛ فالحملة العسكرية الموجهة إلى الجزائر سنة 1830م كانت قائمة على فكرة الاستكشاف العلمي التي تولدت بعد أن جاب الجيش الفرنسي ربوع البلاد وأدرك مدى ضخامة الثروة الموجودة بها، وقد ساهم في ذلك ثلة من العسكريين والمهندسين والجغرافيين وغيرهم ممن ساهموا في جرد الثروات التي احتوتها المنطقة ليكون بوسع بيربروجر، وماك كارتي، كازيناف وأمثالهم أن يكونوا على دراية عالية بالحقائق المحلية<sup>127</sup>.

لقد كان هنري ليون فاي، يقوم وبالموازاة مع التنقيبات الأثرية في مختلف المواقع بالناحية الوهرانية، بجمع الكتابات التي لا تزال موجودة في مختلف البنايات والمعالم المشيدة في الفترة الإسبانية والعثمانية. هذه الكتابات التي جمعها كانت بمثابة المواد الأساسية لكتابة ونشر مؤلفه المعنون بـ: "تاريخ وهران، قبل، أثناء وبعد الهيمنة الإسبانية" سنة 1858م، ويقول بشأن الدافع الذي جعله يكتب هذه

Tiran, (M), Notice sur Oran pendant l'occupation espagnole, Paris, Archives du ministère de la Guerre, 1847.

126

Frémeaux,(J), "Souvenirs de Rome et présence française au Maghreb: essai d'investigation ", in: CRESM, Connaissance du Maghreb, Sciences sociale et colonisation, sd de J-C. Vatin, Paris, Editions du CNRS, 1984, pp.29- 46.

127

الصفحة من تاريخ وهران: " لمساعدة الباحثين في المستقبل قمنا، بشكل ديني وبعناء شديد بجمع وتصنيف المواد المبعثرة والضرورية لاستكشاف الأزمنة الأولى لهذه المدينة المميّزة"<sup>128</sup>.

ومع وصول الجنرال بيليسي إلى قيادة المقاطعة العسكرية بوهران عرفت عملية البحث عن تاريخ تحصينات وهران وماضيها العسكري، اهتماماً كبيراً سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. وقد كان المسؤول عن هذه العمليات هو قيادة الهندسة العسكرية، هذه الأخيرة التي وضعت منذ بداية عام 1850م حصيلة أعمال التحصين الموروثة عن الحقبة الإسبانية، وحررت "تقرير حول كل الأعمال المنجزة حول ساحات وهران والمرسى الكبير"<sup>129</sup>.

وقد لعبت المخططات التي قام بانجازها وإعدادها عدد من المهندسين المعماريين العسكريين أو الجغرافيون، الطبوغرافيون، والمختصين في مسح الأراضي والتحصين وغيرهم، دوراً هاماً في فهم تفاصيل المدينة مما يسهل عملية التحكم فيها وفي تغيير الشكل الحضري لها<sup>130</sup>، ومن أمثلة ذلك ما قام به الضابط دوريان الذي أنجز "خريطة لمدينة وهران وضواحيها" سنة 1874م<sup>131</sup>، وكذا الأعمال التي قدمها مراسل المجلة الإفريقية لويس بيبس<sup>132</sup> (Louis Piesse)<sup>133</sup>، بالإضافة إلى بعض كتابات

Fey, (H.L, op.cit, p.141.

128

Ibid.141-1442.

129

Pollak, (M-D), Introduction, URBI XI, Architecture militaire, Liège, Pierre

130

Mardaga – Éditeur, 1989, p.V.

<sup>131</sup> كرس إيزيدور دوريان نفسه خلال مسيرته المهنية في رسم خرائط للمستعمرات الفرنسية ومن بينها الجزائر، ترأس جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران ما بين (1896-1904) وأسس مرصداً للأحوال الجوية مقره سانتا كروز (Santa Cruz)، ومن مؤلفاته كتاب بعنوان: "الفرنسيون في وهران" الصادر سنة 1886م، والذي يعد مرجعاً هاماً لا غنى عنه حول تاريخ المدينة.

<sup>132</sup> لويس بيبس (1815-1890م)، كان مساعد أمين مكتبة بالجزائر العاصمة من 1842م إلى 1851م. كانت له مؤلفات عدة من بينها: "الجزائر وتونس"، "الجزائر ومحيطها"، "إمرأة عربية"... الخ، وفقاً للملاحظات التي جمعها وصنفها السيد لويس بيبس عبر خط سير تاريخي وصفني للجزائر مستخدماً أدلة وأعمال تاريخية عن الجزائر.

Piesse, Louis, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, comprenant le Tell et le

133

Sahara, Paris, Hachette, coll, Guides Joanne, 1862, p.207.

- Berrbrugger, (A), " Province d'Oran, Ain Témouchent", in: R.A, N° 1, 1856-1857, p.506.

بيرروجر وغيرها من الدراسات، وهكذا أصبح لفرنسا رصيد هام من المخططات والخرائط والأرشيف لمختلف الموانئ التي كانت لها علاقة مباشرة بوهران<sup>134</sup>، وعليه أصبحت هذه المخططات أداة عمل لا غنى عنها في معرفة إستراتيجية المواقع الحضرية سواء من الناحية الدفاعية أو من ناحية السيطرة العسكرية، وقد حملت جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران على عاتقها مهمة الدراسات التاريخية والدفاع عن الموروث الأثري لمدينة وهران وضواحيها<sup>135</sup>.

وهكذا نجد أن الإسطوغرافية الفرنسية كانت أكثر شمولية على المستوى العسكري، وجزء مهم من هذا الإنتاج التاريخي تمّ تطويره خلال الحقبة الاستعمارية وغالباً ما يتم نشره في المدونتين<sup>136</sup>. وقد تميزت الفترة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر بإنتاج دراسات جادة وغزيرة حول وهران، منها أبحاث مترجمة وأخرى موثقة بوثائق محلية وإسبانية، مرفقة في كثير من الأحيان بخرائط وصور للمواقع العسكرية الإسبانية بالمنطقتين. ومن المؤرخين المتخصصين في وهران والمرسى الكبير خلال التواجد الإسباني بها، نذكر: بيرروجر، بروديل، ليسباس، بودين، كازيناف، ليون فاي، بول روف وغيرهم.

والجدير بالذكر أنه وبالرغم من التنافس الاستعماري الرهيب الذي عرفته القارة الأوروبية خلال القرون الأخيرة فإن القارئ يلحظ ومما لا يدع مجالاً للشك؛ وجود كثير من التعاطف الذي يديه الكتاب الفرنسيون من خلال المدونتين - المجلة الإفريقية والنشرية الأثرية والجغرافية لوهران - مع الاحتلال الإسباني لوهران، بل الكثير من الأسف على تفريط الإسبان في هذه المدينة بعدما أفرحوا الأوروبيين باحتلالها انتقاماً من البحرية الجزائرية التي أفضت مضاجعهم زمناً طويلاً. ومن أمثلة ذلك دفاع بيرروجر عن

<sup>134</sup> Cazenave, (J), Les sources de l'histoire d'Oran..., B.S.G.A.O, T54, 1933, pp.303-379.

<sup>135</sup> Benkada, (S), "La Société savante, ruptur et continuité d'une tradition associative: le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran", Revue Instanciât, CRASC, Oran, N°8, 1999, pp.119- 128.

<sup>136</sup> لن نستعرض كل البيانات البيبليوغرافية المتضمنة الكتابات التاريخية حول وهران والمرسى الكبير المنشورتين في المجلتين، بل يرجى العودة إلى ملحق الدراسة رقم (1) و (2).

الإسبان واعتبار وجودهم بوهراڤ والمرسى الكبير طيلة ثلاثة قرون ما هو إلا دفاع عن الحضارة المسيحية<sup>137</sup>.

كان التعصب الديني، والرغبة في نشر المسيحية وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الإسلام يدفع الإسبان منذ أواخر القرن الخامس عشر، وطوال القرن السادس عشر إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا<sup>138</sup>، يقول بروديل: "إن الحروب الإسبانية في إفريقيا أخذت صبغة الصليبية، وذلك نظراً للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس ومن الجرأة في هذه المعركة، معركة خاصة بما"<sup>139</sup>.

وبالنظر إلى ما حققه الإسبان من انتصارات في الجزائر لاسيما في وهران والمرسى الكبير، نجد أن العديد من المؤلفات والتقارير الإسبانية لا تكاد تخلو من المبالغة والتحيز، أما إذا تعلق الأمر بجرائمهم وانتكاساتهم، فإننا نلاحظ عزوفاً وصمتاً إسبانياً، وقلما نجد مؤلفاً يقف على المرائم الإسبانية، وتقاريرهم التي تكتفي بوصف الحملات العسكرية، تعزو الانتكاسة إلى عوامل طبيعية كالعواصف البحرية أو هيجان البحر وغيرها<sup>140</sup>.

ومن خلال استعراضنا لبعض المحطات المتعلقة بطبيعة الدراسات الواردة في المدونتين فيما يخص الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير ووهراڤ، ومن خلال سير الأحداث نلاحظ أنها تتفق بشكل كلي على برهنة الاحتلال الإسباني للمنطقة، والتركيز على فكرة الاختيار غير الصائب للاحتلال وغير المنظم من طرف الحكومة الإسبانية. وكونه نتاج رد فعل قائم على الانتقام لم يعتمد بالقدر الكافي على دراسات مسبقة ومتأنية مبنية على أساس دراسة تلك المناطق من حيث جغرافيتها، سكانها، الحالة السياسية

<sup>137</sup> Sandoval, "Sur la reprise d'Oran en 1732...", op.cit, R.A, N°08, 1864, pp.221- 223.

<sup>138</sup> Fernand, Braudel, « les Espagnols et l'Afrique..., op.cit, pp.198-199.

<sup>139</sup> Ibid, p. 201.

<sup>140</sup> بلبروات، بن عتو، فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م، مجلة الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ع 12، جامعة وهران، 1426هـ/2005م، ص 273.

والاقتصادية والاجتماعية لها، وما كان بمثابة العثرات بالنسبة للاحتلال الإسباني في المنطقة تداركه الاستعمار الفرنسي بعد نجاح الحملة سنة 1830م.

إن ما يميز الأسطوغرافيا الاستعمارية التي عاجلت تاريخ الجزائر هو ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالإدارة الاستعمارية، ما يجعلها تعيد إنتاج تحاليلها المختلفة وخصائصها العامة، فقد اشتملت هذه الوثائق في الغالب على مجموعات هامة من التقارير والتحقيقات التي وضعها موظفون - على مختلف المستويات - واستخدمها المؤرخون الفرنسيون بكيفيات قررت مضمون أبحاثهم ووجهت نتائجهم<sup>141</sup>.

لا شك أن التأليف التاريخي الاستعماري مليء بالأحكام المسبقة السلبيّة المبنية على مفاهيم لا ترتبط، ارتباطاً وثيقاً بالوقائع التاريخية الجزائرية كحقيقة دامغة، لكن لا ينبغي أن نعتبرها حكماً مطلقاً نركن إليه في المساجلات الفكرية مع المؤرخين الاستعماريين، فمثل هذا الموقف المتخلف المتحجر أخطر على مستقبل التاريخ والفكر التاريخي في بلادنا.

ولذا لا يجوز أن نستقر في موقع السجال العقيم، نقد التاريخ الاستعماري وأحكامه، نلغيه بسبب نقائصه ونغفل عن ذكر رصيده المعرفي والمنهجي، فلا ننسى أن الكتاب الاستعماريين قد كتبوا تاريخ الجزائر بوسائل فكرية وأدوات منهجية ارتبطت بوضعية العلوم الإنسانية والتاريخ في عصرهم، إنهم - مثل باقي المؤرخين والكتاب في العالم - قد تأثروا بأصولهم الاجتماعية وبالبيئة السياسية المحيطة بالمناخ الفكري الثقافي السائد.

ولتدارك كل هذا ندعوا إلى تجديد كتابة التاريخ وتخليصه من المسحة الاستعمارية، غير أن هذه الدعوة لا تتحقق إلا بالتنقيب عن مصادر بديلة - غير المصادر الفرنسية - وإعادة تحليل الوقائع التاريخية اعتماداً على المناهج العلمية الحديثة.

وبالنظر إلى اللغات التي أنجزت بها مختلف الدراسات المعتمدة في هاتين المدونتين لاسيما ما تعلق منها بموضوع الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير نجد أن الغالب هو هيمنة اللغتين الفرنسية

<sup>141</sup> ينظر الملاحق: (1)، (8)، (16) و(17).

والإسبانية، وكذا الترجمة من الإسبانية والعربية إلى الفرنسية<sup>142</sup>، وفيما يخص ترجمة الكتابات العربية فغالباً ما كانت توكل مهمتها لموظفين محليين من أمثال: بيكس (Bex)، كوسون (Ch. Cusson) وغيرهم<sup>143</sup>، والمرجح أن السبب في قلة الدراسات بلغات أخرى راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة المرحلة الاستعمارية المهمة باللغة الفرنسية وثقافتها، ويمكن أن نستدل على ذلك بقول بيربروجر: "... أنه في أوروبا، يوجد رجال على قدر كبير في علم التاريخ مهتمون بماضي الجزائر لكنهم يفتقدون إلى المادة التاريخية، وها قد جاء دورنا بعد أن أصبحت هذه المصادر ملك أيدينا، لنقوم بما لم يستطع غيرنا القيام به..."<sup>144</sup>. ويضيف قائلاً أن "مؤرخي الفترة التركية يفتقدون غالباً للدقة، نظراً لنقص المخططات والخرائط المعاصرة عندما يصفون الغارات البحرية التي شنتها في فترات مختلفة أمم أوروبية. وما قام به بعض الكُتّاب الأوروبيون من أبحاث أمثال بيبس والتي سدّت فجوة عميقة في هذا المجال"<sup>145</sup>.

والملاحظ أن السلطات الاستعمارية اهتمت وبشكل ملفت للانتباه بالدراسات المتعلقة بالاحتلال الإسباني خاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ما جعل اللغة الفرنسية تحتل الريادة تأليفاً وترجمة. كما يمكن أن نرجع قلة الدراسات باللغة الإسبانية فيما يخص الموضوع نفسه، إلى عزوف المؤرخين الإسبان عن الكتابة بخصوص الحاميات العسكرية الإسبانية المتواجدة بشمال إفريقيا خلال فترة الاحتلال، وكذا بسبب انخفاض عدد السكان الإسبان والجلء النهائي للتواجد الإسباني بالمواقع الجزائرية منذ 1792م، فالدراسات الإسبانية على العموم لم توظف لخدمة الأغراض السياسية نظراً لقرب إسبانيا من منطقة المغرب العربي واحتلالها للعديد من مناطقها الساحلية منذ القدم، وهذا الاحتلال المبكر لم تسبقه دراسات علمية كبقية المستعمرات الأوروبية الأخرى، فكان نتاج رد فعل قائم على الانتقام وليس نتاجاً لدراسات مسبقة ومتأنية مبنية على أساس دراسة تلك المناطق من حيث جغرافيتها، سكانها،

<sup>142</sup> وللإطلاع أكثر على الدور الذي لعبه المترجمون في خدمة الإدارة الاستعمارية، ينظر: حنيفي، هلايلي، "المترجمون في الجيش الفرنسي: آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر 1830 - 1962م"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، العدد 11 - 12، مارس 2016م.

Fey, (H.L), op.cit, p.271.

143

Berrbrugger, (A), Introduction..., op.cit, p.5.

144

Ibid, p.231.

145

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها، وقد كان من أوائل المهتمين بالكتابة القساوسة والرهبان والذين سعوا بإخلاص إلى التبشير بالدين المسيحي<sup>146</sup>.

إن من أشهر المؤرخين المهتمين بتاريخ وهران والمرسى الكبير ساندوفال الذي عاب كثيرا على السياسة الإسبانية تجاه المحميات الإسبانية، واتهام الحكام العسكريين بالتقاعس - خلال القرن 18م- الذي كان السبب الرئيسي وراء غلق منافذ التوسع العسكري الإسباني بالمنطقة<sup>147</sup>.

وعليه يمكن القول أن كل تلك الأسباب وغيرها فتحت المجال واسع أمام الكتاب الفرنسيين ليكونوا رواداً وبامتياز في مجال الدراسات حول موضوع الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير سواء عن طريق التأليف أو الترجمة، من أمثال: كازيناف، بروديل، لوي فيرو وبيربروجر وغيرهم.

والملاحظ على المصادر الأجنبية أنها قد تعمدت التقصير في معالجة موضوع تحرير وهران والمرسى الكبير لاسيما ما تعلق منها بمرحلة الفتح النهائي عام 1792م، سواء من قبل المؤرخين الإسبان الذين ألفوا تدوين انتصاراتهم فقط، أو من لدن المؤرخين والباحثين الفرنسيين الذين استغلوا العزوف الإسباني من جهة، ونقص التدوين الجزائري من جهة أخرى، وراحوا ينظرون للموضوع بطريقة تخدم أفكار دولتهم الاستعمارية، لذا يجب توخي الحذر خلال التعامل معها ودراستها<sup>148</sup>.

وفي الأخير يمكن أن نخلص إلى جملة من الاستنتاجات:

- لتدارك كل ما سبق حول الكتابات الغربية ندعو إلى تجديد كتابة التاريخ وتخليصه من المسحة الاستعمارية، غير أن هذه الدعوة لا تتحقق إلا بالتنقيب عن مصادر بديلة - غير المصادر الفرنسية- وإعادة تحليل الوقائع التاريخية اعتماداً على المناهج العلمية الحديثة.

<sup>146</sup> ساسي سالم، الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ج1، ص ص 140-141.

<sup>147</sup> حنيفي، هلابلي، بيبليوغرافيا حول الاحتلال الإسباني لوهران... المرجع السابق، ص ص 15-16.

<sup>148</sup> بلراوات، بن عتو، فتح وهران والمرسى الكبير... المرجع السابق، ص 270.

- أن ما يمكن أن يلحظه القارئ خلال إطلاعه على هذه الدراسات الموجودة بالمدونتين هو التعاطف الكبير الذي يبديه الكُتّاب الفرنسيون من خلال المدونتين مع الاحتلال الإسباني لوهران، بل والتأسف الكبير على تفريط الإسبان في هذه المدينة بعدما أفرحوا الأوروبيين باحتلالها انتقاماً من البحرية الجزائرية التي أفضت مضاجعهم زمناً طويلاً.

- أن هذه الدراسات قد اعتمدت على مصادر كان أصحابها قريبين جداً من الحدث بل من مراكز صناعة القرار سواء على مستوى الإدارة الإسبانية سابقاً أو الإدارة الفرنسية لاحقاً، وهو ما دفعهم للتفكير بصحة المعطيات التي نقلوها وأنهم صاروا فوق احتمالية الوقوع في الشك أو الخطأ.

- إن ما يميز الأسطوغرافيا الاستعمارية التي عاجلت تاريخ الجزائر هو ارتباطها بأرشيف الإدارة الاستعمارية، ارتباطاً يجعلها تُعيد إنتاج تحاليلها المختلفة وخصائصها العامة، هذه الوثائق التي وضعها موظفون - على مختلف المستويات- واستخدمها المؤرخون الفرنسيون بكيفيات قررت مضمون أبحاثهم ووجهت نتائجهم.

- لا شك أن التأليف التاريخي الاستعماري مليء بالأحكام المسبقة السلبية المبنية على مفاهيم لا ترتبط، ارتباطاً عضويًا، بالوقائع التاريخية، حقيقة دامغة لكن لا ينبغي أن نعتبرها حكماً مطلقاً نركن دائماً إليه في المساجلات الفكرية مع المؤرخين الاستعماريين، مثل هذا الموقف المتخلف أخطر على مستقبل التاريخ والفكر التاريخي في بلادنا.

- أن المستشرقين الفرنسيين أو الإسبان وكغيرهم من المستشرقين الغربيين، لم يستطيعوا في الغالب التخلص من عقدة المركزية الغربية في تناول الظاهرة التاريخية. وعليه يجب أن نستثمر في دراساتهم وتحقيقاتهم ما يستحق الاستثمار، وننبه وننتبه إلى من يتضمن معاداة بل وحتى تشويه للفكر العربي الإسلامي. فقد آن الأوان لخلق مناخ فكري يساعد على المثاقفة<sup>149</sup> والتواصل بين سائر الحضارات

<sup>149</sup> التناقص: يرتبط بمصطلح الثقافة، مصطلح: اكتساب الثقافة أو التناقص (بالإنجليزية: Acculturation)، ويعني أنه عند انتقال أعضاء الجماعة من جماعتهم للعيش في جماعة أو مجتمع آخر، فإنهم يواجهون عملية تغير ثقافي، لأنهم يواجهون ثقافة تختلف عن ثقافتهم. ومن خلال الاحتكاك والاتصال المباشر يكتسب الأعضاء الجدد في هذا المجتمع ثقافته، وتسمى هذه العملية اكتساب الثقافة.

## والمرسى الكبير

الإنسانية بعيدا عن أيّ نزعة إيديولوجية. وحين نعود إلى تاريخ البحر المتوسط فإننا نلمس ذلك الالتفاف الإسلامي المسيحي الذي كان بين هاتين القوتين، فالقوة الإسلامية قد برزت في مظاهر حضارية متنوعة، وصار البحر الأبيض المتوسط وقيمتها للالتقاء الحربي أو السلمي بين العرب والأوروبيين، وللحوار الثقافي بينهما.

- لقد كانت الجهة الغربية من المغرب الأوسط، أول منطقة به تطأها أقدام الإسبان بدءاً بالموقعين الساحليين الاستراتيجيين: المرسى الكبير سنة 1505م، وهران 1509م. وانطلاقاً منهما حقق الإسبان انتصارات عسكرية وسياسية ضد المقاومة المحلية العاجزة عن صد العدوان الإسباني والتي قادتها الدولة الزيانية المتضعضة والتي كانت تعيش سنواتها الأخيرة بسبب الصراع على العرش بين أفراد العائلة المالكة.

- إن طبيعة الاحتلال الإسباني للمدن الجزائرية لاسيما وهران والمرسى الكبير التي دام بها زهاء ثلاثة قرون، تؤكد أنه احتلال حُطط له وتُنفذ، وكان الهدف استيطانها وذلك بتهجير آلاف العائلات الإسبانية للاستقرار وتقديم كل التسهيلات. ومن الطبيعي أن تكون هناك أسباب أخرى منها تأمين الطريق نحو إيطاليا ومواجهة الأسطول الجزائري، وأحسن دليل نملكه مصير سبتة ومليلة المغربيتين، وهي دليل لمن قال من المؤرخين الإسبان الذي لخص لنا دوافع الاحتلال في كونها "حملة وقائية".

- أنه ما كان للاستعمار الإسباني أن يستمر كل تلك المدة لولا القبائل الموالية لهم والممولة لتلك المراكز المحصنة، من ذلك قبائل بني عامر، وقنزة وغيرها.

- إن العلاقات بين الجزائر وإسبانيا بشكل عام، وفي وهران والمرسى الكبير بوجه خاص؛ هي جزء من العلاقات بين الإسلام والمسيحية في الفترة الحديثة، أو بالأحرى هي مرحلة من مراحل الصراع الإسلامي المسيحي الذي قادته الدولة العثمانية حامية المسلمين، والإمبراطورية الإسبانية المتحالفة مع الكنيسة الكاثوليكية.

- اقتصر الاحتلال الإسباني للمغرب الأوسط في الغالب على المناطق الساحلية الإستراتيجية الهامة كوهان والمرسى الكبير، حيث أقاموا فيها حاميات ومراكز محصنة لصد أي عدوان مضاد ومحتمل من

## والمرسى الكبير

طرف السكان الأصليين، وهو ما يدل على أنهم تحاشوا المدن الداخلية خوفاً من الاصطدام مع السكان الأصليين، أو لأنهم كانوا يجارون على جبهات أهم بالنسبة إليهم من شمال إفريقيا؛ كبلاد إيطاليا التي سعت إسبانيا إلى ضمها، أو يرجع للمعاناة التي عاشتها المعسكرات الإسبانية على السواحل المحتلة من نقص العتاد والمؤن الذي كان يأتيها غالباً من البحر لبُعدها عن الأرض الإفريقية.

- لقد كان تحرير وهران والمرسى الكبير عام 1792م نهاية للحرب الصليبية التي دامت ثلاثة قرون ما بين الإسبان والجزائريين (1492-1792م)، وتمّ توسيع رقعة البلاد الجزائرية إلى أن وصلت حدودها الصحراء (ورقلة وتوقرت)؛ فاكتملت الجزائر بذلك مكانة خاصة وهيبه بين الدول آنذاك حتى أصبحت تعرف "بدار الجهاد" و"قلعة الإسلام" الصامدة في وجه القوة المسيحية حسب وصف كتاب ذلك العصر وبهذا فشلت إسبانيا في تنفيذ مخططها الصليبي.

- لم يكن تحرير وهران سنة 1792م حدثاً عادياً؛ لأنه ترك صدى عميق في الذاكرة الجماعية لسكان الجزائر وبلاد المغرب عامة، فالمدينة كانت آخر معقل للوجود الإسباني في الإيالة ما جعل استعادتها حدثاً كبيراً أثار الشعور الإسلامي وبعث روح الأمل في ظل ظروف دولية تزايد فيها التهديد الغربي للبلاد الإسلامية.

خاتمة

## خاتمة

إن موضوع العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي عموماً يكتسي أهمية بالغة، لاسيما إذا تعلق الأمر بعلاقات الجزائر كإيالة إسلامية ذات أهمية ومكانة بالغة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وبين الإمبراطورية الإسبانية حامية العالم المسيحي، ما ولد صراع طويل وعنيف دام زهاء ثلاثة قرون من الزمن، وقد كان الغرب الجزائري ممثلاً لاسيما في مدينة وهران والمرسى الكبير؛ أبرز بؤر الصراع بين الطرفين في الفترة الممتدة ما بين (1505 - 1792م / 911 - 1206هـ).

وبعد الانتهاء من هذه الدراسة توصلت إلى مجموعة من النقاط التي تمحورت حول أهم الأحداث التي جرت أثناء التواجد الإسباني في مدينة وهران الذي دام من الفترة الممتدة من سنة 1505م إلى غاية 1792م وهي كالتالي:

- أهمية مدينة وهران والمرسى الكبير كموقع استراتيجي وحيوي في غرب البحر الأبيض المتوسط وكذا قربها من السواحل الإسبانية جعلتها تتعرض لاحتلال إسباني عمر طويلا (1505 - 1792م).

- إن طبيعة الاحتلال الإسباني للمدن الجزائرية وعلى رأسها وهران والمرسى الكبير التي دام بها ثلاثة قرون، تؤكد على أنه احتلال خطط له ونفذ، وكان الهدف منه استيطانياً بتهجير آلاف العائلات الإسبانية للاستقرار في وهران والمرسى الكبير وتقديم كل التسهيلات لهم، ومن الطبيعي أن تكون أسباب أخرى منها تأمين الطريق نحو إيطاليا ومواجهة الأسطول الجزائري، وأحسن دليل نملكه مصير سبتة ومليلة المغربيتين، وهي إجابة ورد على المؤرخ الإسباني دي إيبالزا الذي لخص لنا دوافع الاحتلال في كونه "حملة وقائية".

- أن الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير لم يكن ليستمّر كل تلك المدة لولا القبائل الموالية لهم والممولة لتلك المراكز المحصنة، من ذلك قبائل بني عامر، وقتزة، والتي سترتبط بالاستعمار الفرنسي فيما بعد وإنشائه لفرق الصبايحية التي كانت السند القوي للقضاء على المقاومة الشعبية.

- لقد تمكن ضباط البعثة الفرنسية، وبالخصوص ضباط الهندسة العسكرية، من تحقيق شهرة واسعة في الجزائر وذلك لاهتمامهم العلمي بكل ما يمس ماضي هذه البلاد، وفي مقابل ذلك عمدوا إلى تعلم لغتها،

ودرسوا عادات السكان والفضاءات التي كانوا يعيشون فيها، وبالتالي كل ما يتعلق بتاريخ وجغرافية المنطقة، ما جعلهم بمثابة الأداة التي تسمح بانتقال الحداثة الاستعمارية.

- وبالرغم من أنهم كانوا باحثين إلا أننا ننفي عنهم صفة المؤرخ هذا فضلاً عن أعمالهم التي جاءت متنوعة الموضوعات على شكل أبحاث ومحاولات أو إسهامات وفق القناعات والأفكار التي كانوا قد تشبعوا بها فأصدروا أحكاماً بعيدة عن العلم والموضوعية في غالب الأحيان.

- بعد سنة 1830م نلاحظ أن هناك تطور نوعي في الكتابات الفرنسية وذلك بظهور مجموعة من الكُتاب المتخصصين، هذه المرحلة التي يمكن أن نسميها مرحلة النضج في الشكل لا المضمون، فلم يتغير فحوى الكتابات الفرنسية، حيث واصل كُتاب هذه المرحلة الانضمام إلى الجمعيات التاريخية الأثرية والجغرافية، فكانت المجلة الإفريقية ونشرية وهران الأثرية والجغرافية من بين أهم مجالات الجمعيات التي تناولت وهران والمرسى الكبير خلال الاحتلال الإسباني وغيرها من الفترات، بشكل كبير جاءت فيها مجموعة من الإسهامات على الرغم من أهميتها مكرسة لخدمة الاستيطان الفرنسي وبالتالي لم يتغير منظور هؤلاء الكُتاب العسكريين الذين ربطوا ماضي وهران والمرسى الكبير بل والجزائر ككل بالعهد الروماني، أما الفترات الأخرى وخاصة العثمانية منها فهي غامضة بالنسبة لهم.

- وكانت دراسات هؤلاء الكُتاب قريبة من المناهج الحديثة في كتابة التاريخ حيث حاول البعض منهم أن يقارب الموضوعية، لكن كلتا المدرستين كانتا تحملان طابعاً إيديولوجياً بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية والموضوعية.

- ومهما يكن لا يمكننا أن نعتبر كتابات الفترة الاستعمارية الإسبانية والفرنسية عديمة الفائدة، فنحن لا ننكر ما تركه الفرنسيون من مساهمات، فكل دراسة تخص وهران أو الجزائر عامة، تقتضي وتحتّم علينا الرجوع إليها، سواء أكانت علمية أو غير ذلك، ففي الكثير من الأحيان نجد بين ثناياها نصوص أصلية مكتتبا من فهم الكثير. كما أن استغلال الوثائق المختلفة يستفاد منها في كتابة تاريخ المنطقة كتابة علمية موضوعية.

- اعتبار الجزائر إحدى أهم حقول تجارب الإستشراق خاصة بعد احتلالها من طرف فرنسا سنة 1830م، واستنزافها مادياً وروحياً خاصة وأن معظم المستشرقين الفرنسيين كانوا مترجمين عسكريين ارتبطت مهمتهم بالهدف التوسعي الاستعماري.

- اهتمام الاستشراق باستنطاق التراث باعتباره مرآة عاكسة لماهية الشعوب وكنهها، فهو المترجم الفعلي لحضارة الأمم من فكر ولغة وعادات وطباع، وهو الذي يجسد تاريخها ومراحل نموها ما بين القوة والضعف، ولهذا كان محط أنظار المستشرقين الذين صبوا جُل اهتمامهم عليه يستقرؤون فحواه، ويستنتقون مجاهيله وخفاياه.

- من الملاحظ أن المصادر الأجنبية قد تعمدت التقصير في معالجة موضوع تحرير وهران والمرسى الكبير لاسيما ما تعلق منها بمرحلة الفتح النهائي عام 1792م/ 1206هـ، سواء من قبل المؤرخين الإسبان الذين ألفوا تدوين انتصاراتهم فقط، أو من لدن المؤرخين والباحثين الفرنسيين الذين استغلوا العزوف الإسباني من جهة، ونقص التدوين الجزائري من جهة أخرى، وراحوا ينظرون للموضوع بطريقة تخدم أفكار دولتهم الاستعمارية، لذا يجب توخي الحذر خلال التعامل معها ودراساتها.

- ومن باب إعطاء لكل ذي حق حقه يجدر الاعتراف بفضل هؤلاء في الكشف عن ذخائر هذا التراث بعد أن كان مغموراً يلفه النسيان والإهمال، فقد اعتنوا بجمع مخطوطاته المتناثرة هنا وهناك وفهرستها وتحقيق العديد من أمهات الكتب في شتى مجالات الفكر والعلوم، وكذا القيام بالعديد من الدراسات اللغوية القيمة وإنتاج العديد الموسوعات والمعاجم.

- تعدد وتنوع أبحاثها ودراساتها للتراث الجزائري والتي طالت مختلف مجالات الحياة، إلا أن اهتمامهم كان بدرجات متفاوتة وحسب ما يخدم أغراضهم وأهدافهم الإستشراقية، فكان للكتب التراثية التاريخية النصيب الأوفر من اهتمام المستشرقين الفرنسيين، ثم تأتي بعدها كتب التراجم للتعرف على هوية مفكري الأمة والاستفادة من خبراتهم المميزة، وتليها كتب الرحلات لأنها تُعد بمنابة خارطة طريق تمكنهم من الغوص في عمق الجزائر إلى أبعد حد ممكن خاصة في منطقة الصحراء.

- بالرغم من هذه الانتقادات فإنّ المساهمة الفرنسية والإسبانية الإستشراقية في كتابة تاريخ الجزائر لاسيما الفترة العثمانية، والتي اعتمدت بالدرجة الأولى على مصادر غربية وأرشيفات أوروبية متعددة اللغات،

متجاهلة المصادر المحلية بشكلها المخطوط والوثائقي، كان لها الفضل في تنشيط الإنتاج التاريخي المتصل بالعهد العثماني الذي يحتاج إلى إعادة غربلته وكتابته بمنهجية سليمة وأسلوب علمي رصين.

- لتدارك كل ما سبق حول الكتابات الغربية ندعوا إلى تجديد كتابة التاريخ وتخليصه من المسحة الاستعمارية، غير أن هذه الدعوة لا تتحقق إلا بالتنقيب عن مصادر بديلة- غير المصادر الفرنسية- وإعادة تحليل الوقائع التاريخية اعتماداً على المناهج العلمية الحديثة.

- بالنظر إلى الأحداث التي وقعت تقريباً منذ بداية هذا الاحتلال، خلال منتصف القرن العاشر الهجري، مكنت الإسبان من تصور الكثير من الآمال، إذ أجبرت أسلحتهم السكان العرب حول وهران على الاعتراف بسلطتهم ومن ثمة تزويدهم بمساعدين وفرسان وغيرها، ومن خلال تعداد النتائج التي حققوها، يبدو أنه من المؤكد أنهم وبدون ظهور الأتراك، كانوا سينجحون في بناء مملكة على هذا الجانب من البحر.

- بالنظر إلى الاحتلال الثاني (1732-1792م)، يبدو أن الإسبان قد فقدوا طاقتهم الأولى؛ والتي من خلالها عقدوا بحزم الحملة في البداية، ولم يحسبوا التضحيات لإثبات سيطرتهم على هذه الأرض، أما في الثاني، فإن الظروف قد تغيرت، ولم يبق الوضع كما كان، خلف الأسوار، أسوار مبنية بقوة، والتي بدت وكأنها تتحدى أي هجوم.

- لم يعرف الإسبان كيف يحافظوا على ثمار نجاحاتهم من خلال سياسة حكيمة، حيوية وناجعة، ما سمح للأحداث بأن تكون على عكس توقعاتهم، إذ اكتفوا فقط بإبقاء جيوشهم في المعازل الساحلية دون التغلغل نحو الداخل. وبالكاد كان يسمح ببعض الحملات الداخلية أو الغارات، والتي كان الدافع منها معاقبة بعض القبائل أو الحصول على الطعام في أوقات الندرة، وهكذا فقد ارتبط هذا الفشل، عموماً بالسياسة المحدودة للاحتلال للإسباني، حيث استعمل هذا الأخير مناطق ساحلية لا يمكن استخدامها قاعدة للتغلغل العميق.

- من عوامل الصراع الجزائري الإسباني نجد العامل الديني بصفة كبيرة أكثر من العوامل الأخرى كالاقتصادي والسياسي وهذا ما يبين مدى التعصب الكبير، الذي امتازت به الشعوب الأوروبية عامة والإسبانية خاصة.

- كان لسقوط غرناطة كآخر معقل للمسلمين سنة 1492م، دافعا محفزا للاسبان من أجل التوسع في الضفة الجنوبية المقابلة وهي منطقة شمال إفريقيا وتحديد السواحل الجزائرية.

- الاهتمام الكبير والبالغ الذي حظيت به الحملة الاسبانية الموجهة ضد وهران من تجهيزات عسكرية ضخمة وصلت الى عشرات السفن الحربية التي كانت تحمل على متنها عدد كبير من العتاد الحربي والجنود.

- بروز شخصيات هامة وفعالة لعبت دور كبير أثناء هذا الصراع فوجد مثلا من الجانب الجزائري الداي محمد بكداش والباي مصطفى بوشلاغم ومن الطرف الاسباني نذكر الكاردينال خمينيس والدون دي مونتيمار.

- الدعم الكبير واللامحدود الذي قدمه الأتراك العثمانيين كان من أسباب استقرارهم بالجزائر نظرا للسمعة الطيبة التي اكتسبوها من وراء ذلك خاصة في ما يتعلق بمسألة تحرير وهران والذي دام على فترات متقطعة.

- إصدار بعض الباباوات لمناشير تحريضية يخولون فيها ملوك اسبانيا الحق في احتلال الأجزاء المجاورة بحجة أنها أقاليم مسيحية.

- إن التواجد الاسباني في وهران لمدة طويلة ساهم في تغيير النمط العمراني بما فبعدهما كان تقليدي ذو طابع إسلامي أصبح عصري ذو طابع أوروبي.

- يجب أن لا يكون دورنا هو الرفض لكل ما أتى به المستشرقون وألا يكون ردنا مبينا على العاطفة، فعلينا إذن وقبل كل شيء أن نغربل كل الآراء والنظريات، وأن نفرق بين الغث والسمين، وأن نقول للمحسن أحسنت، وأن نعيد النظر في الأعمال المغلوطة.

- يعتبر التوسع الإيباني في الجهة الغربية من المغرب الأوسط جزءاً وخطوة أولى لإستراتيجية توسعية إيبانية تضع في أولى اهتماماتها مدن وموانئ المغرب الإسلامي لتتمكن من التوغل نحو الداخل والتحكم في التجارة الإفريقية وبالتالي تحقيق حلم الإمبراطورية المسيحية الكاثوليكية التي يتمناها الإسبان وتباركها البابوية الرومانية.

- أدى الفراغ السياسي الذي عرفته الجزائر في أواخر القرن التاسع هجري/ الخامس عشر الميلادي ومطلع العاشر هجري/ القرن السادس عشر الميلادي؛ إلى ضعف قدراتها الدفاعية، مما جعل سواحلها عرضة

للغارات الإسبانية، وتمكن الإسبان من احتلال أهم مدنها الساحلية مثل وهران والمرسى الكبير، كما وجدت مدن أخرى نفسها مجبرة على توقيع معاهدة الولاء للإسبان كما هو الشأن بالنسبة لتنس ومستغانم.

- لقد استغلت إسبانيا الحالة العامة السياسية والاقتصادية والثقافية غير المستقرة للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، لتنفيذ مخطط طويل الأمد للسيطرة على المنطقة، بوضع أهداف إستراتيجية تدفعها الحاجة الاقتصادية والحقد الديني، فاحتلت العديد من المناطق الساحلية بالمغرب الأوسط لاسيما في الجهة الغربية منه، بدعوى محاربة القرصنة، لكن في نهاية الأمر انكمش هذا الوجود خلف الأسوار ولم يتعدى مساحة الموانئ، كما ظلّ محصوراً إلى حين انهيار النظام الاستعماري الذي تعاون مع بعض القبائل التي أبقت على الوجود الإسباني ولو لفترة وجيزة، وقد شبه أحد المؤرخين الاحتلال الإسباني بالأخطبوط بقوله: "لقد كان الوجود الإسباني يشبه إلى حدٍ كبير الأخطبوط الذي سُحب من الماء ووضع داخل وعاء يُسقى يومياً بجرعات، إن توقفت أُصيب بالشلل التام".

- لمواجهة الأخطار التي كانت تترص بالمغرب الأوسط؛ اضطر أعيانها إلى الإستنجاد بالإخوة ببروس وهو ما أدى إلى قيام سلطة جديدة في مدينة الجزائر التي أخذ شأنها يتعاضم، فقد توسعت حدودها ودخلت في صراع مع الإسبان حول الحصول على النفوذ في دولة بني زيان، ولكي تتمكن هذه الدولة الفتية من الوقوف في وجه فاحتلال الإسباني؛ يجب عليها أن ترتبط بالخلافة العثمانية باعتبارها الدولة الإسلامية الوحيدة التي كانت تتوافر على قدرات عسكرية، تمكنها من وقف زحف المد الاستعماري الأوروبي في منطقة المغرب العربي والعالم الإسلامي عامة.

- إن احتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير واستقرارهم مدة طويلة بمهدين الموقعين؛ عمدت بعض قبائل الغرب الجزائري إلى التحالف مع الإسبان، حيث كانوا يزودونهم بالحبوب والماشية وبضائع أخرى كانوا في حاجة إليها، كما شكلوا منهم شبكة من الجواسيس لنقل الأخبار مقابل مكافآت مالية، وقد تسبب ذلك في حدوث شرخ في صفوف المجتمع الجزائري في هذه المنطقة وهذا ما ساهم من دون شك في استمرار بقاء الإسبان مدة طويلة في وهران والمرسى الكبير.

- لقد ترتب عن الإحتلال الإسباني لمدينة وهران والمرسى الكبير لمدة تقارب الثلاثة قرون؛ تعرّض قبائل الغرب الجزائري خاصة تلك المجاورة للموقعين المحتلين إلى غارات وهجمات شنها الإسبان على القبائل المعادية والتي رفضت الخضوع لهم.

- لقد واجه الأتراك العثمانيون عدّة صعوبات في بداية عهدهم، ولم يتمكنوا من تثبيت حكمهم في بايلك الغرب نظراً لشدة المعارضة المحلية والخارجية؛ المتمثلة في الزيانيين والإسبان. وبالرغم من شدة الصراع فإن العثمانيين قد توصلوا إلى تثبيت بعض الحاميات العسكرية في بعض المدن الغربية، مثل: مستغانم، تنس، مازونة.

- يبدو أن الباي بوشلاغم هو الذي لعب دوراً كبيراً في طرد الإسبان من الأرض الجزائرية، وعلى الأخص منذ أن نقل مركز ولايته إلى معسكر تمهيداً لإقامة حصار دائم على القاعدة الإسبانية، وإشعارا لسكان المناطق المحيطة بوهران، بوجود السلطة المركزية وهو أمر له أهميته وتأثيره في دفع السكان إلى الاستعداد الكلي للجهاد ضد الإسبان.

- تمكن الملك الإسباني فيليب الخامس من الإستيلاء على وهران سنة 1732م/ 1144هـ، بعد انسحاب الباي مصطفى بوشلاغم نحو مدينة مستغانم، وهكذا تخلّى العثمانيون عن مدينة وهران بعد حكمٍ دام 24 سنة.

- منذ سقوط وهران للمرة الثانية في يد الإسبان وبايات الغرب الجزائري يشنون عليها حصاراً محكماً بهدف استرجاع المدينة، وتجدد الإشارة إلى أن حُكم الإسبان خلال هذه الفترة يختلف عن حكمهم السابق؛ بحيث لم يعودوا قادرين على تنظيم حملات إلى داخل البلاد، كما أن جزءاً كبيراً من القبائل التي كانت تتعامل معهم في السابق تخلت عنهم وانضمت إلى صفوف الأتراك العثمانيين.

- بقيت وهران والمرسى الكبير تحت حصار ضيق، ومعارك تكاد تكون مستمرة ومتوالية إلى غاية أن تولى الباي محمد بن عثمان الكبير منصب باي لبايلك الغرب، بحيث تمكن هذا الأخير بفضل حنكته العسكرية وخبرته الحربية أن يظفر بثقة جيشه وديوانه وكذلك قبائل الغرب الجزائري التي أتت إليه من كل مكان تلبية لنداء الجهاد، وبفضل توحيد القوتين العثمانية والجزائرية تمكن الباي محمد بن عثمان الكبير من تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني وكان ذلك في سنة 1792م.

- إن الغموض الذي يكتنف جوانب كثيرة من تاريخ التواجد العثماني بالجزائر وإماطة اللثام عنه، دفع بالكثير من الباحثين لدراسة هذه الفترة من تاريخ الجزائر بالاعتماد على ما كتبه المستشرقون أو ترجموه من المصادر العربية، ونعني بذلك الإسبان الذين خصصوا مئات التأليف لهذا العهد، ومازالت خزائن الوثائق في إسبانيا مملوءة بها.

- كان للعثمانيين دور كبير في ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث، التي ارتبط اسمها بالإخوة بربروس خاصة خير الدين، الذي كان له الدور البارز في إرساء دعائم النظام الجزائري.

- إن العلاقات بين الجزائر وإسبانيا؛ هي جزء من العلاقات بين الإسلام والمسيحية في الفترة الحديثة، أو بالأحرى هي مرحلة من مراحل الصراع الإسلامي المسيحي، الذي قادته الإمبراطورية العثمانية حامية المسلمين، والإمبراطورية الإسبانية، المتحالفة مع الكنيسة الكاثوليكية.

- ظهرت الجزائر في المغرب الأوسط على أنقاض دولة كانت تعيش آخر أيامها، في وضع يميزه الضعف، والتبعية للإسبان، وأصبحت قوة بحرية لها مكائنها في حوض البحر المتوسط.

- إن العلاقات بين إمبراطورية إسبانيا والدولة الجزائرية غلب عليها الصراع المتواصل والمستمر، لأن الجزائر وقفت في وجه المشروع الإسباني الاستعماري، الذي استفحل في مطلع القرن 16م، وأراد احتلال كل الضفة الجنوبية للمتوسط، بل والسيطرة على حوض المتوسط بكامله.

- إن الوضع العام الذي كانت تمر به بلدان المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة كان متشابهاً؛ من حيث الضعف، والتمزق السياسي، لذلك تعرضت لنفس المصير وهو الاحتلال الإسباني، والتبعية مع مطلع القرن السادس عشر.

- لقد احتلت إسبانيا أغلب موانئ المغرب الإسلامي ومن بينها موانئ المغرب الأوسط، متبعة في ذلك سياسة الاحتلال المحدود، لأن هدفها كان السيطرة على السواحل المغربية، لمنع أي حركة استرداد للأندلس من طرف المسلمين.

- إن العلاقات بين الطرفين الجزائري - الإسباني لا يمكن فصلها تاريخياً عن الصراع الإسلامي المسيحي في حوض البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة؛ والتي كانت تغذيها النزعة الدينية بالدرجة الأولى؛ خاصة من الطرف الإسباني المتعصب، لكن ذلك لا ينفي وجود دوافع أخرى؛ اقتصادية وأمنية، وغيرها.
- إن الحركة الاستعمارية الفرنسية وظفت المستشرقين لتحقيق مشاريعها القذرة؛ فالاستشراق في حقيقته يعد جزءاً أساسياً في قضية الصراع بين الشرق والغرب. وهكذا فإن الحركة الاستشراقية في الجزائر تحولت إلى مؤسسة استعمارية تريد ترسيخ فكرة المركزية الأوروبية في أواسط شريحة فاعلة من المثقفين والمفكرين العرب.
- اهتمام الفرنسيون في كتاباتهم التاريخية حول تاريخ الجزائر بالفترة الرومانية على وجه الخصوص، وهذا حتى يرسخوا في أذهان الجزائريين بأنهم قبل أن يصبحوا مسلمين كانوا مسيحيين، ومن أجل هذا عليهم بالرجوع من جديد إلى البيئة المسيحية.
- إن اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالفترة الرومانية، نابع أساساً من رغبتهم في إقناع الجزائريين بأنهم -أي الفرنسيين- الورثة الشرعيون للإمبراطورية الرومانية وخلفاء لحضارتها، وبالتالي تبرير الوجود الفرنسي على التراب الجزائري، ونهم بذلك يسترجعون ما فقدوه من ممتلكات.
- السعي إلى إعادة تشكيل المجتمع الجزائري على أسس جديدة، تجعله مجتمعاً خاضعاً للسيطرة الفرنسية، معتمدين في ذلك على دراسة تاريخه، بهدف مد السلطة الاستعمارية بالطرق المساعدة على إرساء الاحتلال، وكذا تبرير وجوده كبداية لتحضير العنصر الجزائري لتقبله، وإقناع الجزائريين بأنهم عاجزين عن تسيير شؤونهم المختلفة بأنفسهم وبأنهم غير قادرين على صنع حضارة إلا بوجود الأجنبي معهم.
- تاريخ الجزائر الحديث لا يحتاج إلى إعادة كتابة، كما شاع منذ ربيع قرن تقريباً، بقدر ما يحتاج إلى إعادة فحص منطلقات وخلفيات وأغراض الكتابة التاريخية وإدراك المصب الأخير الذي تتراكم عنده البحوث والدراسات التي تنجز إلى حد الآن.
- إن تحرير التاريخ الجزائري من الاستعمار يتطلب عُدّة فكرية وعلمية وأرضية مادية ومنهجية وفهم واسع للتاريخ، لم تتوفر لحد الساعة للباحث الجزائري، الذي لا يزال يبحث في أسباب غياب الكتابة الموضوعية ومشاكلها.

- لقد كانت كتابات المستشرقين في غالبيتها تسعى إلى تشويه تاريخ الجزائر والنيل من أصالتها وانتمائها الحضاري من خلال محاولة عزلها عن محيطها العربي والإسلامي، في إطار تحقيق المشروع الاستعماري في الجزائر ولو كان ذلك على حساب تجاوز مرجعية الأمة الجزائرية وذاكرتها الأصلية.

- إن الجزائر إنسان وحضارة؛ كانت من قبل ومن بعد محل اهتمام المستشرقين الغربيين عامة، والإشتراق الفرنسي خاصة، وازداد اهتمام المستشرقين الفرنسيين بها ونالت قسطاً وافراً في كتاباتهم قبل الاحتلال وأثناءه.

- يكتسي تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني عام 1792م، أهمية ذات أبعاد وطنية، تتعلق بإصرار المؤسسة العسكرية العثمانية بالجزائر وكذا حلفائها المحليين من القبائل العربية والبربرية، على تحرير آخر شبر من أرض الجزائر من السيطرة الإسبانية وتحقيق الوحدة الترابية التي تترجم سيادة الدولة على أراضيها.

- لم يكن تحرير وهران سنة 1792م حدثاً عادياً؛ لأنه ترك صدى عميق في الذاكرة الجماعية لسكان الجزائر وبلاد المغرب عامة، فالمدينة كانت آخر معقل للوجود الإسباني في الإيالة ما جعل استعادتها حدثاً كبيراً أثار الشّعور الإسلامي وبعث روح الأمل في ظل ظروف دولية تزايد فيها التهديد الغربي للبلاد الإسلامية.

- لقد عمل الفرنسيون منذ دخولهم إلى الجزائر على تأسيس الهيئات العلمية التي تخدم أهداف الحملة الفرنسية على الجزائر، ودرسوا لأجل ذلك التأليف والآثار، وكل هذا من أجل الوصول إلى إيهام الرأي العام المحلي الجزائري على وجه الخصوص والدولي على وجه العموم، بأن للحملة أهداف علمية سامية لا تحمل في نواياها أي أهداف استعمارية.

- مثّلت الدوريات الفرنسية عموماً والمجلة الإفريقية ونشرية وهران الجغرافية والأثرية لإقليم وهران خصوصاً منبراً علمياً يخدم الإدارة الإستعمارية في فهم المجتمع الجزائري في مختلف جوانبه ومحاولة التكيف معه وفق ما يخدم المشروع الاستعماري طويل المدى.

- بعد أن اكتشفت الإدارة الاستعمارية في الجزائر منذ سنواتها الأولى أبعاد التراث الثقافي والفكري والحضاري العربي الإسلامي في الجزائر، وأدركت أهمية فهم التراث لإرساء قواعد الاستعمار على أسس قوية،

شرعت في عملية واسعة لجمع هذا التراث المكتوب منه والمروي من كل المناطق التي كان موزعاً فيها بهدف تحييصه وتقييمه واستخلاص النتائج منه.

- من خلال استعراضنا لبعض المحطات المتعلقة بطبيعة الدراسات الواردة في المدونتين فيما يخص الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير ووهران، ومن خلال سير الأحداث نلاحظ أنها تتفق بشكل كلي على برهنة الاحتلال الإسباني للمنطقة، والتركيز على فكرة الاختيار غير الصائب للاحتلال وغير المنظم من طرف الحكومة الإسبانية. وكونه نتاج رد فعل قائم على الانتقام لم يعتمد بالقدر الكافي على دراسات مسبقة ومثأنية مبنية على أساس دراسة تلك المناطق من حيث جغرافيتها، سكانها، الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها، وما كان بمثابة العثرات بالنسبة للاحتلال الإسباني في المنطقة تداركه الاستعمار الفرنسي بعد نجاح الحملة سنة 1830م.

الملاحق

النشرات المتعلقة بوهران والاحتلال الإسباني في ضوء المجلة الإفريقية (Revue Africaine)  
بيبلوغرافيا حول الاحتلال الإسباني لوهران

الرقم	المقال Article	السنة Année	العدد N°	الصفحة Pages
01	GORGUOS (A), Notice sur le bey d'Oran Mohammed el-Kebir.	1856	1	pp.403- 454.
02	GORGUOS (A), Notice sur le bey d'Oran Mohammed el-Kebir.	1857	2	pp.28- 46 et 223.
03	GORGUOS (A), Notice sur le bey d'Oran Mohammed el-Kebir.	1858	3	pp.51,185- 192 et 286.
04	GORGUOS (A), Notice sur le bey d'Oran Mohammed el-Kebir.	1859	4	pp.347- 357.
05	GODARD (Léon), Souvenirs de l'expédition de Ximenès en Afrique (inscription de la cathédrale de Tolède, siège d'Oran).	1861	5	pp.54- 58.
06	Don Antonio DE CLARIANA, Reprise d'Oran par les Espagnols en 1732.	1864	8	pp.12- 28.
07	SANDOVAL (Général Crispin Ximénes DE), Sur la	1864	8	pp.221- 226.

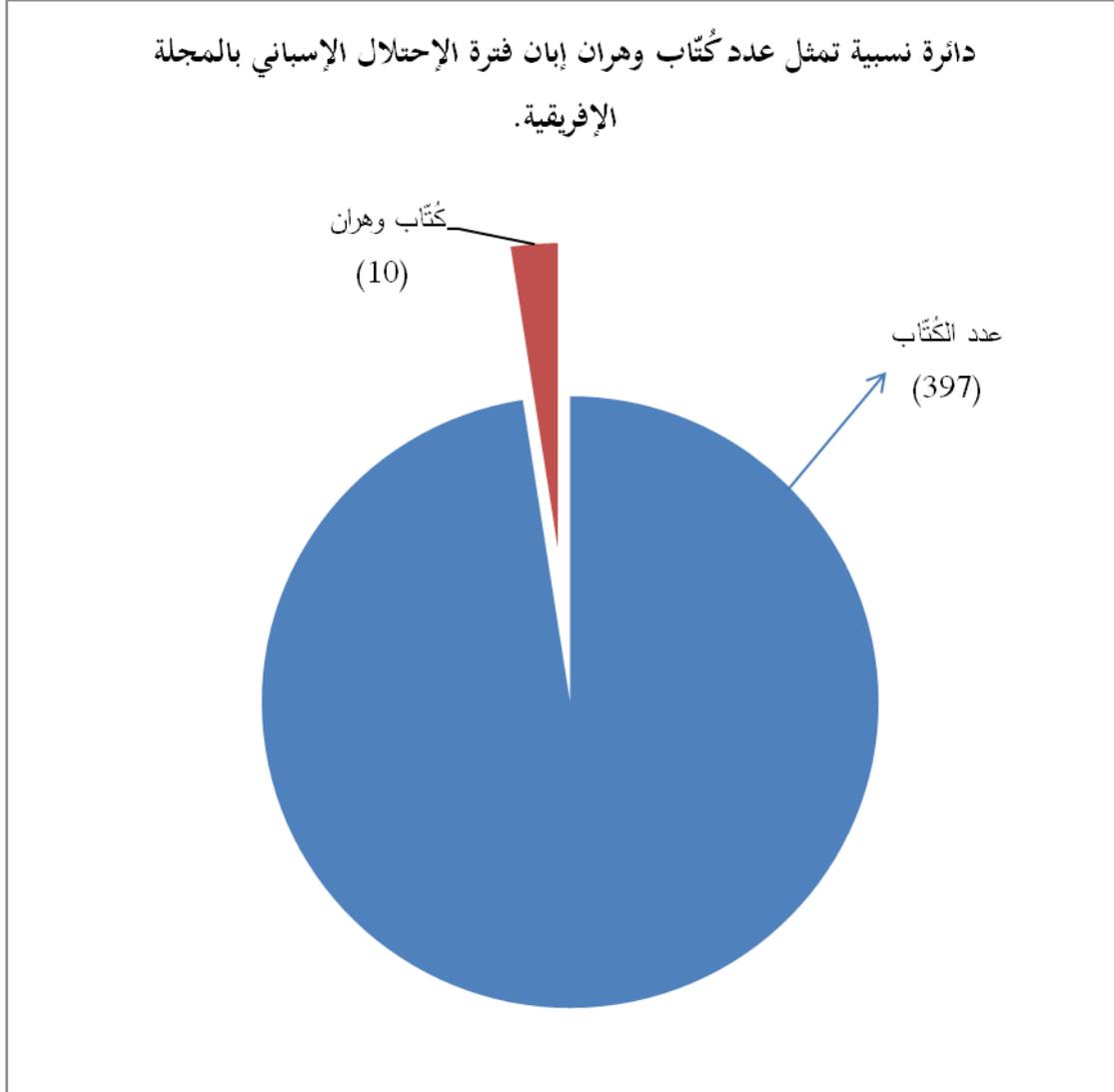
	reprise d'Oran en 1732 et sur quelques autres fait de l'histoire des Espagnols en Afrique.			
08	BERBRUGGER (A), Epitaphe d'Ouzoun Hassan. Le conquérant d'Oran en 1708.	1865	9	p.122.
09	BERBRUGGER (A), Mers el- Kebir (et Oran d'après Diego Suarez Montanès)	1865	9	pp.251- 267 pp.337-355, pp.410-429.
10	BERBRUGGER (A), Négociations entre Hassan Aga le comte d'Alcaudete, gouverneur d'Oran (1541-1542).	1865	9	pp.366- 379.
11	BERBRUGGER (A), Conquête d'Oran.	1866	10	pp.43- 50.
12	BERBRUGGER (A), Mers - el- Kebir et Oran (d'après Diego Suarez).	1866	10	pp. 111- 128, pp.197- 207.
13	SANDOVAL (Général DE), Mers -el- Kebir et son historien Suarez.	1866	10	pp.71-81.
14	BERBRUGGER (A), Mers - el- Kebir et Oran de 1509 à 1608 d'après Diego Suarez	1867	11	pp.72 - 81.

	Montanès.			
15	SANDOVAL, Général, Oran sous les Espagnols, Expéditions et razzias.	1869	13	pp.100 -115.
16	SANDOVAL (Général C-X. De), Les inscriptions d'Oran de Mers-el-Kébir.	1872	16	pp.53-69, pp.89- 104, pp.187-200. 278-291, pp. 343- 355.
17	LA PRIMAUDAIE (F: Elie De), Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574).	1875	19	pp.62- 77, pp.148- 157, pp.161- 193. pp.265- 288, pp.337- 360, pp.483- 496.
18	LA PRIMAUDAIE (F: Elie De), Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574).	1876	20	pp.128- 144, pp.232- 244, pp.320- 335, pp.387- 416.
19	LA PRIMAUDAIE (F: Elie De), Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574).	1877	21	pp.17- 32, pp.81- 96, pp.198- 229, pp.265- 298, pp.361- 379, pp.461- 472.

20	GUIN (L), Quelques notes sur les entreprises des Espagnols, pendant la première occupation d'Oran (X <sup>e</sup> siècle de l'hégire).	1886	30	p.312- 322.
21	CAZENAVE (J), Les présides Espagnols d'Afrique: leur organisation au XVIII <sup>e</sup> siècle.	1922	63	pp. 225- 269 pp. 457- 488.
22	BODIN, Marcel, L'agrément du lecteur. Notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran par Si Abdel Kader El Mecherfi.	1924	65	pp.193- 260.
23	CAZENAVE (J), Contribution à l'histoire du vieil Oran. Mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Mers-el-kébir, écrit dans les premiers jours de l'année 1734, après son inspection générale, par S. E. don Josef Vallejo, commandant générale.	1925	66	pp.323- 368.
24	BRAUDEL (F), Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577.	1928	69	pp.184- 233, 351- 428.
25	CAZENAVE (J), Les	1930	71	pp.257-300.

	gouverneur d'Oran pendant l'occupation Espagnole de cette ville (1509-1792).			
26	LESPEL, René, Oran, Ville et port avant l'occupation Française (1831).	1934	75	pp.277-335.
27	RICARD,(R), les établissements européens en Afrique du Nord du XVe au XVIIIe siècle et la politique d'occupation restreinte.	1936	79	pp.687-688.
28	PESTEMALDJOGLOU, Alexandre, Ce qui subsiste de l'Oran espagnol.	1936	79	pp.665 -686.
29	PESTEMALDJOGLOU, (A), Mers-el-Kébir. Historique et description de la forteresse.	1940	84	pp.154 -185.
30	PESTEMALDJOGLOU, (A), Le consulat français d'Oran de 1732 à 1754.	1942	86	pp.220 - 254.
31	RICARD (R), libro-Africana: Textes espagnols sur la Berbérie (XVe, XVIe et XVIIIe siècles).	1945	89	pp.26 - 40.

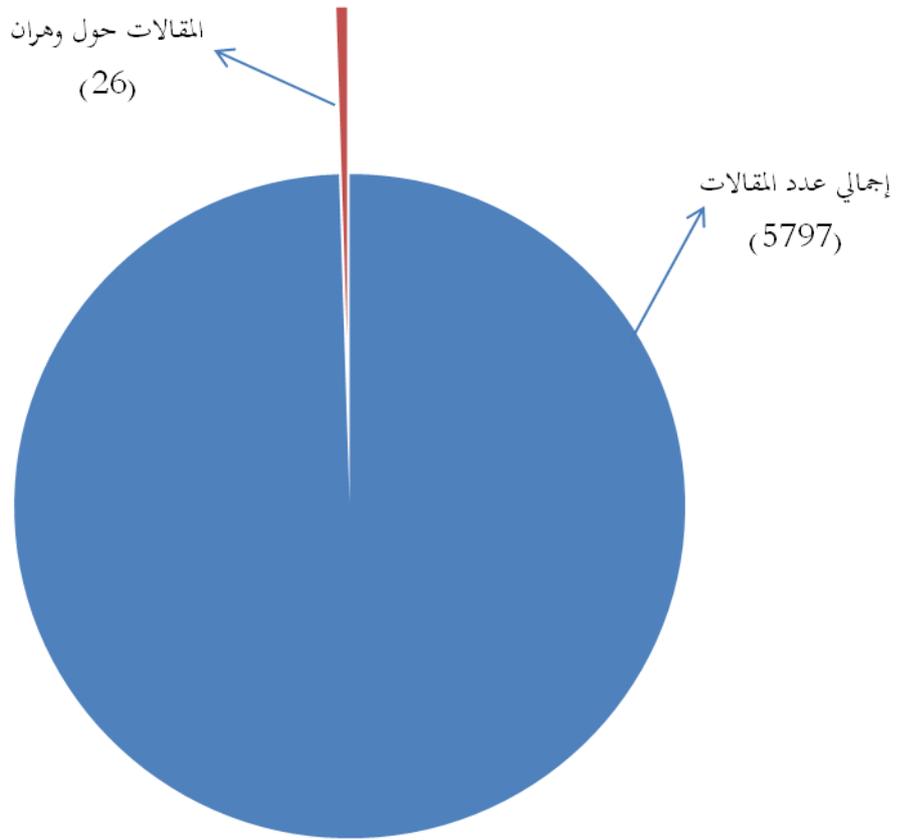
المصدر: من إنجاز الطالبة.



المصدر: من إنجاز الطالبة.

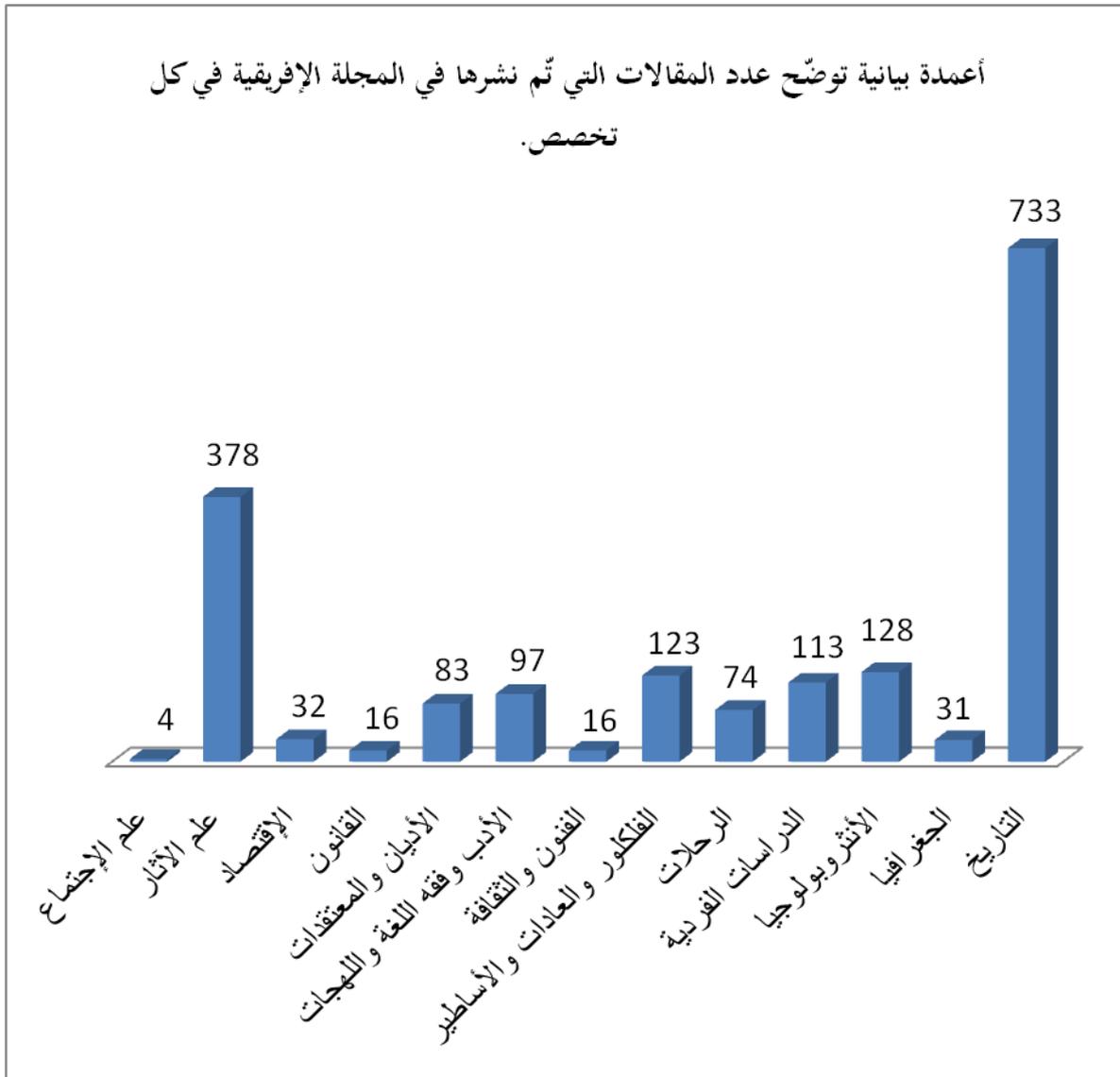
الملحق رقم (3):

دائرة نسبية توضّح عدد المقالات المنشورة بالمجلة الإفريقية حول وهران إبان فترة الإحتلال الإسباني.



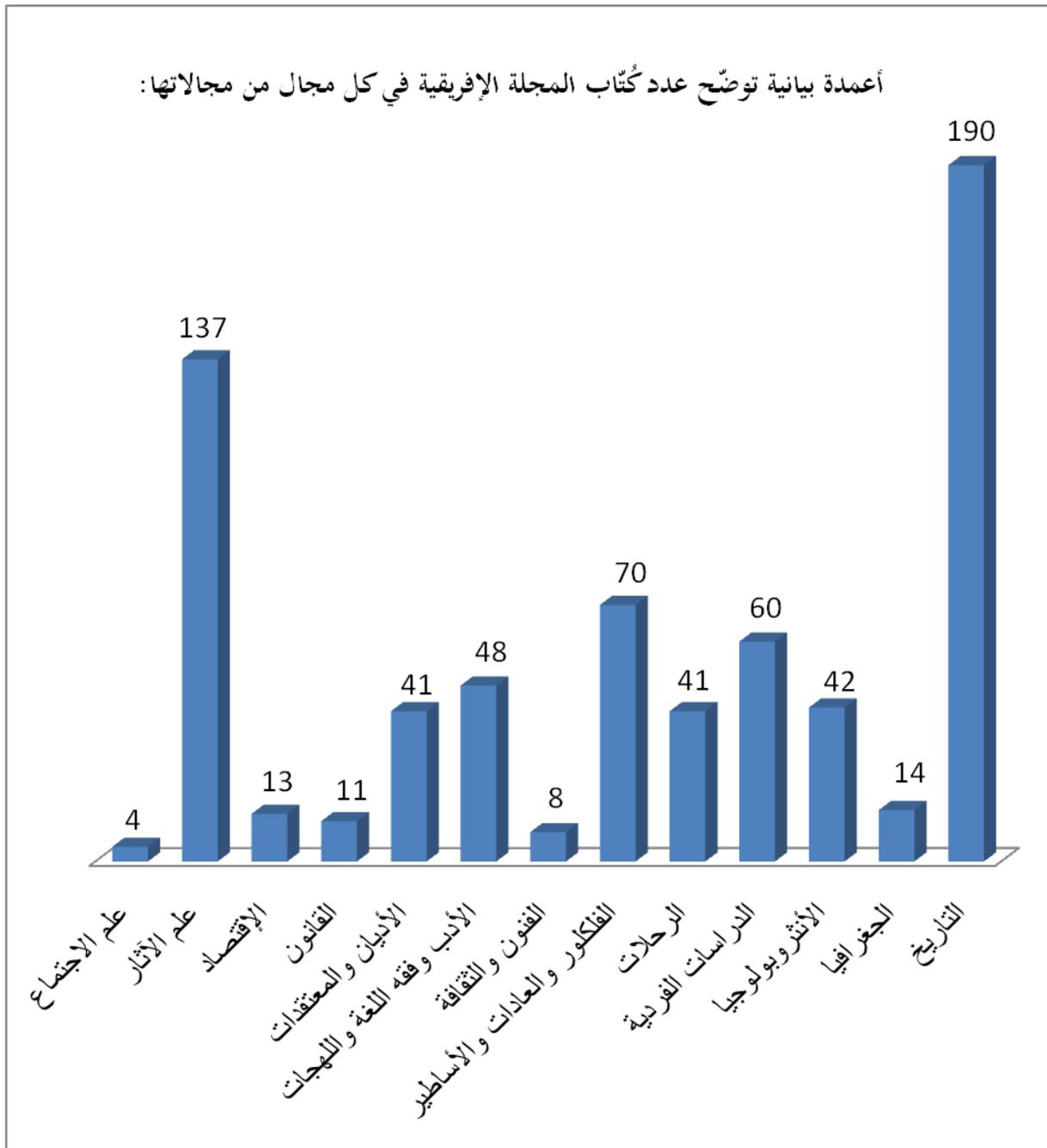
المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (4):



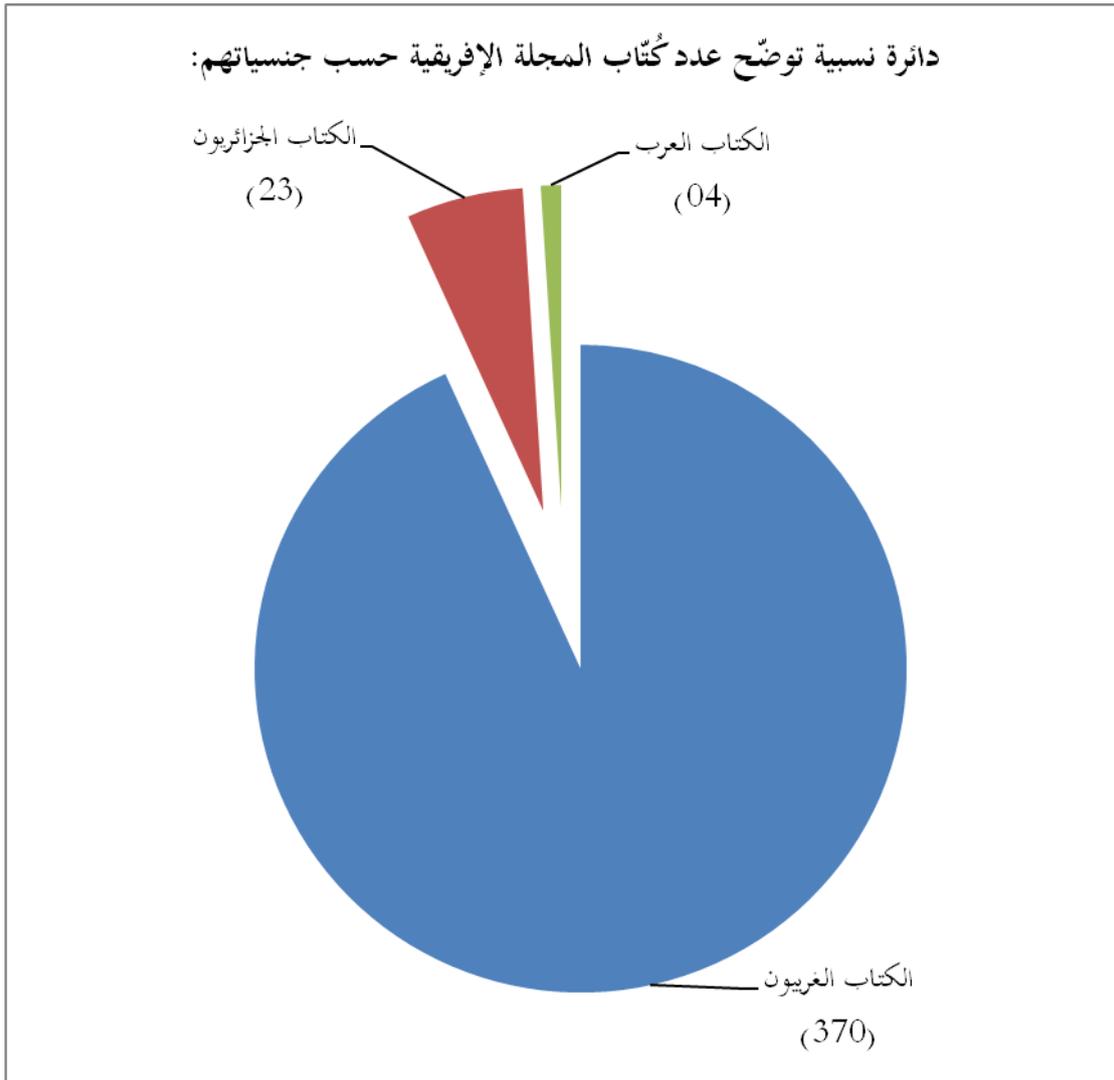
المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (5):



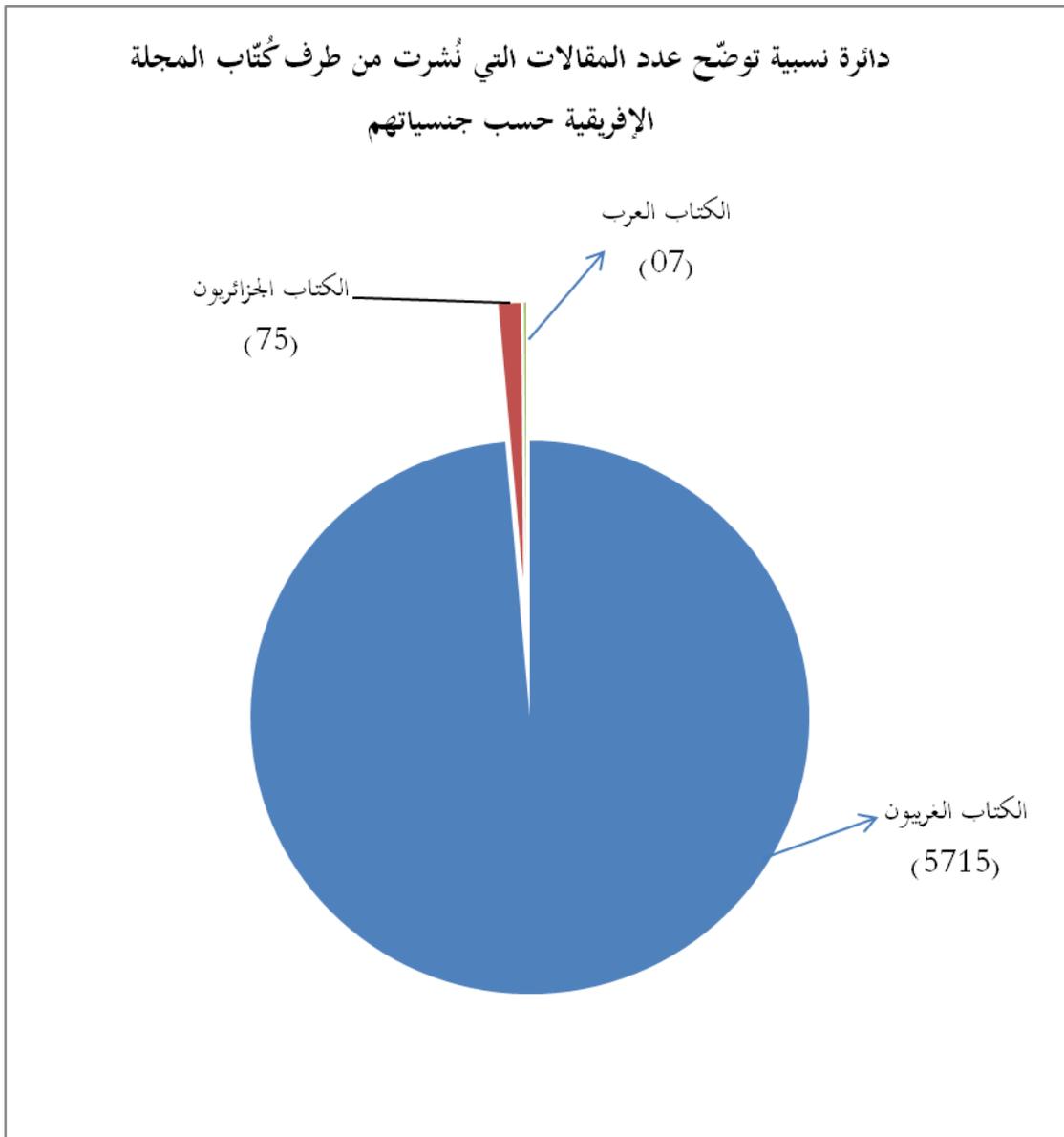
المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (6):



المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (7):



المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (8):

المقالات المتعلقة بوهان والاحتلال الإسباني في ضوء نشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران

(B.S.G.A.O)

N°	Article	Année	N°	Pages
01	Foulques (L. DE ), Bibliographie: Le Plan D'Oran en 1509.	1884	4	pp.122- 124.
02	MICHEL (R. FRNCISQUE), Documents inédits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnols.(Dialogue sur les guerres d'Oran, de Balthazar de Morales).	1887	7	p.10.
03	MICHEL (R. FRNCISQUE), Documents inédits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnols. (Dialogue sur les guerres d'Oran, de Balthazar de Morales).	1889	9	pp.95-155 et pp.223 - 255.
04	LA CORVA (Francisco DE),	1890	10	pp.347-

	Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnols sous le commandement de don Martin de Cordoue, comte d'Alcaudete, capitaine-générale d'Oran en 1543, traduction de M. Camille Brunel.			398.
05	LA CORVA (Francisco DE), Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnols sous le commandement de don Martin de Cordoue, comte d'Alcaudete, capitaine-générale d'Oran en 1543, traduction de M. Camille Brunel.	1891	11	pp.225-251, 369-387, 455, et 455-469.
06	LA CORVA (Francisco DE), Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnols sous le commandement de don Martin de Cordoue, comte d'Alcaudete, capitaine-générale d'Oran en 1543, traduction de M. Camille Brunel.	1892	12	p.461.
07	Demaeght, (L), Monument Commémoratif de La reprise d'Oran par les Espagnols en 1732.	1893	13	pp.177-180.
08	LA CORVA (Francisco DE),	1894	14	p.318.

	Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnols sous le commandement de don Martin de Cordoue, comte d'Alcaudete, capitaine-générale d'Oran en 1543, traduction de M. Camille Brunel.			
09	BLUM (N), La croisade de Ximénès en Afrique.	1897	17	pp.319-366.
10	BLUM (N), La croisade de Ximénès en Afrique.	1898	18	pp. 1-48, et 137-196.
11	Déchaud (ED), Le Peuplement Espagnole en Oranie.	1908	28	pp. 37-50, et 51- 73,
12	CAZENAVE (Jean), Cervantès à Oran (1581).	1923	43	pp. 215-242.
13	BODIN (Marcel), Note sur l'origine du nom de Mogatazes donné par les Espagnols à certains de leurs auxiliaires indigènes pendant leur occupation d'Oran.	1923	43	pp.234-247.
14	PELLEGAT (G), Relaciones général de la consistencia de las Plazas de Oran y Mazarquivir (Mers-el-Kébir), por el Coronel commandante de Yngenieros	1924	44	pp.99-130, 211-266.

	don Harnaldo Hontabat (El 31 de Diciembre 1772).			
15	CAZENAE (J), Pierre Navarro, conquérant de Vêlez, Oran, Bougie, Tripoli.	1925	45	pp.131-167.
16	CAZENAVE (J), Deux razzias mouvementées des Espagnols d'Oran, au XVIIe siècle.	1925	45	pp.285-305.
17	CAZENAVE (J), Oran, cité berbère	1926	46	pp.53-76, 97-157.
18	PELLEGAT, Contribution à l'histoire du vieil Oran, Relations de todas las obras de fortification y correspondantes a ellas que se han executado en las plazas de Oran, Mazarquivir, y sus Castillos desde dia 1° de Enero de 1734 hasta el présente de 1738.	1926	46	pp.211-238.
19	CAZENAVE (J), Histoire d'Oran par le marquis de Tabalosos, traduite et annotée.	1930	51	pp.117-154, pp.331-380.
20	CAZENAVE (J), Les Sources de L'Histoire d'Oran: Essai Bibliographique.	1930	51	pp.303-380.
21	CAZENAVE (J), Histoire	1931	52	p.40.

	d'Oran par le marquis de Tabalosos, traduite et annotée.			
22	ANONYME, Hérault, Notes et Documents: La reprise d'Oran par les Espagnols en 1732.	1931	52	pp.83- 88.
23	KEHL, Camille, Le fort Santa-Cruz.	1933	54	pp.380-390.
24	CAZENAVE (J), Les sources de l'histoire d'Oran, essai bibliographiques.	1933	54	pp. 303-379.
25	BODIN (M), Documents sur L'Histoire Espagnole D'Oran Nécessité de fortifier Oran 1576.	1934	55	pp.360-374.
26	CAZENAVE (J), Armoiries espagnoles récemment découvertes à Oran (Charles III d'Espagne).	1936	57	pp.228-232.
27	KEHL,( C), Oran et l'Oranie avant l'occupation française.	1942	63	pp.5- 60.
28	Robert, TINTHOIN, Oran et Mers-el-Kébir il y a cent ans (avec d'Oran levé en 1842 et 1846).	1948	71	pp.5 - 21.
29	Déjardins (V), Les Hachem sous Le Gouvernement Turc: Incursions des Espagnols d'Oran, Les Hachem dans le Beylick de L'Ouest.	1949	72	pp.40- 48.

---

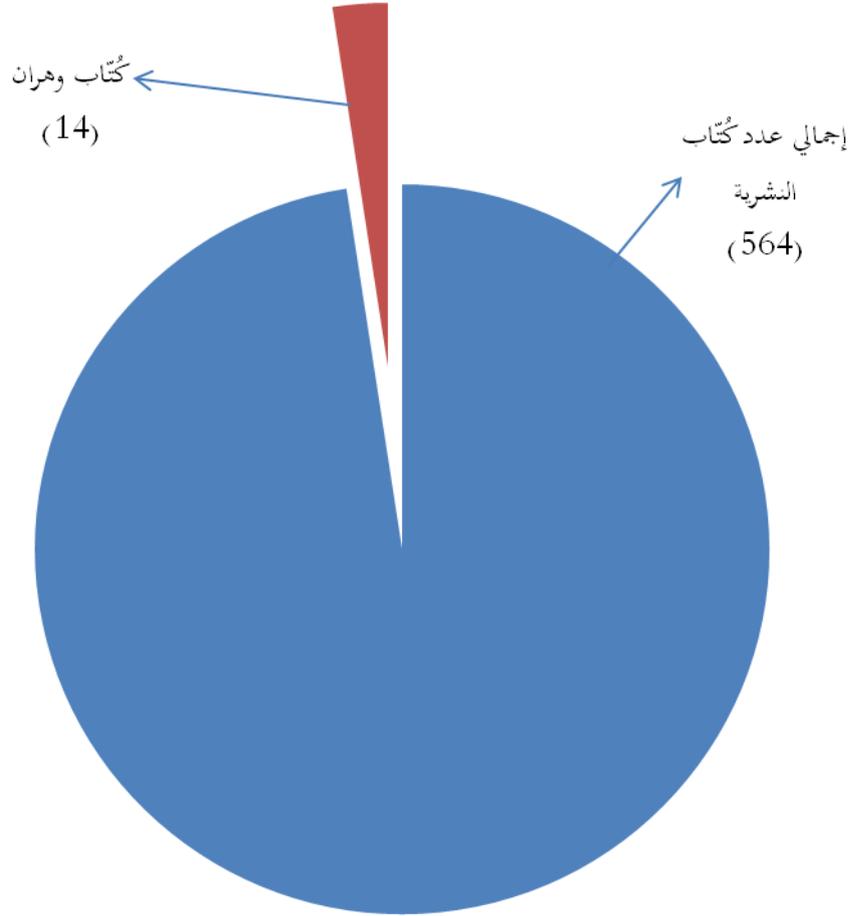
---

30	Roland, Villot, Arzeu sous l'Occupation espagnole et la domination turque.	1951	74	pp.5- 12.
----	--	------	----	-----------

المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (9):

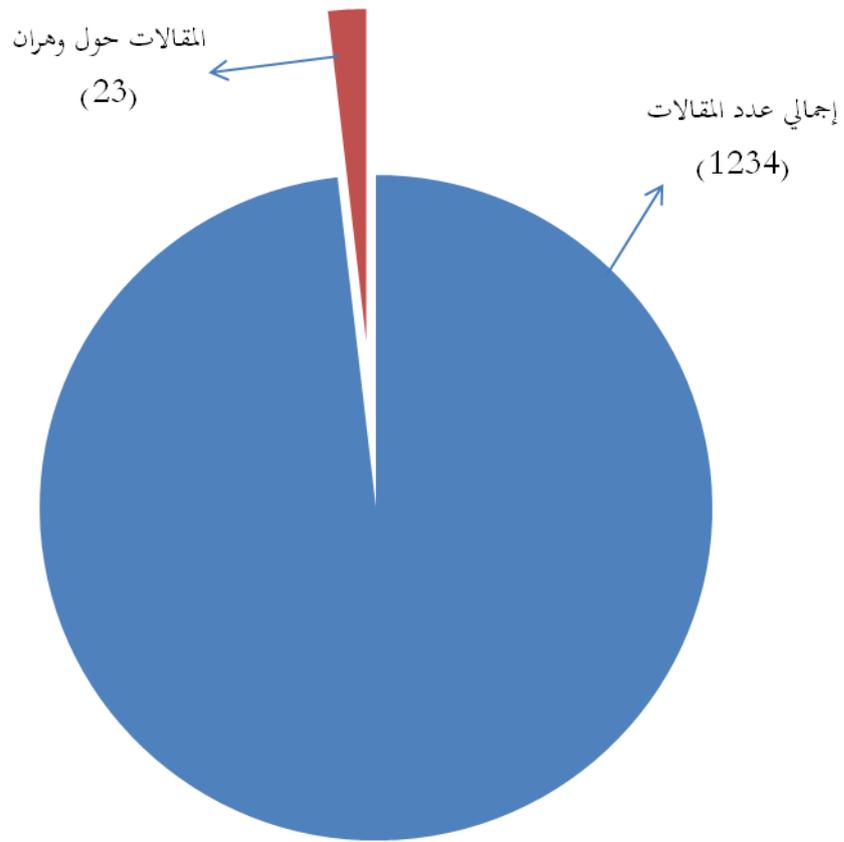
دائرة نسبية توضّح عدد كُتّاب وهران إبان فترة الإحتلال الإسباني بالنشرية  
الجغرافية والأثرية لإقليم وهران.



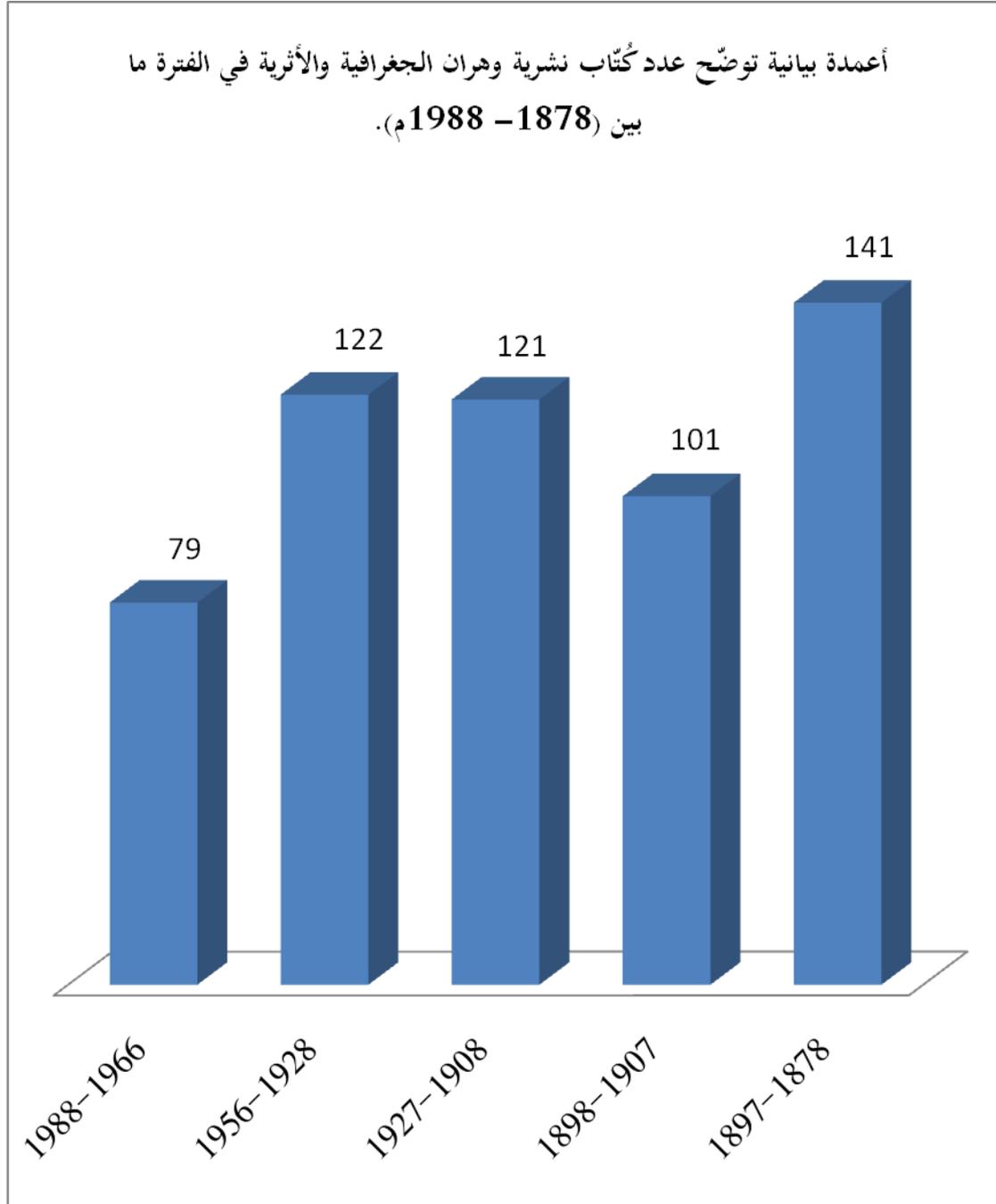
المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (10):

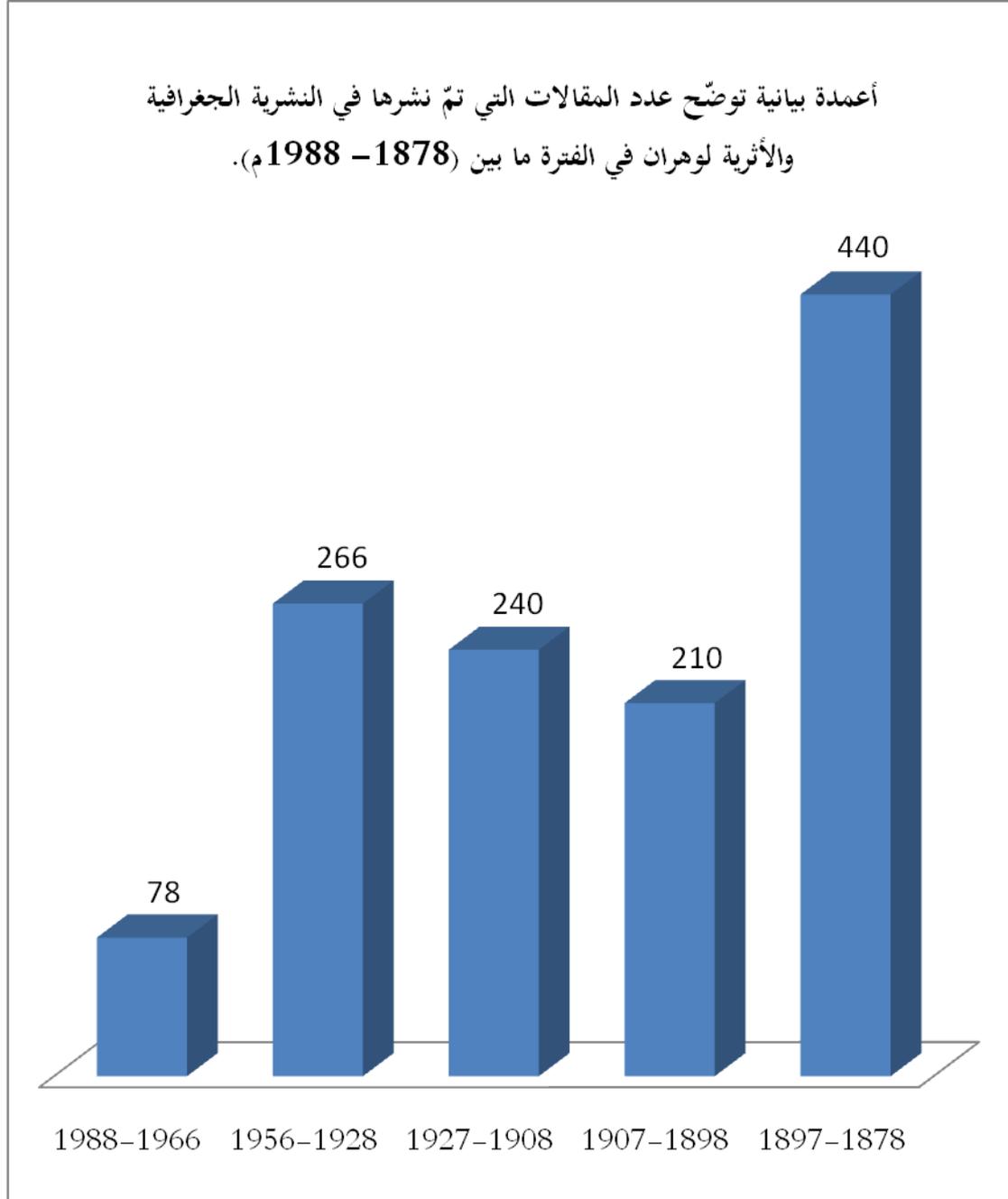
دائرة نسبية توضّح عدد المقالات التي نُشرت حول وهران إبان فترة الإحتلال الإسباني بالنشرية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران.



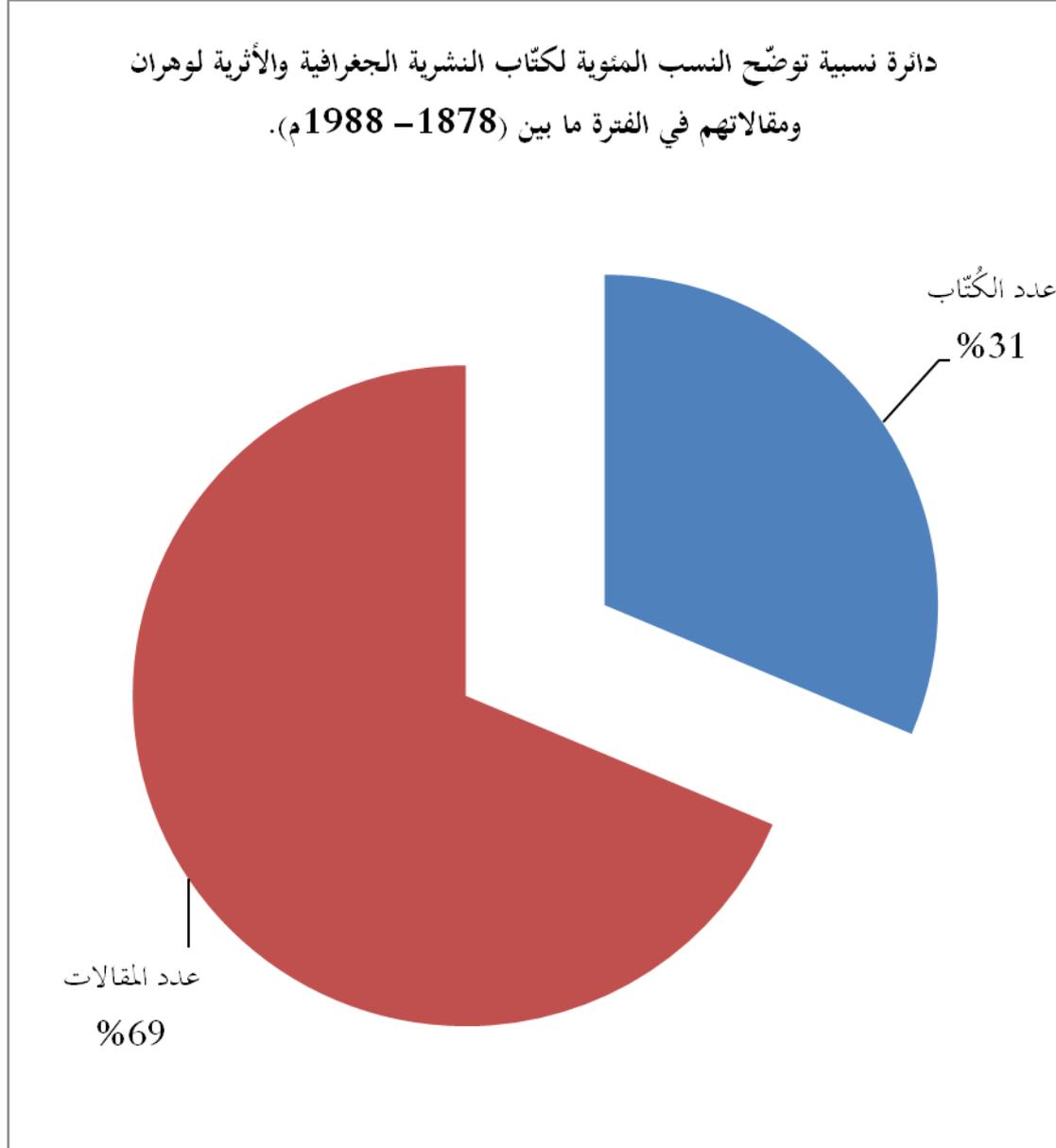
المصدر: من إنجاز الطالبة.



المصدر: من إنجاز الطالبة.

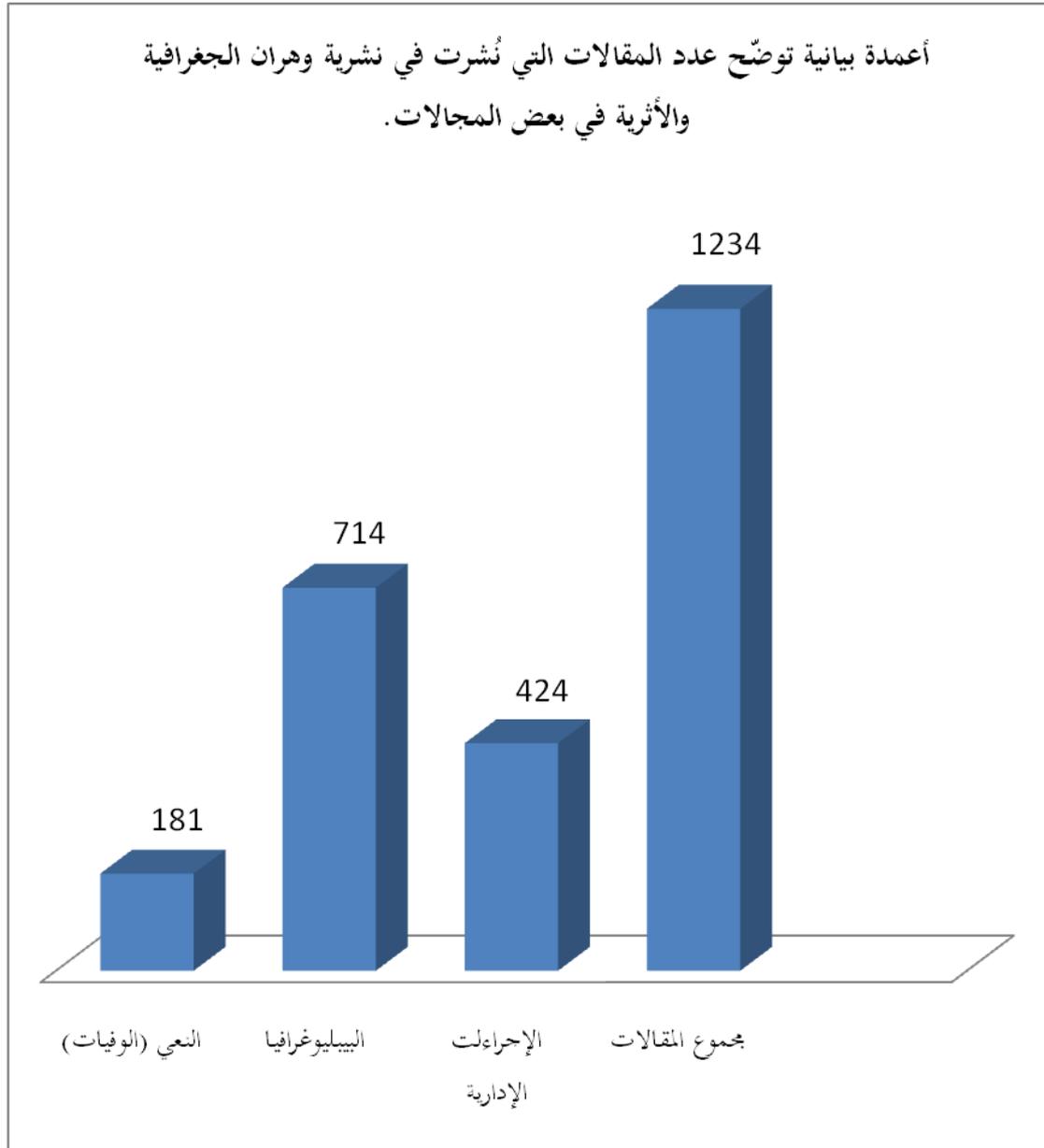


المصدر: من إنجاز الطالبة.



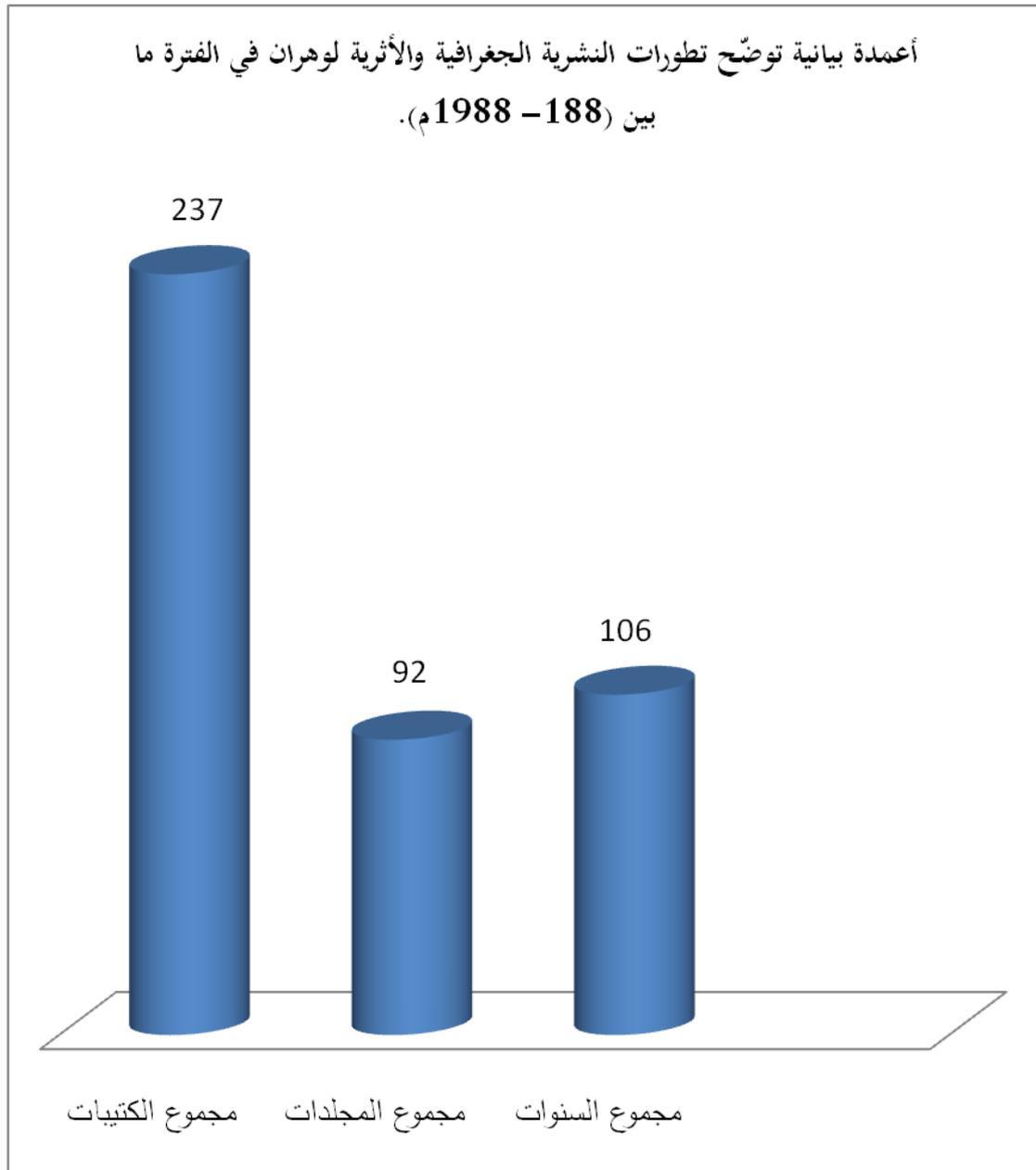
المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (14):



المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (15):



المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (16):

كتاب وهران إبان فترة الاحتلال الاسباني في ضوء المجلة الإفريقية

عدد حقول الكتابة	عدد المقالات	اسم الكاتب
12	136	بيربروجر (A) Berbrugger
6	63	دوغرامون (H.D. DE) Grammont
3	30	بريمودي (F. Élie De) La Primaudaie
6	18	قودارد (Léon) Godard
6	13	قوين (L.) Guin
3	5	بروديل (F.) Braudel
1	5	كازيناف (J.) Cazenave
1	3	بستيمالجوجلو (A) Pestemaldjoglou
1	3	ساندوفال (Général) Sandoval
//	1	بودين (M.) Bodin

المصدر: من إنجاز الطالبة.

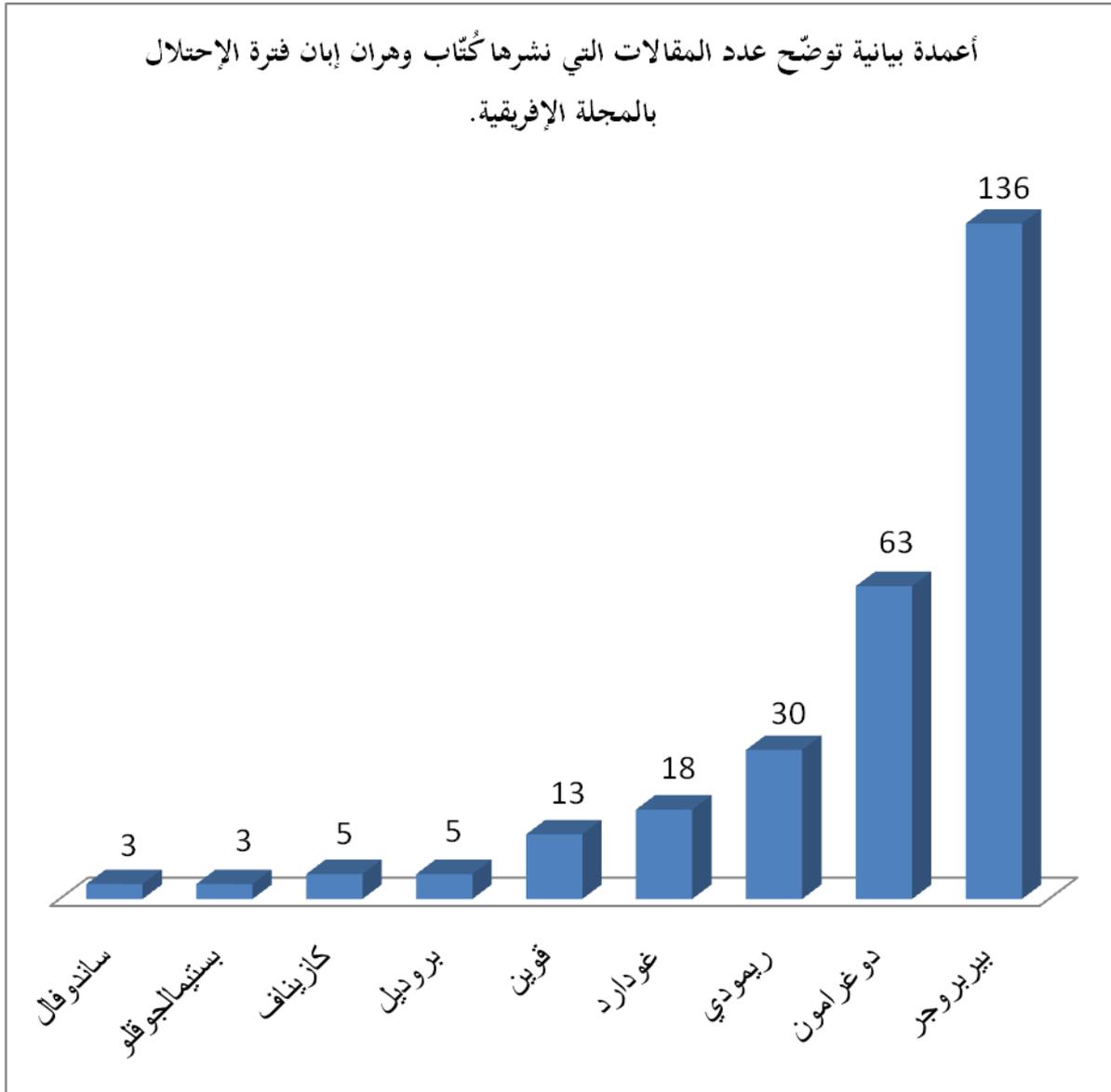
الملحق رقم (17):

كتاب وهران إبان فترة الاحتلال الاسباني في ضوء نشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران  
(B.S.G.A.O)

اسم الكاتب	عدد المقالات	المقالات حول موضوع الدراسة
ميشيل فرانسيسكو MICHEL (F)	2	1
لاكورفا فرانسيسكو LA CORVA (de. F)	4	1
لويس ديمائت Demaeght (L)	55	1
ديشو Déchaud (ED)	11	1
جون كازيناف CAZENAVE (J)	9	7
مارسيل بودين (BODIN Marcel)	7	2
بلجات PELLEGAT (G)	3	2
أنونيم هيرولت ANONYME (H)	26	1
كاميل كال (KEHL Camille)	11	2
روبرت تنثوين TINTHOIN (R)	12	1
جارديني Déjardins (V)	9	1
فيلو Villot (R)	8	1
دو فولكس Foulques L (DE)	3	1
بلوم BLUM (N)	2	1

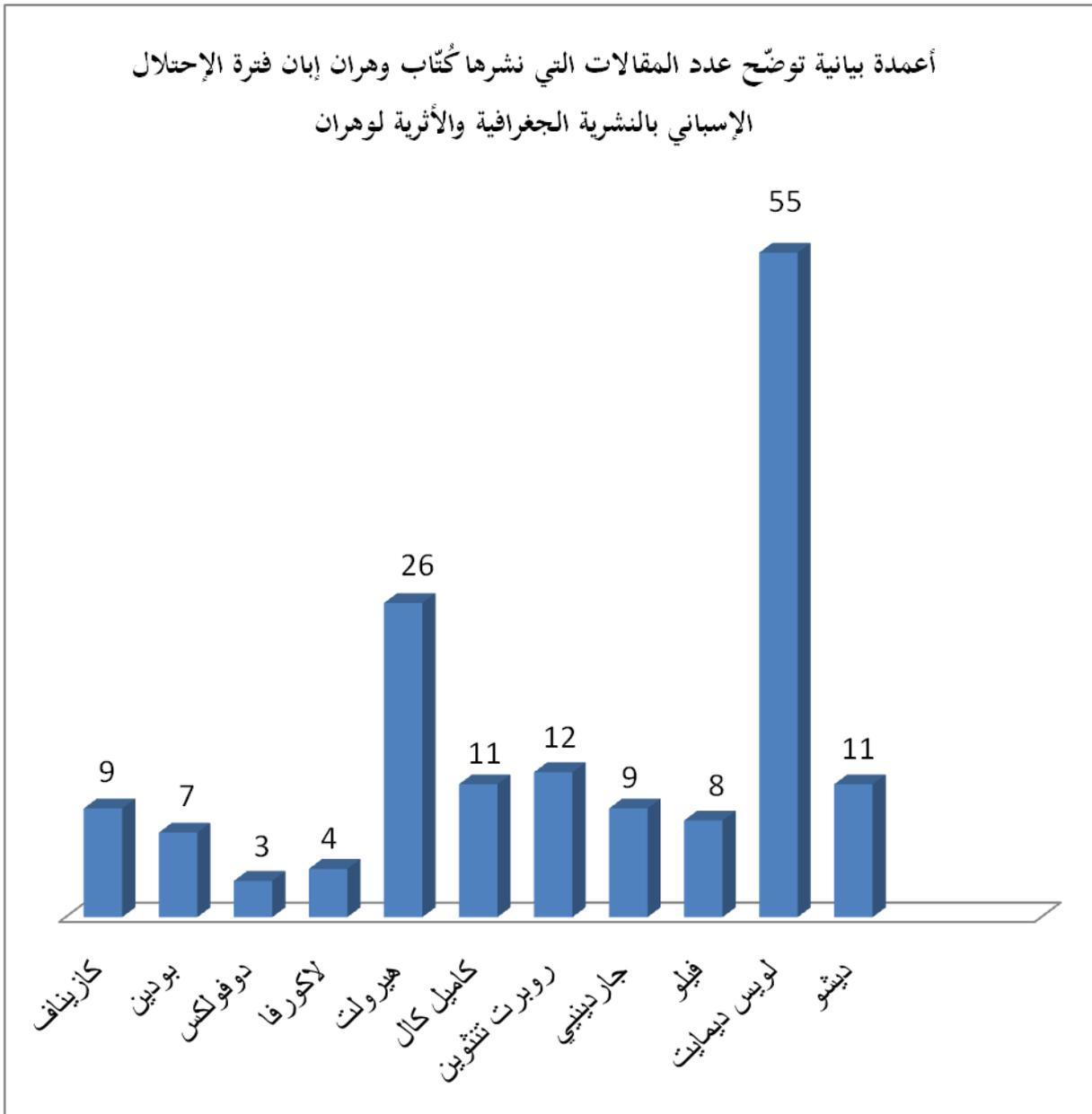
المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم: (18)



المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (19):



المصدر: من إنجاز الطالبة.

الملحق رقم (20):

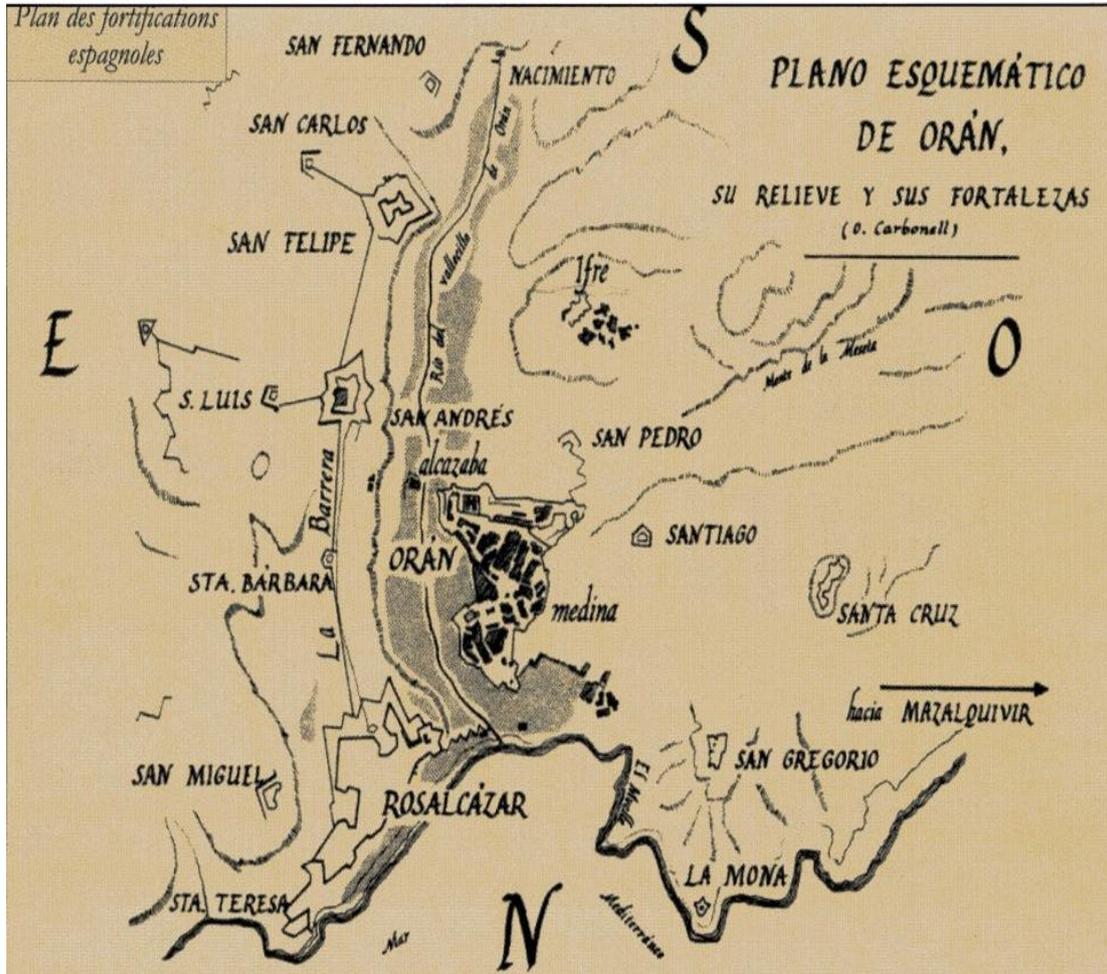
صورة للكاردينال خيمينيس سيسنيروس وبيار نفارو أثناء دخولهم وهران في 20 ماي 1509م.



المصدر: Didier, (le Général L.), op.cit, p.104.

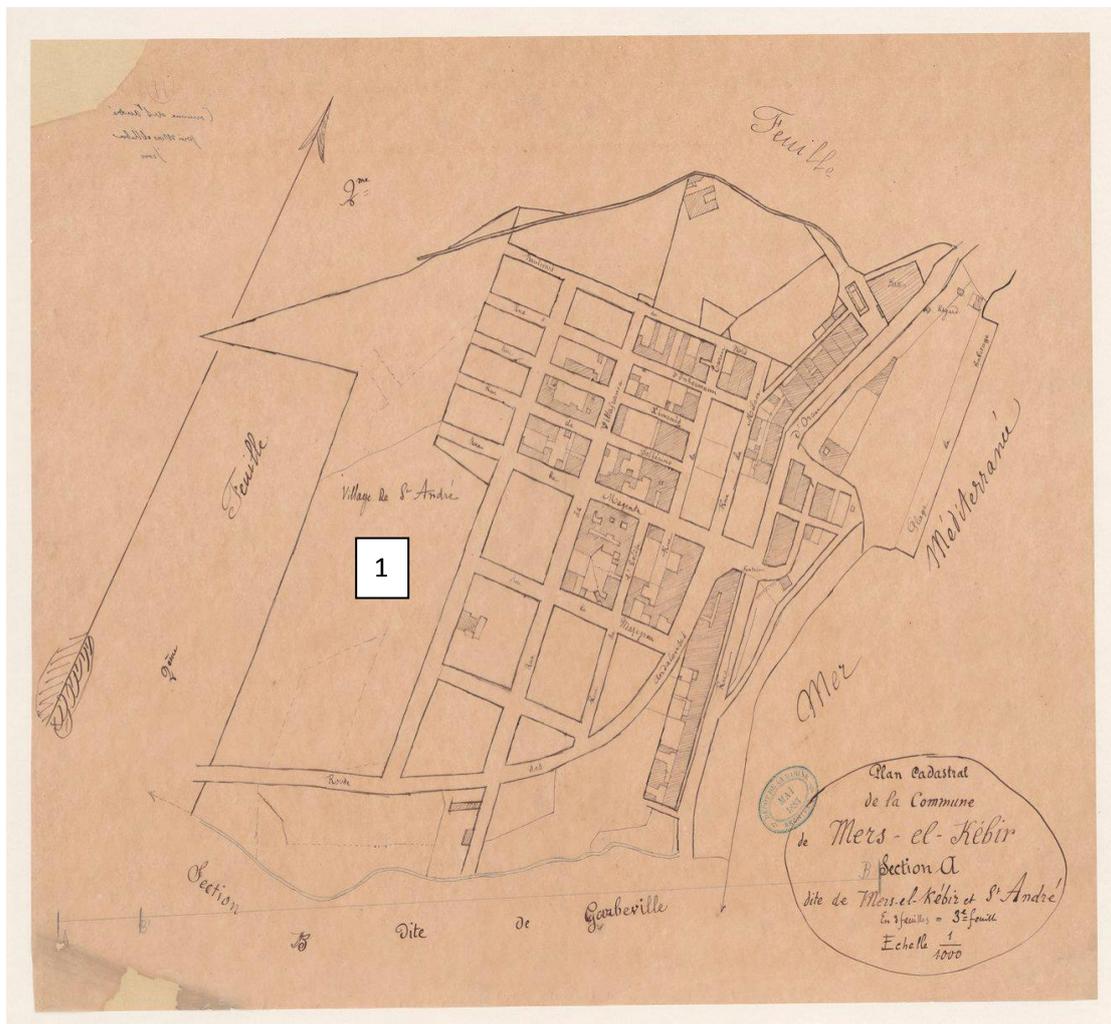
الملحق رقم (21):

خريطة التحصينات الإسبانية بمدينة وهران.



الملحق رقم (22):

مخطط تفصيلي لحي سانت أندريه ومعايره.

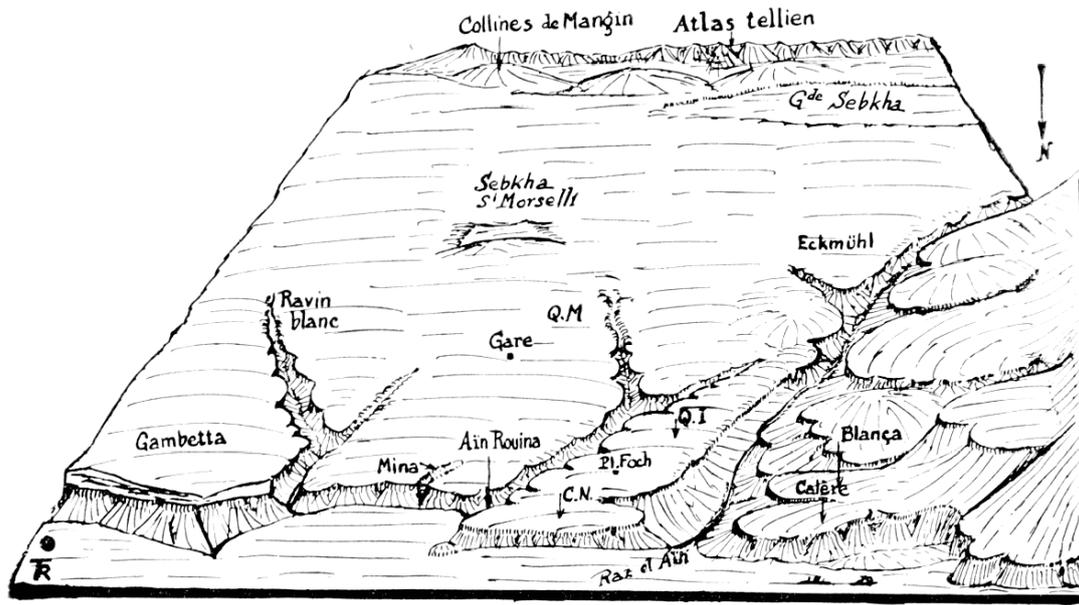


1 حي سانت أندريه.

المصدر: Source gallica.bnf.fr/ Bibliothèque nationale de France

الملحق رقم (23):

منظر تضاريسي شامل لمدينة وهران من الجهة البحرية.



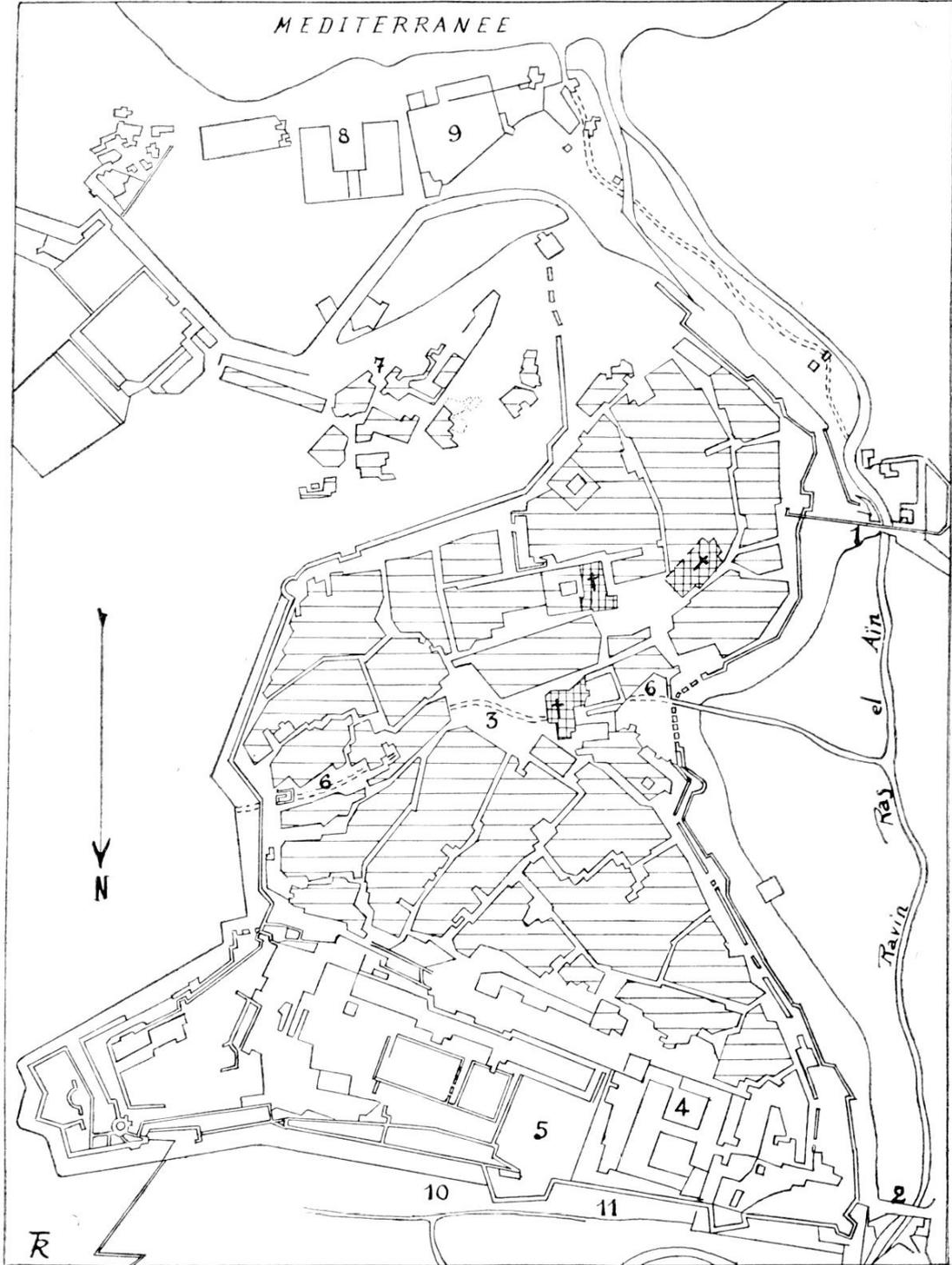
VUE PANORAMIQUE DE LA VILLE D'ORAN. VU DE LA MER  
C.N. : Château neuf. — Q.I. : Quartier israélite. — Q.M. : Principal quartier musulman.

المصدر:

Robert, Tinthoin, Oran, Ville moderne, In: L'information géographique, Vol 20, N°5, 1956, p.176.

الملحق رقم (24):

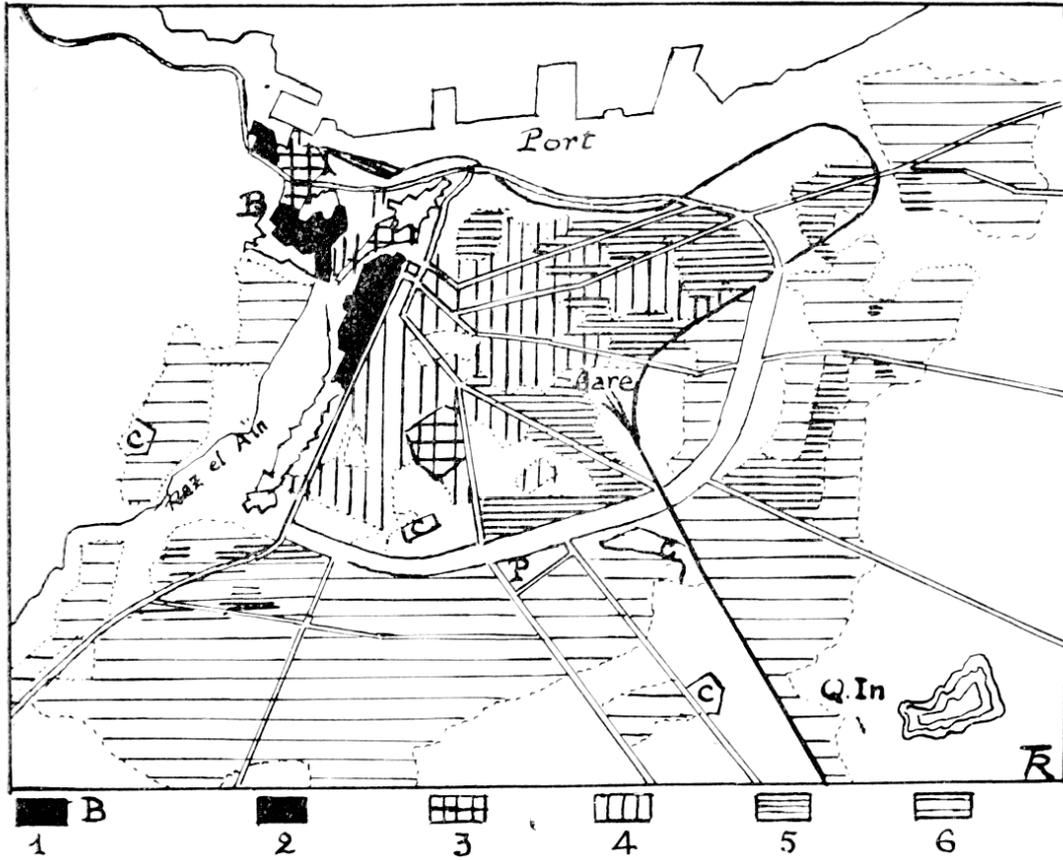
مخطط عام لمدينة وهران وتحسيناتها لعام 1730م.



المصدر: Robert, Tinthoin, Oran, Ville moderne..., op.cit, p.178.

الملاحق رقم (25):

خريطة تمثل الامتداد التاريخي لمدينة وهران في الفترة ما بين 1723 - 1933م.



1- حي لا بلانكا، الحي الإسباني ما بين (1723-1791م).

2- حي اليهود (1791).

3- الحي الفرنسي قبل 1846.

4- التمديد قبل (1880 - 1890م).

5- التمديد قبل 1928م.

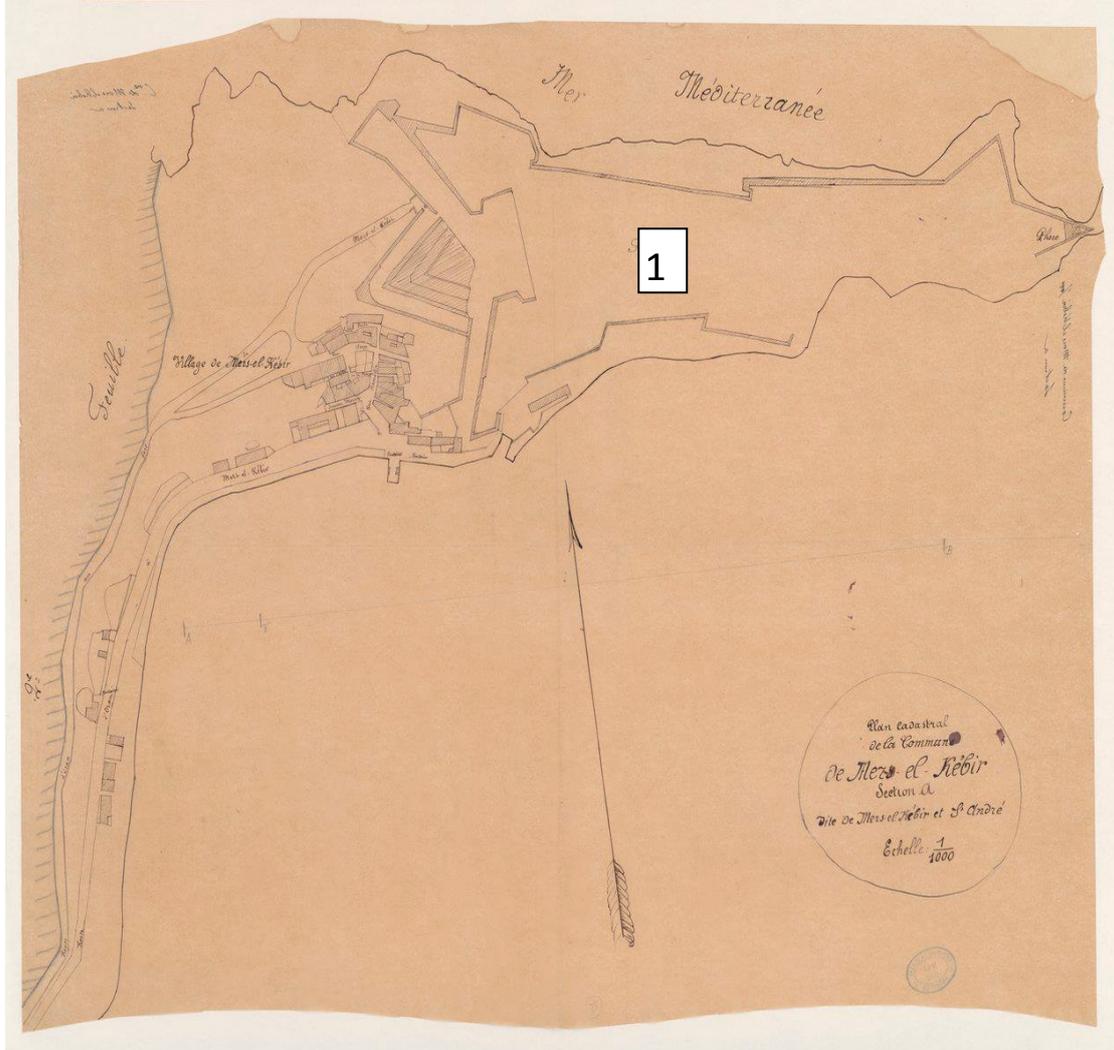
6- التمديد بداية من عام 1933م.

المصدر: Robert, Tinthoin, Oran, Ville moderne..., op.cit, p.181.

الملحق رقم (26): خريطة وهران والمرسى الكبير خلال الهجوم الإسباني عليها عام 1505.



مخطط تفصيلي لقلعة المرسى الكبير



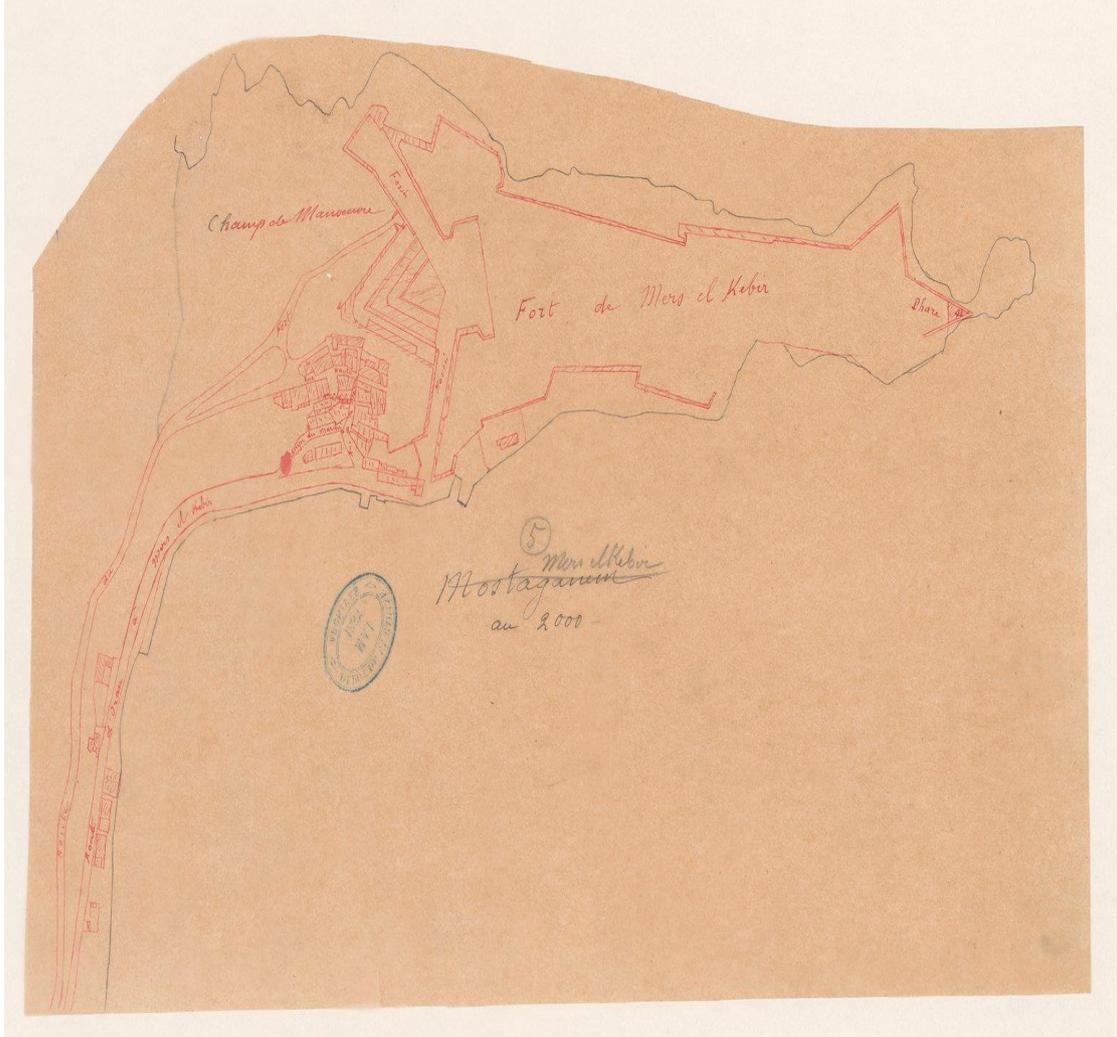
قلعة المرسى الكبير.

1

المصدر: Source gallica.bnf.fr/ Bibliothèque nationale de France

الملحق رقم (28):

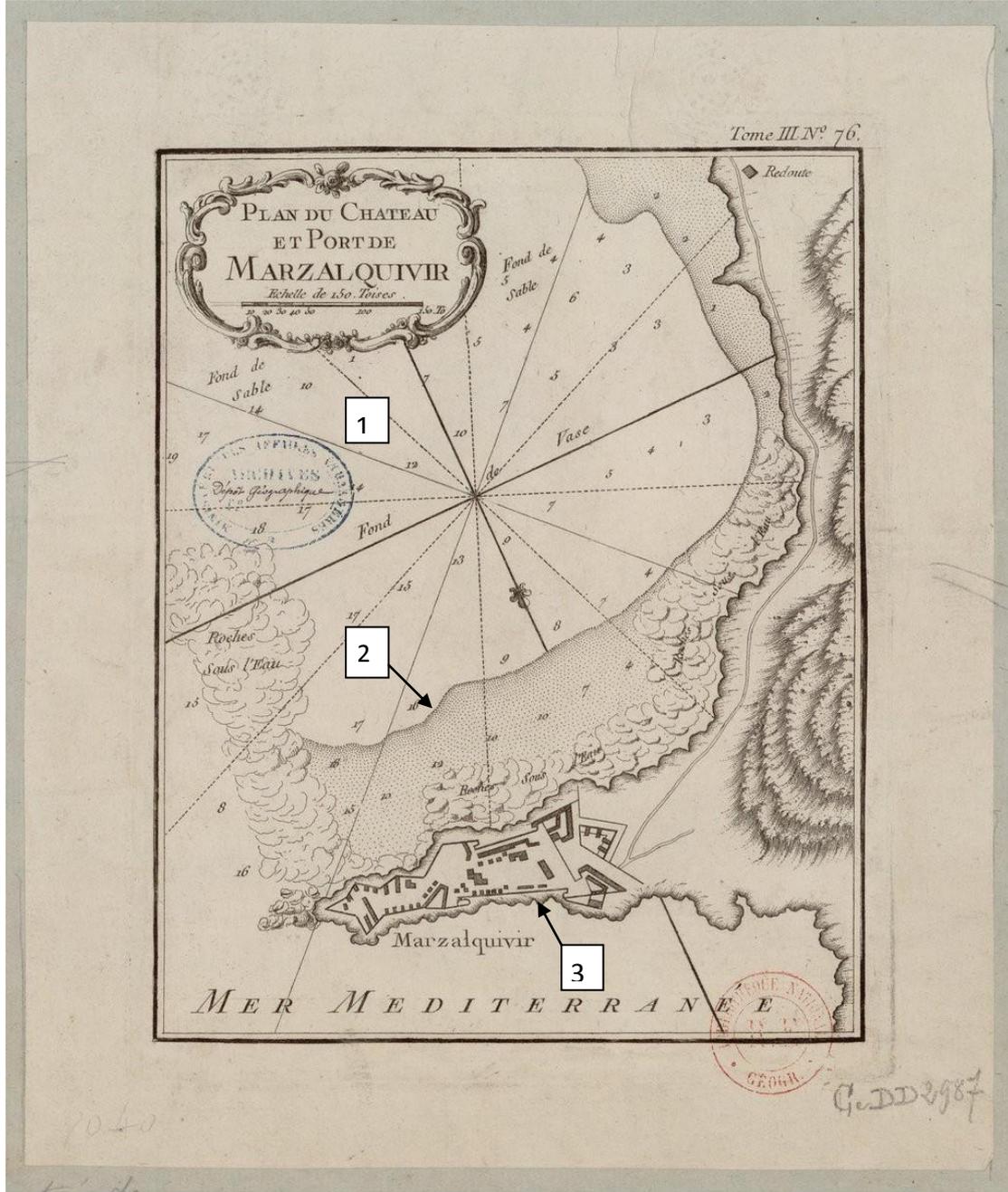
مخطط تفصيلي لحصن قلعة المرسى الكبير



Source gallica.bnf.fr/ Bibliothèque nationale de France المصدر:

الملحق رقم (29):

خريطة لقلعة وميناء المرسى الكبير.



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

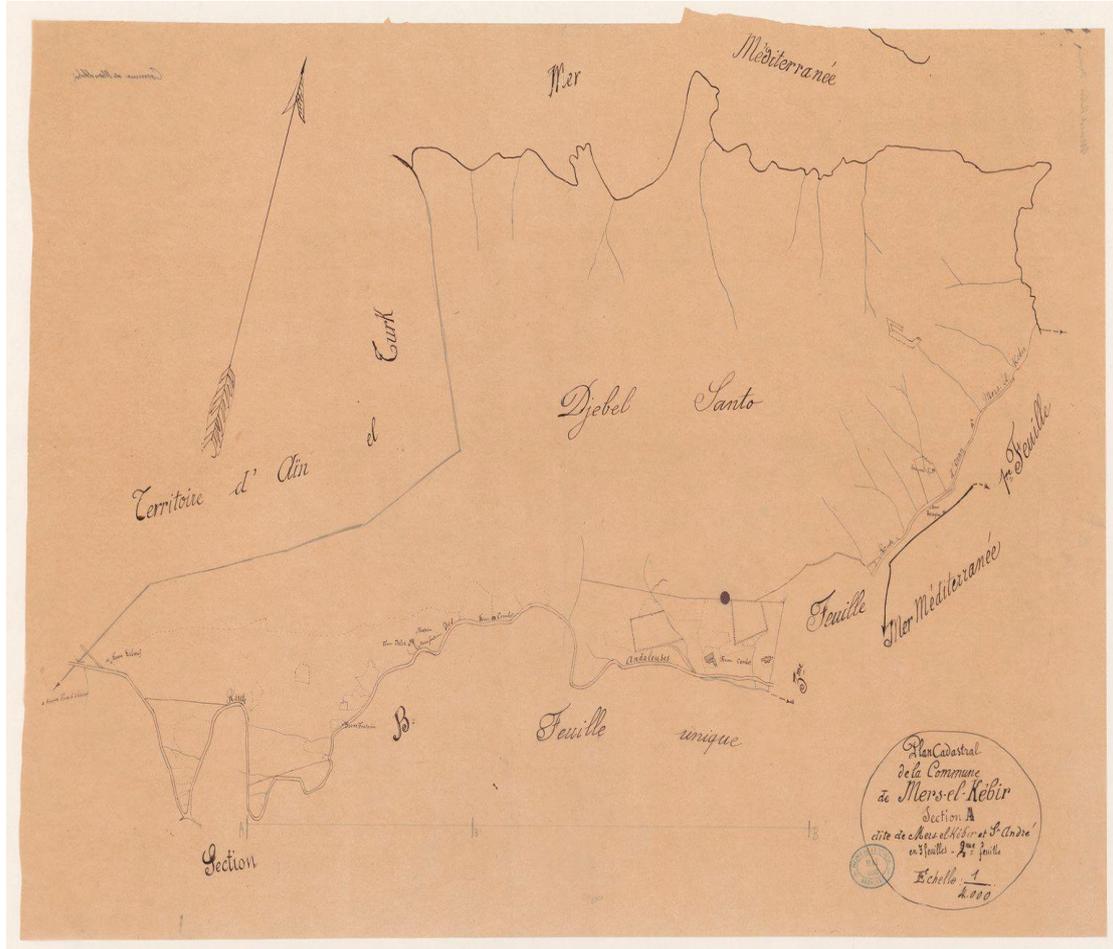
1 الرصيف الرملي.

2 الرصيف الصخري.

3 القلعة.

الملحق رقم: (30)

مرتفعات المرسي الكبير (جبل السانتو)



Source gallica.bnf.fr/ Bibliothèque nationale de France : المصدر

قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع

#### I- باللغة العربية:

##### أولاً- المخطوطات:

1. الجديري، ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم 1626.

##### ثانياً- المصادر المطبوعة:

2. ابن أبي ضياف، أحمد إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، (د ت)، ج2.

3. ابن الأحمر، روضة النسرين في ملوك بنو مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.

4. ابن المفي، شاوش حسين بن رجب، تقييدات ابن المفي في تاريخ بشوات الجزائر وعلمائها، تر: فارس كعون، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

5. ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971م، 1992م، ج2، ج7، ج11.

6. أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المكتبة التجارية الكبرى، فاس (المغرب)، 1936م، ج1.

7. أصاف، حضرة عزتلو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

8. الأندلسي، أبي عبد الله محمد بن محمد، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973م، ج2.

9. الأنصاري الطرابلسي، أحمد بن حسين النائب، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تق و تح: محمد زينهم، محمد عرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، مصر، 1994م.

10. باش تارزي، مصطفى بن عبد الرحمن، مخطوط رسالة المنح الربانية المنظمومة الرحمانية، خزنة المخطوطات المكتبة الموهوبية، بجاية- الجزائر، (د،ت).

## قائمة المصادر والمراجع

11. بربوس، خير الدين، مذكرات خير الدين بربوس، تر: محمد، دراج، ط1، ش، أ، ن، ت، الجزائر، 2010م.
12. البكري، أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
13. بن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله، عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، مج1.
14. ( ————— )، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تح: مختار، العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، (د.ط)، دار الكتاب، 1964م، ج3.
15. التلمساني، أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1988م، مج1.
16. التلمساني، أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: تق: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.
17. التنسي، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: تع: محمد بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
18. الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط1، تح وش، حسن محمد جوهر وعمر الدوسقي، ج7، لجنة البيان العربي بمصر، 1967م.
19. الجزائري، محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر الحمية، تق: تع: محمد بن عبد الكريم، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.
20. الحفناوي، أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1907م.
21. حلیم، إبراهيم بك، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية (تاريخ الدولة العثمانية العلية)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م.
22. الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، ط2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1995م، ج1.
23. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار: معجم جغرافي، تح: إحسان، عباس، ط1، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، 1984م.

## قائمة المصادر والمراجع

24. ديفولكس، ألبير، مخطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، تر، تح: مصطفى، بن حموش، بدر الدين، بلقاضي، م، و، ف، م، الجزائر، 2004م.
25. الراشدي، ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م.
26. الراشدي، أحمد بن عبد الرحمن، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، تح: تق: ناصر الدين سعيدوني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991م.
27. الزهار، الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر (1754-1830م)، تح، نشر: أحمد توفيق، المدني، ش، و، ن، ت، 1980م.
28. الزياني، محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: الشيخ المهدي البوعبدلي، ش، و، ن، ت، الجزائر، 2004م.
29. العدواني، محمد بن محمد بن عمر، تاريخ العدواني، تق، تح، تع: أبو القاسم، سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.
30. العنتري، محمد الصالح، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة، نش، تح: رابح، بونار، بعنوان: مجامع قسنطينة، الجزائر، 1974م.
31. (\_\_\_\_\_)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مر، تح: يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
32. الغبريني، أبي العباس أحمد بن محمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.
33. الغريسي، الطيب بن مختار، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، ضمن كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، لمصنفة بلهاشمي، بن بكار، ط1، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م.
34. الفاسي، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مر: عبد الوهاب منصور، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.

## قائمة المصادر والمراجع

35. الفكون، شيخ الإسلام عبد الكريم، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق، تح، تع: أبو القاسم، سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
36. المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط5، دار النفائس، بيروت، 1986م.
37. مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
38. المزاري، الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ج1.
39. المشرفي، عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبنني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، (د.ت).
40. المكناسي، ابن القاضي أحمد بن العباس، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ج1، 1973م.
41. مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص، تع: نور الدين، عبد القادر، المطبعة الثعلبية، الجزائر، 1934م.
42. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ج4، ج3.
43. النصيبي، أبي القاسم بن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992م.
44. الوزان الفاسي، الحسن بن محمد (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2.
45. الوهراني، بن عبد القادر مسلم، تاريخ بايات وهران أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تق، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

## قائمة المصادر والمراجع

### ثالثاً- المراجع:

46. ابن مرزوق، عبد الرحمان، أهم الاكتشافات الأثرية القديمة والحديثة والمعالم الأثرية للفترة النوميدية بولاية باتنة، باتنة، الجزائر، 2004م.
47. أبو الفضل، محمد أحمد، تاريخ مدينة المرية في العصر الإسلامي: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، 1966م.
48. آجقو، علي، المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة الأمة، العام الجامعي، الجزائر، 2002 - 2003م.
49. ( \_\_\_\_\_ )، محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية (1515م- 1837م)، ط2، بانتيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، الجزائر، 1999م، ج2.
50. أجيرون، شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر، ط1، تر: عيسى، عصفور، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 1982م.
51. أليتش بروشين، نيكولاي، تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16 حتى مطلع القرن 20م، تر: عماد حاسم، ط2، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، 2001م.
52. أوصديق، الطاهر، مملكة كوكو، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م.
53. برنشفيك، روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تعر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
54. بطاش، علي، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل: حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
55. بقطاش، خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، الجزائر، 1977م.
56. بلبروات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016م.
57. بلحميسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش، و، ن، و، الجزائر، 1981م.

## قائمة المصادر والمراجع

58. بن إبراهيم، الطيب، الإستشراق وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ط1، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.
59. بن أشنهو، عبد الحميد بن أبي زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1986م.
60. بن حموش، مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي للأرشييف العثماني الجزائري (956-1246هـ / 1549-1830م)، ط1، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي، 2000م.
61. بن خروف، عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر الميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م، ج2.
62. بن داهة، عدّة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
63. بن عتو، بلبروات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م-1797م)، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م.
64. بن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969م.
65. بورويبة، رشيد، قسنطينة: سلسلة الفن والثقافة، الجزائر، 1978م.
66. بوضرساية، بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
67. البوعبدلي، المهدي، تاريخ المدن، إعداد وجمع: عبد الرحمن ديب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
68. بوعزيز، يحيى، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشييف التاريخ الوطني بمدير (1780-1798م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.
69. (\_\_\_\_\_)، الموجز في تاريخ الجزائر، د، م، ج، 1999م، ج2.
70. (\_\_\_\_\_)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، 1980م.
71. (\_\_\_\_\_)، مدن تاريخية، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1985م.
72. (\_\_\_\_\_)، مدن تاريخية: وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، 1985م.

## قائمة المصادر والمراجع

73. ( ——— )، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
74. تشرشل، شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر: تع: أبو القاسم، سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م.
75. الجابري، محمد عابد، الرؤية الاستشرافية في الفلسفة الإسلامية، طبيعتها ومكوناتها الإيديولوجية والمنهجية، مداخلة بندوة مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985م، ج1.
76. جلال، يحيى، المغرب الكبير: العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، ج3، 1981م.
77. الجمل، شوقي عطالله، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، (د،ط)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.
78. جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تر: محمد مزالي، البشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م، ج2.
79. جوليان، شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير، دار الأمة، 2013م، مج2.
80. الجيلالي، عبد الرحمان بن محمد، محمد ابن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
81. ( ——— )، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ج4.
82. ( ——— )، تاريخ الجزائر العام، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014م، ج3.
83. الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الإستشراقي: الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ج1.
84. حساني، مختار وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م.

## قائمة المصادر والمراجع

85. حليمي، عبد القادر، مدينة الجزائر: نشأتها، تطورها قبل 1830م، دراسة في جغرافية المدن، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972م.
86. حمادي، عبد الإله، مساءلات الفكر والأدب، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
87. خنوف، محمد، تاريخ منطقة جيجل قديماً وحديثاً، منشورات الأنيس، الجزائر، (د، ت).
88. خوجة بن عثمان، حمدان، المرأة، تق، تح: محمد العربي، الزبيري، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982م.
89. دراج، محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 - 1543م)، ط2، ش، أ، ن، ت، الجزائر، 1434هـ / 2013م.
90. دودو، أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 - 1855م)، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ت).
91. دوس، فرانسوا، التاريخ المفتت من الحواريات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، مر: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م.
92. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون (1516 - 1916م)، مطبعة ألف باء، دمشق، 1974م.
93. رضوان، عبد الحي، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث، ط1، مكتبة الطالب الجامعي، مصر، 1988م.
94. الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972م.
95. الساحلي، خليل، تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552م، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جويلية، 1974م.
96. سامح أتر، عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي، عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م.
97. السايح، أحمد عبد الرحيم، الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

## قائمة المصادر والمراجع

98. السباعي، مصطفى، الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط1، دار السلام، مصر، 1998م.
99. سبنسر، وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
100. سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج1، ج4.
101. ( \_\_\_\_\_ )، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2000م، ج1.
102. ( \_\_\_\_\_ )، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج3، ج5، ج6.
103. ( \_\_\_\_\_ )، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى 14هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ج1.
104. ( \_\_\_\_\_ )، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
105. ( \_\_\_\_\_ )، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
106. سعيدوني، ناصر الدين، المهدي البوعبدلي، في التاريخ (العهد العثماني)، م، و، ك، الجزائر، 1984م، ج4.
107. سعيدوني، ناصر الدين، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ج4.
108. ( \_\_\_\_\_ )، الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، بيروت، دار الغرب الجزائري، 2000م.
109. ( \_\_\_\_\_ )، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، طبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

## قائمة المصادر والمراجع

110. ( ————— )، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط2، م، و، ك، الجزائر، 1985م.
111. ( ————— )، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: الفترة الحديثة والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 126.
112. ( ————— )، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. 2001م.
113. ( ————— )، موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الموسوعة التاريخية للشباب، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1987م.
114. السليماني، أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ط1، دار الكتاب، الجزائر، 1993م.
115. سي يوسف، محمد، أمير أمراء الجزائر علق علي باشا، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.
116. سيدي صالح، حياة، اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين بين (1895-1971م)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
117. شوفالييه، كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر: جمال، حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
118. شويتام، أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926-1246هـ/1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م.
119. الصديق، محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج1.
120. طعيمة، صابر، الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية، ط6، دار الجيل، بيروت، 1993م.
121. عبد القادر، نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، ط2، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

## قائمة المصادر والمراجع

122. العربي، إسماعيل، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
123. ( \_\_\_\_\_ )، المدن المغربية، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ت).
124. العقيقي، نجيب، المستشرقون، ط1، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 1964م، ج1، ج3.
125. عمورة، عمار، الجزائر بوابة التاريخ، (د،ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2013م، ج2.
126. عميرايوي، أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، (د،ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003م.
127. ( \_\_\_\_\_ )، وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844م- 1916م)، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
128. عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966م.
129. عويس، عبد الحليم، دولة بني حماد: صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، المنصورة، 1991م.
130. الغازي، جعفر بن صالح، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، دار القاهرة، مصر، 2007م.
131. غربي، الغالي، وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر (الخلفيات والأبعاد)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.
132. غطاس، عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007م.
133. ( \_\_\_\_\_ )، الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر (1700- 1830م)، (د،ط)، الجزائر، 2001- 2002م، ج1.
134. غنيمي الشيخ، رأفت، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2005م.

## قائمة المصادر والمراجع

135. فارس، محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان، 1969م، 1979م.
136. فركوس، صالح، إدارة المكاتب والاحتلال الفرنسي للجزائر، ط1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
137. فزان، برويل، المتوسط والعالم المتوسطي، تر: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.
138. فكاير، عبد القادر، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 10هـ/16م، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016م.
139. ( \_\_\_\_\_ )، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، دار هومة، الجزائر، 2012م.
140. فيلاي، عبد العزيز، مدينة قسنطينة: دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، ط1، قسنطينة، 1984م.
141. فيلاي، كمال، البابلك نظام حكم ضمن كتاب المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، تن: بوغفالة ودان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2014م.
142. الفيومي، محمد إبراهيم، الإستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، مصر، 1993م.
143. فنان، جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.
144. كرودرة، زهية، تطور عمران مدينة الجزائر من خلال المصادر الإسلامية، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، وزارة الاتصال والثقافة، تندوف، 1996م.
145. لونيبي، إبراهيم، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، (د،ت).
146. محجوب، محمد عبده، مقدمة في الأنثروبولوجيا، المجالات النظرية والتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

## قائمة المصادر والمراجع

147. المدني توفيق، أحمد، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 - 1792م) وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
148. ( \_\_\_\_\_ )، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ت).
149. ( \_\_\_\_\_ )، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 - 1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
150. مروش، المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: القرصنة الأساطير والواقع، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009م.
151. معيرش، محمد العربي، الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (1822 - 1872م)، دار الغرب الإسلامي، 2009م.
152. مقييس، بشير، مدينة وهران: دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
153. مناصرية، يوسف، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1954م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.
154. مهيرس، مبروك، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
155. مولييراس، أوجست، المغرب المجهول: اكتشاف الريف، تر، تق: عز الدين الخطابي، (د،ط)، منشورات تفرانز اء ريف، دار النجاح الجديدة، 2007م، ج1.
156. مياسي، إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 - 1912م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د،ت).
157. ميسوم، عبد الإله، تأثير الموشحات في التروبادور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
158. الملي، مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د،ت)، ج3.

## قائمة المصادر والمراجع

159. نايلي، عبد القادر، المقاومات والانتفاضات الشعبية: من خلال المجلة الإفريقية - انتفاضة الزعاطشة نموذجاً -، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
160. النملة، علي بن إبراهيم الحمد، الإستشراق والدراسات الإسلامية، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، 1998م.
161. نمير لطف الله، عقيل، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة دمشق، دمشق، 2008م.
162. نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م.
163. هلايلي، حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م.
164. ( \_\_\_\_\_ )، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2007م.
165. الهندي، محمود إحسان، الحوليات الجزائرية، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 1977م.
166. هورس، مادلين ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1981م.
167. وولف، جون ب، الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، تر: وتغ: أبو القاسم سعد الله، م، و، ك، الجزائر، 1986م.
168. يحي، جلال، العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998م، ج1.

### رابعاً- المقالات :

169. آجقو علي، علي، "دور قلعة الجهاد (مدينة الجزائر) في منع تكرار مأساة الأندلسيين في المغرب (1516-1541م)"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، السنة الرابعة عشر، كانون الثاني/ جانفي 2007م، ع 56، ص ص 96 - 125.
170. بلبروات، بن عتو، "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791م)"، مجلة عصور الجديدة، جوان/ ديسمبر 2005م، ع 6-7، ص ص 80 - 97.

## قائمة المصادر والمراجع

171. ( ——— )، "فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م"، مجلة الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، جامعة وهران، 1426هـ/2005م، مج9، ع12، ص ص 269-278.
172. ( ——— )، "إستراتيجية الباي محمد الكبير في فتح وهران والمرسى الكبير"، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف للنشر والتوزيع، حيدرة، الجزائر، ع6، ص ص 51-64.
173. بوحشوش، نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، الجزائر، 1999م.
174. بوشنافي، محمد، "دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الإسباني عام 1791م من خلال مصادر معاصرة"، مجلة عصور الجديدة، 1432هـ/2011م، ع1، ص ص 85-95.
175. التلمساني، محمد بن محمد، "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، نشر سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، جويلية 1967م، ع3، ص ص 2-32.
176. التميمي، عبد الجليل، "التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م"، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الإتحاد العام التونسي المستقل، جانفي 1974م، ع1، ص ص 12-24.
177. ( ——— )، "الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، نوفمبر 1981م، ع23-24.
178. ( ——— )، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جويلية 1976م، ع6، ص ص 116-120.
179. دميري، محمد صالح، "الفرنكوفونية الأدبية والسياسة الاستعمارية في الجزائر (1830-1962م) صورة الجزائر في الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية"، تر: حسن بن المهدي، مجلة الثقافة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1988-1989م، ع101، ص ص .
180. دهاش، الصادق، "موقع الدكتور محمد ابن أبي شنب من ظاهرة الإستشراق والمستشرقين"، مجلة عصور جديدة، دار القدس العربي، وهران، 2012-2013م، ع7-8، ص ص 244-261.

## قائمة المصادر والمراجع

181. زروق، جيجيك، "اهتمام الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية (المجلة الإفريقية) أمودجا"، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2015م، ع5، ص ص 105 - 122.
182. سامعي، إسماعيل، "جهود الاستعمار في تأصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستلاب الثقافي"، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، سبتمبر 2005م، ع10، ص ص 20-35.
183. سعد الله، أبو القاسم، "رسالة من الشيخ العنتري القسنطيني إلى المترجم فيرو"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986م، مج1، ع1، ص ص 101 - 110.
184. ( ——— )، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، الجزائر، 1973م، ع 14 - 15، ص ص 325 - 357.
185. صاحبي، محمد، "الجمعية التاريخية الجزائرية"، مجلة التاريخ العربي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، ع 60.
186. ( ——— )، "المجلة الإفريقية دراسة إحصائية بيبولوجرافية للمخطوطات العربية"، مجلة الحوار المتوسطي، دار الأصول للنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013م، ع 5، ص ص 105 - 122.
187. فكايير، عبد القادر، "العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية"، دورية كان التاريخية، ديسمبر 2012م، ع 18، ص ص 24 - 30.
188. قنان، جمال، "مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر"، مجلة الدراسات التاريخية، السنة 1408هـ / 1988م، مج3، ع5، ص ص 128 - 137.
189. مختاري، الطيب، "لجنة التحقيق الإفريقية في الجزائر ودورها الإستعماري"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، 2016م، مج 4، ع8، 310 - 321.
190. المشهداني، مؤيد محمود حمد، سلوان رشيد، رمضان، "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 - 1830م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، 1434هـ / أبريل 2013م، مج 5، ع 16، ص ص 411 - 455.
191. هلايلي، حنفي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ديسمبر 2007م، ع24، ص ص 253 - 286.

## قائمة المصادر والمراجع

192. ( \_\_\_\_\_ )، " ثنائيات توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال دو فولكس ودي غرامون"، مجلة الحوار المتوسطي، ع1، منشورات دار الأصول، سيدي بلعباس، مارس 2009م، ص ص 7-17.
193. ( \_\_\_\_\_ )، "المتجمعون في الجيش الفرنسي: آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر 1830-1962م"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر)، مارس 2016م، ع 11-12، ص ص 175-187.
194. ( \_\_\_\_\_ )، "المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962م"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان، جوان 2005م، ع 7، ص ص 149-158.
195. ( \_\_\_\_\_ )، "المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها (1830-1962م)"، المجلة التاريخية المغربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري 2014م، ع 154-155.
196. ( \_\_\_\_\_ )، "بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة"، مجلة عصور، جانفي-مارس 2017م، ع 32-33، ص ص 58-80.
197. ( \_\_\_\_\_ )، "بيبلوغرافيا حول الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير (1505م-1792م) من خلال المدونات الفرنسية: المجلة الإفريقية ونشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران: دراسة بيبليوغرافية"، المجلة التاريخية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، فيفري 2018م، ع 169، ص ص 79-110.
198. ( \_\_\_\_\_ )، "عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر"، مجلة الحوار الفكري، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، ديسمبر 2005م، ع 7، ص ص 143-147.
199. وولف، جون، ب، "رياس البحر"، تعر: أبو القاسم، سعد الله، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، الجزائر، 1987م، مج 2، ع 3، ص ص 43-66.

## قائمة المصادر والمراجع

خامساً- الأطروحات والرسائل الجامعية:

200. بجاوي، محمد، المجدون الجزائريون في الجيش الفرنسي (1830-1900م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
201. برمكي، محمد، الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954-1962م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة وهران، 2010م.
202. بريغيث، علي، صورة الجزائر عند الرحالة الفرنسيين سنة في السهل لـ أوجين فرومنتان- أنودجا-، مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، غير منشورة، جامعة يحي فارس، المدية، 2012م.
203. بلغيث، عبد القادر، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير غير منشورة، التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013م.
204. بن صحراوي، كمال، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012-2013م.
205. بوجلال، مسعودة، العلاقات العثمانية- الإسبانية على ضوء كتابات برودال، مذكر ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس، 2014-2015م.
206. بوشية، فايزة، بايلك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي 1662-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
207. بومزو، عز الدين، الضباط الفرنسيين الإداريون في إقليم الشرق الجزائري: أرست مرسية نموذجاً، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة قسنطينة 2، 2007-2008م.
208. تابتي، حياة، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالقطاع الوهراني 1929-1954م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تلمسان، 2004-2005م.
209. الحاج أحمد، إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م (مزاب والأهقار نموذجاً)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة قسنطينة 2، 2012م.
210. حبوش، آيت حميد، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر الأوروبية 1519م-1830م، مذكرة ماجستير، غير منشورة جامعة سيدي بلعباس، 2008-2009م.

## قائمة المصادر والمراجع

211. السيساوي، أحمد، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث (1833-1871م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014م.
212. صحراوي، فتيحة، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م.
213. صغيري، سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011-2012م.
214. عبيد، مصطفى، التأثير الفرنسي في الحضارة الشرقية من خلال موسوعي وصف مصر واستكشاف الجزائر العلمي (دراسة تاريخية تحليلية مقارنة)، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2014-2015م.
215. غرينة، عبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية (1840-1939م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010م.
216. محمة، عائشة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، جامعة غرداية، 1432-1433هـ/2011-2012م.
217. مختاري، الطيب، اللجنة الإفريقية (1833-1834م)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر والمقاومة الوطنية والثورة التحريرية، غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م.
218. مسرحي، جمال، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري: ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009م.
219. الواليش، فتيحة، الحياة الحضريّة في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، مذكرة ماجستير في التاريخ والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1993-1994م.

## قائمة المصادر والمراجع

220. يجياوي، رزيقة، الإستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة ونشر التراث الجزائري، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، 1435-1436هـ/ 2014-2015م.

سادساً- المعاجم والموسوعات :

### 1- المعاجم:

221. ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، (د.ت)، ج17.

222. الخطيب، عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

223. رجب عبد الجواد، إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ط1، دار الآفاق العربية، 2002م.

224. شرفي، عاشور، معلمة الجزائر (القاموس الجامع)، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2009م.

225. صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، (د،ط)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

### 2 - الموسوعات:

226. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993م.

227. بيرينيه، جان وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، بيروت، 1955م، ج2.

228. الموسوعة العربية العالمية، ط2، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، 1999م، ج4.

### II- باللغة الأجنبية:

#### أولاً- المصادر:

229. Alazard, (E.J), Albertini, A. Bel, F. Braudel, G. Esquer, E. F. Gautier, Dr E. Leblanc, G. Marçais, P. Martino, M. Morand, M. Reygasse, Ch. Taillart, G. Yver, J. Zeiller, Introduction de Stéphane Gsell, histoire et Historiens de l'Algérie (1830- 1930),

- Collection du Centenaire de l'Algérie, Archéologie et Histoire, Librairie Felix Alcan, Paris.
230. De Grammont, (Henri.D), Histoire D'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830), Ernest Leroux, éditeur, Paris,1887.
231. De Paradis, (Venture), Tunis et Alger au XVIII<sup>e</sup> Siècle, paris, Sindbad, 1983.
232. Diego, (S), Historia del Maestre ultimo de Montesa, Manuscrit annoté par Guillen de Roblès et édité par la Sociedad de Bibliofilos Espanoles, en 1889.
233. Diego, (Suarez), Histoire de 1 Maestre ultimo que fue de Monteza y de su hermano don felipe de borja, Capitanes en las plazas de Oran y Mazalquivir, reynos de Ténez en Africa.
234. Esterhazy, (Walisn. M), De la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840.
235. Faucon, (Narcisse), Le Livre d'Or de l'Algérie, (Histoire politique militaire, administrative, événement et Faits principaux, biographie des hommes ayant marqué dans l'armée, les sciences, les lettres, etc, de 1830 à 1889), T1, Challamel et Cie éditeurs, librairie Algérienne et coloniale 5, rue Jacob, et Fürstenberg, 2, Paris, 1889.
236. Léon Fey, (Henri), Histoire d'Oran avant pendant et après la domination espagnol, édition Dar Elgharb, 2002.

237. Léon, (Roches), Trente- deux ans à Travers l'islam (1834-1844), Paris, Librairie académique Didier Perrin et C<sup>ie</sup>, libraire, D'éditeurs, 1904.
238. Shaw, (Dr), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc de cet état, Trad, De l'anglais avec des nombreuses augmentation par J. Mac Carthy, Paris, Chez Marlin, 1830.
239. Teissier, (Octave), Algérie, géographie, histoire, statistique, description des villes, villages et hameaux, organisation des tribus, nomenclature des khalifaliks, aghaliks et kaïdats, librairie de L. Hachette et Ce. Bouleyard saint- germain, Paris, 1864.
240. Vallejo, (Joseph), Oràn bajo la dominacion espanola- Estado Mayor General, Madrid, 1924. (Manuscrit de la Bibliothèque de l'Escorial).
241. Venture (de Paradis), Tunis et Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle (Mémoires et observation rassemblés et présentés par Joseph Cuoq), ed Sindabad, Paris, 1983.

ثانياً- المراجع:

242. Accardo,(F), Répertoire alphabétique des Tribus et Douars de l'Algérie, dressé d'après les documents officiels sous la direction de M. le Myre de Vilers, par F. Accardo, 1879.
243. Agulhon, (Maurice), Le Cercle dans La Fronce bourgeoise 1810- 1848 étude d'une mutation de sociabilité, A. Colin, Paris, 1977.

244. Aïman, (Saïd), Le logement social urbain à Oran, nouvelle politique de l'habitat et retombées locales, Mémoire de Magister en géographie, Université d'Oran, 2002.
245. Ait Saïd, (R), Répertoire générale des articles de fond de la revue Africaine 1856- 1962, bibliothèque universitaire d'Alger, 1922.
246. Albert, (Camus), La Peste, bibliothèque de la Pléiade, NRF, Paris, 1962.
247. Alvarez, (Manuel Fernandez), Politica mundial de Carlos V, y Felipe II, Madrid, 1966.
248. Antoine, (Jouty), "L'influence français dans l'évolution sociale du peuple algérien", Extrait de la revue des idées, Paris, 1913.
249. Aperçu historique, statique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'Armée expéditionnaire d'Afrique, rédigé par trois officiers anonymes, 2 édition, Paris, C. Picquet, 1830.
250. Aramburu, Oran et l'ouest Algérien au 18<sup>ème</sup> siècle, d'après le rapport Aramburu, présentation et traduction de, Mohamed Elkorso, Mikel de Epalza, bibliothèque Nationale, Alger, 1978.
251. Arques, (Fernández), Enrique, Las adelantades de Espana-Madrid, Las plazas espanolas del litoral africano del Mediterraneo, I.D.E.A, 1966.
252. Belhamissi, (Moulay), Histoire de la marine Algérienne (1516- 1830), 1<sup>er</sup> Ed, ENAL, Alger, 1982.
253. Bloch, (Isaac), les Israelites d'Oran de 1792 à 1815, Paris, Alger, 1886.

254. Boudicour, (L), la colonisation de l'Algérie, le coffre, Paris, 1856.
255. Bourdeau, (Philippe), Une mémoire alpine dauphinoise, alpinistes et guides, 1875- 1925, Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble, 1988.
256. Boutin, (C), Reconnaissances des villes, forts et batteries l'Alger, Pub, G. Esquer, Paris, champion, 1927.
257. BRIGNON, (Jean), et autres, Histoire du Maroc, 1<sup>er</sup> Ed, Hatier, Casablanca.
258. Charles, (Saint- Cabre), Constantine de quelques auteurs arabes Constantinois, N°97, 1913.
259. Derrien, (I), Les Français A Oran depuis 1830 Jusqu'a non gours, imprimerie Nicot, Aix, 1886.
260. Devoulx, (A), Tachrifat, Recueil de notices historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, imp du gouvernement, 1852.
261. Didier, (le Général L.), Histoire d'Oran: Période de 1501 a 1550, Imprimerie Jeanne D'arc, Oran, 1927.
262. Dondin-Payre, (Monique), La commission d'exploration scientifique d'Algérie: une héritière méconnue de la Commission d'Egypte, Impr. F. Paillart, Paris, 1994.
263. Dubois, (Thainville), Mémoire sur Alger en 1809, Pub par G. Esquer, Paris, Champion 1927.
264. Edward, (Cat), Petite Histoire de l' Algérie: Tunisie- Maroc, Alger, Adolph Jourdan, T1, 1888.

265. Epalza, (M-D), Vilar, J- B, "Planos y mapas hispanicos de Argelia Siglos XVI- XVIII" Plans et cartes hispaniques XVI<sup>e</sup>-XVIII<sup>e</sup> siècles, (Edition bilingue), Madrid, Instituto Hispano-Arabe de Cultura, 1988.
266. Eve, (Gran- Aymerich), Naissance de l'archéologie moderne 1789-1945, Paris, CNRS, Edition, 1998.
267. Féraud, (Charles), Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger, A, Jourdan, Libraire- éditeur, 4 Place Du gouvernement, 4, 1876.
268. Fernand, (Braudel), La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, T2, 1976, Paris.
269. François, (Garnier), Journal de la bataille de Lépante, édition De Paris, Paris 1972.
270. Frémeaux, (Jacques), Souvenirs de Rome et présence français au Maghreb: essai d'investigation, in CRESM, Connaissance du Maghreb, Science sociales et colonisation, s/d de J-C. Vatin, Paris, Editions du CNRS, 1984.
271. Gaide, (Mouloud), L'Algérie sous les Turques, Alger, niaisons aunisienne de l'édition et de diffusion, 1974.
272. Garcin, (Jean-Claude), Grandes Villes Méditerranéennes du Monde Musulman, Collection de l'école Française de Rome, 2000.
273. Garrot, (Henri), Histoire générale de l'Algérie, imprimerie Crexenze, Alger, 1910.

274. Gautier (M.E.F), L'évolution de l'Algérie de 1830 à 1930, Publication du comité nationale métropolitain du centenaire de l'Algérie, 1930.
275. Goldzeiger, (Annie Rey), le Royaume Arabe: la politique Algérienne de Napoléon III (1861- 1870), SNED, Alger, 1977.
276. Hefele, (CH.J), Le Cardinale XIMENES et L'église D'Espagne, trad par: M.L'abbé A.
277. Houari, (Chaila), Oran Histoire d'un Ville, Édition Iben Khaldoune, Oran, 2002.
278. Julien, (Ch-A), omet de souligner, dans la très importante bibliographie, annexée à son Histoire de l'Algérie contemporaine (PUF, 2<sup>ème</sup> édition 1979), Table générale du Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran, (4ème série), années 1928 à 1956, Oran, B.S.G.A.O, imprime L. Fouque, 1961.
279. Katz, (Joseph), L'Honneur d'un Général, Oran 1962, L'Harmattan, Paris, 1993.
280. La Primaudaie, (F. Elie De), le Commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, C. Lahure, Paris, 1861.
281. Laroui, (Abdallah), l'Histoire du Maghreb, Maspero, Paris, 1970.
282. Latrie, (Mas), Aperçue des relation commerciales de l'Italie septentrionale avec l'Algérie au moyen âge, Imp Royale, Paris, 1845.

283. Lespes, ( R), Oran étude de géographie et d'histoire urbaines, Paris, Alcan, Alger, Carbonel, 1938.
284. Louis, (Voinot), Oujda et L'Amalat, Paris, 2vol, 1988.
285. ( ————— ), Relation allégo-marocaines sur la frontière du tell (1848-1907), Saint- Germain- en Laye, 1989.
286. Lucette, (Valenci), Le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion, Paris, 1969.
287. Lucien, (Sebbah), La France- maçonnerie à Oran de 1832 à 1914, Aux Amateurs de Livres, Paris, 1990.
288. Malki, (Nour Eddine), Razzia, butin et esclavage dans l'Oranais au XVIe siècle, d'après la manuscrit de Diego Suarez, dar el Gharb, Oran, 2002.
289. Marcel, (Bodin), traditions indigènes sur Mostaganem, itinéraire Historique et légendaire de Mostaganem et de sa région Oran.
290. Marie Quérard, (Joseph), La littérature française contemporaine XIXe siècle, Imprime, Béthune et Plon, 1842, T1, Paris.
291. Martha Pollak, (D), Introduction, URBI, XI , Architecture militaire, Liège, Pierre Mardaga éditeur, 1989.
292. Mélanges de Géographie et d'orientalisme offerts à E- F, Gautier professeur honoraire à la Faculté des Lettre d'Alger, Tours, 1927.
293. Mercier, (Ernest), Histoire de Constantine, Bibliothèque National de France, Paris.

294. ( ——— ), Histoire de l'Afrique Septentrional, T3, Ernest Leroux Editeur, paris, 1891.
295. ( ——— ), L'Algérie devant le parlement en 1893, Constantine, Imprimerie Marle, 1913.
296. Merouche, (L), Recherches Sur L'Algérie Ale poque Ottomane II La Course Mythes et Réalité, France, Ouvrage Publie Avec Le soutien de Centre Nationale de Livre, 2007.
297. Métaïr, (Kouider) ,Oran « mémoires en images » , éditions Association Bel Horizon de Santa Cruz, 2005.
298. Nahoum, (Weissmann), les Janissaires, études l'Organisation militaire des Ottomans, imp, Orient, Paris, 1964.
299. Nimier, (G), Mémoire et Société, Klinsieck, Paris, 1987.
300. Offrey, (Robert), Oran et Mers el Kébir, imprimerie Berthod, 1938.
301. Pananti, (Filippo), Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, Trad de l'Anglais par Blanquière, le Normand, Paris, 1820.
302. Piesse, (Louis), Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, comprenant le Tell et le Sahara, Paris, Hachette, coll, Guides Joanne, 1862.
303. Plante, (Eugène), Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France (1579-1833), Paris, F. Alcan, T2, 1889.
304. Pollak, (M-D), Introduction, URBI XI, Architecture militaire, Liège, Pierre Mardaga - Éditeur, 1989.

305. RANG, (Sander), Fondation de la Régence d'Alger, histoire des Barberousse, T 1, J. Ange, Éditeur, Paris, 1937.
306. Raymonde, (André), North Africa in The Pre-colonial Period, Cambridge History of Islam, Cambridge University Press, 1970.
307. Roset, (M.P), Carette, f. hoefer l'Algérie état tripolitaine, Tunis, 1980.
308. Rufe, (Paul), La domination espagnole a Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete (1543- 1558), Leroux, Paris, 1900.
309. Sari, (Djillali), Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, Alger, 1974.
310. Serres, (J), La politique Turque en Afrique du Nord sous la monarchie de Juillet, Goutheser, Paris, 1925.
311. Sidi Mohamed, (Trache), Mobilités résidentielles et périurbanisation dans l'agglomération oranaise, Thèse de Doctorat D'état en géographie, Uni d'Oran, 2010.
312. Tiran, (M), Notice sur Oran pendant l'occupation espagnole, Paris, Archives du ministère de la Guerre, 1847.
313. Toutain, (Jules), Ernest mercier et l'épigraphie romaine dans l'Afrique du Nord, l'Afrique à travers ses fils (ouvrage collectif), Paris, Librairie orientaliste Plus Guethner, 1994.
314. Vapereau, (G), Dictionnaire universel des Littératures contenant, Librairie Hachette et Cie, 79 Boulevard saint-Germain, Paris, 1876.

315. YVER, (Georges), Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839), 1<sup>er</sup> édition, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1912.

ثالثاً- المقالات:

316. Liste générale des Membres de la Société Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran an 1<sup>er</sup> Mars 1907, in: B.S.G.A.O, T27, 1907, Oran, pp.1-17. et T42, 1922, pp.1-20.

317. Résumé des Travaux de la société de Géographie et D'archéologie de la Province D'Oran de 1898 a 1907, in: B.S.G.A.O, T27, 1907, pp.1-18.

318. Albertini, (Eugène), "Stéphane Gsell (1864- 1932)", in: R.A, 1932, N°73, pp.20- 36.

319. Alfred, (Bel), "René Basse", in: R.A, N°65, 1924, O.P.U, Place Centrale de Ben- Aknoun, Alger, 1986, pp.12-15.

320. André, (Nouchi), "Constantine à la veille de la conquête Française", in: C.T, N°11, 1955.

321. ANONYME, (Hérault), Docteur Fabriès, Laurent Fouque (... , 1913), in: B.S.G.A.O, T33, 1913, pp. 150-151.

322. ( \_\_\_\_\_ ), " Notes et Documents: La reprise d'Oran par les Espagnols en 1732", in B.S.G.A.O, T52, 1931, pp.83- 88.

323. Arques, (Fernandez), Enrique, "Moros de paz", in: Revista de Tropas Coloniales, N°4, avril 1925, pp.1- 5.

324. Balthazar, (Morales), Documents inédits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnols (Dialogue sur les guerres

- d'Oran), Traductions: Michel FRNCISQUE, (R), B.S.G.A.O, T7, 1887, p.10, T9, 1889, pp.95-155; et pp.223- 255.
325. Ben Cheneb, (M)," Langue Musulmanes", in: R.A, N°49, 1905, pp.317-329.
326. Ben kada, (Saddek), "Ali Mahi Eddine, un notable oranais entre la résistance- dialogue et résistance- résignation", Bibliographie et Histoire sociale en Algérie XIXe-XX siècle Oran, URASC, cahier N°5, pp.86-98.
327. ( ————— ),"La Société savante, ruptur et continuité d'une tradition associative: le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran", Revue Insaniyat, CRASC, Oran, N°8, 1999, pp.119- 128.
328. Béquet, (E), "Commission de géographie comparée", in: R.A, N°1, Alger, 1856.
329. Berbrugger, (A), "Introduction", in: R.A, N°1, Alger A. Jourdan, Libraire- éditeur, 1856, pp.1-11.
330. ( ————— ), "Notes de Lecture: Un bibliothécaire en compagne", in: R.A, N°68, 1927, pp.105-114.
331. ( ————— ), "Partie officielle Société Historique Algérienne", in: R.A, N°1, 1856, pp.11-15.
332. ( ————— ), "Revue Africaine à La Presse", in: R.A, N°2, 1857, pp.1-3.
333. ( ————— ), "Statuts de la Société Historique Algérienne: But de la Société", in: R.A, N°9, 1865, pp.15-20.

334. ( \_\_\_\_\_ ), «Province d'Oran, Aïn T'émouchent», in: R.A, N°1, 1856, pp.49-52; et pp.505-509.
335. ( \_\_\_\_\_ ), " un mémoire sur la peste en Algérie, depuis 1552 jusqu' en 1819", in: exploitation scientifique de l'Algérie, imp. Royale, Paris, 1847, T2, pp.205-228.
336. Bernard, (Augustin), " Emile Masqueray", in: R.A, N°38, 1894, pp.350- 371.
337. BLUM, (N), "La croisade de Ximénès en Afrique", in: B.S.G.A.O, T17, 1897, pp.319-366; et T18, 1898, pp.1-48.
338. BODIN, (Marcel), Documents sur L'Histoire Espagnole D'Oran Nécessité de fortifier Oran 1576, in B.S.G.A.O, T55, 1934, pp.360- 374.
339. ( \_\_\_\_\_ ), "Note sur l'origine du nom de Mogatazes donné par les Espagnols à certains de leurs auxiliaires indigènes pendant leur occupation d'Oran", in: B.S.G.A.O, T43, 1923, pp.234-247.
340. ( \_\_\_\_\_ ), «L'agrément du lecteur: Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran, par Si Abd el Kader et Mercheffi», in: R.A, N°65, 1924, pp.193-260.
341. ( \_\_\_\_\_ ), "Notes et question sur Ahmed ben Yousef", in: R.A, N°66, 1925, pp.125-189.
342. Bouty, (Joseph), "Société de géographie et d'archéologie d'Oran: Assemblée générale du 28 Mai 1899", in: B.S.G.A.O, T19, 1899, Oran, pp. XVII- XXVI.

343. ( \_\_\_\_\_ ), 20<sup>me</sup> Anniversaire La Fondation de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran: Compte -rendu du vingtenaire de la Société, in: B.S.G.A.O, T18, 1898, p.X-XXVII.
344. ( \_\_\_\_\_ ), "Compte rendu des travaux de la Société de Géographie et d'Archéologie de province d'Oran, pendant l'exercice 1885- 1886", in: B.S.G.A.O, T6 1886, pp.81- 86.
345. Boyer, (Pierre), «introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger», in: Revue historique, N°478, avril-juin 1966, pp.214-225.
346. ( \_\_\_\_\_ ), "Introduction à une histoire intérieure à la régence d'Alger", in: Revue historique, N°478, avril-Juin, 1966, pp.300- 315.
347. Braudel, (F), Les Espagnols et l'Afrique du Nord (149 à 1577), in: R.A, 1928, pp.184- 233, pp.351- 428.
348. Bulletin, "Statuts de la Société Historique Algérienne", in: R.A, N°48, 1904, pp.200-205.
349. CALZARONI, (J), Hennaya (Eugène Étienne), monographie, in: B.S.G.A.O, T43, 1923, pp.81-156.
350. CAZENAVE, (Jean), "Cervantès à Oran 1518", in: B.S.G.A.O, T43, 1923, pp.215-242.
351. ( \_\_\_\_\_ ), "Histoire d'Oran, par le marquis de Tabalosos", in: B.S.G.A.O, T51, 1930, pp.117-154, pp.331-380. et T52, 1931, p.40.

352. ( \_\_\_\_\_ ), "Les gouverneur d'Oran pendant l'occupation Espagnole de cette ville 1509-1792", in: R.A, N°71, 1930, pp.257- 300.
353. ( \_\_\_\_\_ ), "Les présides Espagnols d'Afrique: leur organisation au XVIIIe siècle", in: R.A, N°63, 1922, pp.225-269; et pp.457- 488.
354. ( \_\_\_\_\_ ), "Les sources de l'histoire d'Oran, Essai bibliographiques", B.S.G.A.O, T54, septembre- décembre 1933, Oran, pp.303- 379.
355. ( \_\_\_\_\_ ), "Pages d'histoire algérienne, une fête à Oran en 1772", in: l'Afrique latine, N°2, 1923, Alger.
356. ( \_\_\_\_\_ ), « le tremblement de terre en 1790 et ses conséquences politiques», in: l'Afrique latine, N°2, 1923, Alger, pp.243-262.
357. ( \_\_\_\_\_ ), "organisation militaire d'Oran pendant l'occupation espagnole, L'Armée d'Afrique, in: R.A, N°41, 1928, pp.315-340.
358. Cherbonneau, (A), "Sour Djouab et ses environs: Notice sur les Ruines", in: R. A, N°13, 1869, OPU, Alger, pp.194-195.
359. CLARIANA, (Don Antonio De), "Reprise d'Oran par les espagnole en 1732", in: R.A, N°8, 1864, pp.12- 28.
360. Congrès nationale des Société françaises de Géographie En 1903, in: B.S.G.A.O, T23, 1903, pp.12-13.
361. Congrès nationale des Société françaises de Géographie Oran 1902, in: : B.S.G.A.O, T22, 1902, pp.118-120.

362. De Grammont, (H.D), " Relations entre la France et la régence d'Alger au XVIIe siècle", in: R.A, N°23, 1879, pp.5-32.
363. Déchaud, (ED), "Le Peuplement Espagnole en Oranie", in: B.S.G.A.O, T28, 1908, Oran, pp.37-50, et pp.51- 73.
364. DEMAEGHT, (Louis), "Catalogue raisonné de musée de la ville d'Oran", in: B.S.G.A.O, T15, 1895, pp.73-107; 207.
365. ( \_\_\_\_\_ ), "Catalogue raisonne des objets archéologique contenus dans le musée municipale d'Oran-extrait", in: B.S.G.A.O, T53, 1932, pp.141-262, pp.341-428.
366. ( \_\_\_\_\_ ), Article Nécrologique, in: B.S.G.A.O, 1898.
367. Devoulx, (Albert), "Alger étude archéologique et topographique sur cette ville, aux époques romaine (Icosium), arabe (Djezair Beni Mez'renna) et turque (El- Djezair)", in: R.A, 1875, N°19, pp.385- 428.
368. ( \_\_\_\_\_ ), "Capitaine Prepaud", in: R.A, 1871, N°15, N°87, pp.161- 172.
369. ( \_\_\_\_\_ ), "Icosium", in: R.A, N°19, 1875, pp.295- 332.
370. ( \_\_\_\_\_ ), "Les Edifices Religieux de L'Ancien Alger", Introduction, in: R.A, N°11, 1867, N°66, pp. 48-54; pp.447-457.
371. ( \_\_\_\_\_ ), "Relevé des principaux Français qui ont résidé à Alger: de 1686 à 1830", in: R.A, 1872, N°16, N°95, pp.356-387.

372. Diégo, (Suarez), "Deux razzias mouvementées des Espagnols d'Oran, au XVIIe siècle", Traduction: CAZENAVE (J), in: B.S.G.A.O, T45, 1925, pp.285- 305.
373. ( ————— ), "Mers el- Kebir", Traduction: Berbrugger, (A), in: R.A, T9, 1865, pp.251- 267, pp.337-355, pp.410-429.
374. DIVERS, "Le Cinquantenaire de la Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran (1878-1928)", in: B.S.G.A.O, T48, 1928, pp.105-136.
375. Don Antonio, (de Clariana), "Reprise d'Oran par les Espagnols, en 1732", in: R.A, N°8, 1864, pp.12- 28.
376. Doumergue, (François), "Discours devant l'Assemblée générale du 9 mais 1920", in: B.S.G.A.O, T40, mars- juin 1920, pp.82- 100.
377. ( ————— ), "Historique du musée d'Oran (1882-1898)", in: B.S.G.A.O, T45, 1925, pp.66-103.
378. ( ————— ), "Historique du musée d'Oran entrant du B.S.G.A.O", in: B.S.G.A.O, T45, 1925, pp.66-103.
379. ( ————— ), "Le Cinquantenaire de la Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran (1878-1928)", B.S.G.A.O, T48, 1928, pp.105-136.
380. Erkument, (Kuran), "la lettre du dernier Dey d'Alger au grand-vizir de l'Empire Ottoman", in: R.A, N°96, 1952, pp.188 -195.
381. Esquer, (Gabriel), "La Société Historique Algérienne,(1856-1956): Histoire et souvenirs", in: R.A, N°100, 1956, pp.44-56.

382. ( \_\_\_\_\_ ), "La Vie intellectuelle en Algérie- in Simoun",  
R.A, N°26, mais 1957, pp.20-25.
383. FABRE (S), Eugène Étienne (...- 1921), in: B.S.G.A.O,  
T41, 1921, pp.97-103.
384. Féraud, (Charles), "les ben djellab sultans de Touggourt", in:  
R.A, N°23, 1879, pp.49-64.
385. ( \_\_\_\_\_ ), "lettre arabes de l'époque de l'occupation  
Espagnole en Algérie", in: R.A, 1873, N°17, pp.313-321.
386. ( \_\_\_\_\_ ), Document pour servir l'histoire de Philippeville,  
Collo, in: R.A, N°20, Janvier 1876, p.1-29.
387. Fernand, (Braudel), "Gabriel Esquer (1876-1961)", in:  
Annales Economies, Sociétés, Civilisation, 18<sup>e</sup> année, N°3,  
1963, pp.604-608.
388. ( \_\_\_\_\_ ), "les espagnols et l'Afrique du nord de 1492 à  
1577", in: R.A, 1928, N°19, pp.184- 233, 351- 428.
389. Filali, (Kamel), Dynamique identitaire et problèmes de  
l'idéologisation de l'histoire en Algérie, in: A.L.E.M.M, Vol 5,  
édition université Mentouri, 2001.
390. Foulques, (L. DE), "Bibliographie: Le Plan D'Oran en 1509",  
in: B.S.G.A.O, T4, 1884, pp.122- 124.
391. Fouque, (L), "Statuts- Oran", in: B.S.G.A.O, 1931.
392. Frémeaux,( J), "Souvenirs de Rome et présence française au  
Maghreb: essai d'investigation ", in: CRESM, Connaissance du  
Maghreb, Sciences sociale et colonisation, sd de J-C. Vatin,  
Paris, Editions du CNRS, 1984, pp.29- 46.

393. Georges, (M), "M. Ben Cheneb (1869-1929)", in: R.A, N°70, Alger, 1929, pp.150-159.
394. Geslin, (Léopold), "Allocution faite lors de l'assemblée générale du 24 mars 1966", in: B.S.G.A.O, 1966, publiée in La République du 25 mars 1966.
395. GODARD, (Léon), "Souvenirs de l'expédition de Ximenès en Afrique", in: R.A, N°54, 1861, pp.54- 58.
396. GORGUOS, « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el Kebir», in: R.A, N°1, 1856, pp.403- 454. et N°2, 1857, pp.28-46 et 223. et N°3, 1858, pp.51,185-192 et 286. et N°4, 1859, pp.347- 357.
397. Guin, (L), "Quelques notes sue les entreprises des Espagnols, pendant la première occupation d'Oran", in: R.A, N°30, 1886, pp.312- 322.
398. Hamet, (Ismaël), Nour El Eulbab, Lumière Des cœurs de cheikh Otmane ben Mohamed ben Otmane, dit Ibn- Foudiou, N°42, 1898.
399. Hassaine, (Terki), "Oran au XVIII<sup>e</sup> siècle : du désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne", Insaniyate: Revue algérienne d'anthropologie et de science sociales, N°23-24, Oran, 2004, pp.197- 222.
400. Hontabat, (don Harnaldo), «Relacions général de la consistencia de las Plazas de Oran y Mazarquivir (Mers-el-Kébir)», traduction: PELLEGAT, (G), in: B.S.G.A.O, T44, 1924, pp.99-130; pp. 211 -266.

401. J.P, Histoire de L'Algérie: List chronologique des gouverneur de l'Algérie, in: R.A, N°31, 1887, pp.427-435.
402. Journal des Travaux de la Société Table générale (2° Partie 1878- 1907), in: B.S.G.A.O, T27, 1907, Oran, 434 p.
403. Kehl, (Camile), "François Doumergue (1858- 1938)", in: B.S.G.A.O, T60, 1939, pp.35-42.
404. ( ————— ), "Le Fort Santa- Cruz", in: B.S.G.A.O, 1933, T54, pp.380-390.
405. ( ————— ), "Oran et l'Oranie avant l'occupation française", in: B.S.G.A.O, T63, 1942, pp.5-60.
406. La Primaudaie, (F. Elie De), "Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506- 1574)", in: R.A, N°19, 1875, pp.62- 77, pp.148- 157, pp.161- 193. pp.265- 288, pp. 337- 360, pp.483- 496. et N°20, 1876, pp.128- 144, pp.232- 244, pp.320- 335, pp.387- 416. et N°21, 1877, pp.17- 32, pp.81- 96, pp.198- 229, pp.265- 298, pp.361-379, pp.461- 472.
407. ( ————— ), "Lettre de l'empereur à Don Martin de Cordoba contre d'Alcaudete, Seqovie, 4 juin 1534, Arch De Simancas, Estado Legaje 461", in: R.A, N° 19, 1875, pp.284- 288.
408. ( ————— ), " les Trois attaques des Espagnoles contre Alger, au XVIIIe siècle", in: R.A, N°20, 1876, pp.300-304.
409. Lacroix (N)," Le lieutenant- Colonel Rinn", in: R.A, N°49, Alger, 1905, pp.130-132.

410. Laloe, (F), "A propos de l'incendie de la bibliothèque d'Alexandrie par les arabes Les manuscrits arabes de Constantine", in: R.A, N°66, 1925, pp.95-107.
411. Laporte, (Jean-Pierre), "Gustave Vuillemot (1912- 2013) et L'Archéologie de L'Oranie (Algérie)", RM2E Revue de la Méditerranée Edition électronique, Institut méditerranéen, T I. 2, 2014, pp.73-84.
412. Larnaude, (M), "Emaile-Félix Gautier (1864-1940)", in: R.A, N°85, 1941, (O.P.U) 1, Place Centrale de Ben-Aknoun, Alger, pp.161-169.
413. Latrie, (L. De Mas), "Bulletin, Statuts de la société", in: R.A, N°26, 1882, pp.5-14.
414. Letourneau (R)," L'Algérie de Pusic 1830", in: R.A, N°100, Alger, 1956, pp.144- 190.
415. Luis Fernando, (Fé Canto), "la grande famine de 1750 dans l'Oranais: d'autres voies vers la captivité et l'esclavage", in: cahiers de la Méditerranée, N°87, 2013, pp.275- 290.
416. Marcel, (Ernest), " la situation économique de la régence d'Alger en 1830", in: Revue Algérienne, N°2, Mars-Avril 1952, pp.120-135.
417. ( \_\_\_\_\_ ), "la situation économique de la régence d'Alger en 1830", in: information historique, Mars-Avril, N°3, 1952.
418. ( \_\_\_\_\_ ), "Le voyage de la condamne à Alger 1731", in: R.A, N°18, 1954, pp.89-92.

419. Masse, (H), Les études arabes an Algérie (1830- 1930), in: R.A, N°74, 1933, pp.208-258 et pp.459- 505.
420. Massé, (Henri), «Les études arabes en Algérie 1830-1930», in: R.A, N°74, 1933, pp.458 -505.
421. Mersioul, (E), "La régence d'Alger, Vue par un Allemand à la fin du XVIII siècle", in: 2<sup>ème</sup> congré national des science historiques d'Alger 1930, publié, S.H.A, Alger, 1932.
422. MICHEL, (R. FRNCISQUE), Documents inédits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnols. (Dialogue sur les guerres d'Oran, de Balthazar de Morales), in: B.S.G.A.O, T7, 1887, p.10; et T9, 1889, pp.95-155 et pp.223- 255.
423. Nécrologie, Augustin Bernard (1865-1947), in: R.A, N°92, O.P.U, Place central Ben-Aknoun Alger, 1948, pp.1-11.
424. Noel, (A), Documents pour servir L'histoire des Hamyanes et la région qu'il occupent actuellement, in: B.S.G.A.O, T35, 1915, pp.121-197, pp.249-303; pp.5-60, pp.117-192.
425. Ouatmani, (Settar), "Lecture Critique de Loeuvre de Lus Rinn Sur L'insurrection de 1871 en Algérie", Oussour El-Jadida, N° 7/8, 84 Coopérative Elhidaya Belgaid, Oran, 2012/2013.
426. Partie officielle de la société historique algérienne, in: Revue Algérien, N°49, N°9, 1865.pp.11-20.
427. Paysant, (L), "Un Président de la société Historique Algérienne- Laurent- Charles Féraud", in: R.A, N°55, O.P.U, Alger, 1911, pp.5-15.

428. Pestemaldjoglou, (A), "Le consulat français d'Oran de 1732 à 1754", in: R.A, N°86, 1942, pp.220- 254.
429. ( ————— ), "Ce qui subsiste de l'Oran espagnol", in: R.A, T79, 1936, pp.665- 686.
430. ( ————— ), "Mers - El- Kébir, Histoire et description de la Forteresse", in: R.A, N°84, 1940, pp.154 -185.
431. ( ————— ), «Ce que subsiste de L'Oran espagnol», in: B.S.G.A.O, T79, 1936, pp.665- 686.
432. R.A, "M- H De Grammont", in: N°36, 1892, pp.289- 311.
433. R.A, N°13, 1869, p.160.
434. Raymund, (F. Wood), " Berbrugger, Forgotten, Founder of Algerian Librarianship", In The Journal of Library History (1966- 1972), Vol 7, Jul 1970, pp.237- 256.
435. Rémy, (Knafou), L'invention du lieu touristique: la passation d'un contact et le surgissement spontané d'un nouveau territoire, Revue Géographie Alpine, N°4, 1991.
436. Rinn, (Louis), "H-d Grammont", in: R.A, N°36, 1892, pp.289-292.
437. ( ————— ), " Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey" chapitre 07 beylik Constantine, in: R.A, N°41, N°43, 1897, 1899, pp.222-226.
438. ( ————— ), «Nécrologie: Barron Boissonnet», in: R.A, N°46, 1902, pp.133-136.
439. Roubet, (Frank Etienne), "Le Centenaire de la Société Historique Algérienne et de la Revue Africaine (1856- 1956)",

- B.S.G.A.O, fascicule N°236, 1956, pp.89- 103. Ahmed, Taleb El Ibrahimy, in: B.S.G.A.O, 1966, pp.1-19.
440. Saddek, (Benkada), « Un patrimoine culturel: les Publications de la Société de géographie et d'archéologie d'Oran, Insaniyat, 12, sept-déc 2000, pp.1-16.
441. SANDOVAL, (Général C-X. De), "Oran sous les Espagnols, Expéditions et razzias", in: R.A, N°13, 1869, pp.100 -115.
442. ( \_\_\_\_\_ ), "Les inscriptions d'Oran de Mers-el-Kébir", in: R.A, 1872, N°16, pp.53-69, pp.89- 104, pp.187-200, et 278-291, pp.343- 355.
443. ( \_\_\_\_\_ ), Les inscriptions d'Oran de Mers-el-Kebir, in: R.A, N°16, 1872, pp.53-69, pp.89- 104, pp.187-200, et 278-291, pp.343- 355.
444. Sandoval, (Général de), "Sur la reprise d'Oran en 1732, et sur quelques autres faits de l'Histoire des espagnols en Afrique", in: R.A, N°8, 1864, pp.221- 226.
445. Sandras, (G), "Résumé des travaux de la Société de Géographie et d'Archéologie de province d'Oran de 1898 à 1907, Journal des travaux de la société, Table générale, 2<sup>ème</sup> partie 1898- 1907", in: B.S.G.A.O, T10, 1910, p.1-18.
446. Société archéologique de la province Constantine, Annuaire de la société archéologique de la province de Constantine, F. Guende Libraire, place du Palais, Constantine, 1853.

447. Tinthoin, (Robert), "Oran et Mers-el-Kébir il y a cent ans (avec d'Oran levé en 1842)", in: B.S.G.A.O, T71, 1948, pp.5-21.
448. ( \_\_\_\_\_ ), Oran, Ville moderne, In: L'information géographique, Vol 20, N°5, 1956, pp.176-186.
449. Un Bibliothécaire en compagnie, R.A, N°68, 1927, pp.107-109.
450. Vallejo, (Josef), «Contribution à l'histoire du vieil Oran, Relations de todas las obras de fortification y correspondantes a ellas que se han executado en las plazas de Oran, Mazarquivir», traduction: PELLEGAT, in: B.S.G.A.O, T46, 1926, pp.211-238.
451. ( \_\_\_\_\_ ), «Contribution à l'histoire du vieil Oran. Mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Mers el Kébir», traduction: Cazenave, (J), in: R.A, N°66, 1925, pp.323-368.
452. VILLOT, (R), Auguste POMEL, Démocrate et Savant (1821-1898), in: B.S.G.A.O, T78, 1955, pp.5-12.
453. Voir le numéro spéciale de la revue URBI consacré à l'architecture militaire, XI, Liège, Pierre Mardaga éditeur, été 1989.
454. Vuillemot, (G), "Avant propose, Table générale du Bulletin Société Géographié archéologique de la province d'Oran, 4° série (1928- 1956)", in: B.S.G.A.O, Oran, L. Fouque, 1961, pp.3-19.

455. Watbled, (Ernest), "Cirta- Constantine Expédition et prise de Constantine", in: R.A, N°14, 1870, pp.200-208.
456. \_\_\_\_\_, "Pachas- Pachas- Deys", in: R.A, N°17, 1873, pp.438- 443.
457. Berbrugger, (A), "Chronique", in: R.A, N°2, 1857, pp.479-508.
458. ( \_\_\_\_\_ ), "Société Historique Algérienne", in: R.A, N°1, 1856, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, pp.11-21.
459. ( \_\_\_\_\_ ), « Chronique», in: R.A, N°6, 1862, pp.393-400.
460. R.A, N°16, 1872, 2<sup>ème</sup> page de Garde.
461. R.A, N°17, 1873, 3<sup>ème</sup> page de Garde.
462. R.A, N°20, 1876, 3<sup>ème</sup> page de Garde.
463. Séance du comité administratif du 7 Août 1882, in: B.S.G.A.O, T14, pp217-240.
464. Monbrun, (Théodore), "A nos lecteurs", in: B.S.G.A.O, T5, 1885, pp.8-11.
465. Liste générale des Membres de la Société an 1<sup>er</sup> Janvier 1899, in: B.S.G.A.O, T19, 1899, Oran, pp.I-XV.
466. Liste générale des Membres de la Société an 1<sup>er</sup> Mars 1913, in: B.S.G.A.O, T33, 1913, Oran, pp.1-18.
467. Assemblée générale du 15 Janvier 1928, in: R.A, N°69, pp.17- 19.
468. Séance du comité d'administration du 3 Janvier 1944, in: B.S.G.A.O, T65, 1944, p.98-104.

469. Georges, (Yver)," Si Hamden Ben Othmen Khoudja", in: R.A, N°57, 1913, pp.96 -138.
470. Émile, (Janier), "Alfred Bel (1873- 1945)", in: B.S.G.A.O, T65, 1944, pp.66-76.
471. Esquer, (Gabriel)," Edmond Fagnan", in: R.A, N°72, 1931, pp.91-101.
472. B.S.G.A.O, fascicule N°237, (1957 à 1960), information, Février 1961.
473. LESPINASSE, "Notices sur les Hachem de Mascara", in: R.A, N°21,1877, pp.141-151.

رابعاً- الأطروحات والرسائل الجامعية:

474. Seddiki, (La maïa), La Revue Africaine de 1856 à 1961 Etude Bibliométrique, Mémoire du Magister, Faculté des Sciences Humaines et des Sciences Sociales, Université Mentouri-Constantine, Juin 2008.

رابعاً- الملتقيات والمؤتمرات:

475. Boutier, (J), Teisyseyre- Sallmann, L, Du plan cavalier au plan géométrique cartographie urbaine en Europe occidentale du XVI au XVIII siècle, Paris, Colloque du groupe de travail international d'histoire urbaine, multigr.
476. Esquer, (Gabriel), La Bibliothèque nationale d'Alger, In:" La lecteur publique: mémoires et vœux du congrès international d'Alger", 1931.

خامساً- الموسوعات والمعاجم:

477. Dubois, (Claude), et autres, le petit Larousse illustre, édition Larousse, Paris, 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

478. Encyclopédie, Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris, 1991.

479. Mourre, (Michel), Dictionnaire de l'histoire, Larousse, 1998.

سادساً- المواقع الإلكترونية:

- الموسوعة الحرة العالمية (ويكيبيديا).

-<https://www.scribd.com/document/294516757/Bulletin-d-Oran>

يوم: 29 أبريل 2020م/ على الساعة: 10 صباحا.

-[gallica.bnf.fr/](https://gallica.bnf.fr/) [https://archive.org/details/bulletintrimestr\\_soci](https://archive.org/details/bulletintrimestr_soci)

يوم: 2 مارس 2020م/ على الساعة: 2 مساءا.

الكشافات

- أبو بكر عبد السلام بن شواب: 198. -أ-
- الأب ليثيلوكس: 201. أبو حمو موسى الثالث (بوقلموس الزياتي): 38، 39، 344.
- أبا زيان: 231. إبراهيم الملياني: 239، 240.
- أبو راس الناصري: 341. إبراهيم باشا: 45، 54.
- أبو زيان أحمد: ص 22. إبراهيم خوجة: 60.
- أبو زيان: ص 38، 39. ابن أبي محلي: 252.
- أبو عبد الله محمد: ص 31. ابن الأثير: 170.
- أبو مهدي بن موسى التوجيني: 235. ابن البيطار: 304.
- أبو يحيى أبو بكر: ص 24، 34. ابن الزاوي: 277.
- أبي راس الناصري: 235. ابن المفتي: 163.
- أحمد باشا: 54. ابن خلدون: 99، 108.
- أحمد باي: 91. ابن سحنون الراشدي: 243، 273، 275، 278، 281، 284، 287، 308.
- أحمد طالب الإبراهيمي: 219. ابن شاهين الزيري: 153.
- أحمد نقاز: 200، 201. أبو العباس أحمد ابن القاضي: ص 21، 24، 35، 40، 41، 43، 47.
- الإخوة بربوس: ص 32، 34، 36، 37، 38، 39، 80، 165، 267. أدريان بيربروجر: 93، 94، 95، 96، 97، 98، 101، 104، 110، 122، 125، 127، 131، 132، 133، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 149، 154.
- أبو القاسم سعد الله: 90، 156. أبو بكر عبد السلام بن شعيب: 134.

ألفريد بيل: 115، 170، 190.	155، 156، 157، 158، 159، 160،
ألفونس دوفو: 161.	161، 162، 170، 171، 335، 354،
ألكس بيرهارد زورف: 87.	359، 360، 370، 371، 372، 374.
إلياس: 35.	إدريس: 134.
أليمي: 129.	أدولف بيير: 222.
الإمام الغزالي: 169.	أدولف دولامار: 109.
الأمير عبد القادر: 106، 159.	أرامبورو: 228، 264، 285، 289،
إميل غوتيه: 205، 212.	306.
إنجل: 210.	أرنست مارسيه: 29، 33، 89، 90،
أندري دوريا: ص 24، 351.	117، 120، 171، 172.
أندري نوشي: 229.	أرنو: 140.
أندرياس بونزي: 254، 294.	آرنوي: 129.
أنسولان: 137.	إسترهازي: 276.
أنطونيو رامون دو فالي: 339.	إسحاق: ص 39.
أنطونيو كامبوا موراتا: 366.	إسماعيل حاتم: 134.
أنونيم هيرولت: 356.	الآغا بن عودة المزاري: 232.
أوجين إتيان: 197.	أكورت: 329.
أوجين دي ألفارادو: 245، 281، 306،	ألبير كامو: 194.
366.	ألفريد برينجر: 194.

أوجين كروك: 200.	البابا ألكسندر السادس: 84.
أورتيس دو زوقاستي: 339.	البابا بول الرابع: 349.
أوري دو فيليب: 87.	بارات: 138.
أوزون حسن: 352، 353.	بارتيرون: 137.
أوغست بومال: 181.	بارف: 86.
أوغست مولييراس: 190، 196، 205.	البارون دو سلان: 94، 98، 101، 108، 136، 138، 139، 148، 151، 158، 171.
أوغستين برنارد: 141، 150، 213.	باستيد: 127.
أوغسطين بيرك: 195.	باش تارزي: 133، 158.
أولاد خلفة: 344.	بالتازار موراليس: 359.
أوليفيا: 111.	بالمحمدو أحمدو: 198.
أونفتنان: 110.	الباي ابن خديجة: 232.
إيجونات: 182.	الباي الحاج عثمان الملقب بعصمان: 239، 240.
إيسدور دوريان: 192، 309، 371.	الباي السايح: 232.
إيفر: 140.	الباي خليل: 238.
إيمابل رافوازي: 109.	الباي ساعد: 232، 238.
إيميرات: 182.	الباي شعبان الزناقي: 232.
-ب-	
ب. كورتو: 211.	

الباي صواق: 232، 238.	بواسوني: 108، 147.
الباي عثمان: 243، 316.	بوتي: 182، 221.
الباي قايد الذهب: 235، 239.	بودين: 237، 253، 297، 298، 372.
الباي محمد الكبير: 228، 230، 233، 235، 238، 240، 241، 242، 243، 247، 276، 277، 283، 283، 284.	بورتمان: 137.
314، 315، 365.	بوشمال: 155.
الباي محمد بن عيسى: 232، 238.	البوكباشي خليل: 54.
بايسونت: 140.	بول أوجين باش: 131.
بروسلار: 88، 90.	بول بيربي: 214.
بريسيني: 98، 136، 138، 139، 156.	بول بيير: 222.
بريمودي: 293، 335، 363.	بول جوتزينجر: 200.
بستيموجاقلو: 271.	بول روف: 187، 213، 372.
بعلي بك الكبير: 152.	بول: 220.
البكري: 99، 151.	بيالي باشا: 298، 348.
بلجات: 311.	بيجو: 141، 317.
بلوم: 365.	بيدرو إسبينوزا دي لوس مونتيروس: 352.
بن جامود: 251.	بيدرو نفارو: ص 26، 339، 347.
بنيل: 201.	بيديي: 182.
	بيرار: 137، 162، 138، 309.

-ج-	بيرتزين: 95.
ج. أليسي: 129، 221.	بيرهيروند: 139.
ج. توتين: 213.	بيرون: 138.
جاسرون: 200.	بيزورا: 322.
جاك بيرك: 195، 201.	بيزيرات: 309، 310، 329.
جاكوم بالييرو ألفتاتان: 268.	بيكارد: 221.
جان أليكي: 125.	بيكس: 374.
الجنرال شارون: 162.	بيكي: 139.
جورج سيكارد: 192، 214، 218.	بيليسي دي رينو: 109، 147، 337، 370.
جورج مارسيه: 139.	بيون دومبلي: 84.
جورج هاردي: 115.	بيير ميرلين: 195.
جوزيف باتينو: 266، 365.	بيير نورا: 194.
جوزيف باشونغ: 218.	
جوزيف فاليوخو: 245، 248، 250، 253، 254، 255، 257، 259، 260، 262، 263، 264، 269، 271، 273، 275، 276، 278، 281، 283، 284، 285، 286، 289، 293، 294، 295، 296، 299، 301، 308، 312، 318، 323، 338، 351، 353، 366.	-ت-
	تابالوسوس: 369.
	تروتاباس: 180، 181، 183.
	توماس شاو: 229، 335.
	تيدنا: 69.
	تيسوت: 220.

- جوزيف كانال: 216. حسن آغا الطوشي: ص 48.
- جوزيف كوك: 153. حسن الفينزيانو: 51.
- جول بوانسوت: 180، 220. الحسن الوزان: 267.
- جون بيفيا: 125. حسن باشا بن خير الدين: 49، 65، 268، 340، 350، 351.
- جون بيسونال: 335. حسن باي: 239.
- جون كازيناف: 244، 245، 247، 250. حسن بن بريهمات: 133.
- 274، 311، 355، 346، 348، 361. حسن بن زهوة: 305.
- 364، 367، 370، 372. حسن خوجة: 61.
- جيروم ديارمييه: 131. حميدة العلج بن رضوان: 344.
- جيرونيمو: 161.
- خ-
- جيل جاسير: 192، 196. خوان باتيست أنطونيلي: 268، 289.
- جيلين روبليس: 346. خير الدين ص 39، 40، 41، 42، 43، 46، 47، 48، 50، 80، 165، 230.
- جيوت: 317، 319، 320. 231، 233.
- ح-
- د-
- الحاج سليمان المريني الجلابي: ص 24. الداى الحاج علي: 58.
- الحاج عبد القادر بوالقة: 201. الداى الحاج محمد: 55، 56، 58.
- الحاج عبد القادر عابد: 201. الداى حسن باشا: 241، 248.
- حسن إبراهيم حجى خليل: 235.

- الداي حسين: 59، 243. الدوق ميدينا سيلبي: 348.
- الداي علي بورصالي: 61. دوقيدون: 143، 144.
- الداي علي شاوش: 45، 57. دون ألكسندر دو لاموت: 284.
- الداي عمر: 59. دون أنطوان غافير: 289.
- الداي كوسة مصطفى: 360. دون أنطوان مونتيجوت: 278.
- الداي محمد بن عثمان باشا: 247، 265. دون باسيل جاسكون: 282.
- الداي محمد: 58، 243. دون بيدرو دي باديللا: 277، 282.
- الداي مصطفى: 58، 76. دون بيدرو دي كويبا.
- درغوث باشا: 298. دون بيير دو باديا: 305.
- دهنيه: 134. دون جوان النمساوي: 305.
- دو باي: 137. دون جوزيف ميغال دو فلوريس: 339.
- دو روجون: 137. دون خوان دافالوس: 268.
- دو فالي دولاقوميرا: 298. دون خوان دي ماندوزا: 349، 351.
- دو فولكس: 98، 131، 161، 162. دون خوان كورتن: 247.
- 163، 164، 170، 171، 338، 356. دون دييغو فيرنانديز دي قرطبة: 340.
- دوغرامون: 101، 131، 140، 164. دون رافياي: 350.
- 165، 170، 171. دون ريمون دي قرطبة: ص 31.
- الدوق دو دالماتي: 362، 363. دون فرانسيسكو دو ريبرو: 350.
- الدوق دي كانثانو: 279.

- دون قارسيا دو توليدو: 298. رشيد بن شنب: 134.
- دون كارلوس كارفا: 352، 353. رضوان رحال: 201، 202.
- دون لوكاس فرناندو باتينيو: 357. روب سبير: 105.
- دون لويس بيار غالسيران دو بورجيا: 346. روبرت تشوين: 317، 319.
- دون لويس رويال: 335. روبرت ماصون: 199، 200، 201.
- دون لويس غالسيران دي بورجيا: 280، روبين: 131.
284. روزيه: 84.
- دون مارتن دي قرطبة: 350، 351. رولون دوييسي: 137.
- دونيس: 165. رونو: 84.
- ديجاردين: 211. روني كييف: 86.
- ديس باغمي: 141. روني لويس ديسفونتتان: 335.
- ديشو: 310. رينان: 220.
- ديفيلير: 221. رينيه باصيه: 139، 168، 190، 213.
- ديغو دي فيرا: 38.
- ز -
- ديغو سواريز: 245، 253، 254، 257. زافالا: 368.
- 292، 293، 294، 335، 337، 346، 347، 348، 368. زايدة: 240.
- زيرمينو: 307.
- ر -
- رابح بن سولة: 345.
- س-

- س. تروملي: 131. السلطان سليم الثاني: 242.
- س. مسيني: 216. السلطان مراد الثالث: 51.
- سافار: 309. سليمان القانوني: ص 48.
- سالم التومي: ص 19، 22، 26، 28، 37، 38. سليمان رحمان: 134.
- سودي: 162.
- سان جاك: 311. سوشيه: 138.
- سان سيمون: 131، 137. سولفت: 137.
- سانت برناردين: 366. سي الشريف قاضي: 198.
- سانت لويس: 304، 323. سي أحمد بن رحال: 197، 201.
- سانت ماري: 326. سياني: 96.
- ساندرا: 165. سيباستيان سانتا: 216.
- ساندوفال: 335، 336، 337، 351، 375، 369، 368، 359، 453. سيدي الشيخ: 166.
- السايع المازوني: 238. سيدي عبد الرحمان: 169.
- ستيفان غزال: 112، 117، 120، 131. سيمونت: 217.
- ش-
- سرفانتس: 348. شاتوبريان: 86، 145.
- سعد الدين بن شنب: 134. شارل الخامس: ص 25، 250، 292.
- السلطان الحفصي مولاي الحسن: 46. 363.
- السلطان العثماني سليم الأول: ص 36، 41. شارل السادس: 164.

شارل أندري جوليان: 29، 292	صانشو مارتينيز: 297، 298، 299، 300.
شارل جويتز: 187، 193، 219.	
-ع-	
شارل فيرو: 89، 139، 140، 147.	عبد الرحمان الثعالبي: ص 22.
158، 161، 162.	
شارل لافيغري: 160.	عبد الرحمان بن رضوان: 253.
شارلمان: 154.	عبد العزيز: ص 24.
شافو: 309.	عبد القادر بن عبد الله المشرفي: 235، 251، 280، 253.
شالمال: 221.	
شامبليون فيجياك: 158.	عبد اللطيف بن شهيدة: 200.
الشريف محمد: 383.	عثمان الكردي: 240.
شوفين: 210.	العدواني: 159.
الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى التيجاني: 345.	عروج: 34، 34، 36، 27، 37، 38، 39، 40، 42، 46، 80، 165، 230، 231، 233، 253، 343.
الشيخ يوسف المقدسي: 153.	العشاوي: 134.
شيربونو: 88، 90، 140، 160.	العلج علي: ص 48، 50، 51.
-ص-	
صالح باي: 58، 59، 90.	علي محي الدين: 196.
صالح رايس: 49، 50.	عمر كارليير: 204.
	العايشي: 100، 155، 157.

- غ-
- فرانسييسكو دي فالنسيا: 295، 254.
- غابرييل إسكير: 184.
- الفكون: 158، 132.
- غارسيا فيغيراس: 368.
- فلوريدا بلانكا: 264، 247.
- غارينيبي: 221.
- فوبان: 309.
- غافر: 307.
- فور: 216.
- غالانيبي: 136.
- فوزي هرورو: 206.
- غراب: 344.
- فونتور دو بارادي: 99، 152، 153.
- غورغيوس: 137.
- فيتو: 211.
- غوستاف فويليموت: 218، 211.
- فيرناند بروديل: 164، 335، 369، 372، 375.
- غونزالوا أبرا: 331.
- فيشي: 217، 193.
- غوي بوزكو: 263.
- فيل: 139، 138.
- ف-
- فيلو: 90.
- فاردال: 138.
- فيليب دو بورجيا: 346.
- فانيان: 162، 131، 101.
- فينالي: 271.
- فايسيت: 90.
- ق-
- فتيحة شرقي: 125.
- القديس جوزيف: 357.
- فرانسوا الثاني: 349.
- القديس دومينيك: 323، 313.
- فرانسوا دوميرغ: 208، 193، 192، 186.
- القديس لويس: 304.
- 213، 214، 215، 217.

القديسة تيريز: 283، 311.	كانيا: 187، 188، 213.
قونزالو أيورا: 272.	الكاهن بريلا: 160.
قوين: 335، 341، 342، 343، 344.	كروبي: 88، 90.
345.	كريستوف كولومبوس: 292.
قيزو: 173.	كلارك: 94، 136، 138، 139.
-ك-	كلارينا: 354، 355، 359، 360.
كاربوكيا: 92.	كليبر: 318، 319.
الكاردينال خيمينيس سيسنيروس: 244،	كوسون: 374.
271، 282، 304، 319، 339، 347،	كوفي: 85.
358، 360، 365.	الكولونيل دو نوفو: 98، 110، 136،
كارفا بالدون ميليشور دي أفلانيدا: 352.	137، 138، 147.
كارلوس الثالث: 248، 264، 276،	كومب: 188.
313، 366.	الكونت أرندا: 264.
كارلوس الرابع: 264، 314.	الكونت أقيلا: 298.
كاريت: 109، 110.	الكونت براكامونتي: 259.
كاسنو البربري: 157.	الكونت دالكوديت: 245، 256، 283،
كافينيك: 143.	293، 295، 304، 305، 339، 359،
كاماشو: 335.	363.
كاميل كيل: 200، 210، 290، 338.	

الكونت مونتيماار: 340، 355، 356،	لويس الكبير: 165.
357، 358، 365.	لويس بيبس: 371، 375.
-ل-	
لابلاش: 85، 86.	لويس ديمائت: 181، 186، 189، 190،
لاتور: 137.	209، 210، 213، 220، 222.
لالوي: 158.	لويس رين: 103، 131، 140، 170،
لاموريسيار: 105، 159، 160، 327.	171.
لامي: 87.	لويس فوانوت: 215.
لاندولو: 135.	ليسباس روني: 310، 316.
للقاضي محمد بن يوسف الزباني: 341،	ليوبولد جيسلين: 199، 200، 201.
344، 345.	ليوتي: 197.
للماركيز دي قوماز: 305.	ليوجي: 138.
لوتورنو: 140، 162.	ليون الإفريقي: 335.
لوجير دو تاسي: 355.	ليون جودارد: 358.
لوفاردو: 354، 359.	ليون روش: 148.
لوفيت: 309.	ليون فاي: 354، 369، 370، 372،
لوفين: 217.	375.
لوي فيرو: 131، 375.	ليون فوك: 182، 202، 217، 222،
لويس السادس عشر: 153.	223.
-م-	

- مارتان دو روتيريا: 27. ماليشور تيران: 362، 363، 370.
- مارشال دي كامب: 357. محداد عبد القادر: 198.
- المارشال راندون: 93، 94، 97، 98، 114، 135، 136. محمد ابن أبي شنب: 167، 168، 169، 170.
- المارشال فالي: 96، 107، 154. محمد ابن علي بن إبراهيم: 134.
- المارشال كلوزيل: 88، 96، 96، 97. محمد الأعرج الغريسي: 235.
- 154، 159. محمد الحاج حسن: 196.
- مارك فيرو: 194. محمد الشيخ: 304.
- الماركيز دو فلوريس أفيلا: 247. محمد الصالح بن العنتري: 108.
- الماركيز دي أردالس: 259، 360. محمد العجمي: 235، 238.
- الماركيز دي ألقارفيز: 259. محمد بكداش: 351.
- الماركيز دي فيليداريا: 278. محمد بن شنب: 132، 134.
- ماركيز دي لا مينا: 357. محمد بن علي: ص 47.
- الماركيز دي لاقاناز: 335. محمد بن عمر الهواري: 316.
- مارلينو: 169. محمد بن يوسف الزياتي: 238.
- مارمول كاربخال: ص 26، 335. محمد حيرش: 199، 200، 201.
- ماسكاريه: 140، 142، 150. محمد عثمان باشا: 59.
- ماشوال: 162. محي الدين المسراقي: 239.
- ماك كارتي: 104، 136، 370.

196. مورييس بنشيتريت:	295، 259، 255،	المركيز سانتا كروز:
	366، 340، 305	
مولاي إسماعيل: 240.		
مولاي عبد الله: ص 47.	236، 235، 233،	مصطفى أبو الشلاغم:
	237، 239، 241، 277، 282، 306،	
مونتو: 182.	307، 308، 315، 351، 352، 353،	
مونتيقو: 307.	365، 355، 354	
ميشيل كوكري: 196.		مصطفى الأحمر المسراي: 239.
-ن-	37، 30، ص	الملك الاسباني فرديناند:
	360، 347، 292	
نابليون بوناپرت: 82، 104، 153، 221،		
321، 318.		الملك فيليب الثالث: 258.
نور الدين عبد القادر: ص 40، 44.	292، 275، 268،	الملك فيليب الثاني:
	369، 351، 349، 348، 347	
-ه-		
الهاشمي بن محمد: 197.	351، 264، 263،	الملك فيليب الخامس:
	365، 364، 355	
هانتو: 109.		الملكة إيزابيلا: ص 30، 360.
هايدو: 99، 38.		
هوداس: 90.		المنصور بن عوزر: 251.
هونتبات هورنالدو: 269، 270، 274،		المهدي البوعبدلي: 200.
278، 279، 281، 282، 287، 307،		
311، 308.		المهدي: 287.
هيرون دو فيلفوس: 212، 220.		موتيلنسكي: 148.
		مورييس أغولون: 202.

هيغو دي مونكادا: ص 43، 46.

هينتر آرثوس: 221.

-و-

وارنيه: 111.

وايل: 140.

وليام هاوايد: 84.

ويث: 149.

-ي-

يحي بوعزيز: 113، 150.

يعقوب: 221.

اليهودي فرعون: 157.

يوسف باشا: 53.

يوسف بن مصطفى: 237.

يوغرة: 167.

## II- كشف الأمم والشعوب

	-أ-
349، 350، 351، 353، 354، 355	
356، 360، 361، 364، 365، 366	الأتراك: ص 20، 29، 32، 33، 35
368، 370، 372، 373، 374، 376	40، 44، 56، 58، 66، 70، 76، 77
377، 378	78، 79، 108، 146، 170، 171
الأعلاج: 79	172، 230، 236، 237، 248، 249
الإغريق: 158	255، 260، 279، 288، 295، 300
الأفارقة: 187، 359	340، 342، 347، 350، 354، 356
	357، 363، 364
آل المقراني: 21	الإسبان: ص 17، 18، 20، 24، 27
الألمان: 217	28، 30، 31، 34، 35، 36، 37، 38
الإنجليز: 237	39، 40، 42، 43، 46، 47، 66، 79
الأندلسيون: 27، 69، 71	80، 227، 232، 233، 236، 238
الأوروبيون: ص 42، 44، 56، 79، 98	239، 240، 241، 243، 245، 247
102، 139، 144، 146، 172، 199	248، 249، 250، 251، 252، 253
200، 203، 204، 205، 266، 267	254، 255، 256، 257، 258، 259
302، 335، 372، 375، 376، 377	260، 261، 262، 265، 266، 267
أولاد سالم: 23	268، 271، 272، 273، 275، 276
أولاد موسى: 348	277، 280، 282، 283، 285، 286
الأيبيريين: 16	287، 288، 289، 290، 292، 293
	294، 295، 297، 299، 301، 302
	304، 305، 306، 307، 308، 310
	311، 312، 314، 315، 316، 325
-ب-	329، 332، 337، 340، 341، 342
	343، 344، 345، 346، 347، 348

## II- كشف الأمم والشعوب

البربر: 103، 108، 113، 142، 144، 266، 267، 306، 309، 316، 332،  
167، 173، 258، 272، 286، 299، 333، 350، 351، 359، 378،  
300، 325، 339، 350، 357.

-ج-

الجنويون: 24، 35.

البرتغاليون: ص 17، 20، 25.

بنو جلاب: 22، 24.

-ح-

الحفصيون: ص 17، 18، 23، 24، 25،

بني تومي: 19.

26، 40، 46، 47، 50.

بني زروال: 277.

الحماديين: 26.

بني مزاب: 78، 146.

-د-

البيزنطيين: 170، 205.

الدواير: 327.

-ت-

- ر -

التتار: 257، 259، 296.

الرومان: 113، 114، 115، 117،

-ج-

120، 143، 144، 147، 170، 171،

الجزائريون: ص 20، 27، 37، 43، 47،

173.

64، 70، 74، 75، 78، 79، 83، 91،

-ز-

101، 102، 105، 107، 109، 113،

الزماله: 315، 327.

117، 122، 133، 134، 135، 141،

زواتة: 345.

143، 144، 145، 147، 149، 150،

الزيانيون: ص 17، 22، 23، 24، 25،

152، 155، 166، 167، 168، 169،

26، 34، 47، 50، 231.

170، 171، 172، 196، 197، 203،

-س-

## II- كشاف الأمم والشعوب

السعديين: 47، 304.	قبائل الجفرة: 251.
-ع-	قبائل الحشم: 234.
العثمانيون: 32، 33، 34، 36، 37، 48، 49، 54، 56، 68، 77، 78، 79، 145، 146، 170، 172، 231، 234، 248، 249، 253، 282، 304، 315، 316.	قبائل الزواوة: 35، 348.
	قبائل السقراطية: 251.
	قبائل الشراقة: 234.
	قبائل الشوالة: 297.
العرب: 266، 302، 341، 377.	قبائل الغرابة: 256، 315.
-ف-	قبائل الغروزي: 251.
الفرنسيون: 75، 82، 83، 90، 92، 93، 95، 101، 102، 105، 106، 107، 112، 117، 120، 122، 124، 132، 134، 135، 139، 141، 143، 144، 145، 147، 152، 154، 158، 159، 163، 166، 171، 172، 177، 204، 205، 265، 273، 274، 276، 277، 284، 302، 311، 315، 333، 368، 372، 376، 377.	قبائل المور: 250.
	قبائل الونازرة: 251، 343.
	قبائل أولاد عبد الله: 251، 348.
	قبائل أولاد علي: 251، 344.
	قبائل أولاد قلطة: 251.
	قبائل بني راشد: 234، 252.
	قبائل بني شقران: 234، 251، 345.
الفينيقيين: 170.	قبائل بني عامر: 21، 27، 234، 236.
-ق-	252، 253، 348.
قبائل الأحمال: 62، 231.	قبائل بني عباس: 21، 28، 43، 348.
	قبائل بني عرزاوية: 251.

الماسونيين: 217.	قبائل بني ورائث: 35.
المرينيون: 17، 18، 23، 29.	قبائل حميان: 251، 280.
المستشرقين: 82، 83، 89، 106، 108، 111، 112، 113، 114، 121، 122، 132، 139، 146، 152، 167، 168، 169، 205، 206، 265، 302، 332، 377.	قبائل شافع: 251، 344. قبائل طلحة: 252. قبائل غمرة: 251، 343. قبائل فليتيه: 240. قبائل قيزة: 251، 343. قبائل كريشتل: 236، 251. قبائل كوكو: 28، 350. قبائل مغراوة: 27. قبيلة الثعالبة: 19، 22، 23. قبيلة الطرود: 159. قبيلة سويد: 21، 251، 252. قبيلة عدوان: 159. القراصنة: 45، 271، 290، 337.
المسلمين: 16، 31، 32، 34، 47، 75، 102، 109، 113، 123، 143، 144، 145، 149، 150، 155، 173، 236، 248، 252، 258، 273، 308، 332، 378.	-ك-
المسيحيين: 16، 32، 77، 79، 132، 143، 145.	الكراغلة: 53، 77، 78، 79، 237.
المغاربة: 66، 74، 258، 262، 277، 289، 293، 294، 311، 312، 318، 319، 347، 353، 354، 356، 357، 358.	-م-
الموريسكيون: 77، 78، 258.	
النصارى: 252.	
النصارى: 79.	

الوندال: 170، 205.

اليهود: 217، 252.

اليهود: 74، 75، 77، 78، 79، 277.

### III- كشاف الأماكن

272، 292، 319، 331، 361، 364، 365، 372.	-أ-	أراغون: 337.
إقليم أنكاد: 234.	227، 228، 312، 351.	أرزويو:
ألمانيا: 217.	16، 19، 21، 23، 26، 27، 28، 30، 31، 32، 33، 34، 40، 41، 42، 43، 46، 47، 50، 74، 84، 170، 241، 242، 246، 248، 249، 250، 255، 257، 261، 262، 263، 265، 266، 269، 272، 287، 288، 289، 290، 291، 293، 294، 295، 297، 306، 310، 313، 319، 326، 331، 335، 342، 346، 351، 354، 356، 359، 361، 363، 364، 365، 367، 375، 378.	إسبانيا:
أمريكا: 107، 169، 264، 292، 293.		
أمستردام: 355.		
الأناضول: 53.		
إنجلترا: 69، 74، 168، 310، 313، 331.		
الأندلس: 16، 20، 28، 32، 34، 47، 48، 272، 337.		
الأوراس: 92.		
أوروبا: 107، 148، 149، 169، 205، 266، 365، 368، 372، 374.		اسطنبول: 42، 47، 48، 50، 52، 239، 241.
إيطاليا: 74، 266، 281، 293، 360، 377، 378.		آسيا: 149، 169.
-ب-		إشبيلية: 298.
باريس: 82، 84، 88، 123، 129، 152، 153، 165، 221، 317، 356.		الأطلس الصحراوي: 71.
		إفريقيا: 73، 87، 126، 129، 149، 151، 154، 181، 187، 208، 262.

### III- كشاف الأماكن

البندقية: 250.	بايلك التيطري: 66، 67، 73، 227،
	228، 240.
بني صاف: 228.	
بواد عين روينة: 283، 315.	بايلك الغرب: 227، 228، 229، 230،
	231، 232، 233، 236، 237، 238،
بولندا: 257، 259، 296.	239، 240، 243، 301.
البييض: 228.	بجاية: 18، 19، 21، 22، 24، 26،
-ت-	31، 34، 35، 36، 37، 47، 363.
تامزورة: 343.	البحر الأبيض المتوسط: ص 19، 20، 32،
تركيا: 73، 158، 242، 299.	33، 34، 36، 43، 47، 65، 66، 73،
تسالة: 345.	80، 172، 227، 228، 250، 266،
تطوان: 19.	267، 272، 290، 291، 299، 318،
	331، 377.
تقرت: 22، 24، 155، 378.	البحر الأسود: 76.
تلمسان: 17، 22، 23، 26، 34، 39،	البرتغال: 18، 23، 25، 30، 42، 84.
40، 41، 47، 71، 73، 80، 96، 97،	برشلونة: 266، 289.
115، 116، 156، 157، 158، 159،	بسكرة: 166.
206، 230، 231، 232، 233، 234،	بلاد الشام: 73.
237، 239، 245، 246، 250، 256،	بلاص دارم: 306، 313.
262، 274، 281، 286، 295، 307،	بلدية سانت لوسيان: 344، 345.
314، 316، 318، 343، 346.	البليدة: 65، 76.
تمبكتو: 86، 87.	

### III- كشاف الأماكن

،46 ،45 ،44 ،43 ،42 ،41 ،40 ،39	تنس: 38 ،40 ،230 ،231 ،232
،54 ،53 ،52 ،51 ،50 ،49 ،48 ،47	،245 ،346
،64 ،62 ،61 ،59 ،58 ،57 ،56 ،55	توليدو: 313 ،319
،73 ،72 ،71 ،70 ،68 ،67 ،66 ،65	تونس: 16 ،17 ،23 ،24 ،25 ،26
،83 ،82 ،80 ،79 ،78 ،76 ،75 ،74	،29 ،35 ،41 ،46 ،47 ،48 ،51 ،66
،92 ،91 ،90 ،89 ،88 ،87 ،85 ،84	،115 ،116 ،153 ،154 ،156 ،215
،101 ،98 ،97 ،96 ،95 ،94 ،93	،299 ،363
،107 ،106 ،105 ،104 ،103 ،102	تيارت: 73 ،228
،113 ،112 ،111 ،110 ،109 ،108	تيازة: 157
،121 ،119 ،118 ،116 ،115 ،114	تيديكلت: 215
،133 ،132 ،129 ،128 ،124 ،122	
،145 ،144 ،143 ،142 ،139 ،135	
،151 ،150 ،149 ،148 ،147 ،146	
،158 ،156 ،155 ،154 ،153 ،152	
،164 ،163 ،162 ،161 ،160 ،159	
،172 ،171 ،170 ،167 ،166 ،165	
،194 ،187 ،185 ،184 ،177 ،176	
،206 ،205 ،204 ،203 ،200 ،199	
،224 ،219 ،216 ،215 ،212 ،208	
،239 ،237 ،235 ،229 ،227 ،225	
،263 ،262 ،258 ،255 ،244 ،242	
،304 ،295 ،288 ،287 ،267 ،264	
،331 ،323 ،313 ،310 ،309 ،305	
،360 ،359 ،355 ،351 ،349 ،335	
	جبل طارق: 272 ،313 ،330 ،331
	جبل كوكو: 21
	جبل مرجاجو: 280 ،281 ،315
	جربة: 19 ،34 ،297 ،314 ،348
	جرجرة: 71
	الجزائر: 19 ،20 ،22 ،24 ،26 ،27
	،28 ،29 ،30 ،31 ،33 ،34 ،37 ،38

### III- كشف الأماكن

الدول الأوروبية: ص 20، 45، 58، 64،	363، 366، 368، 369، 370، 372،
68، 73، 74، 275، 310، 360،	373، 374، 376، 378.
375.	جزر البليار: 36.
الدول العربية: 141، 145.	الجزيرة الأيبيرية: 47، 272، 288، 331،
الدول المغاربية: 73، 133، 342، 369.	351.
الدولة الزيانية: 346، 378.	جيجل: 24، 35، 37، 43، 47.
الدولة العثمانية: 17، 31، 41، 42، 43،	-ح-
44، 45، 46، 48، 50، 51، 52، 55،	الحسيمة: 364.
56، 68، 70، 80، 152، 378.	حلق الوادي: 363.
الدولة الموحدية: 23.	الحنانشة: 157.
-ر-	حي بلانكا: 318، 319، 324.
رأس العين: 256، 279، 274، 281،	حي نابليون: 318، 320، 321، 323.
295، 315، 318، 323.	-خ-
الرباط: 116.	خليج أليكانت: 337، 340، 356.
الربيع: 73.	خليج رأس بالوس: 356.
روما: 173.	خنق النطاح: 283، 314، 315.
-ز-	-د-
الزاب: 24.	دار السلطان: 227، 228.
زمورة: 240.	دول الاتحاد السوفياتي: 217.
زهانة: 344.	

### III- كشاف الأماكن

شارع تورين: 320.	-س-
شارع فيليب: 319، 320.	ساحة كليبر: 318، 319.
شاطوناف: 318، 321، 325.	سبتة: 361، 364، 365، 377.
شاطى أيجواداس: 356.	سبخة وهران: 343.
شاطى لاس أقادس: 340.	ستراسبورغ: 166.
شرشال: 19، 40، 65، 70، 157.	سطيف: 114، 166.
الشرق الأدنى: 82.	سكيكدة: 25.
الشلف: 228.	سهل غريس: 233.
شمال إفريقيا: 16، 29، 32، 33، 42، 43، 47، 48، 50، 56، 82، 86، 94، 95، 102، 113، 115، 126، 132، 136، 139، 141، 148، 149، 152، 177، 185، 187، 208، 212، 256، 258، 266، 272، 281، 292، 293، 296، 317، 331، 332، 335، 361، 362، 363، 365، 370، 372، 374، 378.	سهل ملاتة: 344. سواحل ألشي: 337. السوالة: 345. السودان: 22، 86، 233. سور الغزلان: 157. سيدي بلعباس: 39. سيرات: 252.
-ص-	-ش-
الصحراء الجزائرية: 87، 185، 228.	شارب الريح: 234.
-ط-	شارع أودينو: 319، 320.

### III- كشف الأماكن

طرابلس: 18، 23، 48، 51.	الغرب الجزائري: 177، 185، 200،
الطوارق: 86، 157.	225، 227، 248، 302.
طوكيو: 217.	غرداية: 24.
-ع-	غرناطة: 16، 21، 25، 30، 34، 349.
العالم الإسلامي: 133، 141، 144،	-ف-
145.	فاس: 17، 26، 48، 233، 234، 314.
العالم المسيحي: 42.	فالنسيا: 266، 267.
العايسية: 345.	فرنسا: 74، 82، 83، 84، 85، 87،
العثمانية: 73	88، 98، 100، 102، 103، 114،
عنابة: 25، 31، 43، 47، 70، 73،	120، 129، 141، 144، 147، 150،
76، 105، 111، 184، 363.	151، 152، 153، 154، 156، 160،
عين الأربعاء: 344.	169، 172، 173، 182، 183، 187،
عين البيضاء: 314.	194، 198، 205، 208، 244، 310،
عين الصفراء: 216.	360، 371.
عين تموشنت: 344.	فروحة: 345.
عين صالح: 87.	-ق-
عين فارس: 345.	قادس: 331، 349.
-غ-	القالا: 242.
	القاهرة: 153.

### III- كشاف الأماكن

قرطاج: 89، 90، 205، 291، 339،	ك-
350.	
كرب فالكون: 336.	
قرقنطة: 315.	
كرب فيرا: 312.	
قرية إيفري: 248، 260، 279.	
كاتالونيا: 331.	
قرية كانستيل: 248، 260، 312.	
الكاف: 157.	
القسطنطينية: 298.	
كانتال دي فاميليانة: 336، 337.	
قسنطينة: 18، 24، 25، 43، 47، 66،	
الكربط: 345.	
69، 71، 72، 73، 88، 89، 90، 91،	
الكرومة: 323.	
93، 96، 97، 101، 105، 108،	
كلاية: 315.	
116، 123، 129، 132، 154، 156،	
157، 158، 160، 167، 184، 204،	
220، 224.	س-
لسوق أهراس: 114.	
القصبية: 271، 273، 282، 301،	
305، 307، 311، 327.	م-
القل: 25، 43، 47.	
231، 232، 233، 240، 316.	
قلعة البنيون (حصن بادس): 27، 28، 37،	
38، 43، 47، 298، 364.	
38، 43، 47، 298، 364.	
قلعة المشور: 231.	
22، 47، 61، 65، 69.	
الجر: 257، 259، 296.	
230، 233، 234، 39.	
342، 343، 344.	
المحيط الأطلسي: 16، 18، 19.	
القلية: 70.	
مدريد: 248، 263، 346.	

### III- كشف الأماكن

المدية: 66، 67، 97، 168، 228.	مسرغين: 256، 295.
المدينة المنورة: 239.	مسموط: 345.
المرسى الكبير: 21، 25، 31، 80، 227، 230، 236، 238، 242، 244، 245، 246، 247، 248، 250، 254، 256، 257، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 279، 281، 285، 289، 290، 291، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 304، 306، 311، 312، 317، 318، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 336، 337، 338، 339، 343، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 353، 355، 356، 357، 358، 360، 361، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 372، 373، 374، 375، 376، 378.	المشرق: 132.
	مصر: 23، 46، 74، 82، 104، 107، 153، 158.
	معسكر: 66، 69، 96، 97، 157، 158، 159، 227، 228، 230، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 242، 243، 262، 314، 316، 354.
	المغرب الإسلامي: 16، 20، 21، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 37، 46، 79، 84، 145، 151.
	المغرب الأقصى: 16، 18، 20، 47، 48، 66، 115، 153، 177، 185، 206، 215، 216، 225، 228، 235، 238، 240، 304.
	المغرب الأوسط: ص 18، 20، 21، 23، 24، 25، 28، 29، 33، 40، 80، 267، 360، 377، 378.
	المرية: 336، 337.
	مزگران: 359.
	مستغانم: 159، 227، 228، 230، 231، 232، 236، 237، 262، 343، 359، 360.

### III- كشف الأماكن

مكة: 239.	هورناتشوس: 351.
ملاتة: 252.	هيون: 111.
مليانة: 240.	-و-
مليلة: 30، 361، 364، 377.	واد الرحي: 279، 281، 314.
الممالك الإسلامية: 16، 17.	واد سباو: 35.
الممالك المسيحية: 16، 29، 33، 43.	الوادي الأبيض: 327.
منطقة القبائل: 21، 38، 43، 66، 69،	وادي الطاغية: 345.
146، 157.	وادي تودمان: 234.
ميلة: 166.	وادي سوف: 159.
ميناء بورتو فارينا: 299.	وادي ملوية: 228.
-ن-	وادي ميزاب: 22.
ندرومة: 71.	وجدة: 215، 234.
النمسا: 217.	ورقلة: 73، 378.
نوميديا: 89، 90.	الوطن العربي: 332.
نيويورك: 217.	وهران: 19، 21، 25، 27، 31، 39،
-ه-	69، 71، 73، 80، 159، 176، 177،
هضبة كارجنطة: 275، 327.	178، 179، 180، 181، 186، 187،
هنشير المرسى: 157.	188، 194، 197، 199، 200، 201،
هنين: 31.	202، 204، 206، 207، 208، 210،
	211، 212، 213، 214، 216، 218،

اليونان: 147.	،225 ،224 ،223 ،222 ،221 ،219
	،233 ،232 ،230 ،229 ،228 ،227
	،239 ،238 ،237 ،236 ،235 ،234
	،246 ،245 ،244 ،242 ،241 ،240
	،255 ،254 ،250 ،249 ،248 ،247
	،261 ،260 ،259 ،258 ،257 ،256
	،267 ،266 ،265 ،264 ،263 ،262
	،276 ،275 ،274 ،273 ،272 ،271
	،282 ،281 ،280 ،279 ،278 ،277
	،290 ،289 ،288 ،287 ،285 ،283
	،296 ،295 ،294 ،293 ،292 ،291
	،304 ،302 ،300 ،299 ،298 ،297
	،311 ،310 ،309 ،308 ،307 ،306
	،318 ،317 ،316 ،315 ،313 ،312
	،326 ،325 ،324 ،322 ،320 ،319
	،333 ،332 ،331 ،330 ،328 ،327
	،342 ،341 ،340 ،339 ،336 ،335
	،350 ،349 ،348 ،347 ،346 ،343
	،356 ،355 ،354 ،353 ،352 ،351
	،364 ،363 ،361 ،360 ،359 ،358
	،370 ،369 ،368 ،367 ،366 ،365
	،376 ،375 ،374 ،373 ،372 ،371
	.378

- أ-  
 الاستنجد بالإخوة بربروس سنة 918هـ/  
 1512م: 34.  
 إعلان الجنرال شارون في 31 أكتوبر 1848م  
 على المرسوم القاضي بالاهتمام بمخلفات الدولة  
 من وثائق ودفاتر: 162.  
 إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م:  
 41، 42.  
 اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر سنة 1954م:  
 105.  
 انعقاد الجلسة التاسعة للجمعية التاريخية الجزائرية  
 وصدور أول عدد للمجلة الإفريقية بتاريخ 7  
 نوفمبر 1856م: 139.  
 انعقاد الجلسة الثالثة للجمعية التاريخية الجزائرية  
 بتاريخ 15 مارس 1856م: 136.  
 انعقاد الجلسة الثانية للجمعية التاريخية الجزائرية  
 بتاريخ 8 مارس 1856م: 136.  
 انعقاد الجلسة الرابعة للجمعية التاريخية الجزائرية  
 بتاريخ 21 أبريل 1856م: 136.  
 انعقاد الجلسة السابعة للجمعية التاريخية الجزائرية  
 بتاريخ 4 جويلية 1856م: 138.
- ب-  
 احتلال الإسبان لبجاية 1510م: 21، 31،  
 363.  
 احتلال الإسبان لعنابة عام 1536م: 31،  
 363.  
 احتلال الإسبان للمرسى الكبير سنة 1505م:  
 21، 31، 244، 248، 268، 304،  
 305، 335، 336، 337، 364، 365،  
 377.  
 احتلال الإسبان لهنين عام 1532م: 31.  
 احتلال الإسبان لوهران سنة 1509م: 21،  
 31، 244، 247، 305، 338، 339،  
 342، 347، 363، 377.  
 الاحتلال الإسباني للمليلة: 30.  
 احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م: 95،  
 103.  
 استشهاد عروج في شهر ماي من سنة  
 1518م/924هـ: 40.  
 استعادة خير الدين لخصن البنيون عام  
 1529م: 43، 47.  
 استقلال الجزائر: 184، 198، 203.

## IV- كشف الثورات والأحداث

البعثة العلمية والأثرية في مصر (1798-1801م) بإشراف نابليون: 104.  
الحرب العالمية الأولى من 1914 إلى 1918م: 127، 128، 217، 218.

الحرب العالمية الثانية (1939-1945م): 217، 218.

حصار محمد الكبير لوهران في 23 جويلية 1791م: 241، 284.

الحملة الإسبانية الفاشلة ضد الجزائر في سنوات 1775م، 1783م و1784م: 264.

الحملة الإسبانية الفاشلة على مدينة الجزائر بقيادة هيغو دي مونكادا سنة 1519م: 43، 46.

حملة شارلكان على تونس (1535م): 363.

حملة نابليون بونابرت على مصر 1798-1799م: 153.

-ز-

الزلازل الذي ضرب الجزائر سنة 1825م: 76.

الزلازل الذي ضرب وهران في 8 و9 أكتوبر 1790م: 241، 282، 307، 314، 340، 365.

-س-

تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية في 7 أبريل 1856م: 93.

-ت-

تأسيس الجمعية الجغرافية بباريس سنة 1821م: 85.

تأسيس المجلة الإفريقية في 07 أبريل 1856م: 127.

تحرير عروج لمدينة جيجل من الجنويين سنة 920هـ/ 1514م: 35.

تمرد الإنكشارية ضد إبراهيم باشا سنة 1659م: 54.

توقيع معاهدة الصلح بين الإسبان وباب وهران محمد الكبير يوم 17 ديسمبر 1791م: 241.

-ث-

ثورة الكراغلة سنة 1633م: 53.

ثورة الموريسكيين سنة 1568م: 258.

-ح-

- سجن يوسف باشا سنة 1640م: 54.
- الفتح الأول لوهراڻ (1708 - 1732م):  
230، 236، 306، 307، 310، 316،  
335، 340، 342، 351، 353، 354،  
355، 356، 358، 359، 364، 365،  
366.
- سقوط المرسي الكبير في يد البرتغاليين عام  
1471م: 25.
- سيطرة خير الدين على مدينة القل سنة  
927هـ/1521م: ص 43، 47.
- سقوط غرناطة 1492م: ص 16، 30.
- الفتح الثاني لوهراڻ في عام 1792م: 230،  
247، 276، 282، 283، 335، 342،  
376، 378.
- سيطرة خير الدين على مدينة عنابة سنة  
928هـ/1522م: ص 43، 47.
- فتح متحف وهران في 5 مارس 1885م:  
189.
- سيطرة خير الدين على مدينة قسنطينة سنة  
928هـ/1522م: ص 43، 47.
- م-
- محاولة حسن باشا تحرير وهران عام 1563م:  
340، 348، 351.
- شروع الجمعية التاريخية الجزائرية في عملها  
بموجب مرسوم 7 أفريل 1856م: 137.
- ش-
- معاهدة توردي سيلاس 7 جوان 1494م:  
30.
- ط-
- طاعون 1786م بوهراڻ: 240.
- مقتل إسحاق سنة 1518م/ 924 هـ: 39.
- مقتل خير الدين لإبن القاضي من مدينة الجزائر  
عام 1525م: 43.
- ن-
- نقل مقر عاصمة بايلك الغرب من معسكر إلى  
وهراڻ في 24 فيفري 1792م: 242.
- ه-
- طلب إسبانيا الصلح من الباي محمد الكبير في  
5 جويلية 1791م: 241، 287.
- ف-

هجوم الإسبان الفاشل على مدينة الجزائر سنة  
1516م: 38.

المهجومين الإسبانين الفاشلين على حصن  
البنين؛ الأول عام 1563م، والثاني 1564م:  
298.

-و-

وفاة العلي علي سنة 1587م: 51.

وفاة الملك الإسباني فرديناند سنة 1516م:  
37.

وفاة بيربروجر في 2 جويلية 1869م: 133،  
156، 160.

وفاة دو فولكس في يوم 13 نوفمبر 1876م:  
162.

وفاة لويس رين في سنة 1905م: 166.

ولد ابن شنب في 26 أكتوبر سنة 1869م:  
168.

ولد لويس رين في 28 مارس 1838م:  
165.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء.

كلمة شكر وتقدير.

مقدمة:.....أ- ل.

المدخل:.....14.

أولاً: أوضاع المغرب الأوسط قبيل الوجود العثماني:.....17.

1- الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية (1505-1535م):.....29.

2- الاستنجد بالإخوة بروس 1512م:.....32.

ثانياً: الجزائر إيالة عثمانية 1519م:.....39.

1- الأوضاع السياسية:.....43.

1-1- مرحلة البايلربايات (1518-1588م):.....44.

1-2- مرحلة الباشوات (1587-1659م):.....50.

1-3- مرحلة الأغوات (1659-1671م):.....54.

1-4- مرحلة الديات (1671-1830م):.....55.

2- التنظيم الإداري:.....64.

2-1- الجزائر:.....64.

2-2- بايلك الشرق:.....65.

2-3- بايلك الغرب:.....65.

- 2-4- بايلك التيطري:.....65.
- 3- التنظيمات الاقتصادية:.....67.
- 3-1- الزراعة:.....67.
- 3-2- الصناعة:.....70.
- 3-3- التجارة:.....72.
- 4- الأوضاع الاجتماعية:.....74.
- القسم الأول: بيليوغرافيا حول الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير (1505-1792م)..
- .....80.
- الفصل الأول: الجمعيات الفرنسية العلمية في الجزائر (1830-1962).....81.
- أولاً: الجمعية الجغرافية الجزائرية (S.G.A) 1821م.....84.
- ثانياً: جمعية البحث العلمي (S.R.S) 1836م.....88.
- ثالثاً: لجنة اكتشاف الجزائر العلمي (S.D.S.A) 1837م.....91.
- رابعاً: جمعية قسنطينة الأثرية (S.A.C) 1852م.....99.
- خامساً: الجمعية التاريخية الجزائرية (S.H.A) 1856م.....104.
- الفصل الثاني: المجلة الإفريقية (R.A) 1856م.....122.
- أولاً- تعريف المجلة الإفريقية (**Revue Africaine**) شكلاً ومضموناً:.....123.
- 1- من حيث الشكل:.....123.
- 2- من حيث المضمون:.....129.
- ثانياً: مراحل تأسيس المجلة الإفريقية:.....138.

- 142.....:ثالثاً: رئاسة تحرير المجلة الإفريقية:
- 143.....:رابعاً: أهداف المجلة الإفريقية:
- 143.....:1- الأهداف السياسية:
- 146.....:2- الأهداف الدينية:
- 148.....:3- الأهداف العلمية والثقافية:
- 155.....:خامساً- أبرز كُتَّاب المجلة الإفريقية:
- 155.....:1- فونتور دو بارادي (Venture de Paradis):
- 157.....:2- أدريان بيربروجر (Adryan Berbrugger):
- 164.....:3- ألبير دوفولكس (Albert Devoulx):
- 167.....:4- دلماس دو غرامون (H-Delmas de Grammont):
- 169.....:5- لويس رين (Louis Rinn):
- 170.....:6- محمد ابن أبي شنب (M. Ben Cheneb):
- 175.....:سادساً: منهج كُتَّاب المجلة الإفريقية في دراستهم لتاريخ الجزائر:
- 180.....:الفصل الثالث: نشرية وهران الجغرافية والأثرية (B.S.G.A.O) 1878م:
- 181.....:أولاً- تعريف الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران شكلاً ومضموناً:
- 181.....:1- من حيث الشكل:
- 186.....:2- من حيث المضمون:
- 192.....:ثانياً: حملها للتسمية الجديدة:
- 196.....:ثالثاً: كيفية الانضمام إلى الجمعية والعضوية فيها:
- 198.....:رابعاً: نشاط الجمعية خلال الحقبة الاستعمارية (1878م- 1962م):

- خامساً: نشاط الجمعية بعد الاستقلال:.....205.
- سادساً: منهج كتاب الجمعية ودوافع البحث في تاريخ الجزائر وهران على وجه الخصوص:.....211.
- سابعاً: منشورات الجمعية:.....214.
- 1- المنشورات الدورية:.....214.
- 2- الجداول العامة للنشرية:.....217.
- 3- النشرات الخاصة باحتفاليات ذكرى تأسيس الجمعية:.....219.
- 4- نشرات خاصة:.....221.
- 5- الأعمال والدراسات والمذكرات:.....222.
- أ- الأعمال:.....222.
- ب- الدراسات و المنوغرافيات:.....223.
- ج- المذكرات:.....224.
- ثامناً- تبادل النشرة مع الجمعيات العلمية والأكاديمية الأخرى:.....224.
- تاسعاً: الصعوبات التي واجهت نشر النشرة خلال الحرب العالمية الثانية:.....225.
- عاشراً- مطابع منشورات جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لإقليم وهران:.....229.
- القسم الثاني: التحليل التاريخي للسييلوغرافيا:.....234.
- الفصل الرابع: المجالات السياسية والعسكرية:.....236.
- I- المجالات السياسية:.....233.
- أولاً- الحدود الجغرافية لبايك الغرب الجزائري:.....237.
- ثانياً- تأسيس باييك الغرب الجزائري:.....239.
- ثالثاً- الطابع السياسي المميز لبايك الغرب:.....247.

- رابعاً- التنظيم الداخلي لوهران والمرسى الكبير:.....253.
- خامساً- حكام وهران خلال الاحتلال الإسباني (1505-1792م):.....254.
- سادساً- القبائل المتعاونة مع الإسبان (المتحالفة):.....258.
- سابعاً- معاملة الحكام الإسبان للقبائل المتعاونة (المتحالفة):.....263.
- ثامناً- سياسة حكام وهران والوضع الذي آلت إليه بداية من القرن 17م:.....268.
- II- المجالات العسكرية:.....276.
- أولاً- إحكام التحصينات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير (1505- 1792م):.....277.
- 1- المرسى الكبير:.....277.
- 2- وهران:.....283.
- أ- أبواب المدينة:.....284.
- ب- حصون وأبراج وقلاع مدينة وهران:.....285.
- 1- البرج الأحمر:.....285.
- 2- برج اليهودي (سان غريغوري):.....287.
- 3- برج العين:.....288.
- 4- البرج الجديد (سان أندري):.....289.
- 5- قلعة مرجاجو:.....290.
- 6- قلعة القصبة:.....292.
- ج- الحصون الصغرى بمدينة وهران:.....293.
- 1- برج القديسة تيريز:.....293.
- 2- برج الفرانسييس:.....294.
- 3- البرج الكبير:.....294.

- 4- حصن سان إغناسيو:.....295.
- 5- برج ناسيمينتو:.....295.
- 6- برج سانتا سانت بارب:.....295.
- 7- حصن سان كارلوس:.....295.
- 8- برج لمونة:.....296.
- 9- حصن سانت فيرناندو:.....296.
- 10- حصن سان لويس:.....296.
- د- السجون:.....298.
- ثانياً- الحامية الإسبانية لوهراو والمرسى الكبير:.....298.
- 1- المشاة:.....298.
- 2- الهندسة الحربية:.....299.
- 3- المدفعية:.....300.
- 4- الخيالة:.....300.
- ثالثاً- صعوبة تمويل المراكز المحصنة في وهران والمرسى الكبير:.....301.
- رابعاً- الإغارة خارج أسوار القلاع والحصون:.....303.
- خامساً- العلاقة بين القاعدتين (وهران والمرسى الكبير):.....308.
- الفصل الخامس: المجالات العمرانية والطبوغرافية:.....313.
- أولاً- المخلفات العمرانية الإسبانية في وهران والمرسى الكبير (1505-1792م):.....314.
- 1- عمران ذو طابع عسكري:.....314.
- 2- عمران ذو طابع مدنية:.....321.
- ثانياً- وهران خلال فترة حكم الباى محمد الكبير (1193-1212هـ/1779-1797م):.....324.

- ثالثاً- وصف لمدينة وهران والمرسى الكبير:.....327.
- 1- وهران:.....327.
- 2- المرسى الكبير:.....338.
- الفصل السادس: الأستغرافية الإسبانية والفرنسية حول الاحتلال في وهران والمرسى الكبير.....
- (1505-1792م):.....345.
- أولاً- احتلال المرسى الكبير (1505م):.....347.
- ثانياً- الاحتلال الإسباني الأول لوهران عام 1509م:.....350.
- ثالثاً- الحملات الإسبانية خلال المرحلة الأولى من الاحتلال (1505-1732م):.....352.
- رابعاً- الغارتان اللتان شنهما إسبان وهران في القرن 16م:.....358.
- خامساً- محاولات تحرير وهران والمرسى الكبير:.....359.
- 1- محاولة عام 1563م:.....359.
- 2- محاولة عام 1708م:.....363.
- ساساً: الاحتلال الإسباني الثاني لوهران عام 1732م:.....366.
- سابعاً- ملاحظات ووثائق حول استيلاء الإسبان على وهران في عام 1732م:.....368.
- ثامناً- استعادة الإسبان لوهران عام 1732م:.....372.
- تاسعاً- طبيعة الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير:.....373.
- عاشراً- وثائق جديدة حول تاريخ الاحتلال الإسباني في إفريقيا:.....375.
- إحدى عشر- مناطق السيادة الإسبانية في إفريقيا:.....377.
- إثنا عشر- نظرة تحليلية عامة حول الدراسات المنشورة في المدونتين:.....380.

.393.....	خاتمة:
.405.....	الملاحق:
.444.....	الكشاف العام:
.445.....	I - كشاف الأعلام:
.461.....	II - كشاف الأمم والشعوب:
.466.....	III - الأماكن:
.476.....	IV - كشاف الثورات والأحداث:
.480.....	قائمة المصادر والمراجع:
.528.....	فهرس الموضوعات:

## الملخص:

هذه الدراسة تقوم على إبراز الأبحاث المتعلقة باحتلال وهران والمرسى الكبير من خلال المدونتين الفرنسيتين: المجلة الإفريقية ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران, ولما احتوت عليه المدونتين من دراسات في شتى الميادين, ولأهميتهما التاريخية والعلمية قمت باختيار الموضوع رغبة في معرفة صلة هذه البحوث في السعي لتدمير الخصوصيات المختلفة للمجتمع الجزائري وإعادة تشكيله على أسس جديدة تجعله مجتمعاً خاضعاً للسيطرة الاستعمارية, وكذا مدى التعاطف الكبير الذي يديه الكُتّاب الفرنسيون من خلال المدونتين مع الاحتلال الإسباني لوهران, بل والتأسف الكبير على تفریط الإسبان في هذه المدينة بعدما أفرحوا الأوروبيين باحتلالها انتقاماً من البحرية الجزائرية التي أفضت مضاجعهم زمناً طويلاً. كما أنها تسمح بإعطاء صورة عن توجهات الكتابة حول موضوع الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير لاسيما كون أن الكُتّاب كانوا من الجنسيين الفرنسية والإسبانية.

**الكلمات المفتاحية:** وهران, المرسى الكبير, الاحتلال الإسباني, المدونات الفرنسية, المجلة الإفريقية, النشرية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران, الاستعمار الفرنسي, السيطرة الاستعمارية.

## Summary:

This study is based on highlighting the research related to the conquest of Oran and the Great Marsa through the two French records: the African magazine and the publication of the Geographical and Archaeological Society of the Oran Region, and because of the studies contained in the two reports in various fields, and for their historical and scientific importance I chose the subject in a desire to know the relevance of this research in seeking to destroy The different privacies of the Algerian society and its restructuring on new foundations making it a society subject to colonial domination, as well as the great sympathy shown by the French writers through the two records with the Spanish occupation of Oran, and even great regret for the Spanish to neglect this city after they rejoiced the Europeans in its occupation in retaliation for the Algerian navy which bothered them. It also allows to give a picture of the orientation of writing on the subject of the Spanish occupation of Oran and the Great Marina, especially that the writers were of French and Spanish Nationality.

**Key words:** Oran, the Great Marina, Spanish occupation, French records, the African magazine, geographical and archeological publications of the region of Oran, French colonialism, colonial domination.

**Résumé:**

Cette étude repose sur la mise de l'accent sur des recherches liées à l'occupation d'Oran et de Mers-El kébir à travers les deux blogs français: le magazine africain et la publication de la Société Géographique et Archéologique de la Région d'Oran, et comme les deux blogs contenaient des études dans des domaines variés, et pour leur importance historique et scientifique, j'ai choisi le sujet afin de connaître la pertinence de cette recherche à détruire Les différentes particularités de la société algérienne et la reconstruire sur des principes qui en font une société soumise au contrôle colonial, ainsi que la grande sympathie que manifestent les écrivains français à travers les deux blogs avec l'occupation espagnole d'Oran, et en effet le grand regret pour les espagnoles de ne pas intéresser à cette ville après que les Européens se soient réjouis de son occupation en représailles contre la marine algérienne pour un longtemps. Il permet également de donner une image des tendances de l'écriture sur le thème de l'occupation espagnole d'Oran et de la Mers -El Kébir, d'autant plus que les écrivains étaient de nationalités française et espagnole.

**Mots clés:** Oran, Mers El Kébir, occupation espagnole, blogs français, magazine africain, Bulletin de la Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, colonialisme français, domination coloniale.

## الملخص:

هذه الدراسة تقوم على إبراز الأبحاث المتعلقة باحتلال وهران والمرسى الكبير من خلال المدونتين الفرنسيتين: المجلة الإفريقية ونشرية الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران, ولما احتوت عليه المدونتين من دراسات في شتى الميادين, ولأهميتهما التاريخية والعلمية قمت باختيار الموضوع رغبة في معرفة صلة هذه البحوث في السعي لتدمير الخصوصيات المختلفة للمجتمع الجزائري وإعادة تشكيله على أسس جديدة تجعله مجتمعاً خاضعاً للسيطرة الاستعمارية, وكذا مدى التعاطف الكبير الذي يديه الكُتّاب الفرنسيون من خلال المدونتين مع الاحتلال الإسباني لوهران, بل والتأسف الكبير على تفریط الإسبان في هذه المدينة بعدما أفرحوا الأوروبيين باحتلالها انتقاماً من البحرية الجزائرية التي أفضت مضاجعهم زمناً طويلاً. كما أنها تسمح بإعطاء صورة عن توجهات الكتابة حول موضوع الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير لاسيما كون أن الكُتّاب كانوا من الجنسيين الفرنسية والإسبانية.

**الكلمات المفتاحية:** وهران, المرسى الكبير, الاحتلال الإسباني, المدونات الفرنسية, المجلة الإفريقية, النشرية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران, الاستعمار الفرنسي, السيطرة الاستعمارية.

## Summary:

This study is based on highlighting the research related to the conquest of Oran and the Great Marsa through the two French records: the African magazine and the publication of the Geographical and Archaeological Society of the Oran Region, and because of the studies contained in the two reports in various fields, and for their historical and scientific importance I chose the subject in a desire to know the relevance of this research in seeking to destroy The different privacies of the Algerian society and its restructuring on new foundations making it a society subject to colonial domination, as well as the great sympathy shown by the French writers through the two records with the Spanish occupation of Oran, and even great regret for the Spanish to neglect this city after they rejoiced the Europeans in its occupation in retaliation for the Algerian navy which bothered them. It also allows to give a picture of the orientation of writing on the subject of the Spanish occupation of Oran and the Great Marina, especially that the writers were of French and Spanish Nationality.

**Key words:** Oran, the Great Marina, Spanish occupation, French records, the African magazine, geographical and archeological publications of the region of Oran, French colonialism, colonial domination.

## Résumé:

Cette étude repose sur la mise de l'accent sur des recherches liées à l'occupation d'Oran et de Mers-El kébir à travers les deux blogs français: le magazine africain et la publication de la Société Géographique et Archéologique de la Région d'Oran, et comme les deux blogs contenaient des études dans des domaines variés, et pour leur importance historique et scientifique, j'ai choisi le sujet afin de connaître la pertinence de cette recherche à détruire Les différentes particularités de la société algérienne et la reconstruire sur des principes qui en font une société soumise au contrôle colonial, ainsi que la grande sympathie que manifestent les écrivains français à travers les deux blogs avec l'occupation espagnole d'Oran, et en effet le grand regret pour les espagnoles de ne pas intéresser à cette ville après que les Européens se soient réjouis de son occupation en représailles contre la marine algérienne pour un longtemps. Il permet également de donner une image des tendances de l'écriture sur le thème de l'occupation espagnole d'Oran et de la Mers – El Kébir, d'autant plus que les écrivains étaient de nationalités française et espagnole.

**Mots clés:** Oran, Mers El Kébir, occupation espagnole, blogs français, magazine africain, Bulletin de la Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, colonialisme français, domination coloniale.